

أُفُقُ الْعَظَمَةِ

الْمُحَمَّدِيَّةِ

لِلْعَارِفِ بِاللهِ سَمَاحَةِ الشَّيْخِ

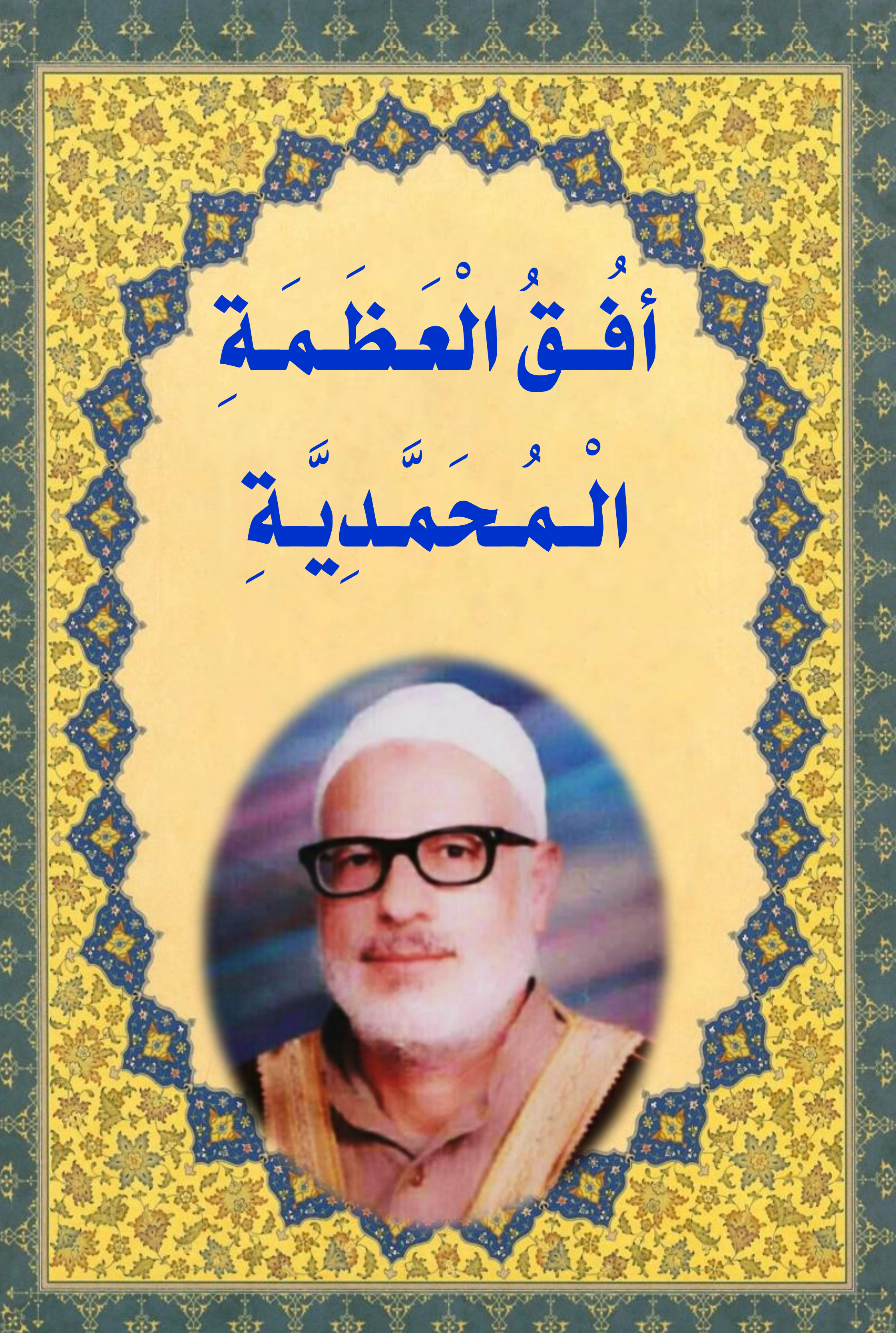
عَبْدُ السَّلامِ عَلِي شِتَا

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَعَنَّا بِهِ آمِين

شَرُفَ بِمُطَابَقَتِهِ عَلَىٰ الْأَصْلِ، وَضَبْطِهِ بِالشَّكْلِ، الْفَقِيرُ إِلَىٰ اللهِ

عَلاء مُحَمَّد مُصْطَفَى نِعِيمَةَ الأَزْهَرِيُّ الشَّافِعِيُّ

خَادِمُ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ


أُفُقُ الْعَظَمَةِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ۞ الرحمن الرحيم ۞
مالك يوم الدين ۞ إياك نعبد وإياك
نستعين ۞ اهدنا الصراط المستقيم ۞
صراط الذين أنعمت عليهم ۞ غير
المغضوب عليهم ولا الضالين ۞
صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِهْدَاءٌ

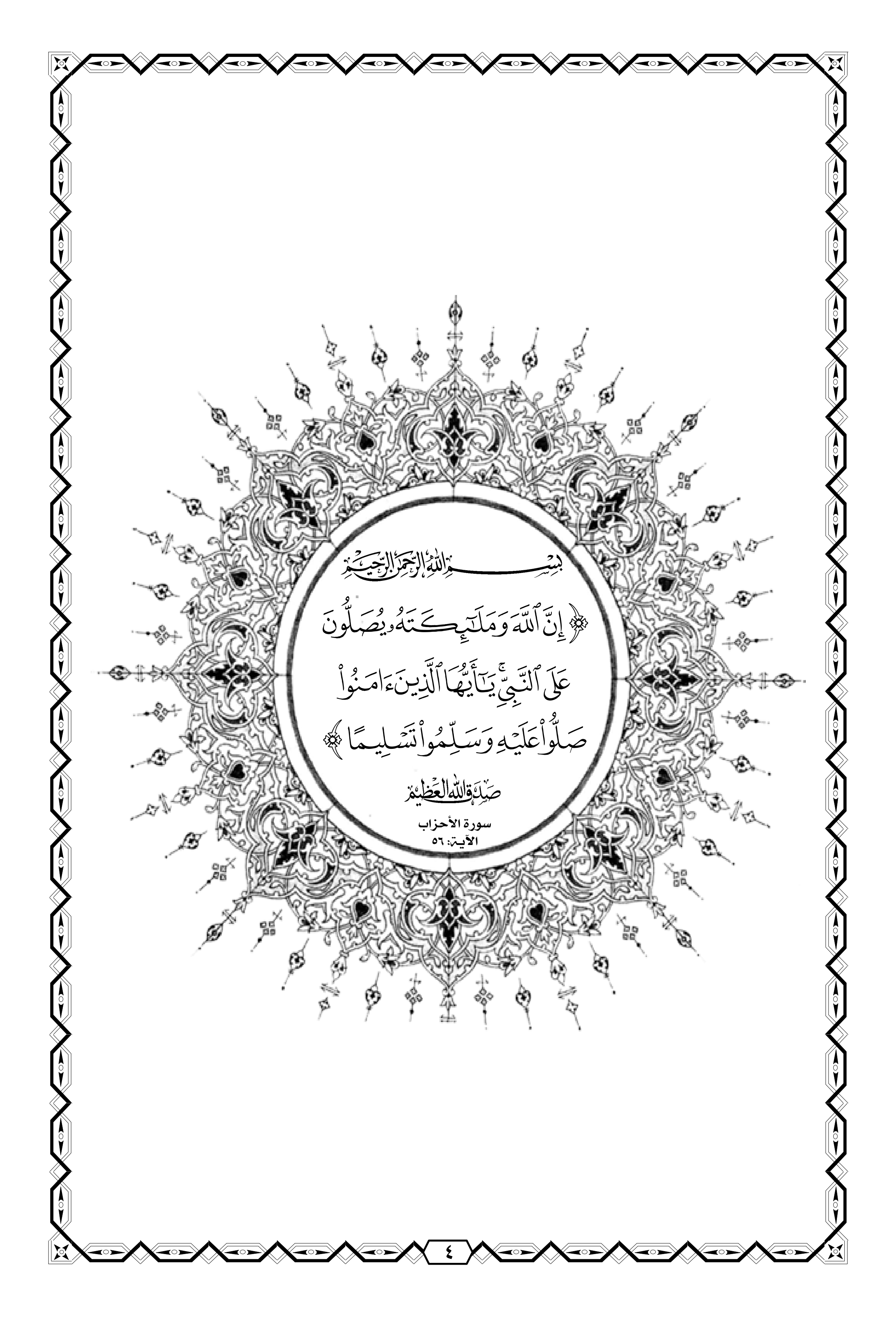
إِلَىٰ النِّعْمَةِ التَّامَّةِ وَالرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ لِلْعَالَمِينَ، إِلَىٰ مَصْدَرِ الْمَكْرُمَاتِ وَمَعْدِنِ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، إِلَىٰ السِّرَاجِ الْمُنِيرِ الْهَادِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، إِلَىٰ صَاحِبِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ وَاللِّوَاءِ الْمَعْقُودِ، إِلَىٰ الشَّفِيعِ الأَعْظَمِ وَالنَّبِيِّ الأَكْرَمِ الْمَخْصُوصِ مِنْ رَبِّهِ بِالْوَسِيلَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ الرَّفِيعَةِ، إِلَىٰ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، إِلَىٰ نُورِ الْوُجُوهِ النَّاضِرَةِ وَقُرَّةِ الْعُيُونِ النَّاظِرَةِ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

أُهْدِي كِتَابَ: «**أُفُقُ الْعَظَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ**» رَاجِيًا بِهِ شَفَاعَتَهُ وَحُبَّهُ وَرِضَاهُ ﷺ، وَالْقُرْبَ مِنْ حَضْرَةِ جَنَابِهِ الْعَظِيمِ، وَالنَّظَرَ إِلَىٰ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ﷺ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي وَسَائِرَ الْمُسْلِمِينَ بِهَدْيِهِ الْقَوِيمِ ﷺ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تَجْعَلُنَا بِهَا مِنَ الْمَحْبُوبِينَ لِذَاتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، الْمَنْظُورِينَ بِعَيْنِ رَحْمَتِهِ الْوِدَادِيَّةِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

الفقير إلى الله

عَبْدُ السَّلامِ عَلِي شِتَا


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ
عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾
صدق الله العظيم
سورة الأحزاب
الآية: ٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ للهِ الْهَادِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَاهِبِ الْمِنَنِ، وَمُفِيضِ النِّعَمِ، وَوَلِيِّ الْكَرَمِ، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، هُوَ كَمَا أَثْنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَىٰ الْهَادِي الْبَشِيرِ، وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ ... سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ رَحْمَةِ اللهِ لِلْعَالَمِينَ، وَحَامِلِ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الدِّينِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَىٰ، وَأَنْجُمِ الْهُدَىٰ، صَلَاةً نَسْتَرْوِحُ هُدَاهَا وَطِيبَ عَبِيرِهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ.

وَبَعْدُ:

فَإِنِّي أَحْمَدُ اللهَ وَأَنَا الْعَبْدُ الْعَاجِزُ الْفَقِيرُ أَنْ شَرَّفَنِي الْمَوْلَىٰ سُبْحَانَهُ وَوَفَّقَنِي لِلْكِتَابَةِ عَنْ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَيْسَ هُنَاكَ فِي الْوُجُودِ نِعْمَةٌ تَعْدِلُ مِنَّةَ اللهِ الْكُبْرَىٰ، وَنِعْمَتَهُ الْعُظْمَىٰ عَلَيْنَا بِرَسُولِهِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ﷺ، فَهُوَ ﷺ النُّورُ الَّذِي بِهِ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﷺ، وَالْمَاءُ الْجَارِي فَوْقَ أَرْضِ قُلُوبِنَا ﷺ، وَالرُّوحُ السَّارِي فِي أَرْوَاحِنَا وَأَجْسَامِنَا ﷺ، وَهَذَا كُلُّهُ نَذْرٌ يَسِيرٌ مِنْ فَضْلِ جُودِهِ وَعَطَائِهِ ﷺ، فَإِنَّ كُلَّ مَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ مَقَامَاتِهِ الْعَلِيَّةِ ﷺ، وَمَا حَلَّقَتْ حَوْلَ سَمَائِهِ الْأَفْئِدَةُ مِنْ مَعَانِيهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ﷺ، إِنَّمَا هُوَ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ لَا تَفِي بِقَدْرِهِ الشَّرِيفِ وَجَاهِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَبْقَىٰ مَضْنُونَاً مَكْنُونَاً، لَا تَفِي بِهِ الْعِبَارَةُ وَلَا تُومِي إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ.

وَإِنَّ مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّذِي أَسْدَاهُ إِلَيْنَا، وَتَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْنَا أَنْ كَشَفَ لَنَا فِي

كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَهَدْيِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ عَنْ شَمِيمٍ مِنْ رَحِيقِهِ الْمَخْتُومِ، يَطِيبُ لَهُ قَلْبُ كُلِّ مُشْتَاقٍ أَمِينٍ، وَيَزْدَادُ بِهِ إِيمَانًا قَلْبُ كُلِّ أَوَّاهٍ مُنِيبٍ، فَلَا يَكَادُ الظَّمْآنُ الْوَارِدُ يَحْتَسِي مِنْ شَرَابِهِ، وَيَغْتَرِفُ مِنْ مَعِينِهِ حَتَّىٰ يُتَرْجِمَ لِسَانُهُ بِمَا ذَاقَ مِنْ حَلَاوَتِهِ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ بَعْدَ الشُّرْبِ أَنْ يَقْهَرَهُ حُبُّهُ وَعِشْقُهُ لِلْحَبِيبِ ﷺ، فَيُنَاوِلُ مِنْ صَافِي طَهُورِهِ كُلَّ مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

وَمَا فَتَحَ لِي بَابَ الْكِتَابَةِ إِلَّا يَقِينِي بِعَجْزِي، فَمَا أَصَبْتُ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَإِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ رَبِّي، وَمَا فَاتَنِي فِيهِ مِمَّا لَا يَفِي بِجَاهِهِ الْعَظِيمِ ﷺ، فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ نَفْسِي وَجَهْلِي وَسَهْوِي وَنِسْيَانِي.

فَأَسْأَلُ اللهَ بِلِسَانِ الذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ، الرَّحْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَإِنَّنِي إِذْ أَتَوَجَّهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِخَالِصِ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ وَجَمِيلِ الشُّكْرِ وَالِامْتِنَانِ فَإِنَّنِي أَدْعُوهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ مَنْ سَاهَمَ مَعَنَا فِي إِخْرَاجِ كِتَابِ «**أُفُقُ الْعَظَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ**» بِالْخَيْرِ وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الفقير إلى الله

عَبْدُ السَّلامِ عَلِي شِتَا

بسم الله الرحمن الرحيم

تَمْهِيدٌ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِمَعُونَتِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ، عَلَىٰ إِخْرَاجِ كِتَابِ «**أُفُقُ الْعَظَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ**»، وَالَّذِي أَبْتَغِي بِهِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ النَّفْعَ لِكُلِّ طَالِبٍ يَرُومُ الْوُقُوفَ عَلَىٰ جَوَانِبِ الْعَظَمَةِ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ سَبَقَ لِي أَنْ أَخْرَجْتُ الطَّبْعَةَ الْأُولَىٰ، فَسَأَلَنِي الْكَثِيرُ مِنَ الْقُرَّاءِ الْمَزِيدَ مِنْهَا بَعْدَ نَفَادِهَا، ثُمَّ جَاءَتِ الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ وَالثَّالِثَةُ الَّتِي حَاوَلْتُ فِيهَا قَدْرَ اسْتِطَاعَتِي أَنْ أَجْمَعَ مَا كَتَبَهُ السَّابِقُونَ وَالْمُعَاصِرُونَ بِإِيجَازٍ يَصِلُ بِالْقَارِئِ إِلَىٰ الْهَدَفِ الْمَنْشُودِ، وَذَلِكَ فِي أُسْلُوبٍ مُيَسَّرٍ، أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ لِلْقَارِئِ الْكَرِيمِ أَنْ يَتَذَوَّقَ مِنْ خِلَالِهِ مَعِينَ مَحَبَّتِهِ ﷺ، وَيَرْتَشِفَ فِيهِ مِنْ فَيْضِ كَمَالَاتِهِ ﷺ الَّتِي حَلَّقَتْ فِي كُلِّ الْآفَاقِ خِلَالَ مَرَاحِلِ حَيَاتِهِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَالَّتِي سَعِدَتْ بِهَا الْإِنْسَانِيَّةُ وَلَمْ تَزَلْ إِلَىٰ يَوْمِ أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا .

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَنَاوَلْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمَوْضُوعَاتِ الْآتِيَةَ:

الْبَابُ الْأَوَّلُ: الْمَقَامُ الْمُحَمَّدِيُّ، وَمَا فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ ﷺ، وَمَا وَرَدَ عَنْهُ ﷺ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ.

الْبَابُ الثَّانِي: أَوْجُهُ الْعَظَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ.

الْبَابُ الثَّالِثُ: أَوْجُهُ الْعَظَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بَعْدَ الْبَعْثَةِ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ.

الْبَابُ الرَّابِعُ: أَوْجُهُ الْعَظَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بَعْدَ الْبَعْثَةِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

الْبَابُ الْخَامِسُ: الْكَمَالُ الْخَلْقِيُّ وَالْخُلُقِيُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ .

الْبَابُ السَّادِسُ: جَاهُهُ الْعَظِيمُ ﷺ، وَالَّذِي يَتَنَاوَلُ بِالتَّفْصِيلِ مَقَامَاتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةَ ﷺ .

الْبَابُ السَّابِعُ: عَظَمَتُهُ فِي نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ ﷺ، وَالَّذِي يَتَنَاوَلُ تَنَبُّؤَهُ ﷺ بِالْغَيْبِ، وَمَا جَاءَ

فِي رِسَالَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ﷺ مِنَ الْبَشَائِرِ.

الْبَابُ الثَّامِنُ: عَظَمَتُهُ ﷺ فِي شَرِيعَتِهِ السَّمْحَاءِ.

الْبَابُ التَّاسِعُ: عَظَمَتُهُ ﷺ فِي أُمَّتِهِ.

الْبَابُ الْعَاشِرُ: تَمَامُ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَالَّذِي يَتَنَاوَلُ مُعْجِزَاتِهِ ﷺ، وَمَا جَاءَ مِنَ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ وَالْإِعْجَازِ الْبَيَانِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَمَا يَتَنَاوَلُ لِحَاقَهُ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ، وَمُخْتَارَاتٍ مِنْ وَصَايَاهُ ﷺ.

أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ سِرَاجًا نَسْتَضِيءُ بِهِ فِي حَيَاتِنَا الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَزَاداً نَتَزَوَّدُ بِهِ لِلِقَاءِ رَبِّنَا.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ شَمْسِ الْكَمَالِ، وَبَدْرِ التَّمَامِ، ورَسُولِ الْخِتَامِ، وَوَسِيلَتِنَا الْعُظْمَىٰ لِنَيْلِ الْفَضْلِ وَالْإِكْرَامِ، وَعَلَىٰ آلِهِ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيراً.

الفقير إلى الله

عَبْدُ السَّلامِ عَلِي شِتَا

الْبَابُ الْأَوَّلُ

الْمَقَامُ الْمُحَمَّدِيُّ

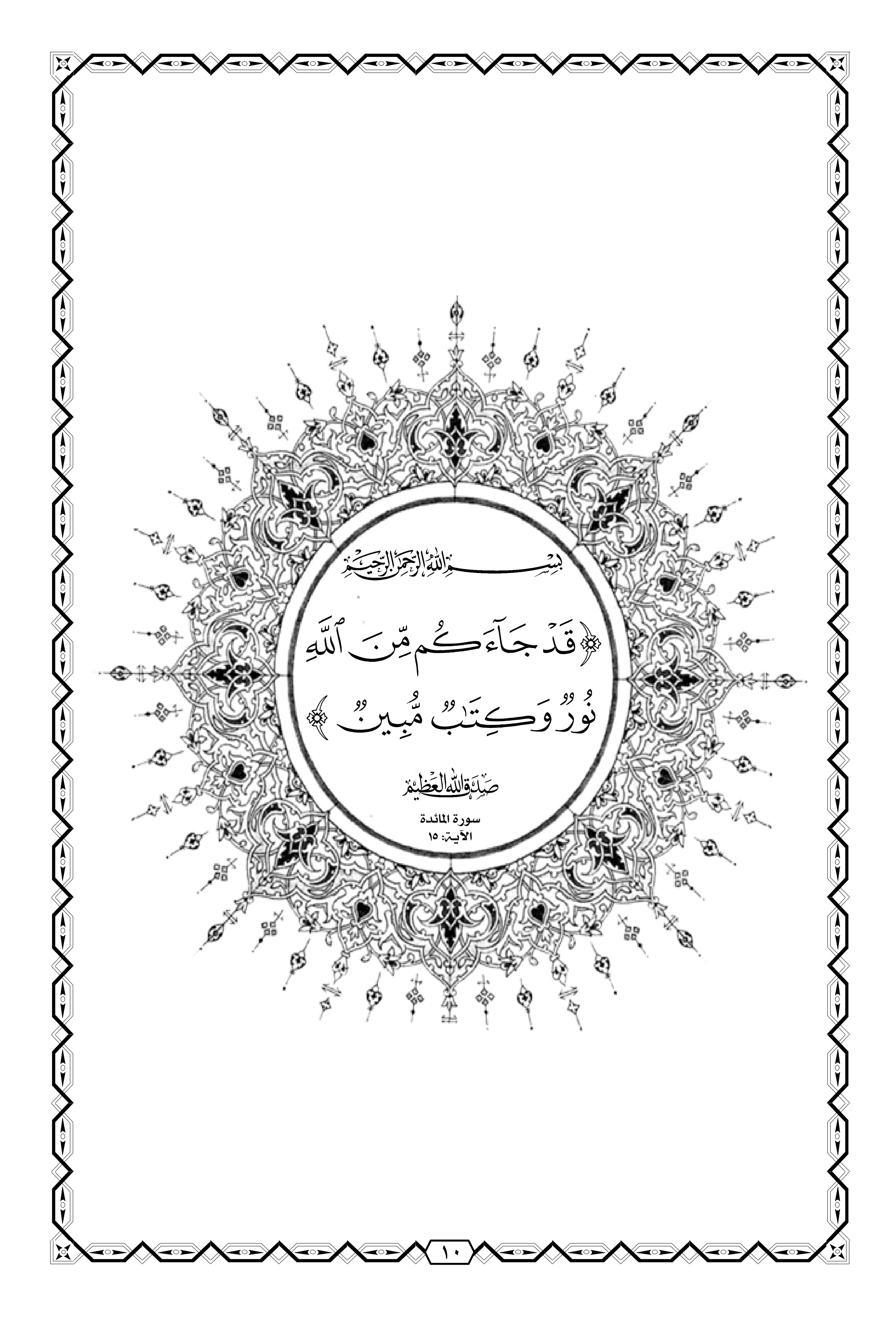
وَيَتَنَاوَلُ هَذَا الْبَابُ بَيَانَ مَا يَنْدَرِجُ تَحْتَهُ مِنْ أُفُقِ عَظَمَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى الْوَجْهِ الآتِي:

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: مَقَامُ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ.

الْفَصْلُ الثَّانِي: السِّرُّ السَّارِي.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: مَقَامُ الْمَحَبَّةِ.

الْفَصْلُ الرَّابِعُ: شُعَبُ الْإِيمَانِ.


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ
نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾
صدق الله العظيم
سورة المائدة
الآية: ١٥

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

مَقَامُ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ

۞ إِنَّ الْحَدِيثَ عَنْ أُفُقِ عَظَمَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ﷺ، جَلَاؤُهُ هَدْيُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبَيَانُهُ فِي رُوحِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْقَوِيمِ، وَقَدْ خَشَعَ الْكُلُّ سُجَّداً دُونَ هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ الَّذِي عَلَا عَنِ الْأَرْوَاحِ قَدْراً، وَجَاوَزَ الْقُلُوبَ كَشْفاً، وَالْحِسَّ ذَوْقاً، وَالْعُقُولَ فِقْهاً وَفَهْماً، فَكَانَ الْبَيَانُ عَلَىٰ قَدْرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُمَدِّ مِنْ حَضْرَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَالْمُخَاطَبِ بِهِ الدَّانِي بِقَلْبِهِ مِنْ مِشْكَاتِهِ الْمِثَالِيَّةِ ﷺ.

۞ أَمَّا قَدْرُهُ الشَّرِيفُ ﷺ، فَقَدْ خَفِيَ عَنِ الْعِبَارَةِ، وَتَعَالَىٰ عَنِ الْإِشَارَةِ، فَهُوَ ﷺ صَاغَهُ الْمَوْلَىٰ لِيَكُونَ لَهُ عَبْداً مُفْرَداً لِذَاتِهِ الْأَحَدِيَّةِ، وَاخْتَصَّ مَنْ أَحَبَّهُ وَقَرَّبَهُ بِشُهُودِ أَنْوَارِهِ السَّاطِعَاتِ الَّتِي سَتَرَتْ مَكْنُونَ سِرِّهِ، حَامَ حَوْلَ سِرَاجِهِ الْمُحَمَّدِيِّ الْأَرْوَاحُ فَهَامَتْ، وَطَافَتْ حَوْلَ قُدْسِ مَجْدِهِ الْقُلُوبُ فَطَابَتْ، تَنَزَّلَ اللهُ بِهِ مِنَّةً عُظْمَىٰ لِعِبَادِهِ، لِيَكُونَ ﷺ آيَةً كُبْرَىٰ تَنْجَلِي فِي أُفُقِ كَمَالَاتِهِ، فَإِلَيْهِ ﷺ تَنْتَهِي سَمَاوَاتُ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ لِسِدْرَةِ مَقَامِهِ الْعَظِيمِ، فَقَدْ عَظَّمَهُ خَالِقُهُ فِي خُلُقِهِ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١)، وَعَظَّمَهُ فِي عِلْمِهِ ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾(٢) وَأَقْسَمَ بِهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٣)، وَإِجْلَالاً لِحَضْرَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، عَظَّمَ اللهُ الْمَكَانَ الَّذِي أَحَلَّهُ وَأَقَامَهُ فِيهِ، فَأَقْسَمَ بِهِ تَعْظِيماً لِسَاكِنِهِ ﷺ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾(٤)، وَكَمَا عَظَّمَ اللهُ الْمَكَانَ الَّذِي أَحَلَّهُ فِيهِ، عَظَّمَ الزَّمَانَ وَوَصَفَهُ بِالْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ وَعَلِيِّ الْقُدْرَةِ وَالشَّأْنِ، فَلَيْلَةُ اصْطِفَائِهِ بِالنُّبُوَّةِ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَالدِّينُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لِعِبَادِهِ هُوَ الدِّينُ الْقَيِّمُ الَّذِي وَصَفَهُ بِالْكَمَالِ وَالتَّمَامِ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٥). وَحِينَ يُنَادِيهِ سُبْحَانَهُ بِنِدَائِهِ الرَّبَّانِيِّ **«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ»**، **«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ»** فَالنِّدَاءُ مِنْهُ عَزَّوَجَلَّ لِحَقَائِقِهِ وَمَعَانِيهِ ﷺ الَّتِي انْطَوَتْ فِيهَا النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ، فَهُوَ ﷺ الْمَحْبُوبُ الْأَعْظَمُ

---

(١) القلم الآية (٤).
(٢) النساء الآية (١١٣).
(٣) الحجر الآية (٧٢).
(٤) البلد الآيتان (١، ٢).
(٥) المائدة الآية (٣).

عِنْدَ اللهِ فِي مَقَامَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ ظَاهِراً وَبَاطِنَـاً ﷺ.

۞ هَذِهِ الصُّورَةُ الْأَكْمَلِيَّةُ الْمَحْفُوظَةُ بِسَبُحَاتِ الْوَصْلِ مِنْ رَبِّ الْبَرِيَّةِ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهَا صَلَاةَ مُحِبٍّ لِمَحْبُوبٍ، وَدَنَا مِنْهَا دُنُوَّ الْقَرِيبِ لِلْقَرِيبِ، وَهُوَ مَشْهَدٌ لَا تُحَيِّزُهُ فِيهِ الْآفَاقُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَجْوَاءُ، فَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ دَوَامَـاً وَأَبَداً مِنَ الْبِدَايَةِ الَّتِي لَا مُبْتَدَىٰ لَهَا إِلَىٰ النِّهَايَةِ الَّتِي لَا مُنْتَهَىٰ لَهَا، فَصَلَاتُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ النَّبَوِيَّةِ الْأَوَّلِيَّةِ ﷺ مِنْ سِرِّ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾(1) وَإِلَيْهَا كَانَتِ الْإِشَارَةُ مِنْهُ ﷺ: «**كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَفِي مَشْهَدٍ قُدْسِيٍّ تَتَطَلَّعُ لَهُ الْأَرْوَاحُ الْعَالِيَاتُ، يُوَاجِهُ اللهُ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ أَزَلاً حَيْثُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ لِمَجْمَعِ الْحَقَائِقِ وَشَمْسِ اللَّطَائِفِ ﷺ، فَيَسْرِي النُّورُ فِي النُّورِ، فَيَكُونُ لِإِبْرَاهِيمَ بِفَضْلِ الْمُوَاجَهَةِ خُلَّةُ الْخَلِيلِ، وَلِمُوسَىٰ مُكَالَمَةُ الْكَلِيمِ، وَلِعِيسَىٰ الْكَلِمَةُ وَالرُّوحُ الَّتِي تَجْذِبُ الْأَرْوَاحَ إِلَىٰ حَضْرَةِ الْفَتَّاحِ، حَيْثُ السَّاقِي لَهُمْ فِي رَوْضَةِ الْوِصَالِ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي تَفَرَّعَتْ مِنْهُ جَمِيعُ الْأُصُولِ، وَمِنْ هُنَا كَانَ اشْتِيَاقُ كُلِّ نَبِيٍّ لِبَعْثَتِهِ ﷺ.

۞ فَلَقَدْ كَانَ السُّؤَالُ لِجِبْرِيلَ الْأَمِينِ وَهُوَ يَسْتَفْتِحُ لَهُ فِي مِعْرَاجِهِ ﷺ كُلَّ سَمَاءٍ «**أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟**» **فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: نَعَمْ، فَيَرُدُّ كُلُّ نَبِيٍّ فِي سَمَائِهِ «مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ»**. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَهَكَذَا حَتَّىٰ رُفِعَتْ لَهُ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ الَّتِي دُونَهَا تَوَقَّفَ جِبْرِيلُ؛ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ لِلدُّخُولِ عَلَىٰ حَضْرَتِهِ الْعَلِيَّةِ فِي ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾(2) هُوَ فَرْدٌ وَاحِدٌ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ فِي الْقُرْبِ حِجَابٌ مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ أَوْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، فَهُوَ فِي خُلْوَةٍ عُظْمَىٰ يُرَتِّلُ عَلَيْهِ رَبُّهُ فِيهَا غَيْبًا فِي غَيْبٍ، وَسِرّاً فِي سِرٍّ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾(3)، وَيَكْشِفُ لَهُ سُبْحَانَهُ الْحِجَابَ عَنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَىٰ فِي مَجَالِي أَسْمَائِهِ الْعَلِيَّةِ، وَأَنْوَارِ تَجَلِّيَاتِهِ الْوَهْبِيَّةِ، فَيَقْرَأُ وَيَسْمَعُ وَيَرَىٰ بِلَا كَيْفٍ وَلَا حِجَابٍ وَلَا حَدٍّ، إِنَّه الْمَقَامُ الَّذِي انْعَكَسَ فِيهِ بَصَرُهُ بِبَصِيرَتِهِ فَرَأَىٰ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، إِنَّهُ التَّجْرِيدُ الَّذِي جَاوَزَ فِيهِ الْعَوَالِمَ الْكَوْنِيَّةَ، وَالتَّفْرِيدُ الَّذِي مِنَ الرَّبِّ لِلْعَبْدِ، وَمِنَ الْعَبْدِ لِلرَّبِّ

---

(1) الأحزاب الآية (٥٦). (2) النجم الآية (٩). (3) النجم الآية (١٠).

فِي حُظْوَةٍ عَلِيَّةٍ، وَالسَّيْرُ فِي إِسْرَائِهِ وَمِعْرَاجِهِ مِنَ الْمُبْتَدَأِ حَيْثُ دَحَا اللهُ الْأَرْض أَوَّلَ مَا دَحَاهَا مِنْ تَحْتَ بَيْتِهِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمُنْتَهَىٰ حَيْثُ سِدْرَةُ غَشَيَانِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، إِنَّهُ ﷺ الْعَبْدُ الْأَكْمَلُ الَّذِي تَشَرَّفَ بِعُبُودِيَّتِهِ لِحَضْرَةِ الرَّبِّ، فَشَرَّفَهُ اللهُ بِلَذِيذِ الْخِطَابِ فِي إِسْرَائِهِ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[1]، وَبِلَذِيذِ الْخِطَابِ فِي مِعْرَاجِهِ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[2]، إِنَّهُ ﷺ الرُّوحُ الْكُلِّيَّةُ الَّتِي جُمِّلَتْ بِالْجَمَالَاتِ، وَوُجِهَتْ بِالْكَمَالَاتِ، وَادَّثَرَتْ بِرِدَاءِ الْجَلَالَاتِ، حَتَّىٰ خَفِيَتِ الْعَوَالِمُ كُلُّهَا لَدَىٰ سُمُوِّهِ فِي التَّدَلِّي، وَدُنُوِّهِ حَالَ التَّجَلِّي، فَأَشْرَقَتْ فِي مَجَالِهِ أَنْوَارُ الْعَيْنِ لِتَكُونَ شَمْسًا لِشُمُوسِ الدَّلَالَاتِ وَأَنْجُمِ الْهِدَايَاتِ وَمَنْزِلًا مُبَارَكًا لِتَنَزُّلِ الرَّحَمَاتِ الَّتِي وَسِعَ بِهَا الْعَوَالِمَ وَالْأَكْوَانَ، فَهُوَ ﷺ الْمُنْفَرِدُ بِالْمُرَادِيَّةِ الْكُبْرَىٰ لِذَاتِ الْحَقِّ، الْمُتَدَلِّي بِهِ الرَّبُّ لِيَكُونَ ﷺ مِنَّتَهُ الْعُظْمَىٰ إِلَىٰ الْخَلْقِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3].

۞ وَالشَّوَاهِدُ عَلَىٰ تَنَزُّلِ الْمَوْلَىٰ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ بِنَبِيِّهِ ﷺ، لَا تَخْفَىٰ عَلَىٰ الْمُتَأَمِّلِ الْبَصِيرِ فِي عَظَمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾[4]. وَالنُّورُ هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَىٰ حَقِيقَتِهِ الْمُنَزَّلَةِ ﷺ، فَهِيَ الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ مَعَهَا كِتَابَهُ الْكَرِيمَ، فَالْقُرْآنُ مَوْعِظَةٌ وَشِفَاءٌ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ وَحَالُهُ الْقُرْآنُ، وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِأَوْصَافِ كَلَامِهِ، فَقَالَ فِي وَصْفِهِ لَهُ فِي دَعْوَتِهِ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[5]، وَفِي دَعْوَتِهِ ﷺ كَانَ الشِّفَاءُ الَّذِي اسْتَرَدَّتْ بِهِ الْإِنْسَانِيَّةُ حَيَاتَهَا بَعْدَ الْمَوْتِ، مِنْ سِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[6]، وَهُوَ ﷺ الْهَادِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[7]، وَهُوَ

(١) الإسراء الآية (١).
(٢) النجم الآية (١٠).
(٣) آل عمران الآية (١٦٤).
(٤) الأعراف الآية (١٥٧).
(٥) النحل الآية (١٢٥).
(٦) الأنفال الآية (٢٤).
(٧) الشورىٰ الآيتان (٥٢، ٥٣).

ﷺ الرَّحْمَةُ الَّتِي وَسِعَ اللهُ بِهَا الْعَوَالِـمَ كُلَّهَا ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

۞ إِنْ سَأَلْتَ الْقُرْآنَ عَنِ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، كَانَ الْجَوَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَيْثُ تَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها حِينَ سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِهِ ﷺ؟ قَالَتْ رضي الله عنها: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَإِنْ سَأَلْتَ الْقُرْآنَ عَنْ آدَابِ السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ إِلَىٰ اللهِ؟ كَانَ الْجَوَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقَائِلُ: «**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي**». (رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ)

۞ وَإِنْ سَأَلْتَ الْقُرْآنَ عَنِ الْبَيَانِ، لَكَانَ الْبَيَانَ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وَإِنْ سَأَلْتَ الْقُرْآنَ عَنْ عُلُومِهِ اللَّدُنِّيَّةِ ﷺ، لَكَانَ الجَوَابُ فِيمَا تَسْمَعُهُ الآذَانُ الْوَاعِيَةُ، وَتَتَلَقَّىٰ أَسْرَارَهُ الْقُلُوبُ الْعَامِرَةُ ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[3]. فَهُوَ ﷺ النَّاطِقُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَأَنْوَارِهِ وَأَخْلَاقِهِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ ﷺ لَدُنِّيٌّ، وَعِلْمَهُ لَدُنِّيٌّ، وَنُورَهُ لَدُنِّيٌّ، وَخُلُقَهُ لَدُنِّيٌّ ﷺ.

۞ وَمِنْ هُنَا رَدَّ اللهُ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ كُلَّ مُنَازِعٍ يَتَطَلَّعُ إِلَىٰ هَذَا الْمَقَامِ الْعَلِيِّ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾[4]، فَيَكُونُ الْجَوَابُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[5].

۞ فَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ كِتَابٌ كَرِيمٌ مُفْرَدٌ فِي إِنْزَالِهِ، أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ نَبِيٍّ كَرِيمٍ مُفْرَدٍ فِي مَقَامِهِ ﷺ، أَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[6]. وَهُوَ الْمَقَامُ الَّذِي تَحْمَدُهُ عَلَيْهِ سَائِرُ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ ﷺ مَحْمُودٌ فِي الْأَوَّلِينَ، مَحْمُودٌ فِي الْآخِرِينَ، مَحْمُودٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ سِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[7]، وَوَجْهُ الرِّفْعَةِ هُنَا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَرَنَ اسْمَهُ ﷺ بِاسْمِهِ فِي الشَّهَادَتَيْنِ، فَلَا دُخُولَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَّا مِنْ بَابِهِ ﷺ، إِنَّه بَابُ الرَّحْمَةِ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[8] بَلْ هُوَ ﷺ بَابُ كُلِّ نَبِيٍّ، فَالْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ

---

(١) الأنبياء الآية (١٠٧).
(٢) النحل الآية (٤٤).
(٣) النمل الآية (٦).
(٤) المدثر الآية (٥٢).
(٥) الأنعام الآية (١٢٤).
(٦) الإسراء الآية (٧٩).
(٧) الشرح الآية (٤).
(٨) آل عمران الآية (١٥٩).

مُطَالَبُونَ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَنُصْرَتِهِ ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[1]، هُوَ بَابُ الْوَصْلِ إِلَىٰ اللهِ، الَّذِي يَهْتَدِي بِهَدْيِهِ كُلُّ سَالِكٍ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

۞ وَكَمَالُ التَّأَسِّي أنْ تَأْتِيَ إِلَيْهِ ﷺ وَأَنتَ عَلَىٰ يَقِينٍ أَنَّه رُوحُكَ الْحَقِيقِيَّةُ فَلَا حَيَاةَ لَكَ إِلَّا بِهِ ﷺ، فَهُوَ الَّذِي تَحْيَا بِهِ حَيَاةَ الْإِيمَانِ، حَيَاةَ الْعِلْمِ وَالنُّورِ وَالْهُدَىٰ وَالرَّشَادِ، وَعَنَاصِرُ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْإِيمَانِيَّةِ أَرْبَعَةٌ، جَمَعَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3].



(١) آل عمران الآية (٨١). (٢) الأحزاب الآية (٢١). (٣) الجمعة الآية (٢).

الْفَصْلُ الثَّانِي

السِّرُّ السَّارِي

۞ فَمَنْ ذَاقَ حَلَاوَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ﴾ عَلِمَ أَنَّهُ ﷺ هُوَ الرُّوحُ السَّارِيَةُ فِي كَيَانِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمَنْ فَقِهَ سِرَّ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ عَلِمَ أَنَّ الْأُمَّةَ قَبْلَهُ ﷺ كَانَتْ جَسَدَاً بِلَا رُوحٍ، كَانَتْ أُمَّةً أُمِّيَّةً لَا حَيَاةَ لَهَا، حَتَّىٰ سَرَىٰ فِيهَا ﷺ بِالْعُلُومِ الْجَامِعَةِ لِعَنَاصِرِ الْحَيَاةِ الْإِيمَانِيَّةِ الْأَرْبَعَةِ فَأَحْيَاهَا حَتَّىٰ انْتَقَلَتْ مِنْ مَيْتَةِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَىٰ حَيَاةِ الْإِسْلَامِ، حَيْثُ النُّورُ وَالْمَعْرِفَةُ وَالْهِدَايَةُ وَالْبَيَانُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1].

۞ وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه؛ لِتُبَيِّنَ لَنَا مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ مَا صَارَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ، فَلَقَدْ سَمِعَ رضي الله عنه الْقُرْآنَ، فَنَزَلَ مِنْ قَلْبِهِ مَنْزِلَاً مُبَارَكَاً؛ لِتَشْهَدَ فِيهِ الْأُمَّةُ عُلُوَّ مَكَانَتِهِ، أَلَا وَهُوَ: عُمَرُ الْفَارُوقُ الَّذِي فَرَّقَ اللهُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، حَتَّىٰ كَانَ مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ فِي الشِّدَّةِ فِي دِينِ اللهِ، وَالْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ ثَمَرَةُ الْمَدْرَسَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الَّتِي تَلَقَّىٰ فِيهَا عَنَاصِرَ الْحَيَاةِ الْإِيمَانِيَّةِ، فَسَمِعَ بِهَا وَأَبْصَرَ بِسَمْعٍ غَيْرِ الَّذِي كَانَ يَسْمَعُ بِهِ وَيُبْصِرُ بِهِ مِنْ قَبْلُ، حَتَّىٰ زَكَتْ نَفْسُهُ، فَرَفَعَ اللهُ عَنْهُ بِتَزْكِيَةِ النُّفُوسِ مَا حَجَبَهَا عَنْ حَضْرَةِ الْقُدُّوسِ، ثُمَّ قَامَ للهِ تَعَالَىٰ عَامِلَاً مِنْ عُمَّالِهِ، يَعْمَلُ بِكِتَابِ اللهِ الَّذِي حَوَىٰ عُلُومَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَتَخَلَّقَ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ فَوَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، بَلْ صَارَ عُمَرُ الْمُحَدَّثَ الْمُلْهَمَ الَّذِي أَثْنَىٰ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ:

«لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها)

۞ إِنَّهُ عُمَرُ الَّذِي تَلَقَّىٰ الْحِكْمَةَ فَفَقِهَ بِهَا سِرَّ أَحْكَامِهِ سُبْحَانَهُ، فَكَانَ وَقَّافَاً عِنْدَ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنْ أَمَرَهُ بِأَمْرٍ سَارَعَ إِلَيْهِ، وَإِنْ نَهَاهُ انْتَهَىٰ، وَكَثِيرَاً مَا كَانَ وَهُوَ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ يَقْرَأُ فِي كِتَابِ

---

(١) الأنعام الآية (١٢٢).

اللهِ تَعَالَىٰ، ثُمَّ يَعُودُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْقَضَاءِ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ، فَلَمَّا سَأَلَهُ أَصْحَابُهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: «**أَخَافُ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا الْكِتَابُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي وَيَقُولُ: إِنَّ عُمَرَ قَدِ اتَّخَذَنِي مَهْجُوراً**».

وَبِهَذِهِ الْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي جَمَعَهَا اللهُ لِلْمُؤْمِنِ لِيَحْيَا الْحَيَاةَ الْإِيمَانِيَّةَ، وَالَّتِي جَاءَتْ مُتَجَانِسَةً فِي الْعَدَدِ مَعَ عَنَاصِرِ الْحَيَاةِ ظَاهِراً أَلَا وَهِيَ: **الْمَاءُ – وَالتُّرَابُ – وَالْهَوَاءُ – وَالنَّارُ**، بِهَذِهِ الرُّوحِ السَّارِيَةِ فِي جَسَدِ الْأُمَّةِ، سَادَ أَهْلُهَا حِينَ سَادُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَقَهَرُوا مَا فِيهَا مِنَ الْمَيْلِ إِلَىٰ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَذَّاتِ، وَاسْتَعْذَبُوا الطَّرِيقَ إِلَىٰ اللهِ بِفَادِحِ الْأَعْمَالِ وَالطَّاعَاتِ، وَنَظَرُوا إِلَىٰ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ فَآثَرُوهَا، وَإِلَىٰ الدَّارِ الْفَانِيَةِ فَاسْتَدْبَرُوهَا، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لَهُمْ هُنَاكَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا هُنَا فِي الدُّنْيَا، فَآثَرُوا مَا آثَرَهُ اللهُ.

انْظُرْ إِلَىٰ قَوْلِهِمْ حِينَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1] مَاذَا قَالُوا؟ قَالُوا: أَنْفُسٌ هُوَ خَالِقُهَا وَأَمْوَالٌ هُوَ رَازِقُهَا، يَأْخُذُ مَا خَلَقَ، وَيَقْبِضُ مَا رَزَقَ وَيُعْطِي الْجَنَّةَ، وَاللهِ إِنَّهَا لَصَفْقَةٌ رَابِحَةٌ، لِذَلِكَ أَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾[2].

---

(١) التوبة الآية (١١١).
(٢) الأحزاب الآية (٢٣).

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

مَقَامُ الْمَحَبَّةِ

۞ إِنَّ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ، لَا يَنْعَقِدُ الإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ ﷺ الَّتِي تُؤْثِرُ فِيهَا حُبَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ حُبِّكَ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ وَمَالِكَ وَكُلِّ مَا سِوَاهُ ﷺ.

۞ فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ هِشَامٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ ﷺ: «**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**»، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: فَأَنْتَ الْآنَ وَاللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ ﷺ: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ إِنَّ هَذَا الْحُبَّ الْخَالِصَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقْتَضِي مِنَ الْمُحِبِّ أَنْ يَكُونَ هَوَاهُ فِي اتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا فِي اتِّبَاعِ مَا تَهْوَاهُ النَّفْسُ وَتَشْتَهِيهِ مِنْ سَرَابِ الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا الَّذِي لَا يَلْبَثُ أَنْ يَفْنَىٰ وَيَزُولَ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ**». (رَوَاهُ النَّوَوِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

وَمَنْ ذَاقَ كَلِمَةَ: «**هَوَاهُ**»، ذَاقَ فِيهَا مَعَانِي التَّلَذُّذِ بِطَاعَتِهِ وَالسَّيْرِ عَلَىٰ سُنَّتِهِ ﷺ.

۞ وَجَمِيلٌ قَوْلُ الْإِمَامِ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه فِي بَيَانِ حَالِ النَّفْسِ وَمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ، حَيْثُ يَقُولُ:

هِيَ النَّفْسُ لِلدَّانِي تَحِنُّ وَتَرْغَبُ ... وَلِلْعَاجِلِ الْفَانِي تَمِيلُ وَتَطْلُبُ

هِيَ النَّفْسُ تَهْوَىٰ حَظَّهَا لَوْ أَنَّهَا ... أَضَاءَ لَهَا التَّحْقِيقُ مِنْ ذَاكَ تَهْرُبُ

أَيَا نَفْسِي لَوْ تَدْرِينَ عَاقِبَةَ الَّذِي ... تَرُومِينَهُ جَهْلاً لَصَحَّ التَّجَنُّبُ

فَزَهْرَةُ دُنْيَاكِ الْغَرُورَةِ بَهْجَةٌ   وَلَكِنَّهَا سُمٌّ يُذَابُ وَيُشْرَبُ
تَغُرُّ رِجَالاً جَاهِلِينَ بِقَدْرِهِمْ   وَتَخْدَعُهُمْ بِجَمَالِهَا ثُمَّ تَسْلُبُ
أَيَا نَفْسُ إِنْ تَصْفِي وَتَزْكِي وَتَطْهُرِي   تَلُوحُ لَكِ الْأَنْوَارُ يَصْفُو التَّقَرُّبُ
وَتُشْرِقُ شَمْسُ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ وُجْهَةٍ   عَلَيْكِ وَهَذَا الْوَهْمُ بِالْحَقِّ يَغْرُبُ
أَيَا نَفْسُ يَا كَنْزَ الْجَمَالَاتِ كُلِّهَا   وَيَا مَطْلَعَ الْأَسْرَارِ رَبِّيَ أَقْرَبُ
فَلَوْ نَفَسًا طُهِّرْتِ مِنْ رَيْنِ مُبْعَدٍ   لَكِ الرَّاحُ فِي رَوْضِ الْمَعِيَّةِ يُوهَبُ
دَعِي عَنْكِ زَهْرَةَ عَاجِلٍ وَتَحَقَّقِي   وَلِلْحَقِّ أُوبِي تَصْفُو ثَمَّ الْمَشَارِبُ
عَلَىٰ سُنَّةِ الْمُخْتَارِ طَهَ إِمَامِنَا   أَلَا فَانْهَجِي فَالْمُسْتَقِيمُ مُحَبَّبَ

۞ وَنَحْنُ فِي حُبِّنَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، نَقُولُ لِأَنْفُسِنَا مَا بَالُنَا فِيمَنْ وَهَبَ اللهُ لَنَا عَلَىٰ يَدَيْهِ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَطُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ ﷺ، وَالسَّعَادَةَ فِي الْآخِرَةِ الَّتِي تَفُوزُ فِيهَا بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ، مَا بَالُنَا فِيمَنْ أَغْلَقَ اللهُ عَنَّا بِشَفَاعَتِهِ ﷺ أَبْوَابَ النِّيرَانِ، وَفَتَحَ لَنَا بِهِ ﷺ أَبْوَابَ الْجِنَانِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الَّذِي أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْنَا، وَآثَرَنَا بِهِ عَلَىٰ سَائِرِ الْأُمَمِ، فَكُنَّا بِفَضْلِهِ ﷺ: ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1].

۞ إِنَّهُ ﷺ النِّعْمَةُ الَّتِي لَا حَصْرَ لَهَا وَلَا عَدَّ، إِنَّهُ النِّعْمَةُ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[2]، فَكُلُّ نِعْمَةٍ فِي الْوُجُودِ تُحْصَىٰ وَتُعَدُّ إِلَّا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

۞ وَلْنَتَأَمَّلْ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، نَرَىٰ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَخْرَجَهُ حُبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا، حَيْثُ يُحَدِّثُنَا سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه فَيَقُولُ: نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَعَلَيْهِ إِهَابٌ (جِلْدُ كَبْشٍ) فَقَالَ ﷺ: **«انْظُرُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَيْنَ أَبَوَيْهِ يُغَذِّوَانِهِ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَدَعَاهُ حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ مَا تَرَوْنَ»**.

(رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ)

(١) آل عمران الآية (١١٠).   (٢) النحل الآية (١٨).

وَمِمَّنْ صَدَقَ فِي حُبِّهِ للهِ وَرَسُولِهِ ﷺ الْأَتْقِيَاءُ الْأَخْفِيَاءُ، الَّذِينَ لَا يَرَوْنَ مُزَاحِمًا فِي قُلُوبِهِمْ للهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَىٰ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ غَبْرَاءَ ظَلْمَاءَ**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)

وَهُنَاكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ يُعْطِينَا دَرْسًا فِي مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ يَأْتِي رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَيَسْأَلُهُ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِذْ أَنَا صَلَّيْتُ الْخَمْسَ وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَلَيْسَ مَعِي مَالٌ أَتَصَدَّقُ بِهِ وَأَحُجُّ بِهِ، فَأَيْنَ أَنَا إِذَا مِتُّ؟ فَقَالَ ﷺ: «**فِي الْجَنَّةِ**» قَالَ: مَعَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ، لِأَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي يُقَدِّمُهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ قَلِيلٌ، وَيَطْلُبُ عَلَيْهِ الْكَثِيرَ وَهُوَ الْجَنَّةُ، وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَعِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**نَعَمْ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ قَلْبَكَ مِنِ اثْنَيْنِ: الْحِقْدِ وَالْحَسَدِ، وَلِسَانَكَ مِنِ اثْنَيْنِ: الْغِيبَةِ وَالْكَذِبِ، وَعَيْنَيْكَ مِنِ اثْنَيْنِ: النَّظَرِ إِلَىٰ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَأَلَّا تَحْقِرَ بِهِمَا أَحَدًا**». (رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ فِي قُوتِ الْقُلُوبِ)

وَفِي فَضْلِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ أَلَا وَهِيَ مَعِيَّتُهُ ﷺ، يُحَدِّثُنَا سَيِّدُنَا أَنَسٌ رضي الله عنه فَيَقُولُ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ **مَتَىٰ السَّاعَةُ**؟، قَالَ ﷺ: «**وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَثِيرَ صَلَاةٍ وَلَا كَثِيرَ صِيَامٍ، مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ ﷺ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» قَالَ سَيِّدُنَا أَنَسٌ رضي الله عنه: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». ثُمَّ يَقُولُ رضي الله عنه: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَيُبَشِّرُنَا النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّ مَجَالِسَهُ قَائِمَةٌ بَاقِيَةٌ، نَلْتَمِسُهَا فِي أَهْلِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **مَنْ نُجَالِسُ بَعْدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ**؟ قَالَ: «**مَنْ يُذَكِّرُكُمْ بِاللهِ رُؤْيَتُهُ، وَيَزِيدُكُمْ فِي الْعِلْمِ مَنْطِقُهُ، وَيُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَلُهُ**».

(رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ)

وَمِنْ شَوَاهِدِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا رُوِيَ عَنِ الصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ (أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ) رضي الله عنه

حَيْثُ كَانَ يَقُولُ مُخَاطِبًا لِلنَّبِيِّ ﷺ:

أُحِبُّكَ حُبًّا لَوْ يُفَضُّ يَسِيرُهُ عَلَىٰ النَّاسِ مَاتَ النَّاسُ مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ
وَمَا أَنَا مُوفٍ بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ لِأَنَّكَ فِي أَعْلَىٰ الْمَرَاتِبِ مِنْ قَلْبِي

۞ وَقَالَ ﷺ فِي يَوْمِ خَيْبَرَ، وَقَدْ أَمْسَكَ بِالرَّايَةِ وَيَقُولُ: «**وَاللهِ لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**» فَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ هُوَ سَيِّدَنَا عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَمِنْ شَوَاهِدِ الْمَحَبَّةِ كَذَلِكَ اشْتِيَاقُهُ ﷺ لِجِبْرِيلَ، وَاشْتِيَاقُ جِبْرِيلَ لِحَضْرَتِهِ ﷺ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِجِبْرِيلَ: «**مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟**» فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[1]. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ أَبْطَأَ جِبْرِيلُ النُّزُولَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ نَزَلَ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا نَزَلْتَ حَتَّىٰ اشْتَقْتُ إِلَيْكَ**» فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: بَلْ أَنَا كُنْتُ إِلَيْكَ أَشْوَقَ وَلَكِنِّي مَأْمُورٌ، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ جِبْرِيلَ أَنْ قُلْ لَهُ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

(رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ وَابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ)

۞ وَتَأَمَّلْ فِي الشَّرَفِ الْعَظِيمِ الَّذِي نَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيْثُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[2]، أَيْ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ أَنْ يُرْضِيَ حَبِيبَهُ ﷺ، فَهَلْ هُنَاكَ مَقَامٌ فِي الْحُبِّ فَوْقَ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي خَصَّ اللهُ بِهِ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَائِهِ؟ الْجَوَابُ: لَا أَحَدَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَلَا أَحَدَ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَلَا أَحَدَ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ مُخْبِرًا عَنْ مُوسَىٰ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[3]. وَشَتَّانَ بَيْنَ مَنْ يَسْعَىٰ لِمَرْضَاةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَبَيْنَ مَنْ يَتَنَزَّلُ اللهُ لَهُ تَنَزُّلًا حَنَانِيًّا رَحِيمِيًّا لِيُرْضِيَهُ ﷺ.

۞ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾. قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: هِيَ أَرْجَىٰ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ؛ لِأَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ ﷺ: «**وَاللهِ لَا أَرْضَىٰ وَأَحَدٌ مِنْ**

(١) مريم الآية (٦٤). (٢) الضحىٰ الآية (٥). (٣) طه الآية (٨٤).

أُمَّتِي فِي النَّارِ». (ذَكَرَهُ الآلُوسِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ "رُوحُ الْمَعَانِي" وَالْقُرْطُبِيُّ كَذَلِكَ فِي تَفْسِيرِهِ "الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ")

❁❁❁❁❁

مَنَازِلُ الْمَحَبَّة

۞ وَفِي دَائِرَةِ الْمَحَبَّةِ، تَتَفَاوَتُ الْمَنَازِلُ عِنْدَ اللهِ، فَأَشَدُّ النَّاسِ إِيمَانَاً أَكْثَرُهُمْ حُبَّاً للهِ وَتَوَكُّلاً عَلَىٰ اللهِ، وَرِضَاً بِمَا عِنْدَ اللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1] فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ هُنَاكَ حُبٌّ شَدِيدٌ وَأَشَدُّ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ دَرَجَةِ الْإِيمَانِ، فَأَقْوَاهُمْ وَأَعْلَاهُمْ إِيمَانَاً، هُوَ أَقْوَاهُمْ وَأَعْلَاهُمْ فِي حُبِّهِ للهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

۞ كَذَلِكَ حِينَ نَتَأَمَّلُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسَاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقَاً، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافَاً الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه)

۞ فَمَنْ ذَاقَ حَلَاوَةَ: «**إِنَّ أَقْرَبَكُمْ**»، عَلِمَ أَنَّ هُنَاكَ قَرِيبٌ وَأَقْرَبُ، وَالْقُرْبُ مِنْ مَجْلِسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقُرْبِ مِنْ صِفَاتِهِ الْمَحْمُودَةِ، فَمَنِ اقْتَرَبَ مِنْ أَخْلَاقِهِ وَشَمَائِلِهِ ﷺ وَتَجَمَّلَ بِهَا لَحِقَ بِجِوَارِهِ ﷺ، وَدَنَا مِنْهُ عَلَىٰ مَعَارِجِ الْقُرْبِ وَنَجَائِبِ الْحُبِّ، وَشَمَائِلُهُ ﷺ خُلُقٌ عَظِيمٌ، وَخَفْضُ جَنَاحِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَتَأْلِيفُهُ لِلْقُلُوبِ وَجَمْعُهَا عَلَىٰ حَضْرَةِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، فَمَنْ تَأَسَّىٰ بِهُدَاهُ وَتَخَلَّقَ بِخُلُقِهِ الزَّكِيِّ ﷺ، صَارَ صُورَةً مُحَمَّدِيَّةً، تُوَاجِهُهُ شَمْسُ الْحَبِيبِ فِيمَنْ حَمَلُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِيرَاثَهُ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ عُلُومِهِ وَأَنْوَارِهِ ﷺ، وَهَؤُلَاءِ لَا يَخْلُو مِنْهُمْ زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ، فَشَمْسُهُ ﷺ تَجْرِي فِي آفَاقِ قُلُوبِهِمُ الَّتِي اسْتَنَارَتْ بِنُورِهِ ﷺ الَّذِي لَا يَخْبُو ضِيَاؤُهُ، فَشَمْسُ الْكَوْنِ نَحْنُ نَشْهَدُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِنَا لَهَا شُرُوقٌ وَغُرُوبٌ، أَمَّا شَمْسُهُ ﷺ فَهِيَ مُشْرِقَةٌ عَلَىٰ الدَّوَامِ لَا تَغْرُبُ وَلَا تَغِيبُ.

۞ يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه مُخَاطِبَاً لِشَمْسِ الْكَوْنِ: «**أَيُّهَا الشَّمْسُ أَنْتِ شَمْسٌ تَغِيبِي**»، ثُمَّ يَتَوَجَّهُ رضي الله عنه إِلَىٰ شَمْسِ الْحَبِيبِ ﷺ فَيَقُولُ: «**وَفِي الْقَلْبِ شَمْسٌ مِنْ ضِيَاءِ حَبِيبِي**» وَهِيَ الشَّمْسُ الَّتِي لَا تَغِيبُ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ

(١) البقرة الآية (١٦٥).

أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾(١).

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ هُوَ بَابُ اللهِ الْأَعْظَمُ، وَنُورُهُ الْأَتَمُّ الْأَكْمَلُ، فَعَلَىٰ يَدَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ كَانَتْ نَقْلَةُ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهَالَةِ وَالْغَفْلَةِ إِلَىٰ نُورِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾(٢). وَبِهِ ﷺ عَبَرَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ طَرِيقَهَا إِلَىٰ حَقِيقَةِ الْحَيَاةِ، أَلَا وَهِيَ الْحَيَاةُ الْإِيمَانِيَّةُ حَيَاةُ الْعِلْمِ وَالْإِرْشَادِ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾(٣) وَعَلَىٰ يَدَيْهِ ﷺ فَتَحَ اللهُ لِعِبَادِهِ بَابَ الرَّحْمَةِ وَالْقَبُولِ، ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾(٤). وَعَلَىٰ يَدَيْهِ ﷺ أَسْدَىٰ اللهُ لَنَا نِعْمَةَ الْهِدَايَةِ، أَلَا وَهِيَ هِدَايَةُ الْبَيَانِ: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٥)، قال تعالىٰ وَهُوَ ﷺ الَّذِي تَفَضَّلَ اللهُ بِهِ عَلَيْنَا لِيَكُونَ حِصْنَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾(٦). وَهُوَ ﷺ الَّذِي بِنَظْرَةِ تَعَطُّفَاتِهِ الْوِدَادِيَّةِ وَحَنَانَتِهِ الرَّحِيمِيَّةِ، نَسْتَظِلُّ بِرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ﴿ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾(٧).

إِنَّهُ ﷺ بَابُ الْحَقِّ، فَلِسَانُهُ حَقٌّ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾(٨)، وَبَصَرُهُ حَقٌّ ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾(٩)، وَكُلُّ مَا فِيهِ ﷺ حَقٌّ، فَفِي دُعَائِهِ الْمَأْثُورِ عَنْ حَضْرَتِهِ ﷺ وَالَّذِي يَدْعُو بِهِ مَنْ أَعَانَهُ اللهُ عَلَىٰ قِيَامِ اللَّيْلِ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ...**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

---

(١) التوبة الآيتان (٣٢، ٣٣).
(٢) إبراهيم الآية (١).
(٣) الأنفال الآية (٢٤).
(٤) النساء الآية (٦٤).
(٥) النحل الآية (٤٤).
(٦) الأنفال الآية (٣٣).
(٧) التوبة الآية (١٢٨).
(٨) النجم الآية (٣).
(٩) النجم الآية (١٧).

حُرْمَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَالْمُؤْمِنِينَ

۞ وَقَدْ قَرَنَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ حُرْمَتَهُ بِحُرْمَةِ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾(١)، فَالتَّوْقِيرُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِمَعْنَىٰ التَّعْظِيمِ إِنَّمَا هُوَ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَالتَّسْبِيحُ للهِ كَذَلِكَ فَإِنَّ مِنْ حُرْمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ جَعَلَ اللهُ إِيذَاءَهُ ﷺ مَقْرُونًا بِإِيذَائِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(٢).

۞ وَكَمَا قَرَنَ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِيذَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِإِيذَائِهِ سُبْحَانَهُ، فَقَدْ قَرَنَ إِيذَاءَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِإِيذَاءِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(٣).

۞ وَغِيرَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ فِي مَوَاطِنِ الْأَذَىٰ، فِيهِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا حُبُّهُ ﷺ لِلْمُؤْمِنِ، وَتَعْظِيمُ حُرْمَةِ الْمُؤْمِنِ، لِأَنَّ مَنْ آذَىٰ الْمُؤْمِنَ فَقَدْ آذَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَمِنْهَا شَفَقَتُهُ وَرَحْمَتُهُ ﷺ بِالْمُؤْمِنِ، وَمِنْهَا وِقَايَةُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي دَخَلَ فِي حُصُونِ أَمْنِهِ ﷺ، فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَمَسَّهُ بِسُوءٍ، وَمِنْهَا تَشْرِيفُ الْمُؤْمِنِ الْمَقْرُونِ ذِكْرِهِ بِذِكْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٤).

۞ وَكَفَىٰ الْمُؤْمِنَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا، أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَمَّاهُ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ، فَإِنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾(٥)، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدَهُ تَجِدُ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ، قَالَ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَمَنْ هُوَ الْمُؤْمِنُ؟ إِنَّمَا هُوَ شُعَاعٌ مِنْ شَمْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَوْكَبٌ مُضِيءٌ فِي فَلَكِ النُّبُوَّةِ، وَبَدْرٌ تَلَأْلَأَتْ أَنْوَارُهُ فَمَلَأَ الْقُلُوبَ عِلْمًا وَهُدَىً، وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ مَنْ يُضِيءُ كَالشَّمْسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُضِيءُ كَالْبَدْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُضِيءُ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً،

---

(١) الفتح الآية (٩).
(٢) الأحزاب الآية (٥٧).
(٣) الأحزاب الآية (٥٨).
(٤) الأحزاب الآية (٦).
(٥) الحشر الآية (٢٣).

يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ ﷺ فِي وَصْفِهِمْ:

أَبْدَالُ رُسْلِ اللهِ وُرَّاثُ الْهُدَىٰ ... بَلْ أَنْجُمٌ فِي أُفُقِ شَمْسِ الْقَائِمِ

وَهُمُوا الْهُدَاةُ الْوَارِثُونَ أَئِمَّةٌ ... وَصَلُوا عَلَىٰ وَسَطِ الصِّرَاطِ الْأَقْوَمِ

أَخْلَاقُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ وَعُلُومُهُمْ ... وُهِبَتْ لَهُمْ مِنْ ذِي الْجَلَالِ الْمُنْعِمِ

وَرِثُوا بِفَضْلِ اللهِ نُورَ رَسُولِهِ ... فَهُمُوا الْبُدُورُ بِهَا ضِيَاءُ الْمُظْلِمِ

۞ أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنْ رَوَابِطِ الْأُخُوَّةِ، فَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ رَبَطَ الْحَقُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ بِمَوَاثِيقِ الْإِيمَانِ، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَالتَّأْيِيدُ هُنَا هُوَ مَزِيدُ الْإِيمَانِ، الَّذِي تَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ معَ اللهِ، وَعِنْدَ اللهِ، إِنْ سَأَلَ مَوْلَاهُ لَبَّاهُ، وَإِنْ دَعَاهُ أَجَابَه، وَلَو أَقْسَمَ عَلَيْهِ لَأَبَرَّهُ.

۞ وَالْإِيمَانُ الَّذِي يَرْفَعُ الْمُؤْمِنَ إِلَىٰ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ الْعَلِيَّةِ وَالدَّرَجَاتِ السَّنِيَّةِ لَهُ جَنَاحَانِ: جَنَاحٌ مِنَ الرَّغْبَةِ وَجَنَاحٌ مِنَ الرَّهْبَةِ، جَنَاحٌ مِنَ الْخَوْفِ وَجَنَاحٌ مِنَ الرَّجَاءِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[1]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[2].

۞ فَالدَّاخِلُ عَلَىٰ اللهِ هُمْ أَهْلُ الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ، دَخَلُوا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِالْحُبِّ فَأَرَّقَهُمْ شَوْقًا إِلَيْهِ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ بِالْخَوْفِ فَأَذَابَ أَكْبَادَهُمْ تَعْظِيمًا لِحَضْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَقَدْ رُوِيَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ سُمِعَ لِقَلْبِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ)

۞ وَفِي ذَاتِ الْوَقْتِ يَقُولُ ﷺ: «جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ)

---

(١) الأنبياء الآية (٩٠). (٢) السجدة الآية (١٦).

الْفَصْلُ الرَّابِـعُ

شُعَبُ الْإِيمَانِ

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَقَدْ جَمَعَ الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ شُعَبَ الْإِيمَانِ فِي بِضْعٍ وَسَبْعِينَ شُعْبَةً افتَتَحَهَا بِأَعْلَاهَا «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» وَذَلِكَ عَلَىٰ النَّحْوِ الْآتِي:

١.	الْإِيمَانُ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ.	٢.	الْإِيمَانُ بِرُسُلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.
٣.	الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ.	٤.	الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ وَجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ.
٥.	الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقَدَرَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ.	٦.	الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.
٧.	الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ.	٨.	الْإِيمَانُ بِحَشْرِ النَّاسِ.
٩.	الْإِيمَانُ بِأَنَّ دَارَ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةُ، وَدَارَ الْكَافِرِينَ النَّارُ.	١٠.	الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ مَحَبَّةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.
١١.	الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ الْخَوْفِ منَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.	١٢.	الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ الرَّجَاءِ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ.
١٣.	الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.	١٤.	الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ.
١٥.	الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ ﷺ.	١٦.	الْإِيمَانُ بِأَنَّ الدِّينَ أَحَبُّ وَأَعَزُّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.
١٧.	الْإِيمَانُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ الْمُوَصِّلِ إِلَىٰ اللهِ، وَهُوَ الْمَعْرِفَةُ بِاللهِ وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَعِلْمُ النُّبُوَّةِ، وَمَا تَمَيَّزَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ غَيْرِهِ، وَعِلْمُ الْأَحْكَامِ.	١٨.	الْإِيمَانُ بِنَشْرِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

١٩.	تَعْظِيمُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَتَعَلُّمُهُ وَتَعْلِيمُهُ وَحِفْظُ حُدُودِهِ وَأَحْكَامِهِ وَعِلْمُ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَتَبْجِيلُ أَهْلِهِ.	٢٠.	الْإِيمَانُ بِالطَّهَارَاتِ وَفَضْلِهَا وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ بِهَا.
٢١.	الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ.	٢٢.	الزَّكَاةُ.
٢٣.	الصِّيَامُ.	٢٤.	الِاعْتِكَافُ.
٢٥.	الْحَجُّ.	٢٦.	الْجِهَادُ.
٢٧.	الرِّبَاطُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ.	٢٨.	الثَّبَاتُ لِلْعَدُوِّ وَتَرْكُ الْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ.
٢٩.	أَدَاءُ الْخُمْسِ مِنَ الْغَنَائِمِ.	٣٠.	الْعِتْقُ بِوَجْهِ التَّقَرُّبِ.
٣١.	الْكَفَّارَاتُ.	٣٢.	الْوَفَاءُ بِالْعُقُودِ.
٣٣.	تَعَدُّدُ نِعَمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَوُجُوبُ الشُّكْرِ عَلَيْهَا.	٣٤.	حِفْظُ اللِّسَانِ.
٣٥.	الْأَمَانَاتُ وَمَا يَجِبُ فِيهَا مِنْ أَدَائِهَا لِأَصْحَابِهَا.	٣٦.	تَحْرِيمُ قَتْلِ النَّفْسِ.
٣٧.	حُرْمَةُ الْفَرْجِ وَمَا يَجِبُ فِيهِ مِنَ التَّعَفُّفِ.	٣٨.	حُرْمَةُ الْمَالِ وَمَا فِيهِ مِنْ حُدُودِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.
٣٩.	الْوَرَعُ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَاجْتِنَابِ الْعَبْدِ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ.	٤٠.	حُرْمَةُ اللِّبَاسِ وَالزِّيِّ وَمَا يُكْرَهُ مِنْهُ.
٤١.	تَحْرِيمُ الْمَلَاعِبِ وَالْمَلَاهِي مَعَ الِاعْتِقَادِ بِأَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَالتِّجَارَةِ.	٤٢.	الِاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ وَتَحْرِيمُ أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ.
٤٣.	تَرْكُ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ وَنَحْوِهِمَا.	٤٤.	تَحْرِيمُ الْوُقُوعِ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ.
٤٥.	إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ عَزَّوَجَلَّ.	٤٦.	السُّرُورُ بِالْحَسَنَةِ وَالِاغْتِمَامُ بِالسَّيِّئَةِ.
٤٧.	مُعَالَجَةُ الذَّنْبِ بِالتَّوْبَةِ.	٤٨.	الْقُرْبَانُ كَالْهَدْيِ وَالْأُضْحِيَةِ وَالْعَقِيقَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْفَضَائِلِ.

٤٩.	طَاعَةُ أُولِي الْأَمْرِ وَحُدُودُ الطَّاعَةِ.	٥٠.	مُلَازَمَةُ الْجَمَاعَةِ وَالتَّمَسُّكُ بِمَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ.
٥١.	الْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ.	٥٢.	الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ.
٥٣.	التَّعَاوُنُ عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ.	٥٤.	الْحَيَاءُ.
٥٥.	بِرُّ الْوَالِدَيْنِ.	٥٦.	صِلَةُ الرَّحِمِ.
٥٧.	حُسْنُ الْخُلُقِ.	٥٨.	الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْمَمْلُوكِ.
٥٩.	لُزُومُ طَاعَةِ الْعَبْدِ لِسَيِّدِهِ وَإِقَامَتُهُ حَيْثُ يَرَاهُ.	٦٠.	حُقُوقُ الْأَوْلَادِ وَالْأَهْلِينَ.
٦١.	مُصَاحَبَةُ أَهْلِ الدِّينِ وَمَوَدَّتُهُمْ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ بَيْنَهُمْ.	٦٢.	رَدُّ السَّلَامِ.
٦٣.	عِيَادَةُ الْمَرِيضِ.	٦٤.	الصَّلَاةُ عَلَىٰ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.
٦٥.	تَشْمِيتُ الْعَاطِسِ.	٦٦.	اجْتِنَابُ الْكُفَّارِ وَالْمُفْسِدِينَ وَالْغِلْظُ عَلَيْهِمْ.
٦٧.	إِكْرَامُ الْجَارِ.	٦٨.	إِكْرَامُ الضَّيْفِ.
٦٩.	سَتْرُ أَصْحَابِ الذُّنُوبِ.	٧٠.	الصَّبْرُ عَلَىٰ الْبَلَاءِ.
٧١.	الزُّهْدُ وَقِصَرُ الْأَمَلِ.	٧٢.	الْغَيْرَةُ عَلَىٰ مَحَارِمِ اللهِ.
٧٣.	الْإِعْرَاضُ عَنِ اللَّغْوِ.	٧٤.	الْجُودُ وَالسَّخَاءُ.
٧٥.	الرَّحْمَةُ بِالصَّغِيرِ وَتَوْقِيرُ الْكَبِيرِ.	٧٦.	إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ.
٧٧.	أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.		

۞ وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ شُعَبَ الْإِيمَانِ كُلَّهَا فِي عِشْرِينَ خَصْلَةً، وَجَمَعَ الْعِشْرِينَ فِي خَمْسَةٍ، وَجَمَعَ الْخَمْسَةَ فِي اثْنَيْنِ، وَجَمَعَ الِاثْنَيْنِ فِي وَاحِدَةٍ.

۞ أَمَّا الْعِشْرُونَ خِصْلَةً، فَقَدْ رَوَىٰ سُوَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ رضي الله عنه أَنَّ وَفْداً مِنَ الْأُزْدِ سَبْعَةً مِنْ

رِجَالِهِمْ، أَتَوْا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَنْتُمْ؟» قَالُوا: **مُؤْمِنُونَ**، فَتَبَسَّمَ ﷺ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ؟**» قَالُوا: **خَمْسَةَ عَشْرَ خَصْلَةً: خَمْسٌ أَمَرَتْنَا بِهَا رُسُلُكَ وَخَمْسٌ أَمَرْتَنَا بِهَا، وَخَمْسٌ تَخَلَّقْنَا بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَنَحْنُ عَلَيْهَا إِلَّا أَنْ تَكْرَهَ مِنْهَا شَيْئًا**، قَالَ ﷺ: «**وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرَتْكُمْ بِهَا رُسُلِي؟**» قَالُوا: **أَنْ نُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ**. قَالَ ﷺ: «**وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ بِهَا؟**» قَالُوا: **شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**. قَالَ ﷺ: «**وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي تَخَلَّقْتُمْ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا أَنْ أَكْرَهَ مِنْهَا شَيْئًا؟**» قَالُوا: **الشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَالصِّدْقُ فِي مَوَاطِنِ اللِّقَاءِ، وَتَرْكُ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ**. فَقَالَ ﷺ: «**حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنْ تَفَقُّهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، وَأَنَا أُزِيدُكُمْ خَمْسًا فَتَتِمُّ لَكُمُ الْعِشْرُونَ، إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ، فَلَا تَجْمَعُوا مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَلَا تَبْنُوا مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَلَا تَتَنَافَسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ أَنْتُمْ عَنْهُ غَدًا زَائِلُونَ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ، وَارْغَبُوا فِيمَا عَلَيْهِ تَقْدُمُونَ وَبِهِ تَخْلُدُونَ**» فَانْصَرَفُوا وَقَدْ عَمِلُوا بِوَصِيَّتِهِ ﷺ.

(رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الزُّهْدِ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي التَّارِيخِ)

۞ هَذِهِ الْخِصَالُ الْعِشْرُونَ هِيَ جِمَاعُ شُعَبِ الْإِيمَانِ الَّتِي جَمَعَهَا لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي خِصَالٍ خَمْسَةٍ هِيَ: «**التَّسْلِيمُ للهِ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ بَلَاءِ اللهِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ، وَالتَّفْوِيضُ للهِ**».

۞ وَجَمَعَ ﷺ الْخَمْسَةَ أُصُولٍ فِي اثْنَتَيْنِ حَيْثُ قَالَ فِيهِمَا: «**الْإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفُهُ صَبْرٌ وَنِصْفُهُ شُكْرٌ**». (رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي الْفِرْدَوْسِ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه)

۞ وَجَمَعَ الْكُلَّ فِي وَاحِدَةٍ وَهِيَ الْأَصْلُ الْأَوَّلُ لِلْإِيمَانِ الَّذِي لَا يَسْبِقُهُ عَمَلٌ، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١).

(١) محمد الآية (١٩).

خِصَالُ الْإِيمَانِ

۞ إِنَّ مِمَّا تَفَضَّلَ اللهُ بِهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ أَنَّهُ أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَفِيهَا يَجْمَعُ اللهُ لَهُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ، فَقَدْ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَحْكَامَ شَرِيعَتِهِ، وَمَا فِيهَا مِنْ أَوَامِرَ وَنَوَاهِي فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ جِمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَذَلِكَ فِي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾(1). وَجَمَعَ اللهُ لِحَبِيبِهِ ﷺ التَّوْحِيدَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾(2).

۞ فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لِمَا لَهُ مِنَ الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالضِّيَاءِ وَالْبَهَاءِ وَالنُّورِ. وَجَمَعَ سُبْحَانَهُ الطِّبَّ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾(3). وَجَمَعَ سُبْحَانَهُ الِاقْتِصَادَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾(4). وَجَمَعَ الْقَضَاءَ وَالفَصْلَ بَيْنَ الْخُصُومِ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾(5).

۞ وَعَلَىٰ هَذَا النَّهْجِ الرَّبَّانِيِّ الْقُرْآنِيِّ، كَانَ النَّهْجُ الْمُحَمَّدِيُّ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَقَدْ كَانَ خُلُقَهُ الْقُرْآنُ، حَيْثُ يَقُولُ ﷺ: **«لَا يَكْمُلُ لِعَبْدٍ الْإِيمَانُ بِاللهِ تَعَالَى حَتَّىٰ يَكُونَ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ: التَّسْلِيمُ للهِ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ بَلَاءِ اللهِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ، وَالتَّفْوِيضُ للهِ»**. (أَوْرَدَهُ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ فِي كِتَابِ «قُوتِ الْقُلُوبِ» بِبَابِ التَّوَكُّلِ وَالتَّفْوِيضِ)

أ) **فَالتَّسْلِيمُ** فِيهِ إِسْلَامُ الْوُجْهَةِ للهِ تَعَالَىٰ، وَمَتَىٰ أَسْلَمَ الْعَبْدُ وَجْهَهُ للهِ، كَانَ عَبْداً رَبَّانِيّاً يَتَقَلَّبُ فِي طَاعَةِ اللهِ وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، وَلَا يُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ، فَالتَّسْلِيمُ هُوَ رُوحُ الْإِسْلَامِ، وَفِيهِ يَتَبَرَّأُ الْعَبْدُ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَيَسْتَعِينُ بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ، إِذْ لَا قُوَّةَ لِلْعَبْدِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ، وَلَا حَوْلَ لَهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا بِعِصْمَتِهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَسْلَمَ**

---

(1) النحل الآية (90).
(2) الأنبياء الآية (92).
(3) الأعراف الآية (31).
(4) الفرقان الآية (67).
(5) المائدة الآية (49).

عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ فَالْإِسْلَامُ بِقَوَاعِدِهِ الْخَمْسَةِ هُوَ نِهَايَةُ الِاسْتِسْلَامِ وَبِهِ الْقَبُولُ وَالسَّلَامُ، الْإِسْلَامُ فِيهِ تَسْلِيمُ الْأَمْرِ للهِ بِطَاعَتِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَهُوَ حِصْنُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَتَحَلَّىٰ فِيهِ الْعَبْدُ بِحُلَّةِ السَّادَةِ الْأَخْيَارِ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1].

۞ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِانْعِقَادِ الْقَلْبِ عَلَىٰ التَّصْدِيقِ بِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ، تَصْدِيقًا لَا تَشُوبُهُ شَائِبَةٌ مِنْ شَوَائِبِ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ، قَبِلَ ذَلِكَ الْعَقْلُ أَمْ لَمْ يَقْبَلْ، فَإِنَّ حُكْمَ الْمَوْلَىٰ عَزَّوَجَلَّ هُوَ حُكْمُ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

۞ لِذَلِكَ كَانَ السَّيْرُ وَالسُّلُوكُ إِلَىٰ اللهِ يَقْتَضِي الْخَلَاصَ مِنْ آفَتَيْنِ: هُمَا الشُّبْهَةُ وَالشَّهْوَةُ، فَإِنَّ آفَةَ الْعَقِيدَةِ الشُّبْهَةُ، وَآفَةَ الْعِبَادَةِ الشَّهْوَةُ، وَلَا يَقْتُلُ هَذِهِ الْآفَاتِ إِلَّا التَّسْلِيمُ الَّذِي هُوَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، فَبِهِ يَدْخُلُ الْمُؤْمِنُ فِي حِصْنِ الْحُصُونِ الَّتِي يَنْزِلُ فِيهَا الْإِيمَانُ مِنْ قَلْبِهِ مَنْزِلَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، وَعِنْدَهَا يَذُوقُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِهِ، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[3].

ب) **أَمَّا الصَّبْرُ** وَهُوَ الْخِصْلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ الْخَمْسِ، فَهُوَ جَامِعٌ لِثَلَاثَةِ مَعَانٍ: صَبْرٌ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِالطَّاعَاتِ، وَصَبْرٌ عَلَىٰ تَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ، وَصَبْرٌ عَلَىٰ الْبَلَاءِ.

۞ وَمَقَامُ الصَّبْرِ مِنْ أَعَلَىٰ الْمَقَامَاتِ، وَهُوَ الْبُرْهَانُ الصَّادِقُ عَلَىٰ قُوَّةِ الْإِيمَانِ، فَفِيهِ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ الَّذِي تَنْتَصِرُ فِيهِ قُوَّةُ الْإِرَادَةِعَلَىٰ مُشْتَهَيَاتِ النَّفْسِ وَمَيْلِهَا لِجَوَاذِبِ الْأَرْضِ، وَتَرْقَىٰ بِهَا وَتَسْمُو إِلَىٰ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، الَّتِي تَبْلُغُ بِهَا أَعْلَىٰ الْمَنَازِلِ، وَالصَّبْرُ هُوَ عِمَادُ الطَّاعَاتِ الَّتِي لَا تُقَامُ إِلَّا بِهِ، وَقَدْ خَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ أَهْلَهُ فِي الدُّنْيَا بِالْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[4].

---

(١) الأعراف الآية (٢٦).
(٢) سبأ الآية (٣٦).
(٣) النساء الآية (٦٥).
(٤) السجدة الآية (٢٤).

۞ وَخَصَّهُمْ بِالْكَرَامَةِ الْعُظْمَىٰ فِي الْآخِرَةِ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾(١)، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾(٢)، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾(٣)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٤)، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٥) لِذَلِكَ لَمَّا كَانَ لِلصَّبْرِ هَذِهِ الْفَضَائِلُ كُلُّهَا، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا إِلَيْهِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ فَلَا يَنَالُ الْإِنْسَانُ مَا يُحِبُّ إِلَّا بِصَبْرِهِ عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ، وَجِمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ فِي الصَّبْرِ؛ لِأَنَّ فِيهِ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَهُوَ ثَبَاتُ بَاعِثِ الدِّينِ فِي مُوَاجَهَةِ بَاعِثِ الْهَوَىٰ، وَقَدْ عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَسْأَلَ اللهَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، فَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزُوا أَنْتُمْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَىٰ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**».

(رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ)

جـ) **أَمَّا الرِّضَا** فَهُوَ سُكُونُ الْقَلْبِ تَحْتَ جَرَيَانِ الْأَقْدَارِ، وَهُوَ الْخِصْلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ الْخَمْسِ، وَبِهِ أَمَرَ اللهُ حَبِيبَهُ ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾(٦)، وَالصَّبْرُ الْجَمِيلُ هُوَ الْمُجَمَّلُ بِالرِّضَا عَنِ اللهِ فِي كُلِّ حَالٍ، هُوَ الصَّبْرُ الَّذِي لَا شَكْوَىٰ فِيهِ، بَلْ يَرْفَعُ الْعَبْدُ شَكْوَاهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي شَأْنِ يَعْقُوبَ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾(٧)، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾(٨)، ثُمَّ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ يَعْقُوبَ مُبَيِّنًا مَا فِي الصَّبْرِ مِنْ جَمَالِ الرِّضَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾(٩). فَالرِّضَا إِذَا تَجَمَّلَ بِهِ الْعَبْدُ سَكَنَ قَلْبُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَصَارَ لَا يَتَقَلَّبُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ أَمْرٌ إِلَّا مَا يَخْتَارُهُ لَهُ رَبُّهُ، فَلَا مُرَادَ لِلْعَبْدِ إِلَّا مُرَادَ رَبِّهِ فِيهِ،

---

(١) الرعد الآية (٢٤).
(٢) الزمر الآية (١٠).
(٣) الفرقان الآية (٧٥).
(٤) البقرة الآية (١٥٣).
(٥) آل عمران الآية (١٤٦).
(٦) المعارج الآية (٥).
(٧) يوسف الآية (١٨).
(٨) يوسف الآية (٨٣).
(٩) يوسف الآية (٨٦).

وَبِالرِّضَا يَنَالُ الْعَبْدُ الْبُشْرَىٰ مِنَ اللهِ يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾(١).

۞ وَقَدْ بَشَّرَ اللهُ أَهْلَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ بِهَذَا الْمَقَامِ، ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾(٢). وَالرِّضَا عَنِ اللهِ جَزَاؤُهُ الرِّضْوَانُ مِنَ اللهِ، فَإِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَىٰ قَدْرِ عِظَمِ الْعَمَلِ، وَالرِّضَا مِنْ أَحَبِّ الطَّاعَاتِ إِلَىٰ اللهِ وَالرِّضْوَانُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ فِي الْجَزَاءِ وَالْعَطَاءِ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(٣).

۞ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: **«إِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ رَضِيتُمْ، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبَّنَا، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، الْيَوْمَ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَغْضَبُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً»**. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

د) **وَأَمَّا التَّوَكُّلُ** عَلَىٰ اللهِ، وَهُوَ الْخِصْلَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ الْخَمْسِ، فَهُوَ الِاضْطِرَارُ الدَّائِمُ إِلَىٰ اللهِ اضْطِرَاراً يَجْعَلُكَ مُقْبِلاً عَلَيْهِ إِقْبَالَ الْمُعْتَصِمِ بِجَنَابِهِ الْعَلِيِّ، فَإِنَّ اضْطِرَارَكَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ هُوَ عَيْنُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ تَعْبُدَهُ سُبْحَانَهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَلَا تَرَىٰ فِي قَلْبِكَ أَكْبَرَ مِنَ اللهِ، وَلَا أَعْظَمَ مِنَ اللهِ، وَلَا أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنَ اللهِ، فَيَخْشَعُ قَلْبُكَ تَحْتَ سُلْطَانِهِ خُشُوعاً يَضْمَحِلُّ لَدَيْهِ كُلُّ السِّوَىٰ وَالْأَغْيَارُ، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(٤). فَلَمَّا قَالُوهَا بِأَلْسِنَةِ قُلُوبِهِمْ، تَوَالَتْ عَلَيْهِمُ الْبَشَائِرُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(٥).

---

(١) الفجر الآيتان (٢٧-٣٠).
(٢) الفتح الآية (١٨).
(٣) التوبة الآية (٧٢).
(٤) آل عمران الآية (١٧٣).
(٥) آل عمران الآية (١٧٤).

۞ وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ لَا يَنْفِي السَّعْيَ، وَلَا يَنْفِي الْأَخْذَ فِي الْأَسْبَابِ، فَإِنَّ الطَّيْرَ تَسْعَىٰ مَعَ اسْتِشْعَارِهَا لِضَعْفِهَا وَاضْطِرَارِهَا لِنَيْلِ الْفَضْلِ مِنَ اللهِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه وَغَيْرُهُمْ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَالْعَبْدُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَىٰ اللهِ، يَنْظُرُ بِعَيْنِ قَلْبِهِ الَّتِي اسْتَنَارَتْ بِهَدْيِ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ، فَيَرَىٰ أَنَّ مَا قُدِّرَ مِنَ الْآجَالِ وَالْأَرْزَاقِ، لَابُدَّ وَأَنْ يُدْرِكَهُ لَا مَحَالَةَ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ فِي قِتَالِ الْأَعْدَاءِ قَالَ:

أَيُّ يَوْمَيَّ مِنَ الْمَوْتِ أَفِرُّ ... يَوْمٌ لَمْ يُقَدَّرْ أَوْ يَوْمٌ قُدِرْ

يَوْمٌ لَمْ يُقَدَّرْ لَا أَرْهَبُهُ ... وَمِنَ الْمَقْدُورِ لَا يَنْجُو الْحَذِرْ

۞ وَالْمُتَوَكِّلُ عَلَىٰ اللهِ، مَلَكَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ قَلْبَهُ وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَكُلَّهُ، فَلَا يَرَىٰ مَانِعًا لِمَا أَعْطَىٰ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ إِلَّا اللهَ، وَلَا يَرَىٰ بَاسِطًا لِمَا قَبَضَ وَلَا قَابِضَ لِمَا بَسَطَ إِلَّا اللهَ، وَلَا يَرَىٰ مُقَدِّمًا لِمَا أَخَّرَ وَلَا مُؤَخِّراً لِمَا قَدَّمَ إِلَّا اللهَ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ إِنْ شَاءَ شَيْئًا كَانَ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ، فَاللهُ تَعَالَىٰ هُوَ مَقْصُودُهُ وَمُرَادُهُ، لَا يَرَىٰ مَرْجُوّاً إِلَّا الرَّجَاءَ فِي جَنَابِهِ سُبْحَانَهُ وَلَا مُخَوِّفًا إِلَّا الْخَوْفَ مِنْ مَقَامِهِ جَلَّ وَعَلَا.

۞ كَذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَىٰ اللهِ، أَنَّهُ لَا يَغْتَرُّ بِإِقْبَالِ الْخَلْقِ عَلَيْهِ، وَلَا يَحْزَنُ لِإِدْبَارِهِمْ عَنْهُ، قَالَ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[1]، أَيْ: عِنْدَ إِقْبَالِ الْخَلْقِ عَلَيْكَ، يَكُونُ إِقْبَالُكَ عَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْإِقْبَالُ عَلَىٰ اللهِ؟ إِنَّمَا يَكُونُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ للهِ مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[2]، أَمَّا فِي حَالِ إِدْبَارِهِمْ فَيَكُونُ الْإِقْبَالُ عَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ كَذَلِكَ دُونَ سِوَاهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3].

فَالْمُتَوَكِّلُ عَلَىٰ اللهِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ إِقْبَالِ الْخَلْقِ أَوْ إِدْبَارِهِمْ، بَلْ يَكُونُ مُتَوَجِّهًا بِكُلِّيَّتِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ،

---

(١) النصر الآية (٢). (٢) النصر الآية (٣). (٣) التوبة الآية (١٢٩).

فَإِنَّ الشُّئُونَ تَتَبَدَّلُ وَتَتَغَيَّرُ، أَمَّا هُوَ فَهُوَ مَعَ اللهِ الَّذِي لَا يَتَبَدَّلُ وَلَا يَتَغَيَّرُ وَإِلَيْهِ سُبْحَانَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ.

۞ وَلْنَتَأَمَّلْ فِي حَالِ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام؛ حِينَ زُجَّ بِهِ فِي نَارِ النَّمْرُوذِ، وَيَأْتِيهِ جِبْرِيلُ عليه السلام؛ وَيَقُولُ لَهُ أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَيَقُولُ لِجِبْرِيلَ: أَمَّا لَكَ فَلَا، عِلْمُهُ بِحَالِي غَنِيٌّ عَنْ سُؤَالِي، وَاشْتَغَلَ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ عَنِ السُّؤَالِ وَالطَّلَبِ، وَكَانَ ذِكْرُهُ للهِ وَهُوَ فِي النَّارِ «**حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**»، وَعِنْدَئِذٍ يَأْتِي الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ لِلنَّارِ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1].

۞ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ حِينَ قِيلَ لَهُمْ**: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[2]». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ فَفِي التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ، يَجِدُ الْقَلْبُ فِيهَا سَكَنَهُ وَأُنْسَهُ بِاللهِ وَحْدَهُ، مَهْمَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْإِيذَاءِ، قَالَ تَعَالَىٰ فِي شَأْنِ أَنْبِيَائِهِ ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[3].

هـ) **أَمَّا التَّفْوِيضُ** وَهُوَ الْخِصْلَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ الْخَمْسَةِ، فَهُوَ يَعْنِي كَمَالَ التَّعَلُّقِ بِاللهِ تَعَلُّقًا يَرَىٰ فِيهِ مُرَادَ اللهِ قَدْ سَبَقَ كُلَّ مُرَادٍ، وَتَدْبِيرَهُ سُبْحَانَهُ قَدْ سَبَقَ كُلَّ تَدْبِيرٍ، وَمَشِيئَتَهُ قَدْ سَبَقَتْ كُلَّ مَشِيئَةٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[4]، وَقَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ عَظَمَتِهِ فِي عُلُوِّ شَأْنِهِ وَتَدْبِيرِهِ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[5]. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه)

۞ فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَمْرُهُ نَافِذٌ، وَحُكْمُهُ فِي مَمْلَكَتِهِ دَائِمٌ، فَمَنْ سَلَّمَ مُرَادَهُ لِمُرَادِ رَبِّهِ، وَمَشِيئَتَهُ لِمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَبَرَّأَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ بِنِسْبَةِ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ للهِ وَحْدَهُ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ اللهِ خَاشِعًا تَحْتَ سُلْطَانِ جَنَابِهِ الْعَلِيِّ، مُسَلِّمًا أَمْرَهُ للهِ وَحْدَهُ، كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ، وَأَدْخَلَهُ حُصُونَ أَمْنِهِ،

---

(١) الأنبياء الآية (٦٩).
(٢) آل عمران الآية (١٧٣).
(٣) إبراهيم الآية (١٢).
(٤) الإنسان الآية (٣٠).
(٥) البروج الآية (١٦).

لِأَنَّهُ صَارَ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ يَغَارُ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ فِي مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾[1].

وَثَمَرَةُ التَّفْوِيضِ الرَّاحَةُ مِنْ حَرِّ التَّفْكِيرِ وَالتَّدْبِيرِ فِي الْمَقْدُورِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

فَالْكُلُّ يَعْمَلُ وَلَكِنْ عَلَىٰ مَوَاقِعِ الْقَدَرِ، وَالْكُلُّ يُدَبِّرُ وَلَكِنْ فِي أَلَّا يُدَبِّرَ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: «**يَا عَبْدِي أَنْتَ تُرِيدُ وَأَنَا أُرِيدُ، فَإِنْ سَلَّمْتَ لِي مَا أُرِيدُ أَعْطَيْتُكَ مَا تُرِيدُ، وَإِنْ لَمْ تُسَلِّمْ لِي مَا أُرِيدُ أَتْعَبْتُكَ فِيمَا تُرِيدُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا أُرِيدُ**».

وَمِنْ هُنَا أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَبْدَأَ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِنَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الْقُدُسِيَّةِ، أَلَا وَهِيَ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**» فَقَالَ ﷺ: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَبْتَرُ**» أَيْ مَقْطُوعُ الْبَرَكَةِ. (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه)

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الْقُدُسِيَّةُ كَمَا تُقْرَأُ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّبَرُّكِ، تُقْرَأُ كَذَلِكَ عَلَىٰ سَبِيلِ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، فَبِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ تَسْتَعِينُ؛ لِأَنَّهُ الْقَوِيُّ الْقَادِرُ الْمُعِينُ، وَأَنْتَ الْعَاجِزُ الضَّعِيفُ، وَبِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ تَبْدَأُ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ مِنْهُ الْمُبْتَدَىٰ وَإِلَيْهِ الْمُنْتَهَىٰ، فَهُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ آدَمَ سَأَلَ رَبَّهُ عَنْ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»؟ فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**هَذَا هُوَ الِاسْمُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَأُرْسِيَتْ بِهِ الْجِبَالُ، وَأُجْرِيَتْ بِهِ الْأَنْهَارُ، وَثُبِّتَتْ بِهِ الْأَرْضُ، وَقُوِّيَتْ بِهِ أَفْئِدَةُ الْمَخْلُوقِينَ**».

فَهِيَ كَلِمَةُ التَّوَجُّهِ الْخَالِصِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَتَكُونُ لَهُ الْمُوَاجَهَةُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَإِذَا تَأَمَّلْنَا كَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3] لَعَلِمْنَا اسْتِشْعَارَ عَجْزِنَا فِي كُلِّ أُمُورِنَا صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، دِقِّهَا وَجُلِّهَا، فَهِيَ رُوحُ الصَّلَاةِ، فَعَنْ

(١) غافر الآيتان (٤٤، ٤٥). (٢) الحديد الآية (٣). (٣) الفاتحة الآية (٥).

عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

(رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ)

وَفِي التَّفْوِيضِ يَرَىٰ الْعَبْدُ أَنَّ الْكُلَّ بِاللهِ، وَيَرَىٰ أَنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[(١)]، وَالْكُلُّ صَائِرٌ إِلَىٰ اللهِ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[(٢)]، وَهَذَا مَقَامُ الْعَبْدِ الَّذِي أَسْلَمَ وَاسْتَسْلَمَ، مَقَامُ الْعَبْدِ الْمَطْلُوبِ وَالْمُرَادِ الْمَحْبُوبِ، الَّذِي اتَّحَدَ مُرَادُهُ مَعَ مُرَادِ رَبِّهِ، فَيَكُونُ حَيْثُ أَمَرَهُ، وَلَا يَكُونُ حَيْثُ نَهَاهُ، وَإِنْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِيمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أُمِّ مُوسَىٰ حِينَ أُمِرَتْ بِإِلْقَاءِ وَلِيدِهَا فِي الْيَمِّ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنَ الْيَمِّ إِلَىٰ يَدِ عَدُوِّ اللهِ فِرْعَوْنَ حَتَّىٰ أَصْبَحَ فُؤَادُهَا كَمَا وَصَفَهُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٣)]، لَعَلِمْنَا أَنَّ الرِّبَاطَ الْقَلْبِيَّ هُوَ رِبَاطُ الْإِيمَانِ بِخِصَالِهِ الْخَمْسَةِ: التَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ وَالرِّضَا وَالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ وَالتَّفْوِيضِ للهِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ قَلْبَهَا صَارَ فَارِغًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَّا مِنْ مُوسَىٰ، حَتَّىٰ كَادَتْ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِهَا وَحُزْنِهَا وَأَسَفِهَا أَنْ تُظْهِرَ أَنَّهُ ذَهَبَ لَهَا وَلَدٌ وَتُخْبِرَ آلَ فِرْعَوْنَ بِحَالِهَا لَوْلَا أَنْ رَبَطَ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهَا بِالثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ تَحْقِيقًا لِوَعْدِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهَا: ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[(٤)]. فَكَفَاهَا اللهُ بِهَذِهِ الْبُشْرَىٰ مَا أَهَمَّهَا مِنْ أَمْرِ وَلَدِهَا مُوسَىٰ، وَفِي هَذَا تَثْبِيتٌ لِلْإِيمَانِ فِي قَلْبِهَا، وَطُمَأْنِينَةٌ لَهَا بِأَنَّ عِنَايَةَ اللهِ تَعَالَىٰ بِمُوسَىٰ قَدْ سَبَقَتْ، وَالْوِلَايَةَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَصَلَتْ، فَمُوسَىٰ تَكْلَؤُهُ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ؛ لِأَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِيمُهُ، الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ وِلَايَةِ اللهِ لَهُ سُلْطَانٌ جَائِرٌ، فَالْقُلُوبُ بِيَدِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي حَبَّبَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَلْبِ آسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، حَيْثُ قَالَتْ لِفِرْعَوْنَ: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[(٥)]، وَسَخَّرَ فِرْعَوْنَ لِخِدْمَةِ مُوسَىٰ، فَمَا أَغْنَىٰ حَذَرُ فِرْعَوْنَ عَنْ قَدَرِ اللهِ شَيْئًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ

---

(١) النساء الآية (٧٨).
(٢) النجم الآية (٤٢).
(٣) القصص الآية (١٠).
(٤) القصص الآية (٧).
(٥) القصص الآية (٩).

إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾[١].

۞ إِنَّ التَّفْوِيضَ هُوَ رُوحُ الْإِيمَانِ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ مَعَانِيهِ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آيَةً لَوْ أَخَذَ بِهَا النَّاسُ لَكَفَتْهُمْ**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٢]. **فَمَا زَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُهَا وَيُرَدِّدُهَا**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه)

۞ وَإِذَا تَأَمَّلْنَا فِي أَسْبَابِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لَعَلِمْنَا أَنَّ التَّقْوَىٰ هِيَ الْمَعْنَىٰ الْجَامِعُ لِلتَّفْوِيضِ، مِنْ حَيْثُ خُرُوجِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَتَدْبِيرِهِ إِلَىٰ حَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ وَتَدْبِيرِهِ سُبْحَانَهُ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهم أَنَّ سَيِّدَنَا عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَسَرَ الْعَدُوُّ وَلَدَهُ (سَالِمَ) فَذَهَبَتْ أُمُّهُ وَأَبُوهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَبْكِيَانِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُمَا: «**أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»، وَأَخَذَ أَبَوَاهُ يُرَدِّدَانِ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ عَمَلاً بِوَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّىٰ غَفَلَ الْعَدُوُّ عَنْ وَلَدِهِمَا سَالِمٍ بِبَرَكَةِ ذِكْرِ اللهِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ فَكَّ سَالِمٌ أَسْرَهُ وَحَمَلَ غَنَائِمَ الْعَدُوِّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ الْغَنَائِمَ عَلَىٰ وَالِدَيْهِ وَكَانَا فَقِيرَيْنِ، وَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٣]. (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالثَّعْلَبِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ)

۞ وَمَتَىٰ تَبَرَّأَ الْعَبْدُ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَاسْتَعَانَ بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ أَغْنَاهُ أُنْسُهُ بِاللهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، لِأَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةً يَذُوقُ فِيهَا الْمَحْبُوبُ لَذَّةَ الْحُضُورِ مَعَ الْحَبِيبِ، وَلِهَذَا الْمَقَامِ أَهْلُهُ، حَيْثُ يَرْوِي الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ رضي الله عنه أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ عَلَىٰ أُسْتَاذِهِ الْعَارِفِ بِاللهِ سَيِّدِي عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ بَشِيشٍ، قَالَ لَهُ أُسْتَاذُهُ: **يَا عَلِيُّ إِنِّي لَأَشْكُو مِنْ بَرْدِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ كَمَا تَشْكُو أَنْتَ مِنْ حَرِّ التَّفْكِيرِ وَالتَّدْبِيرِ**، فَقَالَ لَهُ: **كَيْفَ ذَلِكَ**؟ قَالَ: **أَخَافُ أَنْ يُشْغِلَنِي حَلَاوَتُهُ عَنِ اللهِ**.

۞ إِنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ الْخَمْسَةَ لِلْإِيمَانِ، لَهِيَ الْأُصُولُ الَّتِي يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَبِهَا تَكُونُ السَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ دُنْيَا وَآخِرَةً. فَبِالتَّسْلِيمِ للهِ، يَسْلَمُ السَّالِكُ فِي طَرِيقِهِ إِلَىٰ اللهِ مِنَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، فَلَا يَصُدُّهُ عَنِ الْحَقِّ هَوًىٰ يُعْمِيهِ، أَوْ حَظٌّ يُضِلُّهُ، أَوْ مَرَضٍ

---

(١) غافر الآية (٣٧). (٢) الطلاق الآيتان (٢، ٣). (٣) الطلاق الآيتان (٢، ٣).

مِنْ أَمْرَاضِ النُّفُوسِ يُفْسِدُهُ، وَبِهِ يُكْتَبُ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ، وَالإِخْلَاصُ عَلَامَةُ الْقَبُولِ مِنَ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾(١).

۞ وَالسَّالِكُ بِصَبْرِهِ عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ، يَأْمَنُ مِنَ الْجَزَعِ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَأَنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٢)، وَلَدَيْهَا يَدْخُلُ فِي حِصْنِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، وَتُوَافِيهِ الْبُشْرَىٰ مِنَ اللهِ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣)

۞ وَبِالرِّضَا يَذُوقُ الْمُؤْمِنُ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ، وَتُصَافِحُ قَلْبَهُ بَشَاشَتُهُ، فَيَكُونُ دَائِمَ الْبِشْرِ وَالْفَرَحِ بِاللهِ، غَنِيًّا بِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، مَرْضِيًّا عَنْهُ مِنَ اللهِ فِي الْحَالِ وَالْمَآلِ.

۞ وَبِالتَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ، يَكُونُ قَوِيًّا بِاللهِ، وَيَسْلَمُ مِنْ هَمِّ الرِّزْقِ وَخَوْفِ الْعِبَادِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَلِيُّهُ وَحَسْبُهُ، يَغَارُ عَلَيْهِ مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٤)

۞ وَبِالتَّفْوِيضِ للهِ، يَسْلَمُ مِنْ حَرِّ التَّفْكِيرِ وَالتَّدْبِيرِ، فِي أَمَلٍ لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ، وَحِرْصٍ لَا يَنْتَهِي عَنَاهُ، فَيَرَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ وَاقِيًا وَكَافِيًا لَهُ مَا أَهَمَّهُ، وَمَا لَمْ يَهْتَمَّ بِهِ، وَكَافِيًا لَهُ مَا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ سُبْحَانَهُ، مِمَّا لَا يَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ الْعَبْدُ بِعَقْلِهِ وَفِكْرِهِ، مِنْ سِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾(٥).

۞ وَمَتَىٰ رَجَعَ الْعَبْدُ إِلَىٰ اللهِ بِالتَّسْلِيمِ، وَاقْتَحَمَ عَقَبَةَ النَّفْسِ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ، وَذَاقَ حَلَاوَةَ الرِّضَا عَنِ اللهِ فِي كُلِّ حِينٍ، وَفَكَّ رَقَبَتَهُ مِنْ رِقِّ التَّفْكِيرِ وَالتَّدْبِيرِ، فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَتَوَالَتْ عَلَيْهِ الْبَشَائِرُ مِنَ اللهِ الْبَرِّ الرَّحِيمِ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٦).

---

(١) الزمر الآية (٣).
(٢) الشرح الآيتان (٥ ، ٦).
(٣) الزمر الآية (١٠).
(٤) النحل الآية (٩٩).
(٥) الزمر الآية (٣٦).
(٦) الزمر الآية (٣٤).

وَكُلُّ هَذَا بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا بِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَسَيِّدِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ، وَإِنَّ الْعُمْرَ الزَّمَنِيَّ الَّذِي تَشَرَّفَ فِيهِ الْكَوْنُ بِمَقْدِمِهِ ﷺ، لَهُوَ الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ الْبَاقِيَةُ الْخَالِدَةُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَفِي جِوَارِ رَبٍّ كَرِيمٍ، وَهَذَا مَا خَصَّ اللهُ بِهِ كُلَّ مُؤْمِنٍ سَارَ عَلَىٰ هَدْيِهِ ﷺ حَتَّىٰ لَقِيَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

(١) القصص الآية (٨٣).



الْبَابُ الثَّانِي

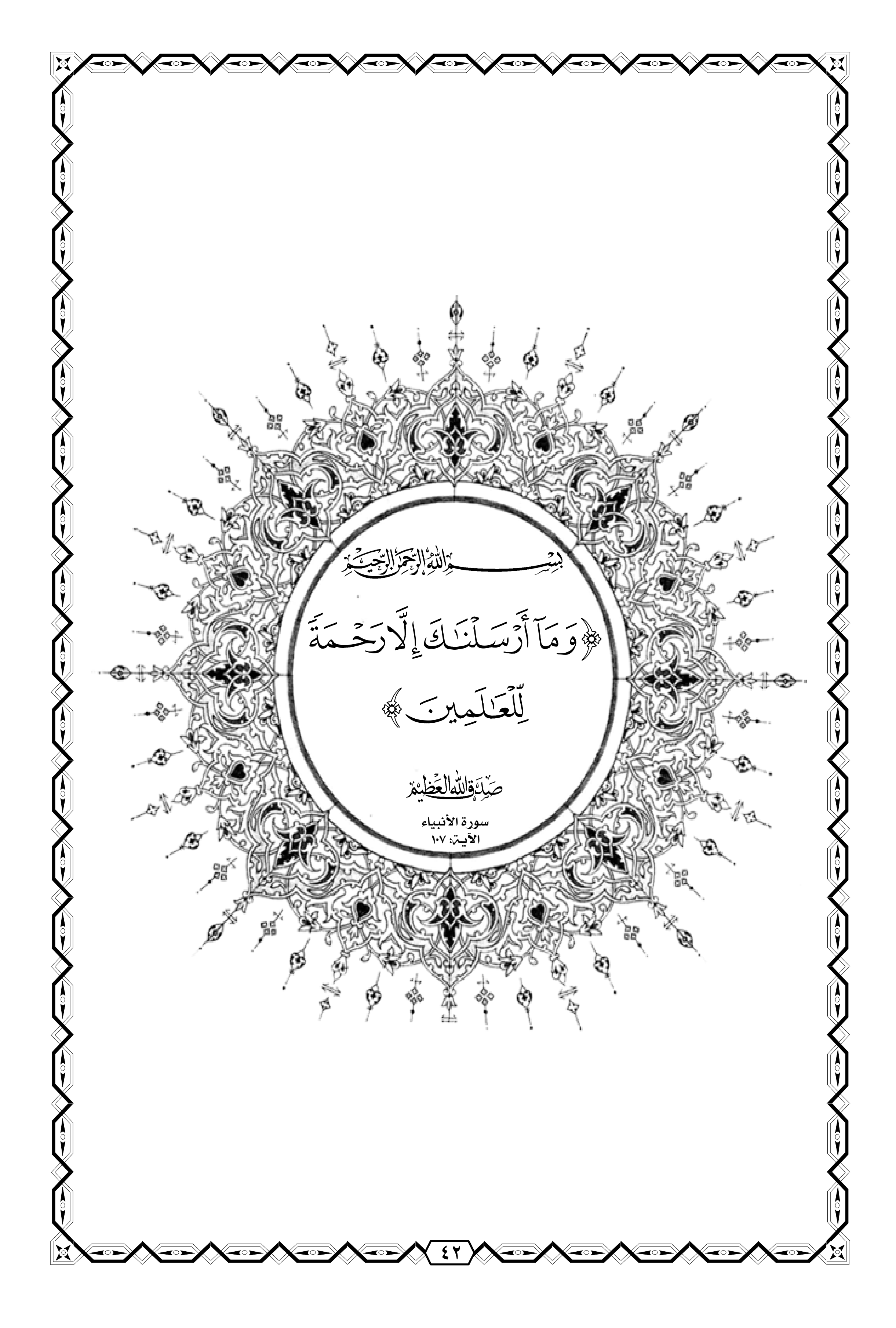
أوْجُهُ الْعَظَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ

وَيَتَنَاوَلُ هَذَا الْبَابُ الآتِي:

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي نَسَبِهِ الشَّرِيفِ.

الْفَصْلُ الثَّانِي: عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي مَوْلِدِهِ الْمُبَارَكِ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ: عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي نَشْأَتِهِ.


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾
صدق الله العظيم
سورة الأنبياء
الآية: ١٠٧

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

عَظَمَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي نَسَبِهِ الشَّرِيفِ

۞ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشاً، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ هَذِهِ سِلْسِلَةُ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ ﷺ، وَكَفَىٰ أَبَاءَهُ وَأَجْدَادَهُ شَرَفًا أَنْ يَكُونَ جَدُّهُمُ الْخَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ، وَكَفَاهُمْ شَرَفًا أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالسِّرَاجُ الْمُنِيرُ وَصَفْوَةُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَالرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ لِلْعَالَمِينَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

۞ وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ الَّذِي خَصَّ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ وَحَبِيبَهُ ﷺ مَا رَوَاهُ سَيِّدُنَا الْعَبَّاسُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسَاً وَخَيْرُهُمْ بَيْتَاً**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ فَهُوَ ﷺ سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، بْنِ عَبْدِ مَنَافَ، بْنِ قُصَيٍّ، بْنِ حَكِيمٍ، بْنِ مُرَّةَ، بْنِ كَعْبٍ، بْنِ لُؤَيٍّ، بْنِ غَالِبٍ، بْنِ فِهْرٍ، بْنِ مَالِكٍ، بْنِ النَّضْرِ، بْنِ كِنَانَةَ، بْنِ خُزَيْمَةَ، بْنِ مُدْرِكَةَ، بْنِ إِلْيَاسَ، بْنِ مُضَرَ، بْنِ نِزَارٍ، بْنِ مَعْدٍ، بْنِ عَدْنَانَ.

۞ وَمِنْ عَدْنَانَ يَنْتَهِي نَسَبُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ نَبِيَّيْنِ وَرَسُولَيْنِ كَرِيمَيْنِ هُمَا: إِسْمَاعِيلُ، وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ.

۞ وَقَدْ جَمَعَ اللهُ لِآبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْمُثُلِ الْعُلْيَا الَّتِي تَحَلَّوا بِهَا الْكَثِيرَ، فَهُمُوا الْكُنُوزُ الَّتِي تَنَقَّلَتْ فِي أَصْلَابِهِمْ شَمْسُ النَّبِيِّ الْهَادِي الْبَشِيرِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَطِيبُ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ ذِكْرُ شَذَرَاتٍ قَلِيلَةٍ مِنْ مَنَاقِبِهِمْ، حَيْثُ نَبْدَأُ بِأَبِيهِ عَبْدِ اللهِ، ثُمَّ جَدِّهِ الْأَوَّلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ثُمَّ بَاقِي أَجْدَادِهِ ﷺ... **هَكَذَا عَلَىٰ النَّحْوِ الْآتِي:**

۞ «**عَبْدُ اللهِ**» وَهُوَ الَّذِي تَشَرَّفَ بِمَقَامِ الْأُبُوَّةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدِ افْتَدَاهُ أَبُوهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مِنَ الذَّبْحِ بِمِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَذَلِكَ وَفَاءً بِنَذْرِهِ الَّذِي نَذَرَ فِيهِ: لَئِنْ أَعَانَهُ اللهُ عَلَىٰ حَفْرِ بِئْرِ زَمْزَمَ، وَوَهَبَهُ اللهُ عَشَرَةً مِنَ الْأَبْنَاءِ لَيَذْبَحَنَّ أَحَدَهُمْ، فَأَعَانَهُ اللهُ عَلَىٰ حَفْرِ بِئْرِ زَمْزَمَ، وَوَهَبَ لَهُ عَشْرَاً مِنَ الْأَبْنَاءِ، وَوَقَعَ السَّهْمُ عَلَىٰ وَلَدِهِ عَبْدِ اللهِ وَهُوَ أَصْغَرُ أَبْنَاءِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَمَّا اصْطَحَبَهُ أَبُوهُ لِيَذْبَحَهُ ثَارَتِ الْقَبَائِلُ فِي وَجْهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ احْتِجَاجاً عَلَىٰ ذَبْحِ عَبْدِ اللهِ، وَغَيْرَةً مِنْهُمْ عَلَىٰ فَتَىٰ قُرَيْشٍ الَّذِي غَمَرَ قُلُوبَهُمْ بِحُبِّهِ؛ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

۞ وَرُوِيَ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ لَقِيَتْ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ ذَاهِبٌ بِوَلَدِهِ عَبْدِ اللهِ لِيَذْبَحَهُ، فَقَالَتْ أَتَذْبَحُهُ وَنُورُ النُّبُوَّةِ يَتَلَأْلَأُ فِي جَبِينِهِ، فَعَدَلَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عَنِ الذَّبْحِ، وَافْتَدَىٰ وَلَدَهُ بِمِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ.

۞ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ زَوَّجَهُ مِنَ السَّيِّدَةِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ وَهِيَ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَكَانَ النِّسَاءُ فِي مَكَّةَ يَتَطَلَّعْنَ لِهَذَا الشَّرَفِ الَّذِي سَبَقَتْ بِهِ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ لِلسَّيِّدَةِ آمِنَةَ. وَقَدْ تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ لِشَهْرَيْنِ مِنَ الْحَمْلِ بِابْنِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَلَمْ يَتْرُكْ عَبْدُ اللهِ سِوَىٰ جَارِيَتِهِ بَرَكَةَ أُمِّ أَيْمَنَ الْحَبَشِيَّةِ، وَخَمْسَةَ جِمَالٍ، وَقَلِيلاً مِنَ الْأَغْنَامِ. وَكَانَ هَذَا هُوَ مِيرَاثَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وَالِدِهِ عَبْدِ اللهِ، الَّذِي كَانَ لِوَفَاتِهِ ضَجِيجاً فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ، حَيْثُ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا رَبَّنَا: بَقِيَ نَبِيُّكَ يَتِيماً، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**أَنَا لَهُ كَافِلٌ وَنَصِيرٌ**».

۞ «**عَبْدُ الْمُطَّلِبِ**» وَاسْمُهُ كَذَلِكَ «**شَيْبَةُ الْحَمْدِ**» لِأَنَّهُ وُلِدَ وَلَهُ شَيْبَةٌ فِي رَأْسِهِ، مَعَ رَجَاءِ حَمْدِ النَّاسِ لَهُ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ، يَحُثُّ عَلَىٰ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَيَنْهَىٰ عَنْ قَتْلِ الْمَوْءُودَةِ، وَيَنْهَىٰ عَنْ نِكَاحِ الْمَحَارِمِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ قَطْعِ يَدِ السَّارِقِ، وَرَفَضَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ دِيَةَ النَّفْسِ بِمِائَةٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَأَقَرَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ بَعْثَتِهِ الشَّرِيفَةِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ تَحَنَّثَ وَتَعَبَّدَ مِنْ فَوْقِ جَبَلِ حِرَاءَ، وَكَانَ مِعْطَاءً جَوَاداً كَرِيماً، بَلَغَ بِهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ أَنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ مَائِدَتَهُ لِلطَّيْرِ عَلَىٰ رُءُوسِ الْجِبَالِ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ «**مُطْعِمُ الطَّيْرِ**» وَيُقَالُ لَهُ «**الْفَيَّاضُ**»، وَكَانَ لَهُ فِي فِنَاءِ

الْكَعْبَةِ مَجْلِسًا يَجْلِسُ فِيهِ وَحَوْلَهُ أَبْنَاؤُهُ، وَكَانَ لِهَذَا الْمَجْلِسِ وَقَارُهُ وَحُرْمَتُهُ، فَلَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَحْمِلُهُ وَهُوَ صَغِيرٌ وَيَضَعُهُ فِي حِجْرِهِ تَبَرُّكًا بِهِ وَتَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، بَلْ كَانَ يَسْتَسْقِي بِهِ لِرَبِّهِ عِنْدَمَا تَأْتِيهِ الْقَبَائِلُ لِيَسْتَسْقِيَ لَهَا، وَيَقُولُ: «**إِنَّ لِابْنِي هَذَا شَأْنًا عَظِيمًا**».

۞ وَقَدْ وَصَفَ الْمُؤَرِّخُونَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ فَقَالُوا: «**كَانَ أَحْسَنَ قُرَيْشٍ وَجْهًا، وَأَمَدَّهُمْ جِسْمًا، وَأَحْلَمَهُمْ حِلْمًا، وَأَجْوَدَهُمْ كَفًّا، وَأَبْعَدَ النَّاسِ عَنْ كُلِّ مُوبِقَةٍ تُفْسِدُ الرِّجَالَ، لَمْ يَرَهُ مَلِكٌ قَطُّ إِلَّا أَكْرَمَهُ وَشَفَّعَهُ، وَكَانَ سَيِّدَ قُرَيْشٍ حَتَّىٰ مَاتَ**» .

۞ وَقَدْ تَوَلَّىٰ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ الرِّفَادَةَ فَكَانَ يُطْعِمُ الْحَاجَّ، وَتَوَلَّىٰ السِّقَايَةَ فَكَانَ يَسْقِي الْحَاجَّ، وَلَمَّا أَعَانَهُ اللهُ عَلَىٰ حَفْرِ زَمْزَمَ صَارَ يَسْقِي الْحَاجَّ مِنْ زَمْزَمَ، وَيَحْمِلُ الْمَاءَ لِلْحَاجِّ مِنْ زَمْزَمَ إِلَىٰ عَرَفَةَ، فَكَانَ ذَلِكَ عِزًّا وَشَرَفًا لَهُ، وَتُوُفِّيَ عَنْ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً.

۞ «**هَاشِمٌ**» اسْمُهُ «**عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافَ**» وَكَانَ يُقَالُ لَهُ «**عَمْرُو الْعُلَا**»؛ لِعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ هَاشِمًا؛ **لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ هَشَّمَ الثَّرِيدَ لِحُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ**، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: «**أَبُو الْبَطْحَاءِ**» وَ«**سَيِّدُ الْبَطْحَاءِ**»، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الرِّحْلَتَيْنِ: رِحْلَةَ الشِّتَاءِ إِلَىٰ الْيَمَنِ وَالْحَبَشَةِ، وَرِحْلَةَ الصَّيْفِ إِلَىٰ الشَّامِ.

۞ «**عَبْدُ مَنَافَ**» وَكَانَ يُقَالُ لَهُ «**قَمَرُ الْبَطْحَاءِ**»، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُسَمِّيهِ «**الْفَيَّاضَ**»؛ لِكَرَمِهِ، وَقَدْ نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ وَاقْتَدَىٰ الْعَرَبُ بِهُدَاهُ.

۞ «**قُصَيٌّ**» كَانَتْ لَهُ حِجَابَةُ الْبَيْتِ أَيْ تَوْلِيَتُهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ، وَسِقَايَةُ حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، وَلَهُ الرِّفَادَةُ، وَهِيَ إِطْعَامُ الطَّعَامِ لِسَائِرِ الْوَافِدِينَ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ بِقُصَيٍّ الْقَبَائِلَ فِي مَكَّةَ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُتَفَرِّقِينَ فِي الشِّعَابِ وَرُءُوسِ الْجِبَالِ. كَمَا أَنَّ قُصَيًّا أَوَّلُ مَنْ جَدَّدَ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام. وَكَانَ بَيْتُ قُصَيٍّ مَعْقِلًا تَنْعَقِدُ فِيهِ أُمُورُ الْعَرَبِ، وَالشُّورَىٰ لَا تَتِمُّ إِلَّا فِي بَيْتِهِ، وَكَذَلِكَ عَقْدُ النِّكَاحِ وَلِوَاءُ الْحَرْبِ، وَكَانَ قُصَيٌّ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَيَنْهَىٰ عَنْ مَذَامِّهَا، كَمَا كَانَ يَنْهَىٰ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، تُوُفِّيَ عَنْ

ثَمَانِينَ سَنَةً، وَمِنَ الْمَأْثُورِ عَنْهُ: «**مَنِ اسْتَحْسَنَ قَبِيحًا تُرِكَ إِلَىٰ قُبْحِهِ، وَمَنْ لَمْ تُصْلِحْهُ الْكَرَامَةُ أَصْلَحَهُ الْهَوَانُ، وَمَنْ طَلَبَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الْحِرْمَانَ، وَالْحَسُودُ هُوَ الْعَدُوُّ الْخَفِيُّ**».

❁ «**حَكِيمٌ**» كَانَ فَارِسَ الْحَرَمِ يَحْمِي حِمَاهُ، وَكَانَ كَرِيمًا يَصْطَادُ بِالْكِلَابِ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ «**كِلَابَ**». **وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمَّىٰ الْأَشْهُرَ الْعَرَبِيَّةَ.**

❁ «**مُرَّةُ**» وَهُوَ الَّذِي قَهَرَ بِالْحِكْمَةِ مَنْ عَادَاهُ.

❁ «**كَعْبُ**» وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ اللهُ بِهِ قُلُوبَ الْعَرَبِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ، وَكَانَ يُسَمَّىٰ هَذَا الْيَوْمُ «**يَوْمَ الْعُرُوبَةِ**»، يُذَكِّرُهُمْ فِيهِ بِبَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَجْمَعُهُمْ فِيهِ لِلدُّعَاءِ وَالْمُنَاجَاةِ، وَيُبَشِّرُهُمْ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ وَلَدِهِ، وَأَنَّهُ خَاتَمُ الرُّسُلِ، وَيُنْشِدُ الْعَرَبَ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي شَاهَدْتُ فَحْوَاءَ دَعْوَتِهِ * حِينَ الْعَشِيرَةُ تَبْغِي الْحَقَّ.

❁ «**لُؤَيٌّ**»-«**غَالِبُ**»-«**فِهْرُ**» **وَهُوَ الَّذِي سُمِّيَ قُرَيْشًا**؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَبْحَثُ عَنِ الْمُحْتَاجِ فَيُعْطِيهِ مُنَاهُ، وَيُقْرِشُ الْمُحْتَاجِينَ وَيُوَسِّعُ عَلَيْهِمْ بِمَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ.

❁ «**مَالِكُ**» وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ الْحَرَمَ وَمَا حَوَاهُ.

❁ «**النَّضْرُ**» اسْمُهُ قَيْسٌ، وَسُمِّيَ بِالنَّضْرِ؛ لِجَمَالِهِ وَنَضَارَةِ وَجْهِهِ.

❁ «**كِنَانَةُ**» هُوَ الَّذِي جَمَعَ قُرَيْشًا بِحِكْمَتِهِ وَجَدْوَاهُ.

❁ «**خُزَيْمَةُ**»-«**مُدْرِكَهُ**»-«**إِلْيَاسُ**» كَانَ إِلْيَاسُ مَثَلُهُ فِي الْعَرَبِ كَمَثَلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ فِي قَوْمِهِ، وَمِنْ حِكَمِ إِلْيَاسَ: «**مَنْ يَزْرَعْ خَيْرًا يَحْصُدْ غِبْطَةً، وَمَنْ يَزْرَعْ شَرًّا يَحْصُدْ نَدَامَةً**». وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَهْدَىٰ الْبُدْنَ لِلْبَيْتِ، فَاسْتَنَّتِ الْعَرَبُ بِهُدَاهُ. وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ فِي صُلْبِهِ تَلْبِيَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْحَجِّ سَامِعًا دُعَاهُ.

❁ «**مُضَرُ**» كَانَ جَمِيلًا، مَا رَآهُ أَحَدٌ إِلَّا وَأَحَبَّهُ، وَكَانَ حَكِيمًا، وَمِنْ حِكَمِهِ الْمَأْثُورَةِ: «**خَيْرُ الْخَيْرِ أَعْجَلُهُ، فَاحْمِلُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَىٰ مَكْرُوهِهَا، وَاصْرِفُوهَا عَنْ هَوَاهَا فِيمَا أَفْسَدَهَا، فَلَيْسَ بَيْنَ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ إِلَّا صَبْرُ فُوَاقٍ**». يُرِيدُ بِالْفُوَاقِ أَيْ قَدْرَ حَلْبِ نَاقَةٍ.

❁ «**نِزَارُ**» سُمِّيَ بِنِزَارٍ لِشُهُودِ نُورِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَلَمَّا رَأَىٰ أَبُوهُ مِنْهُ ذَلِكَ، شَكَرَ اللهَ،

وَأَطْعَمَ الْعَرَبَ وَقَالَ: «**هَذَا الطَّعَامُ نِزَارٌ- أَيْ قَلِيلٌ- فِي جَانِبِ مَا مَنَحَنَا اللهُ**».

❁ «**مَعْدُ**» وَكَانَ شُجاعًا، مُؤَيَّدًا مِنَ اللهِ بِالنَّصْرِ، فَمَا خَاضَ فِي حَرْبٍ أَوْ غَارَةٍ إِلَّا وَانْتَصَرَ.

❁ «**عَدْنَانُ**» وَهُوَ جَدُّ هَؤُلَاءِ السَّادَةِ الْكِرَامِ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِالْحِكْمَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ، كَمَا تَبَيَّنَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ سِيرَتِهِمُ الْعَطِرَةِ، الَّتِي امْتَدَّتْ شَجَرَتُهَا الطَّيِّبَةُ مِنْ عَدْنَانَ الَّذِي امْتَدَّ بِدَوْرِهِ إِلَىٰ جَدِّهِ إِسْمَاعِيلَ وَإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عليهما السلام.

وَفِي هَذَا يَقُولُ الْإِمَامُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ مَاضِي أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه مَادِحًا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي نَسَبِهِ الشَّرِيفِ:

عِقْدُ مَجْدٍ وَسُؤْدُدٍ وَفَخَارِ ... كَوْكَبُ الْعِقْدِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ
كَانَ نُوراً فِي وَجْهِ آدَمَ بَدْءاً ... ثُمَّ مِنْهُ لِلسَّادَةِ الْأَخْيَارِ
مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَىٰ يَوْمِ عِيسَىٰ ... وَهْوَ شَمْسٌ وَمَصْدَرُ الْأَنْوَارِ
مِنْ نَبِيٍّ إِلَىٰ رَسُولٍ كَرِيمٍ ... أَوْ وَفِيٍّ مِنْ صَفْوَةِ الْأَطْهَارِ
شَمْسُهُ قَدْ تَلُوحُ فِي كُلِّ عَصْرٍ ... مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَىٰ الْإِظْهَارِ
أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ بِغَيْرِ غُرُوبٍ ... نُورُ كَشْفٍ أَوْ نُورُهَا الْإِسْفَارِي
مِنْ أَبٍ مَاجِدٍ لِجَدٍّ كَرِيمٍ ... أَصْلُكَ النُّورُ مِنْ عَلِيٍّ بَارِي
يَا ضِيَاءً أَشْرَقْتَ بَدْءاً مُشِيراً ... لِلْجَمَالِ الْعَلِيِّ نُورُكَ سَارِي
نَظْرَةَ الْوُدِّ يَا حَبِيبِي لِمُضْنًىٰ ... بِالْكِرَامِ الْأَجْدَادِ أَهْلِ الْفَخَارِ
أَنْتَ شَمْسٌ لِلرُّسْلِ مِنْكَ تَحَلُّوا ... بِالْأَيَادِي فِي مُحْكَمِ الْأَسْفَارِ
مِنْكَ نَالُوا فَخَارَهُمْ يَا حَبِيبِي ... أَسْعِدِ الصَّبَّ بِالطَّهُورِ الْمُدَارِ

الْفَصْلُ الثَّانِي

عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي مَوْلِدِهِ الْمُبَارَكِ

وَيَتَنَاوَلُ الآتِي:

١. مَطْلَعُ الْمَوْلِدِ الْمُحَمَّدِيِّ:

وُلِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي عَامِ الْفِيلِ لِاثْنَتَيْ عَشَرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ الشَّرِيفُ عَلَىٰ يَدِ قَابِلَتِهِ «**الشِّفَاءِ**» أُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه، وَلَمْ تَجِدْ أُمُّهُ لِحَمْلِهِ ثِقَلاً كَمَا تَجِدُ النِّسَاءُ، وَمَا شَعُرَتْ أَنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَدْ كَانَتْ حَيْضَتُهَا تَرْتَفِعُ وَتَعُودُ، حَتَّىٰ أَتَاهَا آتٍ وَهِيَ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ فَقَالَ لَهَا: هَلْ شَعُرْتِ أَنَّكِ حَمَلْتِ؟ قَالَتْ: مَا أَدْرِي، فَقَالَ لَهَا: لَقَدْ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا، وَذَلِكَ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ، فَاسْتَيْقَنَتْ عِنْدَ ذَلِكَ بِحَمْلِهَا، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مَوْعِدُ وِلَادَتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، أَتَاهَا ذَلِكَ الْآتِي وَقَالَ لَهَا: قُولِي أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ، وَسَمِّيهِ مُحَمَّداً، وَفِي رِوَايَةٍ وَسَمِّيهِ أَحْمَدَ، فَهُوَ مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ، وَقَدْ نَزَلَ صلى الله عليه وآله وسلم سَاجِداً رَافِعاً بَصَرَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَاضِعاً يَدَهُ عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَرَأَتْ أُمُّهُ حِينَ وَضَعَتْهُ نُوراً قَدْ خَرَجَ مِنْهَا فَأَضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشَّامِ، وَكَانَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي يَوْمِ مَوْلِدِهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ السَّيِّدَةُ آمِنَةُ، وَقَصَّتْ عَلَيْهِ مَا شَهِدَتْهُ فِي مَوْلِدِهِ مِنَ الْآيَاتِ، فَحَمَلَهُ وَدَخَلَ بِهِ الْكَعْبَةَ الْمُشَرَّفَةَ، وَعَوَّذَهُ وَدَعَا لَهُ ثُمَّ خَرَجَ بِهِ وَرَدَّهُ إِلَىٰ أُمِّهِ، وَسَمَّاهُ مُحَمَّداً قَائِلاً: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْمَدَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَتَرْجِعُ هَذِهِ التَّسْمِيَةُ الْمُبَارَكَةُ لِرُؤْيَا رَآهَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي مَنَامِهِ، فَقَدْ رَأَىٰ كَأَنَّ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ ظَهْرِهِ، لَهَا طَرَفٌ فِي السَّمَاءِ وَطَرَفٌ فِي الْأَرْضِ، وَطَرَفٌ فِي الشَّرْقِ وَطَرَفٌ فِي الْغَرْبِ، ثُمَّ عَادَتْ كَأَنَّهَا شَجَرَةٌ عَلَىٰ كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْهَا نُورٌ، وَإِذَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَتَعَلَّقُونَ بِهَا، فَعُبِّرَتْ لَهُ هَذِهِ الرُّؤْيَا بِأَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ صُلْبِهِ مَوْلُودٌ يَتْبَعُهُ أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَيَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ «مُحَمَّدٌ»؛ حَتَّىٰ يَحْمَدَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

وَمِنَ الْآيَاتِ الْجَلِيَّةِ الَّتِي تَطِيبُ لَهَا النُّفُوسُ، وَتَهْتَزُّ لَهَا الْمَشَاعِرُ، مَا أَوْرَدَهُ الْخَطِيبُ

الْبَغْدَادِيُّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ حَيْثُ قَالَتِ السَّيِّدَةُ آمِنَةُ:

«لَمَّا وَضَعْتُهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، رَأَيْتُ سَحَابَةً عَظِيمَةً لَهَا نُورٌ، أَسْمَعُ فِيهَا صَهِيلَ الْخَيْلِ، وَخَفَقَانَ الْأَجْنِحَةِ، وَكَلَامَ الرِّجَالِ، حَتَّىٰ غَشِيَتْهُ، وَغُيِّبَ عَنِّي، فَسَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي: طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ جَمِيعَ الْأَرْضِ، وَاعْرِضُوهُ عَلَىٰ كُلِّ رُوحَانِيٍّ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ، وَأَعْطُوهُ خُلُقَ آدَمَ، وَمَعْرِفَةَ شِيثَ، وَشَجَاعَةَ نُوحٍ، وَخُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، وَلِسَانَ إِسْمَاعِيلَ، وَرِضَا إِسْحَقَ، وَفَصَاحَةَ صَالِحٍ، وَحِكْمَةَ لُقْمَانَ، وَبُشْرَىٰ يَعْقُوبَ، وَشِدَّةَ مُوسَىٰ، وَصَبْرَ أَيُّوبَ، وَطَاعَةَ يُونُسَ، وَجِهَادَ يُوشَعَ، وَصَوْتَ دَاوُدَ، وَحُبَّ دَانِيَالَ، وَوَقَارَ إِلْيَاسَ، وَعِصْمَةَ يَحْيَىٰ، وَزُهْدَ عِيسَىٰ، وَاغْمِسُوهُ فِي أَخْلَاقِ النَّبِيِّينَ. قَالَتْ: ثُمَّ انْجَلَتْ عَنِّي هَذِهِ السَّحَابَةُ، فَإِذَا بِهِ قَدْ قَبَضَ عَلَىٰ حَرِيرَةٍ خَضْرَاءَ مَطْوِيَّةٍ طَيًّا شَدِيدًا يَنْبُعُ مِنْ تِلْكَ الْحَرِيرَةِ مَاءٌ، وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ: بَخٍ بَخٍ!! قَبَضَ مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَىٰ الدُّنْيَا كُلِّهَا، لَمْ يَبْقَ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا دَخَلَ طَائِعًا فِي قَبْضَتِهِ، قَالَتِ السَّيِّدَةُ آمِنَةُ: ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا بِهِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَرِيحُهُ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، وَإِذَا بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ فِي يَدِ أَحَدِهِمْ إِبْرِيقٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَفِي يَدِ الثَّانِي طَسْتٌ مِنْ زُمُرُّدٍ أَخْضَرَ، وَفِي يَدِ الثَّالِثِ حَرِيرَةٌ بَيْضَاءُ، فَنَشَرَهَا فَأَخْرَجَ مِنْهَا خَاتَمًا تُحَارُ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ دُونَهُ، فَغَسَّلَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِبْرِيقِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ خَتَمَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِالْخَاتَمِ، وَلَفَّهُ فِي الْحَرِيرَةِ ثُمَّ احْتَمَلَهُ فَأَدْخَلَهُ بَيْنَ أَجْنِحَتِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ».

٢. آيَاتٌ عِظَامٌ فِي مَوْلِدِ سَيِّدِ الْأَنَامِ صلى الله عليه وآله وسلم:

- إِنَّ مَا رَأَتْهُ السَّيِّدَةُ آمِنَةُ مِنَ الْبَشَائِرِ بِمَقْدِمِ سَيِّدِ الْأَنَامِ وَرَسُولِ الْخِتَامِ ﷺ، إِنْ دَلَّ عَلَىٰ شَيْءٍ، فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ جَمَعَ لِحَبِيبِهِ ﷺ كَمَالَاتِ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، لِأَنَّ رِسَالَتَهُ هِيَ رِسَالَةُ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١).
- إِنَّهُ الرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ لِلْعَالَمِينَ، إِنَّهُ إِمَامُ النَّبِيِّينَ الَّذِي اصْطَفَّ الْأَنْبِيَاءُ خَلْفَهُ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ

---

(١) المائدة الآية (٣).

وَالْمِعْرَاجِ، إِنَّهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ الَّذِي اشْتَقَّ اللهُ اسْمَهُ مِنَ الْحَمْدِ، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ قَائِلاً: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطاً، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُوا الْأَوَّلِينَ وَهُمُوا الْآخِرِينَ، وَشَرَحَ صَدْرِي، وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي، وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي، وَجَعَلَنِي فَاتِحاً خَاتِماً**». وَهُنَا يَقُومُ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عليه السلام مُخَاطِبًا لِلْأَنْبِيَاءِ فَيَقُولُ: «**بِهَذَا فَضَلَكُمْ مُحَمَّدٌ** ﷺ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ لَقَدِ اهْتَزَّ الْكَوْنُ لِمَوْلِدِهِ ﷺ فَارْتَجَّ إِيوَانُ كِسْرَىٰ، فَسَقَطَ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً مِنْ شُرُفَاتِهِ، إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلُوكِهِمْ إِلَّا أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَلِكًا، فَهَلَكَ عَشْرٌ فِي أَرْبَعِ سِنِينَ، وَهَلَكَ أَرْبَعَةٌ إِلَىٰ زَمَنِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ طَبَرِيَّةٍ بِبِلَادِ الشَّامِ وَكَانَتْ تَحْتَ حُكْمِ الرُّومَانِ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ انْكِمَاشِ دَوْلَتِهِمْ وَزَوَالِ مُلْكِهِمْ، وَنُكِّسَتِ الْأَوْثَانُ، وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ الَّتِي لَمْ تَخْمُدْ مُنْذُ أَلْفِ عَامٍ، وَبَارَكَ اللهُ لِأَهْلِ مَكَّةَ، فَاخْضَرَّتِ الْأَرْضُ، وَحَمَلَتِ الْأَشْجَارُ بِالثِّمَارِ، وَأَتَاهُمْ رَغَدُ الْعَيْشِ فِي عَامِ مَوْلِدِهِ ﷺ.

۞ لَقَدِ اصْطَفَىٰ اللهُ لِحَبِيبِهِ ﷺ زَمَنَ مَوْلِدِهِ حَيْثُ يَقُولُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْناً فَقَرْناً، حَتَّىٰ كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَاصْطَفَىٰ اللهُ لَهُ ﷺ مَكَانَ مَوْلِدِهِ، أَلَا وَهِيَ مَكَّةَ أَشْرَفَ بِقَاعِ الْأَرْضِ، وَبِهَا أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَالْقَسَمُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَظِيمٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾(١)، وَقَالَ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾(٢). وَفِي هَذَا عَظِيمُ إِكْرَامٍ وَجَلِيلُ إِنْعَامٍ مِنَ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ، بَلْ أَقْسَمَ بِذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ فَقَالَ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٣).

(١) التين الآيتان (١، ٢). (٢) البلد الآيتان (١، ٢). (٣) الحجر الآية (٧٢).

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

عَظَمَـةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي نَشأتِـهِ

إِنَّ عَظَمَتَهُ الْمُحَمَّدِيَّةَ صلى الله عليه وآله وسلم تَنْجَلِي فِي كُلِّ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِحَيَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْآتِي:

١. عَظَمَةُ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فِي أَيَّامِ رَضَاعَتِهِ:

۞ أَرْضَعَتْهُ أُمُّهُ السَّيِّدَةُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ أَرْضَعَتْهُ، ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ ثُوَيْبَةُ الْأَسْلَمِيَّةُ جَارِيَةُ عَمِّهِ أَبِي لَهَبٍ أَيَّامًا، وَهِيَ الَّتِي بَشَّرَتْ أَبَا لَهَبٍ بِمَوْلِدِهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ، فَمِنْ فَرَحِ أَبِي لَهَبٍ بِمَوْلِدِهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَعْتَقَهَا، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ خَفَّفَ الْعَذَابَ عَنْ أَبِي لَهَبٍ فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ لِفَرَحِهِ بِمَوْلِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

۞ وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا وُلِدَ لَهُمْ مَوْلُودٌ الْتَمَسُوا لَهُ مُرْضِعَةً مِنْ غَيْرِ قَبِيلَتِهِمْ، لِيَكُونَ أَنْجَبَ لِلْوَلَدِ وَأَفْصَحَ لَهُ، فَجَاءَ نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ يَلْتَمِسْنَ الرُّضَعَاءَ وَمَعَهُنَّ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ فِي سَنَةٍ شَدِيدَةِ الْقَحْطِ، فَكُلُّ امْرَأَةٍ أَخَذَتْ رَضِيعًا إِلَّا حَلِيمَةَ، وَكَانَ صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا عُرِضَ عَلَىٰ النِّسَاءِ الْمُرْضِعَاتِ يَأْبِينَ رَضَاعَتَهُ لِيُتْمِهِ، إِلَّا حَلِيمَةَ الَّتِي قَالَتْ وَاللهِ لَأَذْهَبَنَّ إِلَىٰ ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَآخُذَنَّهُ، وَأَقْبَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَىٰ ثَدْيِ حَلِيمَةَ فَشَرِبَ حَتَّىٰ ارْتَوَىٰ، وَشَرِبَ أَخٌ لَهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ حَتَّىٰ ارْتَوَىٰ، وَنَامَا، وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ حَلِيمَةُ وَزَوْجُهَا لَا يَنَامَانِ مِنْ بُكَاءِ ذَلِكَ الطِّفْلِ، الَّذِي كَانَ يَبْكِي مِنَ الْجُوعِ حَيْثُ لَا يَجِدُ فِي ثَدْيِهَا لَبَنًا، وَبَارَكَ اللهُ لِحَلِيمَةَ فِي ثَدْيِهَا حِينَ أَرْضَعَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، كَمَا امْتَلَأَ الضَّرْعُ بِاللَّبَنِ فِي أَغْنَامِهَا طِوَالَ مُدَّةِ رَضَاعَتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَاسْتَبْشَرَ بِذَلِكَ زَوْجُهَا، وَقَالَ: يَا حَلِيمَةُ لَقَدْ أَخَذْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً، وَكَانَ النِّسَاءُ الْمُرْضِعَاتُ يَقُلْنَ بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ: اِسْرَحُوا بِأَغْنَامِكُمْ حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي أَغْنَامِ حَلِيمَةَ بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ. قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ اللهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتَّىٰ مَضَتْ سَنَتَانِ وَفَصَلْتُهُ عَنِ الرَّضَاعَةِ.

۞ وَكَانَ صلى الله عليه وآله وسلم يَشُبُّ شَبَابًا لَا يَشُبُّهُ الْغِلْمَانُ، فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْنِ حَتَّىٰ كَانَ غُلَامًا جَفْرًا، وَذَهَبَتْ حَلِيمَةُ بِهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِأُمِّهِ لِتَرَاهُ وَلِيَرَاهُ جَدُّهُ، ثُمَّ عَادَتْ بِهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَشَدَّ مَا تَكُونُ حِرْصًا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ عَوْدَتِهِ مَعَهَا لِمَا كَانَتْ تَرَىٰ مِنْ بَرَكَتِهِ.

۞ وَعَادَ ﷺ مَعَ حَلِيمَةَ لِيَنْتَقِلَ إِلَىٰ طَوْرٍ آخَرَ تَحُفُّهُ فِيهِ عِنَايَةُ اللهِ تَعَالَىٰ، حَيْثُ أَتَاهُ ﷺ وَهُوَ مَعَ أَتْرَابٍ لَهُ مِنَ الصِّبْيَانِ رَهْطٌ ثَلَاثَةٌ، وَمَعَهُمْ طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ ثَلْجًا، فَعَمَدَ أَحَدُهُمْ فَأَضْجَعَهُ ﷺ عَلَىٰ الْأَرْضِ إِضْجَاعًا خَفِيفًا، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِهِ إِلَىٰ مُنْتَهَىٰ عَانَتِهِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَا يَجِدُ لِذَلِكَ مَسًّا، ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِهِ وَغَسَلَهَا بِالثَّلْجِ فَأَنْعَمَ غَسْلَهَا، ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا، وَقَامَ الثَّانِي فَقَالَ لِصَاحِبِهِ تَنَحَّ، فَتَنَحَّىٰ عَنْهُ ﷺ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِهِ، فَصَدَعَهُ، وَأَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ، فَرَمَىٰ بِهَا، ثُمَّ مَالَ بِيَدِهِ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَإِذَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ يُحَارُ النَّاظِرُونَ دُونَهُ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبَ النَّبِيِّ ﷺ، فَامْتَلَأَ نُورًا، وَذَلِكَ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ، قَالَ ﷺ: «**فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي قَلْبِي دَهْرًا**»، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ عَنِّي، فَأَمَرَّ يَدَهُ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِهِ ﷺ إِلَىٰ مُنْتَهَىٰ عَانَتِهِ، فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ ﷺ فَأَنْهَضَهُ مِنْ مَكَانِهِ إِنْهَاضًا لَطِيفًا، ثُمَّ قَالَ لِلْأَوَّلِ الَّذِي شَقَّ بَطْنَهُ: زِنْهُ بِعَشْرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُوهُ بِهِمْ فَرَجَحَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُوهُ بِهِمْ فَرَجَحَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُوهُ فَرَجَحَهُمْ، فَقَالَ دَعُوهُ لَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ، قَالَ ﷺ: «**ثُمَّ ضَمُّونِي إِلَىٰ صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ وَقَالُوا: يَا حَبِيبُ لَمْ تُرَعْ، إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ**». (رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ)

۞ وَجَاءَتِ السَّيِّدَةُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ بَعْدَ أَنِ اسْتَصْرَخَهَا أَتْرَابُهُ ﷺ مِنَ الصِّبْيَانِ، وَجَاءَ الْحَيُّ بِحَذَافِيرِهِ، وَجَعَلَتِ السَّيِّدَةُ حَلِيمَةُ تَهْتِفُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهَا وَتَقُولُ: يَا ضَعِيفَاهُ!! فَانْكَبَّ الثَّلَاثَةُ رَهْطٍ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَبَّلُوا رَأْسَهُ وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالُوا: حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ ضَعِيفٍ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا وَحِيدَاهُ، فَانْكَبَّ الثَّلَاثَةُ رَهْطٍ عَلَيْهِ ﷺ فَضَمُّوهُ إِلَىٰ صُدُورِهِمْ، وَقَبَّلُوا رَأْسَهُ وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالُوا: حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ وَحِيدٍ وَمَا أَنْتَ بِوَحِيدٍ إِنَّ اللهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا يَتِيمَاهُ!! اسْتُضْعِفْتَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ، فَقُتِلْتَ لِضَعْفِكَ، فَانْكَبُّوا عَلَيْهِ ﷺ فَضَمُّوهُ إِلَىٰ صُدُورِهِمْ، وَقَبَّلُوا رَأْسَهُ وَمَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالُوا: حَبَّذَا أَنْتَ مِنْ يَتِيمٍ مَا أَكْرَمَكَ عَلَىٰ اللهِ، لَوْ تَعْلَمُ مَاذَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ، فَحَمَلُوهُ ﷺ حَتَّىٰ وَصَلُوا بِهِ إِلَىٰ شَفِيرِ الْوَادِي، فَلَمَّا

بَصُرَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ حَلِيمَةُ، قَالَتْ: يَا بُنَيَّ أَلَا أَرَاكَ حَيًّا بَعْدُ!! ثُمَّ انْكَبَّتْ عَلَيْهِ ﷺ وَضَمَّتْهُ إِلَىٰ صَدْرِهَا وَاحْتَمَلَتْهُ إِلَىٰ أُمِّهِ السَّيِّدَةِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، وَقَصَّتْ عَلَيْهَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ آمِنَةُ: إِنَّ لِابْنِي لَشَأْنًا أَفَلَا أُخْبِرُكِ بِخَبَرِهِ: لَقَدْ رَأَيْتُ حِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أَضَاءَ لِي قُصُورَ بُصْرَىٰ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، ثُمَّ حَمَلْتُ بِهِ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمْلٍ قَطُّ أَخَفَّ وَلَا أَيْسَرَ مِنْ حَمْلِهِ، وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْتُهُ وَإِنَّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، دَعِيهِ عَنْكِ وَانْطَلِقِي رَاشِدَةً. وَفِي هَذَا الْوَصْفِ الْكَرِيمِ لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ كَمَالِ عُبُودِيَّتِهِ للهِ عَزَّوَجَلَّ مَعَ كَمَالِ التَّوْحِيدِ لَهُ سُبْحَانَهُ.

۞ وَظَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَضَانَةِ أُمِّهِ السَّيِّدَةِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، وَرِعَايَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ سِتَّ سِنِينَ، تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ السَّيِّدَةُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ حَيْثُ كَانَتْ قَدْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَىٰ أَخْوَالِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ بِالْمَدِينَةِ، تُزِيرُهُ ﷺ إِيَّاهُمْ، وَبَعْدَ أَنْ مَكَثَتْ عِنْدَهُمْ شَهْرًا، مَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ. وَجَاءَ فِي السِّيرَةِ الْحَلَبِيَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي عُمْرَةِ الْحُدَيْبِيَةِ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِمُحَمَّدٍ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ**»، فَأَتَاهُ وَأَصْلَحَهُ وَبَكَىٰ عِنْدَهُ وَبَكَىٰ الْمُسْلِمُونَ لِبُكَائِهِ، فَلَمَّا قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، قَالَ ﷺ: «**أَدْرَكَتْنِي رَحْمَتُهَا فَبَكَيْتُ**».

۞ وَبِوَفَاةِ أُمِّهِ ﷺ صَارَ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهَا فِي حَضَانَةِ السَّيِّدَةِ بَرَكَةَ أُمِّ أَيْمَنَ الَّتِي وَرِثَهَا عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللهِ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ ﷺ يَقُولُ لَهَا: «**أَنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي**»، يَرْعَاهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ الَّذِي تَوَلَّىٰ كَفَالَتَهُ.

٢. عَظَمَةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ:

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾(١). وَهَذَا مِمَّا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ حَيْثُ جَاءَ فِي خَوَاتِيمِ سُورَةِ «الضُّحَىٰ» ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(٢)، فَعِنَايَتُهُ سُبْحَانَهُ وَرِعَايَتُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ هِيَ مِمَّا أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، إِذْ جَعَلَهُ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَلْقَىٰ فِي قَلْبِ

(١) الضحىٰ الآية (٦). (٢) الضحىٰ الآية (١١).

جَدِّهِ مَحَبَّتَهُ، فَلَقَدْ كَانَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا وَيَقُولُ: عَلَيَّ بِابْنِي أَحْضِرُوهُ، وَيُجْلِسُهُ إِلَىٰ جَنْبِهِ، وَرُبَّمَا أَقْعَدَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ، فَيُؤْثِرُهُ بِأَطْيَبِ طَعَامِهِ.

۞ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَتِيمًا﴾. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: مَجَازُ الْآيَةِ يَعْنِي أَلَمْ يَجِدْكَ وَاحِدًا فِي شَرَفِكَ لَا نَظِيرَ لَكَ، فَآوَاكَ اللهُ بِمَنْ يَحْفَظُكَ وَيَرْعَاكَ، وَمَنْ كَانَ وَصْفُهُ هَكَذَا تَقُولُ لَهُ الْعَرَبُ: «**الدُّرَّةُ الْيَتِيمَةُ**» وَهَذَا عَلَىٰ التَّحْقِيقِ هُوَ وَصْفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي نَالَ مِنَ الشَّرَفِ مَا لَمْ يَحْظَ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَلَقَدْ نَالَ ﷺ هَذَا الشَّرَفَ الْعَظِيمَ فِي كُلِّ أَطْوَارِ حَيَاتِهِ، فَفِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَانَ يَجْلِسُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ فِي فِنَاءِ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَهُ مِنْ فِرَاشِ جَدِّهِ قَالَ جَدُّهُ: «**دَعُوا ابْنِي فَوَاللهِ إِنَّ لَهُ لَشَأْنًا، ثُمَّ يُجْلِسُهُ عَلَيْهِ مَعَهُ وَيَمْسَحُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، وَيَسُرُّهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ حَفِيدُهُ** ﷺ».

۞ وَمِمَّا يُؤْثَرُ عَنْهُ ﷺ وَهُوَ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ مَا بَعَثَهُ جَدُّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَّا وَقَضَاهَا اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، وَلَقَدْ ضَلَّتْ يَوْمًا إِبِلٌ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَبَعَثَ بَنِيهِ يَطْلُبُونَهَا فَمَا اسْتَطَاعُوا، فَبَعَثَ حَفِيدَهُ ﷺ فَأَتَاهُ بِهَا. وَمِنْ بَرَكَتِهِ ﷺ أَنَّ جَدَّهُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ كَانَتْ تَأْتِيهِ الْقَبَائِلُ فِي أَعْوَامِ الْجَدْبِ، لِيَسْتَسْقِيَ لَهَا، فَأَتَتْهُ فِي عَامٍ مِنْ أَعْوَامِ الْجَدْبِ قَبِيلَتَانِ هُمَا: قَيْسُ وَمُضَرُ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَسْتَسْقِيَ لَهُمْ، فَوَضَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ النَّبِيَّ ﷺ فِي حِجْرِهِ تَبَرُّكًا بِهِ، وَرَفَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّ الْأَرْبَابِ، وَمُلَيِّنَ الصِّعَابِ، إِنَّ قَيْسَ وَمُضَرَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، وَإِنَّهُ قَدْ شَعِثَتْ رُءُوسُهَا، وَجَدَبَتْ ظُهُورُهَا... وَمَا أَنِ انْتَهَىٰ مِنْ دُعَائِهِ حَتَّىٰ أَتَتْ سَحَابَةٌ تَمُرُّ مِنْ فَوْقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَسِيرُ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: ارْجِعُوا إِلَىٰ بِلَادِكُمْ فَقَدْ سُقِيتُمْ.

۞ وَقَدْ كَشَفَ عَنْ عَظِيمِ شَأْنِهِ ﷺ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ، لِمَا رَوَاهُ صَاحِبُ السِّيرَةِ الْحَلَبِيَّةِ عَنْ صَاحِبِ كِتَابِ «**كَرِيمُ النُّدَمَاءِ وَنَدِيمُ الْكُرَمَاءِ**» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَمَدَتْ عَيْنُهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَقَالَ قَائِلٌ لِجَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: إِنَّ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ رَاهِبًا يَرْقِي مِنَ الرَّمَدِ، وَقَدْ شُفِيَ عَلَىٰ يَدَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَأَخَذَهُ جَدُّهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَىٰ الرَّاهِبِ، فَنَظَرَ الرَّاهِبُ فِي صَحِيفَةٍ مَعَهُ،

وَقَالَ: هُوَ وَاللهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ إِنَّ دَوَاءَهُ مَعَهُ، قَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ الرَّاهِبُ: خُذْ مِنْ رِيقِهِ ﷺ، وَضَعْهُ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَشُفِيَ بِإِذْنِ اللهِ فِي الْحَالِ، ثُمَّ قَالَ الرَّاهِبُ: يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ هَذَا هُوَ الَّذِي أُقْسِمُ عَلَىٰ اللهِ بِهِ فَأُبْرِئُ الْمَرْضَىٰ وَأَشْفِي الْأَعْيُنَ مِنَ الرَّمَدِ.

۞ هَذِهِ بَعْضُ شَذَرَاتٍ مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، الَّذِي لَمْ يَلْبَثْ أَنَّ تُوُفِّيَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنْ وَفَاةِ السَّيِّدَةِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ وَالَّتِي تَرَكَتْهُ ﷺ وَهُوَ فِي السَّادِسَةِ مِنْ عُمْرِهِ، ثُمَّ تَرَكَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ الَّذِي تُوُفِّيَ وَهُوَ ﷺ فِي الثَّامِنَةِ مِنْ عُمْرِهِ، لِيَسْتَقْبِلَ مَرْحَلَةً أُخْرَىٰ مِنْ حَيَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ فِي كَفَالَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ.

٣. عَظَمَةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي كَفَالَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ:

۞ لَمَّا حَضَرَتْ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ الْوَفَاةُ أَوْصَىٰ أَبَا طَالِبٍ عَمَّ النَّبِيِّ ﷺ وَشَقِيقَ وَالِدِهِ عَبْدِ اللهِ بِكَفَالَةِ سَيِّدِ الْأَنَامِ ﷺ، وَأَلْقَىٰ اللهُ فِي قَلْبِ أَبِي طَالِبٍ مَحَبَّةَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَا يَنَامُ إِلَّا بِجَانِبِهِ، وَكَانَ لِأَبِي طَالِبٍ عِيَالٌ كَثِيرٌ إِذَا طَعِمُوا فُرَادَىٰ أَوْ جَمَاعَةً لَا يَشْبَعُونَ، وَإِذَا طَعِمَ مَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ شَبَعُوا، فَيَقُولُ لَهُ أَبُو طَالِبٍ: «**إِنَّكَ لَمُبَارَكٌ**».

۞ وَقَدْ عَصَمَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مُنْذُ صِغَرِهِ، فَلَمْ يَمَسَّ صَنَمًا قَطُّ، وَلَقَدْ غَضِبَ لِذَلِكَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ وَعَمَّاتُهُ أَشَدَّ الْغَضَبِ، فَلَمَّا سَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**إِنِّي كُلَّمَا دَنَوْتُ مِنْ صَنَمٍ مِنْهَا، تَمَثَّلَ لِي رَجُلٌ أَبْيَضُ يَصِيحُ بِي: وَرَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَمَسَّهُ**»، قَالَتْ حَاضِنَتُهُ أُمُّ أَيْمَنَ: فَمَا عَادَ إِلَىٰ عِيدٍ لَهُمْ حَتَّىٰ تَنَبَّأَ.

۞ وَنَشَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَحْفُوظًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ، فَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهِمُّونَ بِهِ إِلَّا لَيْلَتَيْنِ، كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمَا: قُلْتُ لَيْلَةً لِبَعْضِ فِتْيَانِ مَكَّةَ -وَنَحْنُ فِي رِعَاءِ غَنَمِ أَهْلِهَا-: «أَلَا تُبْصِرُ لِي غَنَمِي حَتَّىٰ أَدْخُلَ مَكَّةَ، أَسْمُرُ فِيهَا كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ»؟** فَقَالَ: بَلَىٰ، قَالَ ﷺ: «**فَدَخَلْتُ حَتَّىٰ جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ، فَسَمِعْتُ عَزْفًا بِالْغَرَابِيلِ وَالْمَزَامِيرِ، فَقُلْتُ:**

مَا هَذَا؟ قَالُوا: تَزَوَّجَ فُلَانٌ فُلَانَةً، فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ، وَضَرَبَ اللهُ عَلَىٰ أُذُنَيَّ، فَوَاللهِ مَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ صَاحِبِي فَقَالَ لِي: مَاذَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا، ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي رَأَيْتُ». (رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَابْنُ عَسَاكِرَ)

۞ ثُمَّ قُلْتُ لِصَاحِبِي لَيْلَةً أُخْرَي: «أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّىٰ أَسْمُرَ، فَفَعَلَ، فَلَمَّا جِئْتُ مَكَّةَ، سَمِعْتُ مِثْلَ الَّذِي سَمِعْتُهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَسَأَلْتُ فَقِيلَ: نَكَحَ فُلَانٌ فُلَانَةً، فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ، فَضَرَبَ اللهُ عَلَىٰ أُذُنَيَّ، فَوَاللهِ مَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: لَا شَيْءَ ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، فَوَاللهِ مَا هَمَمْتُ وَلَا عُدْتُ بَعْدَهَا لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ أَكْرَمَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنُبُوَّتِهِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

٤. رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَحَارُ فِيهِ النَّاظِرُونَ:

۞ كَانَ ﷺ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ يَحْضُرُ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ دَارَ النَّدْوَةِ الَّتِي كَانَ يَحْضُرُهَا أَشْرَافُ قُرَيْشٍ، وَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي مَجْلِسِهِمْ شَيْخٌ يَمَنِيٌّ، وَجَعَلَ ذَلِكَ الشَّيْخُ يَنْظُرُ إِلَىٰ الْجَالِسِينَ، ثُمَّ أَطَالَ النَّظَرَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَدْهَشَهُ مَا رَآهُ مِنْ نَظَرَاتِهِ ﷺ، حَيْثُ كَانَ ﷺ إِذَا سَرَّهُ أَمْرٌ انْشَرَحَ وَانْبَسَطَ، وَإِذَا أَحْزَنَهُ أَمْرٌ تَغَيَّرَ وَانْقَبَضَ، فَقَالَ الشَّيْخُ الْيَمَنِيُّ: وَاللهِ مَا أَدْهَشَنِي مِنْكُمْ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أَدْهَشَنِي مِنْ أَمْرِ هَذَا الْغُلَامِ، إِنَّ لَهُ نَظْرَتَيْنِ، لَوْ كَانَتِ الْأُولَىٰ فِي مَيِّتٍ لَأَحْيَتْهُ، وَلَوْ كَانَتِ الثَّانِيَةُ فِي جَمَادٍ لَاخْتَرَقَتْهُ.

٥. بُشْرَى بِنُبُوَّتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم:

۞ لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، خَرَجَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إِلَىٰ الشَّامِ لِلتِّجَارَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّكْبُ بُصْرَىٰ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، كَانَ بِبُصْرَىٰ رَاهِبٌ يُقَالُ لَهُ بَحِيرَىٰ فِي صَوْمَعَةٍ لَهُ، وَكَانَ يُطِلُّ عَلَىٰ الرَّكْبِ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ جَالِسٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ، قَالَ بَحِيرَىٰ: إِنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ لَا يَجْلِسُ تَحْتَهَا إِلَّا نَبِيٌّ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا بِالْأَشْجَارِ سَاجِدَةً فَقَالَ بَحِيرَىٰ: إِنَّ هَذِهِ الْأَشْجَارَ لَا تَسْجُدُ إِلَّا لِمَقْدِمِ نَبِيٍّ، وَدَعَا بَحِيرَىٰ الرَّكْبَ إِلَىٰ طَعَامٍ فَحَضَرُوا وَتَخَلَّفَ رَسُولُ

اللهِ ﷺ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ فِي رِحَالِ الْقَوْمِ، فَقَالَ بَحِيرَىٰ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ طَعَامِي، فَذَهَبَ رَجُلٌ مِنَ الرَّكْبِ وَاحْتَضَنَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَحْضَرَهُ، وَطَعِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ، وَبَحِيرَىٰ يَلْحَظُهُ لَحْظَاً شَدِيدَاً، وَيَنْظُرُ إِلَىٰ أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ، قَدْ كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا، قَامَ إِلَيْهِ بَحِيرَىٰ فَقَالَ: يَا غُلَامُ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى؛ فَوَاللهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئَاً قَطُّ بُغْضَهُمَا**»، قَالَ بَحِيرَىٰ: فَبِاللهِ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ فَقَالَ: «**سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ**»، فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ وَنَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخْبِرُهُ، فَيُوَافِقُ مَا يُخْبِرُهُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ صِفَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَىٰ ظَهْرِهِ، فَرَأَىٰ خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، عَلَىٰ مَوْضِعٍ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَىٰ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا الْغُلَامُ مِنْكَ؟ قَالَ: ابْنِي، قَالَ بَحِيرَىٰ: مَا هُوَ بِابْنِكَ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغُلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيَّاً، قَالَ أَبُو طَالِبٍ: فَإِنَّهُ ابْنُ أَخِي، قَالَ بَحِيرَىٰ: فَمَا فَعَلَ أَبُوهُ؟ قَالَ: مَاتَ وَأُمُّهُ حُبْلَىٰ بِهِ، قَالَ بَحِيرَىٰ: صَدَقْتَ، فَارْجِعْ بِابْنِ أَخِيكَ إِلَىٰ بَلَدِهِ وَاحْذَرْ عَلَيْهِ يَهُودَ، فَوَاللهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنَّهُ شَرَّاً، فَإِنَّهُ كَائِنٌ لِابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ، فَأَسْرِعْ بِهِ إِلَىٰ بِلَادِهِ.

۞ فَخَرَجَ بِهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ سَرِيعَاً حَتَّىٰ أَقْدَمَهُ مَكَّةَ، حِينَ فَرَغَ مِنْ تِجَارَتِهِ بِالشَّامِ، وَشَبَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَكْلَؤُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ دَنَسِ الْجَاهِلِيَّةِ، لِمَا يُعِدُّهُ لَهُ مِنْ إِكْرَامِهِ بِنُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَشَبَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَكَانَ أَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقَاً، وَأَكْرَمَهُمْ حَسَبَاً، وَأَحْسَنَهُمْ جِوَارَاً، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمَاً، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثَاً، وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً، وَأَبْعَدَهُمْ عَنِ الْفُحْشِ تَنَزُّهَاً وَتَكَرُّمَاً، حَتَّىٰ صَارَ اسْمُهُ فِي الْقَوْمِ «**الصَّادِقَ الْأَمِيْنَ**» لِمَا جَمَعَهُ اللهُ فِيهِ مِنْ فَضَائِلِ الصِّفَاتِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي امْتَدَحَهُ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

(١) القلم الآية (٤).

٦. **عَظَمَةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وَالْمُثُلُ الْعُلْيَا:**

۞ **كَانَ مِنْ شَوَاهِدِ عَظَمَتِهِ ﷺ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ تَشْهَدُ بِمَوَاقِفِهِ الْخَالِدَةِ الَّتِي سَجَّلَهَا التَّارِيخُ لِحَضْرَتِهِ ﷺ، نَذْكُرُ مِنْهَا الْآتِي:**

١. حُضُورُهُ ﷺ حَرْبَ الْفِجَارِ مَعَ أَعْمَامِهِ، حَيْثُ كَانَ يَدْفَعُ بَغْيَ الْبَاغِينَ. وَكَانَتْ هَذِهِ الْحَرْبُ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ مِنْ جَانِبٍ وَبَيْنَ هَوَازِنَ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، وَذَلِكَ حِينَ اسْتَحَلَّتْ هَوَازِنُ حُرُمَاتِ مَكَّةَ الَّتِي كَانَتْ مُقَدَّسَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، وَقَدِمَتْ لِتُقَاتِلَ فِيهَا قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ، وَفِيهَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُنْتُ أُنَبِّلُ عَلَىٰ أَعْمَامِي**»، أَيْ: أَرُدُّ عَنْهُمْ نَبْلَ عَدُوِّهِمْ، وَهُوَ ﷺ حِينَذَاكَ فِي الْخَامِسَةَ عَشَرَ مِنْ عُمْرِهِ.

٢. حُضُورُهُ ﷺ حِلْفَ الْفُضُولِ وَفِيهِ تَعَاهَدَتْ قُرَيْشٌ عَلَىٰ نُصْرَةِ الْمَظْلُومِ، وَأَخْذِ الْحَقِّ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ، وَكَانَ يَنْعَقِدُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ، وَفِيهِ يَقُولُ ﷺ: «**مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِحِلْفٍ حَضَرْتُهُ فِي دَارِ ابْنِ جَدْعَانَ حُمْرَ النَّعَمِ**».

۞ كَانَ مِنْ ثَمَرَةِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَمَا عُرِفَ عَنْهُ ﷺ مِنَ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ، الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا سَمُّوهُ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ، أَنْ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها لِيَتَّجِرَ لَهَا فِي مَالِهَا بِبِلَادِ الشَّامِ، وَقَالَتْ لَهُ: أُعْطِيكَ ضِعْفَ مَا أُعْطِي رَجُلًا مِنْ قَوْمِكَ، فَخَرَجَ مَعَ غُلَامِهَا مَيْسَرَةَ حَتَّىٰ قَدِمَ بُصْرَىٰ بِبِلَادِ الشَّامِ، فَنَزَلَا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَقَالَ نَسْطُورُ الرَّاهِبُ: مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ، ثُمَّ قَالَ لِمَيْسَرَةَ: أَفِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ لَا تُفَارِقُهُ، قَالَ: هُوَ نَبِيٌّ وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَانَ مَيْسَرَةُ يَرَىٰ -إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ- مَلَكَيْنِ يُظِلَّانِ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّمْسِ، فَوَعَىٰ ذَلِكَ كُلَّهُ مَيْسَرَةُ وَبَاعُوا تِجَارَتَهُمْ وَرَبِحُوا ضِعْفَ مَا كَانُوا يَرْبَحُونَ، فَلَمَّا رَجَعُوا أَخْبَرَهَا مَيْسَرَةُ بِمَا قَالَ الرَّاهِبُ، وَبِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَلَكَيْنِ فَضَاعَفَتْ لَهُ ضِعْفَ مَا سَمَّتْ لَهُ، وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها مِنْ أَشْرَفِ نِسَاءِ الْعَرَبِ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمُهُمْ شَرَفًا، وَأَكْثَرُهُمْ مَالًا، وَكُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ الزَّوَاجِ مِنْهَا لَوْ تَيَسَّرَ لَهُ ذَلِكَ، لَكِنَّهَا عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ لَهُ: **يَا ابْنَ عَمِّ، إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِيكَ**

لِقَرَابَتِكَ وَشَرَفِكَ فِي قَوْمِكَ، وَأَمَانَتِكَ وَحُسْنِ خُلُقِكَ، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ، فَلَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ، فَخَرَجَ مَعَهُ عَمُّهُ الْحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ أَبِيهَا خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ ابْنُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَخَدِيجَةُ رضي الله عنها بِنْتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَشَهِدَ عَقْدَ زَوَاجِهِمَا رُؤَسَاءُ مُضَرَ وَسَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، وَقَامَ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَزَرْعِ إِسْمَاعِيلَ.. وَجَعَلَ لَنَا بَيْتًا مَحْجُوجًا وَحَرَمًا آمِنًا، وَجَعَلَنَا الْحُكَّامَ عَلَىٰ النَّاسِ. ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَخِي هَذَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ لَا يُوزَنُ بِرَجُلٍ إِلَّا رَجَحَ بِهِ شَرَفًا وَنُبْلاً وَفَضْلاً وَعَقْلاً. فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قِلًّا، فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَأَمْرٌ حَائِلٌ، وَمُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ، وَقَدْ خَطَبَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، وَبَذَلَ لَهَا مَا آجِلُهُ وَعَاجِلُهُ كَذَا، وَهُوَ وَاللهِ بَعْدَ هَذَا لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ وَخَطَرٌ جَلِيلٌ جَسِيمٌ**».

وَكَانَ الَّذِي أَمْهَرَ بِهِ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها عِشْرِينَ بَكْرَةً، وَالْبَكْرَةُ هِيَ النَّاقَةُ الصَّغِيرَةُ. ثُمَّ قَامَ بَعْدَ ذَلِكَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ عَمُّ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها فَقَالَ وَأَحْسَنَ. وَفِي ظِلِّ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ عَاشَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيَاةً طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا طُولَ حَيَاتِهَا، وَكَثِيراً مَا كَانَ يُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِهَا بَعْدَ مَمَاتِهَا وَيَقُولُ ﷺ: «**وَاللهِ مَا أَبْدَلَنِي اللهُ خَيْراً مِنْهَا: آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ مِنْهَا الْوَلَدَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

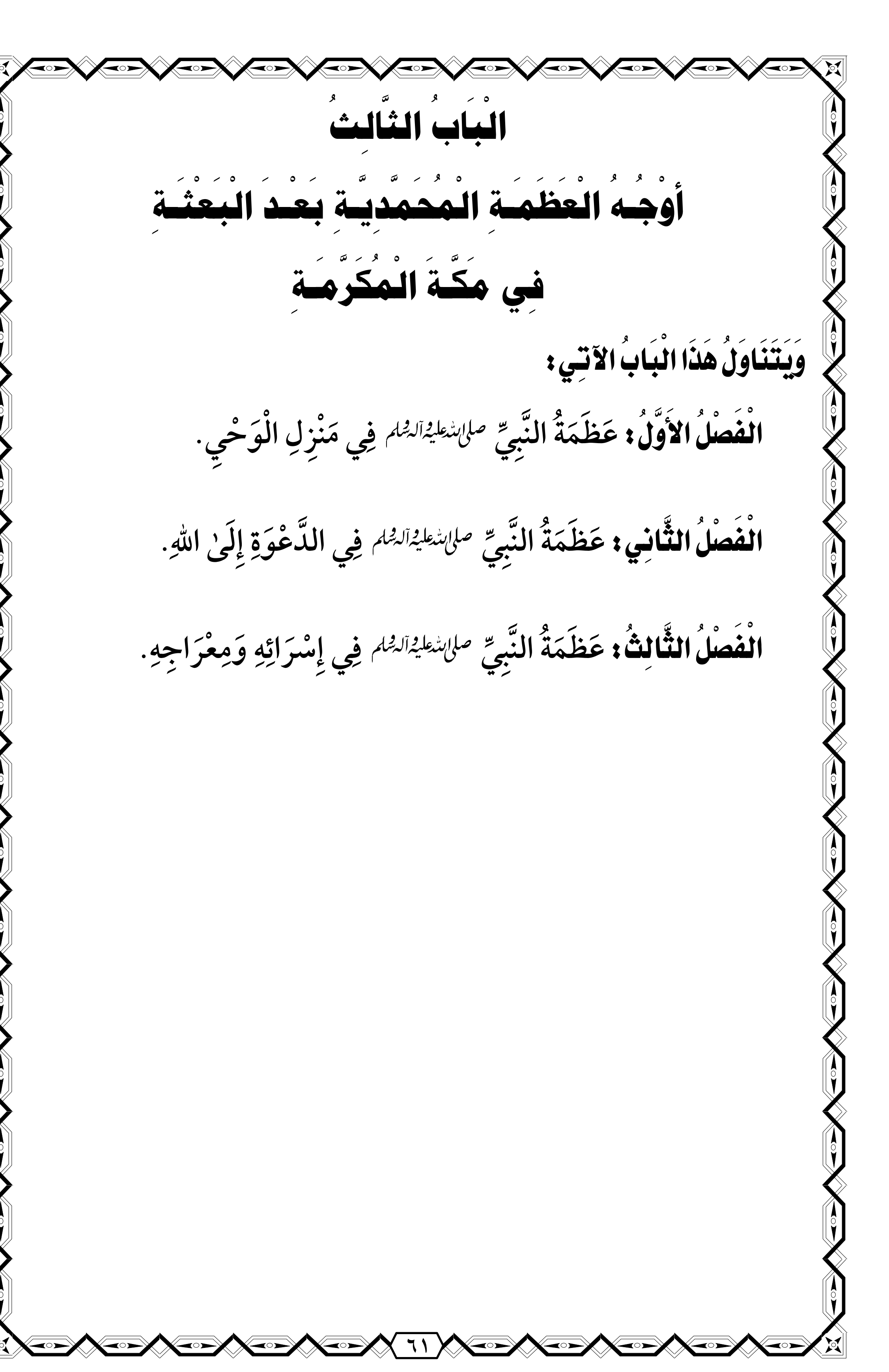
٣. كَانَ ﷺ يُتَحَاكَمُ إِلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ لِرَجَاحَةِ عَقْلِهِ وَحُسْنِ قَضَائِهِ، ثُمَّ اخْتُصَّ ﷺ بِذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ.

❁ وَفِي رَجَاحَةِ عَقْلِهِ وَحُسْنِ قَضَائِهِ ﷺ مَا رُوِيَ أَنَّ قُرَيْشًا حِينَمَا أَرَادَتْ تَجْدِيدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ، اخْتَلَفَتِ الْقَبَائِلُ مِنْ قُرَيْشٍ فِيمَنْ يَرْفَعُ الْحَجَرَ وَيَضَعُهُ فِي مَوْضِعِهِ، وَبَلَغَ الْأَمْرُ أَنَّ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ قَرَّبُوا جِفْنَةً مَمْلُوءَةً بِالدَّمِ، ثُمَّ تَعَاقَدُوا هُمْ وَبَنُو عُدَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَلَىٰ الْمَوْتِ، وَأَدْخَلُوا أَيْدِيَهُمْ فِي ذَلِكَ الدَّمِ فِي تِلْكَ الْجِفْنَةِ، فَقَامَ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا وَهُوَ أَبُو أُمَيَّةَ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَقَالَ: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فِيمَا تَخْتَلِفُونَ فِيهِ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ حَكَمًا بَيْنَكُمْ، فَفَعَلُوا، وَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، قَالَ ﷺ: «**هَلُمَّ**

إِلَيَّ ثَوْبَاً» فَأُتِيَ بِالثَّوْبِ فَأَخَذَ ﷺ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فَوَضَعَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِزَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الثَّوْبِ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعَاً**» فَرَفَعُوهُ، ثُمَّ وَضَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ فِي مَوْضِعِهِ.

وَكَانَ ﷺ حِينَئِذٍ فِي الْخَامِسَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُمْرِهِ، وَحَسَمَ ﷺ الْخِلَافَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ بِمَا آتَاهُ اللهُ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ سَبِيلاً لِدَعْوَتِهِ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ، وَبِهَا وَصَلَتْ دَعْوَتُهُ ﷺ إِلَىٰ إِقَامَةِ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، أَلَا وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1].

(١) النحل الآية (١٢٥).



الْبَابُ الثَّالِثُ

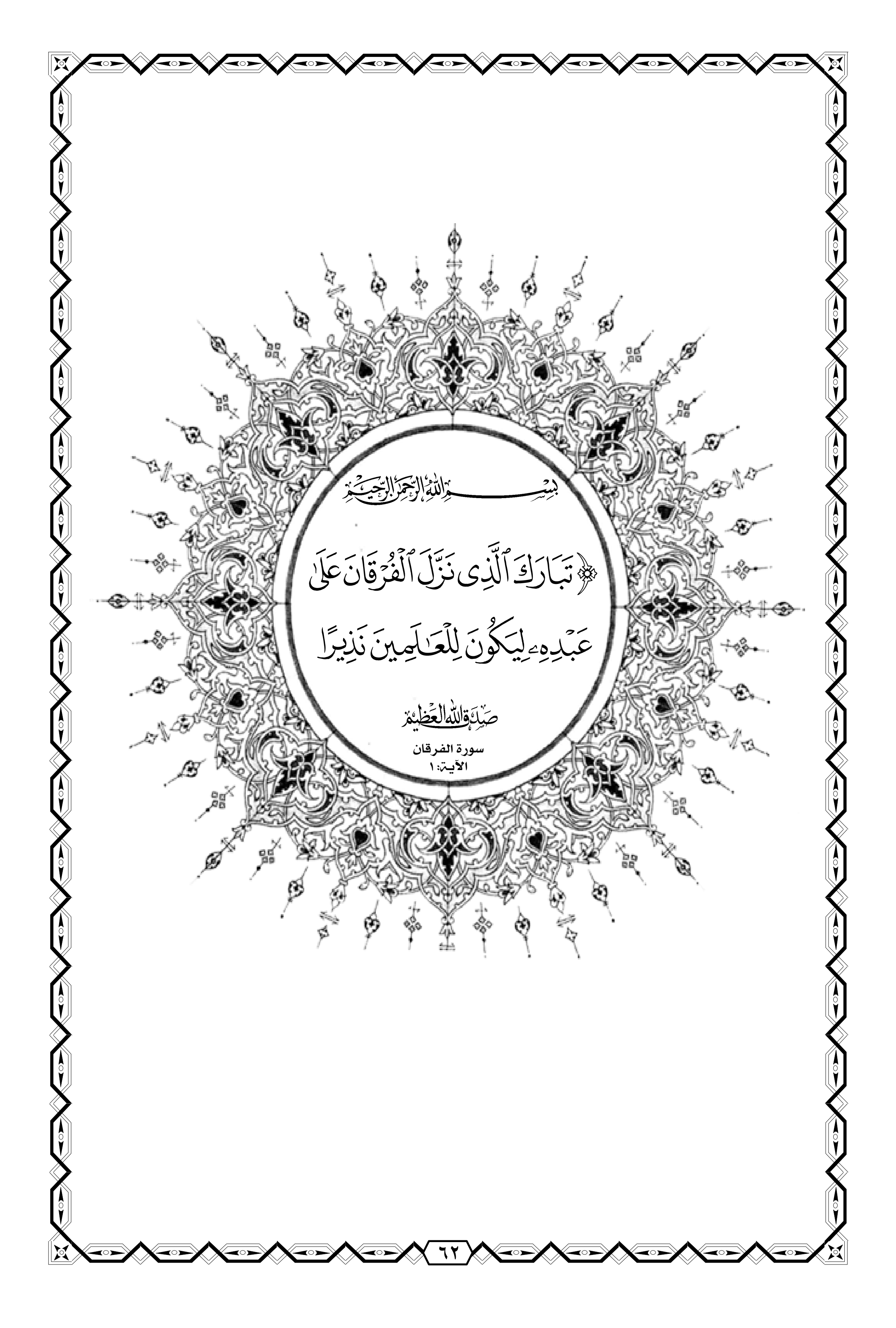
أَوْجُهُ الْعَظَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بَعْدَ الْبَعْثَةِ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ

وَيَتَنَاوَلُ هَذَا الْبَابُ الآتِي:

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي مَنْزِلِ الْوَحْيِ.

الْفَصْلُ الثَّانِي: عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي إِسْرَائِهِ وَمِعْرَاجِهِ.


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿تبارك الذي نزل الفرقان على
عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾
صدق الله العظيم
سورة الفرقان
الآية: ١

الْفَصْلُ الأَوَّلُ

عَظَمَـةُ النَّبِـيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي مَنْزِلِ الْوَحْيِ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1].

۞ فَهُوَ قُرْآنٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ، نَزَلَ عَلَىٰ نَبِيٍّ عَظِيمِ القَدْرِ، فِي لَيْلَةٍ عَظِيمَةِ الْقَدْرِ مِنْ شَهْرٍ عَظِيمِ الْقَدْرِ، إِلَىٰ أُمَّةٍ عَظِيمَةِ الْقَدْرِ. وَلَقَدْ وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[2]. وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ مَجِيدٌ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾[3]، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ عَزِيزٌ ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾[4]، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ كَرِيمٌ ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾[5]. وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[6]، وَوَصَفَهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ نُورٌ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾[7]، وَوَصَفَهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ جَامِعٌ لِخِصَالِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[8]. وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾[9]، وَوَصَفَهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ جَاءَ جَامِعًا لِمَا أَتَتْ بِهِ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ، وَزَادَ عَلَيْهَا مِنَ الْكَمَالَاتِ مَا لَيْسَ فِيهَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[10]، وَأَعْجَزَ بِهِ فَقَالَ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[11]. وَتَكَفَّلَ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ بِحِفْظِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[12]. وَهُوَ الرِّسَالَةُ الْجَامِعَةُ لِلْكَمَالِ وَالتَّمَامِ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[13]. وَأَمَامَ جَلَالِ

---

(١) الإسراء الآية (٩).
(٢) الحجر الآية (٨٧).
(٣) ق الآية (١).
(٤) فصلت الآية (٤١).
(٥) الواقعة الآية (٧٧).
(٦) الزخرف الآية (٤).
(٧) الأعراف الآية (١٥٧).
(٨) يونس الآية (٥٧).
(٩) الأنعام الآية (٩٢).
(١٠) المائدة الآية (٤٨).
(١١) الإسراء الآية (٨٨).
(١٢) الحجر الآية (٩).
(١٣) المائدة الآية (٣).

الْقُرْآنِ وَعَظَمَتِهِ وَعُلُوِّ شَأْنِهِ، نَتَسَاءَلُ: كَيْفَ يَكُونُ قَدْرُ مَنْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي لَمْ يَخُصَّ بِهِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ؟ الْجَوَابُ: إِنَّهُ النَّبِيُّ الْأَعْظَمُ وَالرَّسُولُ الْأَكْرَمُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ الَّذِي اصْطَفَاهُ رَبُّهُ مِنْ بَيْنِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؛ لِيَكُونَ خَاتِمَ النَّبِيِّينَ، وَالرَّحْمَةَ الْعَامَّةَ لِلْعَالَمِينَ، وَالسِّرَاجَ الْمُنِيرَ الَّذِي يُهْتَدَىٰ بِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ؛ لِأَنَّ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّمَا أَتَىٰ بِهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

۞ لَقَدْ أَعَدَّ اللهُ حَبِيبَهُ لِهَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، فَحَبَّبَ إِلَيْهِ الْخَلْوَةَ، فَكَانَ يَخْتَلِي اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ بِغَارِ حِرَاءٍ، تَارِكًا مَا حَوْلَهُ مِنَ الْخَلْقِ؛ لِيَكُونَ أُنْسُهُ بِاللهِ وَحْدَهُ، يَذْكُرُهُ وَيُنَاجِيهِ، وَيَتَأَمَّلُ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْمُحِيطِ؛ لِيَرَىٰ عَجَائِبَ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَغَرَائِبَ الْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، ثُمَّ يَؤُوبُ مِنْ خَلْوَتِهِ بِطَرَائِفِ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، وَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ وَحْيُ السَّمَاءِ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا وَتَأْتِي مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَهَذَا أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ**».

۞ هَذِهِ هِيَ الْبِدَايَةُ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ الْحَدِيثُ عَنْ وَحْيِ السَّمَاءِ، حَيْثُ تَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: «**فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اِقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ ﷺ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اِقْرَأْ. قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾[2].

(١) الأعراف الآية (١٥٨).
(٢) العلق الآيات (١-٣).

❁ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ ؓ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي». فَقَالَتْ خَدِيجَةُ ؓ: «كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ».

❁ وبَعْدَ ذَلِكَ تَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ؓ: «فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ -ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ- وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: «يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَىٰ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَىٰ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا (أَيْ: قَوِيًّا شَدِيدًا)، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟». قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁ وبَعْدَ أَنْ فَتَرَ الْوَحْيُ عَادَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَنْ جَابِرٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[1]، فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ تَابِعُهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁❁❁❁❁

(١) المدثر الآيات (١-٥).

مَرَاتِبُ الْوَحْيِ

مَرَاتِبُ الْوَحْيِ ثَمَانِيَةُ مَرَاتِبَ، وَهِيَ عَلَى التَّفْصِيلِ الآتِي:

١. الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، وَهِيَ الَّتِي بُدِيءَ بِهَا ﷺ مِنَ الْوَحْيِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا وَتَأْتِي مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.

٢. مَا كَانَ يُلْقِيهِ الْمَلَكُ فِي رَوْعِهِ وَقَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَاهُ، وَفِي هَذَا يَقُولُ ﷺ: **«إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»**.

(رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالْحَاكِمُ)

٣. كَانَ يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُخَاطِبُهُ حَتَّىٰ يَعِيَ عَنْهُ مَا يَقُولُ لَهُ، فَقَدْ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ دَحْيَةَ الْكَلْبِيِّ. (رَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما)

٤. كَانَ يَأْتِيهِ الْمَلَكُ فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَكَانَ أَشَدَّهُ عَلَيْهِ، حَتَّىٰ أَنَّ جَبِينَهُ لِيَتَصَفَّدَ عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ)

٥. أَنْ يَرَىٰ الْمَلَكَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا، لَهُ سِتُّمَائَةِ جَنَاحٍ قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ، فَيُوحِي إِلَيْهِ مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ، وَهَذَا وَقَعَ لَهُ مَرَّتَيْنِ كَمَا فِي سُورَةِ النَّجْمِ.

٦. مَا أَوْحَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مِنْ فَرْضِ الصَّلَوَاتِ وَغَيْرِهَا.

٧. كَلَامُ اللهِ لَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ ﷺ بِلَا وَاسِطَةِ مَلَكٍ، كَمَا كَلَّمَ مُوسَىٰ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٨. تَكْلِيمُ اللهِ لَهُ كِفَاحًا مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ.

۞ وَمِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ تَنْجَلِي عَظَمَةُ النَّبِيِّ ﷺ، حَيْثُ يُخَاطِبُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَيَقُولُ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

۞ فَإِذَا كَانَتِ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ الشَّامِخَاتُ لَا تَتَثَبَّتُ لِنُزُولِ الْقُرْآنِ، إِذْ أَنَّهُ لَوْ نَزَلَ عَلَيْهَا لَتَصَدَّعَتْ، فَمَا بَالُكَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي فَاقَ الْجِبَالَ فِي ثَبَاتِهَا، وَالْوَحْيُ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ تِبَاعًا

---

(١) الحشر الآية (٢١).

فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. (أَوْرَدَ الْقُرْطُبِيُّ هَذَا الْمَعْنَىٰ فِي تَفْسِيرِهِ)

۞ وَكَمَا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَهُ ثِقَلُهُ عِنْدَ نُزُولِهِ، فَهُوَ لَهُ كَذَلِكَ لَذَّتُهُ وَحَلَاوَتُهُ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْجَلُ بِهِ لِسَانَهُ وَجِبْرِيلُ عليه السلام يَقْرَأُهُ عَلَيْهِ ﷺ، فَيَنْزِلُ الْوَحْيُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ مُطَمْئِنًا وَمُبَشِّرًا نَبِيَّهِ ﷺ بِأَنَّ اللهَ جَامِعُهُ لَهُ فِي صَدْرِهِ الشَّرِيفِ، وَمُبَيِّنًا لَهُ مَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْحُدُودِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾(١). فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ عليه السلام قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❀❀❀❀❀

تَأَمُّلَاتٌ فِي وَحْيِ السَّمَاءِ

۞ إِذَا تَأَمَّلْنَا فِيمَا صَنَعَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، حِينَ غَطَّ النَّبِيَّ ﷺ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ، صَنَعَ ذَلِكَ مَعَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، نَرَىٰ أَنَّ فِي ذَلِكَ تَنْبِيهًا لِعِظَمِ مَا يُلْقَىٰ عَلَيْهِ ﷺ مِنْ بَعْدُ، أَلَا وَهُوَ وَحْيُ رَبِّهِ، فَإِنَّ الشَّأْنَ الْعَظِيمَ لَابُدَّ لَهُ مِنْ إِعْدَادٍ قَبْلَ حُدُوثِهِ، فَكَانَ فِي هَذَا إِعْدَادٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَتَشْوِيقٌ لِمَعْرِفَةِ مَا يَأْتِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَيْثُ يَقُولُ لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام: اقْرَأْ، فَيَقُولُ ﷺ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، لِأَنَّهُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي لَا عَهْدَ لَهُ بِالْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ، فَكَانَ فِي هَذَا الْقَوْلِ الْكَرِيمِ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، اِعْتِرَافٌ بِالْعَجْزِ عَنِ الْقِرَاءَةِ، فَكَانَ اعْتِرَافُهُ ﷺ بِالْعَجْزِ هُوَ مِفْتَاحُ الْفَضْلِ الْإِلَهِيِّ الْأَعْظَمِ بِالْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ، وَكُنُوزِ الْعَوَارِفِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَأَوَّلُ أَبْوَابِ الْمَعْرِفَةِ هُوَ مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ الْبِدَايَةِ، فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ، فَالْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ الْبِدَايَةِ، خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ عَلَقٍ، وَالْعَلَقُ أَصْلُهَا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ صَارَ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ إِنْسَانًا عَلَىٰ أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ صُنْعِ الْقَادِرِ الْمُدَبِّرِ الْحَكِيمِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ هَكَذَا بِقُدْرَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَحِكْمَتِهِ لِيَكُونَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، اسْتَخْلَفَهُ فِيهَا لِعِمَارَتِهَا، وَخَيْرُ مَا يُعَمِّرُ بِهِ الْإِنْسَانُ هَذِهِ الْأَرْضَ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَصِلُ الْإِنْسَانَ بِرَبِّهِ ﴿ عَلَّمَ

(١) القيامة الآيات (١٦-١٩).

ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[1].

۞ وَحِينَ نَتَأَمَّلُ فِيمَا حَدَثَ لَهُ ﷺ عِنْدَ بَدْأِ الْوَحْيِ مِنَ الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ عِنْدَمَا غَطَّاهُ جِبْرِيلُ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَهُ، وَفِي عَوْدَتِهِ ﷺ إِلَىٰ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها خَائِفًا فَزِعًا يَقُولُ ﷺ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، نَرَىٰ أَنَّ عِنَايَةَ اللهِ تَعَالَىٰ قَدْ طَلَبَتْهُ لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَذَلِكَ دُونَ أَنْ يَجْرِيَ بِخَاطِرِهِ وَحُسْبَانِهِ مَا حَدَثَ مِنْ جِبْرِيلَ عليه السلام وَمَا فِيهِ مِنَ الِاصْطِفَاءِ الْإِلَهِيِّ لِنَبِيِّهِ ﷺ.

۞ وَهَكَذَا إِعْدَادُ اللهِ لِأَنْبِيَائِهِ يَأْتِي عَلَىٰ غَيْرِ قَصْدٍ مِمَّا يَشْهَدُونَهُ حَالَ الِاصْطِفَاءِ مِنَ الْآيَاتِ الْعِظَامِ، فَهَذَا مُوسَىٰ عليه السلام يَسِيرُ بِأَهْلِهِ وَغَنَمِهِ عَائِدًا مِنْ مَدْيَنَ مُتَّجِهًا إِلَىٰ مِصْرَ بَعْدَ أَنْ أَتَمَّ الْأَجَلَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ صِهْرِهِ شُعَيْبَ عليه السلام، وَكَانَ مَسِيرُهُ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ مُمْطِرَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، يَقْدَحُ فِيهَا زِنَادُهُ لِيُورِيَ نَارًا، فَلَا يَقْدَحُ زِنَادُهُ شَيْئًا، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا، فَقَالَ مُبَشِّرًا لِأَهْلِهِ: ﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾[2]. وَتَوَجَّهَ عليه السلام إِلَىٰ النَّارِ، فَإِذَا هُوَ بِعِنَايَةِ اللهِ تَعَالَىٰ تَطْلُبُهُ وَتُنَادِيهِ، وَإِذَا بِالْأَمْرِ لَيْسَ بِجَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ تَحْفَظُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ، وَإِنَّمَا كَانَتِ النَّارُ الَّتِي أُونِسَ بِهَا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ، إِشَارَةً مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِمُوسَىٰ عليه السلام، مِنْ وَرَائِهَا نِدَاءٌ بِاصْطِفَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ بِالنُّبُوَّةِ ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[3]. كُلُّ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِ مُوسَىٰ عليه السلام مِنْ قَبْلُ مَا تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِهِ رَبُّهُ مِنْ بَعْدُ، لَكِنَّهَا الْعِنَايَةُ مِنَ اللهِ سَبَقَتْ، وَالنُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَصَلَتْ، يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه:

لَمْ يَقْصِدَنَّ لَكِنْ عِنَايَةَ رَبِّهِ ... أَوْلَتْهُ رَاحَ الِاصْطِنَاعِ وَفِي وِصَالِ

۞ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾[4] أَيِ اقْرَأْ وَرَبُّكَ يُعِينُكَ بِفَضْلِهِ وَإِكْرَامِهِ عَلَىٰ الْقِرَاءَةِ وَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَارِئٍ.

۞ كَذَلِكَ حِينَ نَتَأَمَّلُ فِي قَوْلِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها حِينَ أَخْبَرَهَا بِمَا رَأَىٰ فِي حِرَاءَ فَتَقُولُ

---

(١) العلق الآية (٥).
(٢) طه الآية (١٠).
(٣) طه الآية (١٤).
(٤) العلق الآية (٣).

مُطَمْئِنَةً لِرَوْعِهِ: «**كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ**»، نَرَىٰ أَنَّهَا مَا قَالَتْ هَذَا الْقَوْلَ الْكَرِيمَ إِلَّا لِأَنَّهَا عَلِمَتْ حَقًّا وَصِدْقًا: أَنَّ الْخَيْرَ لَا يَصْحَبُهُ وَلَا يَأْتِي مِنْهُ إِلَّا الْخَيْرُ، وَأَنَّ الْخَيْرَ لَا يَعْقُبُهُ إِلَّا خَيْرٌ، وَهَذَا هُوَ مَا تَحَلَّىٰ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. ثُمَّ جَاءَ قَوْلُ ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ لِيَكْشِفَ الْغِطَاءَ عَنْ حَقِيقَةِ مَا قَالَتْ، فَيَقُولُ: «**إِنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَهُ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ**»، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ مِمَّا عَلِمَهُ مِنْ صِفَتِهِ وَنَعْتِهِ ﷺ، وَالَّتِي جَاءَتْ مُوَافِقَةً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ. وَكُلُّ هَذِهِ شَوَاهِدُ عَلَىٰ عَظَمَتِهِ ﷺ، فَهُوَ رَسُولُ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ الَّذِي قَالَ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ: «**بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه)

❁ فَالْأَخْلَاقُ كَالْبُنْيَانِ الَّذِي وَضَعَ اللهُ فِيهِ عَلَىٰ يَدِ كُلِّ نَبِيٍّ لَبِنَةً، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ الْخَاتَمُ ﷺ لِيَضَعَ بِإِذْنِ رَبِّهِ لَبِنَةَ التَّمَامِ، حَيْثُ يَنْتَهِي لِسِدْرَتِهِ الْعُلْيَا، وَأُفُقِهِ الْأَسْمَىٰ كُلُّ خُلُقٍ زَكِيٍّ، وَعَطَاءٍ بَاهِرٍ سَنِيٍّ، فَفِي الْخُلُقِ الْكَرِيمِ يَمْتَدِحُهُ خَالِقُهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ فَيَقُولُ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وَكَمَا عَظَّمَهُ سُبْحَانَهُ فِي خُلُقِهِ، عَظَّمَهُ فِي عَطَائِهِ الَّذِي أَسْبَغَهُ عَلَيْهِ حِينَ افْتَتَحَ رِسَالَتَهُ بِالْعِلْمِ ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2] فَقَالَ فِي مَقَامِ الِامْتِنَانِ الْإِلَهِيِّ بِالْعِلْمِ ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[3]. فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْطَىٰ وَتَفَضَّلَ، وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ، وَخَصَّهُ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَأَمَرَنَا نَحْنُ أُمَّتَهُ بِتَعْظِيمِهِ وَتَوْقِيرِهِ، فَقَالَ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[4]. وَالتَّوْقِيرُ هُنَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

---

(١) القلم الآية (٤).
(٢) العلق الآية (٥).
(٣) النساء الآية (١١٣).
(٤) الفتح الآية (٩).

الفَصْلُ الثَّانِي

عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

❁ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

❁ بَدَأَتْ دَعْوَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَوَّلَ مَا بَدَأَتْ فِي بَيْتِ النُّبُوَّةِ الْكَرِيمِ، فَآمَنَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها، وَصَدَّقَتْ بِمَا جَاءَ بِهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنَ الْبَشَرِ عَامَّةً وَمِنَ النِّسَاءِ خَاصَّةً، وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ رَبِيبُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ الَّذِي تَرَبَّىٰ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ يَوْمَئِذٍ عَشْرُ سَنَوَاتٍ، ثُمَّ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ سَيِّدُنَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنَ الْمَوَالِي، ثُمَّ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم. وَفِيهِ يَقُولُ صلى الله عليه وآله وسلم: **«مَا دَعَوْتُ أَحَداً إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ فِيهِ عِنْدَهُ كَبْوَةٌ وَنَظَرٌ وَتَرَدُّدٌ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، مَا تَلَبَّثَ عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتُهُ لَهُ، وَمَا تَرَدَّدَ فِيهِ»**. (السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

❁ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه آلِفاً مَأْلُوفاً مُحَبَّباً فِي قُرَيْشٍ لَيِّناً سَهْلاً، فَجَعَلَ يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، مِمَّنْ يَغْشَاهُ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِ، فَكَانَ بِذَلِكَ مُؤَازِراً وَنَصِيراً لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَدْ أَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ رِجَالٌ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، مِنْهُمْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ. وَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ.

❁ وَكَانَتْ دَعْوَةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِلنَّاسِ بَعْدَ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[2] هِيَ أَوَّلُ افْتِتَاحِ عَهْدِهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالرِّسَالَةِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَكَانَتْ دَعْوَتُهُ لِلنَّاسِ خِفْيَةً ثَلَاثَ سِنِينَ. وَفِي خِلَالِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ فُرِضَتِ الصَّلَاةُ، وَكَانَتْ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ رَكْعَتَانِ بِالْغَدَاةِ وَرَكْعَتَانِ بِالْعَشِيِّ، حَيْثُ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقِبِهِ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ عَيْنٌ،

---

(١) يوسف الآية (١٠٨). (٢) المدثر الآيتان (١، ٢).

فَتَوَضَّأَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ الطُّهُورُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا رَأَىٰ جِبْرِيلَ تَوَضَّأَ، ثُمَّ صَلَّىٰ جِبْرِيلُ وَصَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِصَلَاتِهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ فَتَوَضَّأَ لَهَا، لِيُرِيَهَا كَيْفَ الطُّهُورُ لِلصَّلَاةِ كَمَا أَرَاهُ جِبْرِيلُ، فَتَوَضَّأَتْ كَمَا تَوَضَّأَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ صَلَّىٰ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا صَلَّىٰ بِهِ جِبْرِيلُ، فَصَلَّتْ بِصَلَاتِهِ. وَتَعَلَّمَهَا هَكَذَا عَلَىٰ يَدَيْهِ ﷺ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَسَيِّدُنَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه، وَسَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، وَسَائِرُ أَصْحَابِهِ، وَكَانُوا يَسْتَخْفُونَ بِصَلَاتِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَيُصَلُّونَ فِي بَعْضِ شِعَابِ مَكَّةَ، حَتَّىٰ اطَّلَعَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَارَ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ وَهُوَ مِنَ السَّابِقِينَ فِي الْإِسْلَامِ، مُسْتَخْفِينَ بِصَلَاتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ الَّتِي تَقَعُ فِي أَصْلِ الصَّفَا، حَتَّىٰ جَاءَهُ ﷺ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ بِالْجَهْرِ بِالدَّعْوَةِ ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(١).

۞ فَكَانَ أَوَّلُ مَا دَعَا بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَوْمَهُ أَنْ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعاً مَا كَذَبْتُكُمْ، وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ جَمِيعاً مَا غَرَرْتُكُمْ، وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَإِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَاللهِ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوُنَّ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَاناً، وَبِالسُّوءِ سُوءاً، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَداً وَلَنَارٌ أَبَداً، وَاللهِ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَا أَعْلَمُ شَابّاً جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلَ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**». (هَكَذَا جَاءَ فِي السِّيرَةِ الْحَلَبِيَّةِ وَالْكَامِلِ لِابْنِ كَثِيرٍ)

۞ وَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾(٢). قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: **صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّفَا، فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهُ! فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ!» فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ**

(١) الحجر الآيات (٩٤-٩٦).
(٢) الشعراء الآية (٢١٤).

مُصَدِّقِيَّ؟» فَقَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ! أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا! ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1]... إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ، أَغْضَبَتْ أَبَا لَهَبٍ، وَاشْتَدَّتْ عَدَاوَتُهُ هُوَ وَامْرَأَتُهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ. وَمِنْ طَرَائِفَ مَا رُوِيَ فِي نُصْرَةِ اللهِ لِحَبِيبِهِ ﷺ أَنَّ امْرَأَةَ أَبِي لَهَبٍ (وَهِيَ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ) رُوِيَ عَنْهَا أَنَّهَا أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَبِجِوَارِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وَفِي يَدِهَا حِجَارَةٌ تُرِيدُ أَنْ تَقْذِفَ بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِ أَخَذَ اللهُ بَصَرَهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَا تَرَىٰ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَا تُرَاهَا رَأَتْكَ؟ قَالَ: «مَا رَأَتْنِي، لَقَدْ أَخَذَ اللهُ بَصَرَهَا».

۞ وَحِينَ نَتَتَبَّعُ سِيرَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا فِيهَا مِنْ مُوَاجَهَتِهِ لِلْبَاطِلِ، نَرَىٰ فِيهَا آيَاتٍ كَثِيرَةً، نَاطِقَةً بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2]. ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[3] وَذَلِكَ عَلَىٰ النَّحْوِ الْآتِي:

(أ) حِينَ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ يُجَاهِرُهُمْ بِالْحَقِّ، وَيَصْدَعُ فِيهِمْ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، أَلَا وَهِيَ دَعْوَتُهُمْ إِلَىٰ قَوْلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» حَيْثُ يَقُولُ لَهُمْ: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»، لَكِنَّهُمْ مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، نَصَبُوا الْعَدَاوَةَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَسَأَلُوا عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ أَنْ يَكُفَّهُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَكَانَ جَوَابُهُ ﷺ: «وَاللهِ يَا عَمِّ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي، عَلَىٰ أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّىٰ يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلَكَ دُونَهُ، وَبَكَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ»، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: اِذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ، فَوَاللهِ لَا أُسَلِّمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا.

۞ وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ مَا رَأَتْ مِنْ ثَبَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَانْتِشَارِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ بَيْنَ أَحْيَاءِ

---

(١) المسد الآية (١). (٢) التوبة الآية (٣٢). (٣) الأنبياء الآية (١٨).

الْعَرَبِ، عَمَدَ أَبُو جَهْلٍ إِلَىٰ إِيذَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاحْتَمَلَ حَجَرًا، وَأَتَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ يُصَلِّي بِالْمَسْجِدِ، لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْحَجَرَ، حَتَّىٰ إِذَا دَنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، رَجَعَ أَبُو جَهْلٍ مُنْتَقِعًا لَوْنُهُ، خَائِفًا مَرْعُوبًا قَدْ يَبِسَتْ يَدَاهُ عَلَىٰ حَجَرِهِ، ثُمَّ قَذَفَ الْحَجَرَ مِنْ يَدَيْهِ، فَلَمَّا سُئِلَ عَنْ تَخَاذُلِهِ؟ قَالَ: لَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ عَرَضَ لِي دُونَهُ فَحْلٌ مِنَ الإِبِلِ، لَا وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ قَطُّ، وَلَا أَنْيَابِهِ لَفَحْلٌ قَطُّ، فَهَمَّ أَنْ يَأْكُلَنِي. وَهَذِهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ أَيَّدَ اللهُ بِهَا حَبِيبَهُ ﷺ.

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾(١).

۞ وَشَاءَتْ إِرَادَةُ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُنَجَّمًا وَمُفَصَّلًا بِحَسَبِ الْحَوَادِثِ وَالْوَقَائِعِ. وَكَانَ مِنْ هَذِهِ الْوَقَائِعِ أَنْ جَاءَ كُفَّارُ مَكَّةَ وَدَعُوا النَّبِيَّ ﷺ إِلَىٰ عِبَادَةِ أَصْنَامِهِمْ سَنَةً، وَيَعْبُدُونَ مَعْبُودَهُ سُبْحَانَهُ سَنَةً، فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾(٢)، فَكَانَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ الْبَرَاءَةُ مِنْ دِينِهِمْ، وَفِيهَا الْقَوْلُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَبَيْنَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾(٣).

۞ كَذَلِكَ لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ: دَعُوا مُحَمَّدًا وَاتْرُكُوهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَبْتَرُ مَقْطُوعُ الْوَلَدِ لَا عَقِبَ لَهُ، فَنَزَلَ الْوَحْيُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾(٤). أَيْ: أَنَّ مُبْغِضَكَ هُوَ الأَبْتَرُ أَيْ: الْمَقْطُوعُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَفِيهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾(٥). وَفِي هَذَا مُوَاسَاةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُ لَهُ: إِنَّ الَّذِي يُكَذِّبُكَ فِيمَا جِئْتَ بِهِ، هُوَ الْمَوْصُوفُ بِأَوْصَافِ الشَّرِّ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ،

(١) الفرقان الآية (٣٢).
(٢) الكافرون.
(٣) البقرة الآية (٢٥٦).
(٤) الكوثر.
(٥) الماعون الآيات (١-٣).

انْتُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنَّهُ يَقْهَرُ الْيَتِيمَ، وَيَظْلِمُهُ حَقَّهُ، وَلَا يَأْمُرُ لِلْمِسْكِينِ بِطَعَامِهِ. وَفِي هَذَا مُوَاسَاةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيمَنْ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾[1].

۞ كَذَلِكَ حِينَ قَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ لَعَنَهُ اللهُ: إِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدَاً يُصَلِّي لَأَطَأَنَّ عُنُقَهُ، فَنزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾[2]، وَفِي هَذَا تَثْبِيتٌ لِقَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّ الَّذِي يَنْهَاكَ عَنِ الصَّلَاةِ مُكَذِّبٌ وَمُتَوَلِّي عَنِ الذِّكْرِ ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾[3]، فَكَيْفَ بِهِ يَنْهَاكَ وَأَنْتَ الَّذِي عَلَىٰ الْهُدَىٰ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَأَنْتَ الْآمِرُ بِالتَّقْوَىٰ، فَمَا أَعْجَبَ هَذَا: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾[4]، أَيْ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَرَىٰ فِعْلَهُ، وَفِي هَذَا تَوْبِيخٌ لِأَبِي جَهْلٍ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَدَّاً عَلَىٰ مَقُولَتِهِ: إِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدَاً يُصَلِّي لَأَطَأَنَّ عُنُقَهُ، يَقُولُ ﷺ: «**لَئِنْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَفِي كُلِّ هَذَا وَغَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ، تَرَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي تَكَفَّلَ بِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ بِالْحُجَجِ الدَّامِغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا وَحْيُ السَّمَاءِ، وَهُوَ الَّذِي أَيَّدَ بِهَا حَبِيبَهُ ﷺ وَكَفَىٰ بِاللهِ هَادِيَاً وَنَصِيراً.

۞ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ دَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[5].

۞ وَكَانَ الْأَحْرَىٰ بِهِمْ إِنْ كَانُوا يَعْقِلُونَ أَنْ يَقُولُوا: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ» فَاهْدِنَا إِلَىٰ الْحَقِّ، وَوَفِّقْنَا لِاتِّبَاعِهِ، بَدَلاً مِنْ قَوْلِهِمْ «فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةَ السَّمَاءِ» يَكُونُ فِيهَا هَلَاكُهُمْ، لِأَنَّ فِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ هِدَايَتَهُمْ إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ وَالْهِدَايَةَ عَطَاءٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ يَخْتَصُّ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ أَهْلَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[6].

(١) فاطر (٨).
(٢) العلق الآيات (٩-١٢).
(٣) العلق الآية (١٣).
(٤) العلق الآية (١٤).
(٥) الأنفال الآية (٣٢).
(٦) الأنفال الآية (٢٣).

۞ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١]. فَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ خَيْرَ بَيَانٍ، وَأَنَّهَا لِأُمَّتِهِ، فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ الْأَمَانَيْنِ لِأُمَّتِي**: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ وَمَا أَعْجَبَ هَؤُلَاءِ حِينَ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَرَوْنَ مَا فِيهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ الَّتِي أَدْهَشَتْهُمْ وَأَعْجَزَتْهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مُعْرِضِينَ. فَلَقَدْ جَاءَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ يَوْمًا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ وَقَالَ: (**وَاللهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى عَلَيْهِ**). وَكَانَ الْأَحْرَىٰ بِهِ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِدَاعِي الْحَقِّ، وَيُلَبِّيَ دَاعِيَ اللهِ، وَلَكِنْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِجَابَةِ، مَا رَانَ عَلَىٰ قَلْبِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾[٢].

(**ب**) وَمِنْ شَوَاهِدِ الْعَظَمَةِ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَيَّدَهُ بِمَا شَهِدَ لَهُ بِهِ أَعْدَاؤُهُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَلَا وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، الَّذِي أَقَامَ اللهُ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ عَجَبًا لَهُمْ يَتَوَلَّوْنَ عَنْهُ إِلَىٰ حِجَارَتِهِمُ الصَّمَّاءِ، فَأَيْنَ الْعَقْلُ الَّذِي وَهَبَهُ اللهُ لِلْإِنْسَانِ؟ وَلَكِنْ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾[٣]. أَمَّا هُوَ ﷺ، فَقَدْ أَعْرَضَ عَنْ زِينَةِ دُنْيَاهُمْ وَزُخْرُفِهَا حِينَ عَرَضُوهَا عَلَيْهِ، فَلَقَدْ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ وَافِدَهُمْ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ يَقُولُ: يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالاً جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّىٰ تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالاً، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا حَتَّىٰ لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئْيًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّىٰ نُبْرِئَكَ مِنْهُ.. فَلَمَّا فَرَغَ عُتْبَةُ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَاسْمَعْ مِنِّي**»، فَقَرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ

---

(١) الأنفال الآية (٣٣). (٢) فصلت الآية (٥). (٣) الأعراف الآية (١٧٩).

فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[1]، ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ السَّجْدَةَ مِنْهَا سَجَدَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**قَدْ سَمِعْتَ أَبَا الْوَلِيدِ فَأَنْتَ وَذَاكَ**».

۞ فَلَمَّا رَجَعَ الْوَلِيدُ إِلَىٰ قَوْمِهِ قَالَ: **وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلاً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ. وَاللهِ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ وَلَا بِالسِّحْرِ وَلَا بِالْكَهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي. خَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَزِلُوهُ، فَوَاللهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ**.

۞ هَكَذَا رَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَقَوْمَهُ، لَقَدْ رَدَّهُ بِكِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَرِسَالَتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ وَالْبَشِيرُ النَّذِيرُ الَّذِي بَعَثَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا إِلَىٰ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾[2].

۞ وَتَأَمَّلْ فِي مُلَاطَفَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خِطَابِهِ لِأَعْدَائِهِ، حَيْثُ يَقُولُ لَهُ: «**يَا أَبَا الْوَلِيدِ**» وَلَمْ يَقُلْ لَهُ يَا عُتْبَةُ يُخَاطِبُهُ بِكُنْيَتِهِ، لَا بِاسْمِهِ الْمُجَرَّدِ، وَذَلِكَ تَأْلِيفًا لَهُ، وَهَكَذَا كَانَتْ دَعْوَةُ سَيِّدِ الْأَنَامِ ﷺ فِي قَوْمِهِ، بِالرِّفْقِ وَاللِّينِ وَالرَّحْمَةِ، وَهَذِهِ هِيَ صِفَتُهُ الَّتِي أَثْنَىٰ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3]، وَامْتَدَحَهُ بِهَا فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ قَبْلُ، وَهِيَ أَنَّهُ ﷺ «**لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ**» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا)

(١) فصلت الآيات (١-٤).　(٢) الإسراء الآية (٢١).　(٣) القلم الآية (٤).

طَلَائِعُ النُّورِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾(١). هَكَذَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَبَطَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ بِمَوَاثِيقِ الْإِيمَانِ، وَنَالُوا مِنْ أَذَىٰ الْمُشْرِكِينَ مَا نَالُوا، وَلَكِنَّهُمُ الرِّجَالُ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِيُؤَيِّدَ بِهِمْ رِسَالَتَهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ، لَقَدْ صَبَرُوا عَلَىٰ مَا أُوذُوا، اقْتِدَاءً بِالرَّسُولِ الكَرِيمِ ﷺ، وَصَدَقُوا فِيمَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ مِنْ نُصْرَةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، فَكَانُوا طَلَائِعَ النُّورِ، وَحِزْبَ اللهِ، الَّذِينَ أَظْهَرَ اللهُ بِهِمْ دِينَهُ، فَأَشْرَقَتْ شَمْسُهُ فِي الْآفَاقِ، **وَمِنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الآتِي:**

سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه

۞ وَهُوَ أَوَّلُ خَطِيبٍ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَامَ فِي الْمَسْجِدِ دَاعِيًا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يُصَلُّونَ سِرًّا فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ لِقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَقَدْ كَانُوا ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْشَىٰ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه مِنْ إِيذَاءِ الْمُشْرِكِينَ ويَقُولُ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَلِيلٌ**» لَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه لَمْ يَزَلْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَمَا أَنْ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ يَدْعُوهُمْ لِلْإِسْلَامِ وَعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، حَتَّىٰ قَامَ لَهُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ يَضْرِبُ أَبَا بَكْرٍ بِنَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ ضَرْبًا شَدِيدًا وَيُحَرِّفُهُمَا عَلَىٰ وَجْهِهِ، حَتَّىٰ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «**مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**؟» فَلَمْ يَجِدْ مِمَّنْ حَوْلَهُ جَوَابًا، فَقَالَ: «**وَاللهِ لَا أَذُوقُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّىٰ آتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ**»، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ رَقَّ لَهُ رِقَّةً شَدِيدَةً، وَأَكَبَّ عَلَيْهِ يُقَبِّلُهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ مَا بِي مِنْ بَأْسٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ وَجْهِي، وَهَذِهِ أُمِّي بَارَّةٌ بِوَلَدِهَا، فَعَسَىٰ اللهُ أَنْ يُنْقِذَهَا بِكَ مِنَ النَّارِ، فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَدَعَاهَا إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَتْ.

---

(١) الأحزاب الآية (٢٣).

فَتَأَمَّلْ فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ فِي أَوَّلِ مَا أَفَاقَ: «**مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ»، تَرَىٰ فِيهَا مَدَىٰ حُبِّهِ لِحَبِيبِهِ ﷺ الَّذِي قَالَ فِيهِ بِلِسَانِ الْمَحَبَّةِ مُخَاطِبًا رَسُولَ اللهِ ﷺ:

أُحِبُّكَ حُبًّا لَوْ يُفَضُّ يَسِيرُهُ عَلَىٰ النَّاسِ مَاتَ النَّاسُ مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ

وَمَا أَنَا مُوفٍ بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ لأَنَّكَ فِي أَعْلَىٰ الْمَرَاتِبِ مِنْ قَلْبِي

❁❁❁❁❁

سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه

۞ وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا لَمْ تَسْمَعْ الْقُرْآنَ جَهْرًا إِلَّا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: وَاللهِ مَا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ الْقُرْآنَ جَهْرًا إِلَّا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَنْ فِيكُمْ يُسْمِعُهُمُ الْقُرْآنَ جَهْرًا؟ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: **أَنَا أُسْمِعُهُمْ**، فَقَالُوا نَخْشَىٰ عَلَيْكَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ مِنَ الْقَوْمِ يَمْنَعُونَهُ، فَقَالَ: **دَعُونِي فَإِنَّ اللهَ يَمْنَعُنِي مِنْهُمْ**، ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ فِيهِمْ عِنْدَ الْمَقَامِ فِي وَقْتِ الضُّحَىٰ وَقَرَأَ بِصَوْتٍ عَالٍ مَا تَيَسَّرَ مِنْ سُورَةِ الرَّحْمَنِ، وَقُرَيْشٌ فِي أَنْدِيَتِهَا، **فَقَامُوا يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي قِرَاءَتِهِ**، حَتَّىٰ قَرَأَ الْكَثِيرَ مِنْ آيَاتِهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ **وَقَدْ أَدْمَتْ قُرَيْشٌ وَجْهَهُ**، فَقَالُوا: هَذَا مَا خَشَيْنَاهُ عَلَيْكَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ رضي الله عنه: **وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَعْدَاءَ اللهِ أَهْوَنَ عَلَيَّ فِي يَوْمٍ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ، وَلَوْ شِئْتُمْ لَأَتَيْتُهُمْ بِمِثْلِهَا غَدًا**، فَقَالُوا لَهُ: حَسْبُكَ قَدْ أَسْمَعْتُهُمْ مَا يَكْرَهُونَ.

❁❁❁❁❁

سَيِّدُنَا بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ رضي الله عنه

۞ وَكَانَ غُلَامًا حَبَشِيًّا لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، فَكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا حَمِيَتِ الظَّهِيرَةُ أَخَذَهُ وَطَرَحَهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَعُ عَلَىٰ صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّىٰ تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. فَيَقُولُ بِلَالٌ رضي الله عنه وَهُوَ فِي هَذَا الْبَلَاءِ: **أَحَدٌ أَحَدٌ**، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يَمُرُّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَىٰ مَا نَزَلَ بِبِلَالٍ رضي الله عنه قَالَ لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ: **أَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذَا الْمِسْكِينِ؟ حَتَّىٰ مَتَىٰ؟** فَقَالَ أُمَيَّةُ: أَنْتَ الَّذِي أَفْسَدْتَهُ

فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَىٰ فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: **عِنْدِي غُلَامٌ عَلَىٰ دِينِكَ أَسْوَدُ أَجْلَدُ مِنْ هَذَا أُعْطِيكَهُ بِهِ، فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ غُلَامَهُ، وَأَخَذَ بِلَالاً فَأَعْتَقَهُ.**

۞ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ بِلَالاً حِينَ اشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ اشْتَرَيْتَنِي لِنَفْسِكَ فَأَمْسِكْنِي، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا اشْتَرَيْتَنِي للهِ عَزَّوَجَلَّ فَدَعْنِي للهِ، **فَأَعْتَقَهُ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه **خَالِصًا للهِ** عَزَّوَجَلَّ. وَكَانَتْ لِبِلَالٍ رضي الله عنه مَكَانَتُهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَقَدْ كَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ: **أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا، يُرِيدُ بِذَلِكَ سَيِّدَنَا بِلَالَ** رضي الله عنه .

❁❁❁❁❁

سَيِّدُنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رضي الله عنه

۞ وَكَانَ حَلِيفًا لِبَنِي مَخْزُومٍ وَهِيَ قَبِيلَةُ أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللهُ، فَكَانُوا يُخْرِجُونَ عَمَّاراً وَأَبَاهُ يَاسِراً وَأُمَّهُ سُمَيَّةَ إِلَىٰ بَطْحَاءِ مَكَّةَ إِذَا حَمِيَتِ الرَّمْضَاءُ وَيُعَذِّبُونَهُمْ بِحَرِّهَا، فَمَرَّ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، إِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَالطَّبَرَانِيُّ)

۞ فَمَاتَ يَاسِرٌ فِي الْعَذَابِ، وَمَاتَتْ سُمَيَّةُ بِطَعْنَةٍ شَدِيدَةٍ طَعَنَهَا بِهَا أَبُو جَهْلٍ، فَكَانَتْ أَوَّلَ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ.

۞ أَمَّا عَمَّارٌ رضي الله عنه، فَقَدْ أَكْرَهُوهُ وَهُوَ فِي شِدَّةِ الْعَذَابِ عَلَىٰ كَلِمَةِ الْكُفْرِ، فَنَطَقَ بِهَا وَلَمَّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَشَكَىٰ لَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَكَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟**» قَالَ: أَجِدُهُ مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ، فَقَالَ: «**يَا عَمَّارُ إِنْ عَادُوا فَعُدْ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1]. وَكَانَ عَمَّارُ رضي الله عنه مُحَبَّبًا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدِ اسْتَأْذَنَ يَوْمًا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَرْحَباً بِالطَّيِّبِ الْمُطَيَّبِ**». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ)

❁❁❁❁❁

سَيِّدُنَا خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ رضي الله عنه

۞ أَخَذَهُ قَوْمُهُ حِينَ أَسْلَمَ، وَأَلْصَقُوا ظَهْرَهُ بِالرَّمْضَاءِ ثُمَّ بِالرَّضْفِ وَهِيَ الْحِجَارَةُ الْمُحَمَّاةُ

---

(١) النحل الآية (١٠٦).

بِالنَّارِ، وَكَانَتْ مَوْلَاتُهُ تَأْخُذُ الْحَدِيدَةَ الْمُحَمَّاةَ بِالنَّارِ وَتَضَعُهَا عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَشَكَىٰ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ انْصُرْ خَبَّاباً» فَاشْتَكَتْ مَوْلَاتُهُ رَأْسَهَا فَكَانَتْ تَعْوِي مَعَ الْكِلَابِ، فَقِيلَ لَهَا اكْتَوِي، فَكَانَ خَبَّابٌ يَأْخُذُ الْحَدِيدَةَ وَقَدْ حَمَّاهَا فَيَكْوِي رَأْسَهَا.

❁❁❁❁❁

سَيِّدُنَا صُهَيْبُ بْنُ سِنَانَ الرُّومِيُّ رضي الله عنه

۞ كَانَ مِمَّنْ عُذِّبَ فِي اللهِ، وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُهَاجِرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ قَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ جِئْتَنَا مَكَّةَ فَقِيراً، فَلَمَّا كَثُرَ مَالُكَ، تُرِيدُ أَنْ تَحْمِلَ مَالَكَ وَتَذْهَبَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، فَأَعْطَاهُمْ كُلَّ مَالِهِ، وَخَرَجَ مُهَاجِراً إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، بَشَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَائِلاً: «رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَىٰ، رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَىٰ» وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِيكَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1].

❁❁❁❁❁

سَيِّدُنَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ رضي الله عنه

۞ كَانَ يُعَذِّبُهُ مَوْلَاهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَسْدِيُّ، فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ، وَاشْتَرَاهُ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وَأَعْتَقَهُ، فَكَانَ يَرْعَىٰ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه غَنَمَهُ، وَفِي الْهِجْرَةِ كَانَ يَرُوحُ بِغَنَمِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُمَا فِي الْغَارِ، وَهَاجَرَ مَعَهُمَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ يَخْدُمُهُمَا، وَشَهِدَ بَدْراً وَأُحُداً، وَاسْتُشْهِدَ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ وَلَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَلَمَّا طُعِنَ قَالَ: **فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ**، وَلَمْ تُوجَدْ جُثَّتُهُ لِتُدْفَنَ مَعَ الْقَتْلَىٰ، فَقِيلَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ دَفَنَتْهُ.

❁❁❁❁❁

سَيِّدُنَا أَبُو فُكَيْهَةَ وَاسْمُهُ أَفْلَحُ رضي الله عنه

۞ وَكَانَ عَبْداً لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ الْجُمَحِيِّ، وَقَدْ عَذَّبَهُ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، حَيْثُ كَانَ يَرْبِطُ فِي رِجْلِهِ حَبْلاً وَيَجُرُّهُ وَيَخْنُقُهُ خَنْقاً شَدِيداً لِيَرُدَّهُ عَنْ دِينِ اللهِ فَيَأْبَىٰ، وَمَرَّ بِهِ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ

(١) البقرة الآية (٢٠٧).

الصِّدِّيقُ ﷺ فَاشْتَرَاهُ وَأَعْتَقَهُ، وَهَاجَرَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَاتَ قَبْلَ بَدْرٍ ﷺ.

وَكَانَ مِمَّنْ عُذِّبَ مِنَ النِّسَاءِ، وَاشْتَرَاهُنَّ أَبُو بَكْرٍ ﷺ وَأَعْتَقَهُنَّ، **زِنِّيرَةُ** الَّتِي رَدَّ اللهُ عَلَيْهَا بَصَرَهَا، بَعْدَ أَنْ عَمِيَتْ مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ، وَذَلِكَ لِكَمَالِ يَقِينِهَا بِاللهِ، فَقَدْ قِيلَ لَهَا حِينَ عَمِيَتْ إِنَّ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ فَعَلَا بِكِ، فَقَالَتْ وَمَا يُدْرِي اللَّاتَ وَالْعُزَّي مَنْ يَعْبُدُهُمَا؟ وَلَكِنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَرَبِّي قَادِرٌ عَلَىٰ رَدِّ بَصَرِي، فَأَصْبَحَتْ مِنَ الْغَدِ وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهَا بَصَرَهَا. وَمِمَّنْ عُذِّبَ فِي اللهِ مِنَ **النِّسَاءِ** كَذَلِكَ وَأَعْتَقَهَا أَبُو بَكْرٍ ﷺ **النَّهْدِيَّةُ** وَكَانَتْ قَبْلَ أَنْ يَعْتِقَهَا أَمَةً لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ.

وَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ آمَنُوا وَصَدَّقُوا وَصَبَرُوا

﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١).

رِجَالٌ أَعَزَّ اللَّهُ بِهِمُ الْإِسْلَامَ

هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ كَانَتْ لَهُمْ عِزَّةٌ وَمَنَعَةٌ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فَاخْتَارَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ لِيَكُونُوا أَنْصَاراً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَوْنَا عَلَىٰ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، **وَهَؤُلَاءِ نَذْكُرُ مِنْهُمُ الْآتِي:**

سَيِّدُنَا الْحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ

- هُوَ عَمُّ الرَّسُولِ ﷺ وَأَخُوهُ فِي الرَّضَاعَةِ، وَكَانَ أَسَنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَنَتَيْنِ.
- وَيَرْجِعُ **سَبَبُ إِسْلَامِهِ** ﷺ أَنَّهُ كَانَ عَائِداً يَوْماً مِنْ صَيْدِهِ، فَلَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ كَانَتْ مَوْلَاةً لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ وَقَالَتْ لَهُ: لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ آنِفاً مِنْ أَبِي جَهْلٍ، لَقَدْ آذَاهُ وَشَتَمَهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَمُحَمَّدٌ صَامِتٌ لَمْ يُكَلِّمْهُ، فَأَخَذَتِ الْحَمْزَةَ الْغَيْرَةُ وَالْحَمِيَّةُ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَوَجَدَ أَبَا جَهْلٍ جَالِساً فِي الْقَوْمِ، فَعَلَاهُ بِقَوْسِهِ وَضَرَبَهُ، فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً،

(١) آل عمران الآية (١٤٨).

ثُمَّ قَالَ: أَتَشْتُمُهُ وَأَنَا عَلَىٰ دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ... وَمَضَىٰ الْحَمْزَةُ فَبَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا أَسْلَمَ الْحَمْزَةُ رضي الله عنه، عَرِفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ عَزَّ وَامْتَنَعَ، فَقَدْ كَانَ الْحَمْزَةُ أَعَزَّ فَتًىٰ فِي قُرَيْشٍ وَأَشَدَّهَا شَكِيمَةً.

❁❁❁❁❁

سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه

كَانَ عُمَرُ ذَا شِدَّةٍ وَبَطْشٍ، وَكَانَ مِمَّنْ شَارَكَ قُرَيْشًا فِي إِيذَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَطْمَعُ فِي إِسْلَامِهِ فَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَدِ الْعُمَرَيْنِ: عَمْرِو بْنِ هِشَامٍ أَوْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**» يُرِيدُ ﷺ بِعَمْرِو بْنِ هَاشِمٍ أَبُو جَهْلٍ، فَاسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَةَ حَبِيبِهِ ﷺ فِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَهَدَاهُ اللهُ لِلْإِسْلَامِ.

وَيَرْجِعُ سَبَبُ إِسْلَامِهِ إِلَىٰ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يُرِيدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ – نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ- كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَأَخْفَىٰ إِسْلَامَهُ عَنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ لِعُمَرَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ فَأَقْتُلُهُ، فَقَالَ نُعَيْمُ: وَاللهِ لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ مِنْ نَفْسِكَ يَا عُمَرُ، أَتَرَىٰ أَنَّ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا؟ أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيمُ أَمْرَهُمْ؟ قَالَ عُمَرُ: وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي؟ قَالَ: خَتَنُكَ وَابْنُ عَمِّكَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَأُخْتُكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، فَقَدْ وَاللهِ أَسْلَمَا وَتَبِعَا مُحَمَّدًا عَلَىٰ دِينِهِ. فَرَجَعَ عُمَرُ عَائِدًا إِلَىٰ أُخْتِهِ وَخَتَنِهِ، فَوَجَدَ عِنْدَهُمَا خَبَّابَ بْنَ الْأَرَتِّ وَمَعَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾(1).

فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَ عُمَرَ، تَغَيَّبَ خَبَّابُ فِي مَخْدَعٍ لَهُمْ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ

(١) طه الآيات (١-٨).

الصَّحِيفَةَ مِنْ خَبَّابٍ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا خَوْفَاً عَلَيْهَا مِنْ عُمَرَ، وَعِنْدَمَا دَنَا عُمَرُ مِنَ الْبَيْتِ سَمِعَ قِرَاءَةَ خَبَّابٍ عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمَّدَاً عَلَىٰ دِينِهِ، وَبَطَشَ بِخَتَنِهِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَقَامَتْ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ لِتَكُفَّهُ عَنْ زَوْجِهَا فَضَرَبَهَا عُمَرُ فَشَجَّهَا وَأَدْمَىٰ وَجْهَهَا، فَلَمَّا رَأَىٰ عُمَرُ ذَلِكَ رَقَّ لَهَا قَلْبُهُ وَنَدِمَ عَلَىٰ مَا صَنَعَ وَارْعَوَىٰ، وَقَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ: نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وَآمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ. قَالَ أَعْطِنِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ، فَقَالَتْ: إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: إِنَّهَا لَا يَمَسُّهَا إِلَّا طَاهِرٌ، فَقَامَ عُمَرُ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ قَرَأَ مَا فِي الصَّحِيفَةِ مِنْ سُورَةِ «طَه» فَلَمَّا قَرَأَ مِنْهَا صَدْرَاً، قَالَ: **مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ**، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَّابٌ خَرَجَ مِنْ مَخْدَعِهِ، وَقَالَ: **وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ** ﷺ: **«اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَدِ الْعُمَرَيْنِ: عَمْرِو بْنِ هِشَامٍ أَوْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَاللهَ اللهَ يَا عُمَرُ»**.

۞ فَقَالَ عُمَرُ: **يَا خَبَّابُ دُلَّنِي عَلَىٰ مُحَمَّدٍ حَتَّىٰ آتِيَهُ فَأُسْلِمَ**، وَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ وَعَمَدَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فِي دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَمَا اجْتَرَأَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَفْتَحَ الْبَابَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اِفْتَحُوا لَهُ، فَإِنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرَاً يَهْدِهِ»**، فَفَتَحُوا لَهُ، وَأَخَذَ رَجُلَانِ بِعَضُدَيْهِ حَتَّىٰ دَنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: **«أَرْسِلُوهُ»** فَأَرْسَلُوهُ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرِدَاءِ عُمَرَ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: **«مَا جَاءَ بِكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟»** قَالَ: جِئْتُ لِأُومِنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَكْبِيرَةً عَرَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ، وَكَانَ عُمَرُ حِينَ أَسْلَمَ فِي السَّادِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ، وَكَانَ بَيْنَ إِسْلَامِهِ وَإِسْلَامِ الْحَمْزَةَ أَيَّامٌ قَلَائِلُ، **فَقَدْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْحَمْزَةَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**، وَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ رضي الله عنه قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: **أَلَسْنَا عَلَىٰ الْحَقِّ إِنْ مِتْنَا أَوْ حَيِينَا؟** قَالَ ﷺ: **«بَلَىٰ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ إِنْ مِتُّمْ أَوْ حَيِيتُمْ»** قَالَ عُمَرُ: **فَفِيمَ الْاِخْتِفَاءُ؟، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ**، فَخَرَجَ الصَّحَابَةُ مِنْ دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ فِي صَفَّيْنِ، الْحَمْزَةُ رضي الله عنه فِي أَحَدِهِمَا، وَعُمَرُ رضي الله عنه فِي الصَّفِّ الْآخَرِ حَتَّىٰ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ قُرَيْشٌ أَصَابَتْهُمْ كَآبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلُهَا قَطُّ، وَمُنْذُ هَذَا الْيَوْمِ سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الْفَارُوقُ»**؛

لِأَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ﷺ أَتَىٰ أَبَا جَهْلٍ وَأَخْبَرَهُ بِإِسْلَامِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ ضَرْبَةً قَاضِيَةً لِأَبِي جَهْلٍ، قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ : «**لَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَنْ أَسْلَمَ عُمَرُ**».

❁❁❁❁❁

سَيِّدُنَا الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ ﷺ

۞ كَانَ الطُّفَيْلُ ﷺ شَاعِراً لَبِيباً، فَقَدِمَ يَوْماً إِلَىٰ مَكَّةَ، فَأَخَذَتْ قُرَيْشٌ تُحَذِّرُهُ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئاً، فَدَخَلَ الطُّفَيْلُ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَقَامَ الطُّفَيْلُ ﷺ قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَسَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ، وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ وَأَنَا شَاعِرٌ لَبِيبٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ بَيْتِهِ تَبِعَهُ الطُّفَيْلُ ﷺ، وَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْكَ فِي الْمَسْجِدِ قَوْلاً حَسَناً فَاعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَكَ، فَعَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، قَالَ الطُّفَيْلُ ﷺ : فَوَاللهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَمْراً أَعْدَلَ مِنْهُ فَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ وَدَاعِيهِمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ لِي عَوْناً عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ : «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً**»، فَاسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَةَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَوَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيِ الطُّفَيْلِ ﷺ، فَقَالَ الطُّفَيْلُ ﷺ : اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي، فَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَظُنُّوهَا مُثْلَةً لِفِرَاقِي دِينَهُمْ، فَتَحَوَّلَ النُّورُ فِي رَأْسِ سَوْطِهِ، فَجَعَلَ الْحَاضِرُونَ يَتَرَاءُونَ ذَلِكَ النُّورَ فِي رَأْسِ سَوْطِهِ، ثُمَّ دَعَا أَبَاهُ وَزَوْجَتَهُ فَأَسْلَمَا، وَدَعَا بَعْدَ ذَلِكَ قَبِيلَتَهُ دَوْساً، فَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ، فَرَجَعَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ عَلَىٰ دَوْسٍ، فَعَدَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ وَقَالَ ﷺ : «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً وَائْتِ بِهِمْ**». (رَوَاهُ الشَّيْخَانِ)

۞ فَاسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَةَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَآمَنَتْ دَوْسٌ، ثُمَّ لَحِقَ الطُّفَيْلُ ﷺ فِي سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتاً مِنْ دَوْسٍ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَذَلِكَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَأَسْهَمَ لَهُمْ

النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَأَقَامَ الطُّفَيْلُ ﷺ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبَّهُ، وَشَهِدَ الطُّفَيْلُ ﷺ مَوْقِعَةَ الْيَمَامَةِ أَيَّامَ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، وَأَبْلَىٰ فِيهَا بَلَاءً حَسَنًا حَتَّىٰ لَقِيَ رَبَّهُ شَهِيداً.

وَهَكَذَا تَكُونُ عَاقِبَةُ الْمُحْسِنِينَ وَمَنَازِلُهُمْ عِنْدَ اللهِ، فَقَدْ خَيَّبَ اللهُ رَجَاءَ الْمُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ، وَأَسْلَمَ الطُّفَيْلُ ﷺ، وَأَيَّدَهُ اللهُ بِآيَةٍ مِنْهُ، وَأَسْلَمَ أَبُوهُ وَزَوْجُهُ، ثُمَّ أَسْلَمَتْ كُلُّ قَبِيلَةِ دَوْسٍ وَكَانُوا سَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا، فَأَيْنَ قُرَيْشٌ هَاهُنَا مِنْ قَوْمٍ سَبَقَتْ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ مِنَ اللهِ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(١).

وَهَؤُلَاءِ كَمَا أَعَزَّ اللهُ بِهِمُ الْإِسْلَامَ، فَقَدْ أَعَزَّهُمُ اللهُ كَذَلِكَ بِالْإِسْلَامِ، **فَالْحَمْزَةُ ﷺ هُوَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَهُوَ أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعُمَرُ ﷺ هُوَ الْفَارُوقُ، وَهُوَ الْمُلْهَمُ الْمُحَدَّثُ** الَّذِي وَافَقَ قَوْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَوْطِنٍ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، **وَالطُّفَيْلُ ﷺ هُوَ الدَّاعِي إِلَىٰ الْهُدَىٰ**، فَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَهُوَ الْمَنْزُولُ عِنْدَ اللهِ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ اسْتَنَارَ بِنُورِ الْإِيمَانِ، أَعَزَّهُ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).



(١) الحديد الآية (٢١). (٢) المنافقون الآية (٨).

الْهِجْرَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ

۞ لَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ، أَذِنَ ﷺ لَهُمْ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ قَائِلاً ﷺ لَهُمْ: «**لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ فِيهَا مَلِكاً لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجاً وَمَخْرَجاً مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ**»، فَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ سِرّاً اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً، مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ حَمَلُوا مَعَهُمْ نِسَاءَهُمْ، حَتَّىٰ وَصَلُوا إِلَىٰ جُدَّةَ، فَحَمَلَتْهُمْ سَفِينَتَانِ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَكَانَ عَلَىٰ رَأْسِ هَؤُلَاءِ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الَّذِي حَمَلَ مَعَهُ فِي الْهِجْرَةِ زَوْجَتَهُ السَّيِّدَةَ رُقَيَّةَ رضي الله عنها بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي عُثْمَانَ رضي الله عنه يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ عُثْمَانَ لَأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوطٍ**». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه)

۞ وَفِي الْحَبَشَةِ كَانَ النَّجَاشِيُّ لَهُمْ خَيْرَ جَارٍ، فَقَدْ وَجَدُوا عِنْدَهُ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ عَلَىٰ دِينِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ. وَهَذِهِ أَوَّلُ هِجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ، أَعْقَبَتْهَا الْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ خَرَجَ فِيهَا ثَلَاثَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً، وَمِنَ النِّسَاءِ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ امْرَأَةً قُرَشِيَّةً، وَذَلِكَ سِوَىٰ الصِّبْيَانِ الصِّغَارِ، وَكَانَ عَلَىٰ رَأْسِ هَؤُلَاءِ سَيِّدُنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه الَّذِي وُلِدَ لَهُ فِي الْحَبَشَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ رضي الله عنه الَّذِي صَارَ فِيمَا بَعْدُ زَوْجاً لِلسَّيِّدَةِ زَيْنَبَ بِنْتِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ رضي الله عنها بِنْتِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ.

۞ ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشاً حِينَ عَلِمَتْ بِهِجْرَةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَرْسَلَتْ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ هُمَا: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، فَلَمَّا جَاءُوا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ دَفَعُوا لَهُ وَإِلَىٰ بَطَارِقَتِهِ هَدِيَّةً أَرْسَلَتْهُمْ بِهَا قُرَيْشٌ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ يُسَلِّمَهُمُ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ وَقَالَ: لَا أُسَلِّمُهُمْ أَبَداً حَتَّىٰ أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ، وَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «**أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْماً أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، وَكُنَّا كَذَلِكَ حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولاً نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللهِ لِنُوَحِّدَهُ**

وَنَعْبُدُهُ، وَنَخْلَعَمَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ -فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ- فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا؛ لِيَرُدُّونَا إِلَىٰ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَىٰ بِلَادِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَىٰ مَنْ سِوَاكَ، فَقَالَ النَّجَاشِيُّ حِينَ سَمِعَ قَوْلَ جَعْفَرٍ ﷺ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ لَهُ جَعْفَرٌ ﷺ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ؟ فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا...﴾ وَأَخَذَ النَّجَاشِيُّ يَسْمَعُ مَا فِيهَا مِنْ أَوْصَافِ سَيِّدِنَا عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٣٥ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾(١)، عِنْدَ ذَلِكَ بَكَىٰ النَّجَاشِيُّ حَتَّىٰ اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ، وَبَكَىٰ أَسَاقِفَتُهُ، حَتَّىٰ اخْضَلَّتْ مَصَاحِفُهُمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: «**إِنَّ هَذَا وَاللهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَىٰ لَيَخْرُجَانِ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ**»، ثُمَّ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ: «**انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْكُمَا أَبَدًا وَلَا أَكَادُ**»، وَرَدَّ النَّجَاشِيُّ وَبَطَارِقَتُهُ عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمْ، وَقَالَ غَاضِبًا لِعَمْرٍو: «أُعْطِيكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِتَقْتُلَهُ!!»، قَالَ عَمْرٌو: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَكَذَاكَ هُوَ؟ قَالَ: وَيْحَكَ يَا عَمْرُو أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ وَاللهِ لَعَلَىٰ الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَىٰ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ، قَالَ عَمْرٌو: أَفَتُبَايِعُنِي لَهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ النَّجَاشِيُّ: نَعَمْ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَكَتَمَ عَمْرٌو إِسْلَامَهُ عَنْ أَصْحَابِهِ، وَسَبَقَتِ الْعِنَايَةُ مِنَ اللهِ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فَأَسْلَمَ، وَخَرَجَ عَمْرٌو عَامِدًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ لِيُبَايِعَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَلَقِيَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ

(١) مريم الآيتان (٣٥، ٣٦).

فِي طَرِيقِهِ خَارِجًا مِنْ مَكَّةَ، فَقَالَ لَهُ يَا خَالِدُ: مَا الَّذِي أَخْرَجَكَ؟ قَالَ: خَرَجْتُ لِأُبَايِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ عَمْرُو: وَاللهِ إِنَّ الَّذِي أَخْرَجَكَ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَنِي، وَسَارَا مَعًا حَتَّىٰ وَصَلَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَدَخَلَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَقْدِمِهِمْ، وَمَدَّ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ إِلَىٰ خَالِدٍ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَىٰ عَمْرٍو، فَقَبَضَ عَمْرٌو يَدَهُ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ حَتَّىٰ أَشْتَرِطَ، فَقَالَ ﷺ: «**مَاذَا تَشْتَرِطُ؟**» قَالَ عَمْرٌو: أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

فَمَدَّ عَمْرٌو يَدَهُ وَبَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَسْلَمَ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ بَيْعَتِهِ لِلنَّجَاشِيِّ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ.

۞ وَحِينَ نَتَأَمَّلُ فِي مَكَايِدِ قُرَيْشٍ، حِينَ أَرْسَلَتْ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ؛ لِيَرُدُّوا عَلَيْهِمْ مَنْ هَاجَرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَإِذَا بِالْأَمْرِ يَنْتَهِي بِإِسْلَامِ النَّجَاشِيِّ نَفْسِهِ، وَإِسْلَامِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهَكَذَا تَحَقَّقَ وَعْدُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[1].

---

(١) غافر الآية (٥١).

صَحِيفَةُ الْمُقَاطَعَةِ

۞ لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسُولِ ﷺ قَدْ نَزَلُوا بِبَلَدٍ وَهِيَ الْحَبَشَةُ أَصَابُوا فِيهَا أَمْنًا وَقَرَارًا، وَأَنَّ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَنَعَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ فَكَانَ هُوَ وَالْحَمْزَةُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَجَعَلَ الْإِسْلَامُ يَنْتَشِرُ فِي الْقَبَائِلِ، اجْتَمَعُوا وَائْتَمَرُوا أَنْ يَكْتُبُوا كِتَابًا يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ عَلَىٰ أَلَّا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا يُبَايِعُوهُمْ وَلَا يُخَالِطُوهُمْ وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صُلْحًا أَبَدًا، وَكَتَبُوا كِتَابَهُمْ هَذَا فِي صَحِيفَةٍ، ثُمَّ عَلَّقُوا الصَّحِيفَةَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ تَوْكِيدًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِمَا صَنَعُوا، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَٰلِكَ انْحَازَتْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ إِلَىٰ أَبِي طَالِبٍ فِي شِعْبِهِ، فَدَخَلُوا مَعَهُ فِي شِعْبِهِ الْمَعْرُوفِ بِشِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَخَرَجَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَبُو لَهَبٍ فَإِنَّهُ صَارَ ظَهِيرًا وَنَصِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَظَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَزَوْجَتُهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ سِنِينَ، حَتَّىٰ أَنْفَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَزَوْجَتُهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها وَعَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ كُلَّ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ مَالٍ، وَبَلَغَ بِهِمُ الضُّرُّ وَالْفَاقَةُ مَبْلَغًا كَبِيرًا، وَمَنَعَ أَبُو جَهْلٍ غُلَامًا كَانَ يَحْمِلُ طَعَامًا لِعَمَّتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها وَهِيَ فِي الشِّعْبِ، فَشَقَّ ذَٰلِكَ عَلَىٰ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو الْبُخْتُرِيِّ كَانَ مِنْ ذَوِي الْمُرُوءَةِ، حَيْثُ قَامَ إِلَىٰ أَبِي جَهْلٍ وَعَاتَبَهُ وَنَالَ مِنْهُ فَضَرَبَهُ وَشَجَّهُ وَوَطِئَهُ. كُلُّ هَذَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجَهْرًا، مُنَادِيًا فِيهِمْ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

۞ وَعَلَىٰ أَثَرِ مَا حَدَثَ مِنَ الْجَهْدِ وَالْفَاقَةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، تَحَرَّكَتِ الْمُرُوءَةُ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِنَقْضِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ جَوْرٍ وَظُلْمٍ وَقَطِيعَةِ رَحِمٍ، وَأَنْبَأَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنَّ الْأَرَضَةَ قَدْ أَكَلَتْ صَحِيفَتَهُمْ وَلَمْ يَبْقَ فِي الصَّحِيفَةِ إِلَّا ذِكْرُ اللهِ، أَلَا وَهِيَ «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، وَأَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ، وَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو طَالِبٍ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَذَهَبُوا إِلَىٰ الصَّحِيفَةِ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، فَوَجَدُوهَا كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ، أَمَّا كَاتِبُ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَاسْمُهُ «بَغِيضُ بْنُ عَامِرٍ» فَقَدْ شُلَّتْ يَدُهُ، وَإِذَا أَمْعَنَّا النَّظَرَ نَرَىٰ أَنَّهُ كَانَ يَكْفِي لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ بِمَا شَهِدُوهُ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إِخْبَارِهِمْ بِنَقْضِ الصَّحِيفَةِ، وَبِمَا شَهِدُوهُ

فِي كَاتِبِهَا الَّذِي شُلَّتْ يَدُهُ، كَانَ يَكْفِيهِمْ بِذَلِكَ آيَةً وَعِبْرَةً وَعِظَةً، يَهْتَدُوا بِهَا إِلَىٰ الْحَقِّ الَّذِي انْجَلَىٰ لَهُمْ جَلِيًّا كَوَضَحِ الشَّمْسِ، حَيْثُ مَحَىٰ اللهُ بَاطِلَهُمْ وَأَثْبَتَ الْحَقَّ مُؤَيَّدًا بِحُجَّتِهِ الْبَالِغَةِ وَبُرْهَانِهِ السَّاطِعِ، فَيُصَدِّقُوا وَيُؤْمِنُوا بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ، وَلَكِنْ ﴿قَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

۞۞۞۞۞

وَفَاةُ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةَ رضي الله عنها

۞ كَانَتْ وَفَاتُهُمَا فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْبَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَفِي الْعَامِ الَّذِي تَفَضَّلَ اللهُ بِهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ بِالْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَقَبْلَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ.

۞ وَلَقَدْ كَانَ لِكِلَيْهِمَا أَثَرٌ بَالِغٌ فِي نُصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالدِّفَاعِ عَنْهُ، وَقَدْ حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ لِوَفَاتِهِمَا، فَقَدْ تُوُفِّيَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها عَقِبَ وَفَاةِ أَبِي طَالِبٍ بِأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، وَسَمَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الْعَامَ «**عَامَ الْحُزْنِ**».

۞۞۞۞۞

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الطَّائِفِ

۞ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَقِبَ وَفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَزَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها، إِلَىٰ الطَّائِفِ يَدْعُو ثَقِيفَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ دَعْوَتَهُ، وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يَسُبُّونَهُ وَيَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ وَيَصِيحُونَ بِهِ حَتَّىٰ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَأَلْجَأُوهُ إِلَىٰ حَائِطٍ (أَيْ: بُسْتَانٍ) لِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَأَدْمُوا قَدَمَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّ ﷺ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَىٰ الْحَائِطِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَىٰ النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَىٰ مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَىٰ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَىٰ عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا**

(١) يس الآية (٧).

وَالْآخِرَةِ، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَىٰ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

فَلَمَّا رَأَىٰ ابْنَا رَبِيعَةَ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ مَا لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا، فَدَعَوا لَهُ غُلَامًا لَهُمَا نَصْرَانِيًّا، يُقَالُ لَهُ عَدَّاسٌ، فَقَالَا لَهُ: خُذْ قِطْفًا مِنْ هَذَا الْعِنَبِ وَضَعْهُ فِي ذَلِكَ الطَّبَقِ، ثُمَّ اذْهَبْ بِهِ إِلَىٰ ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَقُلْ لَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ، فَفَعَلَ عَدَّاسٌ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِطَبَقِ الْعِنَبِ حَتَّىٰ وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا تَنَاوَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ»، فَنَظَرَ عَدَّاسٌ إِلَىٰ وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمِنْ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ؟ وَمَا دِينُكَ؟» قَالَ: نَصْرَانِيٌّ وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نِينَوَىٰ (وَهِيَ قَرْيَةٌ بِالْمُوصِلِ) فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ؟» قَالَ عَدَّاسٌ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّىٰ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَلِكَ أَخِي كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ»، فَأَكَبَّ عَدَّاسُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ، ثُمَّ رَجَعَ عَدَّاسُ إِلَىٰ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَقَالَ لَهُمَا: يَا سَيِّدِي، مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ.

وَمِنْ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ نَأْخُذُ الْأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حِينَ لَجَأَ إِلَىٰ اللهِ ضَارِعًا يَدْعُوهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، وَيَرْفَعُ شَكْوَاهُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَمَا أَصْبَرَهُ وَمَا أَحْلَمَهُ ﷺ، وَلَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُمْ لَمَّا فَعَلُوا مَا فَعَلُوا مِنْ إِيذَائِهِ نَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام وَمَعَهُ مَلَكُ الْجِبَالِ يَقُولُ لَهُ: إِنَّ مَلَكَ الْجِبَالِ يَقُولُ: لَوْ أَذِنْتَنِي أَنْ أُطَوِّقَ بِهِمْ مَا بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ لَفَعَلْتُ، فَقَالَ ﷺ: «لَا تَفْعَلْ؛ عَسَىٰ اللهُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

فَتَأَمَّلْ فِي عَظِيمِ خُلُقِهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ ﷺ، حِينَ يُؤْذُونَهُ، وَهُوَ يَدْعُو لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ، وَيَأْبَىٰ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمُ الْعَذَابُ رَحْمَةً بِهِمْ، ثُمَّ تَأَمَّلْ فِي ذِكْرِهِ لِرَبِّهِ عِنْدَ بَدْأِ الطَّعَامِ حِينَ يَقُولُ: «بِسْمِ اللهِ»، وَتَأَمَّلْ فِي خُلُقِهِ الْكَرِيمِ ﷺ حِينَ أَثْنَىٰ عَلَىٰ بَلَدِ عَدَّاسَ، بِنِسْبَتِهَا لِنَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ حَيْثُ يَقُولُ ﷺ: «بَلَدُ النَّبِيِّ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ»، مِمَّا مَلَكَ عَلَىٰ عَدَّاسَ قَلْبَهُ وَمَشَاعِرَهُ، فَأَكَبَّ عَلَىٰ النَّبِيِّ

ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(١).

۞ إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، جِهَادٌ كَبِيرٌ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِالسَّيْفِ، إِنَّمَا هُوَ بِتَبْلِيغِ مَا أُرْسِلَ بِهِ ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾(٢).

۞ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَيْ جَاهِدْهُمْ بِالْقُرْآنِ جِهَاداً كَبِيراً لَا يُخَالِطُهُ فُتُورٌ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا الْجِهَادَ بِالسَّيْفِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يُؤْمَرْ بِالْجِهَادِ بِالسَّيْفِ إِلَّا بَعْدَ الْهِجْرَةِ».

۞ وَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ مَكِّيَّةٌ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ قَبْلَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ. وَمِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْزَلَ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَبَشَّرَ أَهْلَهَا بِمَعِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٣)، وَهَذِهِ الْآيَةُ كَذَلِكَ مَكِّيَّةٌ.

۞ وَلَمَّا كَانَ لِلدَّعْوَةِ شَأْنُهَا الْعَظِيمُ هَكَذَا عِنْدَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَشَّرَ الدَّاعِينَ عَلَىٰ هَدْيِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٤).

❁❁❁❁❁

رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَدْعُو الْجِنَّ إِلَى الْإِسْلَامِ

۞ لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ نَزَلَ بِبَطْنِ نَخْلَةٍ - وَهُوَ مَكَانٌ يَقَعُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ- فَحَضَرَهُ نَفَرٌ مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ وَهُوَ يُصَلِّي ﷺ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَائِماً بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَاسْتَمَعُوا لِقِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ سُورَةُ الْجِنِّ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا...﴾ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا

(١) الأحزاب الآية (٢١).
(٢) الفرقان الآية (٥٢).
(٣) العنكبوت الآية (٦٩).
(٤) فصلت الآية (٣٣).

سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾(١).

كَانَتْ هَذِهِ بِمَثَابَةِ الْبِدَايَةِ فِي دَعْوَتِهِ ﷺ لِلْجِنِّ، ثُمَّ تَتَابَعَتْ دَعْوَتُهُ ﷺ حَيْثُ بَلَّغَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَكَانَ شَأْنُهُمْ شَأْنَ الإِنْسِ، فَقَدْ بَلَّغَهُمْ ﷺ مَا أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ إِلَىٰ الإِنْسِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾(٢)، أَيْ: إِلَّا لِيُوَحِّدُوا اللهَ سُبْحَانَهُ وَيُطِيعُوهُ، فَالْعِبَادَةُ وَالتَّوْحِيدُ وَطَاعَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالِامْتِثَالُ لِأَمْرِهِ سُبْحَانَهُ، هِيَ الْغَايَةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا كَانَ خَلْقُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، أَفْلَحَ فِي ذَلِكَ الأَمْرِ مَنْ أَفْلَحَ حِينَ اسْتَجَابَ لِدَاعِي الْحَقِّ، وَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ وَلَّىٰ وَأَدْبَرَ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(٣).

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي دَعْوَتِهِ ﷺ لِلْجِنِّ الأَحَادِيثُ الآتِيَةُ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: «**مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ الْجِنِّ اللَّيْلَةَ فَلْيَفْعَلْ**»، فَلَمْ يَحْضُرْ مِنْهُمْ أَحَدٌ غَيْرِي، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ، خَطَّ ﷺ لِي بِرِجْلِهِ خَطًّا، ثُمَّ أَمَرَنِي ﷺ أَنْ أَجْلِسَ فِيهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّىٰ قَامَ، فَافْتَتَحَ الْقُرْآنَ، فَغَشِيَتْهُ أَسْوِدَةٌ كَثِيرَةٌ حَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، حَتَّىٰ مَا أَسْمَعُ صَوْتَهُ، ثُمَّ طَفِقُوا يَتَقَطَّعُونَ مِثْلَ قِطَعِ السَّحَابِ ذَاهِبِينَ، حَتَّىٰ بَقِيَ مِنْهُمْ رَهْطٌ، فَفَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ الْفَجْرِ... ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ الرَّهْطُ؟**» فَقُلْتُ: هُمْ أُولَئِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعْطَاهُمْ عَظْمًا وَرَوْثًا، ثُمَّ نَهَىٰ ﷺ أَنْ يَسْتَطِيبَ أَحَدٌ بِرَوْثٍ أَوْ عَظْمٍ. (رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ وَالْحَاكِمُ)

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ عَلَىٰ الْجِنِّ سُورَةَ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ «**لَلْجِنُّ أَحْسَنُ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا مِنْ مَرَّةٍ أَقْرَأُ فِيهَا: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(٤)، إِلَّا قَالُوا: وَلَا بِأَيِّ شَيْءٍ مِنْ آلَاءِ رَبِّنَا نُكَذِّبُ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

---

(١) الأحقاف الآيات (٢٩-٣٢).
(٢) الذاريات الآية (٥٦).
(٣) يوسف الآية (٢١).
(٤) الرحمن الآية (١٣).

الْفَصْلُ الثالِثُ

عَظَمَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِسْرَائِهِ وَمِعْرَاجِهِ

۞ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ مُعْجِزَةٌ كُبْرَىٰ، خَصَّ اللهُ فِيهَا حَبِيبَهُ ﷺ بِآيَاتِ إِكْرَامِهِ، وَعَظِيمِ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَقَدْ أَفْرَدَهَا اللهُ تَعَالَىٰ بِالذِّكْرِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مُبَيِّنًا لِنَبِيِّهِ ﷺ مِنَ الْمَشَاهِدِ الْعَلِيَّةِ وَالْأَسْرَارِ الْجَلِيَّةِ الَّتِي جَاوَزَتِ الْعُقُولَ، فَفِيهَا يُمَجِّدُ اللهُ تَعَالَىٰ نَفْسَهُ وَيُعَظِّمُ شَأْنَهُ لِقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاهُ، فَيَقُولُ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١). وَفِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ جَمَعَ اللهُ لِحَبِيبِهِ ﷺ أَنْبِيَاءَهُ، فَصَلَّىٰ ﷺ بِهِمْ وَأَمَّهُمْ، فَكَانَ فِي ذَٰلِكَ آيَةٌ جَلِيَّةٌ وَبُرْهَانٌ سَاطِعٌ عَلَىٰ أَنَّهُ ﷺ هُوَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ الْمُقَدَّمُ عَلَىٰ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

۞ وَفِي مِعْرَاجِهِ ﷺ تَجَاوَزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ سَمَاءً مِنْ بَعْدِ سَمَاءٍ، بَلْ تَجَاوَزَ جِبْرِيلَ الْأَمِينَ عليه السلام الَّذِي تَوَقَّفَ دُونَهُ حِينَ زُجَّ بِهِ ﷺ فِي أَنْوَارِ الْقُدُسِ، وَقَالَ: **إِلَىٰ هُنَا انْتَهَىٰ مَقَامِي وَلَوْ تَجَاوَزْتُهُ لَاحْتَرَقْتُ، وَلَوْ تَجَاوَزْتَهُ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَاخْتَرَقْتَ**. وَفِي الْمِعْرَاجِ كَانَتْ مُنَاجَاتُهُ ﷺ لِرَبِّهِ مُشَافَهَةً مِنْ غَيْرِ تَرْجُمَانٍ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾(٢)، مِنْ سِرٍّ لَا يُذَاعُ وَرَمْزٍ لَا يُشَاعُ، وَفِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ كَشَفَ اللهُ الْحِجَابَ لِحَبِيبِهِ ﷺ عَنْ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فَرَآهُ مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ وَلَا حَدٍّ وَلَا حِجَابٍ مُنَزَّهًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهَذَا مَقَامٌ تَقِفُ دُونَهُ الْعِبَارَةُ بَلْ وَالْإِشَارَةُ، حَتَّىٰ كَانَ ﷺ مِنْ رَبِّهِ: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾(٣)، أَيْ: قَدْرَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فِي مَقَامِ الْقُرْبِ.

۞ وَهُنَاكَ حَيَّا الرَّسُولُ ﷺ رَبَّهُ قَائِلًا: «**التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ**». وَحَيَّاهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**». فَيَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «**السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ**

(١) الإسراء الآية (١). (٢) النجم الآية (١٠). (٣) النجم الآية (٩).

وَرَسُولُهُ».

۞ ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيْهِ ﷺ وَعَلَىٰ أُمَّتِهِ «**الصَّلَاةُ**» الَّتِي فِيهَا صِلَةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ، وَقِيَامُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ سُبْحَانَهُ ضَارِعًا مُبْتَهِلاً، وَهِيَ قُرَّةُ عَيْنِ الْحَبِيبِ ﷺ، وَصِلَةُ الْوَصْلِ، وَمِعْرَاجُ الْقُرْبِ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّجَلِّي الْإِلَهِيِّ حِينَ يَقُومُ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ مُكَبِّراً وَذَاكِراً وَحَامِداً وَشَاكِراً، يُثْنِي عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيُعَظِّمُهُ وَيُمَجِّدُهُ بِمَا هُوَ لَهُ سُبْحَانَهُ أَهْلٌ، إِنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ وَقِوَامُهُ، وَرُوحُهُ الَّتِي يَحْيَا بِهَا الْمُؤْمِنُ، فَتَنْجَلِي عَنْهُ بِسَوَاطِعِ أَنْوَارِهَا غِشَاوَةُ الذُّنُوبِ، فَيَخْرُجُ مِنْ صَلَاتِهِ طَاهِراً قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ، ثُمَّ يَعُودُ؛ لِيُجَدِّدَ حَيَاتَهُ مَعَ اللهِ، وَهَكَذَا صَلَاةٌ إِثْرَ صَلَاةٍ، **جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَىٰ خَمْسًا فِي الْفَرْضِ وَخَمْسِينَ فِي الْأَجْرِ**، فَمَا أَجَلَّهَا مِنْ نِعْمَةٍ، وَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ عَطِيَّةٍ!!

۞ وَقَدْ جَمَعَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْخَصَائِصِ الْكُبْرَىٰ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمِعْرَاجِ، مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ⑥ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ⑪ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ⑭ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ⑮ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾(١).

وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، نَذْكُرُ مِنْهَا الْآتِي:

۞ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنْ أَبِي صَعْصَعَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ ﷺ فَقَالَ ﷺ: «**بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ، - وَرُبَّمَا قَالَ ﷺ: فِي الْحِجْرِ - مُضْطَجِعٌ إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَىٰ هَذِهِ** يَعْنِي مِنْ ثَغْرَةِ نَحْرِهِ ﷺ إِلَىٰ شِعْرَتِهِ ﷺ، **فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ.** (وَفِي رِوَايَةٍ: **ثُمَّ غُسِلَ بَطْنِي بِمَاءِ زَمْزَمَ**)، **ثُمَّ مُلِئَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ، أَبْيَضَ يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ** - يُرِيدُ بِالدَّابَّةِ الْبُرَاقَ - **فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ، ثُمَّ أَتَىٰ بِيَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا،**

---

(١) النجم الآيات (١-١٨).

فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قَالَ: ثُمَّ صَعَدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، فَقَالَ: هَذَا يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، قَالَ: فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قَالَ: ثُمَّ صَعَدَ بِي إِلَىٰ السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ، فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟، قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ لَنَا، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، وَقَالَ: مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعَدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا إِدْرِيسُ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قَالَ: ثُمَّ صَعَدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ، فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قَالَ: ثُمَّ صَعَدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ، جَاءَ فَفُتِحَ لَنَا، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ، قَالَ: هَذَا مُوسَىٰ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَىٰ، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي؛ لِأَنَّ غُلَاماً بُعِثَ بَعْدِي، يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، قَالَ: ثُمَّ صَعَدَ بِي حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَفُتِحَ لَنَا، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا بِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةِ، فَقَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَىٰ، فَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهَرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهَرَانِ ظَاهِرَانِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ.

ثُمَّ رُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، قَالَ: فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، قَالَ جِبْرِيلُ: هَذِهِ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتِ الصَّلَاةُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ ﷺ: فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، قَالَ ﷺ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ: مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَىٰ مُوسَىٰ فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ ﷺ: قُلْتُ: قَدْ سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ، وَلَكِنْ أَرْضَىٰ وَأُسَلِّمُ فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَىٰ مُنَادٍ: «قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ بِنَحْوِهِ)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ، أَبْيَضُ، طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ طَرْفِهِ، فَرَكِبْتُهُ فَسَارَ بِي، حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ

الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ فِي الْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ وَزَادَ سَيِّدُنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَجُمِعَ لِيَ الْأَنْبِيَاءُ، فَقَدَّمَنِي جِبْرِيلُ حَتَّىٰ أَمَمْتُهُمْ**». (رَوَاهُ النَّسَائِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ (فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ) الَّذِي خَتَمَهُ بِقَوْلِهِ ﷺ مُخَاطِبًا لِلْأَنْبِيَاءِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْدَ أَنْ صَلَّىٰ ﷺ بِهِمْ، فَقَالَ ﷺ: «**كُلُّكُمْ أَثْنَىٰ عَلَىٰ رَبِّهِ، وَإِنِّي مُثْنٍ عَلَىٰ رَبِّي** عَزَّوَجَلَّ، **فَقَالَ** ﷺ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ بَيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطاً، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمُ الْآخِرُونَ، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي، وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي، وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي، وَجَعَلَنِي فَاتِحاً خَاتِماً**». فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: **بِهَذَا فَضَلَكُمْ مُحَمَّدٌ** ﷺ. (رَوَاهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِمَا)

۞ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَوَّلَ مَا أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَىٰ أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَصَلَّىٰ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: **صَلَّيْتَ بِيَثْرِبَ**، ثُمَّ مَرَّ بِأَرْضٍ بَيْضَاءَ، فَقَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَصَلَّىٰ ﷺ، فَقَالَ: **صَلَّيْتَ بِمَدْيَنَ**، ثُمَّ مَرَّ بِبَيْتِ لَحْمٍ، فَقَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَصَلَّىٰ ﷺ، فَقَالَ: **صَلَّيْتَ حَيْثُ وُلِدَ عِيسَىٰ**». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

۞ وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ ﷺ مَرَّ بِمُوسَىٰ عليه السلام وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: **أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ**. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِعَجُوزٍ عَلَىٰ جَنْبِ الطَّرِيقِ، فَقَالَ ﷺ: **مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟** قَالَ: سِرْ يَا مُحَمَّدُ، فَسَارَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسِيرَ، فَإِذَا هُوَ بِشَيْخٍ يَدْعُوهُ مُتَنَحِّيًا عَنِ الطَّرِيقِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: سِرْ، وَأَنَّهُ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، فَقَالُوا: **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَوَّلُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا آخِرُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَاشِرُ**، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام: أُرْدُدْ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَمَّا الْعَجُوزُ الَّتِي رَأَيْتَ جَانِبَ الطَّرِيقِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مِثْلَ مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِ تِلْكَ الْعَجُوزِ، وَلَوْ أَجَبْتَهَا لَاخْتَارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الشَّيْخُ الَّذِي دَعَاكَ

مُتَنَحِّيًا عَنِ الطَّرِيقِ فَإِبْلِيسُ، وَأَمَّا الَّذِينَ سَلَّمُوا عَلَيْكَ، فَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَمِينِي: أَنْظِرْنِي أَسْأَلُكَ، فَلَمْ أُجِبْهُ، ثُمَّ دَعَانِي آخَرُ عَنْ يَسَارِي كَذَلِكَ فَلَمْ أُجِبْهُ، ثُمَّ إِذَا امْرَأَةٌ حَاسِرَةٌ عَنْ ذِرَاعَيْهَا وَعَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَىٰ، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْظِرْنِي أَسْأَلُكَ، فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَمَّا الدَّاعِي الْأَوَّلُ فَهُوَ دَاعِي الْيَهُودِ، وَلَوْ أَجَبْتَهُ لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُكَ، وَأَمَّا الثَّانِي فَدَاعِي النَّصَارَىٰ، وَلَوْ أَجَبْتَهُ لَتَنَصَّرَتْ أُمَّتُكَ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَالدُّنْيَا». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّهُ ﷺ رَأَىٰ أَخْونَةً عَلَيْهَا لَحْمٌ طَيِّبٌ لَيْسَ عَلَيْهَا أَحَدٌ، وَأُخْرَىٰ عَلَيْهَا لَحْمٌ نَتِنٌ عَلَيْهِ نَاسٌ يَأْكُلُونَ، قَالَ جِبْرِيلُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ الْحَلَالَ، وَيَأْكُلُونَ الْحَرَامَ، وَمَرَّ ﷺ بِقَوْمٍ بُطُونُهُمْ أَمْثَالُ الْبُيُوتِ، كُلَّمَا نَهَضَ أَحَدُهُمْ خَرَّ، قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَؤُلَاءِ هُمْ أَكَلَةُ الرِّبَا، وَأَنَّهُ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ مَشَافِرُهُمْ كَالْإِبِلِ يَلْتَقِمُونَ جَمْرًا فَيَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ، قَالَ جِبْرِيلُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا، وَمَرَّ ﷺ بِنِسَاءٍ تَعَلَّقْنَ بِثُدِيِّهِنَّ، قَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّهُنَّ الزَّوَانِي، وَمَرَّ ﷺ بِقَوْمٍ يُقَطَّعُ مِنْ جُنُوبِهِمُ اللَّحْمُ فَيُطْعَمُونَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّهُمُ الْغَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ الْهَمَّازُونَ. (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّهُ ﷺ مَرَّ عَلَىٰ قَوْمٍ يَزْرَعُونَ وَيَحْصُدُونَ فِي يَوْمٍ كُلَّمَا حَصَدُوا عَادَ كَمَا كَانَ، فَقَالَ لِجِبْرِيلَ عليه السلام: مَا هَذَا؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ، ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ تُرْضَخُ رُءُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، وَلَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَاجِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَتَثَاقَلُ رُءُوسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ عَلَىٰ أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ وَعَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ، يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْأَنْعَامُ، يَأْكُلُونَ الضَّرِيعَ وَالزَّقُّومَ وَرَضْفَ جَهَنَّمَ، فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ نَضِيجٌ فِي قِدْرٍ، وَلَحْمٌ

نَيِّئٌ فِي قِدْرٍ خَبِيثٍ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنَ النَّيِّئِ الْخَبِيثِ وَيَضَعُونَ النَّضِيجَ، فَقَالَ: مَا هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ جِبْرِيلُ: **هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عِنْدَهُ الْمَرْأَةُ الْحَلَالُ الطَّيِّبُ، فَيَأْتِي امْرَأَةً خَبِيثَةً، فَيَبِيتُ عِنْدَهَا حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَالْمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلَالاً طَيِّبًا، فَتَأْتِي رَجُلاً خَبِيثًا، فَتَبِيتُ عِنْدَهُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**، ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حِزْمَةَ حَطَبٍ عَظِيمَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: **هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَمَانَاتُ النَّاسِ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَدَائِهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا**، ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: **هَؤُلَاءِ هُمْ خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ**. قَالَ: ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ جُحْرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ، فَجَعَلَ الثَّوْرُ يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلَا يَسْتَطِيعُ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: **هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ ثُمَّ يَنْدَمُ عَلَيْهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّهَا**.

۞ ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ وَادٍ فَوَجَدَ فِيهِ رِيحًا طَيِّبَةً بَارِدَةً وَرِيحَ مِسْكٍ، وَسَمِعَ صَوْتًا جَمِيلاً، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: **هَذَا صَوْتُ الْجَنَّةِ تَقُولُ: رَبِّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَتْ غُرَفِي، وَإِسْتَبْرَقِي، وَحَرِيرِي، وَسُنْدُسِي وَعَبْقَرِيِّي، وَلُؤْلُئِي، وَمَرْجَانِي، وَفِضَّتِي، وَذَهَبِي، وَأَكْوَابِي، وَصِحَافِي، وَأَبَارِيقِي، وَمَرَاكِبِي، وَعَسَلِي، وَمَائِي، وَلَبَنِي، وَخَمْرِي، فَآتِنِي مَا وَعَدْتَنِي**، قَالَ عَزَّوَجَلَّ: لَكِ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي، وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئًا، وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أَنْدَادًا، وَمَنْ خَشِيَنِي فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ سَأَلَنِي فَقَدْ أَعْطَيْتُهُ، وَمَنْ أَقْرَضَنِي جَازَيْتُهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ، إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا أُخْلِفُ الْمِيعَادَ، قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ وَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، قَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ. ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ وَادٍ فَسَمِعَ صَوْتًا مُنْكَرًا، وَوَجَدَ رِيحًا مُنْتِنَةً، فَقَالَ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ، تَقُولُ: **رَبِّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي، فَقَدْ كَثُرَتْ سَلَاسِلِي، وَأَغْلَالِي، وَسَعِيرِي، وَحَمِيمِي، وَضَرِيعِي، وَغَسَّاقِي، وَعَذَابِي، وَقَدْ بَعُدَ قَعْرِي، وَاشْتَدَّ حَرِّي فَآتِنِي مَا وَعَدْتَنِي**، قَالَ: **لَكِ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ، وَكَافِرٍ وَكَافِرَةٍ، وَكُلُّ جَبَّارٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**، قَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ، فَسَارَ ﷺ حَتَّىٰ أَتَىٰ بَيْتَ

الْمَقْدِسِ. (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْبَزَّارُ)

۞ ثُمَّ مَاذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ قُرَيْشٍ، حِينَ حَدَّثَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَبَرِ الإِسْرَاءِ، الْجَوَابُ: إِنَّهَا كَعَادَتِهَا اسْتَعْظَمَتْ هَذَا الأَمْرَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَذَّبَتْ وَأَبَتْ، وَذَهَبَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ إِلَىٰ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وَقَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ صَاحِبَكَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَصَلَّىٰ فِيهِ وَرَجَعَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَوَاللهِ إِنَّا لَنَضْرِبُ أَكْبَادَ الإِبِلِ شَهْرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الشَّامِ مُقْبِلَةً وَشَهْرًا مُدْبِرَةً، فَكَيْفَ بِهِ يَقُولُ إِنَّهُ ذَهَبَ وَعَادَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: «**وَاللهِ إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ يَأْتِيهِ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، فَهَذَا أَبْعَدُ مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانَ قَالَهُ فَقَدْ صَدَقَ**»، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسًا بِالْمَسْجِدِ، فَسَمِعَ مَا قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ هَذَا الْيَوْمِ بِالصِّدِّيقِ، **فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ «أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ»**.

۞ أَمَّا قُرَيْشٌ، فَإِنَّهَا حِينَ كَذَّبَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَيَّدَهُ ﷺ بِالآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ، فَقَدْ سَأَلُوهُ أَنْ يَصِفَ ﷺ لَهُمُ الْمَسْجِدَ الأَقْصَىٰ، وَعِنْدَهَا جَلَّىٰ اللهُ لَهُ مَا فِيهِ مِنْ شُرُفَاتِهِ شُرْفَةً شُرْفَةً وَبَابًا بَابًا، حَيْثُ يَقُولُ ﷺ: «**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ حِينَ أُسْرِيَ بِي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا جَابِرٍ رضي الله عنه)





الْبَابُ الرَّابِعُ

أَوْجُهُ الْعَظَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بَعْدَ الْبَعْثَةِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

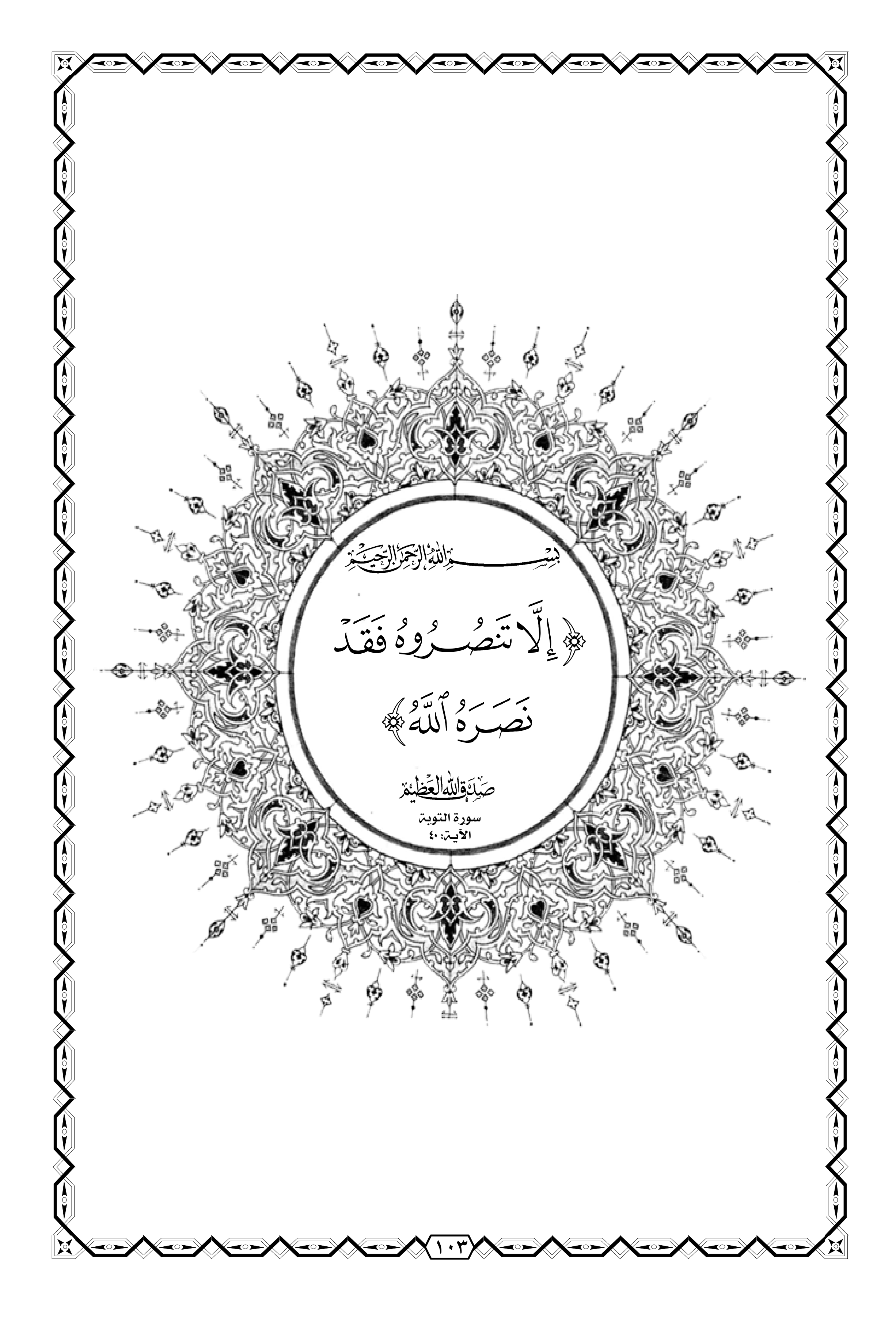
وَيَتَنَاوَلُ هَذَا الْبَابُ الآتِي:

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي هِجْرَتِهِ.

الْفَصْلُ الثَّانِي: عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي جِهَادِهِ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي التَّأْلِيفِ لِلْإِسْلَامِ.

الْفَصْلُ الرَّابِعُ: حَجَّةُ الْوَدَاعِ.


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾
صدق الله العظيم
سورة التوبة
الآية: ٤٠



عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي هِجْرَتِهِ

وَيَحْوِي هَذَا الْفَصْلُ الآتِي:

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: بَشَائِرُ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: مَسِيرَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الْهِجْرَةِ.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: دُخُولُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لِلْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: أَعْمَالُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم الْجَلِيلَةُ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

بَشَائِرُ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

۞ بَعْدَ عَوْدَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ، قَامَ بِمَكَّةَ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَىٰ اللهِ، وَيَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ كُلَّ عَامٍ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يُصَدِّقُوهُ ﷺ، وَيَمْنَعُوهُ حَتَّىٰ يُبَلِّغَهُمْ ﷺ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَأَنْجَزَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَعْدَهُ، فَآمَنَ بِهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَوَعَدُوهُ أَنْ يَلْتَقُوا بِهِ ﷺ فِي الْعَامِ الْقَادِمِ.

۞ فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي يَلِيهِ حَضَرَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ نَصُّ بَيْعَتِهِمْ كَمَا تَحَدَّثُوا بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَلَّا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ، أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِي بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيهِ ﷺ فِي مَعْرُوفٍ» فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ غَشِيَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**».

۞ وَتُسَمَّىٰ هَذِهِ الْبَيْعَةُ: «**بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَىٰ**». وَكَلِمَةُ "الْعَقَبَةِ" هَذِهِ نِسْبَةً إِلَىٰ الْمَكَانِ الَّذِي بَايَعَ فِيهِ هَؤُلَاءِ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ.

۞ وَلَمَّا عَزَمُوا عَلَىٰ الرَّحِيلِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ بَعْدَ انْقِضَاءِ مَوْسِمِ الْحَجِّ، بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمُ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رضي الله عنه، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ يُسَمَّىٰ بِالْمَدِينَةِ «الْمُقْرِئُ مُصْعَبُ»، وَكَانَ نُزُولُهُ رضي الله عنه عِنْدَ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ رضي الله عنه، الَّذِي كَانَ أَسْبَقَ النَّاسِ إِسْلَامًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

۞ وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ رضي الله عنه يَصْطَحِبُ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رضي الله عنه؛ لِيُسْمِعَ النَّاسَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُوَهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَدِينَةِ بَيْتٌ إِلَّا وَبَلَّغَهُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ عَلَىٰ يَدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رضي الله عنه الَّذِي يُعَدُّ أَوَّلَ دَاعٍ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ بِالْمَدِينَةِ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رضي الله عنه، ثُمَّ أَسْلَمَ مِنْ بَعْدِهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه، وَهُمَا سَيِّدَانِ فِي قَوْمِهِمَا، حَيْثُ قَالَ كُلٌّ مِنْهُمَا عِنْدَمَا دُعِيَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَسَمِعَ مَا سَمِعَ مِنَ الْقُرْآنِ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامِ وَمَا

أَجْمَلَهُ!!.

۞ وَقَامَ كُلٌّ مِنْهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ صَلَّىٰ، وَعَادَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه مُزَوَّدَاً بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَكَمَالِ الْيَقِينِ الَّذِي بَاشَرَ قَلْبَهُ، وَسَطَعَتْ أَنْوَارُهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، عَادَ يَدْعُو قَوْمَهُ قَائِلاً: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، مَا تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدَنَا وَأَوْصَلَنَا وَأَفْضَلَنَا رَأْيَاً. قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ - صلى الله عليه وآله وسلم - فَاسْتَجَابَ لَهُ قَوْمُهُ، وَدَخَلُوا جَمِيعَاً فِي الْإِسْلَامِ، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَأَمْسَىٰ مُسْلِمَاً أَوْ مُسْلِمَةً.

۞ أَمَّا أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ رضي الله عنه فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ النَّاسَ بِالْمَدِينَةِ وَصَلَّىٰ بِهِمُ الْجُمُعَةَ.

۞ وَلَمَّا حَانَ مَوْسِمُ الْحَجِّ فِي الْعَامِ الَّذِي يَلِي بَيْعَةَ الْعَقَبَةَ الْأُولَىٰ، خَرَجَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ مَعَ مَنْ خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا وَافَوْا مَكَّةَ، أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مُسْتَخْفِينَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَبَايَعُوهُ لَيْلاً، وَكَانَتْ عِدَّةُ الَّذِينَ بَايَعُوا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَبْعِينَ رَجُلاً وَامْرَأَتَانِ هُمَا: نسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عِمَارَةَ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، وَاخْتَارَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم اِثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبَاً يَكُونُونَ عَلَىٰ قَوْمِهِمْ، وحَضَرَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَيْعَتَهُمْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَذَلِكَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ، فَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَوْثِقَ مِنْ حِمَايَتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَامَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، وَأَخَذَ بِيَدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَنَحْنُ وَاللهِ أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرَاً عَنْ كَابِرٍ.

۞ يُرِيدُ بِالْحَلْقَةِ السِّلَاحَ، ثُمَّ ضَرَبَ السَّبْعُونَ عَلَىٰ يَدِهِ وَبَايَعُوهُ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لِنُقَبَائِهِمْ الِاثْنَيْ عَشَرَ: «**أَنْتُمْ كُفَلَاءُ عَلَىٰ قَوْمِكُمْ كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَىٰ قَوْمِي**». وَهَذِهِ هِيَ: «**بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ**».

۞ أَمَّا قُرَيْشٌ، فَإِنَّهُ لَمَّا بَلَغَهَا إِسْلَامُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ رضي الله عنهم، ازْدَادَ إِيذَاؤُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ بِمَكَّةَ حَتَّىٰ أَصَابَهُمْ جَهْدٌ شَدِيدٌ، فَأَذِنَ لَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجُوا أَرْسَالاً بَعْضُهُمْ إِثْرَ بَعْضٍ، وَكَانَ خُرُوجُهُمْ سِرَّاً إِلَّا سَيِّدَنَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَدْ خَرَجَ جَهْرَاً،

حَيْثُ تَقَلَّدَ سَيْفَهُ، وَذَهَبَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ وَهُمْ جُلُوسٌ بِالْـمَسْجِدِ، وَطَافَ عَلَيْهِمْ حَلْقَةً حَلْقَةً، وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ أَرَادَ أَنْ تُثْكِلَهُ أُمُّهُ، وَتُرَمَّلَ زَوْجَتُهُ، وَيُيَتَّمَ وَلَدُهُ،فَلْيَلْحَقْنِي وَرَاءَ هَذَا الْوَادِي، فَخَرَجَ ﵁ مُهَاجِراً، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ ﵁ وَعَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ.

۞ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِمَنْ أَذِنَ لَهُمْ بِالْهِجْرَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ مُطَمْئِنًا لَهُمْ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانَاً وَدَاراً تَأْمَنُونَ بِهَا**».

۞ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ كَثِيراً مَا يَسْتَأْذِنُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ، فَيَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَاتَعْجَلْ؛ لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُ لَكَ صَاحِبَاً**»، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ يَدْعُو اللهَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الصَّاحِبُ هُوَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ فَكَانَ الرَّفِيقُ فِي هِجْرَتِهِ: رَسُولَ اللهِ ﷺ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

مَسِيرَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الْهِجْرَةِ

الإِذْنُ بِالْهِجْرَةِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾(١).

وبَيَانُ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، اِجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ الَّتِي حَضَرَهَا مَعَهُمُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ نَجْدِيٍّ، وَتَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَىٰ حَبْسِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَلَا يَخْرُجُ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، وَهَذَا مَعْنَىٰ: «لِيُثْبِتُوكَ» أَوْ يَقْتُلُوهُ، فَتَأْتِي كُلُّ قَبِيلَةٍ مِنْهُمْ بِفَتَىٰ مِنْ فِتْيَانِهَا، ثُمَّ يَتَرَبَّصُونَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لِيَقْتُلُوهُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ أَنْ يُقَاتِلُوا الْقَبَائِلَ كُلَّهَا، وَيَقْبَلُوا فِيهِ صلى الله عليه وآله وسلم الدِّيَةَ، أَوْ يُخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ بَعِيداً عَنْ بِلَادِهِمْ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ دَارِ النَّدْوَةِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ قَتْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَانْصَاعُوا لِرَأْيِ كَبِيرِهِمْ أَبِي جَهْلٍ وَمَنْ وَالَاهُمْ مِنْ شَيْطَانِهِمُ النَّجْدِيِّ، وَلَكِنْ مَا أَضْعَفَ كَيْدَ الشَّيْطَانِ، فَقَدْ كَشَفَ اللهُ لِحَبِيبِهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَمَّا كَانَ مِنْ مَكْرِهِمْ وَكَيْدِهِمْ، وَنَزَلَ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ عليه السلام يَقُولُ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، لَا تَبِتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَىٰ فِرَاشِكَ الَّذِي كُنْتَ تَبِيتُ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا كَانَتْ عَتَمَةُ اللَّيْلِ، اِجْتَمَعُوا عَلَىٰ بَابِهِ صلى الله عليه وآله وسلم؛ يَرْصُدُونَهُ مَتَىٰ يَنَامُ، فَيَثِبُونَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مَكَانَهُمْ، قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «**نَمْ عَلَىٰ فِرَاشِي، وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هَذَا الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ**»، وَخَرَجَ صلى الله عليه وآله وسلم، فَأَخَذَ حِفْنَةً مِنْ تُرَابٍ فِي يَدِهِ، وَأَخَذَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ صلى الله عليه وآله وسلم، فَجَعَلَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا غِشَاوَةً فَلَا يَرَوْنَهُ صلى الله عليه وآله وسلم، ثُمَّ جَعَلَ صلى الله عليه وآله وسلم يَنْثُرُ التُّرَابَ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ، وَهُوَ صلى الله عليه وآله وسلم يَتْلُو قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يسٓ ١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧

(١) الأنفال الآية (٣٠).

إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[1].

فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَالتُّرَابُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، وَأَتَاهُمْ آتٍ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ، وَقَالَ: خَيَّبَكُمُ اللهُ، قَدْ وَاللهِ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ، مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلاً إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَىٰ رَأْسِهِ تُرَابًا، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بِكُمْ؟ فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَإِذَا عَلَيْهَا تُرَابٌ، ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَلَّعُونَ فَيَرَوْنَ عَلِيًّا عَلَىٰ الْفِرَاشِ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَاصِداً بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه؛ لِيُبَشِّرَهُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَذِنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**الصُّحْبَةُ**».

الْخُرُوجُ لِلْهِجْرَةِ:

لَمَّا أَتَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، وَبَشَّرَهُ بِالصُّحْبَةِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ هَاتَيْنِ رَاحِلَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْهِجْرَةِ، فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَىٰ رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، فَأَبَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَأْخُذَهَا إِلَّا بِالثَّمَنِ.

وَقَامَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ وَالسَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ رضي الله عنهما، فَجَهَّزَتَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه أَسْرَعَ الْجِهَازِ، وَصَنَعَتَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ فَمَ الْجِرَابِ، فَسُمِّيَتْ رضي الله عنها: «**ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ**»، وَاحْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مَالَهُ كُلَّهُ، فَانْطَلَقَ بِهِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاسْتَأْجَرَا عَبْدَ اللهِ بْنَ أُرَيْقِطَ؛ لِيَكُونَ دَلِيلاً لَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَاسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه؛ لِيَرُدَّ وَدَائِعَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، ثُمَّ عَمَدَا إِلَىٰ غَارٍ بِجَبَلٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ يُقَالُ لَهُ: جَبَلُ ثَوْرٍ، فَدَخَلَاهُ، وَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما أَنْ يَتَسَمَّعَ لَهُمَا مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِمَا، يَفْعَلُ ذَلِكَ نَهَاراً، ثُمَّ يَأْتِيهِمَا بِالْخَبَرِ فِي الْمَسَاءِ، وَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مَوْلَاهُ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ رضي الله عنه أَنْ يَرْعَىٰ غَنَمَهُ نَهَاراً، ثُمَّ يُرِيحَهَا عَلَيْهِمَا، فَيَأْتِيَاهُمَا إِذَا أَمْسَىٰ فِي

---

(١) يس الآيات (١-٩).

الْغَارِ، وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها تَأْتِيهِمَا إِذَا أَمْسَتْ بِالطَّعَامِ.

۞ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَمْشِي تَارَةً أَمَامَ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَارَةً خَلْفَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَا فِي الْغَارِ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا تَذَكَّرْتُ أَنَّهُمْ يَرْقُبُونَكَ، مَشَيْتُ أَمَامَكَ، وَإِذَا تَذَكَّرْتُ أَنَّهُمْ يَرْصُدُونَكَ، مَشَيْتُ خَلْفَكَ، ثُمَّ أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَتَحَسَّسُ الْغَارَ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ سَبُعٍ أَوْ حَيَّةٍ أَوْ حِجَارَةٍ تُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ، وَمَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فِي الْغَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَكْلَؤُهُمَا عِنَايَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ عِنْدَ بَابِ الْغَارِ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه خَفْقَ نِعَالِهِمْ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا، لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**». وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مِنَ الْغَارِ سَالِمَيْنِ، بَعْدَ أَنْ مَكَثَا بِالْغَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَسَارَا فِي طَرِيقِهِمَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

۞ وَقَدْ جَعَلَتْ قُرَيْشٌ فِيمَنْ يَأْتِي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَائَةَ نَاقَةٍ، وَطَمِعَ فِي ذَلِكَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَجَاءَ عَلَىٰ فَرَسِهِ، حَتَّىٰ إِذَا اقْتَرَبَ مِنْهُمَا، سَاخَتْ رِجْلَا فَرَسِهِ فِي التُّرَابِ، فَاسْتَغَاثَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَدَعَا ﷺ لَهُ فَعَادَ فَرَسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ تَتَبَّعَ سُرَاقَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَسَاخَتْ رِجْلَا فَرَسِهِ فِي التُّرَابِ، وَفِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ، اِسْتَغَاثَ سُرَاقَةُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: أَنْظِرُونِي أُكَلِّمُكُمْ فَوَاللهِ لَا أُرِيبُكُمْ وَلَا يَأْتِيكُمْ مِنِّي شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ، وَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ كِتَابَ أَمَانٍ يَكُونُ آيَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَكَتَبَ لَهُ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه الْكِتَابَ، وَوَعَدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَاجِ كِسْرَىٰ إِنْ هُوَ آمَنَ وَصَدَّقَ، وَجَعَلَ ذَلِكَ سِرّاً بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ سُرَاقَةُ الْكِتَابَ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ، خَرَجَ سُرَاقَةُ وَمَعَهُ كِتَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَرَفَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا كِتَابُكَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ**»، قَالَ سُرَاقَةُ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَأَسْلَمْتُ، وَيَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ وَعْدُ النَّبِيِّ ﷺ لِسُرَاقَةَ، فَإِنَّهُ حِينَ كَانَتْ خِلَافَةُ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَجِيءَ لَهُ رضي الله عنه بِنَفَائِسِ كِسْرَىٰ، أَخَذَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه تَاجَ كِسْرَىٰ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ النَّفَائِسِ، وَأَعْطَاهُ لِسُرَاقَةَ، فَتَعَجَّبَ سُرَاقَةُ إِذْ أَنَّ ذَلِكَ سِرٌّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَكِنَّهَا بُشْرَىٰ النَّبِيِّ ﷺ

الَّتِي تَحَقَّقَ بِهَا سُرَاقَةُ، وَرَآهَا رَأْيَ الْعَيْنِ، فَازْدَادَ بِهَا إِيمَانًا، حِينَ أَظْهَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ، فَخَضَعَتِ التِّيجَانُ لِرِسَالَتِهِ ﷺ.

۞ وَمَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَمَرَّا عَلَىٰ خَيْمَةٍ لِامْرَأَةٍ مِنْ كُرَمَاءِ الْعَرَبِ، يُقَالُ لَهَا: «أُمُّ مَعْبَدٍ»، فَسَأَلَاهَا طَعَامًا، فَقَالَتْ: **مَا عِنْدِي غَيْرُ هَذِهِ الشَّاةِ الَّتِي خَلَّفَهَا الْجَهْدُ وَالْمَسِيرُ وَقَدْ جَفَّ اللَّبَنُ فِي ضَرْعِهَا**، فَقَالَ ﷺ: **أَرِنِي هَذِهِ الشَّاةَ**، فَمَسَحَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَىٰ ضَرْعِهَا، فَامْتَلَأَ الضِّرْعُ بِاللَّبَنِ، وَشَرِبَ النَّبِيُّ وَصَاحِبُهُ رضي الله عنه، وَشَرِبَ أَهْلُ الْبَيْتِ، وَتَعَجَّبَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ عَمَّا رَأَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَتْ، ثُمَّ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ بِهِ عِنْدَ عَوْسَجَةٍ (أَيْ: شَجَرَةٍ صَغِيرَةٍ) أَمَامَ الْخَيْمَةِ، فَبُورِكَتْ هَذِهِ الشَّجَرَةُ بِمَاءِ وُضُوئِهِ ﷺ، حَتَّىٰ صَارَتْ شَجَرَةً وَارِفَةً، قَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ: **فَوَاللهِ مَا أَكَلَ مَرِيضٌ مِنْ ثِمَارِهَا إِلَّا وَشَفَاهُ اللهُ عز وجل**.

۞ وَلَمَّا حَضَرَ زَوْجُ أُمِّ مَعْبَدٍ، قَصَّتْ عَلَيْهِ مَا رَأَتْهُ وَشَهِدَتْهُ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ﷺ فِي طَرِيقِهِ وَأَسْلَمَ، وَبَارَكَ اللهُ فِي الشَّاةِ الَّتِي مَسَحَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ ضَرْعِهَا، فَعَاشَتْ إِلَىٰ خِلَافَةِ عُمَرَ رضي الله عنه.

۞ وَمِمَّا جَاءَ فِي السِّيرَةِ الْحَلَبِيَّةِ عَنْ مَسِيرَتِهِ ﷺ، أَنَّهُ ﷺ مَرَّ عَلَىٰ غُلَامٍ يَرْعَىٰ غَنَمًا، فَقَالَ ﷺ لِلْغُلَامِ: لِمَنْ هَذِهِ الْغَنَمُ؟ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، وَقَالَ ﷺ: «**سَلِمْتَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ**»، ثُمَّ قَالَ لِلْغُلَامِ الرَّاعِي: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ مَسْعُودُ، فَالْتَفَتَ ﷺ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، وَقَالَ ﷺ: «**سَعِدتَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ**».

۞ كَذَلِكَ يَرْوِي صَاحِبُ السِّيرَةِ الْحَلَبِيَّةِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَىٰ رَجُلٍ خَرَجَ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **مَنْ أَنْتَ؟** قَالَ: «بُرَيْدَةُ بْنُ الْحَصِيبِ»، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه وَقَالَ ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، بَرَدَ أَمْرُنَا وَصَلُحَ**»، ثُمَّ قَالَ لِبُرَيْدَةَ: **مِمَّنْ أَنْتَ؟** قَالَ: مِنْ أَسْلَمَ مِنْ بَنِي سَهْمٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سَلِمْنَا، وَخَرَجَ سَهْمُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ**»، وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «**وَخَرَجَ سَهْمُكَ...**» كِنَايَةٌ عَنِ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ وَبُلُوغِ الْمَقْصِدِ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بُرَيْدَةَ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ﷺ، وَأَنَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ بُرَيْدَةُ: أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

وَرَسُولُهُ، فَأَسْلَمَ بُرَيْدَةُ وَكُلُّ مَنْ كَانَ مَعَهُ، وَصَلُّوا جَمِيعًا خَلْفَهُ ﷺ صَلَاةَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ.

۞ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي أَوَّلِ مَسِيرَتِهِ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَقَفَ ﷺ عِنْدَ مَكَانٍ بِالْقُرْبِ مِنْ مَكَّةَ يُقَالُ لَهُ: الْجُحْفَةُ، فَجَعَلَ ﷺ يَنْظُرُ إِلَىٰ مَكَّةَ وَيَقُولُ مُنَاجِيًا رَبَّهُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُونِي مِنْ أَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، فَأَسْكِنِّي أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ**». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ)

۞ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ بِالْبُشْرَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[(١)]، أَيْ: رَادُّكَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَتَحَقَّقَ وَعْدُ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الثَّامِنِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

تَارِيخُ بَدْءِ الْهِجْرَةِ:

۞ أَمَّا عَنْ تَارِيخِ بَدْءِ هِجْرَتِهِ ﷺ، فَقَدِ افْتَتَحَ ﷺ هِجْرَتَهُ فِي أَوَّلِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَدَخَلَ ﷺ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمُوَافِقَ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَكَانَ أَوَّلُ نُزُولِهِ ﷺ بِقُبَاءَ عِنْدَ كُلْثُومِ بْنِ الْهِدْمِ وَهُوَ شَيْخُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، مِنْ قَبِيلَةِ الْأَوْسِ حَيْثُ مَكَثَ عِنْدَهُ ﷺ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ: الِاثْنَيْنِ، وَالثُّلَاثَاءِ، وَالْأَرْبَعَاءِ، وَالْخَمِيسِ، وَفِي قُبَاءَ أَسَّسَ النَّبِيُّ ﷺ مَسْجِدَ قُبَاءَ، وَفِيهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[(٢)].

۞ وَقُبَاءُ هَذِهِ قَرْيَةٌ جَنُوبَ الْمَدِينَةِ تَقَعُ مِنْهَا عَلَىٰ بُعْدِ مِيلَيْنِ، وَمِنْ قُبَاءَ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ نَاقَتَهُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا «**الْقَصْوَاءُ**»، يُرِيدُ ﷺ الْمَدِينَةَ، حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ ﷺ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، فَصَلَّاهَا ﷺ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي كَانَ بِبَطْنِ الْوَادِي، وَمَعَهُ مِائَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، وَهِيَ أَوَّلُ جُمُعَةٍ صَلَّاهَا ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَسْجِدُ مِنْ أَجْلِ هَذَا: «**مَسْجِدُ الْجُمُعَةِ**».

۞ وَحِينَ خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ فِي جُمُعَتِهِ هَذِهِ، فَإِنَّهُ ﷺ لِسُمُوِّ خُلُقِهِ الْعَظِيمِ، لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا مَا كَانَ مِنْ إِيذَاءِ أَهْلِ مَكَّةَ وَكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَإِنَّمَا حَضَّهُمْ فِيهَا عَلَىٰ تَقْوَىٰ اللهِ، وَالْمُسَارَعَةِ فِي الْعَمَلِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ، وَالْإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ، حَيْثُ يَقُولُ ﷺ فِي خِتَامِ خُطْبَتِهِ:

---

(١) القصص الآية (٨٥). (٢) التوبة الآية (١٠٨).

«فَأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ اللهِ، وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْيَوْمِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، يَكْفِهِ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يَقْضِي عَلَىٰ النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ، وَيَمْلِكُ النَّاسَ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ، اللهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَظِيمِ».

وَيَطِيبُ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ ذِكْرُ خُطْبَتِهِ ﷺ الَّتِي خَطَبَهَا ﷺ فِي أَوَّلِ جُمُعَةٍ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْآتِي:

«الْحَمْدُ للهِ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَهْدِيهِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَلَا أَكْفُرُهُ، وَأُعَادِي مَنْ يَكْفُرُهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ، عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَقِلَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَضَلَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَدُنُوٍّ مِنَ السَّاعَةِ، وَقُرْبٍ مِنَ الْأَجَلِ، مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَىٰ وَفَرَّطَ وَضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً. وَأُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، فَإِنَّهُ خَيْرُ مَا أَوْصَىٰ بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ، ثُمَّ أَنْ يَحُضَّهُ عَلَىٰ الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِتَقْوَىٰ اللهِ، فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ نَصِيحَةً، وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ذِكْراً، وَإِنَّ تَقْوَىٰ اللهِ لِمَنْ عَمِلَ بِهِ عَلَىٰ وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ مِنْ رَبِّهِ، عَوْنُ صِدْقٍ عَلَىٰ مَا تَبْغُونَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ. وَمَنْ يُصْلِحِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، لَا يَنْوِي بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللهِ، يَكُنْ لَهُ ذِكْراً فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ، وَذُخْراً فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلَىٰ مَا قَدَّمَ، وَمَا كَانَ مِنْ سِوَىٰ ذَلِكَ يَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً، وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ. وَهُوَ الَّذِي صَدَقَ قَوْلُهُ، وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ، لَا خُلْفَ لِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1]. فَاتَّقُوا اللهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَآجِلِهِ، فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾[2]، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ، فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً، وَإِنَّ تَقْوَىٰ اللهِ يُوقِي مَقْتَهُ وَسَخَطَهُ، وَإِنَّ تَقْوَىٰ اللهِ يُبَيِّضُ الْوُجُوهَ، وَيُرْضِي الرَّبَّ، وَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ. خُذُوا بِحَظِّكُمْ وَلَا تُفَرِّطُوا فِي جَنْبِ اللهِ، فَقَدْ عَلَّمَكُمُ اللهُ كِتَابَهُ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ؛ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ، فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكُمْ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ، وَجَاهِدُوا فِي اللهِ

---

(١) ق الآية (٢٩). (٢) الطلاق الآية (٥).

حَقِّ جِهَادِهِ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَسَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ، لِيَهْلَكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْيَوْمِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ يَكْفِهِ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ، وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ، اللهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ». (رَوَاهَا الطَّبَرِيُّ فِي تَارِيخِهِ)



الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ

دُخُولُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

۞ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُوَ مُؤَيَّدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ بِنَصْرِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾(١)، فَمُدْخَلُ الصِّدْقِ هُوَ الْمَدِينَةُ، حَيْثُ رَفَعَ اللهُ فِيهَا لِوَاءَ دَعْوَتِهِ ﷺ، وَأَيَّدَهُ ﷺ فِيهَا بِالْأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا، وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ هُوَ مَكَّةُ الَّتِي دَخَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ فَاتِحًا فِي الْعَامِ الثَّامِنِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

۞ لَقَدْ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاحِلَتَهُ «الْقَصْوَاءَ» يُرِيدُ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَكَانَ ﷺ لَا يَمُرُّ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا قَالُوا: هَلُمَّ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَيْنَا إِلَىٰ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمَنَعَةِ، يَعْتَرِضُونَ نَاقَتَهُ ﷺ؛ لَعَلَّهُمْ يَحْظَوْنَ بِنُزُولِهِ ﷺ لَدَيْهِمْ، فَيَقُولُ ﷺ «**خَلُّوا سَبِيلَهَا؛ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ**»، حَتَّىٰ بَرَكَتْ عِنْدَ مَوْضِعِ مَسْجِدِهِ ﷺ الْيَوْمَ، وَكَانَ مَرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ، هُمَا: «سَهْلُ وَسُهَيْلُ» ابْنَا عَمْرٍو مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَلَمَّا بَرَكَتْ لَمْ يَنْزِلْ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَثَبَتَ ﷺ، فَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاضِعٌ عَلَيْهَا زِمَامَهَا لَا يُثْنِيهَا بِهِ، ثُمَّ الْتَفَتَتْ خَلْفَهَا، فَرَجَعَتْ إِلَىٰ مَبْرَكِهَا الْأَوَّلِ فَبَرَكَتْ، فَنَزَلَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ رَحْلَ نَاقَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَهُ رضي الله عنه فِي بَيْتِهِ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَنَىٰ ﷺ مَسْجِدَهُ وَمَسْكَنَهُ.

۞ وَفَرِحَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَشَدَّ الْفَرَحِ بِمَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ، وَجَعَلَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَقُلْنَ جَهْرًا:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعِ
أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمُطَاعِ
جِئْتَ شَرَّفْتَ الْمَدِينَةَ مَرْحَبًا يَا خَيْرَ دَاعِ

---

(١) الإسراء الآية (٨٠).

﴿ كَمَا خَرَجَتْ بَنَاتٌ مِنْ جَوَارِي بَنِي النَّجَّارِ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ وَيَقُلْنَ:

نَحْنُ بَنَاتُ بَنِي النَّجَّار يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَار

﴿ وَلَعِبَتِ الْحَبَشَةُ بِحِرَابِهِمْ؛ فَرَحًا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِمَقْدِمِهِ الْمُبَارَكِ ﷺ، وَكَانَ الْأَنْصَارُ يَتَقَرَّبُونَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْهَدَايَا مَحَبَّةً فِي النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَتْ تَأْتِيهِ ﷺ دَوَامًا جَفْنَةُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَجَفْنَةُ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ رضي الله عنهما، وَكَانَ يُحَضِّرُ طَعَامَهُ ﷺ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، وَكَانَ مِمَّنْ يَحْمِلُ الطَّعَامَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْغِلْمَانِ سَيِّدُنَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ، الَّذِي كَانَ يَفْخَرُ بِأَنَّهُ قَدَّمَ أَوَّلَ هَدِيَّةٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ أَرْسَلَتْهُ بِهَا أُمُّهُ، فَيَقُولُ رضي الله عنه: «**مَا مَضَتْ لَيْلَةٌ وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ، إِلَّا وَكُنَّا ثَلَاثَةً نَحْمِلُ الطَّعَامَ فِيمَا بَيْنَنَا مُتَنَاوِبِينَ**».

﴿ وَكَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ لَيْسَ عِنْدَهَا شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَتَتَأَسَّفُ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَمَاذَا تَفْعَلُ؟ لَقَدْ جَاءَتْ بِابْنِهَا أَنَسٍ، وَقَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: **لَيْسَ لَدَيَّ مَا أُعْطِيكَ إِيَّاهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَهَذَا أَنَسٌ ابْنِي خُذْهُ غُلَامًا يَخْدِمُكَ**، فَسُرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا صَنَعَتْ، وَدَعَا ﷺ لِأَنَسٍ قَائِلًا ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَوَلَدِهِ، وَعُمْرِهِ**»، فَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَكَانَ لِأَنَسٍ بُسْتَانٌ يَأْتِي بِثِمَارِهِ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ، وَبَارَكَ اللهُ فِي وَلَدِهِ، فَكَانَ لَهُ عَشَرَةُ أَوْلَادٍ، كُلُّهُمْ يَحْفَظُونَ الْقُرْآنَ، وَبَارَكَ اللهُ فِي عُمْرِهِ فَعَاشَ مَائَةَ سَنَةٍ.

﴿ وَمِنَ الْمَآثِرِ الْجَمَّةِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، الَّتِي تُرْوَىٰ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا نَزَلَ فِي بَيْتِهِ، نَزَلَ فِي السُّفْلِ، وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ وَأَهْلُهُ فِي الْعُلْوِ، فَجَاءَ أَبُو أَيُّوبَ رضي الله عنه إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ رضي الله عنه: يَا نَبِيَّ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ، وَتَكُونَ تَحْتِي، فَاظْهَرْ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلْوِ، وَنَنْزِلُ نَحْنُ فَنَكُونُ فِي السُّفْلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا أَيُّوبَ، إِنَّهُ لَأَرْفَقُ بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَانَا، أَنْ نَكُونَ فِي أَسْفَلِ الْبَيْتِ**».

﴿ ثُمَّ إِنَّهُ ذَاتَ يَوْمٍ انْكَسَرَ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ لِأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: «**فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا، نُنَشِّفُ الْمَاءَ؛ تَخَوُّفًا أَنْ يُقَطِّرَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيهِ**».

دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ لأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم فِي الْمَدِينَةِ:

۞ قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَانَ أَبُو بَكْرٍ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَبِلَالٌ، فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، فَأَصَابَتْهُمُ الْحُمَّىٰ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَعُودُهُمْ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْنَا الْحِجَابُ، وَبِهِمْ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ مِنْ شِدَّةِ الْوَعْكِ، فَدَنَوْتُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لَهُ كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَبَتِ؟ فَقَالَ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصْبَحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَىٰ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

۞ فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا يَدْرِي أَبِي مَا يَقُولُ، قَالَتْ: ثُمَّ دَنَوْتُ إِلَىٰ عَامِرِ بْنِ فُهَيْرَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا عَامِرُ؟ فَقَالَ:

لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ ... إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ

فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا يَدْرِي عَامِرٌ مَا يَقُولُ، قَالَتْ: وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا تَرَكَتْهُ الْحُمَّىٰ اضْطَّجَعَ بِفِنَاءِ الْبَيْتِ، ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ فَقَالَ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِفَخٍّ وَحَوْلِي إِذْخَرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجِنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

يُرِيدُ رضي الله عنه بِـ (الْإِذْخَرِ) وَ(الْجَلِيلِ) نَبَاتَاتٍ ذَاتَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، وَيُرِيدُ رضي الله عنه بِـ (مَجِنَّةٍ) سُوقًا لِلْعَرَبِ، وَيُرِيدُ بِـ (شَامَةَ) وَ(طُفَيْلٍ) جَبَلَيْنِ بِمَكَّةَ. وَفِي هَذَا بَيَانٌ لِاشْتِيَاقِهِ لِمَكَّةَ.

۞ قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها فَذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا سَمِعْتُ مِنْهُمْ، فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ لَيَهْذُونَ وَمَا يَعْقِلُونَ مِنْ شِدَّةِ الْحُمَّىٰ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ، كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا**». (السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

وَفَاةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ رضي الله عنه:

۞ كَانَ رضي الله عنه مِمَّنْ تَقَدَّمَ إِسْلَامُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ، وَقَدْ هَاجَرَ رضي الله عنه الْهِجْرَتَيْنِ: الْهِجْرَةُ الْأُولَىٰ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، وَالْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

۞ وَلَمَّا رَجَعَ مِنْ هِجْرَتِهِ الْأُولَىٰ بِالْحَبَشَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ، دَخَلَ فِي جِوَارِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَلَمَّا رَأَىٰ عُثْمَانُ رضي الله عنه أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُصِيبُهُمْ مِنَ الْأَذَىٰ مَا يُصِيبُهُمْ، قَالَ فِي نَفْسِهِ:

وَاللهِ إِنَّ غُدُوِّي وَرَوَاحِي آمِنًا بِجِوَارِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَأَصْحَابِي وَأَهْلُ دِينِي يَلْقُونَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْأَذَىٰ فِي اللهِ مَا لَا يُصِيبُنِي لَنَقْصٌ كَبِيرٌ فِي نَفْسِي، وَذَهَبَ إِلَىٰ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ جِوَارِهِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

۞ وَفِي مَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْشٍ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَجَدَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رضي الله عنه لُبَيْدَ بْنَ رَبِيعَةَ يُنْشِدُهُمْ وَيَقُولُ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ، فَقَالَ عُثْمَانُ: صَدَقْتَ، قَالَ لُبَيْدُ: وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلُ، فَقَالَ عُثْمَانُ: كَذَبْتَ نَعِيمُ الْجَنَّةِ لَا يَزُولُ. وَقَامَ رَجُلٌ مِنَ السُّفَهَاءِ وَلَطَمَ عَيْنَ عُثْمَانَ فَخَضَّرَهَا، فَقَالَ الْوَلِيدُ لِعُثْمَانَ: أَمَا وَاللهِ يَا ابْنَ أَخِي إِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ عَمَّا أَصَابَهَا لَغَنِيَّةً عَنْ هَذَا، لَقَدْ كُنْتَ فِي جِوَارِي فِي ذِمَّةٍ مَنِيعَةٍ، فَقَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه: وَاللهِ إِنَّ عَيْنِي الصَّحِيحَةَ لَفَقِيرَةٌ إِلَىٰ مِثْلِ مَا أَصَابَ أُخْتَهَا فِي اللهِ، وَإِنِّي لَفِي جِوَارِ اللهِ، فِي جِوَارِ مَنْ هُوَ أَعَزُّ وَأَقْدَرُ.

۞ وَلَمَّا هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، كَانَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رضي الله عنه أَوَّلَ مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ، وَلَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ فِرَاشِ الْمَوْتِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُقَبِّلُهُ وَيَقُولُ: «**رَحِمَكَ اللهُ يَا عُثْمَانُ، مَا أَصَبْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا أَصَابَتْ مِنْكَ**»؛ لِأَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه كَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّبَتُّلُ، فَلَمَّا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، جَعَلَتِ امْرَأَتُهُ تَقُولُ: هَنِيئًا لَكَ يَا أَبَا السَّائِبِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**وَمَا أَعْلَمَكِ؟**»، قَالَتْ: كَانَ يَا رَسُولَ اللهِ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ. فَقَالَ ﷺ: «**حَسْبُكِ لَوْ قُلْتِ كَانَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**».

۞ وَرَأَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ رضي الله عنها فِي مَنَامِهَا عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ رضي الله عنه بَعْدَ وَفَاتِهِ كَأَنَّ عَيْنًا جَارِيَةً تَجْرِي لَهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ ﷺ: «**ذَاكَ عَمَلُهُ**».

۞ وَلَمَّا تُوُفِّيَتِ السَّيِّدَةُ رُقَيَّةُ رضي الله عنها، قَالَ ﷺ: «**الْحَقِي بِسَلَفِنَا الْخَيِّرِ؛ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ**».

(السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ- حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ لِأَبِي نُعَيْمٍ)

إِسْلَامُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه:

۞ سَلْمَانُ رضي الله عنه هُوَ الرَّجُلُ الْبَاحِثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ الَّذِي وَصَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ بِالثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ**»، وَأَشَارَ ﷺ إِلَىٰ سَلْمَانَ.

۞ وَقَالَ ﷺ فِيهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: «سَلْمَانُ مِنَّا آلَ الْبَيْتِ»، وَسَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَلْمَانُ الْخَيْرِ».

۞ وَهُوَ ﷺ فَارِسِيُّ الْأَصْلِ مِنْ مَدِينَةِ أَصْبَهَانَ، أَرْسَلَهُ أَبُوهُ يَوْمًا إِلَىٰ ضَيْعَةٍ لَهُ لِإِصْلَاحِهَا، وَكَانَ سَلْمَانُ مَجُوسِيًّا عَلَىٰ دِينِ أَبِيهِ، فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِكَنِيسَةِ النَّصَارَىٰ، فَأَعْجَبَهُ دِينُهُمْ فَمَكَثَ مَعَهُمْ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَىٰ أَبِيهِ، فَاسْتَبْطَأَهُ فَأَرْسَلَ لَهُ رُسُلاً لِيَأْتُوهُ بِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَىٰ أَبِيهِ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، فَقَيَّدَهُ وَالِدُهُ بِالْحَدِيدِ، فَأَرْسَلَ سَلْمَانُ إِلَىٰ النَّصَارَىٰ؛ يُرِيدُ أَنْ يُسَافِرَ إِلَىٰ الشَّامِ، فَفِيهَا أَصْلُ دِيَانَتِهِمْ، فَبَعَثُوا لَهُ نَفَرًا مِنْهُمْ، فَأَلْقَىٰ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيْهِ، وَسَافَرَ مَعَهُمْ إِلَىٰ الشَّامِ، فَمَكَثَ ﷺ مَعَ الْأُسْقُفِ يَخْدِمُهُ، ثُمَّ رَأَىٰ مِنْهُ أَمْرَ سُوءٍ، رَآهُ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِذَا أَعْطَوْهُ شَيْئًا أَمْسَكَهُ لِنَفْسِهِ، حَتَّىٰ جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَفِضَّةً، فَأَخْبَرَ سَلْمَانُ ﷺ قَوْمَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِذَلِكَ فَصَلَبُوهُ، وَأَجْلَسُوا مَكَانَهُ رَاهِبًا آخَرَ مِنْ رُهْبَانِهِمْ، وَكَانَ رَجُلاً فَاضِلاً فِي دِينِهِ، زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا، رَاغِبًا فِي الْآخِرَةِ، فَخَدَمَهُ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ سَلْمَانُ: أَوْصِنِي، فَذَكَرَ لَهُ رَجُلاً بِالْمُوصِلِ، فَلَمَّا هَلَكَ أَتَىٰ سَلْمَانُ ﷺ الْمُوصِلَ، وَقَامَ عَلَىٰ خِدْمَةِ ذَلِكَ الرَّاهِبِ، وَكَانَ عَلَىٰ سَبِيلِ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ لَهُ سَلْمَانُ: أَوْصِنِي، فَأَوْصَاهُ بِصُحْبَةِ رَاهِبٍ بِعَمُّورِيَّةَ «مِنْ بِلَادِ الرُّومِ»، فَقَامَ عَلَىٰ خِدْمَتِهِ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ لَهُ: أَوْصِنِي، قَالَ الرَّاهِبُ: لَا أَعْلَمُ عَلَىٰ مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدًا، وَلَكِنْ قَدْ أَظَلَّكَ نَبِيٌّ يُبْعَثُ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةِ، مُهَاجَرُهُ بِأَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، وَبِهِ آيَاتٌ وَعَلَامَاتٌ لَا تَخْفَىٰ، بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ فَاخْلُصْ إِلَيْهِ، فَمَرَّ بِهِ رَكْبٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالَ: أُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي وَغَنَمِي وَتَحْمِلُونِي إِلَىٰ بِلَادِكُمْ، فَحَمَلُوهُ إِلَىٰ وَادِي الْقُرَىٰ، فَبَاعُوهُ لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَلَمَّا رَأَىٰ النَّخْلَ، عَلِمَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْبَلَدُ الَّتِي وَصَفَهَا لَهُ الرَّاهِبُ، ثُمَّ بَاعَهُ صَاحِبُهُ الْيَهُودِيُّ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَدِمَ بِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَفِي أَثْنَاءِ عَمَلِهِ بِالنَّخْلِ، سَمِعَ رَجُلاً مِنَ الْيَهُودِ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ بَعَثَ نَبِيًّا نَزَلَ فِي الْمَدِينَةِ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءَ، فَنَزَلَ سَلْمَانُ ﷺ، وَجَمَعَ شَيْئًا

مِنَ التَّمْرِ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَقَالَ هَذِهِ صَدَقَةٌ فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَكْلِهَا، وَقَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: كُلُوا، فَأَكَلُوا، فَقَالَ سَلْمَانُ هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ جَمَعَ سَلْمَانُ شَيْئًا مِنَ التَّمْرِ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ رضي الله عنه: هَذِهِ هَدِيَّةٌ وَلَيْسَتْ بِصَدَقَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ سَلْمَانُ: هَاتَانِ عَلَامَتَانِ؛ يَأْكُلُ مِنَ الْهَدِيَّةِ، وَلَا يَأْكُلُ مِنَ الصَّدَقَةِ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَبِعَ سَلْمَانُ رضي الله عنه النَّبِيَّ ﷺ فِي جَنَازَةٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَىٰ الْخَاتَمِ فِي ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَلِمَ ﷺ مَا أَرَادَهُ سَلْمَانُ، فَأَلْقَىٰ ﷺ رِدَاءَهُ، فَرَأَىٰ سَلْمَانُ رضي الله عنه خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ﷺ، فَأَخَذَ رضي الله عنه يُقَبِّلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَبَكَىٰ، وَحَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ بِشَأْنِهِ كُلِّهِ، فَسُرَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَحَبَّ ﷺ أَنْ يُسْمِعَهُ أَصْحَابَهُ.

وَأَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُكَاتِبَ صَاحِبَهُ عَنْ نَفْسِهِ حَتَّىٰ يَخْلُصَ مِنَ الرِّقِّ، فَكَاتَبَهُ عَلَىٰ غَرْسِ ثَلَاثُمِائَةِ نَخْلَةٍ صَغِيرَةٍ وَعَلَىٰ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنَ الذَّهَبِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**أَعِينُوا أَخَاكُمْ**»، فَأَعَانُوهُ، وَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَغْرِسْ مِنَ النَّخْلِ حَتَّىٰ أَغْرِسَهُ بِيَدِي، قَالَ سَلْمَانُ: فَكُنْتُ آتِي النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُهَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ، وَيُسَوِّي عَلَيْهَا التُّرَابَ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَاحِدَةٌ.

۞ وَقَدْ فَاتَتْهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَزْوَةُ بَدْرٍ وَأُحُدٍ.

۞ وَآخَىٰ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فِي الزُّهْدِ، وَكَانَ ﷺ يَقُولُ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ: «**أَطِعْ أَخَاكَ سَلْمَانَ**».

۞ وَأَدْرَكَ رضي الله عنه غَزْوَةَ الْخَنْدَقِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ رضي الله عنه هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ.

۞ وَمَضَتِ السِّنُونَ، وَجَاءَتْ خِلَافَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَوَلَّىٰ رضي الله عنه سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ رضي الله عنه أَمِيرًا عَلَىٰ الْمَدَائِنِ، فَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَلَا يَأْخُذُ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا قَالُوا لَهُ: نَكْفِيكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: وَمَا يُضِيرُنِي أَعْمَلُ الْمَكَاتِلَ بِيَدِي، وَأَسْمَعُ شِكَايَةَ الْمُسْلِمِينَ بِأُذُنِي، فَلَا يَمْنَعُنِي عَمَلُ الْمَكَاتِلِ عَنْ سَمَاعِ شِكَايَةِ

الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَمْنَعُنِي سَمَاعُ شِكَايَةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ عَمَلِ الْمَكَاتِلِ، ثُمَّ اعْتَزَلَ ﵁ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِمَارَةَ، فَقِيلَ لَهُ لِمَ تكْرَهُ الْإِمَارَةَ؟ قَالَ ﵁: لِحَلَاوَةِ رَضَاعِهَا، وَمَرَارَةِ فِطَامِهَا، وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بَكَىٰ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ أَلَّا أَتَّخِذَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا كَمَتَاعِ الرَّاكِبِ، وَهَا أَنَا قَدْ تَرَكْتُ هَذِهِ الْأَمْتِعَةَ، فَقَوَّمُوهَا فَوَجَدُوهَا بِخَمْسَةَ عَشْرَ دِرْهَمًا، وَقَدْ تُوُفِّيَ ﵁ فِي زَمَنِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ ﵁.



الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ

أعْمَالٌ جَلِيلَةٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الْمَدِينَةِ

وَنَتَنَاوَلُ الْمَوْضُوعَاتِ الآتِيَةَ:

١) بِنَاءُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ.

٢) الْأَذَانُ.

٣) التَّأْلِيفُ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ.

٤) الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

٥) تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ.

٦) عَهْدُ الْأَمَانِ مَعَ يَهُودِ الْمَدِينَةِ.

٧) إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللهِ.

وَبَيَانُ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ عَلَى التَّفْصِيلِ عَلَى الْوَجْهِ الآتِي:

(١) بِنَاءُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

۞ كَانَ أَوَّلُ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ الْجَلِيلَةِ ﷺ عِنْدَمَا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمُقَامُ فِي الْمَدِينَةِ ﷺ، هُوَ بِنَاءَ مَسْجِدِهِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ﷺ، وَكَانَ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ بِنَفْسِهِ ﷺ، وَالصَّحَابَةُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَبِنَةً لَبِنَةً، إِلَّا سَيِّدَنَا عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ رضي الله عنه فَإِنَّهُ رضي الله عنه كَانَ يَحْمِلُ لَبِنَتَيْنِ؛ لَبِنَةً عَنْ نَفْسِهِ، وَلَبِنَةً عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسُرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَجَعَلَ ﷺ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْ رَأْسِ عَمَّارٍ، وَيَقُولُ ﷺ: «**يَا عَمَّارُ، أَلَا تَحْمِلُ كَمَا يَحْمِلُ أَصْحَابُكَ؟**»، قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ الْأَجْرَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، فَقَالَ ﷺ: «**يَا ابْنَ سُمَيَّةَ، لِلنَّاسِ أَجْرٌ، وَلَكَ أَجْرَانِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَكَانَ ﷺ وَهُوَ يَحْمِلُ اللَّبِنَ يَقُولُ:

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْبَرْ ... هَذَا أَبَرُّ رَبِّنَا وَأَطْهَرْ

يُرِيدُ ﷺ بِذَلِكَ، أَيْ: أَنَّ مَا نَحْمِلُهُ مِنَ اللَّبِنِ مِنْ أَجْلِ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، أَبَرُّ وَأَطْهَرُ مِمَّا يَأْتِينَا مِنْ خَيْبَرَ لِطَعَامِنَا وَزَادِنَا وَهُوَ التَّمْرُ وَالزَّبِيبُ. وَكَانَ ﷺ يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ فَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَةْ ... فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ

۞ وَكَانَ الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَقْفُهُ مِنَ الْجَرِيدِ، وَأَعْمِدَتُهُ مِنْ خَشَبِ النَّخْلِ، وَظَلَّ هَكَذَا فِي خِلَافَةِ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، ثُمَّ زَادَ فِي تَوْسِعَتِهِ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه، وَجَدَّدَ بِنَاءَهُ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ رضي الله عنه.

۞ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَىٰ جِذْعٍ، فَلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ، اتَّخَذُوا لَهُ ﷺ مِنْبَرًا، فَحَنَّ الْجِذْعُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ سُمِعَ لِحَنِينِهِ أَنِينٌ كَأَنِينِ النَّاقَةِ الْعَشْرَاءِ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَنَ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَهَذِهِ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ ﷺ، فَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﷺ.

❁❁❁❁❁

(٢) الأَذَانُ

۞ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ شَيْئًا يَجْمَعَ بِهِ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ، فَذُكِرَ عِنْدَهُ ﷺ الْبُوقُ وَالنَّاقُوسُ، فَكَرِهَ ﷺ ذَلِكَ؛ إِذْ أَنَّ الْبُوقَ لِلْيَهُودِ، وَالنَّاقُوسَ لِلنَّصَارَىٰ، فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا، رَأَيْتُ رَجُلاً مَرَّ بِي وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ، يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَتَبِيعُ هَذَا النَّاقُوسَ؟ قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قُلْتُ: نَدْعُو بِهِ لِلصَّلَاةِ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ تَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

فَلَمَّا أَخْبَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَا رَأَىٰ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِهَا عَلَيْهِ فَلْيُؤَذِّنْ بِهَا، فَإِنَّهُ أَنْدَىٰ صَوْتًا مِنْكَ**».

فَلَمَّا أَذَّنَ بِهَا بِلَالٌ، سَمِعَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ الَّذِي رَأَىٰ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَىٰ ذَلِكَ**».

۞ وَالْأَذَانُ بِهَذَا جَاءَ جَامِعًا لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ تَكْبِيرٍ وَتَهْلِيلٍ، وَفِيهِ دَعْوَةُ الْخَلْقِ إِلَىٰ الْحَقِّ، حَيْثُ الْفَوْزُ وَالْفَلَاحُ، وَكَمَا بَدَأَ الْأَذَانُ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ، فَإِنَّهُ يُخْتَمُ كَذَلِكَ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ، وَقَدْ أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ ﷺ بَعْدَ خِتَامِ الْأَذَانِ، فَقَالَ ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ)

❁❁❁❁❁

(٣) التَّألِيفُ بَيْنَ الأَوْسِ والْخَزْرَجِ

۞ لَمَّا نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَهُمْ مِنَ الْأَوْسِ، يَبْحَثُ عَنْ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ الْخَزْرَجِيِّ فَلَا يَجِدُهُ، فَيَسْأَلُ ﷺ عَنْهُ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو الْأَوْسِيِّينَ: إِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنَّا رَجُلاً يَوْمَ بُعَاثٍ، فَهُوَ لَا يَأْتِي دَارَهُمْ، وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لِسَائِرِالْأَوْسِيِّينَ، لَا تَأْتِي دِيَارَالْخَزْرَجِ، وَلَا الْخَزْرَجُ تَأْتِي دِيَارَالْأَوْسِ، إِلَّا أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ رضي الله عنه أَتَىٰ لِزِيَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلاً مُتَقَنِّعًا وَمُتَخَفِّيًا، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ نُزُولِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْأَوْسِيِّينَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا أُمَامَةَ، جِئْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ إِلَى هُنَا، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ الْقَوْمِ مَا بَيْنَكَ؟**»، فَقَالَ رضي الله عنه: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا، مَا كُنْتُ لِأَسْمَعَ بِكَ فِي مَكَانٍ إِلَّا جِئْتُكَ فِيهِ، ثُمَّ يَبِيتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ يُصْبِحَ. وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ ﷺ لِبَنِي عَوْفٍ الْأَوْسِيِّينَ: «**أَجِيرُوا أَبَا أُمَامَةَ**»، فَقَالُوا: أَجِرْهُ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَنْ تُجِرْهُ فَهُوَ جَارُنَا، فَيَقُولُ ﷺ: «**لِيَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدُكُمْ**»، فَعِنْدَ ذَلِكَ ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ إِلَىٰ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، وَحَضَرَ مَعَهُ يَدُهُ فِي يَدِهِ، وَقَالَ الْأَوْسِيُّ: كُلُّنَا نُجِيرُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَصْبَحَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ الْخَزْرَجِيُّ يَغْدُو وَيَرُوحُ فِي حَيِّ الْأَوْسِ وَهُوَ آمِنٌ مُطْمَئِنٌّ. وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ بِالنِّسْبَةِ لِلْأَوْسِيِّينَ صَارُوا يَغْدُونَ وَيَرُوحُونَ فِي حَيِّ الْخَزْرَجِ.

۞ وَبِهَذَا الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ، زَالَ مَا كَانَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مِنَ الْجَفَاءِ، وَسَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ.

❁❁❁❁❁

(٤) الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

۞ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَذْهَبَ الْوَحْشَةُ وَالْغُرْبَةُ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ، وَيُؤْنِسُهُمْ ﷺ بِالْإِخَاءِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَنْصَارِ، حَتَّىٰ يَشُدَّ بَعْضُهُمْ أَزْرَ بَعْضٍ، فَآخَىٰ ﷺ بَيْنَهُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ وَالْمُوَاسَاةِ، حَتَّىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَارَثُونَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، دُونَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، وَظَلُّوا كَذَلِكَ حَتَّىٰ مَوْقِعَةِ بَدْرٍ، فَأَنْزَلَ

اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾(١). فَرَجَعَ الْمِيرَاثُ إِلَىٰ ذَوِي الْأَرْحَامِ، وَبَقِيَتِ الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ فِيمَا بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، حَتَّىٰ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَأْتُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيَقُولُونَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ، وَلَا أَحْسَنَ بَذْلاً فِي كَثِيرٍ، كَفَوْنَا الْمُؤُونَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمِهْنَةِ (أَيْ: الْخِدْمَةِ)، حَتَّىٰ لَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ ﷺ: «**إِلَّا مَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَدَعَوْتُمْ لَهُمْ**»، أَيْ: أَنَّكُمْ بِثَنَائِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَدُعَائِكُمْ لَهُمْ، حَصَلَ لَكُمْ بِهِ نَوْعٌ مِنَ الْمُكَافَأَةِ.

۞ وَقَدْ أَثْمَرَتْ هَذِهِ الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ثَمَرَتَهَا الطَّيِّبَةَ مِنَ الْإِيثَارِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْأَنْصَارِ: «**إِنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ مِنْ دُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَقَسَمْتُ لَكُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ كَمَا قَسَمْتُ لَهُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ كَانَ لَهُمُ الْغَنِيمَةُ، وَلَكُمْ دِيَارُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ**» فَقَالُوا: لَا، بَلْ نَقْسِمُ لَهُمْ مِنْ دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَلَا نُشَارِكُهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ الْأَنْصَارِ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحُبِّ وَالْإِيثَارِ، فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

۞۞۞۞۞

(٥) تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ

۞ لَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، كَانَتْ قِبْلَتُهُ ﷺ فِي الصَّلَاةِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ تَأْلِيفًا لِلْيَهُودِ، وَظَلَّتْ قِبْلَتُهُ ﷺ هَكَذَا سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، إِلَّا أَنَّ الْيَهُودَ رَغْمَ ذَلِكَ كَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَعِنَادٍ، فَلَمْ يُجْدِ ذَلِكَ فِي تَأْلِيفِهِمْ لِلْإِسْلَامِ شَيْئًا، فَاشْتَاقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ فِي الصَّلَاةِ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَإِنَّهُ قِبْلَةُ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام، وَقَالَ ﷺ يَوْمًا لِجِبْرِيلَ عليه السلام: «**وَدِدْتُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتِي إِلَىٰ الْبَيْتِ الْحَرَامِ**»، فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِثْلُكَ، فَسَلْ رَبَّكَ؛ فَإِنَّكَ عِنْدَ اللهِ بِمَكَانٍ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُقَلِّبُ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ دَاعِيًا رَبَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ

---

(١) الأنفال الآية (٧٥). (٢) الحشر الآية (٩).

تكُونَ قِبْلَتُهُ الدَّائِمَةُ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ عَلَىٰ رَأْسِ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرَاً مِنَ الْهِجْرَةِ، حَيْثُ كَانَ ﷺ يُصَلِّي الظُّهَرَ بِأَصْحَابِهِ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[1]، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ صَلَّىٰ بِأَصْحَابِهِ رَكْعَتَيْنِ، فَاسْتَدَارَ ﷺ فِي صَلَاتِهِ مُسْتَقْبِلاً الْقِبْلَةَ وَأَتَمَّ صَلَاتَهُ، وَاسْتَدَارَ مَنْ خَلْفَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ ﵃، وَبَلَغَ النَّاسُ فِي قُبَاءَ، وَهُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ فِي صَلَاتِهِمْ وَوَلَّوا وُجُوهَهُمْ شَطْرَهُ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَحِكْمَةُ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فِي الْفَضْلِ فَوْقَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ، فَإِنَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ، وَحِينَ دَحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ الْأَرْضَ دَحَاهَا مِنْ تَحْتِهِ، وَالصَّلَاةُ فِيهِ تَعْدِلُ مِائَةَ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، وَالْبَيْتُ الْحَرَامُ كَعْبَةُ أَبِي الْأَنْبِيَاءِ خَلِيلِ اللهِ إِبْرَاهِيمَ ﵇، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ رَسُولُ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ﷺ، وَصَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ ﷺ، وَأُمَّتُهُ ﷺ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَهُوَ ﷺ يُحِبُّ أَنْ تَكُونَ وِجْهَتُهُ كَذَلِكَ فِي صَلَاتِهِ إِلَىٰ أَفْضَلِ بُيُوتِ اللهِ فِي أَرْضِهِ، أَلَا وَهُوَ بَيْتُ اللهِ الْحَرَامُ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[2].

۞ فَكَانَ ذَلِكَ؛ اِسْتِجَابَةً مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِدُعَاءِ نَبِيِّهِ ﷺ، بَلْ وَتَكْرِيماً لِحَبِيبِهِ ﷺ حَيْثُ يَقُولُ ﷻ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾[3]، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ أَنْ يُرْضِيَهُ ﷺ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[4]، فَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ فَضْلٍ وَمَا أَجَلَّهَا مِنْ نِعْمَةٍ أَسْدَاهَا اللهُ لَنَا عَلَىٰ يَدِ نَبِيِّهِ ﷺ.

❁❁❁❁❁

(١) البقرة الآية (١٤٤).
(٢) البقرة الآية (١٤٤).
(٣) البقرة الآية (١٤٤).
(٤) الضحىٰ الآية (٥).

(٦) عَهْدُ الأَمَانِ مَعَ يَهُودِ الْمَدِينَةِ

ﰀ لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَرَأَىٰ الْيَهُودُ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ صَارُوا أَنْصَارَ الرَّسُولِ ﷺ، جَاءُوا إِلَيْهِ ﷺ وَسَأَلُوهُ الْمُوَادَعَةَ وَالْأَمَانَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَأَعْطَاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ عَهْدَهُ بِالْمُوَادَعَةِ، وَشَرَطَ ﷺ عَلَيْهِمْ وَاشْتَرَطَ، وَأَعْطَىٰ كِتَابَهُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ عَقِبَ هِجْرَتِهِ ﷺ، وَذَكَرَ ﷺ فِي كِتَابِهِ مَا لِلْمُؤْمِنِينَ وَمَا عَلَيْهِمْ، وَمَا لِلْيَهُودِ وَمَا عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ لِلْيَهُودِ دِينَهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينَهُمْ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ، وَأَنَّ مَنْ تَبِعَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْيَهُودِ، فَإِنَّهُ لَهُ النَّصْرَ والْأُسْوَةَ، أَيْ: الْمُسَاوَاةَ فِي الْمُعَامَلَةِ؛ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرٍ عَلَيْهِمْ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا أَوْ يُؤْوِيَهُ، وَالْيَهُودُ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَأَنَّ لِيَهُودِ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ الْقَبِيلَةِ الْأُخْرَىٰ، وَذَكَرَهُمْ قَبِيلَتَيْنِ قَبِيلَتَيْنِ فِي صَحِيفَتِهِ، وَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنَ الْيَهُودِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يُرِيدُ ﷺ بِذَلِكَ أَلَّا يُنَاصِرُوا أَحَدًا مِنْ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ، كَمَا ذَكَرَ فِي صَحِيفَتِهِ ﷺ أَنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَأَنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٍ، وَأَنَّهُ لَا تُجَارُ حُرْمَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا، وَأَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوِ اخْتِلَافٍ يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنَّ اللهَ عَلَىٰ أَتْقَىٰ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبَرِّهِ، وَأَنَّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا، وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَىٰ مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ، وَإِذَا دَعَوْا إِلَىٰ صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ، وَأَنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ، عَلَىٰ كُلِّ أُنَاسٍ حِصَّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قِبَلَهُمْ، وَأَنَّ لِيَهُودِ الْأَوْسِ مَوَالِيهِمْ وأَنْفُسِهِمْ مِثْلَ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مَعَ الْبِرِّ الْحَسَنِ مِنْ أَهْلِ الصَّحِيفَةِ وَأَنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، لَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلَّا عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَأَنَّ اللهَ عَلَىٰ أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبَرِّهِ، وَأَنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ، وَأَنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ، وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، وَأَنَّ اللهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَىٰ وَمُحَمَّدًا ﷺ.

نَقْضُ الْيَهُودِ لِلْعَهْدِ:

۞ لَمْ يَكَدِ الْيَهُودُ يَطْمَئِنُّونَ إِلَىٰ مُوَادَعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُمْ، حَتَّىٰ بَدَأُوا فِي إِشْعَالِ نَارِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، فَأَرْسَلُوا شَابًّا يَهُودِيًّا يُنْشِدُهُمُ الشِّعْرَ، وَيُذَكِّرُهُمْ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْحُرُوبِ وَالتَّفَاخُرِ، حَتَّىٰ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ وَيَعُودُونَ إِلَىٰ جَاهِلِيَّتِهِمُ الْأُولَىٰ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ ﷺ وَقَالَ ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، اللهَ اللهَ! أَبِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمُ اللهُ لِلْإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟»**.

۞ كَانَ هَذَا عِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ رَأَىٰ مِنْهُمْ مَا رَأَىٰ، وَعِنْدَهَا عَرِفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَتَابُوا وَأَنَابُوا، وَبَكُوا عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[1].

❁❁❁❁❁

(٧) إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ

كَانَ مِنْ تَأْيِيدِ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي دَعْوَتِهِ بِالْمَدِينَةِ أَمْرَانِ:

الْأَوَّلُ: ذِكْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ:

۞ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَذْكُورٌ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ الَّتِي بَعَثَهُ اللهُ بِهَا فِيمَا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

۞ وَمِنْ عَلَامَةِ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، كَانُوا يَخْرُجُونَ لِاسْتِقْبَالِهِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَلَا يَبْرَحُونَ حَتَّىٰ تَغْلِبَهُمُ الشَّمْسُ عَلَىٰ الظِّلَالِ، وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ صَرَخَ فِيهِمْ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ: يَا بَنِي قَيْلَةَ (يُرِيدُ بِذَلِكَ: الْأَنْصَارَ) فَأَسْرَعُوا عِنْدَ ذَلِكَ لِصَرِيخِهِ، فَقَالَ: هَذَا جَدُّكُمْ قَدْ جَاءَ، فَخَرَجُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ

(١) النساء الآية (١٤١). (٢) البقرة الآية (١٤٦).

فِي ظِلِّ نَخْلَةٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، فَلَمَّا زَالَ الظِّلُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَامَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يُظِلُّهُ بِرِدَائِهِ. (السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

۞ فَمَا عَرَفَ ذَلِكَ الْيَهُودِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمُجَرَّدِ رُؤْيَتِهِ ﷺ، إِلَّا مِنْ صِفَتِهِ ﷺ الْمَكْتُوبَةِ عِنْدَهُمْ. وَمِنْ عَلَامَةِ مَعْرِفَتِهِمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ الْيَهُودُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَىٰ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَبْعَثِهِ ﷺ، فَلَمَّا بَعَثَهُ اللهُ مِنَ الْعَرَبِ كَفَرُوا وَجَحَدُوا مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِيهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ، وَبِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، اِتَّقُوا اللهَ وَأَسْلِمُوا، فَقَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَنَحْنُ أَهْلُ شِرْكٍ، وَتُخْبِرُونَنَا بِأَنَّهُ مَبْعُوثٌ وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ، فَقَالَ سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ الْيَهُودِيُّ، مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]. (رَوَاهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ)

۞ وَكَمَا كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَىٰ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، كَانَتْ يَهُودُ خَيْبَرَ تُقَاتِلُ غَطْفَانَ، فَكُلَّمَا الْتَقَوا، هَزَمَتْ غَطِفَانُ «وَهِيَ الْقَبِيلَةُ الْمُشْرِكَةُ» الْيَهُودَ، فَاسْتَفْتَحَتِ الْيَهُودُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ غَطْفَانَ، وَعَاذَتْ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنْ تُخْرِجُهُ لَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، إِلَّا نَصَرْتَنَا عَلَيْهِمْ»، فَكَانُوا إِذَا الْتَقَوْا دَعَوْا بِهَذَا الدُّعَاءِ، فَيَهْزِمُونَ غَطِفَانَ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ كَفَرُوا بِهِ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]. (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ)

الثَّانِي: إِسْلَامُ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ:

فَقَدْ أَسْلَمَ حَبْرَانِ عَالِمَانِ مِنْ أَحْبَارِهِمْ، هُمَا **عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، وَمُخَيْرِيقُ**، وَكَانَ إِسْلَامُ هَذَيْنِ الْعَالِمَيْنِ حُجَّةً عَلَىٰ الْيَهُودِ، وَإِعْلَاءً لِكَلِمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. **وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الْآتِي:**

(١) البقرة الآية (٨٩).
(٢) البقرة الآية (٨٩).

إِسْلَامُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ:

❁ وَهُوَ يَرْوِي بِنَفْسِهِ قِصَّةَ إِسْلَامِهِ، فَيَقُولُ: لَمَّا سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، عَرَفْتُ صِفَتَهُ وَاسْمَهُ وَزَمَانَهُ الَّذِي كُنَّا نَتَوَقَّعُ لَهُ، فَكُنْتُ مُسِرًّا لِذَلِكَ، صَامِتًا عَلَيْهِ، حَتَّىٰ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا نَزَلَ ﷺ بِقِبَاءَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّىٰ أَخْبَرَ بِقُدُومِهِ، وَأَنَا فِي رَأْسِ نَخْلَةٍ لِي أَعْمَلُ فِيهَا، وَعَمَّتِي خَالِدَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ تَحْتِي جَالِسَةٌ، فَلَمَّا سَمِعْتُ الْخَبَرَ بِقُدُومِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَبَّرْتُ، فَقَالَتْ لِي عَمَّتِي حِينَ سَمِعَتْ تَكْبِيرِي: خَيَّبَكَ اللهُ، وَاللهِ لَوْ كُنْتَ سَمِعْتَ بِمُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ قَادِمًا مَا زِدْتَ! فَقُلْتُ لَهَا: أَيْ عَمَّةُ، هُوَ وَاللهِ أَخُو مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ وَعَلَىٰ دِينِهِ، بُعِثَ بِمَا بُعِثَ بِهِ. فَقَالَتْ: أَيْ، ابْنَ أَخِي، أَهُوَ النَّبِيُّ الَّذِي كُنَّا نُخْبَرُ أَنَّهُ يُبْعَثُ مَعَ نَفَسِ السَّاعَةِ؟ فَقُلْتُ لَهَا: نَعَمْ، فَقَالَتْ: فَذَاكَ إِذَنْ.

قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَىٰ أَهْلِ بَيْتِي، فَأَمَرْتُهُمْ فَأَسْلَمُوا، وَكَتَمْتُ إِسْلَامِي مِنْ يَهُودَ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ يَهُودَ قَوْمٌ بَاطِلٌ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي بَعْضِ بُيُوتِكَ، وَتُغَيِّبَنِي عَنْهُمْ، ثُمَّ تَسْأَلَهُمْ عَنِّي، حَتَّىٰ يُخْبِرُوكَ كَيْفَ أَنَا فِيهِمْ، قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ عَلِمُوا بِهِ بَهَتُونِي وَعَابُونِي.

فَأَدْخَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ بُيُوتِهِ، وَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَكَلَّمُوهُ وَسَأَلُوهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ الْحُصَيْنُ بْنُ سَلَامٍ فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَحَبْرُنَا وَعَالِمُنَا، قَالَ: فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ قَوْلِهِمْ خَرَجْتُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ: اِتَّقُوا اللهَ، وَاقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ بِهِ، فَوَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأُصَدِّقُهُ وَأَعْرِفُهُ. فَقَالُوا كَذَبْتَ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَقُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ بَاطِلٍ أَهْلُ كَذِبٍ وَفُجُورٍ، فَأَظْهَرْتُ إِسْلَامِي وَإِسْلَامَ أَهْلِ بَيْتِي، وَأَسْلَمَتْ عَمَّتِي خَالِدَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فَحَسُنَ إِسْلَامُهَا. (السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

إِسْلامُ مُخَيْرِيقَ:

كَانَ مُخَيْرِيقُ حَبْرًا عَالِمًا، وَكَانَ غَنِيًّا كَثِيرَ الْأَمْوَالِ مِنَ النَّخْلِ، وَكَانَ يَعْرِفُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِصِفَتِهِ، وَمَا يَجِدُهُ فِي عِلْمِهِ، وَكَانَ يَغْلُبُ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَأْلَفُ دِينَهُ، فَلَمَّا جَاءَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ، جَاءَتْ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، وَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ نَصْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ لَحَقٌّ. قَالُوا: إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ، قَالَ: لَا سَبْتَ لَكُمْ. ثُمَّ أَخَذَ سِلَاحَهُ فَخَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأُحُدٍ، وَعَهِدَ إِلَىٰ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ: إِنْ قُتِلْتُ هَذَا الْيَوْمَ، فَأَمْوَالِي لِمُحَمَّدٍ ﷺ يَصْنَعُ فِيهَا مَا أَرَاهُ اللهُ، فَلَمَّا اقْتَتَلَ النَّاسُ يَوْمَ أُحُدٍ، قَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ. فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مُخَيْرِيقُ خَيْرُ يَهُودَ**». وَقَبَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْوَالَهُ، فَجَعَلَهَا فِي الصَّدَقَاتِ بِالْمَدِينَةِ. (السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)



الْفَصْلُ الثَّانِي

عَظَمَةُ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي جِهَادِهِ

الْإِذْنُ بِالْقِتَالِ

مَكَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يَدْعُو كُفَّارَ قُرَيْشٍ ثَلَاثَ عَشرَةَ سَنَةً إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، فَلَمْ تَزِدْهُمْ دَعْوَتُهُ صلى الله عليه وآله وسلم إِلَّا عِنَاداً وَكُفْرَاناً وَتَعَنُّتاً وَتَعَسُّفاً، وَأَنْزَلُوا بِالصَّحَابَةِ صُنُوفاً مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ، حَتَّىٰ اضْطَرُّوهُمْ إِلَىٰ هَجْرِ بِلَادِهِمْ، وَتَرْكِ أَمْوَالِهِمْ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ يَشْكُونَ مَا نَزَلَ بِهِمْ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَيَقُولُ صلى الله عليه وآله وسلم لَهُمْ: «**اِصْبِرُوا؛ فَإِنِّي لَمْ أُومَرْ بِقِتَالِهِمْ**».

وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم مَنْ أُغْلِقَتْ دِيَارُهُمْ بِمَكَّةَ لَيْسَ بِهَا سَاكِنٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ بِيعَتْ دِيَارُهُمْ، فَقَدْ بِيعَتْ دِيَارُ بَنِي جَحْشٍ، بَاعَهَا أَبُو سُفْيَانَ لِعَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ، وَلَمَّا ذَكَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ رضي الله عنه ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم مُوَاسِياً وَمُبَشِّراً لَهُ: «**أَلَا تَرْضَىٰ يَا عَبْدَ اللهِ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ بِهَا دَاراً خَيْراً مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟**»، قَالَ: بَلَىٰ. فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «**فَذَلِكَ لَكَ**». (السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

وَظَلَّ الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ أَذِنَ اللهُ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾(1).

وَبِنُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، بَدَأَ جِهَادُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَأَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ جِهَادُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مَا بَيْنَ غَزْوَةٍ يَخْرُجُ فِيهَا مَعَ أَصْحَابِهِ أَوْ سَرِيَّةٍ يُؤَمِّرُ عَلَيْهَا أَحَداً مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّىٰ بَلَغَتْ غَزَوَاتُهُ وَسَرَايَاهُ صلى الله عليه وآله وسلم سَبْعاً وَسِتِّينَ: مِنْهَا سِتٌّ وَعِشْرُونَ غَزْوَةً، وَوَاحِدٌ وَأَرْبَعُونَ سَرِيَّةً.

---

(1) الحج (٣٩-٤١).

وَنتَنَاوَلُ فِي هَذَا الْفَصْلِ جِهَادَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَغَزَوَاتِهِ كَالآتِي:

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ : غَزَوَاتُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي : غَزَوَاتٌ أُخْرَىٰ وَسَرَايَا وَبُعُوثُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ : حِكْمَةُ الْجِهَادِ.

❁❁❁❁❁

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: غَزَوَاتُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

وَنَتَنَاوَلُ هَذِهِ الْغَزَوَاتِ فِي الْمَطَالِبِ التَّالِيَةِ:

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ : غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَىٰ

الْمَطْلَبُ الثَّانِي : غَزْوَةُ أُحُدٍ.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ : غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ : غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ : غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ.

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ : غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقْ.

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ : يَوْمُ الْحُدَيْبِيَةِ.

الْمَطْلَبُ الثَّامِنُ : كُتُبُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إِلَىٰ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ.

الْمَطْلَبُ التَّاسِعُ : غَزْوَةُ خَيْبَرَ.

الْمَطْلَبُ الْعَاشِرُ : عُمْرَةُ الْقَضَاءِ.

الْمَطْلَبُ الْحَادِي عَشَرَ : غَزْوَةُ مُؤْتَةَ.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي عَشَرَ : غَزْوَةُ فَتْح مَكَّةَ.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ عَشَرَ : غَزْوَةُ حُنَيْنٍ.

الْمَطْلَبُ الرَّابِعُ عَشَرَ : غَزْوَةُ الطَّائِفِ.

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ عَشَرَ : غَزْوَةُ تَبُوكَ.

المَطْلَبُ الأَوَّلُ

غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى

۞ كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَىٰ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَسُمِّيَتْ بِبَدْرٍ؛ نِسْبَةً إِلَىٰ بِئْرِ بَدْرٍ فِي قَرْيَةٍ تَقَعُ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَهِيَ أَقْرَبُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مِنْهَا إِلَىٰ مَكَّةَ. وَفِيهَا يُرْوَىٰ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ خَرَجَ بِعِيرٍ لِقُرَيْشٍ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم: «**هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ، فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُنْفِلَكُمُوهَا**». أَيْ: **يُغْنِمَكُمُوهَا**، وَعَلِمَ أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُرِيدُهُ، فَبَعَثَ إِلَىٰ مَكَّةَ يَسْتَنْفِرُ قُرَيْشًا، فَأَعَدَّتْ قُرَيْشٌ عُدَّتَهَا لِلْقِتَالِ، وَنَزَلَتْ بِبَدْرٍ، وَكَانَ عَدَدُ الْمُقَاتِلِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي بَدْرٍ نَحْوَ أَلْفٍ (١٠٠٠) مِنْهُمْ سِتُّمَائَةَ دَارِعٍ (٦٠٠) وَمَعَهُمْ مِائَةُ فَرَسٍ (١٠٠) عَلَيْهَا مِائَةُ دِرْعٍ سِوَىٰ دُرُوعِ الْمُشَاةِ. أَمَّا عِدَّةُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِينَ خَرَجَ ﷺ بِهِمْ لِقِتَالِ الْعَدُوِّ ثَلَاثُمِائَةٌ وَثَلَاثَةُ عَشَرَ (٣١٣) وَكَانُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ مِنَ الْإِبِلِ (٧٠) وَخَمْسَةُ أَفْرَاسٍ (٥).

۞ وَرَغْمَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَقَدِ اسْتَبْشَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِعِدَّتِهِمْ وَقَالَ ﷺ: «**عِدَّةُ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ**». وَقَبْلَ الْقِتَالِ اسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالُوا وَأَحْسَنُوا جَمِيعًا، حَيْثُ تَكَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَقَالَ وَأَحْسَنَ، وَتَكَلَّمَ عُمَرُ رضي الله عنه فَقَالَ وَأَحْسَنَ، وَقَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اِمْضِ لِمَا أَمَرَكَ اللهُ فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللهِ لَا نَقُولُ لَكَ مِثْلَ مَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[1]، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَىٰ بَرْكِ الْغِمَادِ، لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّىٰ تَبْلُغَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ. وَ(بَرْكُ الْغِمَادِ) مَكَانٌ بِأَقْصَىٰ الْيَمَنِ.

۞ وَتَكَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْصَارِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ آمَنَّا بِكَ

(١) المائدة الآية (٢٤).

وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَىٰ هَذَا عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا، عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ، لَخُضْنَاهُ مَعَكَ مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَىٰ بِنَا عَدُوَّنَا غَدَاً، وَإِنَّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ، صُدُقٌ فِي اللِّقَاءِ، لَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ.

۞ فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**سِيرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَعَدَنِي إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَىٰ مَصَارِعِ الْقَوْمِ**». ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْكِرَامُ حَتَّىٰ نَزَلُوا بِالْقُرْبِ مِنْ بَدْرٍ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَحَدُ أَصْحَابِهِ وَهُوَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ رضي الله عنه أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَ الْمَاءِ، وَيُحِيطُ الصَّحَابَةُ بِالْقَلِيبِ، وَيَبْنُوا عَلَيْهِ حَوْضَاً، حَتَّىٰ لَا يَصِلَ الْعَدُوُّ إِلَىٰ الْمَاءِ، فَيَشْرَبَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا يَشْرَبَ الْعَدُوُّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ رَأْيِهِ وَقَالَ ﷺ: «**لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ**».

۞ وَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَدِّلُ الصُّفُوفَ، وَمَعَهُ جَرِيدَةٌ، فَمَرَّ بِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ (سَوَادُ) مِنَ الْأَنْصَارِ وَكَانَ مُتَنَحِّيَاً عَنِ الصَّفِّ، فَأَصَابَهُ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ ﷺ: «**اِسْتَوِ يَا سَوَادُ**». فَقَالَ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعْتَنِي، وَقَدْ بَعَثَكَ اللهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، فَكَشَفَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ الشَّرِيفَةِ وَقَالَ ﷺ لَهُ: «**اِسْتَقِدَّ**». فَأَقْبَلَ سَوَادُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَعْتَنِقُهُ وَيُقَبِّلُ بَطْنَهُ وَيَتَبَرَّكُ بِهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ هَذَا يَا سَوَادُ**»؟ قَالَ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ، حَضَرَ مَا تَرَىٰ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ، «**فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَيْرَاً وَدَعَا ﷺ لَهُ بِالْخَيْرِ**».

۞ وَأَشَارَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه أَنْ يَبْنُوا عَرِيشَاً لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَبَنَوْا عَرِيشَاً فَوْقَ تَلٍّ مُشْرِفٍ عَلَىٰ الْمَعْرَكَةِ، وَالْعَرِيشُ خَيْمَةٌ وَلَكِنَّهَا مِنَ الْجَرِيدِ، وَكَانَ مَعَهُ ﷺ فِي الْعَرِيشِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه شَاهِرَاً سَيْفَهُ مِنْ فَوْقِ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يَهْوِي عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَهْوَىٰ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وَبِهَذَا الْمَوْقِفِ الْجَلِيلِ الَّذِي وَقَفَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه أَشَادَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ بِهِ حَيْثُ يَقُولُ: أَشْجَعُ النَّاسِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه؛ لِمَا رَأَيْنَاهُ مِنْهُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي عَرِيشِهِ يُنَاشِدُ رَبَّهُ مَا وَعَدَهُ مِنَ النَّصْرِ، وَيَقُولُ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلَكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ**

الْيَوْمَ لَا تُعْبَدُ». وَخَفَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَفْقَةً وَهُوَ فِي عَرِيشِهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ ﷺ قَالَ: «أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللهِ، هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ يَقُودُهُ، عَلَىٰ ثَنَايَاهُ النَّقْعُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عَرِيشِهِ إِلَىٰ النَّاسِ، يَحُثُّهُمْ وَيَحُضُّهُمْ عَلَىٰ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ، فَيُقْتَلُ صَابِراً مُحْتَسِباً، مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ»، فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ وَكَانَ بِيَدِهِ تَمَرَاتٌ يَأْكُلُهُنَّ: بَخٍ بَخٍ !!!، فَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ، ثُمَّ أَلْقَىٰ بِتَمَرَاتِهِ مِنْ يَدِهِ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ، فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ شَهِيداً فِي سَبِيلِ اللهِ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَأَنْزَلَ اللهُ مَلَائِكَتَهُ فِي الْقِتَالِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانُوا خَمْسَةَ آلَافٍ عَلَيْهِمْ عَمَائِمُ أَرْخُوهَا بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ بَعْضُهَا أَبْيَضُ وَبَعْضُهَا أَسْوَدُ وَبَعْضُهَا أَصْفَرُ وَبَعْضُهَا أَحْمَرُ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنه عَلَيْهِ عِمَامَةٌ صَفْرَاءُ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ عِمَامَةُ جِبْرِيلَ عليه السلام، وَفِي نُزُولِ الْمَلَائِكَةِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾(١).

۞ وَغَشِيَتْ عِنَايَةُ اللهِ تَعَالَىٰ جُنُودَهُ وَأَيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ، حَيْثُ بَلَغَ عَدَدُ الْقَتْلَىٰ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعِينَ وَالْأَسْرَىٰ أَيْضاً سَبْعِينَ، أَمَّا عَدَدُ الشُّهَدَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَكَانُوا أَرْبَعَةَ عَشَرَ: سِتَّةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَثَمَانِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ. وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سُجُودِهِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ». وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ عَظَمَةِ هَذَا الِاسْمِ.

(رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ)

۞ وَبَعْدَ أَنْ أَيَّدَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِنَصْرِهِ، أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْقَتْلَىٰ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلِيبِ، ثُمَّ أَخَذَ ﷺ يُخَاطِبُهُمْ وَيَقُولُ: «يَا عُتْبَةُ، يَا شَيْبَةُ، يَا أُمَيَّةُ بْنَ خَلَفٍ، يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ... وَعَدَّدَ مَنْ كَانَ فِي الْقَلِيبِ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقّاً، فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا

(١) آل عمران الآيتان (١٢٥-١٢٦).

وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا»، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُخَاطِبُ قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا؟ فَقَالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ؛ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْجَوَابَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

إِسْلامُ الْعَبَّاسِ رضي الله عنه:

لَمَّا وَقَعَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ أَسِيرًا فِي يَوْمِ بَدْرٍ، سَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَفْدِيَ نَفْسَهُ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه: تَرَكَتْنِي قُرَيْشٌ فَقِيرًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيْنَ الْمَالُ الَّذِي دَفَعْتَهُ لِأُمِّ الْفَضْلِ، وَقُلْتَ لَهَا: إِنْ أُصِبْتُ فَهَذَا لِبَنِيَّ: الْفَضْلِ، وَعَبْدِ اللهِ، وَقُثَمٍ**». فَقَالَ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه: **وَاللهِ أَشْهَدُ أَنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، إِنَّ هَذَا شَيْءٌ مَا عَلِمَهُ إِلَّا أَنَا وَأُمُّ الْفَضْلِ، أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُه**.

أَسْرَى بَدْرٍ:

اسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ فِي أَسْرَى بَدْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «**يَا رَسُولَ اللهِ، أَهْلُكَ وَقَوْمُكَ، قَدْ أَعْطَاكَ اللهُ الظَّفَرَ عَلَيْهِمْ وَنَصَرَكَ عَلَيْهِمْ، أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُمْ وَتَأْخُذَ الْفِدَاءَ مِنْهُمْ، فَيَكُونَ مَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ وَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ بِكَ، فَيَكُونُوا لَنَا عَضُدًا**»، وَقَدْ وَافَقَ الصَّحَابَةُ أَبَا بَكْرٍ عَلَى أَخْذِ الْفِدَاءِ.

أَمَّا عُمَرُ رضي الله عنه فَقَدْ كَانَ رَأْيُهُ أَنْ يُقَتَّلُوا حَيْثُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ وَقَاتَلُوكَ... مَا أَرَى أَنْ يَكُونَ لَكَ أَسْرَى فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، وَنَزَلَ الْوَحْيُ مُوَافِقًا لِرَأْيِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وَمَعْنَى «يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ» أَيْ: يَقْتُلُ وَيُبَالِغُ فِي الْقَتْلِ حَتَّى يُذِلَّ الْكُفَّارَ، ثُمَّ فَتَحَ اللهُ تَعَالَى الْبَابَ فِي شَأْنِ الْأَسْرَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾(٢).

(١) الأنفال الآيات (٦٧-٦٩). (٢) محمد الآية (٤).

۞ وَقَدْ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ **بِالْأَحْكَامِ الثَّلَاثَةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ وَهِيَ: «الْقَتْلُ - الْمَنُّ عَلَىٰ الْأَسْرَىٰ بِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِمْ - الْفِدَاءُ**: فَيَفْدُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمَالِ». فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَامَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَقُتِلَ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَهُوَ الَّذِي وَضَعَ سَلَا الْجَزُورِ عَلَىٰ ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي صَلَاتِهِ بِمَكَّةَ. فَمَا رَأَىٰ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ قَتْلَهُ فِيهِ عِزٌّ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَمَرَ بِقَتْلِهِ، وَمَا رَأَىٰ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْفِدَاءَ فِيهِ الْهِدَايَةُ لَهُ وَالْقُوَّةُ وَالْمَنَعَةُ لِلْمُسْلِمِينَ، قَبِلَ مِنْهُ الْفِدَاءَ، وَكَانَ الْفِدَاءُ عَلَىٰ قَدْرِ أَمْوَالِهِمْ: مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ آلَافٍ إِلَىٰ أَلْفَيْنِ إِلَىٰ أَلْفٍ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ فِدَاءٌ، وَهُوَ يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ، دُفِعَ إِلَيْهِ عَشَرَةُ غِلْمَانٍ مِنْ غِلْمَانِ الْمَدِينَةِ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَةَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِدَاءً لَهُ. وَكَانَ سَيِّدُنَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه مِمَّنْ تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ يَوْمَ بَدْرٍ.

تَعْظِيمُ اللَّهِ تَعَالَى لِيَوْمِ بَدْرٍ:

۞ عَظَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ بَدْرٍ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فَسَمَّىٰ هَذَا الْيَوْمَ «**يَوْمَ الْفُرْقَانِ**»، فَفِيهِ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

۞ وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، وَرَمَىٰ بِهَا فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا وَأَصَابَ عَيْنَيْهِ وَمِنْخَرَيْهِ وَفَمَهُ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ. (رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ)

۞ وَكَانَ ذَلِكَ مِصْدَاقًا لِوَعْدِ اللهِ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[2] وَقَدْ تَلَاهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَهُوَ يَثِبُ فِي دِرْعِهِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَكَمَا شَرَّفَ اللهُ هَذَا الْيَوْمَ؛ فَسَمَّاهُ (**يَوْمَ الْفُرْقَانِ**) الَّذِي فَرَّقَ فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَإِنَّ اللهَ

(١) الأنفال الآية (٤١).   (٢) القمر الآية (٤٥).

تَعَالَىٰ شَرَّفَ قِتَالَ الْمُؤْمِنِينَ، فَنَسَبَهُ إِلَيْهِ، وَشَرَّفَ مَا رَمَىٰ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ التُّرَابِ حَتَّىٰ وَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَنَسَبَهُ كَذَلِكَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1].

۞ وَشَرَّفَ انْتِصَارَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم فَنَسَبَهُ كَذَلِكَ إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[2]. فَالْمُؤْمِنُونَ كَانُوا فِي بَدْرٍ فِئَة قَلِيلَةً فِي الْعَدَدِ، قَلِيلَةً فِي الْعُدَّةِ، وَلَكِنَّهَا إِرَادَةُ اللهِ الَّتِي رَفَعَتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَحَقَّ اللهُ بِهِمُ الْحَقَّ وَأَبْطَلَ الْبَاطِلَ، فَكَانَ لَهُ سُبْحَانَهُ مَا أَرَادَ مِنْ نُصْرَةِ أَنْصَارِهِ وَإِنْ قَلُّوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3].

❁❁❁❁❁

الْمَطْلَبُ الثَّانِي

غَزْوَةُ أُحُدٍ

۞ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ **نِسْبَةً إِلَىٰ جَبَلِ أُحُدٍ**، وَهُوَ يَقَعُ عَلَىٰ بُعْدِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ.

۞ وَيَرْجِعُ سَبَبُ هَذِهِ الْغَزْوَةِ إِلَىٰ أَنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ لَمَّا وَقَعَت بِهِمُ الْهَزِيمَةُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، أَرَادُوا أَنْ يَقْتَصُّوا لِقَتْلَاهُمْ، فَتَجَهَّزُوا لِخُرُوجِهِم، وَكَانَتْ عُدَّتُهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ (٣٠٠٠) فِيهِمْ (٧٠٠) سَبْعُمِائَةُ دَارِعٍ عَلَيْهِمُ الدُّرُوعُ، وَمَعَهُمْ مِائَتَيْ فَرَسٍ (٢٠٠) وَخَرَجَ مَعَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ سَبْعَ عَشْرَةَ امْرَأَةً (١٧) فِيهِنَّ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ، الَّتِي قُتِلَ أَبُوهَا عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَعَمُّهَا شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَاسْتَأْجَرَتْ لِقَتْلِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَاتِلِ أَبِيهَا وَعَمِّهَا غُلَامًا حَبَشِيًّا اسْمُهُ وَحْشِيٌّ، وَخَرَجَ جَيْشُ الْمُشْرِكِينَ إِلَىٰ أُحُدٍ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ وَعَلَىٰ رَأْسِهِ أَبُو سُفْيَانَ، وَعَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ بِخُرُوجِهِمْ فَأَعَدَّ الْعُدَّةَ لِقِتَالِهِمْ، وَكَانَتْ عُدَّتُهُمْ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ أَلْفًا، ثُمَّ تَخَاذَلَ عَنْهُ الْمُنَافِقُونَ وَرَجَعُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ وَعَلَىٰ رَأْسِهِمْ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ ابْنِ سَلُولَ، فَكَانَتْ عُدَّةُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ خَرَجُوا لِلْقِتَالِ

---

(١) الأنفال الآية (١٧). (٢) آل عمران الآية (١٢٦). (٣) البقرة الآية (٢٤٩).

سَبْعُمِائَةَ مُقَاتِلٍ (٧٠٠)، وَمَعَهُمْ فَرَسَانِ، وَكَانَ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ مِائَةُ دَارِعٍ يَلْبَسُونَ الدُّرُوعَ مِنْ بَيْنِ الْمُقَاتِلِينَ وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ أُحُدٍ، فَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَىٰ أُحُدٍ، وَصَلَّىٰ ﷺ بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الصُّبْحِ صُفُوفًا، ثُمَّ اصْطَفَّ الْمُسْلِمُونَ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الرُّمَاةَ وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلاً عَلَىٰ جَبَلٍ صَغِيرٍ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ رضي الله عنه، وَأَوْصَاهُمْ ﷺ أَلَّا يَبْرَحُوا مَكَانَهُمْ، وَقَالَ ﷺ لَهُمْ: «**إِنَّا لَا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا ثَبَتُّمْ مَكَانَكُمْ**». وَدَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ اللِّوَاءَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رضي الله عنه.

۞ أَمَّا لِوَاءُ الْمُشْرِكِينَ فَكَانَ بِيَدِ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الَّذِي طَلَبَ مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ رَجُلاً يُبَارِزُهُ، فَخَرَجَ لَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَبَارَزَهُ حَتَّىٰ سَقَطَ عَلَىٰ الْأَرْضِ وَبَدَتْ عَورَتُهُ فَرَجِعَ عَنْهُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، ثُمَّ أَخَذَ لِوَاءَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ ذَلِكَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ رضي الله عنه فَأَصَابَهُ فِي يَدِهِ وَكَتِفِهِ.

۞ وَهَكَذَا ظَلَّ لِوَاءُ الْمُشْرِكِينَ كُلَّمَا حَمَلَهُ أَحَدٌ قُتِلَ، حَتَّىٰ بَلَغَ عَدَدُ مَنْ حَمَلُوا اللِّوَاءَ مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلاً، فَلَمَّا قُتِلَ أَصْحَابُ اللِّوَاءِ صَارَ الْمُشْرِكُونَ كَتَائِبَ مُتَفَرِّقَةً، فَجَاسَ فِيهِمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّىٰ أَجْهَضُوهُمْ وَأَزَالُوهُمْ عَنْ أَمْكِنَتِهِمْ، وَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ، وَوَقَعَ الْمُسْلِمُونَ فِي مُعَسْكَرِ الْمُشْرِكِينَ يَأْخُذُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْغَنَائِمِ، وَاشْتَغَلُوا عَنِ الْحَرْبِ بِالْغَنَائِمِ، وَظَنَّ الرُّمَاةُ الَّذِينَ أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالثَّبَاتِ أَنَّ قُرَيْشًا قَدْ هُزِمَتْ وَأَنَّ الْحَرْبَ قَدْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا، وَسَأَلُوا قَائِدَهُمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ جُبَيْرٍ أَنْ يَنْزِلُوا مِنْ فَوْقِ جَبَلِ الرُّمَاةِ؛ لِيَأْخُذُوا مِنَ الْغَنَائِمِ وَيُصِيبُوا مِنْهَا مِثْلَ إِخْوَانِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ قَائِدُهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ جُبَيْرٍ رضي الله عنه: أَلَمْ يَقُلْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّا لَا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا ثَبَتُّمْ مَكَانَكُمْ**»؛ لَكِنَّهُمُ اشْتَغَلُوا بِالْغَنَائِمِ، وَتَرَكُوا مَكَانَهُمْ، وَلَمْ يَثْبُتْ مَكَانَهُ سِوَىٰ قَائِدِهِمْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه وَعَدَدٍ قَلِيلٍ دُونَ الْعَشَرَةِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَتَبِعَهُ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ هُوَ وَخَالِدٌ عَلَىٰ الشِّرْكِ، فَحَمَلُوا عَلَىٰ بَاقِي الرُّمَاةِ، فَقَتَلُوهُمْ، وَانْكَشَفَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ وَاخْتَلَطَ بِجَيْشِ الْمُشْرِكِينَ، وَصَارَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَفَرَّ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَ ابْنُ قَمِئَةَ وَقَتَلَ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ حَامِلَ لِوَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ،

فظَنَّ أَنَّهُ قتَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَذاعَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ قُتِلَ، وَجاءَ أَبُو سُفْيَانَ يَسْأَلُ عُمَرَ بْنَ الْخطَّابِ رضي الله عنه أَحَقًّا أَنَّ مُحَمَّدَاً قَدْ قُتِلَ؟ فَقَالَ عُمَرَ رضي الله عنه: لَا، وَهُوَ الْآنَ يَسْمَعُكَ، وَأَسْفَرَتِ الْمَعْرَكَةُ فِي أُحُدٍ عَنِ اسْتِشْهَادِ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ (٧٠) أَمَّا عَدَدُ الْقَتْلَىٰ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ.

۞ وَأُصِيبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي يَوْمِ أُحُدٍ حَتَّىٰ كُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ ﷺ (وَهِيَ الْجُزْءُ السُّفْلِيُّ مِنْ أَسْنَانِهِ ﷺ) وشُجَّ فِي وَجْهِهِ ﷺ، وَجَعَلَ ﷺ يَقُولُ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ**». وَأَخَذَ مَالِكُ بْنُ سِنَانَ «وَالِدُ الصَّحَابِيِّ الْمُحَدِّثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ» يَمُصُّ دَمَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ مَسَّ دَمُهُ دَمِي لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ**». فَاسْتُشْهِدَ مَالِكٌ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، وَلَمَّا أَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ مَا أَصَابَهُ قَالُوا لَهُ أَصْحَابُهُ رضي الله عنهم: لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ دَاعِياً، اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

فَكَانَ هَذَا مِنَ كَمَالِ حِلْمِهِ ﷺ، وَقَدْ ثَبَتَ مَعَهُ ﷺ مِنَ أَصْحَابِهِ أَرْبَعَ عَشَرَ (١٤).

۞ وَأَمَّا مَنْ أُصِيبُوا فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَقَدْ فَازُوا بِالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَهَذَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه، يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ إِلَّا نَمِرَةٌ إِنْ غَطَّوا بِهَا رَأْسَهُ بَانَتْ رِجلَاهُ، وَإِنْ غَطَّوْا بِهَا رِجلَيْهِ بَانَتْ رَأْسُهُ، فَقَالَ ﷺ: «**اِجْعَلُوهَا عَلَىٰ رَأْسِهِ، وَغَطُّوا رِجْلَيْهِ بِالْإِذْخِرِ**». وَالْإِذْخِرُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ النَّبَاتَاتِ، وَكَانَ مُصْعَبٌ رضي الله عنه رَغْمَ هَذِهِ النَّمِرَةِ الَّتِي خَرَجَ بِهَا مِنَ الدُّنْيَا يَقُولُ: نَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا قَدْ عُجِّلَتْ لَنَا فِي الدُّنْيَا. وَلَقَدْ وَصَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ قبل إِسْلَامِهِ وَبَعْدَهُ، حَيْثُ رَآهُ ﷺ يَوْمَـًا وَعَلَيْهِ إِهَابُ كَبْشٍ (جِلْدُ كَبْشٍ)، فَقَالَ ﷺ: «**اُنْظُرُوا إِلَىٰ هَذَا الَّذِي نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ، فَقَدْ رَأَيْتُهُ بِمَكَّةَ بَيْنَ أَبَوَيْهِ يُغَذِّوَانِهِ بِأَشْهَىٰ الطَّعَامِ، وَيَخْتَالُ فِي حُلَّةٍ اشْتَرَاهَا بِمِائَتَيْ دِرْهَمٍ، فَمَا زَالَ بِهِ حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ، حَتَّىٰ صَيَّرَهُ إِلَىٰ مَا تَرَوْنَ**». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ)

۞ وَأُصِيبَ فِي يَوْمِ أُحُدٍ حَمْزَةُ رضي الله عنه، فَقَدْ قَتَلَهُ وَحْشِيٌّ، وَأَكَلَتْ كَبِدَهُ هِنْدُ بْنتُ عُتْبَةَ، فَحَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ الْحُزْنِ حَتَّىٰ قَالَ ﷺ: «**لَئِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَىٰ قُرَيْشٍ، لَأَقْتُلَنَّ ثَلَاثِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ**». فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦

﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾(١)، فَقَالَ ﷺ: «**بَلْ نَصْبِرُ وَلَا نُعَاقِبُ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

وَوَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ حَمْزَةَ، وقَالَ ﷺ: «**لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا**». ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَمْزَةَ، فَسُجِّي بِبُرْدَةٍ، ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكَبَّرَ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ أُتِيَ ﷺ بِالْقَتْلَىٰ، فَيُوضَعُونَ إِلَىٰ حَمْزَةَ رضي الله عنه فَصَلَّىٰ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُمْ حَمْزَةُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ صَلَاةً، وَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام يُبَشِّرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَنْزِلَةِ حَمْزَةَ عِنْدَ أَهْلِ السَّمَاءِ، فَقَالَ عليه السلام: «**مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ: حَمْزَةُ بَنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ**».

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يتفقدُ أصحابَهُ:

وَفِي وَسَطِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةُ الَّتِي حَمِيَ فِيهَا الْوَطِيسُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَأُوذِيَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ الْإِيذَاءَ، تَرَاهُ ﷺ يَنْظُرُ بِعَيْنِ الرَّءُوفِ الرَّحِيمِ وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ، فَيَقُولُ ﷺ: «**مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟**»؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ الْأَسِنَّةَ قَدْ اخْتَلَفَتْ فِيهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ هُوَ أُبَيُّ بَنُ كَعْبٍ رضي الله عنه: أَنَا أَنْظُرُ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ مَا فَعَلَ سَعْدُ، فَنَظَرَ أُبَيٌّ رضي الله عنه، فَوَجَدَ سَعْدًا جَرِيحًا فِي الْقَتْلَىٰ وَبِهِ رَمَقٌ، وَقَدْ طُعِنَ اثْنَتَا عَشْرَةَ طَعْنَةً، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ أَفِي الْأَحيَاءُ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟ فَقَالَ سَعْدٌ: أَنَا فِي الْأَمواتِ، فَأَبْلِغْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ سَعْدَ بَنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ: جَزَاكَ اللهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَىٰ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ. وَأَبْلِغْ قَومِي عَنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَنْ يَخْلُصَ إِلَىٰ نَبِيِّكُمْ ﷺ شَيْءٌ مِنَ الْأَذَىٰ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرُفُ. وَمَا أَنْ أَتَمَّ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ رضي الله عنه كَلَامَهُ حَتَّىٰ مَاتَ، فَجَاءَ أُبَيُّ بَنُ كَعْبٍ رضي الله عنه إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَحِمَهُ اللهُ؛ نَصَحَ للهِ والرَّسُولِ حَيًّا وَمَيِّتًا**».

وَفِي مَشْهَدٍ آخَرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، تَرَاهُ حِينَ أَمَرَ بِدَفْنِ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنْ أَصْحَابِهِ، يَنْظُرُ

---

(١) النحل الآيات (١٢٦-١٢٨).

فِيهِمْ، فَيَرَىٰ رَجُلَيْنِ: هُمَا عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ، وَعَبْدُ اللهِ بَنُ عَمْرِو بَنِ حَرَامٍ رضي الله عنهما فَيَقُولُ صلى الله عليه وآله وسلم: «اِجْعَلُوهُمَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ؛ فَإِنَّهُمَا كَانَا مُتَصَافِيَيْنِ فِي الدُّنْيَا».

رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ:

۞ لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بَنُ عَمْرِو بَنِ حَرَامٍ وَالِدُ سَيِّدِنَا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، جَاءَ جَابِرٌ رضي الله عنه، وَجَعَلَ يَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِ أَبِيهِ، فَنَهَاهُ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَمْ يَنْهَهُ، وَإِنَّمَا قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم لَهُ: «لَا تَبْكِيهِ؛ مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّىٰ رُفِعَ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَبُشْرَىٰ أُخْرَىٰ سَاقَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ فِيهَا جَابِرٌ رضي الله عنه: نَظَرَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، مَالِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا؟». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اُسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ دَيْنًا وَعِيَالًا، قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَلَا أُخْبِرُكَ؟ مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنَ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَإِنَّهُ كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا (أَيْ: مُوَاجَهَةً)، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ سُبْحَانَهُ: «سَلْنِي أُعْطِكَ. قَالَ: أَسْأَلُكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَىٰ الدُّنْيَا، فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. فَقَالَ الرَّبُّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي الْقَوْلُ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ. قَالَ: أَيْ رَبِّي، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. (رَوَاهُ البيهقي)

۞ وَمِنَ الْبَشَائِرِ الَّتِي ذَكَرَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بَنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما حَيْثُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ فِي أُحُدٍ، جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ وَحُسْنَ مُتَقَلَّبِهِمْ، قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللهُ لَنَا؛ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عَنِ الْحَرْبِ. فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ... ﴾[2] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَاتِ».

---

(١) آل عمران الآيات (١٦٩-١٧١). (٢) آل عمران الآيات (١٦٩-١٧١).

مَوَاقِفُ خَالِدَةٌ لِنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ:

۞ لَمَّا انْكَشَفَ ﷺ فَقَالَ ﷺ: «مَا الْتَفَتُّ يَمِيناً وَلَا شِمَالاً يَوْمَ أُحُدٍ، إِلَّا وَرَأَيْتُهَا تُقَاتِلُ دُونِي». وَقَدْ جُرِحَتْ ؓ اثْنَيْ عَشَرَ الْمُسْلِمُونَ وَاخْتَلَطَ أَمْرُهُمْ، ثَبَتَتْ نَسِيبَةُ أُمُّ عِمَارَةَ الْمَازِنِيَّةُ وَهِيَ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَزَوْجُ زَيْدِ بَنِ عَاصِمٍ الْأَنْصَارِيِّ ؓ، حَيْثُ قَامَتْ تُبَاشِرُ الْقِتَالَ؛ دِفَاعَاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَذُبُّ بِالسَّيْفِ عَنْهُ وَتَرْمِي عَنِ الْقَوْسِ، وَقَدْ أَثْنَىٰ عَلَيْهَا النَّبِيُّ جُرْحَاً مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ.

۞ ومَرَّ رَسُول اللهِ ﷺ بِامْرَأَةٍ مِنَ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوجُهَا وَأَبُوهَا وَأَخُوهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِأُحُدٍ، فَلَمَّا نَعَوْهُمْ لَهَا، قَالَتْ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالُوا: خَيْراً يَا أُمَّ فُلَانٍ، هُوَ بِحَمْدِ اللهِ كَمَا تُحِبِّينَ، قَالَت: أَرُونِيهِ حَتَّىٰ أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ ﷺ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَتْهُ ﷺ قَالَت: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ (أَيْ هَيِّنَةٌ وَصَغِيرَةٌ).

مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ:

۞ أُصِيبَتْ عَيْنُ قَتَادَةَ بَنِ النُّعْمَانِ ؓ، وَسَقَطَتْ عَلَىٰ وَجْنَتِهِ، فَرَدَّهَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ عَادَتْ أَحْسَنَ وَأَحَدَّ مِمَّا كَانَتْ.

۞ وَخَرَجَ أُبَيُّ بَنُ خَلَفٍ يَوْمَ أُحُدٍ يَقُولُ: أَيْنَ مُحَمَّدٌ، لَا نَجوتُ إِنْ نَجَا، فَخَرَجَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَتَنَاوَلَ ﷺ حَرْبَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَرَمَاهُ ﷺ بِهَا فَأَصَابَهُ خَدْشٌ لَيْسَ كَبِيراً، فَجَعَلَ يَقُولُ: قَتَلَنِي وَاللهِ مُحَمَّدٌ، فَتَعَجَّبَ أَصْحَابُهُ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ لَهُ: مَا بِكَ وَاللهِ مِنْ بَأْسٍ، مَا أَجْزَعَكَ، إِنَّمَا هُوَ خَدْشٌ، فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي بِي لَوْ كَانَ بِأَهْلِ ذِي الْمَجَازِ (سُوقٍ عِنْدَ عَرَفَةَ) لَمَاتُوا جَمِيعَاً، وَلَمْ يَلْبَثْ أُبَيُّ بَنُ خَلَفٍ أَنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ حِينَ قَفَلُوا رَاجِعِينَ إِلَىٰ مَكَّةَ.

الْعَوْدَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ:

۞ فِي خِتَامِ الْمَعْرَكَةِ فِي أُحُدٍ، بَعَثَ رَسُول اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَقَالَ ﷺ: «**اُخْرُجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَمَا يُرِيدُونَ، فَإِذَا كَانُوا قَدْ جَنَّبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطُوا الْإِبِلَ فَإِنَّهُم يُرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْمَدِينَةَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي**

بِيَدِهِ، لَئِنْ أَرَادُوا الْمَدِينَةَ، لَأَسِيرَنَّ إِلَيْهِم فِيهَا ثُمَّ لَأُنَاجِزَنَّهُمْ». قَالَ عَلِيٌّ: فَخَرَجْتُ فِي آثَارِهِمْ أَنْظُرُ مَاذَا يَصْنَعُونَ، فَرَأَيْتُهُمْ قَدْ جَنَّبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطُوا الْإِبِلَ، وَتَوَجَّهُوا إِلَىٰ مَكَّةَ، وَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَفِي الطَّرِيقِ لَقِيَتْهُ حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَنَعَىٰ النَّاسُ إِلَيْهَا أَخَاهَا عَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْشٍ رضي الله عنه، فَاسْتَرْجَعَتْ (أَيْ: قَالَتْ: إِنَا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نَعَوْا لَهَا خَالَهَا حَمْزَةَ بنَ عَبدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، فَاسْتَرْجَعَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ نَعَوا لَهَا زَوْجَهَا مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ رضي الله عنه، فَصَاحَتْ وَوَلْوَلَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا بِمَكَانٍ». وَذَلِكَ لَمَّا رَأَىٰ ﷺ ثَبَاتَهَا عِنْدَ ذِكْرِ أَخِيهَا وَخَالِهَا، وَصِيَاحَهَا عِنْدَ ذِكْرِ زَوجِهَا.

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَقَبْلَ أَنْ يُغَادِرَ أُحُدًا، جَمَعَ ﷺ أَصْحَابَهُ رضي الله عنهم، وَصَفَّهُمْ خَلْفَهُ ﷺ صُفُوفًا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «اِسْتَوُوا حَتَّىٰ أُثْنِيَ عَلَىٰ رَبِّي». ثُمَّ قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَّ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْأَمَانَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَمِنْ شَرِّ مَا مَنَعْتَنَا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَيُكَذِّبُونَ بِرُسُلِكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ».

هَكَذَا كَانَ حَالُ النَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِّ أَحْيَانِهِ، تَرَاهُ ﷺ ذَاكِرًا للهِ عز وجل، مُتَوجِّهًا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالدُّعَاءِ وَالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، يَدْعُو اللهَ عز وجل بِجَوَامِعِ الدُّعَاءِ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِالثَّنَاءِ الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِ وَجْهِهِ وَعَظِيمِ إِكْرَامِهِ، رَاضِيًا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي كُلِّ حَالٍ، فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، فَإِنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، لَا يَرَىٰ فِي تَقَلُّبَاتِ الدَّهْرِ فَعَّالًا مُرِيدًا إِلَّا اللهَ،

فإِلَيْهِ سُبْحَانَهُ يَتوَجَّهُ، وَبِهِ يَسْتَعِينُ، وَعَلَيْهِ يَتوَكَّلُ، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

❁❁❁❁❁

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ

۞ بَنُو النَّضِيرِ قَبِيلَةٌ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ مَعَ يهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ، وكَانَتْ لَهُمْ بِظَاهِرِ الْمَدِينَةِ حَدَائِقُ ذَاتُ نَخْلٍ، وَحُصُونٌ يَأْوُونَ إِلَيْهَا.

۞ ويَرْجِعُ سَبَبُ غَزْوِهِمْ إِلَىٰ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ اسْمُهُ «عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ» قَتَلَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، وَكَانَ هَذَانِ الرَّجُلَانِ بَيْنَ قَبِيلَتِهِمْ بَنِي عَامِرٍ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَقْدٌ وَجِوَارٌ، فَلَمَّا ذَكَرَ عَمْرُو بَنُ أُمَيَّةَ أَمْرَ قَتْلِهِما لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**بِئْسَ مَا صَنَعْتَ؛ قَدْ كَانَ لَهُمَا مِنِّي أَمَانٌ وَجِوَارٌ**». وَعَزَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ لِقَوْمِهِمَا بَنِي عَامِرٍ دِيَةَ هَذَيْنِ الْقَتِيلَيْنِ. وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ بَنِي النَّضِيرِ وَكَلَّمَهُمْ أَنْ يُعِينُوهُ فِي دِيَةِ الْقَتِيلَيْنِ، فَقَالُوا: نَفْعَلُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا أَحْبَبْتَ. وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسًا إِلَىٰ جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ، فَخَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَهَمُّوا بِالْغَدْرِ بِهِ ﷺ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ يهُودِ بَنِي النَّضِيرِ: أَنَا أَصْعَدُ عَلَىٰ الْبَيْتِ، فَأَطْرَحُ عَلَيْهِ صَخْرَةً. فَأَتَىٰ خَبَرُ السَّمَاءِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا أَرَادَوا، فَتَهَيَّأَ ﷺ لِقِتَالِهِمْ.

۞ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِقِتَالِ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ بِسَتَّةِ أَشْهُرٍ، وَحَاصَرَ ﷺ بَنِي النَّضِيرِ سِتَّ لَيَالٍ، فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ ﷺ فِي حُصُونِهِمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَطْعِ النَّخِيلِ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُجْلِيَهُمْ، وَيَكُفَّ عَنْ قِتَالِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا السَّلَاحَ، فَقَبِلَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَفَّ عَنْ قِتَالِهِمْ، وَخَرَجَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ خَيْبَرَ وَبَعْضُهُمْ إِلَىٰ الشَّامِ، وَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَسَّمَهَا عَلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ، فَكَفَىٰ

---

(١) الأعراف الآية (٥٤).

بِذَلِكَ الْأَنْصَارَ مَؤُونَةَ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَعْطَىٰ لِرَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ ذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقْرَهُمَا وَهُمَا: سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَأَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بَنُ خَرَشَةَ، وَأَسْلَمَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ رَجُلَانِ هُمَا أَبُو كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو، وَأَبُو سَعْدِ بْنِ وَهْبٍ، أَسْلَمَا عَلَىٰ أَمْوَالِهِمَا فَأَحْرَزَاهَا. وَفِيهِم نَزَلَتْ سُورَةُ الْحَشْرِ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يُسَمِي سُورَةَ الْحَشْرِ سُورَةَ بَنِي النَّضِيرِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁❁❁❁❁

الْمَطْلَبُ الرَّابِع

غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ

❂ وَقَعَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

❂ ويَرْجعُ سَبَبُ هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَنَّ نَفَرَاً مِنَ الْيَهُودِ فِيهِمْ حُيَيُّ بَنُ أَخْطَبَ وَسَلَّامُ بَنُ أَبِي الْحَقِيقِ، قَدِمُوا عَلَىٰ قُرَيْشٍ، وَدَعَوْهُمْ إِلَىٰ حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَوا لَهُمْ: إِنَّ دِينكُمْ -وَهُوَ الشِّرْكُ- خَيرٌ مِنَ الْإِسْلَامِ وَكَشَفَ اللهُ أَمْرَهُمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۝٥١ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾[1].

❂ فَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ مِنْهُمْ ذَلِكَ نَشَطَتْ لِحَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ أُولَئِكَ النَّفَر مِنَ الْيَهُودِ وَجَاءُوا غَطْفَان فَدَعَوْهُمْ إِلَىٰ حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَوَعَدُوهُمْ أَنَّهُم سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ. فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ وَقَائدُهَا أَبُو سُفْيَانَ بَنُ حَرْبٍ، وَخَرَجَتْ غَطْفَانُ وَقَائِدُهَا عُيَيْنَةُ بَنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ يُرِيدُون الْمَدِينَةَ.

❂ لَمَّا سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ، ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ ﷺ يَعْمَلُ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ بِنَفْسِهِ وَعَمِلَ فِيهِ مَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَكَانَ الَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ رضي الله عنه، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: سَلْمَانُ مِنَّا. وَقَالَتْ الْمُهَاجِرُونَ: سَلْمَانُ مِنَّا. فَقَالَ ﷺ: «**سَلْمَانُ مِنَّا آلَ الْبَيْتِ**». (رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ)

---

(١) النساء الآيتان (٥١، ٥٢).

۞ وَفِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ يَرْوِي الْبَرَاءُ بَنُ عَازِبٍ ﷺ فَيَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، فَعَرَضَتْ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الْخَنْدَقِ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، فَشَكَوْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ ﷺ ثُمَّ هَبَطَ إِلَىٰ الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ ﷺ الْمِعْوَلَ وَقَالَ ﷺ: «**بِسْمِ اللهِ. فَضَرَبَ ﷺ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ**، وَقَالَ ﷺ: **اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**. ثُمَّ قَالَ ﷺ: **بِسْمِ اللهِ**. وَضَرَبَ ﷺ **ضَرْبَةً أُخْرَىٰ، فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ**، فَقَالَ ﷺ: **اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسٍ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**. ثُمَّ قَالَ ﷺ: **بِسْمِ اللهِ. وَضَرَبَ** ﷺ **ضَرْبَةً أُخْرَى، فَقَلَعَ** ﷺ **بَقِيَّةَ الْحَجَرِ**، فَقَالَ ﷺ: **اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرَوَىٰ مِثْلَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرٍ ﷺ)

۞ وَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ حَفْرِ الْخَنْدَقِ، أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيشِهِمْ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ كِنَانَةَ وَأَهْلِ تُهَامَةَ، وَأَقْبَلَتْ غَطْفَانُ وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، وَنَزَلَتْ قُرَيْشٌ بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ دَوْمَةَ، وَنَزَلَتْ غَطْفَانُ بِالْقُرْبِ مِنْ أُحُدٍ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: «ذَنَبُ نَقْمَىٰ»، وَدَعَا حُيَيُّ بَنُ أَخْطَبَ الَّذِي نَقَضَ عَهْدَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَعْبَ بَنَ أَسَدٍ الْقُرَظِيَّ لِنَقْضِ عَهْدِهُ كَذَلِكَ، فَأَبَىٰ كَعْبٌ فِي بَادِيءِ الْأَمْرِ، فَمَا زَالَ بِهِ حَتَّىٰ أَغْرَاهُ فَنَقَضَ عَهْدَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَحَزَّبَتِ الْأَحْزَابُ: قُرَيْشٌ وَمَنْ وَالَاهَا مِنَ الْعَرَبِ، وَغَطْفَانُ وَأَهْلُ نَجْدٍ، وَالْيَهُودُ الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ، حَتَّىٰ جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَىٰ «سَلْعٍ» وَهُنَاكَ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَسْكَرَهُ، وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ، وَأَتَاهُمُ الْعَدُوُّ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، وَتَخَاذَلَ الْمُنَافِقُونَ عَنْ نُصْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالُوا: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ، فَائْذَنْ لَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَىٰ دَارِنَا فَإِنَّهَا خَارِجُ الْمَدِينَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ

بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[1].

۞ وَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْحِصَارِ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ بِضْعَـًا وَعَشْرِيْنَ لَيْلَةً، ثُمَّ خَرَجَتْ قُرَيْشٌ تَتَهَيَّأُ لِلْقِتَالِ، حَتَّىٰ وَقَفُوا خَارِجَ الْخَنْدَقِ وَقَالَوا: وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَكِيدَةٌ مَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَكِيدُهَا، وَجَالَتْ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ، وَدَخَلَتْ مِنْ مَكَانٍ ضَيِّقٍ مِنَ الْخَنْدَقِ، وَوَقَفَ عَمْرُو بَنُ عَبْدِ وُدٍّ، وَدَعَا إِلَىٰ الْمُبَارَزَةِ، فَخَرَجَ لَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَدَعَاهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَأَبَىٰ، قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَىٰ النِّزَالِ. قَالَ عَمْرٌو: يَا ابْنَ أَخِي، فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ، فَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ، فَلَمَّا تَبَارَزَا قَتَلَهُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَخَرَجَتْ خَيْلُهُمْ مُنْهَزِمَةً حَتَّىٰ وَلَّتْ هَارِبَةً مِنَ الْخَنْدَقِ.

الْحَرْبُ خُدْعَةٌ:

۞ أَتَىٰ نُعَيْمُ بَنُ مَسْعُودٍ مِنْ قَبِيلَةِ غَطْفَانَ فِي يَوْمِ الْخَنْدَقِ وَبَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِي قَدْ أَسْلَمْتُ، وَإِنَّ قَومِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَمُرْنِي بِمَا شَئْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنِ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ**».

۞ وَخَرَجَ نُعَيْمُ بَنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه حَتَّىٰ أَتَىٰ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَكَانَ نَدِيمَـًا لَهُمْ فَقَالَ: إِنَّ قُرَيْشَـًا وَغَطْفَانَ إِنِ انْتَصَرُوا فَقَدْ أَصَابُوا بَلَدَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِك لَحِقُوا بِبِلَادِهِمْ وَتَرَكُوكُمْ، وَخَلُّوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ بِبَلَدِكُمْ، وَأَنْتُمْ لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ إِنْ خَلَا بِكُمْ، فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّىٰ تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنَـًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ ثِقَةً لَكُمْ، عَلَىٰ أَنْ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمَّدَاً حَتَّىٰ تُنَاجِزُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ.

۞ ثُمَّ خَرَجَ نُعَيْمٌ حَتَّىٰ أَتَىٰ قُرَيْشَـًا وَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ: قَدْ عَلِمْتُمْ وُدِّي لَكُمْ وَفُرَاقِي مُحَمَّدَاً، وَنُصْحِي لَكُمْ فَاكْتُمُوا عَنِّي، فَقَالُوا: نَفْعَلُ، قَال: إِنَّ مَعْشَرَ يَهُودَ نَدِمُوا عَلَىٰ مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ... فَإِنْ بَعَثَتْ إِلَيْكُمْ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنَـًا مِنْ رِجَالِكُمْ، فَلَا تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلَاً وَاحِدَاً.

---
(١) الأحزاب الآية (١٢، ١٣).

۞ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ غَطْفَانَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطْفَانَ إِنَّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَلَا أَرَاكُمْ تَتَّهِمُونَنِي، قَالُوا: صَدَقْتَ مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ، قَالَ: فَاكْتُمُوا عَنِّي، قَالُوا: نَفْعَلُ فَمَا أَمْرُكَ؟ فَقَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ وَحَذَّرَهُمْ.

۞ وَفِي أَعْقَابِ ذَلِكَ أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ؛ لِيَسْتَعِدُّوا لِلْقِتَالِ، فَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ بَنُو قُرَيْظَةَ: لَسْنَا بِالَّذِيْنَ يُقَاتِلُونَ مُحَمَّداً حَتَّىٰ تُعْطُونَا رَهْنَاً مِنْ رِجَالِكُمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا؛ ثِقَةً لَنَا، فَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ قُرَيْشٌ: إِنَّا وَاللهِ لَا نَدْفَعُ إِلَيْكُمْ رَجُلاً وَاحِداً مِنْ رِجَالِنَا، فَأَرْسَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ وَغَطْفَانَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِمْ عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِي الْقِتَالِ حَتَّىٰ يُعْطُوهُمْ رَهْنَاً مِنْ رِجَالِهُمْ، فَأَبَوْاعَلَيْهِمْ، وَفَرَّقَ اللهُ جَمْعَ الْأَحْزَابِ، وَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ فِي لَيَالٍ مُمْطِرَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَجَعَلَتْ تَكْفَأُ قُدُورَهُمْ، وَتَطْرَحُ أَبْنِيَتَهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَىٰ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا اخْتَلَفَ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَمَا فَرَّقَ اللهُ مِنْ جَمَاعَتِهِمْ، دَعَا حُذَيْفَةَ بَنَ الْيَمَانِ ﷺ، فَبَعَثَهُ إِلَيْهِمْ لِيَنْظُرَ مَا فَعَلَ الْقَوْمُ لَيْلاً، قَالَ حُذَيْفَةُ: فَذَهَبْتُ فَدَخَلْتُ فِي الْقَوْمِ وَالرِّيحُ وَالْمَطَرُ وَجُنُودُ اللهِ تَفْعَلُ بِهِمْ مَا تَفْعَلُ، لَا تُبْقِي لَهُمْ قِدْراً وَلَا إِنَاءً وَلَا بِنَاءً، وَرَأَىٰ حُذَيْفَةُ أَبَا سُفْيَانَ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: لِيَنْظُرِ الْمَرْؤُ مَنْ جَلِيسُهُ، قَالَ حُذَيْفَةُ، فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ إِلَىٰ جَنْبِي، فَقُلْتَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: فُلَانُ بَنُ فُلَانٍ.

۞ ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: إِنَّكُمْ وَاللهِ مَا أَصْبَحْتُمْ بِدَارِ مُقَامٍ، أَيْ لَا مُقَامَ لَكُمْ هَا هُنَا، لَقَدْ هَلَكَ الْكُرَاعُ وَالْخُفُّ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَلَغَنَا عَنْهُمُ الَّذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ شَدَةِ الرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ، وَلَا تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلَا يَسْتَمْسِكُ لَنَا بِنَاءٌ، فَارْتَحِلُوا فَإِنِّي مُرْتَحِلٌ، ثُمَّ قَامَ إِلَىٰ جَمَلِهِ وَهُوَ مَعْقُولٌ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ، وَانْطَلَقَ رَاجِعَاً بِالْخَيْبَةِ وَالْخُذْلَانِ، وَرَجِعَ حُذَيْفَةُ بَنُ الْيَمَانِ ﷺ وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْخَبَرِ، وَسَمِعَتْ غَطْفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ، فَرَجَعُوا هُمْ كَذَلِكَ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ، وَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ انْصَرَفَ عَنِ الْخَنْدَقِ، وَعَادَ سَالِمَاً إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

۞ وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ؛ لِثَبَاتِهِمْ وَصَبْرِهِمْ وَيَقِينِهِمْ وَثِقَتِهِمْ بِأَنَّ اللهَ

مُنْجِزٌ وَعْدَهُ لَهُمْ بَالنَّصْرِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[1].

۞ وَمِمَّا هُوَ جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا انْصَرَفَ أَصْحَابُهُ مِنْ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ قَالَ ﷺ: «**لَنْ تَغْزُوَكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّكُمْ تَغْزُونَهُم**». وَتَحَقَّقَ وَعْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمْ تَغْزُهُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ هُوَ ﷺ الَّذِي يَغْزُوهَا حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ ﷺ مَكَّةَ فِي عَامِ الْفَتْحِ الَّذِي وَقَعَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

❁❁❁❁❁

الْمَطْلَبُ الْخَامِسُ

غَـزْوَةُ بَنِـي قُرَيْظَـةَ

۞ لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ الَّتِي أَيَّدَهُ اللهُ فِيهَا بِنَصْرِهِ، أَتَىٰ جِبْرِيلُ عليه السلام مُعْتَجِراً(مُعْتَمَّـاً) بِعَمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، عَلَىٰ بَغْلَةٍ عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ، وَكَانَ الْوَقْتُ وَقْتَ الظَّهِيرَةِ وَقَالَ: أَوَقَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ يَا رَسُولَ اللهِ!؟ قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ**»، فَقَالَ جِبْرِيلُ: فَمَا وَضَعَتِ الْمَلَائِكَةُ السِّلَاحَ بَعْدَ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكَ يَا مُحَمَّدُ بِالْمَسِيرِ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ فَمُزَلْزِلٌ بِهِمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُؤَذِّنـاً فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ: «**مَنْ كَانَ سَامِعاً مُطِيعاً، فَلَا يُصَلِّيَنَّ الْعَصْرَ إِلَّا بِبَنِي قُرَيْظَةَ**»، وَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ بِرَايَتِهِ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَابْتَدَرَهَاالنَّاسُ، وَمَضَىٰ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَرِيقِهِ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَمَرَّ ﷺ بِنَفَرٍمِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: هَلْ مَرَّ بَكُمْ أَحَدٌ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ مَرَّ بِنَا دَحْيَةُ الْكَلْبِيُّ عَلَىٰ بَغْلَةٍ بِيْضَاءَ عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَلِكَ جِبْرِيلُ، بُعِثَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يُزَلْزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ،**

(١) الأحزاب الآيات (٢٢-٢٥).

وَيَقْذِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ».

ﮋ وَلَمَّا أَتَىٰ النَّبِيُّ ﷺ بَنِي قُرَيْظَةَ حَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً حَتَّىٰ جَهَدَهُمُ الْحِصَارُ، وَقَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَأَشَارَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَلَىٰ الْيَهُودِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَّبِعُوهُ فَأَبَوْا، وقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْأَمْرِمَا تَرَوْنَ، فَوَاللهِ لَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ أَنَّهُ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَنَّهُ لِلَّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ، فَتَأْمَنُونَ عَلَىٰ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ، فَأَعْرَضَ الْيَهُودُ عَنْ قَوْلِ صَاحِبِهِمْ كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ وَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَكْفُرُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَعَثُوا إِلَيْهِ ﷺ أَنِ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ -وَكَانَ حَلِيفًا لِلْأَوْسِ-؛ لِنَسْتَشِيرَهُ فِي أَمْرِنَا، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ، وَجَهَشَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ، فَرَقَّ لَهُمْ، وَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا لُبَابَةَ، أَتَرَىٰ أَنْ نَنْزِلَ عَلَىٰ حُكْمِ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ حَلْقِهِ أَنَّهُ الذَّبْحُ.

ﮋ وَرَأَىٰ أَبُو لُبَابَةَ أَنَّهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، وَذَهَبَ رضي الله عنه إِلَىٰ الْمَسْجِدِ وَرَبَطَ نَفْسَهُ فِي عَامُودٍ مِنْ أَعْمِدَةِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ رضي الله عنه: لَا أَبْرَحُ مَكَانِي هَذَا حَتَّىٰ يَتُوبَ اللهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْتُ، وَعَاهَدَ اللهَ أَلَّا يَطَأَ بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَدًا، حَتَّىٰ لَا يُرَىٰ فِي بَلَدٍ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ فِيهَا أَبَدًا، وَاسْتَبْطَأَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا لُبَابَةَ، حَيْثُ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ، فَسَأَلَ ﷺ عَنْهُ حَتَّىٰ عَلِمَ خَبَرَهُ، فَقَالَ ﷺ: «**أَمَا لَوْ جَاءَنِي لَاسْتَغْفَرْتُ لَهُ، فَأَمَّا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ، فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّىٰ يَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ**». وَمَكَثَ أَبُو لُبَابَةَ مُرْتَبِطًا بِالْجِذْعِ فِي الْمَسْجِدِ سِتَّ لَيَالٍ، تَأْتِيهِ امْرَأَتُهُ فِي كُلِّ وَقْتِ صَلَاةٍ، فَتُحِلُّهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَرْتَبِطُ بِالْجِذْعِ، حَتَّىٰ نَزَلَتْ تَوبَتُهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَقْتِ السَّحَرِ مِنَ اللَّيْلِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، فَلَمَّا رَأَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ شَاعَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ سَأَلَتْهُ، فَأَخْبَرَهَا ﷺ «**أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَابَ عَلَىٰ أَبِي لُبَابَةَ**»، وَاسْتَأْذَنَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ تُبَشِّرَ أَبَا لُبَابَةَ بِتَوبَةِ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ - وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنَّ الْحِجَابُ - فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَىٰ أَبِي لُبَابَةَ لِيُطْلِقُوهُ، فَقَالَ رضي الله عنه: لَا وَاللهِ حَتَّىٰ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنِي بِيَدِهِ، «**فَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ ﷺ خَارِجًا إِلَىٰ صَلَاةِ الصُّبْحِ**

أَطْلَقَهُ».

۞ وَنَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهِمْ، وَأَسْلَمَ ثَلَاثَةٌ مِنْ بَنِي عُمُومَتِهِمْ، وَحَكَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ سَيِّدَنَا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه وَكَانَ سَيِّدَ الْأَوْسِ، فَلَمَّا دَخَلَ وَالْقَوْمُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ ﷺ: «**قُومُوا لِسَيِّدِكُمْ**»، ثُمَّ قَالَ فِيهِمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه كَلِمَتَهُ وَكَانَ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ، وَتُقَسَّمَ الْأَمْوَالَ، وَتُسْبَىٰ الذَّرَارِي وَالنِّسَاءُ، فَقَالَ ﷺ لِسَعْدٍ: «**لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ**»، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ سُوقِ الْمَدِينَةِ، فَخَنْدَقَ بِهَا الْخَنَادِقَ، ثُمَّ ضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ، وَكَانُوا نَحْواً مِنْ سَبْعِينَ، وَكَانَ فِيهِمْ عَدُوُّ اللهِ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَزَعِيمُهُمْ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، وَهُمُوا الَّذِينَ خَانُوا عَهْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَحَزَّبُوا عَلَيْهِ ﷺ قُرَيْشَاً وَغَطْفَانَ وَقَوْمَهُمْ مِنْ يهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَلَعَنَهُمْ اللهُ، وَفِيْهِم نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾[1].

۞ وَحِينَ حَكَمَ فِيهِمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه بِمَا حَكَمَ اللهُ بِهِ مِنْ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، كَانَ سَعْدٌ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ، فَأَحْدَثَ بِهِ جِراحَـا، فَدَعَا اللهَ تَعَالَىٰ أَلَّا يُمِيتَهُ حَتَّىٰ تَقَرَّعَيْنُهُ مِنْ يهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ، وَأَمْسَكَ عَنْهُ الدَّمَ شَهْراً كَامِلاً، حَتَّىٰ كَانَ هُوَ الَّذِي قَضَىٰ فِيهِم، وَحِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ انْفَجَرَ جُرْحُهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام حَتَّىٰ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**مَنْ هَذَا الْعَبْدُ الصَّالَحُ الَّذِي مَاتَ، فَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاهْتَزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ**»، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ سَعْدٍ فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ رضي الله عنه، فَلَمَّا حَمَلُوهُ خَفَّ حَمْلُهُ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ احْتَمَلَتْهُ، وَأَنْزَلَ اللهُ فِي جَنَازَتِهِ سَبْعِينَ أَلْفِ مَلَكٍ لَمْ يَهْبِطُوا إِلَىٰ الْأَرْضِ قَبْلَ ذَلِكَ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ والْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمْ)

---

(١) النساء الآيتان (٥١، ٥٢).

ﷺ وَرَوَىٰ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ حُلَّةٌ حَرِيرٌ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمَسُّونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ ﷺ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلْيَنُ**». (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ)

❁❁❁❁❁

الْمَطْلَبُ السَّادِسُ

غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

ﷺ وَقَعَتْ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقْ فِي شَعْبَانَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

ﷺ وَيَرْجِعُ سَبَبُهَا إِلَىٰ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي ضِرَارٍ الْخُزَاعِيَّ، كَانَ قَدْ جَمَعَ الْجُمُوعَ؛ لِمُحَارَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّاعَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ خَرَجَ مَعَ أَصْحَابِهِ حَتَّىٰ لَقِيَهُمْ عَلَىٰ مَاءٍ يُقَالُ لَهُ «**الْمُرَيْسَيعَ**»، وَدَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وَرَايَةَ الْأَنْصَارِ لِسَعْدِ بَنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه، وَحَمَلَ الْـمُسْلِمُونَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ عَشَرَةً وَأَسَرُوا أَكْثَرَ مِنْ سَبْعُمِائَةٍ، وَأَصَابَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا كَثِيراً، وَسَاقَ ﷺ النَّعَمَ وَالشَّاءَ، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ سِوَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ هُوَ هِشَامُ بَنُ صَبَابَةَ، فَقَدْ قُتِلَ خَطَأً، حَيْثُ قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ؛ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ مِنَ الْعَدُوِّ.

ﷺ وَكَانَ فِيمَنْ أُصِيبَ يَوْمَئِذٍ مِنَ السَّبَايَا السَّيِّدَةُ جُوَيرِيَةُ بَنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدِمَرَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَأَتَاهُ أَبُوهَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ يَسْأَلُهُ فِدَاءَ ابْنَتِهِ، يَفْتَدِيهَا بِالْإِبِلِ الَّتِي سَاقَهَا مَعَهُ، وَكَانَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ قَدْ مَرَّ وَهُوَ قَادِمٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ الْعَقِيقُ، وَنَظَرَ إِلَىٰ الْإِبِلِ الَّتِي جَاءَ بِهَا لِلْفِدَاءِ، فَرَغِبَ فِي بَعِيرَيْنِ مِنْهُمَا أَعْجَبَاهُ، فَغَيَّبَهُمَا فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ بِالْعَقِيقِ، وَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَصَبْتُمْ ابْنَتِي وَهَذَا فَدَاؤُهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَأَيْنَ الْبَعِيرَانِ اللَّذَانِ غَيَّبْتَهُمَا بِالْعَقِيقِ فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا؟**» فَقَالَ الْحَارِثُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَوَاللهِ مَا اطَّلَعَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ، فَأَسْلَمَ الْحَارِثُ وَأَسْلَمَ مَعَهُ ابْنَانِ لَهُ، وَأَسْلَمَ أُنَاسٌ مِنْ قَوْمِهِ،

وَأَرْسَلَ الْحَارِثُ إِلَىٰ الْبَعِيرَيْنِ، فَجَاءَ بِهِمَا، فَدَفَعَ الإِبِلَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَدَفَعَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتَهُ جُوَيْرِيَةَ، فَأَسْلَمَتْ وَحَسُنَ إِسْلَامُهَا، فَخَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَبِيهَا فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا وَأَصْدَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعُمَائَةَ دِرْهَمٍ.

۞ وَبِزَوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جُوَيْرِيَةَ، صَارَ بَنُوا الْمُصْطَلِقْ أَصْهَاراً لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَىٰ النَّاسُ ذَلِكَ أَرْسَلُوا مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقْ فَأُعْتِقُوا وَكَانُوا مِائَةً فِي الْعَدِدِ، حَيْثُ قَالُوا: لَقَدْ أَصْبَحَ هَؤُلَاءِ الْأَسْرَىٰ الَّذِينَ بِأَيْدِينَا أَصْهَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَنُّوا عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ. وَتَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها وَكَانَتْ قَدْ خَرَجَتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ: «مَا أَعْلَمُ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَىٰ قَوْمِهَا مِنْ جُوَيْرِيَةَ؛ إِذْ بِتَزَوُّجِ الرَّسُولِ ﷺ إِيَّاهَا، أُعْتِقَ مِائَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ)

۞ وَبِزَوَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ السَّيِّدَةِ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رضي الله عنها، صَارَتْ أُمًّا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَصَارَتْ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَات، وَهِيَ تَرْوِي لَنَا دَرْسًا مِنْ دُرُوسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الذِّكْرِ فَتَقُولُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّىٰ الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مُصَلَّاهَا فِي بَيْتِهَا، ثُمَّ رَجَعَ ﷺ بَعْدَ أَنْ أَضْحَىٰ وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ ﷺ لَهَا: **«مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّذِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟»** قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمَ لَوَزَنَتْهُنَّ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»**. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ جُوَيْرِيَةُ رضي الله عنها حِينَ تَزَوَّجَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهَا، وَتُوُفِّيَتْ سَنَةَ ٥٠ مِنَ الْهِجْرَةِ عَنْ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. كَذَلِكَ مِنَ الْبَرَكَاتِ الَّتِي حَدَثَتْ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، نُزُولُ آيَةِ التَّيَمُّمِ، الَّتِي رَفَعَتِ الْحَرَجَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ إِذَا افْتَقَدُوا الْمَاءَ، حَيْثُ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِلسَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الْتِمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسَ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ... وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ فَخِذِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها، حَتَّىٰ أَصْبَحَ عَلَىٰ غَيْرِ مَاءٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ

فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾. فَلَمَّا نَزَلَتْ قَالَ أُسَيْدُ بَنُ حُضَيْرٍ رضي الله عنه: «مَا هِيَ أَوَّلُ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ» وَقَالَتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رضي الله عنها: فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَوَجَدْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَحِينَ نَتَأَمَّلُ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَإِسْلَامِ أَهْلِهَا، وَمُصَاهَرَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لَهُمْ، وَنُزُولِ آيَةِ التَّيَمُّمِ، تَرَىٰ أَنَّهَا كَانَتْ خَيْراً وَبَرَكَةً، وَعِزّاً وَنَصْراً لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِعْلَاءً لِكَلِمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَحْقِيقاً لِوَعْدِ اللهِ تَعَالَىٰ حِينَ أَذِنَ اللهُ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِالْقِتَالِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١).

❁❁❁❁❁

الْمَطْلَبُ السَّابِعُ
يَوْمُ الْحُدَيْبِيَةِ

الْحُدَيْبِيَةُ اِسْمٌ لِبِئْرٍ يَقَعُ بِالْقُرْبِ مِنْ مَكَّةَ، وَقَدْ سُمِّيَ الْمَكَانُ الَّذِي يَحْوِي هَذَا الْبِئْرَ بِاسْمِهِ، وَالْحُدَيْبِيَةُ الَّتِي نَزَلَ بِهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم قَاصِداً مَكَّةَ، لَيْسَتْ بِغَزْوَةٍ، وَإِنَّمَا كَانَ خُرُوجُهُ صلى الله عليه وآله وسلم فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ؛ تَحْقِيقاً لِرُؤْيَا رَآهَا صلى الله عليه وآله وسلم، يُبَشِّرُهُ فِيهَا رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴾(٢).

فَفِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم مُتَوَجِّهاً إِلَىٰ مَكَّةَ؛ لِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ لِلرُّؤْيَا الَّتِي رَآهَا صلى الله عليه وآله وسلم وَمَعَهُ صلى الله عليه وآله وسلم سَبْعُمِائَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، وَمَعَهُ صلى الله عليه وآله وسلم سَبْعُونَ بَدَنَةً سَاقَهَا مَعَهُ صلى الله عليه وآله وسلم؛ لِلْهَدْيِ، فَلَمَّا خَرَجَ صلى الله عليه وآله وسلم تَكَاثَرَ النَّاسُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله وسلم، حَتَّىٰ صَارُوا أَلْفاً وَأَرْبَعُمِائَةً (١٤٠٠).

عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِمَقْدِمِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَظَنُّوا أَنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم قَدْ قَدِمَ لِقِتَالِهِمْ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ صلى الله عليه وآله وسلم

(١) الحج الآية (٤٠). (٢) الفتح الآية (٢٧).

سُفَرَاءَهُمْ وَاحِداً بَعْدَ الْآخَرِ: بِشْرَ بْنَ سُفْيَانَ- ثُمَّ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ- ثُمَّ مِكْرَزَ بْنَ حَفْصٍ، فَبَيَّنَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ ﷺ أَتَىٰ زَائِرَاً لِلْبَيْتِ وَلَمْ يَأْتِ ﷺ لِلْقِتَالِ.

۞ ثُمَّ قَدِمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ «الْحُلَيْسُ بَنُ عَلْقَمَةَ» وَكَانَ سَيِّدَ الْأَحَابِيشِ فَاسْتَبْشَرَ بِمَقْدِمِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ، فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّىٰ يَرَاهُ**» وَمَعْنَىٰ (**يَتَأَلَّهُونَ**) أَيْ: يَتَعَبَّدُونَ وَيُعَظِّمُونَ الْإِلَهَ. وَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ: «**فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّىٰ يَرَاهُ**»، أَيْ: يَرَىٰ الْحُلَيْسُ بِعَيْنِ رَأْسِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَىٰ لِلْعُمْرَةِ وَلَمْ يَأْتِ لِلْقِتَالِ، فَلَمَّا رَأَىٰ الْحُلَيْسُ الْهَدْيَ، رَجَعَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا رَأَىٰ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لَا عِلْمَ لَكَ، فَغَضِبَ الْحُلَيْسُ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللهِ مَا عَلَىٰ هَذَا حَالَفْنَاكُمْ وَلَا عَلَىٰ هَذَا عَاقَدْنَاكُمْ (لِأَنَّهُ كَانَ حَلِيفَاً لَهُمْ)، ثُمَّ اسْتَرْسَلَ فِي حَدِيثِهِ لِقُرَيْشٍ وَقَالَ: أَيُصَدُّ عَنْ بَيْتِ اللهِ مَنْ جَاءَ مُعَظِّمَاً لَهُ، وَالَّذِي نَفْسُ الْحُلَيْسِ بِيَدِهِ لَتُخَلُّنَّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ أَوْ لَأَنْفِرَنَّ بِالْأَحَابِيشِ نَفْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: كُفَّ عَنَّا يَا حُلَيْسُ حَتَّىٰ نَأْخُذَ لِأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَىٰ بِهِ.

۞ ثُمَّ إِنَّهُم بَعَثُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ عُرْوَةَ بَنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ، فَلَمَّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، رَأَىٰ مَا رَأَىٰ مِنْ تَعْظِيمِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَعَادَ إِلَىٰ قُرَيْشٍ وَقَالَ: «أَيْ قَوْمِي، فَوَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَىٰ الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَىٰ قَيْصَرَ وَكِسْرَىٰ وَالنَّجَاشِيِّ، فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكَاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مِثْلَ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدَاً ـ ﷺ ـ. وَاللهِ مَا تَنَخَّمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وَضُوئِهِ، وَإِذَاتَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ؛ إِجْلَالاً وَتَوْقِيراً، وَمَا يُمِدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ؛ تَعْظِيمَاً لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا، وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمَهُ لَا يُسْلِمُونَه لِشَيْءٍ أَبَدَاً».

وَكَانَ هَذَا مِنْ عُرْوَةَ؛ تَرَغِيبَاً لِلصُّلْحِ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، غَيْرَ أَنَّ قُرَيْشَاً لَمْ تَسْمَعْ لَهُ.

۞ وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ رَجُلاً لِيُصِيبُوا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأُخِذُوا وَأُتِيَ بِهِمْ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَفَا ﷺ عَنْهُمْ وَخَلَّىٰ ﷺ سَبِيلَهُمْ.

۞ وبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ لِقُرَيْشٍ عُثْمَانَ، وبَلَّغَهُمْ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ ﷺ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَذِنُوا لِعُثْمَانَ فِي الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ كَيْفَمَا جَاءَ، وَلَكِنْ عُثْمَانُ ﷺ أَبَىٰ حَتَّىٰ يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاحْتَبَسَتْ قُرَيْشٌ عُثْمَانَ عِنْدَهَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَشَاعَ النَّاسُ قَتْلَ عُثْمَانَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ ﷺ: «لَا نَبْرَحُ حَتَّىٰ نُنَاجِزَ الْقَوْمَ». أَيْ: نُقَاتِلَهُمْ.

بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ:

۞ وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عُمَرَ بَنَ الْخَطَّابِ ﷺ أَنْ يُنَادِيَ فِي النَّاسِ لِلْبَيْعَةِ عَلَىٰ قِتَالِ الْقَوْمِ، فَبَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ: «عَدَمِ الْفِرَارِ، وَإِمَّا الْفَتْحُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ»، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ أَبُوْ سِنَانَ الْأَسَدِيُّ وَهُوَ أَخُو عُكَّاشَةَ بْنِ مُحْصَنٍ، وَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ الْيَمْنَىٰ عَلَىٰ يَدِهِ الْيُسْرَىٰ وَقَالَ ﷺ: «هَذِهِ عَنْ عُثْمَانَ؛ فَإِنَّهُ فِي حَاجَتِكَ وَحَاجَةِ رَسُولِكَ». فَكَانَتْ هَذِهِ إِشَارَةً مِنْهُ ﷺ إِلَىٰ أَنَّ عُثْمَانَ لَمْ يُقْتَلْ. وَكَانَ عَدَدُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَلْفًا وَأَرْبَعمِائَةَ صَحَابِيٍّ (١٤٠٠)، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾(١)، وَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ، خَافُوا وَأَشَارُوا بَالصُّلْحِ عَلَىٰ أَنْ يَرْجِعَ النَّبِيُّ ﷺ وَيَعُودَ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ، فَيُقِيمَ ثَلَاثًا وَمَعَهُ سَلَاحُ الرَّاكِبِ.

صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ:

۞ وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بَنَ عَمْرٍو إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ لِلصُّلْحِ وَتَرْكِ الْقِتَالِ، وَقَبِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعَاهَدَهُمْ عَلَىٰ الصُّلْحِ، وَأَمَرَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أَنْ يَكْتُبَ مَا أَمْلَاهُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ النَّحْوِ الْآتِي حَيْثُ قَالَ ﷺ لَهُ ﷺ:

۞ **أُكْتُبْ:** «**بَسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**» فَقَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ! وَلَكِنِ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَكَتَبَهَا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو**»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَا تَكْتُبْ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَلَكِنِ اكْتُبْ: اِسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ سُهَيْلَ بَنَ عَمْرٍو، اِصْطَلَحَا عَلَى**

(١) الفتح الآية (١٨).

وَضْعِ الْحَرْبِ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ، وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ».

❁ **وَالشَّرْطُ الثَّانِي**: أَنَّهُ مَنْ أَتَىٰ مُحَمَّدَاً مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ، رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشَاً مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ.

❁ **وَالشَّرْطُ الثَّالِثُ**: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ دَخَلَ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ دَخَلَ، فَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ فِي عَقْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ.

❁ **وَالشَّرْطُ الرَّابِعُ**: أَنْ يَأْتِيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ لِقَضَاءِ الْعُمْرَةِ، وَلَا يَحْمِلُ مَعَهُ إِلَّا سَلَاحَ الرَّاكِبِ، وَالسُّيُوفُ فِي الْقُرُبِ لَا يَدْخُلُ مَكَّةَ بِغَيْرِهَا.

❁ **كَمَا اشْتَرَطُوا** عَدَمَ الْمُؤَاخَذَةِ بِمَا تَقَدَّمَ بَيْنَهُمْ مِنْ أَسْبَابِ الْحَرْبِ، فَقَالُوا: «إِنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً» إِشَارَةٌ إِلَىٰ عَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ، وَاشْتَرَطُوا أَنَّهُ «لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ» أَيْ: لَا سَرِقَةَ وَلَا جِنَايَةَ وَأَعْطَىٰ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ النُّسْخَةَ لِسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ نُسْخَةً أُخْرَىٰ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

۞ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ رَاضِيَاً بِجَمِيعِ مَا رَضِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَ رضي الله عنه لَهُ ﷺ: أَوَلَسْتَ بِرَسُولِ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «بلىٰ»، قَالَ رضي الله عنه: أَوَلَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ ﷺ: «بَلَىٰ»، أَوَلَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ ﷺ: «بلىٰ»، قَالَ رضي الله عنه: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا؟ قَالَ ﷺ: «**أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي**»، فَنَدِمَ عُمَرُ رضي الله عنه عَلَىٰ مَقَالَتِهِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ رضي الله عنه: مَا زِلْتُ أَتَصَدَّقُ وَأَصُومُ وَأُصَلِي وَأَعْتِقُ مِنَ الَّذِي صَنَعْتُ يَوْمَئِذٍ؛ مَخَافَةَ كَلَامِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ حَتَّىٰ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَاً.

۞ وَأَشْهَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ كِتَابِهِ رِجَالَاً مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم هُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بَنُ الْخَطَّابِ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بَنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ قَامَ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ هَدْيِهِ فَنَحَرَهُ، ثُمَّ حَلَقَ، فَتَوَاثَبَ النَّاسُ يَنْحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ، وَقَالَ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ**» قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ ﷺ:

«رَحِمَ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ»، قَالُوا: وَالْمُقَصِرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ الْمُحَلِّقِينَ»، قَالُوا: وَالْمُقَصِرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «وَالْمُقَصِّرِينَ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَفِي تَكْرَارِ النَّبِيِّ ﷺ دُعَاءَهُ لِلْمُحَلِّقِينَ فِيهِ تَأْكِيدٌ لِلْحَثِّ عَلَىٰ الْحَلْقِ، ثُمَّ جَعَلَ ﷺ لِلْمُقَصِّرِينَ نَصِيبًا مِنْ صَالِحِ دَعْوَتِهِ ﷺ؛ رَحْمَةً بِهِمْ وَإِشْفَاقًا عَلَىٰ أُمَّتِهِ.

وَلَمَّا قَفَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَاجِعًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الْبُشْرَىٰ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[1]، فَلَمَّا نَزَلَتْ قَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: «هَنِيئًا مَرِيئًا يَا نَبِيَّ اللهِ، لَقَدْ بَيَّنَ اللهُ مَا يَفْعَلُ بِكَ، فَمَاذَا يَفْعَلُ بِنَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[2]. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ)

تَنْفِيذُ الْمُعَاهَدَةِ:

بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَكْتُبُ الْكِتَابَ هُوَ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، جَاءَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ، قَدِ انْفَلَتَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُوهُ ضَرَبَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَجَعَلَ أَبُوهُ يَجُرُّهُ؛ لِيَرُدَّهُ إِلَىٰ قُرَيْشٍ، وَجَعَلَ أَبُو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ وَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَأُرَدُّ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ يَفْتِنُونَنِي فِي دِينِي؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ؛ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا**».

وَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَرَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، لَكِنَّ أَبَا بَصِيرٍ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ خُنَيْسٌ، جَاءَ فِي طَلَبِ أَبِي بَصِيرٍ مِنْ قِبَلِ قُرَيْشٍ، فَقَتَلَهُ أَبُو بَصِيرٍ، وَكَانَ مِمَّنْ رَدَّهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ قُرَيْشٍ هُوَ وَأَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو.

وَلَمَّا عَلِمَ أَبُو جَنْدَلٍ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي بَصِيرٍ، خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَمَعَهُ سَبْعُونَ مِمَّنْ أَسْلَمُوا، وَلَحِقُوا بِأَبِي بَصِيرٍ، وَكَرِهُوا أَنْ يَقْدُمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَرُدَّهُمْ؛ تَنْفِيذًا لِلْمُعَاهَدَةِ، وَانْضَمَّ

---

(١) الفتح الآيات (١-٣). (٢) الفتح الآية (٥).

إِلَىٰ السَّبْعِينَ نَاسٌ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّىٰ هِيَ: غِفَارٌ، وَأَسْلَمُ، وَجُهَيْنَةُ، وَطَوَائِفُ مِنَ الْعَرَبِ، حَتَّىٰ بَلَغُوا ثَلَاثَ مِائَةَ مُقَاتِلٍ، فَقَطَعُوا مَارَةَ قُرَيْشٍ، لَا يَظْفَرُونَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلُوهُ، وَلَا تَمُرُّ بِهِمْ عِيرٌ إِلَّا أَخَذُوهَا، حَتَّىٰ كَتَبَتْ قُرَيْشٌ لَهُ ﷺ بِمَا فَعَلُوا، فَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَبِي جَنْدَلٍ، وَأَبِي بَصِيرٍ أَنْ يَقْدُمَا عَلَيْهِ ﷺ، وَأَنْ يَلْحَقَ مَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِبِلَادِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَلَا يَتَعَرَّضَ لِأَحَدٍ مَرَّ بِهِمْ مِنْ قُرَيْشٍ، وَلَا لِعِيرِهِمْ، فَقَدِمَ كِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيْهِمَا، وَأَبُو بَصِيرٍ مُشْرِفٌ عَلَىٰ الْمَوْتِ؛ لِمَرَضٍ نَزَلَ بِهِ، فَمَاتَ وَكِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي يَدِهِ يَقْرَأُهُ، فَدَفَنَهُ أَبُو جَنْدَلٍ مَكَانَهُ، وَجَعَلَ عِنْدَ قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَقَدِمَ أَبُو جَنْدَلٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَرَجَعَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ، وَأَمِنَتْ قُرَيْشٌ عَلَىٰ عِيرِهِمْ، وَتَحَقَّقَ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ: «**سَيَجْعَلُ اللهُ لِأَبِي جَنْدَلٍ وَأَصْحَابِهِ فَرَجاً وَمَخْرَجاً**».

۞ وَتَحَقَّقَ وَعْدُ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ خَرَجَ إِلَىٰ الْحُدَيْبِيَةِ، خَرَجَ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ هَذَا الْعَدَدُ يَتَزَايَدُ، حَتَّىٰ بَلَغَ فِي عَامِ الْفَتْحِ الَّذِي فُتِحَتْ فِيهِ مَكَّةُ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَىٰ عَشْرَةِ آلَافٍ (١٠٠٠٠).

۞ إِذْ أَنَّهُ بِوَقْفِ الْقِتَالِ، انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، هَذَا مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَعْلَمُ قُوَّةَ إِيمَانِ أَصْحَابِهِ، وَأَنَّ وُجُودَهُمْ وَسَطَ قُرَيْشٍ فِي مَكَّةَ أَدْعَىٰ إِلَىٰ تَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ لِلْإِسْلَامِ، فَكَانَ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ فَتْحٌ مُبِينٌ، وَنَصْرٌ مِنَ اللهِ الْقَوِيِّ الْعَزِيزِ فَتَحَ اللهُ بِهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، وَهَذَا مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ حَبِيبِهِ وَمُصْطَفَاهُ ﷺ ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[1].

۞ وَمِنْ تَكْرِيمِ اللهِ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ أَقَامَهُ فِي الْبَيْعَةِ مَقَامَ ذَاتِهِ الْعَلِيَّةِ، وَذَلِكَ تَشْرِيفاً لِحَضْرَةِ جَنَابِهِ ﷺ فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2].

۞۞۞۞۞

(١) الفتح الآيتان (٢، ٣). (٢) الفتح الآية (١٠).

المَطْلَب الثَّامِن

كُتُبُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ

۞ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(١).

۞ وَقَدْ كَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَرْسَلَ ﷺ بِكُتُبِهِ رُسُلَهُ ﷺ إِلَيْهِم، وَذَلِكَ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْآتِي:

١ - كِتَابُهُ ﷺ إِلَىٰ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ، وَكَانَ حَامِلَ كِتَابِهِ «دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيُّ». وَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ هِرَقْلَ، كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فِي تِجَارَةٍ هُنَاكَ بِالشَّامِ، فَدَعَاهُ وَسَأَلَهُ عَنْ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِم، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مِنْ أَوْسَطِنَا نَسَبًا، وَسَأَلَهُ عَنْ أَتْبَاعِهِ؟ فَأَخْبَرَهُ أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ أَتْبَاعَهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَسَأَلَ هِرَقْلُ: هَلْ فَارَقَهُ أَحَدٌ مِنْ أَتْبَاعِهِ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا فَارَقَهُ أَحَدٌ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَأَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَلَا يَنْقُصُونَ، وَسَأَلَ هِرَقْلُ: هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِه يَقُولُ بِقَوْلِهِ فَيَتَشَبَّهُ بِهِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ هِرَقْلُ: هَلْ كَانَ لَهُ فِيكُمْ مُلْكٌ فَسَلَبْتُمُوهُ إِيَّاهُ؟ قَالَ: لَا، وَسَأَلَ هِرَقْلُ: كَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، قَالَ هِرَقْلُ: هَلْ يَغْدِرُ، قَالَ: لَا، ثُمَّ سَأَلَهُ بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ. وَهُنَا قَالَ هِرَقْلُ لِأَبِي سُفْيَانَ: لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي عَنْهُ، لَيَغْلِبَنَّ عَلَىٰ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَلَوَدِدْتُ أَنِّي عِنْدَهُ فَأَغْسِلَ قَدَمَيْهِ.

٢- كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَمِيرِ دِمَشْقَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيِّ، وَكَانَ حَامَلَ كِتَابِهِ «شُجَاعُ بْنُ وَهْبٍ الْأَسَدِيُّ»، وَقَدْ وَقَفَ شُجَاعٌ عَلَىٰ بَابِ الْحَارِثِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، حَيْثُ كَانَ الْحَارِثُ مَشْغُولاً بِضِيَافَةِ هِرَقْلَ، وَقَدْ سَأَلَ حَاجِبُ الْحَارِثِ الْغَسَّانِيِّ شُجَاعَ حَامِلَ كِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ حَاجِبُ الْحَارِثِ: إِنِّي أَجِدُ صِفَةَ هَذَا النَّبِيِّ - ﷺ - بِعَيْنِهِ فِي الْإِنْجِيلِ وَأَنَا أُؤْمِنُ بِهِ وَأُصَدِّقُهُ، وَلَكِنْ أَخْشَىٰ أَنْ أُظْهِرَ إِيمَانِي فَيَقْتُلَنِي

(١) سبأ الآية (٢٨).

الْحَارِثُ، وَكَانَ اسْمُ ذَلِكَ الْحَاجِبِ «مُرِّي»، وَكَانَ الْحَارِثُ أَمِيرُ دِمَشْقَ يَخْشَىٰ أَنْ يَسْلُبَهُ النَّبِيُّ ﷺ مُلْكَهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُقَاتِلَهُ، فَنهَاهُ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ.

٣- كِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ كَسْرَىٰ عَظِيمِ الْفُرْسِ، وَحَامَلُ الْكِتَابِ «عَبْدُ اللهِ بَنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ»، وَلَمَّا رَأَىٰ كِسْرَىٰ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ اسْمَهُ قَبْلَ اسْمِ كِسْرَىٰ، مَزَّقَ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلِمَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَعَا اللهَ عَلَيْهِ أَنْ يُمَزِّقَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَجَاءَ خَبَرُ السَّمَاءِ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّ كَسْرَىٰ قَتَلَهُ ابْنُهُ «شِيرَوِيْهِ».

٤- كِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُقَوقَسِ عَظِيمِ مِصْرَ، وَكَانَ حَامَلَ الْكِتَابَ «حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ»، وَلَمَّا وَصَلَ كَتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُقَوْقَسِ بَالَغَ الْمُقَوْقَسِ فِي إِكْرَامِ حَامِلِهِ، وَبَعَثَ مَعَهُ هَدَايَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ: بَغْلَةٌ يُقَالُ لَهَا «دُلْدُلُ»- وَعَسَلٌ وَطَيبٌ- وَمَارِيَةُ الْقِبْطِيَّةُ وَأُخْتُهَا سِيرِينَ وَقَدْ أَسْلَمَتَا وَهُمَا فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ -وَحِمَارٌ وَهُوَ الَّذِي سُمِّيَ «يَعْفُوراً»- وَعِشْرُونَ ثَوْبَاً مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ مِصْرَ. وَأَعْطَىٰ الْمُقَوْقَسُ حَاطِبَ مِائَةَ دِينَارٍ لَهُ وَخَمْسَةَ أَثْوَابٍ.

وَقَدْ أَهْدَىٰ النَّبِيُّ ﷺ سِيرِينَ إِلَىٰ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، وَبَقِيَتْ مَارِيَةُ عِنْدَهُ ﷺ بِمِلْكِ الْيَمِينِ، وَقَدْ أَنْجَبَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ «إِبْرَاهِيمَ» الَّذِي مَاتَ وَعَنْدَهُ سَنَتَانِ، وَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ الطَّبِيبَ إِلَىٰ الْمُقَوْقَسِ وَقَالَ: «**لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَىٰ طَبِيبٍ**»، فَلَمَّا رَجَعَ سَأَلَهُ الْمُقَوْقَسُ عَنْ سَبَبِ رَدِّهِ، فَقَالَ الطَّبِيبُ: لَقَدْ أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ رَجُلٍ جَمَعَ الطِّبَّ فِي كَلِمَتَيْنِ: «**نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّىٰ نَجُوعَ، وَإِذَا أَكَلْنَا لَا نَشْبَعُ**».

٥- كِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَصْحَمَةَ بْنِ أَبْحُرَ (النَّجَاشِيِّ) مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وَكَانَ حَامَلَ الْكِتَابِ «عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمَرِيُّ» وَقَدْ أَسْلَمَ النَّجَاشِيُّ عَلَىٰ يَدِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَثْنَاءَ هِجْرَةِ جَعْفَرٍ رضي الله عنه بِالْحَبَشَةِ، وَعَنْدَمَا مَاتَ النَّجَاشِيُّ قَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**إِنَّ أَخَاً لَكُمْ فِي الْحَبَشَةِ قَدْ مَاتَ الْيَوْمَ**»، وَقَامَ ﷺ وَصَلَّىٰ عَلَيْهِ صَلَاةَ الْغَائِبِ، وَكَبَّرَ ﷺ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ. وَأَوَّلُ مَا شُرِعَتْ صَلَاةُ الْغَائِبِ، شُرِعَتْ عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

٦- كِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيِّ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ، وَكَانَ حَامِلَ الْكِتَابِ «سَلِيطُ بْنُ عَمْرٍو الْعَامِرِيُّ» الَّذِي أَجَازَهُ هَوْذَةَ بِجَائِزَةٍ وَثِيَابٍ. وَكَانَ عِنْدَ هَوْذَةَ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ النَّصَارَىٰ اسْمُهُ «أَرْكُونَ» فَلَمْ يُسْلِمْ هَوْذَةَ، وَأَسْلَمَ أَرْكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ يَدِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه.

٧- كِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَىٰ أَمِيرِ الْبَحْرَيْنِ، وَكَانَ حَامِلَ الْكِتَابِ «الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ» وَقَدْ أَسْلَمَ الْمُنْذِرُ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ وَدَخَلَ مَعَهُ أُنَاسٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ.

٨- كِتَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ «جَيْفَرَ-وَعَبْدٍ» مَلِكَيْ عُمَانَ، وَكَانَ حَامِلَ الْكِتَابِ «عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ»، وَقَدْ أَسْلَمَا، وَأَسْلَمَ مَعَهُمَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، وَوُضِعَتِ الْجِزْيَةُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ.

وَقَدْ أَسْلَمَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ الْآتِي:

١. النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ.

٢. الْمُنْذِرُ بْنُ سَاوَىٰ أَمِيرُ الْبَحْرَيْنِ.

٣، ٤. مَلِكَا عُمَانَ جَيْفَرٌ وَعَبْدٌ.

٥. كَمَا أَسْلَمَ بَاذَانُ أَمِيرُ الْيَمَنِ مِنْ قِبَلِ كِسْرَىٰ، وَكَانَ سَبَبُ إِسْلَامِهِ نُبُوءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَقْتَلِ كِسْرَىٰ.

خَاتَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِكُتُبِهِ:

لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ إِرْسَالَ كُتُبِهِ إِلَىٰ الْمُلُوكِ وَيَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَىٰ الْإِسْلَامِ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ إِلَّا إِذَا كَانَ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ نَقْشُهُ: (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**) كُتِبَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهَا فِي سَطْرٍ، فَكَانَ ذَلِكَ الْخَاتَمُ فِي يَدِهِ ﷺ، ثُمَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ فِي يَدِ عُمَرَ، ثُمَّ فِي يَدِ عُثْمَانَ رضي الله عنهم. وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ الْخَاتَمُ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ فِي بِئْرِ أَرِيسَ، فَالْتَمَسُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَمْ يَجِدُوهُ وَبَدَأَتِ الْفِتَنُ فِي خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ رضي الله عنه فِي السَّنَةِ الَّتِي افْتُقِدَ فِيهَا خَاتَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

الْمَطْلَبُ التَّاسِعُ

غَزْوَةُ خَيْبَرَ

۞ تَقَعُ خَيْبَرُ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ، وَهِيَ عَلَىٰ بُعْدِ ٩٦ مِيلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ.

۞ وَقَعَتْ غَزْوَةُ خَيْبَرَ فِي شَهْرِ مُحَرَّمٍ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وخَيْبَرُ ذَاتُ مَزَارِعَ وَنَخْلٍ كَثِيرٍ وَقَمْحٍ، كَمَا أَنَّهَا ذَاتُ حُصُونٍ لِلْيَهُودِ، وَقَدِ اتَّخَذَهَا الْيَهُودُ مَرْكَزاً لِدَسَائِسِهِمْ وَمَكْرِهِمْ وَخِدَاعِهِمْ، فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ جِوَارِهِمْ كَمَا تَخَلَّصَ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ.

۞ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ أَلْفٌ وَسِتُّمَائَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ (١٦٠٠) مِنْهُمْ مَائَتَا فَارِسٍ (٢٠٠)، وَخَرَجَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، وَاسْتَخْلَفَ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ الْغِفَارِيَّ، وَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ أَتَوْا خَيْبَرَ لَيْلاً، ثُمَّ صَبَّحُوهَا بِالْقِتَالِ، وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ خَيْبَرَ عَلَىٰ بُعْدِ مَسِيرَةِ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، قِفُوا، ثُمَّ تَوَجَّهَ ﷺ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِالدُّعَاءِ قَائِلاً ﷺ: **«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا»**، ثُمَّ قَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: **«أَقْدِمُوا بِسْمِ اللهِ»**.

۞ كَانَ أَهْلُ خَيْبَرَ عَشَرَةَ آلَافِ مُقَاتِلٍ (١٠٠٠٠)، وَدَارَتِ الْمَعْرَكَةُ وَقُتِلَ مِنَ الْيَهُودِ ثَلَاثَةٌ وَتِسْعُونَ (٩٣) وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً (١٥).

۞ وَفِي يَوْمِ خَيْبَرَ دَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ رَايَتَهُ الْبَيْضَاءَ إِلَىٰ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وقَالَ ﷺ: **«وَاللهِ لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ؛ يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ»**. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: **وَاللهِ مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَأَعْطَىٰ النَّبِيُّ ﷺ الرَّايَةَ لِعَلِيٍّ** رضي الله عنه.

۞ وَكَانَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَدْ أَصَابَهُ رَمَدٌ فِي عَيْنَيْهِ، فَتَفَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمَا وَدَلَكَهُمَا، فَبَرأَ وَعَادَتْ أَحَدَّ مِمَّا كَانَتْ، وَقَالَ ﷺ: **«اللَّهُمَّ اكْفِهِ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ»** قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رضي الله عنه: فَمَا وَجَدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ حَرّاً وَلَا بَرْداً. وَقَدْ تَحَقَّقَتْ فِيهِ نُبُوءَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَفُتِحَتْ حُصُونُ خَيْبَرَ

حِصْنًا حِصْنًا عَلَىٰ يَدِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ.

۞ وَفِي السَّبْيِ وَقَعَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ فِي نَصِيبِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، فَأَشَارَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَخْتَصَّ هُوَ بِهَا، لِمَا لَهَا مِنَ الشَّرَفِ وَالْجَاهِ، فَهِيَ سَيِّدَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ وَبَنِي النَّضِيرِ، وَمِنْ سِبْطِ هَارُونَ أَخُو مُوسَىٰ عليه السلام، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِجَارِيَةٍ أُخْرَىٰ لِدِحْيَةَ، وَجَعَلَ صَفِيَّةَ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ رضي الله عنها (وَالِدَةِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه) ثُمَّ أَسْلَمَتْ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَ ﷺ بِهَا، وَجَعَلَ ﷺ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا، وَكَانَ عُمْرُهَا سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهَا رَأَتْ فِي مَنَامِهَا قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ كَأَنَّ قَمَرَ السَّمَاءِ سَقَطَ فِي حِجْرِهَا، فَكَانَ تَأْوِيلُ رُؤْيَاهَا هُوَ زَوَاجُهَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ. (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ)

۞ وَبَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ جَاءَتْ حَادِثَةُ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ الَّتِي أَنْطَقَهَا اللهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَتْ: «**لَا تَأْكُلْنِي يَا رَسُولَ اللهِ؛ فَإِنِّي مَسْمُومَةٌ**» فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَمَرَ مَنْ مَعَهُ أَنْ يَكُفَّ عَنْ أَكْلِهَا، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْيَهُودِيَّةِ الَّتِي وَضَعَتِ السُّمَّ فِي الشَّاةِ «**مَا حَمَلَكِ عَلَىٰ مَا صَنَعْتِ؟**» قَالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَسَيُطْلِعُكَ اللهُ عَلَيَّ، وَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ ذَلِكَ أُرِيحُ النَّاسَ مِنْكَ، فَعَفَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْهَا، وَكَانَ مِمَّنْ طَعِمَ هَذِهِ الشَّاةَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ فَمَاتَ، فَلَمَّا مَاتَ أَرْسَلَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ أَمَرَ ﷺ بِقَتْلِهَا فَقُتِلَتْ. (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ)

۞ وَفِي يَوْمِ خَيْبَرَ، قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه مِنَ الْحَبَشَةِ، وَمَعَهُ الْأَشْعَرِيُّونَ: أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ وَأَخَوَاهُ، فَقَبَّلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ جَبْهَتِهِ وَعَانَقَهُ، وَقَالَ ﷺ: «**مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَفْرَحُ، أَبِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِمَقْدِمِ جَعْفَرٍ؟!**» وَقَالَ ﷺ لِجَعْفَرٍ مُبَشِّرًا لَهُ: «**أَشْبَهْتَنِي خَلْقًا وَخُلُقًا**» وَكَانَتْ تِلْكَ الْبُشْرَىٰ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ، فَيُقَالُ: إِنَّ جَعْفَرًا حَجَلَ أَيْ مَشَىٰ عَلَىٰ رِجْلٍ وَاحِدَةٍ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، وَأَسْهَمَ النَّبِيُّ ﷺ لِجَعْفَرٍ وَلِلْأَشْعَرِيِّينَ مِنْ غَنَائِمِ خَيْبَرَ.

(الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ- السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ- السِّيرَةُ الْحَلَبِيَّةُ)

۞ وَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ عَائِدًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، سَأَلَ بِلَالًا حِينَ أَمْسَىٰ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْهِمْ صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، وَأَخَذَتْ بِلَالًا سِنَةٌ مِنَ النَّوْمِ فَنَامَ، فَمَا اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ

ﷺ إِلَّا عَلَىٰ مَسِّ الشَّمْسِ، وَلَمَّا سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِلَالًا مَا صَنَعَ؟ قَالَ بِلَالٌ: أَخَذَ نَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ، فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ وَتَوَضَّأَ النَّاسُ، وَصَلَّىٰ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ ﷺ: «**إِذَا نَسِيتُمُ الصَّلَاةَ، فَصَلُّوهَا إِذَا ذَكَرْتُمُوهَا فَإِنَّ اللهَ** ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ **يَقُولُ:** ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾[1]». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ)

۞ وَمِمَّا حَدَثَ فِي خَيْبَرَ كَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ أَصْحَابَهُ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ، فَأَكْفَؤُوا الْقُدُورَ وَهِيَ تَفُورُ.

۞ ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ فَدَكَ، لَمَّا عَلِمُوا بِانْهِزَامِ خَيْبَرَ، صَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ النِّصْفِ مِنْ فَدَكَ، فَصَارَ النِّصْفُ خَالِصًا لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُوجِفْ عَلَىٰ أَهْلِ فَدَكَ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، وَقَدْ جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِابْنِ السَّبِيلِ، وَالصَّغِيرِ وَالْأَيِّمِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ.

۞ غَنَائِمُ خَيْبَرَ:

❁ كَانَتْ غَنَائِمُ خَيْبَرَ أَرْبَعَمِائَةَ سَيْفٍ (٤٠٠)، وَأَلْفَ رُمْحٍ (١٠٠٠)، وَخَمْسُمِائَةَ قَوْسٍ (٥٠٠)، وَمِائَةَ دِرْعٍ (١٠٠).

❁ وَكَانَ مِنَ الْغَنَائِمِ كَذَلِكَ شَعِيرٌ وَتَمْرٌ وَسَمْنٌ، هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي قُوِّمَتْ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ.

❁ وَكَانَ مِنَ الْغَنَائِمِ صَحَائِفُ مِنَ التَّوْرَاةِ لِلْيَهُودِ جَاءُوا يَطْلُبُونَهَا، فَتَرَكَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَهُمْ، وَهَذَا مِنْ تَسَامُحِهِ وَكَرِيمِ أَخْلَاقِهِ ﷺ.

۞ وَقَدْ تَرَكَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ الْأَرْضَ، وَقَالَ: «**إِنْ شِئْنَا أَنْ نُخْرِجَكُمْ أَخْرَجْنَاكُمْ**» فَكَانَ لِلْمُسْلِمِينَ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ، وَظَلَّ الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، حَيْثُ وَقَعَتْ مِنْهُمْ خِيَانَةٌ، فَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فِي إِجْلَائِهِمْ عَنْ خَيْبَرَ، فَأَجْلَاهُمْ إِلَىٰ بِلَادِ الشَّامِ.

❁❁❁❁❁

---

(١) طه الآية (١٤).

الْمَطْلَبُ الْعَاشِرُ
عُمْرَةُ الْقَضَاءِ

۞ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذِي الْقِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ مُعْتَمِراً عُمْرَةَ الْقَضَاءِ وَذَلِكَ مَكَانَ عُمْرَتِهِ فِي الْعَامِ الْمَاضِي وَالَّتِي صَدَّتْهُ عَنْهَا قُرَيْشٌ. فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، كَشَفَ ﷺ عَنْ كَتِفِهِ الْيُمْنَىٰ وَقَالَ: «**رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَرَاهُمُ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً**»، ثُمَّ اسْتَلَمَ ﷺ الرُّكْن، وَهَرْوَلَ فِي الثَّلَاثَةِ أَشْوَاطِ الْأُولَىٰ وَهَرْوَلَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ ﷺ، وَذَلِكَ لِأَنَّ قُرَيْشًا تَحَدَّثَتْ أَنَّ مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ فِي عُسْرَةٍ وَجَهْدٍ وَشِدَّةٍ، فَلَمَّا رَأَوْا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الطَّوَافِ مَا رَأَوْا خَذَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَخَيَّبَ اللهُ ظَنَّهُمْ بِمَا رَأَوْهُ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنْ قُوَّةٍ وَعَافِيَةٍ.

۞ وَقَدْ مَكَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عُمْرَتِهِ هَذِهِ بِمَكَّةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، تَزَوَّجَ خِلَالَهَا السَّيِّدَةَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ أُخْتَ أُمِّ الْفَضْلِ زَوْجَةِ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، وَكَانَ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه هُوَ الَّذِي زَوَّجَهُ إِيَّاهَا، وَأَمْهَرَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرْبَعْمِائَةَ دِرْهَمٍ، وَهِيَ خَالَةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الَّذِي كَانَ يَطْمَعُ النَّبِيُّ ﷺ فِي إِسْلَامِهِ، وَكَتَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ مَعَ أَخِيهِ الْوَلِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ الَّذِي سَبَقَ خَالِدَ بِالْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُ عَنْهُ، فَشَرَحَ اللهُ صَدْرَ خَالِدٍ لِلْإِسْلَامِ، وَأَرَاهُ اللهُ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادٍ ضَيِّقَةٍ جَدْبَاءَ، فَخَرَجَ مِنْهَا إِلَىٰ بِلَادٍ خَضْرَاءَ وَاسِعَةٍ، ثُمَّ أَجْمَعَ بَعْدَ هَذِهِ الرُّؤْيَا عَلَىٰ الْخُرُوجِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَأَسْلَمَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ.

۞ وَبِأَدَاءِ النَّبِيِّ ﷺ عُمْرَةَ الْقَضَاءِ، تَحَقَّقَ وَعْدُ اللهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1].

۞ ثُمَّ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

---

(١) الفتح الآية (٢٧).

الْمَطْلَبُ الحَادي عَشَر

غَزْوَةُ مُؤْتَــة

۞ سَمَّاهَا الْبُخَارِيُّ غَزْوَةً، رَغْمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَخْرُجْ فِيهَا، وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ جَيْشِ الْـمُسْلِمِينَ، وَوَقَعَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ فِي جَمَادَىٰ الْأُولَىٰ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

۞ وَمُؤْتَةُ مَدِينَةٌ بِبِلَادِ الشَّامِ بِالْقُرْبِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. وَيَرْجِعُ سَبَبُ غَزْوِهَا إِلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَرْسَلَ الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرٍ بِكِتَابِهِ إِلَىٰ أَمِيرِ بُصْرَىٰ، أَتَىٰ شَرْحَبِيلُ وَهُوَ مِنْ أُمَرَاءِ قَيْصَرَ عَلَىٰ الشَّامِ، وَأَوْثَقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرٍ وَقَتَلَهُ، وَمِنَ الْمَعْرُوفِ عُرْفًا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ اشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَيْهِ ﷺ، وَجَهَّزَ جَيْشًا لِمُقَاتَلَةِ الرُّومِ، وَكَانَ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافٍ (٣٠٠٠) وَأَمَّرَ عَلَيْهِ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، وَقَالَ ﷺ: «**إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ، فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَىٰ النَّاسِ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَإِنْ أُصِيبَ، فَلْيَرْتَضِ الْمُسْلِمُونَ رَجُلًا مِنْ بَيْنِهِمْ يَجْعَلُونَهُ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ**»، وَقَدْ أُصِيبُوا جَمِيعًا وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ، وَاخْتَارَ الْـمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رضي الله عنه، وَكَانَ ذَلِكَ وَلَمْ يَمْضِ عَلَىٰ إِسْلَامِهِ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، فَجَعَلَ مُقَدِّمَةَ الْجَيْشِ خَلْفَهُ، وَالْمَيْمَنَةَ مِنَ الْجَيْشِ مَيْسَرَةً، فَظَنَّ الْعَدُوُّ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ مِائَتَيْ أَلْفٍ أَنَّ هُنَاكَ عَدَدٌ جَاءَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَانْحَازَ سَيِّدُنَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ وَرَجَعَ، فَلَمَّا رَجَعُوا جَعَلَ النَّاسُ فِي الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ لَهُمْ: أَنْتُمُ الْفَرَّارُونَ، فَلَمَّا سَمِعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**بَلْ هُمُ الْكَرَّارُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ**»، فَكَانَ فِي ذَلِكَ تَثْبِيتٌ لِلْمُسْلِمِينَ.

۞ وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِخَبَرِهِمْ حَيْثُ نَادَىٰ فِي النَّاسِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةً، ثُمَّ صَعَدَ ﷺ الْمِنْبَرَ وَعَيْنَاهُ ﷺ تَذْرِفَانِ، وَقَالَ ﷺ: «**يَأَيُّهَا النَّاسُ، بَابُ خَيْرٍ بَابُ خَيْرٍ**»، أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي، إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا، فَلَقُوا الْعَدُوَّ، فَقُتِلَ زَيْدٌ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ حَتَّىٰ قُتِلَ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّىٰ قُتِلَ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَهُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ، وَلَكِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، فَآبَ بِنَصْرِهِ، فَسُمِّيَ خَالِدٌ مِنْ يَوْمِهَا بِسَيْفِ اللهِ الْمَسْلُولِ. وَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ

أَسْمَاءَ بِنْتَ عُمَيْسٍ زَوْجَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِخَبَرِ جَعْفَرٍ ﵁، أَخَذَتْ تَصِيحُ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَبْكُوا عَلَىٰ أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ»؛ لِأَنَّهُ قَدْ مَضَىٰ عَلَىٰ مَوْتِ جَعْفَرٍ ﵁ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي»، فَلَمَّا جِيءَ بِهِمْ، دَعَا لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ» قَالَهَا ثَلَاثًا. (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ)

❁❁❁❁❁

الْمَطْلَبُ الثَّانِي عَشَرَ
غَزْوَةُ فَتْحِ مَكَّةَ

۞ وَقَعَتْ غَزْوَةُ فَتْحِ مَكَّةَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ (٨هـ)، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا قِتَالٌ، بَلْ كَانَ فِيهَا الصَّفْحُ وَالْعَفْوُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَدْ قَالَ ﷺ لَهُمْ: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**».

۞ وَيَرْجِعُ سَبَبُهَا إِلَىٰ نَقْضِ قُرَيْشٍ لِعَهْدِ الْحُدَيْبِيَةِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ أَنَّ عَقْدَ الْحُدَيْبِيَةِ جَاءَ فِيهِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ فَلْيَدْخُلْ فِيهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ فَلْيَدْخُلْ فِيهِ، فَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ.

۞ وَحَدَثَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي بَكْرٍ هَجَا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَامَ لَهُ غُلَامٌ مِنْ خُزَاعَةَ فَضَرَبَهُ وَشَجَّهُ، وَأَمَدَّتْ قُرَيْشٌ بَنِي بَكْرٍ بِالسِّلَاحِ وَالرِّجَالِ، وَقَتَلُوا مِنْ خُزَاعَةَ عِشْرِينَ رَجُلًا، فَأَرْسَلَتْ خُزَاعَةُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ تَسْأَلُهُ مُنَاصَرَتَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَمْنَعُهُمْ مِمَّا أَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسِي وَأَهْلِي**».

۞ وَتَأَهَّبَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْخُرُوجِ إِلَىٰ مَكَّةَ سِرًّا، حَتَّىٰ لَا تَسْتَعِدَّ قُرَيْشٌ لِقِتَالِهِمْ وَدَعَا ﷺ اللهَ تَعَالَىٰ قَائِلًا: «**اللَّهُمَّ خُذْ عَلَىٰ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، فَلَا يَرُونَا إِلَّا بَغْتَةً، وَلَا يَسْمَعُونَ بِنَا إِلَّا فَلْتَةً**».

۞ وَاسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ، فَلَمَّا عَلِمَ النَّاسُ بِمَسِيرِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ قُرَيْشٍ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ ﵁ إِلَىٰ قُرَيْشٍ يُحَذِّرُهُمْ مِنْ قُدُومِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِجَيْشِهِ الْعَظِيمِ، وَأَرْسَلَ حَاطِبُ كِتَابَهُ مَعَ امْرَأَةٍ اسْتَأْجَرَهَا بِعَشَرَةِ دَنَانِيرَ، وَنَزَلَ وَحْيُ السَّمَاءِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ،

فَكَشَفَ لَهُ عَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ حَاطِبٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، فَلَحِقَا بِالْمَرْأَةِ وَهِيَ فِي طَرِيقِهَا إِلَىٰ مَكَّةَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ «الْحُلَيْفَةُ»، وَسَأَلُوهَا أَنْ تُخْرِجَ لَهُمُ الْكِتَابَ، فَاسْتَخْرَجَتْهُ مِنْ بَيْنِ ضَفَائِرِهَا.

۞ وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ حَاطِبًا رضي الله عنه وَسَأَلَهُ: «**مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ هَذَا؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ مَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ... وَلَكِنْ كَانَ لِي بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَلَدٌ وَأَهْلٌ، فَصَانَعْتُهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، أَضْرِبُ عُنُقَهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ نَافَقَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ، لَعَلَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِ بَدْرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**». وَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ فِي حَاطِبٍ رضي الله عنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾(1).

۞ وَسَارَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّىٰ نَزَلَ ﷺ بِـ"الظَّهْرَانِ" بِالْقُرْبِ مِنْ مَكَّةَ، وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ وَمَعَهُ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ: حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ؛ لِيَتَفَقَّدُوا أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ وَجَيْشِهِ، فَأَجَارَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَبَا سُفْيَانَ، وَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، وَيْلَكَ تَشَهَّدْ شَهَادَةَ الْحَقِّ قَبْلَ وَاللهِ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ، فَتَشَهَّدَ أَبُو سُفْيَانَ وَقَالَ: أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ... ثُمَّ قَالَ الْعَبَّاسُ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا؛ يَكُونُ لَهُ فِي قَوْمِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ**».

۞ وَمَرَّتِ الْقَبَائِلُ أَمَامَ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ مَحْبُوسٌ عِنْدَ حَطْمِ الْخَيلِ بِمَضِيقِ الْوَادِي، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الَّذِي أَمَرَ الْعَبَّاسَ رضي الله عنه أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، فَجَعَلَ أَبُو سُفْيَانَ يَسْأَلُ الْعَبَّاسَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا عَبَّاسُ؟ فَيَقُولُ لَهُ: هَذِهِ قَبِيلَةُ سُلَيْمٍ، وَهَذِهِ قَبِيلَةُ أَسْلَمَ، وَهَذِهِ قَبِيلَةُ جُهَيْنَةَ، حَتَّىٰ مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَاءِ وَفِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا أَبَا

(1) الممتحنة الآية (1).

الْفَضْلِ؟ فَقَالَ هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِلْعَبَّاسِ: يَا أَبَا الْفَضْلِ، لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ عَظِيمَـًا، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: وَيْحَكَ إِنَّهَا النُّبُوَّةُ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: نَعَمْ إِذَنْ.

۞ وَكَانَ عَدَدُ الْجَيْشِ الَّذِي خَرَجَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ عَشَرَةَ آلَافٍ (١٠٠٠٠) ثُمَّ تَلَاحَقَ بِهِ ﷺ أَلْفَانِ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ هُمْ أَسْلَمُ، وَغِفَارٌ، وَأَشْجَعُ، وَسُلَيْمٌ، فَصَارَ اِثْنَا عَشَرَ أَلْفَـًا (١٢٠٠٠) وَحِينَ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ خَرَّ سَاجِداً عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ وَجَعَلَ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «**إِلَهِي، أَنَا الْعَبْدُ الْبَائِسُ الْفَقِيرُ الْمُقَصِّرُ الرَّاجِي**».

۞ وَأَحَبَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ بِلَا قِتَالٍ، فَعَقَدَ الْأَلْوِيَةَ وَالرَّايَاتِ لِلْقَبَائِلِ وَالْكَتَائِبِ، وَأَمَرَهُمْ ﷺ أَنْ يُوقِدُوا النِّيرَانَ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ رَغِبَتْ عَنِ الْقِتَالِ، فَلَمَّا حَاذَىٰ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رضي الله عنه أَبَا سُفْيَانَ، قَالَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا سَعْدُ، لَا تَقُلْ: الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، وَلَكِنْ: الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ**»، ثُمَّ أَمَرَهُ ﷺ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّايَةَ لِابْنِهِ: «قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ». وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رُؤَسَاءَ الْجَيْشِ أَلَّا يُقَاتِلُوا وَأَنْ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ وَقَالَ ﷺ لَهُمْ: «**لَا تُقَاتِلُوا إِلَّا مَنْ قَاتَلَكُمْ**».

۞ **وَقَدِ اسْتَحَلَّ النَّبِيُّ ﷺ دَمَ أُنَاسٍ، اسْتَثْنَاهُمْ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْأَمَانِ، لَكِنَّ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ أَسْلَمَ، فَأَمَّنَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُمْ:**

(١) عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ فَقَدْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ.

(٢) عَبْدُ اللهِ بْنُ خَطَلٍ.

(٣) هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ. وَكَانَ قَدْ نَخَسَ جَمَلَ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَسْقَطَهَا مِنْ فَوْقِهَا عَلَىٰ صَخْرَةٍ وَسَقَطَ جَنِينُهَا، وَلَمْ تَزَلْ مَرِيضَةً حَتَّىٰ مَاتَتْ، وَلَكِنَّهُ أَسْلَمَ فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ.

(٤) كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، وَكَانَ لَهُ أَخٌ اسْمُهُ بُجَيْرٌ أَسْلَمَ، فَكَانَ كَعْبٌ يُعَيِّرُ أَخَاهُ بُجَيْراً بِإِسْلَامِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ أَهْدَرَ دَمَهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَهْجُوالنَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ

وَأَنْشَدَ:

إِنَّ النَّبِيَّ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ   مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

فَأَرْخَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ بُرْدَتَهُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ أَرْسَلَ إِلَىٰ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ؛ لِيَبِيعَهُ بُرْدَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَأَبَىٰ كَعْبٌ وَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي أَعْطَانِيهِ أَحَداً.

(٥) عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَقَدْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ.

(٦) صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَكَانَ قَدِ اخْتَفَىٰ حِينَ عَلِمَ بِمَقْدِمِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَأَرَادَ أَنْ يُلْقِيَ بِنَفْسِهِ فِي الْبَحْرِ، فَأَجَارَهُ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ رضي الله عنه، وَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عِمَامَتَهُ؛ لِتَكُونَ عَلَامَةً عَلَىٰ أَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُ، فَأَقْبَلَ صَفْوَانُ مَعَ عُمَيْرٍ، وَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ.

(٧) وَحْشِيُّ بْنُ حَرْبٍ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، وَقَدْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ.

(٨) هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، وَكَانَتْ هِيَ الَّتِي اسْتَأْجَرَتْ وَحْشِيَّ؛ لِقَتْلِ حَمْزَةَ وَلَاكَتْ كَبِدَهُ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ وَحَسُنَ إِسْلَامُهَا فَعَفَا عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ.

(٩) قَيْنَتَانِ كَانَتَا تَهْجُوَانِ النَّبِيَّ ﷺ.

(١٠) سَارَّةُ مَوْلَاةٌ لِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهِيَ الَّتِي حَمَلَتْ خِطَابَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، وَكَانَتْ تَهْجُو النَّبِيَّ ﷺ بِغِنَائِهَا ثُمَّ أَسْلَمَتْ وَحَسُنَ إِسْلَامُهَا.

(١١) الْحُوَيْرِثُ بْنُ نَقِيدٍ.

(١٢) مِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ.

(١٣، ١٤) زُهَيْرُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَهُمَا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أُمِّ هَانِئٍ نَسَبٌ وَمُصَاهَرَةٌ فَزَوْجُهَا هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ الْمَخْزُومِيُّ. وَقَدْ أَتَتْ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ رضي الله عنها تَسْتُرُهُ، فَلَمَّا فَرَغَ ﷺ مِنْ غُسْلِهِ وَتَوَشَّحَ ﷺ ثَوْبَهُ، صَلَّىٰ ثَمَانَ رَكَعَاتٍ مِنَ الضُّحَىٰ، ثُمَّ انْصَرَفَ ﷺ إِلَىٰ أُمِّ هَانِئٍ فَقَالَ ﷺ: مَرْحَباً وَأَهْلاً يَا أُمَّ هَانِئٍ، مَا جَاءَ بِكِ؟

فَأَخْبَرَتْهُ خبَرَ الرَّجُلَيْنِ: زُهَيْرِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَقَالَ ﷺ: **«قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ»**.

دُخُولُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم الْبَيْتَ الْحَرَامَ:

لَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَيْتَ الْحَرَامَ اسْتَلَمَ ﷺ الْحجَرَ الْأَسْوَدَ، وَطَافَ ﷺ بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَهُوَ ﷺ عَلَىٰ نَاقَتِهِ الَّتِي أَخَذَ بِزِمَامِهَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رضي الله عنه، وَكَبَّرَ ﷺ وَكَبَّرَ الْـمُسْلِمُونَ، وَأَعَادُوا التَّكْبِيرَ حَتَّىٰ ارْتَجَّتْأَرْجَاءُ مَكَّةَ كُلِّهَا، وَلَمَّا فَرَغَ ﷺ مِنَ الطَّوَافِ، نَزَلَ ﷺ مِنْ فَوْقِ رَاحِلَتِهِ، ثُمَّ انْتَهَىٰ ﷺ إِلَىٰ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَصَلَّىٰ ﷺ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفَ ﷺ إِلَىٰ زَمْزَمَ، فَنَزَعَ لَهُ الْعَبَّاسُ دَلْوًا فَشَرِبَ ﷺ مِنْهُ، وَتَوَضَّأَ الْـمُسْلِمُونَ يَبْتَدِرُونَ وَضُوءَهُ ﷺ يَصُبُّونَهُ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، وَبَعْدَ ذَلِكَ جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، وَبِجِوَارِهِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، ثُمَّ دَعَا ﷺ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ حَاجِبَ الْكَعْبَةِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ وَدَخَلَهَا ﷺ وَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ الْيَمَانِيَيْنِ، ثُمَّ وَقَفَ ﷺ عَلَىٰ بَابِ الْكَعْبَةِ، فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ أَهْلُ مَكَّةَ، فَقَالَ ﷺ: **«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ...، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظِيمَهَا بِالْآبَاءِ. النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ تَلَا ﷺ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، يَا أَهْلَ مَكَّةَ، مَا تَرُونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمُ الْيَوْمَ؟»** قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ ﷺ: **«اِذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»**. وَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ إِلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِوَقَالَ ﷺ: **«خُذُوهَا يَا بَنِي طَلْحَةَ لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ، هَاكَ مِفْتَاحُكَ يَا عُثْمَانُ، الْيَوْمُ يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ»**. وَدَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ السِّقَايَةَ إِلَىٰ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه.

---

(١) الحجرات الآية (١٣).

بَيْعَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم :

۞ وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ الصَّفَا، وَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ أَهْلُ مَكَّةَ يُبَايِعُونَهُ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه جَالِسٌ أَسْفَلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَأْخُذُ عَلَىٰ النَّاسِ أَنْ يُبَايِعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِيمَا اسْتَطَاعُوا، وَبَيْعَتُهُمْ لَهُ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ، إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَوَقَفَ أَمَامَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخَذَتْهُ الرَّعْدَةُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَوِّنْ عَلَيْكَ يَا أَعْرَابِيُّ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**».

۞ وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ بَايَعَ فِي هَذَا الْيَوْمِ «مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ»، ثُمَّ كَانَتْ بَيْعَةُ النِّسَاءِ، مَا بَايَعَهُنَّ ﷺ إِلَّا بِلِسَانِهِ، وَكَانَ مِمَّنْ بَايَعَ مِنَ النِّسَاءِ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ زَوْجَةُ أَبِي سُفْيَانَ.

رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يُحَطِّمُ الْأَصْنَامَ:

۞ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَىٰ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةٌ وَسِتُّونَ صَنَمًا (٣٦٠)، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ قَضِيبٌ يَهْوِي بِهِ إِلَىٰ كُلِّ صَنَمٍ فَيَخِرُّ لِوَجْهِهِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(١).

۞ وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي فِي النَّاسِ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَدَعْ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إِلَّا كَسَّرَهُ**». فَلَمْ يَدَعْ أَحَدٌ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إِلَّا كَسَّرَهُ، ثُمَّ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ السَّرَايَا لِكَسْرِ الْأَصْنَامِ الَّتِي حَوْلَ مَكَّةَ فَكُسِّرَتْ، وَانْتَهَىٰ عَهْدُ الشِّرْكِ، وَأَظْهَرَ اللهُ دِينَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَعَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ تَحْقِيقًا لِوَعْدِ اللهِ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾(٢).

۞ وَأَسْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ بَعْدَ الْحُرُوبِ السِّجَالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ، يُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٣).

مَوَاقِفُ خَالِدَةٌ:

۞ فِي فَتْحِ مَكَّةَ أَسْلَمَ أَبُو قُحَافَةَ وَالِدُ سَيِّدِنَا (أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه)، حَيْثُ أَتَىٰ بِهِ أَبُو بَكْرٍ

---

(١) الإسراء الآية (٨١). (٢) القصص الآية (٨٥). (٣) التوبة الآية (٣٢).

ﷺ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ ﷺ قَالَ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «**هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا آتِيهِ؟**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: (**هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَيْهِ أَنْتَ**). وَقَدْ عَاشَ أَبُوْ قُحَافَةَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ سَنَةً وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ.

۞ لَمَّا فُتِحَتْ مَكَّةُ، خَشِيَتِ الْأَنْصَارُ أَنْ يُقِيمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ وَيَتْرُكَ الْمَدِينَةَ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مُطَمْئِنًا وَمُبَشِّرًا لَهُمْ: «**الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ**».

۞ لَمَّا كَانَ الْعَبَّاسُ ﷺ يَطْلُبُ الْأَمَانَ لِأَبِي سُفْيَانَ، جَرَىٰ بَيْنَ الْعَبَّاسِ وَعُمَرَ ﷺ كَلَامٌ، حَيْثُ قَالَ عُمَرُ لِلْعَبَّاسِ: «**وَاللهِ لَإِسْلَامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَذَلِكَ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ**».

الْمُجْتَمَعُ الإِسْلَامِيُّ الْفَاضِلُ:

۞ بِفَتْحِ مَكَّةَ صَارَ أَهْلُ مَكَّةَ الَّذِينَ كَانُوا يُحَارِبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، صَارُوا بَعْدَ ذَلِكَ يُحَارِبُونَ مَعَهُ مِنْ أَجْلِ نَشْرِ دِينِهِ ﷺ، فَكَانَ ذَلِكَ انْتِصَارًا عَظِيمًا وَفَتْحًا مُبِينًا. وَوَضَعَ الْإِسْلَامُ عَنِ النَّاسِ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ التَّفَاخُرِ بِالْمَالِ وَالْأَنْسَابِ، وَصَارَ الْفَضْلُ لِمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ، وَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنْزَلَهُمْ مَنْزِلَةَ الْإِخْوَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَوَضَعَ عَنْهُمْ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْحُرُوبِ انْتِقَامًا لِنَزْعَتِهِمُ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُنْشِبُ الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ لِأَدْنَىٰ الْأَسْبَابِ، وَنَشَرَ بَيْنَهُمُ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ وَمَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ حَتَّىٰ صَارُوا بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا، وَحَرَّمَ وَأْدَ الْبَنَاتِ، وَرَفَعَ مِنْ شَأْنِ الْمَرْأَةِ، وَمَنَحَهَا حُقُوقَهَا، وَصَانَ لَهَا عَفَافَهَا، وَحَرَّمَ الْفَوَاحِشَ وَشُرْبَ الْخَمْرِ وَأَكْلَ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ وَالْمَيْسِرَ وَالرِّبَا وَالرِّشْوَةَ، وَنَشَرَ الْمُسَاوَاةَ وَالْعَدْلَ بَيْنَ النَّاسِ وَأَمَّنَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَدِيَارِهِمْ، وَأَنْزَلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ، فَجَعَلَ الْكَبِيرَ يَرْحَمُ الصَّغِيرَ، وَالصَّغِيرَ يُوَقِّرُ الْكَبِيرَ، وَجَعَلَهُمْ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ، بَلْ إِنَّ الرَّحْمَةَ وَالرِّفْقَ امْتَدَّتْ لِلْحَيَوَانِ، وَقَضَىٰ عَلَىٰ كُلِّ أَلْوَانِ الْفَسَادِ، وَنَشَرَ كُلَّ أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ الْحَقِّ، وَالْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ، وَالْمُعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَمَا أَعْظَمَ قَوْلَ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فِي

وَصْفِ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ حِينَ وَلَّاهُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ الْقَضَاءَ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ ﷺ، فَمَكَثَ سَنَةً لَا يَتَخَاصَمُ لَهُ اثْنَانِ، فَطَلَبَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ أَنْ يُعْفِيَهُ مِنَ الْقَضَاءِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: **أَمِنْ مَشَقَّةِ الْقَضَاءِ تَطْلُبُ الْإِعْفَاءَ يَا عُمَرُ؟** فَقَالَ ﷺ: «**لَا يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ، وَلَكِنْ لَا حَاجَةَ بِي عِنْدَ قَوْمٍ عَرَفَ كُلٌّ مِنْهُمْ مَا لَهُ مِنْ حَقٍّ فَلَمْ يَطْلُبْ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبٍ فَلَمْ يُقَصِّرْ فِي أَدَائِهِ، أَحَبَّ كُلٌّ مِنْهُمْ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، إِذَا غَابَ أَحَدُهُمْ تَفَقَّدُوهُ، وَإِذَا افْتَقَرَ أَعَانُوهُ، وَإِذَا احْتَاجَ سَاعَدُوهُ، دِينُهُمُ النَّصِيحَةُ، وَخُلُقُهُمُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَفِيمَ يَخْتَصِمُونَ؟**».

۞۞۞۞۞

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ عَشَرَ

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ

۞ وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

۞ وَحُنَيْنٍ وَادِي يَقَعُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، وَهُوَ عَلَىٰ بُعْدِ مَسِيرَةِ ثَلَاثِ لَيَالٍ مِنْ مَكَّةَ.

۞ وَيَرْجِعُ سَبَبُ هَذِهِ الْغَزْوَةِ إِلَىٰ أَنَّ هُوَازِنَ لَمَّا عَلِمَتْ بِفَتْحِ مَكَّةَ، خَافُوا أَنْ يَغْزُوَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَعَزَمُوا عَلَىٰ قِتَالِهِ ﷺ، وَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ مَالِكَ بْنَ عَوْفٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَاجْتَمَعَتْ إِلَىٰ هُوَازِنَ قَبَائِلُ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ الَّذِينَ اسْتُرْضِعَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَعَهُمْ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ الَّذِي كَانُوا يَسْتَشِيرُونَهُ فِي قِتَالِهِمْ؛ لِخِبْرَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ فِي الْحُرُوبِ، وَكَانَ شَيْخًا مُسِنًّا بَلَغَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً (١٢٠).

۞ وَقَدْ بَلَغَتْ جُمُوعُهُمْ حِينَ خَرَجُوا لِلْقِتَالِ عِشْرِينَ أَلْفًا (٢٠٠٠٠)، وَبَلَغَتْ جُمُوعُ الْمُسْلِمِينَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا (١٢٠٠٠)، وَدَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِوَاءَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَلِوَاءَ الْخَزْرَجِ إِلَىٰ الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ ﷺ، وَلِوَاءَ الْأَوْسِ إِلَىٰ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ﷺ، وَدَفَعَ رَايَةً لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، وَرَايَةً أُخْرَىٰ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ

رضي الله عنه. وَلَبِسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دِرْعَيْنِ وَالْبَيْضَةَ وَالْمِغْفَرَ وَرَكِبَ بَغْلَتَهُ «دُلْدُلَ».

۞ قَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ، وَأَبْلُوا بَلَاءً حَسَنًا، حَتَّىٰ فَرَّ الْعَدُوُّ؛ لَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ اشْتَغَلُوا بِالْغَنَائِمِ -كَمَا كَانَ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ- وَعِنْدَ ذَلِكَ اسْتَقْبَلَهُمُ الْعَدُوُّ بِالسِّهَامِ، فَعَادُوا مُنْهَزِمِينَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَىٰ أَحَدٍ. وَهُنَا ثَبَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَفَرٌ قَلِيلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَالْعَبَّاسُ، وَابْنُهُ الْفَضْلُ، وَأَبُو سُفْيَانَ ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعُتْبَةُ وَمُعَتِّبٌ ابْنَا أَبِي لَهَبٍ. وَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ حِفْنَةً مِنَ التُّرَابِ وَقَالَ ﷺ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ». فَانْهَزَمُوا، وَبِسَبَبِ هَزِيمَتِهِمْ أَسْلَمَ أُنَاسٌ كَثِيرُونَ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ.

۞ وَكَانَتْ غَنَائِمُ الْعَدُوِّ الَّتِي غَنِمَهَا الْمُسْلِمُونَ، أَنْ أُسِرَ مِنَ الْعَدُوِّ خَلْقٌ كَثِيرٌ؛ مِنَ النِّسَاءِ نَحْوُ سِتَّةِ آلَافٍ (٦٠٠٠) وَغَنِمُوا مِنَ الْإِبِلِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا (٢٤٠٠٠)، وَمِنَ الْغَنَمِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا (٤٠٠٠٠)، وَمِنَ الْفِضَّةِ أَرْبَعَةَ آلَافِ أُوقِيَّةٍ (٤٠٠٠).

۞ وَأَسْلَمَ قَائِدُ وَفْدِ هُوَازِنَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ، حِينَ رَأَىٰ وَشَاهَدَ نَصْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَأَعْطَاهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَىٰ قَوْمِهِ، وَرَدَّ ﷺ عَلَىٰ هُوَازِنَ سَبَايَاهُمْ مِنَ النِّسَاءِ وَالذَّرَارِي حِينَ سَأَلُوهُ ﷺ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ تَسَامُحِهِ وَخُلُقِهِ الْكَرِيمِ ﷺ.

۞ أَمَّا الْغَنَائِمُ مِنَ الْبَعِيرِ وَالشَّاءِ وَالْفِضَّةِ، فَقَدْ بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَبَقِيَ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ، فَجَعَلَ ﷺ لِلرَّاجِلِ أَرْبَعَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَرْبَعِينَ شَاةً، وَلِلْفَارِسِ اثْنَيْ عَشَرَ مِنَ الْإِبِلِ، وَمِائَةً وَعِشْرِينَ شَاةً، أَيْ ثَلَاثَةَ أَضْعَافِ الرَّاجِلِ.

وَلَمْ يُعْطِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْأَنْصَارِ، فَوَجَدُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فِي صُدُورِهِمْ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَمَا يَكْفِيكُمْ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ أَنْتُمْ بِرَسُولِ اللهِ - ﷺ - إِلَىٰ رِحَالِكُمْ»**. فَبَكَىٰ الْقَوْمُ حَتَّىٰ اخْضَلَّتْ لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَسْمًا وَحَظًّا، فَدَعَا لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَائِلًا: **«اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»**.

۞ وَكَمَا شَهِدَتْ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ ثَبَاتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَرَمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ،

فَقَدْ شَهِدَتْ شَجَاعَتَهُ ﷺ حَيْثُ كَانَ ﷺ أَقْرَبَ النَّاسِ لِلْعَدُوِّ، وَقَدْ وَصَفَ الْبَرَاءُ رضي الله عنه شَجَاعَتَهُ ﷺ، فَقَالَ رضي الله عنه: **إِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا فِي الْحَرْبِ الَّذِي يُحَاذِيهِ أَوْ يَقْتَرِبُ مِنْهُ** ﷺ؛ لِقُرْبِهِ ﷺ مِنَ الْعَدُوِّ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: **كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ الْبَأْسُ وَاحْمَرَّتِ الْحُدُقُ، وَحَمِيَ الْوَطِيسُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ** ﷺ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَىٰ الْعَدُوِّ مِنْهُ ﷺ، وَلَقَدِ اتَّقَيْنَا بِهِ ﷺ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ، فَرَأَيْنَاهُ ﷺ مُقْبِلاً عَلَىٰ دَابَّتِهِ وَهُوَ ﷺ يَقُولُ:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ　　أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞۞۞۞۞

الْمَطْلَبُ الرَّابِعَ عَشَرَ

غَزْوَةُ الطَّائِفِ

۞ وَقَعَتْ غَزْوَةُ الطَّائِفِ فِي شَوَّالٍ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، عَقِبَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ.

۞ وَيَرْجِعُ سَبَبُ هَذِهِ الْغَزْوَةِ إِلَىٰ أَنَّهُ ﷺ عَلِمَ أَنَّ ثَقِيفَ تَتَهَيَّأُ لِقِتَالِهِ ﷺ، بَعْدَ انْهِزَامِهِمْ فِي حُنَيْنٍ، حَيْثُ أَنَّهُمْ بَنَوْا حِصْنًا لَهُمْ وَدَخَلُوا فِيهِ، وَرَمَوُا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ، فَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً (١٢) فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. فَحَاصَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِصْنَهُمْ لِمُدَّةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَفِي الْحِصَارِ نَادَىٰ مُنَادٍ أَنَّ مَنْ نَزَلَ مِنَ الْحِصْنِ فَهُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَنَزَلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ (١٤) فَأَعْتَقَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ. وَفِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ أُصِيبَتْ عَيْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ يَشْكُو إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ ﷺ لَهُ: «**إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللهَ فَرُدَّتْ عَلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ فَعَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ**» قَالَ: فَعَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ وَرَمَىٰ بِهَا أَبُو سُفْيَانَ مِنْ يَدِهِ. وَمِمَّا هُوَ جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ عَيْنَ أَبِي سُفْيَانَ الْأُخْرَىٰ أُصِيبَتْ وَقُلِعَتْ فِي مَوْقِعَةِ الْيَرْمُوكِ عِنْدَ مُقَاتَلَةِ الرُّومِ. (السِّيرَةُ الْحَلَبِيَّةُ)

۞ وَبَعْدَ فَرَاغِهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ الطَّائِفِ تَوَجَّهَ ﷺ إِلَىٰ الْجُعْرَانَةِ حَيْثُ أَحْرَمَ ﷺ مِنْهَا بِالْعُمْرَةِ فِي ذِي الْقِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَقَدْ قَضَىٰ ﷺ عُمْرَتَهُ بِمَكَّةَ لَيْلاً، ثُمَّ بَاتَ

ﷺ مِنْ لَيْلَتِهِ فِي الْجُعْرَانَةِ، وَأَصْبَحَ ﷺ بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ مُتَوَجِّهًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَاسْتَخْلَفَ عَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ رضي الله عنه عَلَىٰ مَكَّةَ، وَخَلَّفَ مَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه؛ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ وَيُفَقِّهَهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ.

۞ وَمِمَّا يُرْوَىٰ مِنْ مَآثِرِهِ ﷺ وَهُوَ بِالْجُعْرَانَةِ أَنَّ أُخْتَهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَاسْمُهَا الشَّيْمَاءُ رضي الله عنها، أَتَتْ إِلَيْهِ ﷺ تَسْتَشْفِعُ لِقَوْمِهَا أَنْ يَرُدَّ ﷺ عَلَيْهِمُ السَّبْيَ، وَكَانُوا سِتَّةَ آلَافٍ (٦٠٠٠)، فَاسْتَجَابَ النَّبِيُّ ﷺ لِشَفَاعَتِهَا وَرَدَّ عَلَىٰ قَوْمِهَا السَّبْيَ، وَخَيَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَنْ تُقِيمَ عِنْدَهُ مُحَبَّبَةً مُكَرَّمَةً، وَبَيْنَ أَنْ يُمَتِّعَهَا وَتَرْجِعَ إِلَىٰ قَوْمِهَا، فَاخْتَارَتِ الرُّجُوعَ إِلَىٰ قَوْمِهَا، فَأَعْطَاهَا ﷺ نَعَمًا وَشَاءً، وَغُلَامًا وَجَارِيَةً، وَصَنَعَ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ مَعَ مُرْضِعَتِهِ السَّيِّدَةِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ رضي الله عنها. وَهَذَا مِنْ كَمَالِ بِرِّهِ وَوَفَائِهِ ﷺ.

❁❁❁❁❁

الْمَطْلَبُ الْخَامِسَ عَشَرَ
غَزْوَةُ تَبُوكَ

۞ وَهِيَ آخِرُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ. وَقَدْ وَقَعَتْ فِي رَجَبٍ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَتُسَمَّىٰ بِـ(غَزْوَةِ الْعُسْرَةِ)؛ لِأَنَّهَا وَقَعَتْ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَقَحْطٍ مَرِيرٍ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا يَنْحَرُونَ الْبَعِيرَ، وَيَشْرَبُونَ مَا فِي كَرِشِهِ مِنَ الْمَاءِ.

۞ وَيَرْجِعُ السَّبَبُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ إِلَىٰ أَنَّ الرُّومَ جَمَعَتْ جُمُوعًا كَثِيرَةً؛ لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، فَأَعَدَّ النَّبِيُّ ﷺ الْعُدَّةَ لِغَزْوِهِمْ، وَبَعَثَ ﷺ إِلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ وَإِلَىٰ قَبَائِلِ الْعَرَبِ يَسْتَنْفِرُهُمْ لِلْقِتَالِ، وَأَمَرَ ﷺ النَّاسَ بِالصَّدَقَةِ وَحَثَّهُمْ عَلَىٰ النَّفَقَةِ، وَالْحُمْلَانِ وَهُوَ مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّوَابِّ، فَجَاءَ النَّاسُ بِصَدَقَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جَاءَ بِالصَّدَقَةِ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه؛ فَقَدْ جَاءَ بِمَالِهِ كُلِّهِ وَكَانَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (٤٠٠٠٠)، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ شَيْئًا؟**». قَالَ رضي الله عنه: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ - ﷺ -. وَجَاءَ عُمَرُ رضي الله عنه بِنِصْفِ مَالِهِ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ شَيْئًا؟**». قَالَ رضي الله عنه: نَعَمْ، أَبْقَيْتُ لَهُمْ نِصْفَ مَالِي.

وَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ بِمِائَتَيْ أُوقِيَّةٍ، وَتَصَدَّقَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ ﷺ بِسَبْعِينَ وَسَقًا مِنْ تَمْرٍ، وَجَهَّزَ عُثْمَانُ ﷺ ثُلُثَ الْجَيْشِ، فَلَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أَنْفَقَ عُثْمَانُ حَتَّىٰ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْ عُثْمَانَ، فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ، مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ، مَا عَلَىٰ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ - الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ)

۞ وَجَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي تَجْهِيزِ الْجَيْشِ؛ لِلْخُرُوجِ إِلَىٰ تَبُوكَ، وَأَتَىٰ لِلنَّبِيِّ ﷺ سَبْعَةُ رِجَالٍ وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ، وَبَكَوْا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، فَرَفَعَ اللهُ تَعَالَىٰ الْحَرَجَ عَنْهُمْ، مِثْلُهُمْ فِي ذَلِكَ كَمِثْلِ الضُّعَفَاءِ وَالْمَرْضَىٰ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾(1).

وَقَدْ بَشَّرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُمْ شُرَكَاءُ فِي الْأَجْرِ مَعَ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ خَلَّفْتُمْ بِالْمَدِينَةِ رِجَالاً، مَا قَطَعْتُمْ وَادِياً، وَلَا سَلَكْتُمْ طَرِيقاً إِلَّا شَارَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ؛ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**».

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ مِثْلَهُ)

۞ وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيَّ، وَتَخَلَّفَ عَنِ الْمَسِيرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمُنَافِقُونَ وَعَلَىٰ رَأْسِهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ ابْنِ سَلُولَ.

۞ كَمَا اسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ أَهْلِهِ سَيِّدَنَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا خَلَّفَهُ إِلَّا اسْتِثْقَالاً لَهُ وَتَخَفُّفاً مِنْهُ. فَلَمَّا سَمِعَ عَلِيٌّ ﷺ ذَلِكَ أَخَذَ سِلَاحَهُ وَخَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَهُ الْمُنَافِقُونَ، فَقَالَ ﷺ: «**كَذَبُوا، وَلَكِنِّي خَلَّفْتُكَ لِمَا تَرَكْتُ وَرَائِي، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ، أَفَلَا تَرْضَىٰ يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ**

(1) التوبة الآيتان (٩١-٩٢).

مِنْ مُوسَىٰ؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي». فَرَجَعَ عَلِيٌّ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَمَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ سَفَرِهِ.

۞ وَمِنَ الْمَشَاهِدِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ حُبِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِيثَارِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْقَلِيلِ، مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي خَيْثَمَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَرَآهُمَا يَوْمًا فِي عَرِيشَيْنِ لَهُ فِي بُسْتَانِهِ، وَقَدْ رَشَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا، وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً، وَهَيَّأَتْ لَهُ طَعَامًا، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَيَّامٍ إِلَىٰ تَبُوكَ، فَلَمَّا نَظَرَ أَبُو خَيْثَمَةَ إِلَىٰ مَا صَنَعَتَا، قَالَ: رَسُولُ اللهِ -ﷺ- فِي الضَّحِّ (أَيْ حَرِّ الشَّمْسِ) وَالْحَرِّ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلٍّ بَارِدٍ،وَطَعَامٍ مُهَيَّأٍ، وَامْرَأَةٍ حَسْنَاءَ، فِي مَالِهِ مُقِيمٌ، مَا هَذَا بِالْإِنْصَافِ. ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَا أَدْخُلَ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا، حَتَّىٰ أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ أَمَرَ امْرَأَتَيْهِ أَنْ يُهَيِّئَا لَهُ الزَّادَ، فَفَعَلَا، ثُمَّ قَدَّمَ بَعِيرَهُ فَارْتَحَلَهُ وَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ فِي تَبُوكَ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ خَبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ.

۞ وَفِي أَثْنَاءِ سَيْرِهِ ﷺ إِلَىٰ تَبُوكَ، ضَلَّتْ نَاقَتُهُ، فَقَالَ أَحَدُ الْمُنَافِقِينَ وَهُوَ زَيْدُ بْنُ الصِّلِّيتِ الْقَيْنُقَاعِيُّ كَلِمَةً خَبِيثَةً، قَالَ: أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ وَكَانَ زَيْدٌ قَدْ أَقْبَلَ مَعَ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ عِمَارَةَ بْنِ حَزْمٍ رضي الله عنه فِي رَحْلِهِ، وَكَانَ عِمَارَةُ مِمَّنْ بَايَعَ فِي الْعَقَبَةِ، وَشَهِدَ بَدْرًا، وَقَالَ زَيْدٌ مَقَالَتَهُ وَعِمَارَةُ رضي الله عنه عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَمِعَ عِمَارَةُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ رَجُلًا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ وَإِنِّي وَاللهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللهُ، وَقَدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَأْتُونِي بِهَا**». فَذَهَبُوا فَجَاءُوا بِهَا، وَرَجَعَ عِمَارَةُ إِلَىٰ رَحْلِهِ، فَحَدَّثَ بِمَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ الصِّلِّيتِ الَّذِي تَرَكْتَهُ فِي رَحْلِكَ وَذَهَبْتَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ الَّذِي يَقُولُ: أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ عِنْدَ ذَلِكَ أَقْبَلَ عِمَارَةُ عَلَىٰ زَيْدٍ يَضْرِبُهُ فِي عُنُقِهِ حِينَ اسْتَبَانَ لَهُ نِفَاقُهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ رَحْلِهِ، ثُمَّ تَابَعَ سَيْرَهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

۞ وَفِي مَسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ تَبُوكَ أَبْطَأَ بَعِيرُ أَبِي ذَرٍّ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ أَبُو ذَرٍّ مَتَاعَهُ وَحَمَلَهُ

عَلَىٰ ظَهْرِهِ، وَتَخَلَّفَ فِي سَيْرِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فخَرَجَ يَتَّبِعُ أَثَرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَاشِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَىٰ الطَّرِيقِ وَحْدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُنْ أَبَا ذَرٍّ**». فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ وَاللهِ أَبُو ذَرٍّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ**». (السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

۞ ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي مَسِيرَتِهِ مَعَ جَيْشِهِ إِلَىٰ تَبُوكَ، مَرُّوا **بِالْحِجْرِ**، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي أَهْلَكَ اللهُ فِيهِ قَوْمَ صَالِحٍ حِينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[1].

۞ فَلَمَّا مَرُّوا بِالْحِجْرِ قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُوا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ؛ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَنَهَاهُمْ ﷺ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْ مِيَاهِهَا، وَلَا يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ وَأَنْ يَعْلِفُوا الْعَجِينَ الَّذِي عَجَنُوهُ لِلْإِبِلِ، وَلَا يَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا. (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ)

۞ وَلَمَّا وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ تَبُوكَ، صَالَحَ صَاحِبُ أَيْلَةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ، وَأَتَاهُ أَهْلُ جَرْبَاءَ وَأَذْرُعَ وَأَعْطَوْهُ ﷺ الْجِزْيَةَ، وَكَتَبَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابَ أَمْنٍ وَأَمَانٍ، حَيْثُ ذَكَرَ ﷺ لَهُمْ فِيهِ أَنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللهِ وَأَمَانِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ. ثُمَّ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَىٰ «أُكَيْدِرِ دَوْمَةَ» وَكَانَ مَلِكًا عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ هِرَقْلَ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ**». فَخَرَجَ خَالِدٌ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِ أُكَيْدِرِ، رَأَىٰ الْبَقَرَ تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ، وَخَرَجَ أُكَيْدِرُ لِصَيْدِهَا، فَتَلَقَّتْهُمْ خَيْلُ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ أُكَيْدِرُ مَلِكًا نَصْرَانِيًّا، وَكَانَ عَلَيْهِ قَبَاءٌ مِنْ دِيبَاجٍ مُخَوَّصٍ بِالذَّهَبِ، فَاسْتَلَبَهُ خَالِدٌ وَبَعَثَ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ قُدُومِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَيْهِ ﷺ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَلْمِسُونَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ مَلْمَسِهِ، فَقَالَ ﷺ:

---

(١) هود الآيات (٦٥-٦٧).

«**أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا، فوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا**». وَلَمَّا قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِأُكَيْدِرِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَقَنَ ﷺ لَهُ دَمَهُ، فَصَالَحَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ الْجِزْيَةِ، ثُمَّ خَلَّىٰ ﷺ سَبِيلَهُ فَرَجَعَ أَكَيْدِرُ إِلَىٰ قَرْيَتِهِ. (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ - السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

۞ وَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِتَبُوكَ عِشْرِينَ يَوْمًا. (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ وَفِي طَرِيقِهِ ﷺ وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ، جَاءَهُ ﷺ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَسَأَلُوهُ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ مَسْجِدَهُمْ بِقُبَاءَ؛ لِيُصَلِّيَ فِيهِ، وَهُوَ (مَسْجِدُ ضِرَارٍ) بَنَوْهُ الْمُنَافِقُونَ وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، وَادَّعُوا أَنَّهُمْ بَنُوهُ لِذِي الْعِلَّةِ وَالْحَاجَةِ، وَاللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِذِي أَوَانٍ، أَتَاهُ خَبَرُ السَّمَاءِ وَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾(1).

فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثَةً مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم وَقَالَ ﷺ لَهُمْ: «**انْطَلِقُوا إِلَىٰ هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ، فَاهْدِمُوهُ وَاحْرِقُوهُ**». فَخَرَجُوا مُسْرِعِينَ وَهَدَمُوهُ وَأَحْرَقُوهُ، وَاتَّخَذُوا مَكَانَهُ مَوْضِعًا لِلْقِمَامَةِ.

۞ وَأَثْنَاءَ عَوْدَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ أَرَادَ نَفَرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ أَنْ يَفْتِكُوا بالنَّبِيِّ ﷺ فَأَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ عَمَّارٌ آخِذًا بِزِمَامِ نَاقَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ يَسُوقُهَا، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ بِالْمَسِيرِ مِنَ الْوَادِي، وَصَعَدَ هُوَ ﷺ بِالْعَقَبَةِ حَيْثُ سَلَكَهَا هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ، فَبَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَسِيرُ وَمَعَهُ عَمَّارٌ وَحُذَيْفَةُ إِذْ سَمِعُوا بِالْقَوْمِ الْمُنَافِقِينَ قَدْ غَشَوْهُمْ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبْصَرَهُمْ حُذَيْفَةُ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ وَمَعَهُ مِحْجَنٌ (عَصَا مُعْوَجَّةُ الرَّأْسِ) فَاسْتَقْبَلَ وُجُوهَ رَوَاحِلِهِمْ بِمِحْجَنِهِ، فَلَمَّا رَأَوْا حُذَيْفَةَ ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَىٰ مَا أَضْمَرُوهُ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، فَأَسْرَعُوا حَتَّىٰ خَالَطُوا النَّاسَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ: «**هَلْ عَرَفْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ؟**». قَالَ رضي الله عنه: مَا عَرَفْتُ إِلَّا رَوَاحِلَهُمْ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حِينَ غَشِيتُهُمْ. ثُمَّ قَالَ ﷺ لِعَمَّارٍ

---

(١) التوبة الآيتان (١٠٧-١٠٨).

وَحُذَيْفَةَ: «عَلِمْتُمَا مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ هَؤُلَاءِ الرَّكْبِ؟». قَالَا: لَا، فَأَخْبَرَهُمَا ﷺ بِمَا كَانُوا تَمَالَئُوا عَلَيْهِ وَأَضْمَرُوهُ مِنَ السَّوءِ، وَسَمَّاهُمْ ﷺ بِأَسْمَائِهِمْ لِحُذَيْفَةَ وَعَمَّارٍ، وَاسْتَكْتَمَهُمَا ذَلِكَ، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا تَأْمُرُ بِقَتْلِهِمْ؟ فَقَالَ ﷺ: «**أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**». (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ)

الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِّفُوا:

۞ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةِ، دَخَلَ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، فَأَتَاهُ **كَعْبُ بْنُ الرَّبِيعِ**، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدِ اشْتَرَيْتَ ظَهْرَكَ؟**». فَقَالَ كَعْبٌ: وَاللهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**». وَكَانَ مِمَّنْ تَخَلَّفَ كَذَلِكَ رَجُلَانِ صَالِحَانِ هما: **مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ**، وَكَانَا مِمَّنْ شَهِدُوا بَدْرًا، وَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَا قَالَ لِكَعْبٍ، وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَهُ عَنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَاجْتَنَبَهُمُ النَّاسِ، وَمَضَىٰ عَلَىٰ اجْتِنَابِهِمْ خَمْسُونَ لَيْلَةً، حَتَّىٰ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْرَبُوا نِسَاءَهُمْ، وَأَذِنَ ﷺ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؛ وَلَكِنْ لَا يَقْرَبُهَا، وَظَلَّ الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَهُمْ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾(1).

۞ **فَلَمَّا نَزَلَتْ قَالَ كَعْبٌ**: فَانْطَلَقْتُ أَؤُمُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَيَلْقَانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونَنِي بِالتَّوْبَةِ، ويَقُولُونَ: «لِيَهْنَكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ». حَتَّىٰ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ حَوْلَهُ النَّاسِ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ حَتَّىٰ صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرِهِ، (فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ) قَالَ كَعْبٌ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ وَوَجْهُهُ يَبْرُقُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ**

(١) التوبة الآية (١١٨).

أُمُّكَ». قَالَ ﷺ : قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ». قَالَ كَعْبٌ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ مِنْ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: فَوَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلَكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوهُ حِينَ كَذَبُوهُ. فَإِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوهُ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٩٥ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1]. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

دُرُوسٌ وَعِبَرٌ:

وَبِعَوْدَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، نَرَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْغَزْوَةَ مُنْذُ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا وَحَتَّىٰ عَوْدَتِهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فِيهَا آيَاتٌ وَعِبَرٌ: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2].

فَفِيهَا الْمُسَارَعَةُ لِلْبَذْلِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وتَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ وَالصِّعَابِ مِنْ أَجْلِ مَرْضَاةِ اللهِ، فَقَدْ خَرَجُوا غُزَاةً مُجَاهِدِينَ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُونَ دُونَ مُبَالَاةٍ بِالْحَرِّ الشَّدِيدِ وَالْعَطَشِ الشَّدِيدِ الَّذِي اضْطَرُّوا مَعَهُ لِذَبْحِ الْإِبِلِ حَتَّىٰ يَشْرَبُوا مَا فِي بُطُونِهَا مِنَ الْمَاءِ، وسُمِّيَتْ بغَزْوَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، إِذْ كَانَ يَصْحَبُهَا مَعَ الْحَرِّ الشَّدِيدِ وَالْعَطَشِ الشَّدِيدِ الْقَحْطُ الشَّدِيدُ، وَلَكِنْ قُوَّةُ الْإِيمَانِ الَّتِي تَمَكَّنَتْ مِنْ قُلُوبِهِمْ، نَزَلَتْ مِنْهَا مُنْزَلاً مُبَارَكًا يَجْعَلُ الصَّعْبَ الْعَسِيرَ سَهْلاً يَسِيراً بِإِذْنِ اللهِ.

أَمَّا غَيرُ الْقَادِرِ عَلَىٰ الْجِهَادِ، فَقَدْ جَاءَ بَاكِيًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُهُ أَنْ يَحْمِلَهُ مَعَهُ لِلْجِهَادِ، إِنَّهُمْ يَبْكُونَ عَلَىٰ مَا يَفُوتُهُمْ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا يَفُوتُهُمْ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلشُّهَدَاءِ وَلِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَتَأَمَّلْ فِي مَوْقِفِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ حِينَ اسْتَخْلَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَهْلِهِ

---

(١) التوبة الآيتان (٩٥، ٩٦). (٢) ق الآية (٣٧).

فِي الْمَدِينَةِ، وَسَمِعَ مَا سَمِعَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَفَرَّ بِنَفْسِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُهُ الْخُرُوجَ لِلْجِهَادِ، فَيَرُدُّهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَيُبَشِّرُهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ؛ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**».

۞ وَتَأَمَّلْ فِي عَطْفِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَحْمَتِهِ بِأَصْحَابِهِ حِينَ مَرُّوا بِالْحِجْرِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ قَوْمُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَهُمْ ﷺ أَنْ يَدْخُلُوهَا بَاكِينَ؛ حَتَّىٰ لَا يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ.

۞ بَلْ إِنَّ رَحْمَتَهُ ﷺ اِمْتَدَّتْ إِلَىٰ الْمُنَافِقِينَ حِينَ أَرَادُوا أَنْ يَفْتِكُوا بِهِ ﷺ، وَيَسْتَأْذِنُهُ عَمَّارٌ وَحُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَتْلِهِمْ فَيَأْبَىٰ أَنْ يَقْتُلُوهُمْ وَهُمُ الَّذِينَ أَضْمَرُوا السُّوءَ وَيَقُولُ ﷺ: «**أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**». وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَصْحَابٍ وَإِنَّمَا هُمْ مُنَافِقُونَ، فَتَأَمَّلْ فِي سِتْرِهِ ﷺ عَلَيْهِمْ وَصَفْحِهِ وَعَفْوِهِ ﷺ عَنْهُمْ، وَفِي هَذَا الْمَوْقِفِ تَرْجَمَةٌ لِمَعَانِي كَثِيرَةٍ انْطَوَتْ فِي ثَنَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ حَبِيبِهِ ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(١).

۞ ثُمَّ تَأَمَّلْ فِي تَأْدِيبِهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ الَّذِينَ لَا عُذْرَ لَهُمْ فِي تَخَلُّفِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ نَبِيِّهِمْ ﷺ، لَقَدْ أَرَادَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَسْتَشْعِرُوا عَظَمَةَ الذَّنْبِ، وَأَنَّ مَا فَعَلُوهُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ عِنْدَ اللهِ، فَأَمَرَ ﷺ بِهَجْرِهِمْ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ، حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِي أَمْرِهِمْ.

۞ وَظَلُّوا عَلَىٰ ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، يَنْتَظِرُونَ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ، بَعْدَ أَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَهُ عَلَيْهِمْ.

۞ وَمَا نَجَا هَؤُلَاءِ إِلَّا بِفَضْلِ صِدْقِهِمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي هَذَا بَيَانٌ لِمَنْزِلَةِ الصِّدْقِ، الَّذِي تَتَعَلَّمُ مِنْهُ الْأُمَّةُ كُلُّهَا أَنَّهُ سَبِيلُ النَّجَاةِ وَالْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ، فَيَعْتَصِمُونَ بِهِ كَمَا اعْتَصَمَ بِهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ، وَعِنْدَهَا يَمُنُّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِتَوْبَتِهِ، وَيَغْشَاهُمْ بِرَحْمَتِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢).

❁❁❁❁❁

(١) القلم الآية (٤).
(٢) التوبة الآية (١١٨).

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

غَزَوَاتٌ أُخْرَى وَسَرَايَا وَبُعُوثٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ فِي خِلَالِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنْ غَزَوَاتٍ، فَقَدْ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ الْغَزْوَةِ وَالْغَزْوَةِ، غَزَوَاتٌ أُخْرَىٰ وَسَرَايَا وَبُعُوثٌ، وَأَكْثَرُهَا لَمْ يَحْدُثْ فِيهَا قِتَالٌ، وَالْعَدَدُ الَّذِي كَانَ يَخْرُجُ فِيهَا قَلِيلٌ، وَنَتَنَاوَلُ هَذِهِ الْغَزَوَاتِ الْأُخْرَىٰ وَالسَّرَايَا وَالْبُعُوثَ فِي مَطَالِبَ ثَلَاثَةٍ، وَذَلِكَ عَلَىٰ التَّفْصِيلِ الْآتِي:

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: الْغَزَوَاتُ الْأُخْرَىٰ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: سَرَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: بُعُوثُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

❀❀❀❀❀

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ

الْغَزَوَاتُ الأُخْرَى لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

وَهَذِهِ الْغَزَوَاتُ الأُخْرَى هِيَ:

١- غَزْوَةُ الأَبْوَاءِ

۞ وَهِيَ أَوَّلُ غَزْوَةٍ خَرَجَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَفْسِهِ، وَتُسَمَّىٰ كَذَلِكَ بِغَزْوَةِ (وَدَّانَ)؛ لِأَنَّ (الْأَبْوَاءَ) وَ(وَدَّانَ) كِلَيْهِمَا قَرْيَتَانِ مُتَجَاوِرَتَانِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، وكَانَتْ عَلَىٰ رَأْسِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً مَضَتْ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ خُرُوجُهُ ﷺ فِي سِتِّينَ رَاكِباً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، يُرِيدُ ﷺ عِيراً لِقُرَيْشٍ، وَقَدْ تَمَّتْ فِيهَا الْمُصَالَحَةُ بَيْنَهُ ﷺ وَبَيْنَ (بَنِي ضَمْرَةَ) عَلَىٰ أَنَّهُمْ لَا يَغْزُونَهُ ﷺ، وَلَا يُكَثِّرُونَ عَلَيْهِ ﷺ جَمْعاً، وَأَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ عَلَىٰ مَنْ رَامَهُمْ بِسُوءٍ، وَأَنَّهُ ﷺ إِذَا دَعَاهُمْ لِنَصْرٍ أَجَابُوهُ.

٢- غَزْوَةُ بُوَاطٍ

۞ كَانَتْ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ عَلَىٰ رَأْسِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْراً مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ حَامِلَ لِوَائِهَا

سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﵁، وَقَدْ خَرَجَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَرِضُ عِيراً لِقُرَيْشٍ، غَيْرَ أَنَّهَا فَاتَتْهُ ﷺ، فَرَجَعَ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ دُونَ حَرْبٍ، وَكَانَ فِي مِائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.

٣- غَـزْوَةُ بَـدْرٍ الْأُولَى

۞ وَتُسَمَّىٰ كَذَلِكَ غَزْوَةَ (**سَفَوَان**)؛ نِسْبَةً إِلَىٰ وَادِي سَفَوَانَ بِالْقُرْبِ مِنْ بَدْرٍ، وكَانَتْ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ عَلَىٰ رَأْسِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرَاً لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ حَامِلَ لِوَائِهَا سَيِّدُنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَيَرْجِعُ **سَبَبُهَا** إِلَىٰ أَنَّ (كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ الْفِهْرِيَّ) أَغَارَ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِطَلَبِهِ فِي سَفَوَانَ، فَلَمْ يَلْحَقْ ﷺ بِهِ، وَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

٤- غَـزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ

۞ وَكَانَتْ عَلَىٰ رَأْسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ حَامِلَ لِوَائِهَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﵁، حَيْثُ خَرَجَ ﷺ فِي مِائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَمَعَهُمْ ثَلَاثُونَ بَعِيرَاً؛ لِيَعْتَرِضُوا عِيراً لِقُرَيْشٍ خَرَجَتْ فِي طَرِيقِهَا إِلَىٰ الشَّامِ، فَلَمَّا بَلَغَ ﷺ الْعُشَيْرَةَ، وَجَدَهَا ﷺ قَدْ مَضَتْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ، فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَلْقَ ﷺ حَرْبـاً.

٥- غَـزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ

۞ كَانَتْ بَعْدَ أَنْ رَجعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَىٰ بِسَبْعِ لَيَالٍ يُرِيدُ ﷺ بَنِي سُلَيْمٍ، وَكَانَ حَامِلَ لِوَائِهِ ﷺ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وفِيهَا أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَلَمْ يَلْقَ ﷺ حَرْبـاً، وَقَدْ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا خَمْسَمِائَةَ (٥٠٠) بَعِيرٍ؛ قَسَّمَهَا ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

٦- غَـزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَـاعٍ

۞ وكَانَتْ فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَقَيْنُقَاعُ اِسْمٌ لِشِعْبٍ لِلْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، وكَانَتْ صِناعَتُهُمُ الصِّيَاغَةَ، وَلَهُمْ بِالْمَدِينَةِ سُوقٌ يُسَمَّىٰ بِاسْمِهِمْ «سُوقَ قَيْنُقَاعٍ».

۞ وَقَدْ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَحَذَّرَهُمْ أَنْ يُصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشَـاً فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الْكُبْرَىٰ، وقَالَ ﷺ لَهُمْ: «**إِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ وَفِي**

عَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ».

۞ فَأَبَوْا وَأَغْلَظُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَوَابِ وَقَالُوا: لَئِنْ حَارَبْتَنَا، لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّ قُرَيْشًا الَّتِي لَقِيتَهَا فَهُزِمَتْ فِي بَدْرٍ لَا عِلْمَ لَهَا بِالْحَرْبِ.

۞ وَادَّعَوْا لِأَنْفُسِهِمُ الشَّجَاعَةَ، فَحَاصَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، حَتَّىٰ جَهَدُوا وَكَانَ عَدَدُهُمْ أَرْبَعَمِائَةً (٤٠٠)، ثُمَّ أَخْرَجَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجُوا إِلَىٰ بَلْدَةٍ بِالشَّامِ يُقَالُ لَهَا «أَذْرِعَات»، وغَنَّمَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ وَآلَةِ صِيَاغَتِهِمْ، فَكَانَتْ أَرْبَعَةُ أَخْمَاسِ الْغَنَائِمِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْخُمْسُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

٧- غَزْوَةُ السَّوِيقِ

۞ وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ **سَبَبُهَا** أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ احْتَمَلَ مَعَهُ مِائَتَيْ رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَخَرَجُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَأَحْرَقُوا أَصْوَارَهَا (وَالأَصْوَارُ هِيَ النَّخْلُ الصَّغِيرُ) فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مِائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ (٢٠٠)، فَوَجَدَ أَبَا سُفْيَانَ قَدْ قَفَلَ رَاجِعًا إِلَىٰ مَكَّةَ، تَارِكًا وَرَاءَهُ أَزْوَاداً مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ، كَانَ أَهَمُّهَا السَّوِيقَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ «غَزْوَةَ السَّوِيقِ»، وَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ دُونَ قِتَالٍ.

٨- غَزْوَةُ ذِي أَمَرٍّ

۞ وَيُقَالُ لَهَا «**غَزْوَةُ غَطَفَانَ**»؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدَ أَنْ عَادَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مِنْ غَزْوَةِ السَّوِيقِ، تَوَجَّهَ ﷺ إِلَىٰ نَجْدٍ يُرِيدُ ﷺ قَبِيلَةَ غَطْفَانَ، وَنَزَلَ ﷺ مَعَ أَرْبَعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ بِذِي أَمَرٍّ، فَلَمَّا سَمِعَتْ غَطْفَانُ بِمَجِيءِ النَّبِيِّ ﷺ، هَرَبُوا فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ، وَلَمْ يَلْقَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُمْ كيداً، وَكَانَ زَعِيمُ غَطْفَانَ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ «دُعْثُورٌ»، فَأَسْلَمَ وَدَعَا قَوْمَهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَاهْتَدَىٰ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، كَمَا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً مِنْهُمْ أَصَابَهُ الْمُسْلِمُونَ يُقَالُ لَهُ «جَبَّارٌ الثَّعْلَبِيُّ»، فَأَسْلَمَ وَضَمَّهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ بِلَالٍ؛ يُعَلِّمُهُ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ.

٩- غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ

۞ وَقَعَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ صَبِيحَةَ يَوْمِ أُحُدٍ، وَسُمِّيَتْ بِهَذَا الِاسْمِ؛ نِسْبَةً إِلَىٰ الْمَكَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ يَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ ثَمَانِيَةَ أَمْيَالٍ.

۞ وَيَرْجِعُ **سَبَبُهَا** إِلَىٰ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ فِي يَوْمِ أُحُدٍ، وَاسْتَنْفَرَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ حَضَرُوا أُحُدًا إِلَىٰ الْقِتَالِ قائلاً ﷺ لَهُمْ: «**إِنَّ قُرَيْشاً لَنْ يَنَالُوا مِنَّا مِثْلَهَا حَتَّىٰ يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْنَا مَكَّةَ**».

۞ وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَلْقَىٰ اللهُ الرُّعْبَ فِي قَلْبِ أَبِي سُفْيَانَ، فَفَرَّ رَاجِعًا إِلَىٰ مَكَّةَ، وَظَفَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي عَزَّةَ الشَّاعِرِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَيْرِ فِدَاءٍ فِي يَوْمِ بَدْرٍ؛ لِأَجْلِ بَنَاتِهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ عَهْداً أَلاَّ يُقَاتِلَهُ، فَعَادَ وَنَقَضَ عَهْدَهُ وَقَاتَلَ النَّبِيَّ ﷺ فِي يَوْمِ أُحُدٍ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِضَرْبِ عُنُقِهِ وَقَالَ ﷺ: «**لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ**».

١٠- غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ

۞ وَسُمِّيَتْ كَذَلِكَ؛ نِسْبَةً إِلَىٰ جَبَلٍ كَانَ فِيهِ سَوَادٌ وَحُمْرَةٌ وَبَيَاضٌ، وَلِأَنَّ أَقْدَامَهُمْ نَقِبَتْ مِنَ الْمَشْيِ، فَلَفُّوا عَلَيْهَا الْخِرَقَ، وَقَدْ وَقَعَتْ فِي شَهْرِ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ، وَفِيهَا غَزَا النَّبِيُّ ﷺ نَجْداً يُرِيدُ غَطَفَانَ نَخْلٍ، حَيْثُ بُلِّغَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُمْ جَمَعُوا لَهُ جُمُوعًا، فَخَرَجَ ﷺ فِي أَرْبَعْمِائَةٍ (٤٠٠) مِنْ أَصْحَابِهِ، فَخَافَتْ غَطَفَانُ وَتَفَرَّقُوا فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ، وَعَادَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ.

١١- غَزْوَةُ بَدْرٍ الْأَخِيرَةِ

۞ وفِيهَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ وَعَشَرَةِ أَفْرَاسٍ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِلْبَعْثَةِ إِلَىٰ بَدْرٍ، وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي أَلْفَيْنِ وَمَعَهُ خَمْسُونَ فَرَسًا، وَنَزَلَ أَبُو سُفْيَانَ بِمَمَرِّ الظَّهْرَانِ، وَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِبَدْرٍ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ، فَوَجَدَ ﷺ أَبَا سُفْيَانَ قَدْ رَجَعَ بِجَيْشِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَلَمْ يَحْدُثْ فِيهَا قِتَالٌ.

١٢- غَزْوَةُ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ

۞ وَتَقَعُ دَوْمَةُ الْجَنْدَلِ بِالْقُرْبِ مِنْ تَبُوكَ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ مَسِيرَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ،

وَوَقَعَتْ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ.

وَيَرْجِعُ **سَبَبُهَا** إِلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلِمَ أَنَّ بِهَا جَمْعًا يَظْلِمُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَقْتَرِبُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ ﷺ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَمَعَهُ دَلِيلٌ يُقَالُ لَهُ (**مَذْكُورٌ**)، فَأَصَابَ أَهْلَ دَوْمَةِ الرُّعْبُ وَتَفَرَّقُوا، فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَلْقَ كَيْداً وَأَقَامَ ﷺ بِالْمَدِينَةِ بَقِيَّةَ سَنَتِهِ.

١٣- غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانَ

وَقَعَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، **وَسَبَبُهَا** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَزِنَ عَلَىٰ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ، وعَلَىٰ أَصْحَابِهِ الْقُرَّاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ، فَنَزَلَ ﷺ عَلَىٰ بَنِي لِحْيَانَ، فَعَلِمَ بِهِ الْقَوْمُ فَتَمَنَّعُوا بِرُءُوسِ الْجِبَالِ، وَكَانَ مَعَهُ ﷺ مِائَتَيْ رَجُلٍ (٢٠٠) وَعِشْرِينَ فَرَسًا (٢٠)، ثُمَّ رَجَعَ ﷺ وَلَمْ يَلْقَ كَيْداً.

وَلَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وبَعْدَ لَيَالٍ قَلِيلَةٍ مِنْ عَوْدَتِهِ ﷺ، أَغَارَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ، وَمَعَهُ خَيْلٌ لِغَطْفَانَ عَلَىٰ إِبِلِ الرَّسُولِ ﷺ، وَكَانَ فِيهَا ذَرُّ بْنُ أَبِي ذَرٍّ وَامْرَأَتُهُ وَاسْمُهَا لَيْلَىٰ، فَقَتَلُوا ذَرًّا وَأَسَرُوا امْرَأَتَهُ؛ لَكِنَّهَا انْطَلَقَتْ وَرَكِبَتْ نَاقَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ لَيْلاً عَلَىٰ حِينَ غَفْلَتِهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَذَرْتُ للهِ تَعَالَىٰ أَنْ أَنْحَرَهَا إِنْ نَجَّانِي اللهُ تَعَالَىٰ. فَقَالَ ﷺ: «**بِئْسَمَا جَزَيْتِيهَا؛ أَنْ حَمَلَكِ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَنَجَّاكِ أَنْ تَنْحَرِيهَا، إِنَّهُ لَا نَذْرَ لِأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، إِنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ إِبِلِي، ارْجِعِي إِلَىٰ أَهْلِكِ عَلَىٰ بَرَكَةِ اللَّهِ**».

١٤- غَزْوَةُ ذِي قَرَدٍ

وَقَعَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ. وَيَرْجِعُ **سَبَبُهَا** إِلَىٰ إِغَارَةِ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيِّ عَلَىٰ لِقَاحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَهَزَمُوا الْعَدُوَّ وَقَتَلُوهُمْ وَاسْتَنْقَذُوا اللِّقَاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ.

وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ لَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِوَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ هُوَ (مُحْرِزُ بْنُ نَضْلَةَ)، وَكَانَتْ مُدَّةُ هَذِهِ الْغَزْوَةِ خَمْسَةَ أَيَّامٍ، وَصَلَّىٰ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةَ الْخَوْفِ.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي

سَرَايَـا النَّبِـيِّ ﷺ

وَهَذِهِ السَّرَايَا هِيَ:

١- سَرِيَّـةُ سَيِّدِنَا حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه

۞ وَهُوَ أَوَّلُ بَعْثٍ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ رَأْسِ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ رضي الله عنه فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ؛ لِيَعْتَرِضُوا عِيراً لِقُرَيْشٍ جَاءَتْ مِنَ الشَّامِ، وَلَمْ يَحْدُثْ فِيهَا قِتَالٌ.

٢- سَرِيَّـةُ سَيِّدِنَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه

۞ وَكَانَتْ عَلَىٰ رَأْسِ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَتْ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وفِيهَا الْتَقَوْا بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي مِائَتَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَلَمْ يصْطَفُّوا لِقِتَالٍ، وَإِنَّمَا كَانَتْ بَيْنَهُمْ مُنَاوَشَةٌ، وَفِيهَا رَمَىٰ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ بِسَهْمٍ، فَكَانَ أَوَّلَ سَهْمٍ رُمِيَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ انْصَرَفَ الْفَرِيقَانِ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ.

٣- سَرِيَّـةُ سَيِّدِنَا سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه

۞ كَانَتْ عَلَىٰ رَأْسِ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، فِي عِشْرِينَ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ؛ لِيَعْتَرِضُوا عِيراً لِقُرَيْشٍ، وَكَانُوا يَكْمُنُونَ بِالنَّهَارِ وَيَسِيرُونَ بِاللَّيْلِ، فَوَجَدُوا الْعِيرَ قَدْ مَرَّتْ، فَرَجَعُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

٤- سَرِيَّـةُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ رضي الله عنه

۞ وَكَانَتْ فِي رَجَبٍ عَلَىٰ رَأْسِ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْراً مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ حَامِلَ لِوَائِهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ رضي الله عنه، وكَانَتْ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ.

۞ وفِيهَا أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَنْزِلَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ (نَخْلَةُ) بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَلَمَّا نَزَلَ رضي الله عنه بِنَخْلَةَ، مَرَّتْ عَلَيْهِمْ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ، وفِيهَا رَجَعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ بِالْعِيرِ وَالْأَسْرَىٰ، وَكَانَ فِي الْأَسْرَىٰ الْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ الَّذِي دَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ، وفِيهَا قُتِلَ عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ وَهُوَ أَوَّلُ قَتِيلٍ قَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ ﷺ لَهُمْ: «مَا

أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ». وَفِيهِمْ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]، وَكَانَ الْأَسْرَىٰ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ اثْنَيْنِ فَدَاهُمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَبَضَ الْعِيرَ، وَفِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ سُمِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ «أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ».

٥- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه

۞ وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ. **وَسَبَبُهَا** أَنَّ قُرَيْشًا بَعْدَ مَوْقِعَةِ بَدْرٍ، خَافُوا مِنْ طَرِيقِهِمْ الَّذِي يَسْلُكُونَهُ إِلَىٰ الشَّامِ؛ لِقُرْبِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَسَلَكُوا فِي تِجَارَتِهِمْ طَرِيقَ الْعِرَاقِ، فَخَرَجَ لَهُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَأَدْرَكَهُمْ عِنْدَ مَاءٍ لِنَجْدٍ يُقَالُ لَهُ (الْقَرَدُ) وَكَانَ مَعَ زَيْدٍ مِائَةُ رَاكِبٍ، فَأَصَابَ الْعِيرَ وَمَا فِيهَا، وَهَرَبَ الرِّجَالُ، وَعَادَ رضي الله عنه بِالْعِيرِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَمَّسَهَا ﷺ، فَكَانَتْ قِيمَةُ الْخَمْسِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (٢٠٠٠٠).

٦- سَرِيَّةُ بِئْرِ مَعُونَةَ

۞ وكَانَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، فِي شَهْرِ صَفَرٍ، عَلَىٰ رَأْسِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مَضَتْ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ. وَبَدَأَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ بِقُدُومِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو بَرَّاءَ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِيُرْسِلَ ﷺ مَعَهُ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَوَعَدَ أَبُو بَرَّاءَ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ فِي جِوَارِهِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ قَارِئًا، وَأَمَّرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمُ الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو، غَيْرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي الْبَرَّاءِ عَامِرِ بْنِ مَالِكٍ: «**إِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ**». فَقَالَ: أَنَا لَهُمْ جَارٌ يَا رَسُولَ اللهِ. فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَىٰ بِئْرِ مَعُونَةَ، بَعَثُوا حَرَامَ بْنَ مِلْحَانَ أَخَا أُمِّ سُلَيْمٍ (خَالَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه) بِكِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ ابْنُ أَخِي أَبِي الْبَرَّاءِ، فَلَمْ يَنْظُرْ فِي الْكِتَابِ؛ بَلْ وَثَبَ عَلَىٰ حَرَامٍ فَقَتَلَهُ، وَلَمَّا اسْتَبْطَأَ الْقُرَّاءُ حَرَامَ بْنَ مِلحَانَ، أَقْبَلُوا عَلَىٰ أَثَرِهِ، فَلَقِيَهُمُ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ وَتَقَاتَلُوا، فَقَتَلُوا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَجَاءَ خَبَرُهُمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**هَذَا سَبَبُهُ أَبُو بَرَّاءَ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ**». فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا الْبَرَّاءِ، فَمَاتَ أَسَفًا عَلَىٰ عَمَلِ ابْنِ أَخِيهِ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ.

(١) البقرة الآية (٢١٧).

ومَاتَ عَامِرٌ بَعْدَهَا، وَلَمْ يَجِدْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَتْلَىٰ، مِثْلَ مَا وَجَدَ عَلَىٰ قَتْلَىٰ بِئْرِ مَعُونَةَ؛ لِأَنَّهُ ﷺ أَرْسَلَهُمْ لَا لِقِتَالٍ، وَلَكِنْ لِيُبَلِّغُوا رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ قَدِيماً أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ؛ وَلَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ غَدَرُوا بِهِمْ، وَكَانَ مِمَّنْ قُتِلَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما.

۞ وَقَدْ قَالَ حَرَامٌ حِينَ طُعِنَ: «**فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ**». فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّكَ أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ، فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

٧- سَرِيَّةُ الْقُرْطَا

۞ وقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي الْعَاشِرِ مِنْ مُحَرَّمٍ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ. وَ(الْقُرْطَا) هَذِهِ قَبِيلَةٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ حُلَفَاءِ قُرَيْشٍ، وكَانُوا يَنْزِلُونَ بِبَلَدٍ فِي طَرِيقِ الْبَصْرَةِ اسْمُهَا (ضَرِيَّةٌ)، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ مَسِيرَةُ سَبْعِ لَيَالٍ.

۞ بَعَثَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيَّ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِباً مَا بَيْنَ رَاكِبٍ لِلْإِبِلِ وَرَاكِبٍ لِلْخَيلِ، فَلَمَّا أَغَارَ عَلَيْهِمْ، كَانَ الْمَقْتُولُ مِنْهُمْ عَشَرَةً، وَهَرَبَ الْبَاقُونَ.

۞ وَأُسِرَ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ الْحَنَفِيُّ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْبِطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ؛ لِيَنْظُرَ إِلَىٰ صَلاَةِ الْمُسْلِمِينَ وَاجْتِمَاعِهِمْ، فَيَرِقَّ قَلْبُهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وقَالَ: «**مَاذَا عِندَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» قَالَ عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ، فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

۞ وَأَوْصَىٰ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُحْسِنُوا إِسَارَهُ، فَكَانُوا يُقَدِّمُونَ إِلَيْهِ لَبَنَ لَقْحَةِ الرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ دَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ لِلْإِسْلَامِ فَأَبَىٰ، فَقَالَ ﷺ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**»، فَانْطَلَقَ إِلَىٰ نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ. وَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ؛ لِمَا رَآهُ مِنْ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَحُسْنَ مُعَامَلَتِهِ ﷺ لَهُ وَهُوَ أَسِيرٌ.

٨- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا عُكَّاشَةَ بْنِ مُحْصِنٍ الأَسَدِيِّ رضي الله عنه

۞ وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ. وَفِيهَا خَرَجَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلاً، فَلَمَّا رَآهُ الْقَوْمُ هَرَبُوا فِي مَنَازِلِهِمْ، وَأَسَرَ رضي الله عنه مِنْهُمْ رَجُلاً، فَلَمَّا دَلَّهُمْ عَلَىٰ نَعَمٍ لَهُمْ تَرَكُوهُ وَأَطْلَقُوا سَرَاحَهُ، وَاسْتَاقُوا مَعَهُمْ مِائَتَيْ (٢٠٠) بَعِيرٍ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَلْقَوا حَرْباً.

٩- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه

۞ وَقَعَتْ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الثَّانِي مِنَ السَّنَةِ السَّادَسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ. وَفِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ خَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَمَعَهُ عَشَرَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَىٰ بَنِي ثَعْلَبَةَ، فَوَرَدَ عَلَيْهِمْ لَيْلاً، فَلَمَّا نَامَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، رَمَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ بِنِبَالِهِمْ، فَصَاحَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فِي أَصْحَابِه، فَتَرَامَوْا بِالنِّبَالِ، فقتَلَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، إِلَّا مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ.

۞ وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ السَّرِيَّةِ أَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ أَرَادُوا أَنْ يُغِيرُوا عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، لِذَلِكَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بَعْدَ ذَلِكَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلاً إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدَاً، وَوَجَدَ نَعَماً وَشَاءً فَسَاقَهُ وَرَجَعَ، وَأَصَابَ رَجُلاً وَاحِداً فَأَسْلَمَ فَتَرَكَهُ، وَقَدِمَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ بِمَا سَاقَهُ مِن النَّعَمِ وَالشَّاءِ.

١٠- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه

۞ وَهَذِهِ السَّرِيَّةُ تُعَدُّ فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ ثَلَاثَ سَرَايَا؛ **الأُوْلَى** إِلَىٰ بَنِي سُلَيْمٍ بِالْجَمُومِ وَهِيَ بِبَطْنِ نَخْلٍ عَلَىٰ بُعْدِ أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخَرِ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَقَدْ أَسَرَوْا مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَأَصَابُوا نَعَماً وَشَاءً.

۞ **الثَّانِيَةُ** فِي جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ، **وَسَبَبُهَا** أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عَلِمَ أَنَّ عِيراً لِقُرَيْشٍ قَدِمَتْ مِنَ الشَّامِ، فَأَرْسَلَ صلى الله عليه وآله وسلم زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَأَسَرَ مِنْهُمْ نَاساً، وَأَصَابَ مِنْهُمْ فِضَّةً لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَكَانَ مِنَ الْأَسْرَىٰ الَّذِينَ أَسَرَهُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ زَوْجُ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَتَشَفَّعَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ رضي الله عنها عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِ

مَا أُخِذَ مِنْهُ، فَقَبِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَفَاعَتَهَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مَالَهُ، وَقَالَ ﷺ لَهَا: «**أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، وَلَا يَخْلُصْ إِلَيْكِ؛ فَإِنَّكِ لَا تَحِلِّينَ لَهُ**». ثُمَّ ذَهَبَ أَبُو الْعَاصِ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَأَدَّىٰ إِلَىٰ كُلِّ ذِي مَالٍ مَالَهُ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ قَادِمًا الْمَدِينَةَ، فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ زَوْجَتَهُ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ رضي الله عنها عَلَيْهِ، وَقَدْ رُزِقَتْ رضي الله عنها مِنْهُ بِأُمَامَةَ رضي الله عنها الَّتِي كَانَ يُحِبُّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَحْمِلُهَا فِي صَلَاتِهِ، وَقَدْ تَزَوَّجَ بِهَا سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَمَ اللهُ وَجْهَهُ، بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ رضي الله عنها، وَذَلِكَ بِوَصِيَّةٍ مِنْهَا.

۞ **الثَّالِثَةُ** وَقَعَتْ فِي جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، حَيْثُ خَرَجَ فِيهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلَىٰ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا «حِسْمَىٰ» بِجِوَارِ وَادِي الْقُرَىٰ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ.

۞ وَيَرْجِعُ **سَبَبُهَا** إِلَىٰ أَنَّ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ عِنْدَمَا عَادَ مِنْ عِنْدِ قَيْصَرِ الرُّومِ بِالْجَائِزَةِ وَالْكِسْوَةِ الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَيْهِ، لَقِيَهُ الْهُنَيْدُ بْنُ عَارِضٍ، فَأَخَذَ كُلَّ مَا مَعَهُ عِنْدَ «حِسْمَىٰ»، فَسَمِعَ بِذَلِكَ رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَنْقَذُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَرَدُّوهُ عَلَىٰ دِحْيَةَ.

۞ وَلَمَّا أَخْبَرَ دِحْيَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، بَعَثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي خَمْسِمِائَةِ رَجُلٍ (٥٠٠)، فَكَانَ زَيْدٌ يَكْمُنُ بِاللَّيْلِ وَيَسِيرُ بِالنَّهَارِ، حَتَّىٰ أَغَارَ عَلَىٰ الْقَوْمِ، فَأَكْثَرَ فِيهِمُ الْقَتْلَ، وَقُتِلَ هُنَيْدُ بْنُ عَارِضٍ، وَأَصَابَ مِنَ الْإِبِلِ قُرَابَةَ أَلْفِ بَعِيرٍ، وَمِنَ الشَّاءِ خَمْسُمِائَةً، وَمِنَ السَّبْيِ مِائَةً مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ.

۞ ثُمَّ إِنَّ رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ الْجُذَامِيَّ ـ وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَاسْتَنْقَذَ لِدِحْيَةَ مَا أُخِذَ مِنْهُ ـ ذَهَبَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَدَفَعَ لَهُ كِتَابَهُ ﷺ لَهُ وَلِقَوْمِهِ، فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ مَا أُخِذَ مِنْهُمْ.

١١- سرية سيدنا كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه

۞ وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَيَرْجِعُ **سَبَبُهَا** إِلَىٰ أَنَّ أُنَاسًا مِنْ (عُكْلٍ)، وَ(عُرَيْنَةَ)، جَاءُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَبَايَعُوهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَكَانُوا حِينَ قَدِمُوا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ مُصْفَرَّةً أَلْوَانُهُمْ، وَبُطُونُهُمْ مُنْتَفِخَةً؛ مِمَّا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْمَرَضِ، وَاسْتَأْذَنُوا النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُقِيمُوا خَارِجَ الْمَدِينَةِ، فَأَذِنَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِبَعْضِ الْإِبِلِ؛ لِيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَيُشْفَوْا بِإِذْنِ اللهِ، وَأَرْسَلَ ﷺ مَعَهُمْ رَاعٍ لِلْإِبِلِ يُقَالُ لَهُ «يَسَارٌ»، فَانْطَلَقُوا حَتَّىٰ

إِذَا صَحَّتْ أَجْسَامُهُم، كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، وَقَتَلُوا «يَسَارَاً» رَاعِي الْإِبِلِ، وَكَانَ عَبْداً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، ومَثَّلُوا بِهِ وَدَفَنُوهُ فِي قُبَاءَ وَسَرَقُوا الإِبِلَ، فَأَرْسَلَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ كُرْزَ بنَ جَابِرٍ الْفِهْرِيَّ وَمَعَهُ عِشْرِينَ فَارِساً فَأَتَىٰ بِهِمْ، وَنَزَلَ فِيهِمْ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[(١)].

۞ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَطْعِ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ مِنْ خِلَافٍ، ثُمَّ تُرِكُوا فِي الشَّمْسِ حَتَّىٰ مَاتُوا، وَكَانَ ذَلِكَ فِي نَاحِيَةِ الْحِرَّةِ.

١٢- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه

۞ كَانَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ إِلَىٰ دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَقَدْ أَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه، وَقَدْ أَوْصَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ حِينَ أَعْطَاهُ اللِّوَاءَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ بِلَالاً أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَيْهِ قَائِلاً: «**خُذْهُ يَا ابْنَ عَوْفٍ، اُغْزُوا جَمِيعاً فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً، فَهَذَا عَهْدُ اللَّهِ، وَسِيرَةُ نَبِيِّهِ فِيكُمْ**».

۞ فَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ مَلِكُهُمْ، وَأَسْلَمَ مَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَمَنْ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ أَقَامَ رضي الله عنه فِيهِمُ الْجِزْيَةَ، وَكَانَ اسْمُ مَلِكِهِمْ (الْأَصْبَغَ بْنَ عَمْرٍو الْكَلْبِيَّ)، وَكَانَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ نَصْرَانِياً، وَقَدْ تَزَوَّجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ابْنَتَهُ بِأَمْرٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

١٣- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه

۞ خَرَجَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي مِائَةِ رَجُلٍ (١٠٠) إِلَىٰ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ السَّرِيَةِ أَنَّ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ سَعَوا فِي جَمْعِ النَّاسِ؛ لِإِمْدَادِ يَهُودِ خَيْبَرَ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ، وَظَفَرَ بِنَعَمٍ وَشَاءٍ كَثِيرَةٍ،

---

(١) المائدة الآية (٣٣).

وَهَرَبَ الرِّعَاءُ، وَسَاقُوا النَّعَمَ وَالشَّاءَ، وكَانَتْ خَمْسَمِائَةَ بَعِيرٍ (٥٠٠) وَمِائَتَيْ شَاةٍ (٢٠٠) وَقَدِمَ عَلِيٌّ وَمَنْ مَعَهُ بِمَا فَرُّوا بِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

١٤- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه إِلَى أمِّ قِرْفَةَ

وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ. وَيَرْجِعُ **سَبَبُهَا** إِلَىٰ أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ رضي الله عنه خَرَجَ بِبَضَائِعَ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إِلَىٰ الشَّامِ، فَلَمَّا كَانَ بِوَادِي الْقُرَىٰ، لَقِيَهُ نَاسٌ مِنْ فَزَارَةَ، فَضَرَبُوهُ وَضَرَبُوا أَصْحَابَهُ، وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ، وَقَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَخْبَرَهُ، فَبَعَثَهُ صلى الله عليه وآله وسلم إِلَيْهِمْ فِي جَيْشٍ أَحَاطَ بِهِمْ، فَقَتَلُوهُمْ، وَقَتَلُوا مَلِكَتَهُمْ وَهِيَ «أُمُّ قِرفَةَ بِنْتُ رَبِيعٍ الْفَزَارِيَّةُ»، الَّتِي كَانَتْ تَسُبُّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكَانَتْ قَدْ جَهَّزَتْ ثَلَاثِينَ مِنْ وَلَدِهَا وَوَلَدِ وَلَدِهَا، وقَالَتْ لَهُمْ: اُغْزُوا الْمَدِينَةَ، وَاقْتُلُوا مُحَمَّداً. فَأَبَىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ الدَّائِرَةَ عَلَيْهَا فَقُتِلَتْ.

١٥- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيك رضي الله عنه

وَقَدْ وَقَعَتْ فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ. وَيَرْجِعُ **سَبَبُ** هَذِهِ السَّرِيَّةِ إِلَىٰ أَنَّ الْأَوْسَ حِينَ قَتَلُوا عَدُوَّ اللهِ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ الشَّاعِرَ الْيَهُودِيَّ الَّذِي كَانَ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِشِعْرِهِ، وَيُحَرِّضُ كُفَّارَ قُرَيْشٍ عَلَىٰ قِتَالِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، جَاءَتِ الْخَزْرَجُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم؛ تَسْتَأْذِنُهُ فِي قَتْلِ عَدُوِّ اللهِ الْيَهُودِيِّ أَبِي رَافِعٍ سَلَامِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ النَّضْرِيِّ، فَيَكُونُ لَهُمُ الشَّرَفُ مِثْلَ مَا كَانَ لِلْأَوْسِ حِينَ قَتَلَتْ عَدُوَّ اللهِ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بِقَتْلِ أَبِي رَافِعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ الْيَهُودِيِّ، وَأَوْصَاهُمْ أَلَّا يَقْتُلُوا وَلِيداً أَوِ امْرَأَةً، وأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَتِيكٍ، فَقَتَلَهُ وَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ بِخَيْبَرَ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْحَقِيقِ الْيَهُودِيُّ مِمَّنْ حَزَّبَ الْأَحْزَابَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

١٦- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه

وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَيَرْجِعُ **سَبَبُهَا** إِلَىٰ مَقْتَلِ أَبِي رَافِعٍ سَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، فَقَدْ أَمَّرَتِ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ مَقْتَلِهِ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ: «أُسَيْرُ بْنُ

رِزَامٍ» الَّذِي اقْتَرَحَ عَلَىٰ يَهُودٍ أَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ غَطَفَانَ، فَيَجْمَعَهُمْ وَيَسِيرَ بِهِمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِيَقْتُلُوهُ، فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ الْخَبَرُ، بَعَثَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي رَوَاحَةَ وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ؛ لِيَسْتَكْشِفَ الْخَبَرَ، وَذَهَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِلَىٰ خَيْبَرَ، ثُمَّ عَادَ فَقَصَّ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ مَا أَضْمَرُوهُ، فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثِينَ رَجُلاً، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ رَوَاحَةَ، فَضَرَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ أُسَيْراً حَتَّىٰ أَسْقَطَهُ عَنْ بَعِيرِهِ، وَقَتَلُوا أَصْحَابَ أُسَيْرٍ إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً، وَلَمْ يُصَبْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ، ثُمَّ قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ ﷺ: «**حَقّاً قَدْ نَجَّاكُمُ اللهُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**».

١٧- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه

۞ وكَانَتْ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلاً إِلَىٰ هَوَازِنَ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِمَجِيئِهِ، هَرَبُوا فَقَفَلَ رضي الله عنه رَاجِعاً إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

١٨- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

۞ وَقَعَتْ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وفِيهَا قَدِمَ عَلَىٰ بَنِي كِلَابٍ (قَبِيلَةٍ بِنَجْدٍ)، فَسَبَىٰ مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَقَتَلَ آخَرِينَ.

١٩- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه

۞ وكَانَتْ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَمَعَهُ رضي الله عنه مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلاً إِلَىٰ أَهْلِ الْمَيْفَعَةِ بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ، وَفِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ قَتَلَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَجُلاً كَانَ يَقْتُلُ مَنْ خَرَجَ فِي السَّرِيَّةِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فَكَفُّوا أَيْدِيَهُمْ عَنْهُ، فَيَعُودُ فَيَقْتُلُ أُنَاساً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَهَكَذَا، فَقَتَلَهُ سَيِّدُنَا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ﷺ: «**يَا أُسَامَةُ، مَنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟**» فَقَالَ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا؛ تَعَوُّذاً مِنَ الْقَتْلِ، قَالَ ﷺ: «**هَلْ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ، فَتَعْلَمَ أَصَادِقٌ هُوَ أَمْ كَاذِبٌ؟**»، فَقَالَ أُسَامَةُ رضي الله عنه: **لاَ أُقَاتِلُ أَحَداً يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**.

٢٠- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه

۞ وكَانَتْ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلاً إِلَىٰ بَنِي مُرَّةَ، وفِيهَا أُصِيبَ

أَصْحَابُهُ، وَجُرِحَ بَشِيرٌ، وَعَادَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

٢١- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه

۞ وكَانَتْ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَيَرْجِعُ سَبَبُهَا إِلَىٰ أَنَّ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ الْفَزَارِيَّ مِنْ غَطْفَانَ، جَمَعَ جُمُوعَهُ؛ لِلْإِغَارَةِ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثُمِائَةَ رَجُلٍ فِي سَرِيَّةٍ أَمَّرَ عَلَيْهَا بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ، وكَانَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ لِبَلَدَيْنِ مِنْ أَرْضِ غَطْفَانَ هُمَا (يَمْنُ وَجُبَارُ)، فَلَمَّا بَلَغَ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مَسِيرُ بَشِيرٍ وَأَصْحَابِهِ، هَرَبَ عُيَيْنَةُ وَمَنْ مَعَهُ، وَأَصَابَ بَشِيرٌ نَعَمًا كَثِيرَةً، فَغَنِمَهَا وَرَجَعَ بِهَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

٢٢- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا الْأَخْرَمِ رضي الله عنه

۞ كَانَتْ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَفِيهَا خَرَجَ الْأَخْرَمُ إِلَىٰ بَنِي سُلَيْمٍ يَدْعُوهُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَمَعَهُ خَمْسُونَ رَجُلًا، فَأَحَاطَهُمْ بَنُو سُلَيْمٍ بِالنِّبَالِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، حَتَّىٰ قُتِلُوا، وَعَادَ الْأَخْرَمُ جَرِيحًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

٢٣- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه

۞ وَكَانَتْ فِي شَهْرِ صَفَرٍ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَفِيهَا خَرَجَ إِلَىٰ بَنِي الْمُلَوَّحِ بِالْكَدِيدِ، وَلَقِيَ الْمُسْلِمُونَ الْحَارِثَ بْنَ مَالِكٍ اللَّيْثِيَّ، وَعَادُوا بِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فَأَسْلَمَ.

٢٤- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه

۞ لَمَّا عَادَ غَالِبُ مِنْ سَرِيَّتِهِ السَّابِقَةِ، بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ مَوْضِعِ مُصَابِ أَصْحَابِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ، وَهِيَ «**فَدَكُ**» الَّتِي أُصِيبَ فِيهَا أَصْحَابُهُ وَجُرِحَ بَشِيرٌ، وَكَانَ مَعَ غَالِبٍ مِائَتَيْ رَجُلٍ (٢٠٠) وَذَلِكَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، وفِيهَا انْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ وَقَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا، وَعَادُوا بِنَعَمٍ وَشَاءٍ وَذُرِيَةٍ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

٢٥- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا شُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ الْأَسَدِيِّ رضي الله عنه

۞ وَكَانَتْ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَكَانَ مَعَ شُجَاعٍ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلًا، وفِيهَا خَرَجُوا إِلَىٰ بَنِي عَامِرٍ مِنْ هَوَازِنَ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ بِنَعَمٍ كَثِيرٍ وَشَاءٍ.

٢٦- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا كَعْبِ بْنِ عُمَيْرٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه

۞ وكَانَتْ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وفِيهَا خَرَجَ كَعْبٌ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً إِلَىٰ ذَاتِ أَطْلَاحٍ بِالْقُرْبِ مِنْ وَادِي الْقُرَىٰ بِأَرْضِ الشَّامِ، فَدَعَوْهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَأَبَوْا وَرَشَقُوهُمْ بِالنِّبَالِ، وَهَمَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْهِمْ سَرِيَّةً أُخْرَىٰ؛ وَلَكِنْ بَلَغَهُ ﷺ أَنَّهُمْ سَارُوا إِلَىٰ مَوْضِعٍ آخَرَ، فَتَرَكَهُمْ.

٢٧- سَرِيَّةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ

۞ وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ. وَيَرْجِعُ **سَبَبُهَا** إِلَىٰ أَنَّ بَنِي قَضَاعَةَ جَمَعُوا جُمُوعَهُمْ؛ لِلْإِغَارَةِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، **وَسُمِّيَتْ بِذَاتِ السَّلَاسِلِ**؛ لِأَنَّ الْأَعْدَاءَ ارْتَبَطَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ؛ مَخَافَةَ الْفِرَارِ.

۞ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثُمِائَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَعَهُمْ ثَلَاثِينَ فَرَساً، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ سَرِيَّةٍ يَخْرُجُ فِيهَا عَمْرٌو بَعْدَ إِسْلَامِهِ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنَ الْعَدُوِّ، وَجَدَ أَنَّ جُمُوعَ الْعَدُوِّ كَثِيرَةٌ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ الْمَدَدَ مِنَ الْجُنُودِ، فَأَرْسَلَ ﷺ إِلَيْهِ مِائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، وَكَانَ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، وَأَوْصَىٰ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا عُبَيْدَةَ وَعَمْرَواً أَلَّا يَخْتَلِفَا، وَكَانَ النَّصْرُ فِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ إِنَّ الْعَدُوَّ قَدْ هَرَبَ، فَتَفَرَّقُوا مَذْعُورِينَ بَعْدَ أَنِ اقْتَتَلُوْا سَاعَةً، ثُمَّ عَادَ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

٢٨- سَرِيَّةُ سِيفِ الْبَحْرِ

۞ وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي شَهْرِ رَجَبٍ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، بِأَرْضِ جُهَيْنَةَ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ ثلَاثُمِائَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ، فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه؛ لِيُصِيبُوا عِيراً لِقُرَيْشٍ، وَلِمُحَارَبَةِ حَيٍّ مِنْ جُهَيْنَةَ، وأَمَّرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ هَذِهِ السَّرِيَّةِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، وَقَدْ أَصَابَ أَهْلَ هَذِهِ السَّرِيَّةِ الْجُوْعُ الشَّدِيدُ؛ لِنَفَادِ الزَّادِ،فَأَخْرَجَ اللهُ لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْبَحْرِ، فَأَكَلُوا مِنْهَا، وَرَجَعُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يُذْكَرْ فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ قِتَالٌ.

٢٩- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه

۞ وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي شَعْبَانَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَفِيهَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا قَتَادَةَ، وَمَعَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً إِلَىٰ غَطَفَانَ، فَقَاتَلَهُمْ وَسَبَىٰ سَبْيًا كَثِيراً، وَاسْتَاقَ مَعَهُ النَّعَمَ.

۞ وَفِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ (إِضَم) فِي ثَمَانِيَةِ رِجَالٍ، بَعْدَ أَنْ نَقَضَتْ قُرَيْشٌ عَهْدَهَا، فَلَقِيَهُمْ عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيُّ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِم بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَقَتَلَهُ رَغْمَ ذَلِكَ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ؛ لِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُمَا، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَمَتَاعَهُ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَخْبَرُوهُ خَبَرَهُم، نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾[١].

٣٠- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا خَالِد بْنِ الْوَلِيد رضي الله عنه

۞ وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وفِيهَا أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَىٰ رَأْسِ ثَلَاثِينَ فَارِساً مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَىٰ صَنَمِ الْعُزَّىٰ، فَهَدَمَهَا.

٣١- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا سَعْد بْنِ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيِّ رضي الله عنه

۞ وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، وفِيهَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيَّ - وَهُوَ مِنَ الْأَنْصَارِ - عَلَىٰ رَأْسِ عِشْرِينَ فَارِساً مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، إِلَىٰ صَنَمِ مَنَاةَ الَّتِي كَانَتْ مَعْبُودَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَأَقْبَلَ سَعْدٌ وَمَنْ مَعَهُ إِلَىٰ الصَّنَمِ فَهَدَمُوهُ.

٣٢- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا عَمْرِو بْنِ الْعَاص رضي الله عنه

۞ وَقَعَتْ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَفِيهَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ

---

(١) النساء الآية (٩٤).

ﷺ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ لِهَدْمِ (سُوَاعَ)، وَهُوَ صَنَمٌ يَقَعُ عَلَىٰ بُعْدِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ، فَهَدَمُوهُ.

٣٣- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى جُذَيْمَةَ رضي الله عنه

۞ وَقَدْ وَقَعَتْ فِي شَوَّالٍ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وفِيهَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَىٰ بَنِي جُذَيْمَةَ مِنْ كِنَانَةَ، وَكَانُوا بِأَسْفَلِ مَكَّةَ، أَرْسَلَهُ ﷺ إِلَيْهِم دَاعِيًا؛ وَلَيْسَ مُقَاتِلاً، فَخَرَجَ رضي الله عنه فِي ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلاً، فَوَجَدَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ السِّلَاحَ مَعَهُمْ، فَسَأَلَهُمْ؟ فَقَالُوا: إِنَّا مُسْلِمُونَ، وَلَكِنَّا حَمَلْنَا السِّلَاحَ؛ لِعَدَاوَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ، فَخِفْنَا أَنْ تَكُونُوا هُمْ.

۞ وَأَمَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ أَسِيرٌ فَلْيَقْتُلْهُ؛ فَقَتَلَ بَنُو سُلَيْمٍ مَنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ؛ أَمَّا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ؛ فَأَرْسَلُوا أَسْرَاهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ»؛ لِأَنَّهُ رضي الله عنه قَتَلَهُمْ رَغْمَ إِسْلَامِهِمْ، وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ بِدِيَةِ قَتْلَاهُمْ، وَرَدَّ مَا أُخِذَ مِنْهُمْ.

٣٤- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا أَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه

۞ وَقَدْ وَقَعَتْ بَعْدَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَفِيهَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا عَامِرٍ الْأَشْعَرِيَّ (وَهُوَ عَمُّ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنهما) إِلَىٰ أَوْطَاسَ، وَهِيَ بَلْدَةٌ مِنْ هَوَازِنَ؛ الَّتِي تَفَرَّقَتْ بَعْدَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ إِلَىٰ ثَلَاثِ طَوَائِفَ: فِرْقَةٌ لَحِقَتْ بِالطَّائِفِ، وَفِرْقَةٌ لَحِقَتْ بِنَخْلَةَ، وَفِرْقَةٌ لَحِقَتْ بِأَوْطَاسَ، وَهِيَ الَّتِي انْتَهَىٰ إِلَيْهَا أَبُو عَامِرٍ، فَدَعَاهُمْ رضي الله عنه إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَنَاوَشُوهُ، فَقَتَلَ أَبُو عَامِرٍ مِنْهُمْ تِسْعَةً مُبَارَزَةً، وَأَفْلَتَ مِنْهُ الْعَاشِرُ، وَاسْتُشْهِدَ أَبُو عَامِرٍ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ، فَظَفَرَ مِنْهُمْ بِالْغَنَائِمِ وَالسَّبَايَا.

٣٥- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ رضي الله عنه

۞ وَقَعَتْ فِي شَوَّالٍ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَفِيهَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ إِلَىٰ صَنَمٍ يُقَالُ لَهُ «ذُو الكَفَّيْنِ»، وَأَمَرَهُ ﷺ أَنْ يَسْتَمِدَّ مِنْ قَوْمِهِ، فَخَرَجَ مَعَهُ رضي الله عنه

مِنْ قَوْمِهِ أَرْبَعْمِائَةُ رَجُلٍ، فَهَدَمُوا ذَا الْكَفَّيْنِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ ﷺ قَدْ نَزَلَ بِالطَّائِفِ، فَأَخْبَرُوهُ بِهَدْمِهِ وَحَشْوِ النَّارِ فِي جَوْفِ ذِي الكَفَّيْنِ.

٣٦- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيِّ رضي الله عنه إِلَى بَنِي تَمِيمٍ

۞ وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي شَهْرِ مُحَرَّمٍ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَيَرْجِعُ سَبَبُهَا إِلَىٰ أَنَّ بَنِي تَمِيمٍ مَنَعُوا بَنِي كَعْبٍ (مِنْ خُزَاعَةَ) مِنْ أَدَاءِ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ، وَكَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ فِي خَمْسِينَ فَارِسًا مِنَ الْعَرَبِ؛ لَيْسَ فِيهِم أَحَدٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَوْا جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ وَلَّوا هَارِبِينَ، فَأَخَذَ مِنْهُمْ عُيَيْنَةُ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَإِحْدَىٰ عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَثَلَاثِينَ صَبِيًّا، فَجَلَبَهُمْ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَأَمَرَ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَحُبِسُوا فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، فَقَدِمَ فِيهِمْ عِدَّةٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يُكَلِّمُونَهُ ﷺ فِيهِم، فَرَقَّ ﷺ لَهُمْ حِينَ بَكَوْا لِرُؤَسَائِهِمْ، وَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ أَسْرَاهُمْ، وَأَسْلَمَ وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ وَكَانُوا سَبْعِينَ، وَبَقَوْا فِي الْمَدِينَةِ مُدَّةً؛ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ وَأَحْكَامَ الْإِسْلَامِ.

٣٧- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ رضي الله عنه إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ

۞ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَىٰ بَنِي الْمُصْطَلِقِ؛ لِيَأْتِيَهُ بِالزَّكَاةِ، فَلَمَّا عَلِمَ بَنُو الْمُصْطَلِقِ فَرِحُوا بِهِ وَخَرَجُوا؛ لِيُعْطُوهُ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ وَمَعَهُمُ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ، وَكَانَ مَعَهُمُ السِّلَاحُ، فَظَنَّ الْوَلِيدُ أَنَّهُمْ خَرَجُوا لِقِتَالٍ حِينَ رَأَىٰ السِّلَاحَ، فَرَجَعَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَخْبَرَهُ خَطَأً أَنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَمَنَعُوهُ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّمَا ظَنُّ الْوَلِيدِ ذَلِكَ؛ لِعَدَاوَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا أَخْبَرَهُ بِهِ الْوَلِيدُ، هَمَّ ﷺ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ؛ لِامْتِنَاعِهِمْ عَنِ الزَّكَاةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1]. قَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ، وَبَعَثَ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ رضي الله عنه يَأْخُذُ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، وَيُقْرِئُهُمُ الْقُرْآنَ.

---

(١) الحجرات الآية (٦).

٣٨- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا قُطْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه إِلَى خَثْعَمٍ

۞ وَقَعَتْ فِي شَهْرِ صَفَرٍ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَفِيهَا أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قُطْبَةَ بْنَ عَامِرٍ إِلَىٰ حَيٍّ مِنْ (خَثْعَمٍ) بِبَلْدَةِ (تُبَالَةَ) مِنْ أَرْضِ (تُهَامَةَ) فِي طَرِيقِ الْيَمَنِ، وَكَانَ مَعَهُ عِشْرُونَ رَجُلاً عَلَىٰ عَشْرَةٍ مِنَ الْإِبِلِ يَعْتَقِبُونَهَا، وَفِيهَا اقْتَتَلَ الْفَرِيقَانِ، ثُمَّ أَتَىٰ سَيْلٌ فَحَالَ بَيْنَهُمْ، وَرَجَعَ قُطْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بِالنَّعَمِ وَالشَّاءِ وَالسَّبْيِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

٣٩- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا الضَّحَّاكِ بْنِ سُفْيَانَ رضي الله عنه إِلَى بَنِي كِلَابٍ

۞ وَقَعَتْ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَقَدْ أَمَّرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الضَّحَّاكَ بْنَ سُفْيَانَ عَلَىٰ هَذِهِ السَّرِيَّةِ، وَأَرْسَلَ صلى الله عليه وسلم مَعَهُ جَيْشاً، فَدَعَوْهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا، فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ، وَغَنِمُوا أَمْوَالَهُمْ.

٤٠- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا عَلْقَمَةَ بْنِ مُجَزِّزٍ الْمُدْلِجِيِّ رضي الله عنه إِلَى الْحَبَشَةِ

۞ وَقَعَتْ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَقَدْ أَمَّرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَىٰ هَذِهِ السَّرِيَّةِ عَلْقَمَةَ بْنَ مُجَزِّزٍ، وَكَانَ عَدَدُ مَنْ خَرَجُوا مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةً، وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوهُ، فَلَمَّا سَارَتِ السَّرِيَّةُ وَلَمْ يَلْقَوْا كَيْداً، وَأَرَادَ بَعْضُ الْقَوْمِ التَّعْجِيلَ وَالرُّجُوعَ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ قَبْلَ بَقِيَّةِ الْجَيْشِ، وَكَانَ فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيُّ رضي الله عنه ، فَأَمَّرَهُ عَلْقَمَةُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ فِيهِ دُعَابَةٌ، أَيْ: مِزَاحٌ، فَقَالَ لَهُمْ: أَوْقَدُوا لِي نَاراً. فَأَوْقَدُوهَا، فَقَالَ: أَلَيْسَ طَاعَتِي وَاجِبَةً؟ قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: فَاقْتَحِمُوا هَذِهِ النَّارَ، فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَقَالُوا: إِنَّمَا دَخَلْنَا فِي الْإِسْلَامِ؛ هَرَباً مِنَ النَّارِ، فَكَيْفَ نَدْخُلُهَا بَعْدَ إِسْلَامِنَا. قَالَ رضي الله عنه : اِمْنَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ. وَرَجَعُوا إِلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَأَخْبَرُوهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **"لَوْ دَخَلْتُمُوهَا مَا خَرَجْتُمْ مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ، لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ"**. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

٤١- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه إِلَى الْفُلْسِ

۞ وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ

الْغَزْوَةِ: أَنَّ (فُلْس) هَذَا صَنَمٌ تَعْبُدُهُ (طَيِّئٌ) بِنَجْدٍ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لِهَدْمِهِ، وَمَعَهُ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَىٰ مِائَةِ بَعِيرٍ وَخَمْسِينَ فَرَسًا، فَهَدَمُوا الصَّنَمَ،وَمَلَأُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ السَّبْيِ والنَّعَمِ وَالشَّاءِ وَالْفِضَّةِ، وَفِي السَّبْيِ وَقَعَتْ (سَفَّانَةُ) بِنْتُ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ، وَهِيَ أُخْتُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، قَامَتْ سَفَّانَةُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَكَرَتْ لَهُ ﷺ مَحَاسِنَ أَبِيهَا وَمَنَاقِبَهُ، فَقَالَتْ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا بِنْتُ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ، وَإِنَّ أَبِي كَانَ يُقْرِي الضَّيْفَ، وَيَفُكُّ الْعَانِي، وَيَحْمِي الذِّمَارَ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ كَانَ أَبُوكِ مُسْلِماً لَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ، خَلُّوا سَبِيلَهَا؛ فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**». فَأَسْلَمَتْ وَحَسُنَ إِسْلَامُهَا، وَكَانَ الْمَنُّ عَلَيْهَا بِإِطْلَاقِ سَرَاحِهَا؛ سَبَبًا فِي إِسْلَامِ أَخِيهَا عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، حَيْثُ أَتَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَبَايَعَهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ.

٤٢- سَرِيَّةُ سَيِّدِنَا خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بِنَجْرَانَ

۞ وَقَعَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، حَيْثُ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرْبَعْمِائَةً إِلَىٰ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَأَمَرَهُ ﷺ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ ثَلَاثًا، فَإِنِ اسْتَجَابُوا لَكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَأَقِمْ فِيهِمْ، وَعَلِّمْهُمْ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَالْجِزْيَةُ أَوِ الْقِتَالُ؛ لِأَنَّ أَهْلَ نَجْرَانَ كَانُوا عَلَىٰ النَّصْرَانِيَّةِ، فَلَمَّا دَعَاهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَمَنْ مَعَهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمُوا جَمِيعًا، وَكَتَبَ خَالِدٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ كِتَابًا بِإِسْلَامِهِمْ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنْ بَشِّرْهُمْ وَأَنْذِرْهُمْ، وَأَقْبِلْ وَلْيُقْبِلْ مَعَكَ وَفْدُهُمْ**».

۞ فَأَقْبَلَ خَالِدٌ بِوَفْدِهِمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ﷺ، وَأَسْلَمُوا حَيْثُ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ**».

المَطْلَبُ الثَّالِثُ

بُعُوثُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

وَهَذِهِ الْبُعُوثُ هِيَ:

١- بَعْثُ الرَّجِيعِ

۞ وَقَعَتْ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ نِسْبَةً إِلَىٰ مَاءٍ لِهُذَيْلٍ يَقَعُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، وَقَدْ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ رَأْسِهَا عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه، وَفِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ غَدَرَ بَنُو لِحْيَانَ - وَهُمْ مِنْ هُذَيْلٍ - بِسِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ حَيْثُ ادَّعَىٰ بَنُو لِحْيَانَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوا، وَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُمْ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ، فَأَرْسَلَ ﷺ مَعَهُمْ سِتَّةَ نَفَرٍ هُمْ: عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ، وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ، وَزَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ طَارِقٍ، وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

۞ وَقَدْ ضَرَبَ هَؤُلَاءِ أَرْوَعَ الْمُثُلِ فِي الثَّبَاتِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَحُبِّهِمْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْكَرَامَةِ الَّتِي أَكْرَمَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا قَتْلَ خُبَيْبٍ بَعْدَ أَنْ أَخَذُوهُ أَسِيراً عِنْدَهُمْ، حَتَّىٰ تَخْرُجَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ، وَوَضَعُوهُ خِلَالَ مُدَّةِ أَسْرِهِ عِنْدَ امْرَأَةٍ اسْمُهَا مَاوِيَّةُ (وَهِيَ مَوْلَاةُ جُحَيْرِ بْنِ أَبِي إِهَابٍ)، فَكَانَتْ تَصِفُ خُبَيْبَاً فَتَقُولُ: كَانَ يَتَهَجَّدُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَتْهُ النِّسَاءُ بَكَيْنَ وَرَقَقْنَ عَلَيْهِ، وَمَا وَجَدْتُ أَسِيراً خَيْراً مِنْ خُبَيْبٍ، فَوَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْماً يَأْكُلُ قِطْفاً مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ عِنَبٍ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ رِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْبَاً. فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ فِي الْحِلِّ لِيَقْتُلُوهُ، قَالَ رضي الله عنه: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ رضي الله عنه: «**اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً، وَاقْتُلْهُمْ بِدَداً، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدَاً**» وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمَاً ... عَلَىٰ أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَىٰ أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

۞ فَكَانَ خُبَيْبٌ قَدْ سَنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْراً الصَّلَاةَ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

أَمَّا عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، فَإِنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوهُ، أَرَادُوا أَنْ يُمَثِّلُوا بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي وَضَحِ النَّهَارِ، فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِ ظُلَّةً مِنَ الدَّبْرِ، فَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَمَسَّهُ، فَقَالُوا: دَعُوهُ حَتَّىٰ يُمْسِيَ وَيَأْتِيَ اللَّيْلُ، فَتَذْهَبَ عَنْهُ الظُّلَّةُ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ، بَعَثَ اللهُ عَلَىٰ الْوَادِي سَيْلاً، فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ عَاصِماً، فَذَهَبَ بِهِ، وَكَانَ عَاصِمٌ حِينَ بَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ، نَذَرَ أَلَّا يَمَسَّ مُشْرِكاً، وَلَا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ أَبَداً، فَكَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه حِينَ بَلَغَهُ مِنْ أَمْرِ عَاصِمٍ مَا بَلَغَهُ يَقُولُ: «**يَحْفَظُ اللهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ؛ نَذَرَ عَاصِمٌ أَلَّا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ، وَلَا يَمَسَّ مُشْرِكاً، فَمَنَعَهُ اللهُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ**».

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ، فَإِنَّهُم حِينَ خَرَجُوا بِهِ فِي الْحِلِّ لِيَقْتُلُوهُ، جَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَقَالَ لَهُ: أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الْآنَ فِي مَكَانِكَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ، وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ؟ قَالَ: وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ فِي مَكَانِي هَذَا، وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: «مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَداً يُحِبُّ أَحَداً، كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّداً». (السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

وَكَانَ دُعَاؤُهُمْ رضي الله عنهم: «**اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا رِسَالَةَ رَسُولِكَ، فَبَلِّغْهُ الْغَدَاةَ مَا يُصْنَعُ بِنَا**». فَأَخْبَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ رضي الله عنهم.

٢- بَعْثُ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه إِلَى صُدَاءَ

وَقَعَتْ بَعْدَ انْصِرَافِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْجُعْرَانَةِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا ﷺ، وَقَضَىٰ بِهَا ﷺ عُمْرَتَهُ بَعْدَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، وَفِيهَا أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ عَلَىٰ رَأْسِ أَرْبَعْمِائَةِ فَارِسٍ إِلَىٰ صُدَاءَ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ بِالْيَمَنِ، فَلَمَّا عَلِمَ بِهَذَا الْبَعْثِ زِيَادُ بْنُ الْحَارِثِ الصُّدَائِيُّ، ذَهَبَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ رضي الله عنه لَهُ ﷺ: لَا حَاجَةَ إِلَىٰ الْجَيْشِ، وَأَنَا وَافِدُهُمْ إِلَيْكَ، وَأَنَا أَتَكَفَّلُ بِإِسْلَامِ قَوْمِي وَطَاعَتِهِمْ. وَرَجَعَ زِيَادُ بْنُ الْحَارِثِ الصُّدَائِيُّ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ الْإِمَارَةَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ ﷺ: «**لَا خَيْرَ فِي الْإِمَارَةِ لِرَجُلٍ مُؤْمِنٍ**». فَتَرَكَهَا، وَأَمَرَهُ ﷺ بِالْأَذَانِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ.

٣- بَعْثُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه إِلَى الْحَجِّ

فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ

ﷺ؛ لِيَحُجَّ بِالنَّاسِ، فَخَرَجَ فِي ثَلَاثِمِائَةِ رَجُلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَبَعَثَ ﷺ مَعَهُ عِشْرِينَ بَدَنَةً، وَسَاقَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ مَعَهُ خَمْسَ بَدَنَاتٍ، فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، وَمَضَىٰ فِي طَرِيقِهِ إِلَىٰ الْحَجِّ، أَنْزَلَ اللهُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(1).

۞ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا، وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةٍ، فَأَذَّنَ بِهَا سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي أَهْلِ مِنَىٰ يَوْمَ النَّحْرِ، أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ، فَإِنَّ أَجَلَهُ إِلَىٰ مُدَّتِهِ، وَأَقَامَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَلَمْ يَحُجَّ بِالْبَيْتِ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ عُرْيَانٌ وَلَا مُشْرِكٌ، كَمَا أَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ نِيَابَةً عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

۞ وَالْمُشْرِكُونَ هُنَا فِي عَهْدِهِمْ فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ أَلَّا يُقَاتِلَهُمْ وَلَا يُقَاتِلُوهُ وَلِعَهْدِهِمْ مُدَّةٌ، وَهَؤُلَاءِ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يُتِمَّ لَهُمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ، وَفَرِيقٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ أَلَّا يُقَاتِلَهُمْ وَلَا يُقَاتِلُوهُ، وَلَيْسَ لِعَهْدِهِمْ مُدَّةٌ، فَهَؤُلَاءِ جَعَلَ اللهُ مُدَّتَهُمْ فِي عَهْدِهِمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ)

٤- بَعْثُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ

۞ وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَقَدْ أَوْصَاهُمَا النَّبِيُّ ﷺ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ، فَقَالَ ﷺ: «**اِنْطَلِقَا فَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَيَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، إِنَّهُ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(2)». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

(1) التوبة الآيات (١-٤)   (2) الأحزاب ٤٥

وَقَالَ ﷺ فِي وَصِيَّتِهِ لِمُعَاذٍ رضي الله عنه : «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً؛ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وعَلَّمَ ﷺ مُعَاذاً مَنْهَجَ الْقَضَاءِ، فَقَالَ ﷺ لَهُ: «بِمَ تَقْضِي؟»، قَالَ رضي الله عنه : بِكِتَابِ اللهِ. قَالَ ﷺ : «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟»، قَالَ رضي الله عنه : فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ . قَالَ ﷺ : «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟»، قَالَ رضي الله عنه : أَجْتَهِدُ بِرَأْيِي وَلَا آلُوا. فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ صَدْرِهِ، وَقَالَ ﷺ : «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ، لِمَا يُرْضِي اللهَ وَرَسُولَهُ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ)

فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ وَصِيَّتِهِ لِمُعَاذٍ رضي الله عنه ، قَالَ ﷺ : «إِنَّكَ عَسَىٰ أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي». فَبَكَىٰ مُعَاذٌ؛ لِفِرَاقِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ .

٥- بَعْثُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه إِلَى الْيَمَنِ

وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ؛ حَيْثُ خَرَجَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ، فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا، وَرَمَوُا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ، فَصَفَّ عَلِيٌّ رضي الله عنه أَصْحَابَهُ، وَدَفَعَ لِوَاءَهُ إِلَىٰ مَسْعُودِ بْنِ سِنَانَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ نَحْوَ عِشْرِينَ رَجُلاً، فَتَفَرَّقُوا وَانْهَزَمُوا، فَكَفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَأَسْرَعُوا وَأَجَابُوا، وَبَايَعَهُ نَفَرٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ.

وَهَذَا هُوَ الْبَعْثُ الثَّانِي لِعَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَقَدْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْيَمَنِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَعَثْتَنِي إِلَىٰ الْيَمَنِ قَاضِيـاً، وَأَنَا شَابٌّ لَا أَدْرِي مَا الْقَضَاءُ؟ فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ صَدْرِهِ، وَدَعَا ﷺ لَهُ قَائِلاً: «اللَّهُمَّ اهْدِهِ، وَثَبِّتْ لِسَانَهُ». قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، مَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَه)

كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ عَلِيّـاً كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إِلَىٰ هَمْدَانَ، فَأَسْلَمَتْ جَمِيعـاً، وَكَتَبَ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِإِسْلَامِهِمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَخَرَّ ﷺ سَاجِداً، وَقَالَ ﷺ : «السَّلَامُ عَلَىٰ هَمْدَانَ».

٦- بَعْثُ أسامَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى الشَّامِ

۞ وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَوْصَاهُ ﷺ أَنْ يُوطِئَ بِالْخَيْلِ تَخُومَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَرْضِ فِلِسْطِينَ لِغَزْوِ الرُّومِ، فَتَجَهَّزَ النَّاسُ مَعَ أُسَامَةَ وَكَانَ مِنْهُمُ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ، ثُمَّ اشْتَكَىٰ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَرَضِ الَّذِي قُبِضَ ﷺ فِيهِ، وَاعْتَرَضَ الْمُنَافِقُونَ عَلَىٰ إِمَارَتِه رضي الله عنه، فَرَدَّ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهُ حَقِيقٌ بِالْإِمَارَةِ، وَإِنْ قُلْتُمْ فِيهِ، لَقَدْ قُلْتُمْ فِي أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَإِنْ كَانَ لَخَلِيقاً لَهَا**».

۞ وَكَانَ أُسَامَةُ رضي الله عنه حِينَئِذٍ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ، فَلَمَّا تَوَلَّىٰ الْخِلَافَةَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه، أَنْفَذَ جَيْشَ أُسَامَةَ؛ عَمَلاً بِوَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَخَرَجَ رضي الله عنه يُشَيِّعُهُ وَهُوَ رضي الله عنه مَاشٍ عَلَىٰ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: **يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ، وَاللهِ لَتَرْكَبَنَّ أَوْ لَأَنْزِلَنَّ**. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: **وَاللهِ لَا تَنْزِلُ، وَوَاللهِ لَا أَرْكَبُ، وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُغَبِّرَ قَدَمَيَّ فِي سَبِيلِ اللهِ**. وَعَادَ أُسَامَةُ مُنْتَصِراً بَعْدَ أَنْ أَمْضَىٰ فِي سَرِيَّتِهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً.



الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ

حِكْمَةُ الجِهَادِ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]

ومَعْنَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ مُخَاطِبًا عَبْدَهُ ورَسُولَهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ بِاسْمِ الرِّسَالَةِ، وَآمِراً لَهُ ﷺ بِالْإِبْلَاغِ بِجَمِيعِ مَا أُرْسِلَ ﷺ بِهِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَافِظُهُ وَنَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، فَلَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسُوءٍ. (تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)

۞ فَكَانَتِ الْحِكْمَةُ مِنَ الْجِهَادِ **هِيَ إِزَالَةَ الْعَوَائِقِ الَّتِي تَحُولُ دُونَ تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ**؛ فَالْجِهَادُ وَسِيلَةٌ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَالتَّمْكِينِ لِهِدَايَتِهِ فِي الْأَرْضِ، وَلَوْلَا الْجِهَادُ لَحُرِمَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ مِنَ الْهُدَىٰ وَالنُّورِ، الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

۞ وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ مَا فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ مِنْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[3].

۞ وَمِنْ أَجْلِ تَبْلِيغِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الَّتِي بَعَثَ اللهُ بِهَا رَسُولَهُ ﷺ، تَحَمَّلَ ﷺ الْإِيْذَاءَ، فَصَبَرَ وَجَاهَدَ مِنْ أَجْلِ سَعَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، حَتَّىٰ يَأْخُذَ بِيَدِهَا، فَيُخْرِجَهَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَظَلَّ النَّاسُ فِي ظُلُمَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ الْعَمْيَاءِ، يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ الصَّمَّاءَ، الَّتِي لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ، وَلَا تُغْنِي عَنِ اللهِ شَيْئًا، وَلَصَارَ الْإِنْسَانُ مُكَبَّلاً فِي أَغْلَالِ شَهَوَاتِهِ، إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ رَأَيْتَهُ حَيْوَانًا وَأَدْنَىٰ، أَوْ شَيْطَانًا وَأَضَلَّ؛ لِأَنَّهُ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هُوَاهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ

---

(١) المائدة الآية (٦٧). (٢) يونس الآية (٥٧). (٣) المائدة الآيتان (١٥، ١٦).

ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[١]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[٢].

إِنَّ فِي الْإِسْلَامِ نِعْمَةَ اللهِ بِانْشِرَاحِ الصَّدْرِ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾[٣]، إِنَّ فِي الْإِسْلَامِ نِعْمَةَ اللهِ بِطُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[٤]. وَتَأَمَّلْ فِي مُوَاسَاةِ اللهِ لِحَبِيبِهِ ﷺ لِمَا يُحْزِنُهُ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ ﷺ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[٦].

وَإِنْ تَعْجَبْ، فَعَجَبًا لِقَوْمٍ يَأْتِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا فِيهِ هِدَايَتُهُمْ، وَصَلَاحُ أَمْرِهِمْ، فَيُنَاصِبُونَهُ الْعَدَاءَ ﷺ، وَيُؤْذُونَهُ ﷺ، وَيُخْرِجُونَهُ مِنْ أَرْضِهِ ﷺ، وَيُقَاتِلُونَهُ أَشَدَّ الْقِتَالِ ﷺ، كُلُّ هَذَا وَهُوَ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ.

إِنَّهُ ﷺ يَصْبِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلِّهِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ يَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ، فَعِلْمُهُ ﷺ بِالْآخِرَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ مِيزَانٍ وَحِسَابٍ وَجَزَاءٍ، وَرَحْمَتُهُ ﷺ بِهِمْ مِنْ أَنْ يُصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ الْأُمَمَ السَّالِفَةَ مِنَ الْهَلَاكِ؛ بِكُفْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي الْآخِرَةِ، هُوَ الَّذِي جَعَلَهُ ﷺ يَصْبِرُ مِنْ أَجْلِ نَجَاتِهِمْ، وَالْفَوْزِ بِالنَّعِيمِ الدَّائِمِ الْمُقِيمِ، وَمَا فِيهِ مِنْ رِضْوَانِ رَبِّهِمْ.

وَفِي صَبْرِهِ ﷺ عَلَىٰ إِيذَائِهِم، رِفْعَةٌ لِكَلِمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِعْلَاءٌ لَهَا، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي تَكَفَّلَ بِحِفْظِهَا وَإِظْهَارِهَا؛ لِيَهْتَدِيَ النَّاسُ بِأَنْوَارِهَا إِلَىٰ يَوْمِ أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[٧]. إِنَّ رِسَالَةَ سَيِّدِ الْأَنَامِ ﷺ، إِنَّمَا جَاءَتْ؛ لِتَدْعُوَ النَّاسَ، فَتُخْرِجَهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الشِّرْكِ إِلَىٰ نُورِ

---

(١) الجاثية الآية (٢٣).
(٢) الأعراف الآية (١٧٩).
(٣) الأنعام الآية (١٢٥).
(٤) الرعد الآية (٢٨).
(٥) الكهف الآية (٦).
(٦) فاطر الآية (٨).
(٧) الفتح الآية (٢٨).

التَّوْحِيدِ، وَمِنْ مَهَاوِي الشَّكِ إِلَىٰ مَرَاقِي الْيَقِينِ، وَمِنْ رَانِ الْغَفْلَةِ وَالْبُعْدِ إِلَىٰ حَظِيرَةِ الْحُبِّ وَالْقُربِ.

۞ جَاءَ ﷺ؛ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الْفُرْقَةِ إِلَىٰ الْجَمَاعَةِ، وَمِنَ الْعَدَاوَةِ إِلَىٰ النَّصِيحَةِ، وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَىٰ الْإِخْلَاصِ، وَمِنَ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا الْقَلِيلِ، إِلَىٰ الرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

۞ وَإِذَا تَأَمَّلْنَا فِي دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسِ، وَمَا فِيهَا مِنَ **الشَّهَادَتَيْنِ**، وَجَدْنَا فِيهَا الْعِزَّ بِاللهِ، وَهِيَ مِفْتَاحُ الدُّخُولِ عَلَىٰ اللهِ بِالتَّسْلِيمِ لِذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَوَجَدْنَا فِيهَا الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ بِحُسْنِ الِاتِّبَاعِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

۞ **أَمَّا الصَّلَاةُ** وَهِيَ عِمَادُ هَذَا الدِّينِ، فَفِيهَا صِلَةُ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، صِلَةُ الْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ، حَيْثُ يَسْجُدُ الْعَبْدُ لِمَنْ دَانَتْ لَهُ الرِّقَابُ سُبْحَانَهُ، وَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ دَاعِيـاً وَمُنَاجِيـاً، فَيَفْتَحُ اللهُ لَهُ بَابَ الْإِجَابَةِ لِدُعَائِه، وَالْأُنْسِ بِهِ سُبْحَانَهُ حَالَ مُنَاجَاتِهِ.

۞ **وَأَمَّا الزَّكَاةُ** فَهِيَ نَشْرُ الْمَحَبَّةِ وَالْعَطْفِ وَالتَّرَاحُمِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالتَّخَلِّي عَنِ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ، وَالتَّحَلِّي بِالسَّخَاءِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ، وفِيهَا يُضَاعِفُ اللهُ لِصَاحِبِهَا الْأَجْرَ؛ الْحَسَنَةَ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعُمِائَةِ ضِعْفٍ، وَيُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا أَنْفَقَهُ مِنْ مَالِهِ فِي الدُّنْيَا بِالْخَيْرِ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1].

۞ **أَمَّا الصِّيَامُ** فَفِيهِ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ؛ حَيْثُ يُمْسِكُ الْمُسْلِمُ عَنْ شَهْوَتَي الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، ويَكُفُّ عَنْ مَعَاصِي اللِّسَانِ، فَيَتَجَمَّلُ بِالْعَفَافِ وَالطُّهْرِ، وَيَتَشَبَّهُ بِأَوْصَافِ الْمَلَائِكَةِ الْأَطْهَارِ، فَيَرْقَىٰ بِصِيَامِهِ حَتَّىٰ يَصِيرَ وَكَأَنَّهُ مَلَكٌ يَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ، يُبَاهِي اللهُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ، وَيَقُولُ: «**يَا مَلَائِكَتِي، أُنْظُرُوا إِلَىٰ عَبْدِي؛ تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَلَذَّتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي**».

۞ **أَمَّا الْحَجُّ** وَهُوَ الرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، فَفِيهِ إِفْرَادُ اللهِ وَحْدَهُ بِالْقَصْدِ دُونَ سِوَاهُ، حَيْثُ يَخْرُجُ الْحَاجُّ مُتَجَرِّداً مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا، مُتَوَجِّهـاً إِلَىٰ رَبِّه، مُلَبِّيـاً لِدَعْوَةِ

---

(١) سبأ الآية (٣٩).

مَوْلَاهُ سُبْحَانَهُ، فَيَلْتَقِي بِإِخْوَانِهِ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، يُؤَدُّونَ مَنَاسِكَ حَجِّهِمْ، وَيَتَعَارَفُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيُعَظِّمُونَ حُرُمَاتِ اللهِ، فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ، وَإِنَّمَا ذِكْرُ اللهِ وَتَعْظِيمٌ لِشَعَائِرِ اللهِ، فَإِذَا فَرَغُوا مِنْ حَجِّهِمْ، رَجَعُوا رَاشِدِينَ إِلَىٰ رِحَالِهِمْ، بَعْدَ أَنْ حَطَّ اللهُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ، مُسْتَبْشِرِينَ بِمَغْفِرَةِ اللهِ لَهُمْ، حَيْثُ رَجَعُوا كَيَوْمِ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ، مُزَوَّدِينَ بِتَقْوَىٰ اللهِ، يَعْلُوهُمُ الْحَنِينُ وَالشَّوْقُ لِلْعَوْدَةِ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ، وَذَلِكَ مِمَّا شَهِدُوهُ مِنْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(١).

۞ هَذِهِ هِيَ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةُ، وَما فِيهَا مِنْ ثَمَرَاتٍ طَيِّبَةٍ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ الْفَضَائِلَ كُلَّهَا فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ، أَلَا وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢). وَقَدْ وَعَدَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ للهِ، وَتَجَمَّلَ بِالْعُبُودِيَّةِ الْخَالِصَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ، فِي الدُّنْيَا هَاهُنَا وَفِي يَوْمِ الْمَآلِ، يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(٣).

۞ وَجَمِيلٌ قَوْلُ الْإِمَامِ (**أَبُو الْعَزَائِمِ**) ﷺ فِي بَيَانِ حِكْمَةِ الْجِهَادِ: «**السَّيْفُ فِي يَدِ الْمُسْلِمِ، كَالْمِشْرَطِ فِي يَدِ الطَّبِيبِ، يَبْتِرُ الْعُضْوَ الْفَاسِدَ؛ لِسَلَامَةِ بَاقِي الْأَعْضَاءِ**». وَلَوْ تُرِكَ ذَلِكَ الْعُضْوُ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ، لَسَرَىٰ الْفَسَادُ إِلَىٰ بَاقِي الْأَعْضَاءِ فَأَفْسَدَ الْجِسْمَ كُلَّهُ.

۞ فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَهُوَ النِّعْمَةُ الْمُسْدَاةُ وَالرَّحْمَةُ الْمُهْدَاهُ ﷺ، فَبِهِ ﷺ هَدَانَا اللهُ لِلْإِسْلَامِ، نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي سَأَلَهُ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنْ يَجْعَلَ عَاقِبَةَ أَمْرِنَا رُشْداً، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ الْبَلَاغُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

(١) آل عمران الآية (٧٤). (٢) النحل الآية (٩٠). (٣) النحل الآية (٩٧)

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

عَظَمَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّأْلِيفِ لِلْإِسْلَامِ

كَانَ مِنْ سُنَّتِهِ ﷺ أَنْ يَتَأَلَّفَ الْوُفُودَ الَّتِي أَتَتْ؛ لِتُبَايِعَهُ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، أَوْ بِالْمَالِ، أَوْ بِسَعَةِ صَدْرِهِ وَكَرَمِ خُلُقِهِ ﷺ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَىٰ لِمَحَبَّتِهِ ﷺ، مِمَّا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، مِنْ بَابِ الْحُبِّ للهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، الْأَمْرُ الَّذِي يُثَبِّتُ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، **وَنَذْكُرُ مِنْهَا الآتِي:**

۞ حِينَ أَتَىٰ وَفْدُ الْيَمَنِ؛ لِيُبَايِعُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ قَالَ ﷺ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، أَضْعَفُ قُلُوبًا، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ)

۞ حِينَ أَسْلَمَ وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ امْتَدَحَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وجَوَّزَهُمْ بِأَحْسَنِ جَوَائِزِهِمْ، وَقَالَ ﷺ فِيهِمْ: «**هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَىٰ الدَّجَّالِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ (رَاوِي الْحَدِيثِ): فَمَا زِلْتُ أُحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مُنْذُ أَنْ سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

۞ حِينَ أَتَىٰ وَفْدُ بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ؛ لِيُبَايِعُوا النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ ﷺ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «**إِنَّ فِيكَ لَخُلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ الْحِلْمَ وَالْأَنَاةَ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما)

۞ وَقَبْلَ مَقْدَمِ بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بَشَّرَ ﷺ بِهِمْ، وقَالَ ﷺ: «**سَيَطْلُعُ مِنْ هَاهُنَا رَكْبٌ هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ**». فَلَمَّا جَاءُوا أَخَذُوا بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَبَّلُوهَا. (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

۞ حِينَ أَتَىٰ وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ؛ لِيُبَايِعُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، أَعْطَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ خَمْسَ أَوَاقٍ مِنْ فِضَّةٍ. (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ)

۞ أَقْطَعَ ﷺ وَفْدَ بَنِي عَقِيلٍ أَرْضًا يُقَالُ لَهَا: (الْعَقِيقُ) فِيهَا نَخِيلٌ وَعُيُونٌ، وَكَتَبَ ﷺ لَهُمْ: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَعْطَىٰ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ لِبَنِي عَقِيلٍ، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ، وَسَمِعُوا وَأَطَاعُوا**». (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ)

۞ لَمَّا أَسْلَمَ قُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ مِنْ وَفْدِ بَنِي قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ، كَسَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بُرْداً، وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

۞ لَمَّا أَتَىٰ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ الْمَدِينَةَ؛ لِيُبَايِعَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ الإِسْلَامِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، أَنْشَدَ يَقُولُ:

إِنَّ النَّبِيَّ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بُرْدَتَهُ.

۞ لَمَّا بَايَعَهُ ﷺ وَفْدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، أَقَامُوا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَيَّامًا، وقَالَ ﷺ لِبِلَالٍ: «**أَجِزْهُمْ كَمَا تُجِيزُ لِلْوَفْدِ**». فَأَعْطَىٰ رضي الله عنه كُلَّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ خَمْسَ أَوَاقٍ مِنْ فِضَّةٍ. (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ)

۞ حِينَ أَتَىٰ وَفْدُ بَنِي فَزَارَةَ؛ لَيَسْأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، سَأَلَهُمْ ﷺ عَنْ بِلَادِهِمْ، فَشَكَوْا أَنَّ الْجَدْبَ عَمَّهُمْ، وَأَنَّ مَوَاشِيَهُمْ قَدْ هَلَكَتْ، وَسَأَلُوهُ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ، فَصَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرَ، وَدَعَا ﷺ لَهُمْ بِدُعَاءِ الِاسْتِسْقَاءِ، فَسُقُوا وَأُمْطِرُوا. (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ)

۞ لَمَّا أَتَىٰ لَهُ ﷺ وَفْدُ النَّجَاشِيِّ؛ لِيُبَايِعَهُ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، قَامَ ﷺ عَلَىٰ خِدْمَتِهِمْ بِنَفْسِهِ، وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهُمْ كَانُوا لِقَوْمِنَا مُكْرِمِينَ**».

۞ لَمَّا أَتَىٰ وَفْدُ بَنِي الأُزْدِ؛ لِيُبَايِعُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، أَثْنَىٰ ﷺ عَلَيْهِمْ، وَبَشَّرَهُمْ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ، كَادُوا مِنْ تَفَقُّهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ**». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ)

۞ لَمَّا بَعَثَتْ بَنُو سَعْدِ بْنُ بَكْرٍ -وَهُمُ الَّذِينَ اسْتُرْضِعَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ- ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ، وَكَانَ جَلْداً أَشْعَرَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَفَ ضِمَامُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَسَأَلَهُ فَأَغْلَظَ فِي الْمَسْأَلَةِ، حَيْثُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَمَّنْ أَرْسَلَهُ؟ وَبِمَ أَرْسَلَهُ؟ وَعَنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُجِيبُهُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ مُسْلِماً، قَدْ خَلَعَ الأَنْدَادَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، فَمَا أَمْسَىٰ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا أَسْلَمَ، وَبَنَوُا الْمَسَاجِدَ، وَأَذَّنُوا إِلَىٰ الصَّلَاةِ. وَكُلُّ هَذَا لِمَا رَآهُ ضِمَامُ مِنْ سَعَةِ صَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَخَفْضِ جَنَاحِهِ ﷺ إِلَيْهِ.

۞ قَدِمَ وَفْدُ طَيِّءٍ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِيُبَايِعُوهُ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، كَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ (زَيْدُ الْخَيْلِ) وَهُوَ سَيِّدُهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَوا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ كَلَّمُوهُ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ الإِسْلَامَ، فَأَسْلَمُوا وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ، وَأَثْنَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ سَيِّدِهِمْ، وَقَالَ ﷺ: «**مَا ذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِفَضْلٍ، ثُمَّ جَاءَنِي، إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا يُقَالُ فِيهِ، إِلَّا زَيْدَ الْخَيْلِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُبْلَغْ كُلُّ مَا كَانَ فِيهِ**»، ثُمَّ سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**زَيْدَ الْخَيْرِ**». يُرِيدُ ﷺ بِذَلِكَ أَنَّ زَيْدَ الْخَيْلِ فَوْقَ مَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ.

۞ لَمَّا أَخْبَرَتْ أُخْتُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَخَاهَا عَدِيًّا بِمَا رَأَتْهُ مِنْ أَوْصَافِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ ﷺ، حَيْثُ مَنَّ ﷺ عَلَيْهَا وَأَطْلَقَ سَرَاحَهَا مِنْ غَيْرِ فِدَاءٍ، الْأَمْرُ الَّذِي دَعَاهَا إِلَىٰ الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَتْ، فَأَتَىٰ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ عَدِيٌّ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ﷺ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنِ الرَّجُلُ**»؟ فَقُلْتُ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ بِي إِلَىٰ بَيْتِهِ ﷺ، وفِي الطَّرِيقِ وَهُوَ عَامِدٌ بِي إِلَىٰ بَيْتِهِ ﷺ، لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ ضَعِيفَةٌ كَبِيرَةٌ، فَاسْتَوْقَفَتْهُ، فَوَقَفَ ﷺ لَهَا طَوِيلاً تُكَلِّمُهُ فِي حَاجَتِهَا. قَالَ عَدِيٌّ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللهِ مَا هَذَا بِمَلِكٍ، قَالَ: ثُمَّ مَضَىٰ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ، تَنَاوَلَ ﷺ وِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوَّةً لِيفًا، فَقَذَفَهَا ﷺ إِلَيَّ، فَقَالَ ﷺ: «**اجْلِسْ عَلَىٰ هَذِهِ**». قُلْتُ: بَلْ أَنْتَ فَاجْلِسْ عَلَيْهَا. فَقَالَ ﷺ: «**بَلْ أَنْتَ**». فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا، وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْأَرْضِ، قَالَ عَدِيٌّ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللهِ مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ. ثُمَّ قَالَ ﷺ لِي: «**يَا عَدِيُّ أَلَمْ تَكُنْ رَكُوسِيًّا**» (أَيْ: عَلَىٰ دِينِ الرَّكُوسِيَّةِ وَهُوَ دِينٌ بَيْنَ دِينِ النَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ) قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَ ﷺ: «**أَوَلَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ بِالْمِرْبَاعِ؟**» (أَيْ: تَسْتَحِلُّ لِنَفْسِكَ رُبُعَ الْغَنَائِمِ) قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَ ﷺ: «**فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ**». قُلْتُ: أَجَلْ وَاللهِ. قَالَ عَدِيٌّ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، يَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**لَعَلَّكَ يَا عَدِيُّ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، مَا تَرَىٰ مِنْ حَاجَتِهِمْ، فَوَاللهِ لَيُوشِكَنَّ الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ، حَتَّىٰ لَا يُوجَدُ مَنْ يَأْخُذُهُ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ، مَا تَرَىٰ مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَوَاللهِ**

لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَىٰ بَعِيرِهَا حَتَّىٰ تَزُورَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ لاَ تَخَافُ. وَلَعَلَّكَ مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ، أَنَّكَ تَرَىٰ أَنَّ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ، وَايْمُ اللهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبِيضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ».

قَالَ عَدِيٌّ: فَأَسْلَمْتُ. وَذَلِكَ لِمَا رَآهُ مِنْ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَكَارِمِ أَخْلاَقِهِ، حَيْثُ أَجْلَسَ ﷺ عَدِيَّ عَلَىٰ الْوِسَادَةِ، وَجَلَسَ هُوَ ﷺ عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَلِمَا حَدَّثَهُ بِهِ ﷺ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ، وَمَا تَنَبَّأَ بِهِ ﷺ مِنَ التَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ لِلْإِسْلَامِ. فَتَأْلِيفُ الْقُلُوبِ وَجَمْعُهَا عَلَىٰ اللهِ، هُوَ سُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي فَطَرَهُ اللهُ عَلَيْهَا.

- كَمَا أَنَّ نُورَ الْبَصِيرَةِ الَّتِي يَنْظُرُ فِيهَا ﷺ بِنُورِ النُّبُوَّةِ إِلَىٰ مَا سَيَكُونُ، هِيَ نِبْرَاسُ الْهُدَىٰ الَّذِي يَهْتَدِي بِهَا مَنْ حَذَا حَذْوَهُ ﷺ، وَسَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِ الْقَوِيمِ ﷺ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(١).

- حِينَ قَدِمَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَائِدٌ مِنْ تَبُوكَ؛ لِيُبَايِعَهُ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، سَأَلَهُ رضي الله عنه أَنْ يَدْعُوَ قَوْمَهُ لِلْإِسْلَامِ عِنْدَمَا يَعُودُ إِلَيْهِمْ، فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ**». وَكَانَ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَرَمَوْهُ بِالنِّبَالِ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ مَثَلَ عُرْوَةَ فِي قَوْمِهِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ يَاسِينَ فِي قَوْمِهِ**». وَهَذِهِ بُشْرَىٰ لِعُرْوَةَ رضي الله عنه، فَإِنَّ صَاحِبَ يَاسِينَ قَالَ تَعَالَىٰ فِيهِ، حِينَ رَجَمَهُ قَوْمُهُ فَقَتَلُوهُ: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾(٢).

- وبَعْدَ أَشْهُرٍ مِنْ مَقْتَلِ عُرْوَةَ رضي الله عنه أَتَىٰ وَفْدُ ثَقِيفَ؛ سِتَّةٌ مِنْ رِجَالِهِمْ عَلَىٰ رَأْسِهِمْ عَبْدُ يَالَيْلَ بْنُ عَمْرٍو؛ لِيُبَايِعُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَأَحْسَنَ ﷺ اسْتِقْبَالَهُمْ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَبَنَىٰ ﷺ لَهُمُ الْخِيَامَ؛ لِيَسْمَعُوا الْقُرْآنَ، وَيَتَعَلَّمُوا تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامَهُ، وَكَانَ أَحْرَصَهُمْ عَلَىٰ التَّفَقُّهِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ رضي الله عنه، الَّذِي أَمَّرَهُ النَّبِيُّ

---

(١) يوسف الآية (١٠٨). (٢) يس الآيتان (٢٦، ٢٧).

ﷺ عليهم؛ رَغْمَ أَنَّهُ ﷺ كانَ أَصْغَرَهُمْ سِناً؛ وَلِكَنَّهُ أَفْقَهُهُمْ، ثُمَّ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ﷺ؛ لِهَدْمِ صَنَمٍ لَهُمُ اسْمُهُ (الطَّاغِيَةُ) فَهَدَمَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[1].

(١) الأنبياء الآية (١٨).


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾
صدق الله العظيم
سورة الإسراء
الآية: ٧٩

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

حَجَّةُ الْوَدَاعِ

خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْحَجِّ

۞ تَجَهَّزَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْخُرُوجِ إِلَىٰ الْحَجِّ، فِي شَهْرِ ذِي الْقِعْدَةِ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْهِجْرَةِ، حَيْثُ أَمَرَ ﷺ النَّاسَ أَنْ يُعِدُّوا عُدَّتَهُمْ لِلْخُرُوجِ لِلْحَجِّ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ ﷺ بِسَرِفَ، أَمَرَ ﷺ النَّاسَ أَنْ يَتَحَلَّلُوا بِعُمْرَةٍ إِلَّا مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ سَاقَ الْهَدْيَ مَعَهُ، ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ حَجِّهِ، فَأَرَىٰ النَّاسَ مَنَاسِكَهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجِّهِمْ، وَقَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَجَّهُ، وَأَعْلَمَهُمْ ﷺ مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي حَجِّهِمْ مِنَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، وَرَمْيِ الْجَمَرَاتِ، وَالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَالسَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَمَا أُحِلَّ لَهُمْ فِي حَجِّهِمْ، وَمَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ؛ لِذَلِكَ كَانَتْ تُسَمَّىٰ حَجَّةَ الْبَلَاغِ، وَسُمِّيَتْ حَجَّةَ الْوَدَاعِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَحُجَّ بَعْدَهَا، وَأَخْبَرَ ﷺ النَّاسَ أَنَّهُ ﷺ لَا يَلْقَاهُمْ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا، وَتُسَمَّىٰ كَذَلِكَ حَجَّةَ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ، فَفِيهَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

۞ وَكَانَ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ يَحُجُّ فِي كُلِّ عَامٍ، أَمَّا بَعْدَ هِجْرَتِهِ ﷺ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَلَمْ يَحُجَّ إِلَّا حَجَّةً وَاحِدَةً هِيَ حَجَّةُ الْوَدَاعِ. وَخَرَجَ مَعَهُ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ كُلُّ نِسَائِهِ، وَخَرَجَتْ فِيهَا السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ رضي الله عنها، وَخَرَجَ فِيهَا سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَادِمًا مِنَ الْيَمَنِ، وَقَدْ أَشْرَكَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهُ فِي هَدْيِهِ، أَمَّا مَنْ خَرَجَ مِنَ النَّاسِ لِلْحَجِّ، فَقَدْ خَرَجَ مَعَهُ أَكْثَرُ مِنْ تِسْعِينَ أَلْفًا، هَذَا بِخِلَافِ أَهْلِ مَكَّةَ وَمَنْ قَدِمُوا مِنَ الْيَمَنِ مُسْلِمِينَ. وَقَدْ كَانَتْ حَجَّةُ الْوَدَاعِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَمَعَ اللهُ فِيهَا عِيدَيْنِ: الْجُمُعَةُ، وَعَرَفَاتٌ.

---

(١) المائدة الآية (٣).

خُطْبَةُ الْوَدَاعِ

۞ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ بِعَرَفَةَ أَمَرَ ﷺ بِنَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ، فَرُحِّلَتْ لَهُ ﷺ، فَأَتَىٰ ﷺ بَطْنَ الْوَادِي (بِعَرَفَةَ)، فَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ.

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ فَقَالَ ﷺ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اِسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي لَا أَدْرِي، لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَداً. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَىٰ أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَقَدْ بَلَّغْتُ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَىٰ مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وَإِنَّ كُلَّ رِباً مَوْضُوعٌ؛ وَلَكِنْ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ، قَضَىٰ اللهُ أَنَّهُ لَا رِباً، وَأَنَّ رِبَا الْعَبَّاسِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، وَأَنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَنَّ أَوَّلَ دِمَائِكُمْ أَضَعُ دَمُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ مُسْتَرْضَعاً فِي بَنِي لَيْثٍ، فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ فَهُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُم هَذِهِ أَبَداً، وَلَكِنَّهُ إِنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ، فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمَّا تُحَقِّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوهُ عَلَىٰ دِينِكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ النَّسِيءَ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً؛ لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ، وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللهُ، وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلْقِ اللهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ «يَعْنِي ﷺ: أَنَّ الْحَجَّ قَدْ عَادَ فِي ذِي الْحِجَّةِ»، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ؛ ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَةٌ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَىٰ وَشَعْبَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ؛ فَإِنَّ لَكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ حَقّاً، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقّاً؛ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَداً تَكْرَهُونَهُ، وَعَلَيْهِنَّ أَلَّا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنِ انْتَهَيْنَ، فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً؛ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ «أَيْ: أَسْرَىٰ» لَا يَمْلِكْنَ

لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئاً، وَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ اللهِ، فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي، فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَداً، أَمْراً بَيِّناً: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اِسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوهُ، تَعْلَمُنَّ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَلَا تَظْلِمُنَّ أَنْفُسَكُمْ. اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

۞ وَكَانَ الَّذِي يُبَلِّغُ عَنْهُ ﷺ بِعَرَفَةَ رَبِيعَةُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ؛ لِكَثْرَةِ النَّاسِ فِي هَذَا الْيَوْمِ.

۞ وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «رَجَبُ مُضَرَ»؛ نِسْبَةً إِلَىٰ قَبِيلَةِ مُضَرَ الَّتِي تَقُولُ: رَجَبُ الَّذِي يَقَعُ بَيْنَ جُمَادَىٰ وَشَعْبَانَ. وَهُوَ ﷺ يَنْفِي مَا كَانَتْ تَقُولُهُ قَبِيلَةُ رَبِيعَةَ: إِنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي يَقَعُ بَيْنَ شَعْبَانَ وَشَوَّالٍ. وَهَذَا خَطَأٌ؛ إِذْ أَنَّ الشَهْرَ الَّذِي يَقَعُ بَيْنَ شَعْبَانَ وَشَوَّالٍ هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَبِذَلِكَ فَإِنَّهُ ﷺ يُؤَكِّدُ مَا قَالَتْهُ مُضَرُ.

۞ وَلَقَدْ جَاءَتْ خُطْبَتُهُ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، بِجَوَامِعِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَمَا فِيهِ مِنْ حُرْمَةِ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَمَانَاتِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ، وَحُرْمَةِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ عِنْدَ اللهِ، وَإِبْطَالِ مَا كَانُوا يَدَّعُونَهُ مِنَ النَّسِيءِ، وَأَوْصَىٰ ﷺ بِالنِّسَاءِ خَيْراً، مُبَيِّناً ﷺ مَا لَهُنَّ وَمَا عَلَيْهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَائِلُنَا عَنْ هَذَا كُلِّهِ، هَلْ أَحْلَلْنَا حَلَالَهُ؟ وَهَلْ حَرَّمْنَا حَرَامَهُ؟ وَسَبِيلُ النَّجَاةِ هُوَ الِاعْتِصَامُ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، ثُمَّ أَكَّدَ ﷺ عَلَىٰ مَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَوَاصِرِ الْأُخُوَّةِ، فَلَا يَحِلُّ لَهُمْ أَنْ يَظْلِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ عَطَاءِ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَفِي ذَلِكَ مَا يَفْتَحُ لَهُمْ طَرِيقَ الْمَحَبَّةِ، فَيُحِبُّ كُلٌّ مِنْهُمْ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ، وَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَمِلُوا بِوَصَايَاهُ ﷺ، أَنْجَزَ اللهُ لَهُمْ وَعْدَهُ بِالْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الدُّنْيَا، وَحُسْنِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ

ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[1]. هَذَا فِي الدُّنْيَا، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ الْجَامِعَةِ لِجَوَامِعِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، فَيَقُولُ ﷺ: «**فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي، فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْتُ**». فَهُوَ ﷺ الْحَرِيصُ عَلَي هِدَايَتِنَا، الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ بِنَا ﷺ، فَالْعَاقِلُ مَنِ اتَّبَعَ سُنَّتَهُ ﷺ، وَسَارَ عَلَىٰ هَدْيِهِ ﷺ، فَهُوَ ﷺ أَوْلَىٰ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، فَجَزَاهُ اللهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَىٰ بِهِ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[3]، ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[4]، ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[5].

وَلَقَدْ كَانَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ يُحَدِّثُ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ عَلَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَقُولُ رضي الله عنه: «**اللَّهُمَّ يَا ذَا الْمُلْكِ الْوَاسِعِ، وَالسُّلْطَانِ الشَّامِخِ، وَالْجُودِ الْبَاذِخِ، وَالْعِزَّةِ الشَّامِلَةِ، وَالْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ، وَالْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ عَوَائِدِ فَضْلِكَ، وَعَوَارِفِ رِزْقِكَ، لَكَ الْحَمْدُ أَنْ جَعَلْتَنَا مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ**».

وَيَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه: كُلُّ نِعْمَةٍ فِي الْوُجُودِ تُحْصَىٰ وَتُعَدُّ، إِلَّا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهُوَ ﷺ النِّعْمَةُ الَّتِي لَا تُحْصَىٰ وَلَا تُعَدُّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[6]. إِنَّهُ ﷺ مِنَّةُ اللهِ الْعُظْمَىٰ الَّتِي تَفَضَّلَ بِهَا عَلَيْنَا، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[7].

إِنَّهُ ﷺ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ: النِّعْمَةُ الْمُسْدَاةُ ﷺ، وَالرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ ﷺ، وَأُمَّتُهُ ﷺ صَارَتْ بِهَدْيِهِ الْقَوِيمِ ﷺ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَأَوَّلَ الْأُمَمِ دُخُولاً الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

---

(١) النور الآية (٥٥).
(٢) السجدة الآية (١٧).
(٣) الفرقان الآية (٥٧).
(٤) الشورىٰ الآية (٢٣).
(٥) الأنعام الآية (٩٠).
(٦) النحل الآية (١٨).
(٧) آل عمران الآية (١٦٤).

وَهِيَ أَبَرُّهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَفَانَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ عِزًّا وَشَرَفًا أَنْ بَشَّرَنَا بِقَوْلِهِ ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَنَدْعُو اللهَ تَعَالَىٰ بِمَا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ، قَابِلِينَ لَهَا، وَأَتْمِمْهَا عَلَيْنَا». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَعَادَ ﷺ بَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَأَقَامَ بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ وَمُحَرَّمَ وَصَفَرَ، ثُمَّ كَانَ لِقَاؤُهُ ﷺ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ فِي ١٢ رَبِيعٍ أَوَّلَ فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشَرَ لِلْهِجْرَةِ وَهُوَ مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِيمَا بَعْدُ.



الْبَابُ الْخَامِسُ

الْكَمَالُ الْخَلْقِيُّ وَالْخُلُقِيُّ لِرَسُولِ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله وسلم

وَيَتَنَاوَلُ هَذَا الْبَابُ الآتِي:

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: الْكَمَالُ الْخَلْقِيُّ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

الْفَصْلُ الثَّانِي: الْكَمَالُ الْخُلُقِيُّ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

وَذَلِكَ عَلَى التَّفْصِيلِ الآتِي:



بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
صدق الله العظيم
سورة القلم
الآية: ٤

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

الْكَمَالُ الْخَلْقِيُّ لِرَسُولِ اللَّـهِ ﷺ

۞ إِنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلىٰ اللهِ هُوَ حَبِيبُهُ الْمُصْطَفَىٰ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، الَّذِي أَبْرَزَهُ لِلْوُجُودِ عَلَىٰ أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَكْمَلِ هَيْئَةٍ ﷺ، مَنْ رَآهُ بَدَاهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مُعَاشَرَةً أَحَبَّهُ ﷺ، إِنَّهُ ﷺ الصُّورَةُ الَّتِي اجْتَمَعَ فِيهَا جَلَالُهُ وَبَهَاؤُهُ وَوَقَارُهُ، فَهُوَ ﷺ الْمُعَظَّمُ فِي الْعُيُونِ وَالصُّدُورِ، مِنْ طَلْعَتِهِ الْبَهِيَّةِ ﷺ تَنْجَلِي الْأَنْوَارُ، وَمِنْ رَائِحَتِهِ الزَّكِيَّةِ ﷺ تَحيَا النُّفُوسُ وَالْأَشْبَاحُ، وَهَذَا فِي أُفُقِهِ الْجَلِيِّ الظَّاهِرِ، فَكَيْفَ بِحَقِيقَتِهِ ﷺ الَّتِي غَابَتْ عَنْ أَعْيُنِ السَّرائِرِ، وَلَقَدْ وَصَفَهُ أَصْحَابُهُ الْغُرُّ الْكِرَامُ بِمِا يَشْرَحُ اللهُ بِهِ صُدُورَنَا، وَيُحْيِي اللهُ بِهِ قُلُوبَنَا، وَذَلِكَ عَلىٰ قَدْرِ مَا رَأَوْا وَشَهِدُوا، **وَهَذَا مَا نُورِدُهُ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْآتِي:**

۞ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ**»، أَيْ: مِثْلَ الشَّمْسِ فِي الْبَهَاءِ وَالْإِشْرَاقِ، وَالْقَمَرِ فِي الِاسْتِدَارَةِ وَالْجَمَالِ، ثُمَ قَالَ رضي الله عنه: «**لَهُوَ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ**»، أَيْ: يَفُوقُ ﷺ الْقَمَرَ بَهَاءً وَجَمَالاً. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «**مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ)

وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّ جَرَيَانَ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا، كَجَرَيَانِ الْحُسْنِ فِي وَجْهِهِ ﷺ.

۞ عَنْ هِنْدِ بْنِ أَبِي هَالَةَ رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا، مُعَظَّمًا فِي الصُّدُورِ وَالْعُيُونِ، يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ تَلَأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمْ)

وعن بصره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم

۞ يَقُولُ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرَىٰ بِاللَّيْلِ فِي الظُّلْمَةِ كَمَا يَرَىٰ بِالنَّهَارِ فِي الضَّوْءِ». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّ رُؤْيَتَهُ ﷺ فِي وَضَحِ النَّهَارِ، كَرُؤْيَتِهِ ﷺ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ.

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَاهُنَا، فَوَاللهِ ما يَخْفَىٰ عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ وَلَا رُكُوعُكُمْ، إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَمِنْ كَمَالِ بَصَرِهِ ﷺ، أَنَّهُ رُفِعَ لَهُ ﷺ النَّجَاشِيُّ حِينَ مَاتَ، فَصَلَّىٰ ﷺ عَلَيْهِ، وَرُفِعَ لَهُ ﷺ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، فَأَخَذَ ﷺ يَصِفُ لِقُرَيْشٍ أَبْوَابَهُ وَشُرَفَاتِهِ، وَهَوَ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنَ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُشْرَبَ الْعَيْنَيْنِ بِحُمْرَةٍ، مَقْرُونَ الْحَاجِبَيْنِ» وَبِهَذَا الْوَصْفِ وَصَفَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ. (كَمَا جَاءَ فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ)

أمَّا عن سمعه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم

۞ فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ يَرَىٰ وَيَسْمَعُ مَا فَوقَ السَّبْعِ الطِّبَاقِ، لِقَوْلِهِ تَعالَىٰ حَالَ الدُّنُوِّ وَالتَّدَلِّي: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[1].

۞ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ؛ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً للهِ».

مَعْنَىٰ: (أَطَّت)، أَيْ: صَاحَتْ مِنِ ازْدِحَامِ الْمَلَائِكَةِ. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

أما عن جبينه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم

۞ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ وَاسِعَ الْجَبِينِ، أَجْلَىٰ الْجَبِينِ، إِذَا طَلَعَ بِوَجْهِهِ ﷺ عَلَىٰ النَّاسِ كَأَنَّهُ ﷺ السِّرَاجُ الْمُتَوَقِّدُ يَتَلَأْلَأُ. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

(١) النجم الآية (١٠).

۞ قَالَ أَبُوْ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: وَجْهُهُ ﷺ أَبْيَضُ، كَأَنَّهُ صُنِعَ مِنْ فِضَّةٍ.

۞ وَوَصَفَهُ ﷺ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا رَجُلٌ حَسَنُ الْجِسْمِ، عَظِيمُ الْجَبْهَةِ، دَقِيقُ الْحَاجِبَيْنِ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

أمَّا عَنْ عُنُقِهِ وَأَنْفِهِ الشَّرِيفِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ فَيَقُولُ أَبُو هَالَةَ بْنُ أَبِي هِنْدٍ: «كَانَ عُنُقُهُ ﷺ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ، وَكَانَ أَعْلَىٰ الْأَنْفِ حَيْثُ يَكُونُ الشَّمَمُ، طَوِيلَ قَصَبَةِ الْأَنْفِ مَعَ اسْتِوَاءِ أَعْلَاهُ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

أمَّا عَنْ رَأسِهِ وَفَمِهِ الشريفِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ «فَقَدْ كَانَ ﷺ عَظِيمَ الْهَامَةِ»، أَيْ: ضَخْمَ الرَّأْسِ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ، وَكَانَ ذَلِكَ عَوْنًا لَهُ ﷺ عَلَىٰ نَيْلِ الْكَمَالَاتِ الَّتِي تَتَنَاسَبُ وَمَقَامَ نُبُوَّتِهِ ﷺ فِي الْمُدْرَكَاتِ. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

وَأما عَنْ فَمِهِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ فَيَقُولُ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ رضي الله عنه: «كَانَ ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ»، أَيْ: وَاسِعَ الْفَمِ مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ.

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاسِعَ الْفَمِ، مُفَلَّجَ الْأَسْنَانِ»، أَيْ: مَتَفَرِّقَهَا.

۞ وَبِهَذَا الْوَصْفِ وَصَفَهُ ﷺ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَقَالَ رضي الله عنه: «كَانَ ﷺ بَرَّاقَ الثَّنَايَا».

۞ وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «كَانَ ﷺ أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ»، أَيْ: بَعِيدَ مَا بَيْنَ الثَّنَايَاتِ وَالرُّبَاعِيَّاتِ، وَقَالَ رضي الله عنهما: «إِذَا تَكَلَّمَ ﷺ رُؤِيَ النُّورُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ ﷺ».
(رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ)

أمَّا عَنْ عِظَامِهِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ. وَبِهَذَا الْوَصْفِ، وَصَفَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ)

۞ وَعَنْ أَبِي قِرْصَافَةَ قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَا وَأُمِّي وَخَالَتِي، فَلَمَّا رَجَعْنَا قَالَتْ أُمِّي

وَخَالَتِي: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ خَلْقًا وَخُلُقًا، لا أَحْسَنَ وَجْهًا وَلا أَنْقَىٰ ثَوْبًا، وَلا أَلْيَنَ كَلامًا، وَرَأَيْنَا كَأَنَّ النُّورَ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ» ﷺ.

أما عن ريقه صلى الله عليه وآله وسلم

فَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، أَنَّهُ: «**لَمَّا أَرْمَدَ فِي يَوْمِ خَيْبَرَ، بَصَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، فَرَجَعَتْ أَحَدَّ مِمَّا كَانَتْ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه: «**أَنَّ امْرَأَةً بَذِيئَةَ اللِّسَانِ أَتَتْهُ وَهُوَ ﷺ يَأْكُلُ، فَقَالَتْ: أَلا تُطْعِمُنِي، فَنَاوَلَهَا ﷺ مِنْ يَدَيْهِ، فَقَالَتْ: لا ....، الَّذِي مِنْ فِيكَ، فَأَخْرَجَهُ ﷺ فَأَعْطَاهَا، فَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ شَيْءٌ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَذَاءَةِ**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

وَكَانَ ذَلِكَ بِبَرَكَةِ رِيقِهِ ﷺ.

أما عن فصاحة لسانه صلى الله عليه وآله وسلم

كَانَ ﷺ أَفْصَحَ خَلْقِ اللهِ كَلامًا، وَأَعْظَمَهُمْ نِظَامًا، وأَسْرَعَهُمْ أَدَاءً ﷺ، حَتَّىٰ أَنَّ كَلامَهُ ﷺ لَيَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ، وَأَفْصَحَ خَلْقِ اللهِ إِذَا لَفَظَ، وَأَنْصَحَهُمْ إِذَا وَعَظَ ﷺ، وَكَانَ ﷺ أَحْكَمَ الْخَلْقِ جَنَانًا، وَأَوْضَحَهُمْ بَيَانًا ﷺ.

عَنْ بُرَيْدَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَا لَكَ أَفْصَحُنَا، وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا؟ فَقَالَ ﷺ: «**كَانَتْ لُغَةُ جَدِّي إِسْمَاعِيلَ قَدْ دَرَسَتْ، فَجَاءَنِي بِهَا جِبْرِيلُ فَحَفِظْتُهَا**».
(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو نُعَيْمٍ)

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعِيدُ الْكَلِمَةَ ثَلاثًا؛ حَتَّىٰ تُعْقَلَ عَنْهُ**».
(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمْ)

وَعَنْ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: قَدِمَ بَنُو نَهْدٍ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَلَّمَهُمْ ﷺ بِلُغَتِهِمْ. فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، نَحْنُ بَنُو أَبٍ وَاحِدٍ، وَنَشَأْنَا فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّكَ لَتُكَلِّمُ الْعَرَبَ بِلِسَانٍ مَا نَعْرِفُ أَكْثَرَهُ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَدَّبَنِي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ**».
(رَوَاهُ الْعَسْكَرِيُّ فِي الأَمْثَالِ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﵁: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ طُفْتُ فِي الْعَرَبِ، وَسَمِعْتُ فُصَحَاءَهُمْ، فَمَا سَمِعْتُ أَفْصَحَ مِنْكَ، فَقَالَ ﷺ: «**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ**». (رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ)

فَكَانَ ﷺ يُكَلِّمُ كُلَّ قَبِيلَةٍ بِمَا تَعْرِفُهُ.

۞ وَمِنْ كَلَامِهِ ﷺ الْمُوجَزِ الْبَدِيعِ، مَا سَاقَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ كَصَاحِبِ الْمَوَاهِبِ، وَصَاحِبِ كِتَابِ الشِّفَا، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اَلْخُلُقُ الْحَسَنُ يُذِيبُ الْخَطَايَا، كَمَا يُذِيبُ الْمَاءُ الْجَلِيدَ، وَالْخُلُقُ السَّيِّئُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الشِّتَاءُ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ؛ قَصُرَ نَهَارُهُ فَصَامَهُ، وَطَالَ لَيْلُهُ فَقَامَهُ**». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

۞ عَنْ جَابِرٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اَلْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدْ، وَكَنْزٌ لَا يَفْنَىٰ**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﵄، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اَلِاقْتِصَادُ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ، وَالتَّوَدُّدُ إِلَىٰ النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ نِصْفُ الدِّينِ**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلَا حُسْنَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ**». (رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ)

۞ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّىٰ يَعْمَلَهُ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ؛ فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ﵄، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَاهَا خَمِيصَةً، وَقَالَ ﷺ لَهَا: «سَنَاهُ سَنَاهُ»، أَيْ: حَسَنَةٌ حَسَنَةٌ. بِلُغَةِ الْحَبَشَةِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَكَانَتْ أُمُّ خَالِدٍ وُلِدَتْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَتَرَبَّتْ بِهَا، وَتَعَلَّمَتْ شَيْئًا مِنْ كَلَامِ أَهْلِهَا.

۞ وَقَالَ ﷺ فِي عَلَامَاتِ السَّاعَةِ: «وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»، أَيْ: الْقَتْلُ، بِلُغَةِ الْحَبَشَةِ.

۞ وَحِينَ صَنَعَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه طَعَامًا، وَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، قَالَ ﷺ: «إِنَّ جَابِرَ صَنَعَ لَكُمْ سُورًا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَالسُّورُ هُوَ الطَّعَامُ الَّذِي يُدْعَىٰ إِلَيْهِ الضَّيْفُ.

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ أَصَابَهُ مَرَضٌ فِي بَطْنِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَشَكِمْتَ دَرْدَ»، وَمَعْنَاهُ بِالْفَارِسِيَّةِ، أَيْ: هَلْ بِبَطْنِكَ وَجَعٌ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ ﷺ: «قُمْ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ شِفَاءٌ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

وَهَذَا مِنْ بَابِ الْمُطَايَبَةِ لِأَبِي هُرَيْرَة الَّذِي يَزِيدُ فِي الْمَحَبَّةِ.

صَوْتُهُ الشَّرِيفُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا بَعَثَهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ، حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّكُمْ حَسَنَ الصَّوْتِ -ﷺ-.

۞ وَعَنِ الْبَرَاءِ بنْ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعِشَاءِ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾(1)، فَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتًا أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا تَكَلَّمَ رُؤِيَ كَأَنَّ النُّورَ يَخْرُجُ مِنْ ثَنَايَاهُ، وَكَانَ صَوْتُهُ ﷺ يَبْلُغُ حَيْثُ لَا يَبْلُغُهُ صَوْتُ غَيْرِهِ، وَكَانَ ضَحِكُهُ ﷺ تَبَسُّمًا يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ، كَأَنَّهُ الْبَرَدُ فِي الصَّفَا وَالْبَيَاضِ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ)

بُكَاؤُهُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ كَانَتْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ ﷺ حَتَّىٰ تَهْمُلَا، وَيُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ، يَبْكِي رَحْمَةً لِمَيِّتٍ، وَخَوْفًا عَلَىٰ أُمَّتِهِ ﷺ، وَشَفَقَةً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ، وَمَا تَثَاءَبَ ﷺ قَطُّ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

(1) التين الآية (1).

يَدُهُ الشَّرِيفَةُ ﷺ

۞ كَانَ ﷺ قَوِيَ الذِّرَاعَيْنِ، رَحْبَ الْكَفَّيْنِ.

۞ قَالَ سَيِّدُنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «**مَا مَسَسْتُ حَرِيراً وَلَا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا شَمَمْتُ رِيحًا أَوْ عَرَقًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: «**حِينَ اشْتَكَيْتُ مِنْ مَرَضِي فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، عَادَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَضَعَ ﷺ يَدَهُ عَلَي جَبْهَتِي، فَمَسَحَ ﷺ وَجْهِي وَصَدْرِي وَبَطْنِي، فَمَا زِلْتُ يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنِّي أَجِدُ بَرْدَ يَدِهِ ﷺ عَلَىٰ كَبِدِي حَتَّىٰ السَّاعَةِ**».

بَيَاضُ إِبِطِهِ ﷺ

۞ اَلْإِبِطُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ، إِلَّا إِبْطَهُ ﷺ.

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: «**كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَىٰ عَفْرَةِ إِبِطَيْهِ**» ﷺ، وَ(الْعَفْرَةُ) هِيَ: الْبَيَاضُ الَّذِي لَيْسَ بِنَاصِعٍ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَعَاهَدُ مَا تَحْتَ إِبِطَيْهِ، فَلَا يُبْقِي فِيهِ شَعْرَةً» ﷺ.

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، حَتَّىٰ يُرَىٰ بَيَاضُ إِبِطَيْهِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

بَطْنُهُ وَصَدْرُهُ الشَّرِيفُ ﷺ

۞ كَانَ ﷺ مُفَاضَ الْبَطْنِ، أَيْ: مُسْتَوِي الْبَطْنِ مَعَ الصَّدْرِ، عَظِيمَ مُشَاشِ الْمَنْكِبَيْنِ، أَيْ: رُءُوسَ الْعِظَامِ. وَقَدِ اعْتَمَرَ ﷺ لَيْلاً مِنَ الْجُعْرَانَةِ، فَنَظَرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ إِلَىٰ ظَهْرِهِ ﷺ كَأَنَّهُ سَبِيكَةٌ مِنْ فِضَّةٍ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رضي الله عنه: «**كَانَ ﷺ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، عَرِيضَ الصَّدْرِ**».

قَلْبُهُ الشَّرِيفُ ﷺ

۞ فَقَدْ تَحَقَّقَ قَلْبُهُ ﷺ بِسِرِّ اللهِ الَّذِي أَوْدَعَهُ فِيهِ، حَتَّىٰ اتَّسَعَتْ أَخْلَاقُهُ ﷺ لِجَمِيعِ خَلْقِ اللهِ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ: «**مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي؛ وَلَكِنْ وَسِعَنِي قَلْبُ**

عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ».

۞ فَقَلْبُهُ ﷺ اطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِذَا لَيْسَ فِي الْقُلُوبِ أَوْسَعُ مِنْ قَلْبِهِ ﷺ، وَأَحْوَالُهُ وَأَخْلَاقُهُ الْعَظِيمَةُ ﷺ إِنَّمَا هِيَ آيَاتٌ عَلَىٰ سِرِّ قَلْبِهِ الطَّاهِرِ الطُّهْرِ الْمُطَهَّرِ ﷺ، فَهُوَ ﷺ أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ بِصُورَتِهِ النُّورَانِيَّةِ، وَآخِرُهُمْ ظُهُوراً فِي صُورَتِهِ الْآدَمِيَّةِ.

لِحْيَتُهُ الشَّرِيفَةُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ كَانَ ﷺ أَسْوَدَ اللِّحْيَةِ، وَفِي لِحْيَتِهِ ﷺ بَعْضُ شَعَرَاتٍ بِيضٍ لَا تَزِيدُ عَنْ عِشْرِينَ شَعْرَةً. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

قَدَمُهُ الشَّرِيفُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ كَانَ ﷺ شَثْنَ الْقَدَمَيْنِ، أَيْ: غَلِيظَ أَصَابِعِهِمَا، مَعَ غَايَةِ النُّعُومَةِ، وَكَانَتْ سَبَّابَةُ قَدَمِهِ ﷺ أَطْوَلَ مِنَ الْوُسْطَىٰ. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

طُولُهُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ لَا هُوَ بِالطَّوِيلِ وَلَا هُوَ بِالْقَصِيرِ ﷺ، وَلَكِنَّهُ ﷺ إِلَىٰ الطُّولِ أَقْرَبُ، قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: **لَمْ يَكُنْ يُمَاشِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُنْسَبُ إِلَىٰ الطُّولِ إِلَّا طَالَهُ** ﷺ، **وَلَرُبَّمَا اكْتَنَفَ الرَّجُلَيْنِ الطَّوِيلَيْنِ فَيَطُولُهُمَا** ﷺ، (أَيْ: يَزِيدُ ﷺ عَلَيْهِمَا طُولاً)، وَهَذَا إِكْرَامٌ مِنَ اللهِ لَهُ ﷺ؛ حَتَّىٰ لَا يَزِيدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﷺ.

شَعْرُهُ الشَّرِيفُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**كَانَ شَعْرُهُ ﷺ رَجِلاً؛ لَيْسَ بِالسَّبْطِ وَلَا الْجَعْدِ، وَكَانَ يَضْرِبُ شَعْرُهُ مَنْكِبَيْهِ** ﷺ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّ شَعْرَهُ ﷺ كَانَ مُسْتَرْسِلاً؛ لَا نِهَايَةَ فِي الْجُعُودَةِ، وَلَا نِهَايَةَ فِي التَّثْنِيَةِ.

مَشْيُهُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ فَقَدْ وَصَفَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مَشْيَهُ ﷺ، فَقَالَ رضي الله عنه: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ **إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ**، (أَيْ: تَمَايَلَ ﷺ إِلَىٰ الْأَمَامِ)، **كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ**»، أَيْ: كَأَنَّمَا يَنْزِلُ مِنْ

مَوْضِعٍ مُنْحَدِرٍ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا وَطِئَ بِقَدَمِهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا، وَإِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ، فَكَانَ ﷺ يَمْشِي عَلَىٰ هَيْنَتِهِ، وَنَقْطَعُ نَحْنُ مَا نَقْطَعُ بِالْجَهْدِ مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ مِنْهُ ﷺ، يَمْشِي ﷺ مَعَ سَكِينَتِهِ وَتَأَنِّيهِ، وَلَكِنْ وَكَأَنَّ الْأَرْضَ تُطْوَىٰ لَهُ» ﷺ.

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ)

۞ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: كَانَ أَصْحَابُهُ ﷺ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ ﷺ خَلْفَهُمْ، وَيَقُولُ: «**خَلُّوا ظَهْرِي لِلْمَلَائِكَةِ**». «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ﷺ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ نُوراً، وَالنُّورُ لَا ظِلَّ لَهُ.

۞ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**لَمْ يَقُمْ ﷺ مَعَ الشَّمْسِ قَطُّ، إِلَّا غَلَبَ ضَوْؤُهُ ﷺ ضَوْءَ الشَّمْسِ، وَلَمْ يَقُمْ ﷺ مَعَ سِرَاجٍ قَطُّ، إِلَّا غَلَبَ ضَوْؤُهُ ﷺ ضَوْءَ السِّرَاجِ**».

لَوْنُهُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ وَصَفَهُ ﷺ جُمْهُورُ الصَّحَابَةِ بِالْبَيَاضِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «**كَانَ ﷺ أَبْيَضَ اللَّوْنِ، كَأَنَّمَا صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ**».

۞ وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: «**كَانَ ﷺ أَبْيَضَ مُشْرَبًا بِحُمْرَةٍ**»، أَيْ: أَزْهَرَ اللَّوْنِ ﷺ.

۞ وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رحمه الله: جُمْلَةُ الْأَحَادِيثِ تَقُولُ: «**إِنَّهُ ﷺ لَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الشَّدِيدِ الْبَيَاضِ، وَلَا بِالْآدَمِ الشَّدِيدِ الْأُدْمَةِ، وَإِنَّمَا يُخَالِطُ بَيَاضُهُ ﷺ حُمْرَةً**».

طِيبُ رِيحِهِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ كَانَتِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ صِفَتَهُ ﷺ، وَإِنْ لَمْ يَمَسَّ ﷺ طِيبًا، قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: «**مَا شَمَمْتُ رِيحًا قَطُّ وَلَا مِسْكًا وَلَا عَنْبَراً أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَقَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: «**لَمْ يَكُنْ ﷺ يَمُرُّ فِي طَرِيقٍ، فَيَتْبَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا عَرَفَ أَنَّهُ ﷺ سَلَكَهُ؛ مِنْ طِيبِ عَرَقِهِ**» ﷺ.

۞ وَرَوَىٰ أَنَسٌ رضي الله عنه، أَنَّ السَّيِّدَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ رضي الله عنها، جَمَعَتْ عَرَقَهُ ﷺ مِنْ فِرَاشِهِ ﷺ فِي

قَوَارِيرِهَا، فَقَالَ ﷺ لَهَا: مَا تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ ﷺ يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِ الصَّبِي، فَيُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ الصِّبْيَانِ بِرِيحِهِ».

كُحْلُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَكْتَحِلُ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ بِالْإِثْمِدِ ثَلَاثًا فِي كُلِّ عَيْنٍ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ)

ثِيَابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ كَانَ ﷺ يُحِبُّ مِنَ الثِّيَابِ الْبِيضَ، وَيُوصِي ﷺ بِهَا، لِمَا رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْبَيَاضِ مِنَ الثِّيَابِ، لِيَلْبَسْهَا أَحْيَاؤُكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خِيَارِ ثِيَابِكُمْ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه)

۞ وَقَدْ لَبِسَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الثِّيَابِ كُلَّ أَلْوَانِهَا، وَلَكِنْ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَيْهِ ﷺ الْبِيضُ كَمَا تَقَدَّمَ.

خُفُّهُ وَنَعْلُهُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: «أَهْدَىٰ النَّجَاشِيُّ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُفَّيْنِ أَسْوَدَيْنِ، فَلَبِسَهُمَا ﷺ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَلْبَسُ النِّعَالَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ، وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهُمَا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَمْشِيَنَّ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيُنْعِلْهُمَا جَمِيعاً، أَوْ لِيُحْفِهِمَا جَمِيعاً». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، فَلْتَكُنِ الْيُمْنَىٰ أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي طُهُورِهِ إِذَا تَطَهَّرَ،

وَفِي تَرَجُّلِهِ إِذَا تَرَجَّلَ، وَفِي انْتِعَالِهِ إِذَا انْتَعَلَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَمَعْنَىٰ: (تَرَجُّلِهِ) ﷺ، أَيْ: تَسْرِيحِ شَعْرِ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ﷺ، وَدَهَانِهِ ﷺ بِالدُّهْنِ.

فِرَاشُهُ صلى الله عليه وآله وسلم

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَكَانَ يُثْنَىٰ لَهُ ﷺ فِرَاشُهُ ثَنِيَّتَانِ، وَلَا يُحِبُّ ﷺ أَنْ يَزِيدَ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَعَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا ثَنِيَتْ فِرَاشَهُ ﷺ أَرْبَعًا؛ لِيَكُونَ أَوْطَأَ لَهُ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «رُدُّوهُ لِحَالَتِهِ الْأُولَىٰ؛ فَإِنَّهُ مَنَعَتْنِي وَطَاءَتُهُ صَلَاتِي اللَّيْلَةَ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ)

خَاتَمُ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ فَضَّةٍ، وَفَصُّهُ مِنْهُ، وَكَانَ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ نَزَعَ خَاتَمَهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ)

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ إِلَىٰ الْعَجَمِ، قِيلَ لَهُ: إِنَّ الْعَجَمَ لَا يَقْبَلُونَ إِلَّا كِتَابًا عَلَيْهِ خَاتَمٌ، فَاصْطَنَعَ ﷺ خَاتَمًا، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ بَيَاضِهِ فِي كَفِّهِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «كَانَ نَقْشُ خَاتَمِ النَّبِيِّ ﷺ (مُحَمَّدٌ) سَطْرٌ، وَ(رَسُولُ) سَطْرٌ، وَ(اللهُ) سَطْرٌ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

خَاتَمُ النُّبُوَّةِ: هُوَ غُدَّةٌ حَمْرَاءُ مِثْلُ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ، وَحَوْلَهَا شَعَرَاتٌ مُتَرَكِّبَاتٌ كَأَنَّهَا عُرْفُ الْفَرَسِ، تَقَعُ بَيْنَ كَتِفَيِ النَّبِيِّ ﷺ. (الْخَصَائِصُ الْكُبْرَىٰ لِلسُّيُوطِيِّ)

نُورُهُ صلى الله عليه وآله وسلم

وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنَّهُ نُورٌ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾(1). فَالنُّورُ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا

---

(1) المائدة الآية (١٥).

مُّنِيرًا ﴾[1]. فَالسِّرَاجُ هُوَ مَا يُسْرِجُ غَيْرَهُ، وَيُمِدُّهُ بِالنُّورِ.

۞ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: **أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْمًا أَنْ آتِيَهُ بِبُرْدَتِهِ، فَسَقَطَ مِنِّي الْمِخْيَطُ، وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ مُظْلِمَةً، وَبَحَثْتُ عَنْهُ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم الْحُجْرَةَ، فَامْتَلأَتْ نُورًا؛ وَوَجَدْتُ الْمِخْيَطَ.** (رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ)

---

(١) الأحزاب الآية (٤٥-٤٦)

الْفَصْلُ الثَّانِي

الْكَمَالُ الْخُلُقِيُّ لِرَسُولِ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله وسلم

رَحْمَتُهُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ لَقَدْ جَمَعَ اللهُ لِحَبِيبِهِ صلى الله عليه وآله وسلم كُلَّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، الَّتِي تَتَنَاسَبُ وَجَاهَهُ الْعَظِيمَ صلى الله عليه وآله وسلم عِنْدَ اللهِ، هَذَا الَّذِي لَا يُحِيطُ بِهِ فِكْرٌ؛ لِأَنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم فَوْقَ الْعُقُولِ مَكَانَةً، وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّ خُلُقًا وَاحِداً مِنْ أَخْلَاقِهِ الزَّكِيَّةِ صلى الله عليه وآله وسلم قَدْ عَمَّ الْعَوَالِمَ كُلَّهَا، أَلَا وَهُوَ الرَّحْمَةُ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

۞ فَمَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ إِلَّا وَنَالَ مِنْ رَحْمَتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم؛ فَهُوَ صلى الله عليه وآله وسلم رَحْمَةٌ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ، بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَمِنَ الشَّقَاوَةِ إِلَىٰ السَّعَادَةِ، إِنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم النُّورُ الَّذِي لَا يَخْبُو ضِيَاؤُهُ، وَالسَّعَادَةُ الَّتِي لَا انْقِضَاءَ لَهَا؛ لِأَنَّهَا تَصْحَبُ الْإِنْسَانَ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[2].

۞ فَلَوْلَاهُ صلى الله عليه وآله وسلم لَتَخَبَّطَ النَّاسُ فِي ضَلَالَةٍ عَمْيَاءَ، وَظُلُمَاتٍ بَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَهَكَذَا الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْجِنِّ، بَلْ هُوَ صلى الله عليه وآله وسلم رَحْمَةٌ لِلْمَلَائِكَةِ، بِمَا أَنْزَلَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴾[3]، فَأَثْنَىٰ عز وجل عَلَيْهِمْ هُنَا بِالْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَالْبِرِّ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ، فَهُمُوا الَّذِينَ: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[4]، حَالُهُمُ التَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّقْدِيسُ للهِ عز وجل: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾[5].

۞ وَأَثْنَىٰ كَذَلِكَ عز وجل عَلَىٰ حَمَلَةِ الْعَرْشِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، حَيْثُ وَصَفَهُمْ بِالْإِيمَانِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾[6].

---

(١) الأنبياء الآية (١٠٧).
(٢) إبراهيم الآية (١).
(٣) عبس الآيتان (١٥-١٦).
(٤) التحريم الآية (٦).
(٥) الأنبياء الآية (٢٠).
(٦) غافر الآية (٧).

۞ وَالرَّهْبَةِ مِنْ جَنَابِهِ الْعَلِيِّ سُبْحَانَهُ، فَأَصْبَحُوا بِهَذِهِ الْبَشَائِرِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ فِي شَأْنِهِمْ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ بَيْنَ رُغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، وَمَحَبَّةٍ وَخَشْيَةٍ، وَرَجَاءٍ وَخَوْفٍ.

۞ أَمَّا فِي عَالَمِ الْأَرْضِ الَّذِي يَضُمُّ الْحَيَوَانَ وَالطَّيْرَ وَالنَّبَاتَ وَالْجَمَادَ، فَهُوَ ﷺ رَحْمَةٌ بِكُلِّ هَذِهِ الْعَوَالِمِ.

۞ فَأَمَّا عَنْ رَحْمَتِهِ ﷺ بِالْحَيَوَانِ وَالطَّيْرِ، فَقَدْ نَهَىٰ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ، أَيْ: تُحْبَسَ وَتُتَّخَذَ غَرَضًا لِلرَّمْيِ، وَهَذَا مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «**نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُصْبَرَ بَهِيمَةٌ أَوْ غَيْرُهَا لِلْقَتْلِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ ومَرَّ عَبْدُ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، بِفِتْيَةٍ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا، فَلَمَّا رَأَوْهُ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ رضي الله عنهما: «مَنْ فَعَلَ بِهَذَا هَذَا؟!، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ هَذَا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا فِيهِ جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَىٰ الْجَمَلُ النَّبِيَّ ﷺ، حَنَّ إِلَيْهِ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ**»، فَجَاءَ فَتَىٰ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ لِي، فَقَالَ ﷺ: «**أَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؛ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**»، أَيْ: تُحَمِّلُهُ مَا لَا يَطِيقُ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي سَفَرٍ، فَأَتَىٰ طَائِرٌ يُعَرِّشُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ؛ يَشْكُو لَهُ ﷺ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِهِ أَخَذُوا فَرْخَهُ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «**أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ فِي وَلَدِهَا، رُدُّوا عَلَيْهَا وَلَدَهَا**». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ)

۞ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ، حَبَسَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ هِيَ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَفِي رَحْمَتِهِ ﷺ بِالْحَيَوَانِ

يَقُولُ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ الثَّرَى؛ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ بِهَذَا الْكَلْبِ مِثْلَ مَا بَلَغَ بِي. فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟! قَالَ ﷺ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطِبَةٍ حَيَّةٍ أَجْرٌ».

وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْمُثْلَةِ، وَقَالَ ﷺ: «لَا تُمَثِّلُوا، وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ».

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ وَأَنَا أَرْحَمُهَا، فَقَالَ ﷺ: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا يَرْحَمْكَ اللهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ)

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ وَاضِعٍ رِجْلَهُ عَلَى صَفْحَةِ شَاةٍ، وَهُوَ يَحُدُّ شَفْرَتَهُ، وَهِيَ تَلْحَظُ إِلَيْهِ بِبَصَرِهَا، فَقَالَ ﷺ: «أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَتَيْنِ؟».
(رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

وَنَهَى ﷺ عَنِ التَّعْذِيبِ بِالنَّارِ، وَقَالَ ﷺ: «لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ».
(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَرَرْنَا بِقَرْيَةِ نَمْلٍ قَدْ أُحْرِقَتْ، فَغَضِبَ ﷺ وَقَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يُعَذِّبَ بِعَذَابِ اللهِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

وَأَمَّا عَنْ رَحْمَتِهِ ﷺ بِالنَّبَاتِ

فَقَدْ دَعَانَا ﷺ إِلَى الْعِنَايَةِ بِهَا، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ فِي سُقْيَاهَا أَجْرًا، وَفِي ظِلِّهَا أَجْرًا، وَفِي ثَمَرِهَا أَجْرًا».

أَمَّا عَنْ رَحْمَتِهِ ﷺ بِالْجَمَادِ

فَقَدْ رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ اتَّخَذُوا لَهُ ﷺ مِنْبَرًا، فَحَنَّ الْجِذْعُ إِلَيْهِ ﷺ، وَسُمِعَ لِلْجِذْعِ أَنِينٌ كَأَنِينِ النَّاقَةِ الْعَشْرَاءِ،

فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَنَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَفِي رَحْمَتِهِ ﷺ بِالْجَمَادِ، يَرْوِي سَهَلُ بْنُ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَفِي رَحْمَتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْإِنْسَانِ

۞ نَرَىٰ رَحْمَتَهُ ﷺ قَدْ شَمِلَتِ الْأَعْدَاءَ، فَعَنْ سَهَلِ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ ﷺ: «**أَلَيْسَتْ نَفْسًا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ غُلَامًا يَهُودِيًا كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ ﷺ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ ﷺ لَهُ: «أَسْلِمْ، فَنَظَرَ الْغُلَامُ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهُوَ ﷺ عِنْدَهُ، فَقَالَ أَبُوهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ. فَأَسْلَمَ الْغُلَامُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَنِي نَسَمَةً مِنَ النَّارِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ كَذَلِكَ تَرَىٰ رَحْمَتَهُ ﷺ قَدْ شَمِلَتِ الْأَعْدَاءَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، حِينَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1]. قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَمَّا نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ، قَالَ ﷺ: «**فَوَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ**» فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[2].

۞ وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **إِنَّمَا خَيَّرَنِي رَبِّي فَقَالَ**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾، **وَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ**، فَصَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، وَكَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه يَأْخُذُ بِثَوْبِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَنْهَاهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ. حَتَّىٰ نَزَلَتِ الْآيَةُ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾، فَمَا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَهُ عَلَىٰ مُنَافِقٍ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَيُبَيِّنُ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ سَعَةَ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ، فِيمَا يَرْوِيهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ:

---

(١) التوبة الآية (٨٠). (٢) التوبة الآية (٨٤).

قَدِمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ فِي السَّبْيِ قَدْ تَحْلِبُ ثَدْيَهَا، إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، فَأَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**»، قُلْنَا: لَا، وَهَلْ تَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ تَطْرَحَهُ؟ فَقَالَ ﷺ: «**اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ عَلَىٰ وَلَدِهَا**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَيُبَشِّرُ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ رُزِقَ بِالْبَنَاتِ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، فَتَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: جَاءَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَفِي رَحْمَتِهِ ﷺ بِالْأَوْلَادِ عَامَّةً، يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْأَوْلَادِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رضي الله عنهما: «**هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَدَهُ إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَهُوَ ﷺ يَرْفَعُ مِنْ شَأْنِ الْإِنْسَانِ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ مَمْلُوكًا، فَيَقُولُ ﷺ: «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَوْ أَمَتِي. وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَيَقُولُ ﷺ: «**مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكًا أَوْ ضَرَبَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَيُرَغِّبُ ﷺ فِي الْإِحْسَانِ إِلَىٰ الضَّعِيفِ، فَيَقُولُ ﷺ: «**السَّاعِي عَلَىٰ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ كَالْقَائِمِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**ابْغُونِي فِي الضُّعَفَاءِ، فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ)

۞ وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْمُسْلِمِ حُرْمَةً فِي دَمِهِ وَمَالِهِ وَعِرْضِهِ، فَنَهَىٰ ﷺ عَنْ سِبَابِهِ وَقِتَالِهِ، فَقَالَ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً».

(رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والطَّبَرَانِيُّ وَالْبَزَّارُ)

۞ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ أَخُ الْمُسْلِمِ، وَأَخُوكَ هُوَ أَنْتَ، هَكَذَا أَنْزَلَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾(١). فَأَنْزَلَ الْمُؤْمِنَ بِالنِّسْبَةِ لِأَخِيهِ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ كُلّاً مِنْهُمَا أَخٌ لِصَاحِبِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٢).

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَا إِلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ الَّذِي عَمَّتْ رَحْمَتُهُ الْوُجُودَ، وَأَصَابَ مِنْهَا كُلُّ مَوْجُودٍ. وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَفَاؤُهُ ﷺ

۞ الْوَفَاءُ صِفَةٌ تَحَلَّىٰ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَخُلُقٌ كَرِيمٌ مِنْ أَخْلَاقِهِ الزَّكِيَّةِ ﷺ، الَّتِي طَابَتْ بِهَا سِيرَتُهُ الْعَطِرَةُ ﷺ.

۞ فَمِنْ وَفَائِهِ ﷺ بِالسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﵂: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا، وَيُثْنِي ﷺ عَلَيْهَا بِالْخَيْرِ كُلَّ الْخَيْرِ، حَتَّىٰ غَارَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ﵂ وَقَالَتْ: هَلْ كَانَتْ إِلَّا عَجُوزاً أَبْدَلَكَ اللهُ خَيْراً مِنْهَا؟ فَغَضِبَ ﷺ، وَقَالَ: «لَا وَاللهِ، مَا أَبْدَلَنِي اللهُ خَيْراً مِنْهَا؛ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ مِنْهَا الْوَلَدَ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَمِنْ وَفَائِهِ ﷺ كَذَلِكَ بِالسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﵂: مَا رَوَتْهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ﵂، قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَحْسَنَ ﷺ اسْتِقْبَالَهَا، وَأَمَرَ ﷺ لَهَا بِأَرْبَعِينَ شَاةً، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ كَرَمَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ)

۞ وَكَانَ ﷺ يَذْبَحُ الشَّاةَ، وَيُهْدِي بِبَعْضِهَا صَدِيقَاتِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﵂. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَمِنْ وَفَائِهِ ﷺ، أَنَّ مُرْضِعَتَهُ السَّيِّدَةَ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةَ ﵂، أَتَتْ إِلَيْهِ ﷺ يَوماً تَشْكُو

(١) الحجرات الآية (١١). (٢) الحجرات الآية (١٠).

الْفَاقَةَ، وَكَانَ ذَلِكَ أَيَّامَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ، فَأَمَرَ ﷺ لَهَا بِبَعِيرٍ وَأَرْبَعِينَ شَاةً.

۞ وَلَمَّا جِيءَ بِأُخْتِهِ ﷺ مِنَ الرَّضَاعِ - الشَّيْمَاءِ - ضِمْنَ السَّبَايَا فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ، بَسَطَ ﷺ لَهَا رِدَاءَهُ، وَأَجْلَسَهَا ﷺ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَطْلَقَ ﷺ سَرَاحَهَا، وَأَمَرَ ﷺ لَهَا بِثَلَاثَةِ أَعْبُدٍ وَجَارِيَةٍ وَشَيْءٍ مِنَ الْغَنَمِ.

۞ وَكَانَ ﷺ يَزُورُ حَاضِنَتَهُ أُمَّ أَيْمَنَ الْحَبَشِيَّةَ، وَيَقُولُ ﷺ: «**أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي**».

۞ وَمِنْ وَفَائِهِ ﷺ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ نَاصَرُوهُ وَآزَرُوهُ، أَنَّهُ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، خَشِيَ الْأَنْصَارُ أَنْ يَتَّخِذَ ﷺ مَكَّةَ دَارَ إِقَامَةٍ لَهُ ﷺ، وَأَخْبَرُوهُ بِمَا يَجِيشُ فِي صُدُورِهِمْ، فَقَالَ ﷺ مُطَمْئِنًا لَهُمْ: «**الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَلَقَدْ بَلَغَ بِهِ ﷺ الْوَفَاءُ مَبْلَغًا عَظِيمًا، حَتَّىٰ أَنَّهُ ﷺ كَانَ وَفِيًّا لِجِذْعِ الشَّجَرَةِ الَّذِي كَانَ يَخْطُبُ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ اتَّخَذُوا لَهُ ﷺ مِنْبَرًا، فَحَنَّ الْجِذْعُ إِلَيْهِ ﷺ، فَوَضَعَ ﷺ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَيْهِ فَسَكَنَ، فَرُوِيَ أَنَّهُ وَفَاءً بِهِ، أَوْصَىٰ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ أَنْ يَضَعُوا هَذَا الْجِذْعَ فِي سَقْفِ الْمَسْجِدِ؛ حَتَّىٰ لَا يُسْتَخْدَمَ فِي غَرَضٍ آخَرَ مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ تَكْرِيمًا لَهُ وَوَفَاءً بِهِ. (السِّيرَةُ الْحَلَبِيَّةُ)

۞ وَحَيْثُمَا يَمَّمْنَا وُجُوهَنَا فِي أُفُقِ خُلُقِهِ الْعَظِيمِ ﷺ، فَإِنَّ جَوَانِبَ الْكَمَالَاتِ الَّتِي تَحَلَّىٰ بِهَا ﷺ، يَقِفُ دُونَهَا الْقَلْبُ خَاشِعًا، وَالْعَقْلُ سَاجِدًا.

❁❁❁❁❁

شَفَقَتُهُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ وَمِمَّا وَرَدَ فِي شَفَقَتِهِ ﷺ، مَا رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَىٰ النَّبِيُّ ﷺ شَيْخًا يَوْمًا يَسِيرُ فِي طَرِيقِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، وَهُوَ يُهَادَىٰ بَيْنَ بَنِيهِ، فَقَالَ ﷺ: «**مَا بَالُ هَذَا؟**»، قَالُوا: إِنَّهُ نَذَرَ أَنْ يَحُجَّ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ مَاشِيًا، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا لِنَفْسِهِ لَغَنِيٌّ، وَأَمَرَهُ** ﷺ **أَنْ يَرْكَبَ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ)

۞ وَرَأَىٰ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يَخْطُبُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ رَجُلًا قَائِمًا فِي حَرِّ الشَّمْسِ - يُقَالُ لَهُ:

«أَبُو إِسْرَائِيلَ» - فَسَأَلَ ﷺ عَنْهُ؟ فَقِيلَ: إِنَّهُ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ، وَلَا يَقْعُدَ وَلَا يَسْتَظِلَّ وَيَصُومَ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَحْمَةً بِهِ وَإِشْفَاقًا عَلَيْهِ، أَنْ يَقْعُدَ وَيَسْتَظِلَّ وَيُتِمَّ صَوْمَهُ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَقَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟»، قُلْتُ: فُلَانَةُ، لَا تَنَامُ اللَّيْلَ؛ لِكَثْرَةِ صَلَاتِهَا، فَقَالَ ﷺ: «مَهْ، قُولِي لَهَا: خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّىٰ تَمَلُّوا». وَمَعْنَىٰ: «لَا يَمَلُّ حَتَّىٰ تَمَلُّوا»، أَيْ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَمَلُّ مِنَ الثَّوَابِ، حَتَّىٰ تَمَلُّوا مِنَ الْعَمَلِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ)

۞ وَمِنْ شَفَقَتِهِ ﷺ: أَنَّهُ ﷺ لَقِيَ غُلَامًا فِي يَوْمِ الْعِيدِ يَبْكِي، وَقَدْ مَاتَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ، فَاصْطَحَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ بَيْتِهِ، وَأَمَرَ ﷺ لَهُ بِكِسْوَةٍ وَطَعَامٍ، وَمَسَحَ ﷺ عَلَىٰ رَأْسِهِ، وَقَالَ ﷺ لَهُ: «أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ أَكُونَ لَكَ أَبًا، وَخَدِيجَةُ أُمًّا؟» قَالَ الْغُلَامُ: رَضِيتُ يَا رَسُولَ اللهِ.

۞ وَقَالَ ﷺ: «مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ رَأْسِ يَتِيمٍ تَرَحُّمًا عَلَيْهِ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةً».

۞ وَمِنْ إِشْفَاقِهِ ﷺ عَلَىٰ أُمَّتِهِ: مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ كَذَلِكَ الِاقْتِصَادُ فِي الْعِبَادَةِ إِشْفَاقًا عَلَىٰ أُمَّتِهِ ﷺ، مَا رَوَاهُ أَنَسٌ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا عَنْهَا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، وَقَالُوا: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَلَا أَرْقُدُ، وَقَالَ الْآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ أَبَدًا وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الْآخَرُ: وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ؛ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ ﷺ: «أَأَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ آخَىٰ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَىٰ أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُبْتَذِلَةً، فَقَالَ: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لِسَلْمَانَ طَعَامًا، فَقَالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ سَلْمَانُ: مَا

أَنَا بِآكِلٍ حَتَّىٰ تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: نَمْ فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ: نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الْآنَ، فَصَلَّيَا جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: «**إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**»، فَأَتَىٰ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: أُخبِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنِّي أَقُولُ: وَاللهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَأَنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ؟**»، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ ﷺ: «**فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ**، قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ ﷺ: «**فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ**»، قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ ﷺ: «**فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ، وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ**»، قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ**»، فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما يَقُولُ: لَمَّا كَبُرَ سِنُّهُ: لَيْتَنِي قَبِلْتُ الثَّلَاثَةَ أَيَّامٍ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ لِأَنَّهُ رضي الله عنه شَقَّ عَلَيْهِ صِيَامُ يومٍ وَالْفِطْرُ فِي يَوْمٍ، عِنْدَ كِبَرِ سِنِّهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ؛ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ وَبُكَائِهِ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

رِفْقُهُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ ومِنَ الْفَضَائِلِ الَّتِي كَمَّلَ اللهُ بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ، مَا تَحَلَّىٰ بِهِ ﷺ مِنَ الرِّفْقِ، وَقَدْ دَعَانَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَنَاةِ وَمُجَانَبَةِ الْعُنْفِ، وَهُوَ مَا يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِن عِبَادِهِ، فَعَنْ

عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَرُوِيَ عَنْهَا رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَمِمَّا يُؤْثَرُ عَنْهُ ﷺ فِي الرِّفْقِ، أَنَّ أَعْرَابِيًا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَرِيقُوا عَلَىٰ بَوْلِهِ سَجْلاً مِن مَاءٍ - أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ - فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

(السَّجْلُ): هُوَ الدَّلْوُ الْمُمْتَلِئُ بِالْمَاءِ، وَنَفْسُ الْمَعْنَىٰ فِي (الذَّنُوبِ).

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ يُحْرَمُ الرِّفْقَ يُحْرَمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، قال: بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَومِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ. فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمَّاهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُم يُصَمِّتُونَنِي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ الله ﷺ فَبِأَبِي وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ﷺ، فَوَاللهِ مَاكَهَرَنِي (أَيْ: مَا نَهَرَنِي) وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي، وَإِنَّمَا قَالَ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِن كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ».

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ)

وَمِنَ الرِّفْقِ بِأُمَّتِهِ ﷺ، مَا رَوَاهُ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ ﷺ: «صَلِّ قائمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَعَن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ ﷺ قَصْدًا. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَالْمُرَادُ بِالْخُطْبَةِ: خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ.

وَمِنَ الرِّفْقِ الَّذِي تَحَلَّىٰ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُبَشِّرُ مَنْ أَصَابَ السُّنَّةَ وَاهْتَدَىٰ

بِهَدْيِهِ الشَّرِيفِ ﷺ، فَعَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا نُصَلِّي يَوْمًا وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، وَقَالَ ﷺ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَنِ الْمُتَكَلِّمُ آنِفًا؟**»، قَالَ الرَّجُلُ: «أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمْ)

۞ وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ بَشَّرَ كَذَلِكَ مَنْ صَلَّىٰ بِاللَّيْلِ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ فَالرِّفْقُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْبَشَائِرِ الَّتِي يَسُوقُهَا اللهُ لِعِبَادِهِ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، هُوَ خَيْرُ مَا يُحَبِّبُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ إِلَيْهِ، وَبِهِ يَذُوقُ الْعَبْدُ حَلَاوَةَ الطَّاعَةِ، فَيَكُونُ إِقْبَالُهُ عَلَىٰ اللهِ فِي طَاعَتِهِ، إِقْبَالَ مَنْ أَحَبَّ اللهَ فَأَحَبَّهُ اللهُ، وَهَذَا أَدْعَىٰ لِلْمُسَارَعَةِ فِي الْخَيْرَاتِ، وَالتَّنَافُسِ فِيهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[1]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[2].

❁❁❁❁❁

عَفْوُهُ وَحِلْمُهُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ لَقَدِ امْتَدَحَ اللهُ الْعَفْوَ وَالْحِلْمَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[4].

۞ فَالْعَفْوُ وَالْحِلْمُ هُمَا مِنْ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمَا مِمَّا يُحِبُّهُمَا اللهُ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَشَجِّ بْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ حِينَ جَاءَ لِيُبَايِعَهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

(١) المطففين الآية (٢٦).
(٢) الصافات الآية (٦١).
(٣) آل عمران الآية (١٣٤).
(٤) الأعراف الآية (١٩٩).

۞ وَفِي الْعَفْوِ ثَلاثُ فَضَائِلَ:

الْأُولَىٰ: أَنَّهُ خُلُقُ اللهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ مَنْ عَفَا عَنِ النَّاسِ، عَفَا اللهُ عَنْهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾(١).

وَالثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ عَفَا إِزْدَادَ بِعَفْوِهِ عِزّاً، لِقَوْلِهِ ﷺ: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً**».

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه)

۞ وَالْحِلْمُ الَّذِي تَحَلَّىٰ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، هُوَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي شَهِدَ لَهُ ﷺ بِهَا الْأَعْدَاءُ، فَهَذَا أَبُو سُفْيَانَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، يَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟**» فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَحْلَمَكَ وَأَوْصَلَكَ وَأَكْرَمَكَ.

(رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالطَّبَرِيُّ وَالْهَيْثَمِيُّ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ)

۞ فَلَمَّا قَالَهَا وَأَسْلَمَ بَشَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ**». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

۞ وَفِي فَتْحِ مَكَّةَ عَفَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَهُمُ الَّذِينَ أَخْرَجُوهُ وَقَاتَلُوهُ، وَلَكِنَّهُ ﷺ فِي يَوْمِ الْفَتْحِ، وَهُمْ جَمِيعَـاً فِي قَبْضَةِ يَدِهِ ﷺ، يُقَابِلُ إِسَاءَتَهُمْ بِالْإِحْسَانِ، وَيَقُولُ ﷺ: «**لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا مِثْلَ مَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ:** ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(٢)**: اِذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَأَصْحَابُ السِّيَرِ)

۞ وَجَاءَ فِي حِلْمِهِ ﷺ الْآثَارُ وَالْأَخْبَارُ الْكَثِيرَةُ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ ﷺ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ بِرِدَائِهِ جَذْبَةً شَدِيدَةً، فَنَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ؛ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ ﷺ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ ﷺ لَهُ بِعَطَاءٍ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

---

(١) النور الآية (٢٢). (٢) يوسف الآية (٩٢).

﴿ وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ دَعَا نُوحٌ عَلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]، وَلَوْ دَعَوْتَ عَلَيْنَا مِثْلَهَا هَلَكْنَا مِنْ عِنْدِ آخِرِنَا، فَقَدْ وُطِئَ ظَهْرُكَ، وأُدْمِيَ وَجْهُكَ، وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُكَ، فَأَبَيْتَ أَنْ تَقُولَ إِلَّا خَيْرَاً، فَقُلْتَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

﴿ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ صلى الله عليه وسلم أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ يَوْمَاً بِوَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاةِ (أَيْ: الشَّجَرِ)، فَنَزَلَ صلى الله عليه وسلم وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاةِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَلَمْ يَنْتَبِهْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَّا وَأَعْرَابِيٌّ قَائِمٌ وَالسَّيْفُ صَلْتَاً فِي يَدِهِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**اللهُ**»، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِ الْأَعْرَابِيِّ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَقَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**»، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، فَتَرَكَهُ صلى الله عليه وسلم وَعَفَا عَنْهُ، فَجَاءَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

﴿ وَرُوِيَ أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ يَوْمَاً يَسْأَلُهُ شَيْئَاً، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُسْتَفْسِرَاً مُتَوَدِّدَاً: «**أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ**»، فَقَالَ الْأَعْرَابِي: لَا أَحْسَنْتَ وَلاَ أَجْمَلْتَ، فَغَضِبَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَامُوا إِلَيْهِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم أَنْ كُفُّوا، ثُمَّ قَامَ صلى الله عليه وسلم وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، وَأَرْسَلَ صلى الله عليه وسلم إِلَىٰ الْأَعْرَابِيِّ وَزَادَهُ فِي الْعَطَاءِ، ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وسلم لَهُ: «**أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ**»، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: نَعَمْ، فَجَزَاكَ اللهُ مِنْ أَهْلٍ وَعَشِيرَةٍ خَيْرَاً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّكَ قُلْتَ مَا قُلْتَ، وَفِي نَفْسِ أَصْحَابِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ؛ حَتَّىٰ يَذْهَبَ مِنْ صُدُورِهِمْ مَا فِيهَا عَلَيْكَ**»، فَأَتَاهُمُ الْأَعْرَابِيُّ، وَتَحَدَّثَ إِلَيْهِمْ بِمَا طَابَتْ بِهِ نُفُوسُهُمْ بِقَوْلِهِ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ، كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ فَشَرَدَتْ عَلَيْهِ، فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ، فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورَاً، فَنَادَاهُمْ صَاحِبُ النَّاقَةِ، أَن خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي، فَإِنِّي أَرْفَقُ بِهَا وَأَعْلَمُ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا صَاحِبُ النَّاقَةِ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قُمَامِ الْأَرْضِ، فَرَدَّهَا هَوْنَاً هَوْنَاً، حَتَّىٰ جَاءَتْ فَاسْتَنَاخَتْ، وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا، وَاسْتَوَىٰ عَلَيْهَا. وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ، دَخَلَ النَّارَ**».

---

(١) نوح الآية (٢٦).

(رَواهُ الْبَزّارُ وَأَبُو الشَّيْخِ وَالْقَاضِي عِياضُ فِي الشِّفَا)

۞ وَعَنْ زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ ـ وَهُوَ أَحَدُ أَحْبارِ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ـ قَالَ: لَمْ يَبْقَ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبَرْهُمَا مِنْهُ، وَهُمَا: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلَا تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا. فَكُنْتُ أَتَلَطَّفُ لَهُ لِأَنْ أُخَالِطَهُ، فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ وَجَهْلَهُ، فَابْتَعْتُ مِنْهُ تَمْراً إِلَىٰ أَجَلٍ فَأَعْطَيْتُهُ الثَّمَنَ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحِلِّ الْأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَتَيْتُهُ، فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي، فَوَاللهِ إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُطْلٌ، فَقَالَ عُمَرُ: أَيْ عَدُوَّ اللهِ، تَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ، فَوَاللهِ لَوْلَا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَىٰ عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ، وَتَبَسَّمٍ ثُمَّ قَالَ ﷺ: **«أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ؛ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي، اِذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعاً مَكَانَ مَا رَوَّعْتَهُ»**. فَفَعَلَ، فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ، كُلُّ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولاً. وَأَسْلَمَ زَيْدٌ مِمَّا رَآهُ مِنْ خُلُقِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَذْكُورَةِ عِنْدَهُمْ فِي كُتُبِهِمْ. (رَواهُ الْحاكِمُ وَغَيْرُهُ)

۞ وَمِمَّا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ فِي الْأَنَاةِ وَالْحِلْمِ، مَا رَوَاهُ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَدِيٍّ، أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي قَتْلِ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ ﷺ: **«أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟»** قَالَ الرَّجُلُ: بَلَىٰ، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، فَقَالَ ﷺ: **«أَلَيْسَ يُصَلِّي؟»**، قَالَ: بَلَىٰ، وَلَا صَلَاةَ لَهُ، فَقَالَ ﷺ: **«أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي عَنْ قَتْلِهِمْ»**. (رَواهُ أَحْمَدُ وَرِجالُهُ ثِقاتٌ)

۞ وَمِمَّا عَلَّمَهُ ﷺ مِنَ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ، مَا رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ سُئِلَ يَوْمًا: كَمْ أَغْفِرُ لِخَادِمِي؟ فَقَالَ ﷺ: **«تَغْفِرُ لَهُ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً»**. (رَواهُ أَبُو داوُدَ)

۞ وَقَالَ ﷺ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: **«صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»**. (رَواهُ الطَّبَرانِيُّ)

۞ وَمِنْ حِلْمِهِ ﷺ مَا ذَكَرَتْهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها، قَالَتْ: «مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ

فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ للهِ تَعَالَىٰ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَالْمَعْنَىٰ الَّذِي يُشِيرُ إِلَيْهِ هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَغْضَبُ لِرَبِّهِ، وَلَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلَمَّا جَاءَ لَهُ رَجُلٌ، قَالَ: أَوْصِنِي؟ قَالَ ﷺ: «**لَا تَغْضَبْ**»، فَرَدَّدَهَا مِرَاراً، قَالَ ﷺ: «**لَا تَغْضَبْ**»، وَبِهَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ، كَانَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ يَعِظُ وَلَدَهُ، وَيَقُولُ لَهُ: **لَا تَغْضَبْ**. فَقَالَ: كَيْفَ لَا أَغْضَبُ؟! فَقَالَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ: «**إِنْ قِيلَ لَكَ مَا فِيكَ، فَقُلْ: الْحَمْدُ للهِ، ذَنْبٌ ذَكَرْتُهُ أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْهُ، وَإِنْ قِيلَ لَكَ مَا لَيْسَ فِيكَ، فَقُلْ: الْحَمْدُ للهِ؛ إِذْ لَمْ يَجْعَلْ فِيَّ مَا يُعَيِّرُونَنِي بِهِ**».

۞۞۞۞۞

تَوَاضُعُهُ ﷺ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١). وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٢).

۞ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا سُئِلَتْ: مَاذَا كَانَ يَعْمَلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ رضي الله عنها: كَانَ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ، وَيَأْكُلُ مَعَ خَادِمِهِ، وَمَا عَابَ طَعَامًا قَطُّ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ، وَيَعْقِلُ بَعِيرَهُ، وَيَعْلِفُ نَاضِحَهُ، وَيَغْسِلُ ثَوْبَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ، وَيَقُولُ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَرْكَبُ حِمَارَهُ مُوكَفًا عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ، وَكَانَ ﷺ مَعَ ذَلِكَ يَسْتَرْدِفُ». (أَيْ: يُرْدِفُ رَاكِبًا خَلْفَهُ). (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُ الْمَرِيضَ، وَيَتْبَعُ الْجَنَازَةَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)

۞ وَرُوِيَ كَذَلِكَ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمُرُّ عَلَىٰ الصِّبْيَانِ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

---

(١) الحجر الآية (٨٨).
(٢) آل عمران الآية (١٥٩).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَصَابَتْهُ هَيْبَةٌ وَرَعْدَةٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «هَوِّنْ عَلَيْكَ يَا أَعْرَابِيُّ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ؛ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ».

وَ«الْقَدِيدُ»: هُوَ اللَّحْمُ الْمُجَفَّفُ. (رَوَاهُ ابْنُ مَاجه وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

وَمِنْ تَوَاضُعِهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَذَلِكَ: مَا رَوَتْهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ وَأَنَسٌ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قُدِّمَ لَهُ يَوْمًا طَعَامٌ عَلَىٰ مَائِدَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَنِ الْأَرْضِ، فَأَبَىٰ صلى الله عليه وآله وسلم وَجَلَسَ عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ؛ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبِيدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبِيدُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَكَانَ صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا مَدَحَهُ النَّاسُ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَرْفَعُونِي فَوْقَ قَدْرِي، فَإِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيًّا». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

وَخَرَجَ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْمًا فِي سَفَرٍ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَمَعَهُمْ شَاةٌ فَأَمَرَهُمْ صلى الله عليه وآله وسلم بِإِصْلَاحِهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: عَلَيَّ ذَبْحُهَا، وَقَالَ آخَرُ: عَلَيَّ سَلْخُهَا، وَقَالَ الثَّالِثُ: عَلَيَّ طَبْخُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «وَعَلَيَّ جَمْعُ الْحَطَبِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَكْفِيكَ هَذَا الْعَمَلَ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَكْفُونَنِي، وَلَكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أَتَمَيَّزَ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ اللهَ يَكْرَهُ الْعَبْدَ الْمُتَمَيِّزَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ».

وَكَانَ صلى الله عليه وآله وسلم فِي مَشْيِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ، يَتَخَلَّفُ عَنْهُمْ فِي الْمَسِيرِ وَيَمْشِي وَرَاءَهُمْ؛ لِيُزْجِيَ الضَّعِيفَ، وَيَأْخُذَ بِيَدِهِ وَيَدْعُوَ لَهُ. (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ)

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَمِنْ تَوَاضُعِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

مَعَ أَنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم أَوَّلُ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَيُونُسُ لَيْسَ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ.

۞ وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُدْعَىٰ إِلَىٰ خُبْزِ الشَّعِيرِ فَيُجِيبُ. (رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَفِي خَفْضِ جَنَاحِهِ ﷺ لِلْمُؤْمِنِينَ: يَقُولُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ مَعَ النَّاسِ إِنْ تَكَلَّمُوا فِي مَعْنَىٰ الْآخِرَةِ تَكَلَّمَ مَعَهُمْ، وَإِنْ تَحَدَّثُوا فِي طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ تَحَدَّثَ مَعَهُمْ، وَإِنْ تَكَلَّمُوا فِي الدُّنْيَا تَحَدَّثَ مَعَهُمْ؛ رِفْقًا بِهِمْ، وَتَوَاضُعًا لَهُمْ**».

(رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ)

۞ وَفِي مِثْلِ هَذَا يَقُولُ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ ﷺ: «**كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَنَاشَدُونَ الشِّعْرَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ أَحْيَانًا، وَيَذْكُرُونَ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَيَضْحَكُونَ، فَيَبْتَسِمُ هُوَ ﷺ إِذَا ضَحِكُوا، وَلَا يَزْجُرُهُمْ ﷺ إِلَّا عَنْ حَرَامٍ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: «**إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَكَانَ ﷺ لَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، وَيَقْضِي حَوَائِجَهُمْ.

۞ وَلَمَّا كَانَ التَّوَاضُعُ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَحُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْكَمَالِ، تَفَضَّلَ اللهُ بِهَا عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ رَبَّهُ بِهَا، فَيَقُولُ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَىٰ الْغَنَمَ**»، قَالُوا: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁❁❁❁❁

حَيَاؤُهُ ﷺ

۞ لَقَدْ قَرَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذَا الْخُلُقَ الْكَرِيمَ بِالْإِيمَانِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَقَرَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْإِسْلَامِ، فَهُوَ مِرْآةُ هَذَا الدِّينِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الْمُسْلِمُ حَقًّا، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ طَلْحَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ**».

(رَوَاهُ مَالِكٌ وَابْنُ مَاجَه)

﴿ لِذَلِكَ نَرَىٰ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَالْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، اِصْطَفَىٰ لِأُمَّتِهِ هَذَا الْخُلُقَ لِيَكُونَ دِينَهُمْ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَىٰ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

﴿ وَقَدْ فَازَ بِهَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه، حَيْثُ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**اَلْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَحْيَا أُمَّتِي عُثْمَانُ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجه وَغَيْرُهُمْ)

﴿ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ ﷺ لَهُ وَهُوَ ﷺ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَأَذِنَ ﷺ لَهُ، وَهُوَ ﷺ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَوَّىٰ ثِيَابَهُ، فَدَخَلَ عُثْمَانُ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللهِ، دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تُبَالِهِ، وَدَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ، فَقَالَ ﷺ: «**أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ، وَاللهِ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَسْتَحْيِي مِنْهُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

﴿ وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَوَقَفَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَىٰ فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَآوَىٰ إِلَىٰ اللهِ فَآوَاهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

﴿ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي؟ قَالَ ﷺ: «**أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللهِ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

﴿ لِأَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الصَّالِحُونَ مُجَمَّلًا بِحُلَّةِ الْخُشُوعِ وَالْأَدَبِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ مَعَ مَنْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ!، وَالْحَيَاءُ هُوَ عُرْوَةٌ مِنْ عُرَىٰ الْإِيمَانِ، فَمَنْ تَحَلَّىٰ

بِهِ، رَبَطَ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ بِمَوَاثِيقِ الْإِيمَانِ الَّذِي يَزْجُرُهُ اللهُ بِهِ عَمَّا نَهَىٰ، فَيَكُونُ قَابِضًا بِيَمِينِهِ عَلَىٰ مِيزَانِ الشَّرِيعَةِ، وَإِذَا انْفَرَطَ عِقْدُ الْحَيَاءِ مِنَ اللهِ، انْفَرَطَ عِقْدُ الْإِيمَانِ، فَلَا يُبَالِي مَنْ خُلِعَ عَنْهُ بُرْقُعُ الْحَيَاءِ فِي أَيِّ وَادٍ هَلَكَ، فَعَنْ مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِي، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالْبَغَوِيُّ)

۞ فَالْخَيْرَاتُ الَّتِي يُسَارِعُ فِيهَا السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، إِنَّمَا يَرْجِعُ أَسَاسُهَا إِلَىٰ هَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ أَلَا وَهُوَ خُلُقُ الْحَيَاءِ، فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ)

۞ وَعَنْهُ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ)

۞ فَلْيَعْتَصِمْ كُلُّ مُسْلِمٍ بِحَبْلِ اللهِ الْمَتِينِ، حِينَ يَتَحَلَّىٰ بِخُلُقِ الْحَيَاءِ، الَّذِي اكْتَسَىٰ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَكُونَ مِعْرَاجًا لَهُ، بِهِ يَكُونُ قَرِيبًا مِنْ مَجْلِسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْآخِرَةِ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

۞۞۞۞۞

جُودُهُ وَسَخَاؤُهُ ﷺ

۞ عَنْ أَنَسٍ ﵁، قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَعْطَاهُ، وَجَاءَ لَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ، فَأَعْطَاهُ ﷺ غَنَمًا سَدَّتْ مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَىٰ قَوْمِهِ، وَقَالَ: أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَىٰ الْفَقْرَ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ جَابِرٍ ﵁، قَالَ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ جَاءَتِ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّىٰ اضْطَرُّوهُ إِلَىٰ شَجَرَةٍ، وَخَطَفُوا رِدَاءَهُ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاةِ -أَيْ: الشَّجَرِ- نَعَمًا لَقَسَمْتُهَا بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذَّابًا وَلَا جَبَانًا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

---

(١) الحديد الآية (٢١)، الجمعة الآية (٤).

۞ وَكَانَ فِي جُودِهِ وَسَخَائِهِ ﷺ، رُبَّمَا يُؤْثِرُ الْبَعِيدَ بِالْمَالِ، وَيُرْجِعُ الْقَرِيبَ بِرِضَا اللهِ، وَمَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا فَرَغَ مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، أَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ يَسْأَلُهُ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: «يَا بِلَالُ، زِنْ لِأَبِي سُفْيَانَ أَرْبَعِينَ أُوقِيَةً، وَأَعْطِهِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ»، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اِبْنِي يَزِيدُ، قَالَ ﷺ: «زِنُوا لِيَزِيدَ أَرْبَعِينَ أُوقِيَةً، وَأَعْطُوهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ»، قَالَ: اِبْنِي مُعَاوِيَةُ، قَالَ ﷺ: «زِنْ لَهُ يَا بِلَالُ أَرْبَعِينَ أُوقِيَةً، وَأَعْطُوهُ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ»، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِنَّكَ لَكَرِيمٌ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ لَقَدْ حَارَبْتُكَ فَنِعْمَ الْمُحَارَبُ كُنْتَ، ثُمَّ سَالَمْتُكَ فَنِعْمَ الْمُسَالِمُ أَنْتَ، جَزَاكَ اللهُ خَيْراً. (السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

۞ وَجَاءَهُ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، ثُمَّ سَأَلَهُ مِائَةً فَأَعْطَاهُ ﷺ، ثُمَّ سَأَلَهُ مِائَةً فَأَعْطَاهُ ﷺ، ثُمَّ قَالَ ﷺ لَهُ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، مَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَلَمَّا أَعْطَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَىٰ لِلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ لِلْأَنْصَارِ شَيْئًا وَهُمْ أَحِبَّاؤُهُ وَأَصْفِيَاؤُهُ، دَخَلَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ: كَيْفَ يُعْطِي ﷺ هَؤُلَاءِ وَلَا يُعْطِي لِلْأَنْصَارِ، حَتَّىٰ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدَ عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ؛ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَقُولَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَمَوْجِدَةٌ وَجَدتُّمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟»، قَالُوا: بَلَىٰ، للهِ وَرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ، فَقَالَ ﷺ مُطَيِّبًا لَهُمْ: «أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ إِلَىٰ رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءاً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اَللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»، فَبَكَىٰ الْأَنْصَارُ حَتَّىٰ اخْضَلَّتْ لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قَسْمًا وَحَظًّا. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْ أَنَسٍ ﷺ)

وَإِذَا أَمْعَنَّا النَّظَرَ فِي ذَلِكَ نَرَىٰ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِ اخْتَارَ لِلأَنْصَارِ مَا اخْتَارَهُ ﷺ لِنَفْسِهِ، فَقَدْ كَانَ ﷺ لا يُحِبُّ أَنْ يَدَّخِرَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَمَتَاعِهَا، وَيَقُولُ ﷺ: **«لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً مَا مَضَىٰ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ، إِلَّا شَيْئاً أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ»**.

(رَوَاهُ الْبَزَّارُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه)

وَمِنْ جُودِهِ وَسَخَائِهِ ﷺ، مَا رَوَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنِ ابْتَعْ عَلَيَّ، فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ»**، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَعْطَيْتَهُ، فَمَا كَلَّفَكَ اللهُ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْفِقْ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالاً، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَشَاعَ فِي وَجْهِهِ السُّرُورُ؛ لِقَوْلِ الأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **«بِهَذَا أُمِرْتُ»**.

(رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ)

كَذَلِكَ مِنْ جُودِهِ وَسَخَائِهِ ﷺ أَنَّ الرُّبَيِّعَ بِنْتَ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ رضي الله عنها أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطَبٍ، فَأَعْطَاهَا ﷺ مِلْءَ كَفِّهِ حُلِيًّا وَذَهَبًا. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ)

وَقَدْ وَصَفَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمَّا خَلَقَ الْجِبَالَ، تَعَجَّبَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ قُوَّتِهَا، فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا، هَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَقْوَىٰ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ عز وجل: **الْحَدِيدُ**، قَالُوا: هَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَقْوَىٰ مِنَ الْحَدِيدِ؟ قَالَ عز وجل: **النَّارُ**، (لِأَنَّ النَّارَ تُذِيبُ الْحَدِيدَ)، قَالُوا: هَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَقْوَىٰ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ عز وجل: **الْمَاءُ** (لِأَنَّ الْمَاءَ يُطْفِئُ النَّارَ)، قَالُوا: هَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَقْوَىٰ مِنَ الْمَاءِ؟ قَالَ عز وجل: **الرِّيحُ** (لِأَنَّ الرِّيحَ هُوَ الَّذِي يَسِيِّرُ السَّحَابَ، فَيُنْزِلُ مِنْهُ الْمَاءَ)، قَالُوا: هَلْ خَلَقْتَ شَيْئًا أَقْوَىٰ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ عز وجل: **الصَّدَقَةُ يَتَصَدَّقُ بِهَا الْمُؤْمِنُ لَا تَدْرِي شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ.**

۞ وَأَهْلُ هَذَا الْمَقَامِ فِي ظِلِّ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، لِمَا رَوَاهُ أَبُوهُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اِجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيَاً، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞۞۞۞۞

عَدْلُهُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾(١). وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(٢)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَلَقَدْ أَرْسَىٰ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم قَوَاعِدَ الْعَدْلِ وَأُسُسَهُ بَيْنَ النَّاسِ، فَوَضَعَ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْهُمْ دَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَةِ، وَالتَّفَاخُرَ بِالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ وَالْمَالِ، فَالْكُلُّ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ هُوَ التُّرَابُ، فَلَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ، فَقَدْ وَلَّىٰ صلى الله عليه وآله وسلم بِلَالاً وَزَيْدَاً عَلَىٰ الْمَدِينَةِ ـ وَهُمَا مِنَ الْمَوَالِي ـ حِينَ خَرَجَ صلى الله عليه وآله وسلم غَازِيَاً فِي سَبِيلِ اللهِ.

۞ وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الَّتِي أَرْسَاهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِنْسَانِ الْبَرَاءَةُ حَتَّىٰ تَثْبُتَ إِدَانَتُهُ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، وَأَلَّا يَسْمَعَ الْقَاضِي لِأَحَدِ الْخَصْمَيْنِ دُونَ الْآخَرِ، وَأَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَجْلِسِ، وَأَلَّا يَحْكُمَ الْقَاضِي بِعِلْمِهِ الشَّخْصِيِّ؛ بَلْ يَحْكُمَ بِالظَّاهِرِ وَاللهُ

(١) النحل الآية (٩٠). (٢) الحجرات الآية (٩).

يَتَوَلَّىٰ السَّرَائِرَ، وَأَنَّ البَيِّنَةَ عَلَىٰ الْمُدَّعِي وَالْيَمِينَ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ.

۞ فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِينِي الْخَصْمَانِ، فَيَكُونُ أَحَدُهُمَا أَلْحَنَ مِنْ صَاحِبِهِ فَأَقْضِي لَهُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ امْرِئٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ، فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لِيَتْرُكْهَا**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يُضَيِّفُ أَحَدَ الْخَصْمَيْنِ دُونَ الْآخَرِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَكْسِرُ قَلْبَ الْآخَرِ، وَإِنَّمَا لَا يُضَيِّفُ ﷺ الْخَصْمَ إِلَّا وَخَصْمُهُ مَعَهُ. (رَوَاهُ الْهَيْثَمِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ)

۞ وَيَنْهَىٰ ﷺ مَنْ يَسْتَعْمِلُهُ أَنْ يَخُوضَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ عَامِرٍ الْأَنْصَارِيَّةِ رضي الله عنها -زَوْجَةِ حَمْزَةَ- قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَيَنْهَىٰ ﷺ كَذَلِكَ مَنِ اسْتَعْمَلَهُ أَنْ يَكْتُمَهُ شَيْئًا وَلَوْ مِخْيَطًا، وَإِلَّا كَانَ غُلُولاً يُعَذَّبُ اللهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ عُمَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَىٰ عَمَلٍ، فَكَتَمَ مِخْيَطاً فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَنْ يَقْتَطِعَ أَحَدٌ حَقَّ امْرِئٍ بِيَمِينِهِ الْكَاذِبَةِ، فَإِنَّ الْيَمِينَ الْغَمُوسَ تَغْمِسُ صَاحِبَهَا فِي النَّارِ، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْحَارِثِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيراً يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «**وَإِنْ كَانَ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَمَعْنَىٰ: «**قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ**»، أَيْ: سِوَاك.

۞ وَيَأْمُرُ ﷺ بِأَدَاءِ الْحُقُوقِ إِلَىٰ أَهْلِهَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَيَنْهَىٰ ﷺ عَنِ الظُّلْمِ، فَيَقُولُ ﷺ: «**مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَىٰ أَنْ يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَيَأْمُرُ صلى الله عليه وسلم بِالْعَدْلِ بَيْنَ الْأَوْلَادِ، فَيَقُولُ صلى الله عليه وسلم: «اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ، وَلَوْ فِي الْقُبَلِ»، أَيْ: لَا تُقَبِّلْ وَلَدًا أَكْثَرَ مِنَ الْآخَرِ؛ بَلْ تُسَوِّي بَيْنَهُمَا.

۞ وَرُوِيَ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، أَنَّ وَالِدَهُ نَحَلَهُ نِحْلَةً، أَيْ: أَعْطَاهُ عَطَاءً، فَقَالَتْ أُمُّهُ لِأَبِيهِ: لَا تَفْعَلْ حَتَّىٰ تُشْهِدَ عَلَىٰ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ صلى الله عليه وسلم لَهُ: «أَكُلُّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ هَذَا؟»، قَالَ: لَا. فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَىٰ جَوْرٍ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَلَقَدْ كَانَتْ عَدَالَةُ الْإِسْلَامِ هِيَ الْمِفْتَاحَ لِدُخُولِ الْكَثِيرِينَ فِي الْإِسْلَامِ، لِمَا رَأَوْهُ مِنْ سَمَاحَةِ هَذَا الدِّينِ الَّذِي جَعَلَ الْكُلَّ أَمَامَ الْحَقِّ سَوَاءً، فَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ بَعْدَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ كَثِيرًا مَا يَحْتَكِمُونَ فِي أُمُورِهِمْ إِلَىٰ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَا يَحْتَكِمُونَ إِلَىٰ مَجَالِسِهِمُ الْمِلِّيَّةِ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ شَرِيفٍ وَضَعِيفٍ، فَقَدْ كَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ: «لَا يَزَالُ الضَّعِيفُ عِنْدِي قَوِيًّا حَتَّىٰ آخُذَ لَهُ الْحَقَّ، وَلَا يَزَالُ الْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفًا حَتَّىٰ آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ».

۞ وَكُلُّ هَذَا اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ سَرَقَتْ، فَتَشَفَّعَ أَهْلُهَا بِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؛ لِمَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ مَنْزِلَةِ أُسَامَةَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَهُوَ الْمُلَقَّبُ بِـ «حِبِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم»، وَيَذْهَبُ أُسَامَةُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَيَتَكَلَّمُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَيَقُولُ صلى الله عليه وسلم لَهُ: «يَا أُسَامَةُ، أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، وَاللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ الَّتِي تُضْرَبُ فِي عَدَالَةِ الْإِسْلَامِ، وَالَّتِي دَعَتِ النَّاسَ لِلدُّخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ الْقَيِّمِ، مَا رُوِيَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ كَانَتْ لَهُ دِرْعٌ، فَسَقَطَتْ وَهُوَ رَاكِبٌ جَمَلَهُ،

فَالْتَقَطَهَا يَهُودِيٌّ لِنَفْسِهِ، فَعَرَفَهَا سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ: الدِّرْعُ دِرْعِي، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: هِيَ دِرْعِي وَفِي يَدِي، وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَتَوْا شُرَيْحاً الْقَاضِي، فَقَالَ شُرَيْحٌ: مَا تَشَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ؟ قَالَ ﷺ: دِرْعِي سَقَطَتْ عَنْ جَمَلِي، فَالْتَقَطَهَا هَذَا الْيَهُودِيُّ، قَالَ شُرَيْحٌ: مَا تَقُولُ يَا يَهُودِيُّ؟ قَالَ: دِرْعِي وَفِي يَدِي، قَالَ شُرَيْحٌ: صَدَقْتَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهَا لَدِرْعُكَ، وَلَكِنْ لَابُدَّ مِنْ شَاهِدَيْنَ، فَدَعَا ﷺ قَنْبَرَ مَوْلَاهُ، وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَشَهِدَا أَنَّهَا دِرْعُهُ، فَقَالَ شُرَيْحٌ: أَمَّا شَهَادَةُ مَوْلَاكَ فَقَدْ أَجَزْنَاهَا، وَأَمَّا شَهَادَةُ ابْنِكَ لَكَ فَلَا نُجِيزُهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: عَجَباً لَكَ، أَمَا سَمِعْتَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». -«رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ»- قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ ﷺ: أَفَلَا تُجِيزُ شَهَادَةَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لِلْيَهُودِيِّ: خُذِ الدِّرْعَ. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَاءَ مَعِي إِلَىٰ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ، فَقَضَىٰ لِي وَرَضِيَ، صَدَقْتَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهَا لَدِرْعُكَ سَقَطَتْ مِنْ جَمَلٍ لَكَ، اِلْتَقَطْتُهَا، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ. فَوَهَبَهَا لَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ، وَأَجَازَهُ بِتِسْعِمِائَةٍ وَقَاتَلَ ذَلِكَ الْيَهُودِيُّ بَعْدَ إِسْلَامِهِ مَعَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ حَتَّىٰ قُتِلَ فِي صِفِّينَ. (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

۞ وَأَقَرَّ النَّبِيُّ ﷺ الْأَخْذَ بِالْقَرِينَةِ فِي الْقَضَاءِ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُوهُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، فَجَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَيْهِمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الْأُخْرَىٰ: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَا إِلَىٰ دَاوُدَ، فَقَضَىٰ بِهِ لِلْكُبْرَىٰ، فَخَرَجَتَا عَلَىٰ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: اِئْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ فَقَالَتِ الصُّغْرَىٰ: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَىٰ بِهِ لِلصُّغْرَىٰ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَالْحِكْمَةُ مِنْ قَضَائِهِ عليه السلام بِالْوَلَدِ لِلصُّغْرَىٰ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَحَرَّكَتْ فِيهَا عَاطِفَةُ الْأُمِّ الْحَقِيقِيَّةِ، فَكَانَتْ هَذِهِ قَرِينَةً عَلَىٰ أَنَّ الْوَلَدَ وَلَدُهَا.

۞ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْعَدْلَ يَقْتَضِي أَلَّا يُقَامَ الْحَدُّ عَلَىٰ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ إِلَّا إِذَا قَامَ الدَّلِيلُ عَلَىٰ ارْتِكَابِهِ لِلْكَبِيرَةِ، فَإِذَا كَانَتْ هُنَاكَ شُبْهَةٌ، فَلَا يُقَامُ عَلَيْهِ عِنْدَئِذٍ الْحَدُّ، وَهُوَ مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ

ﷺ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اِدْفَعُوا الْحُدُودَ مَا وَجَدْتُمْ لَهَا مَدْفَعاً»**.

(رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه)

۞ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، جِيءَ لَهُ بِامْرَأَةٍ وَضَعَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ خَلَتْ مِنَ الْحَمْلِ؛ لِيُقِيمَ عَلَيْهَا الْحَدَّ، وَهَمَّ سَيِّدُنَا عُمَرُ أَنْ يُقِيمَ عَلَيْهَا الْحَدَّ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ؛ لِيَسْتَهْدِيَ بِرَأْيِهِ، فَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: لَا حَدَّ عَلَيْهَا، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ كِتَابُ اللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾(1). وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾(2)، فَإِذَا كَانَتْ مُدَّةُ الْحَمْلِ وَالرَّضَاعِ ثَلَاثِينَ شَهْراً، وَمُدَّةُ الرَّضَاعِ عَامَيْنِ، أَيْ: أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ شَهْراً، فَإِنَّ مُدَّةَ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ، فَلَا حَدَّ عَلَيْهَا إِذاً، وَهُنَا يَتَوَقَّفُ سَيِّدُنَا عُمَرُ عَنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ، وَيَقُولُ: لَوْلَا أَبُو الْحَسَنِ لَهَلَكَ عُمَرُ.

۞ وَقَدْ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيّاً؛ لِيُقِيمَ الْحَدَّ عَلَىٰ رَجُلٍ كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ النِّسَاءِ، فَذَهَبَ فَوَجَدَهُ يَغْتَسِلُ فِي مَاءٍ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْمَاءِ لِيَقْتُلَهُ، فَرَآهُ مَجْبُوباً، فَتَرَكَهُ وَرَجَعَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ)

۞ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْعَدْلَ يَقْتَضِي أَنْ لَا يَكُونَ الْقَاضِي الَّذِي يَقْضِي بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ غَضْبَانَ؛ حَتَّىٰ لَا تَضِيعَ الْحُقُوقُ بَيْنَ النَّاسِ، فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ»**. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَيُسْتَحَبُّ الْإِصْلَاحُ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اِشْتَرَىٰ رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَّاراً لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَىٰ الْعَقَّارَ فِي عِقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَىٰ الْعِقَّارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَىٰ رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: اِنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا»**. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

---

(1) الأحقاف الآية (١٥). (2) البقرة الآية (٢٣٣).

۞ فَتَأَمَّلْ فِي هَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ لِلْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي، حَيْثُ يَقُولُ كُلٌّ مِنْهُمَا: إِنَّ الذَّهَبَ الَّذِي فِي الْأَرْضِ لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهِ. فَإِنَّهُ إِنْ دَلَّ عَلَىٰ شَيْءٍ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَىٰ وَرَعِهِمَا وَزُهْدِهِمَا، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ خُلُقِ الْعَفَافِ الَّذِي تَحَلَّىٰ بِهِ كُلٌّ مِنْهُمَا، ثُمَّ كَانَ الْحُكْمُ بَيْنَهُمَا أَنَّهُ مِنْ حَقِّهِمَا مَعًا، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْإِصْلَاحِ مَا تَطِيبُ لَهُ النُّفُوسُ، حَيْثُ يُنْفَقُ مِنْهُ عَلَىٰ الزَّوْجَيْنِ، ومَنْ هُمَا الزَّوْجَانِ؟ إِنَّهُ غُلَامُ أَحدِهِمَا وَجَارِيَةُ الْآخَرِ، وَكُلُّ هَذَا بِفَضْلِ الصُّلْحِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾(١).

۞ وَلَقَدْ صَحَّحَ النَّبِيُّ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ الْمَسَارَ لِلنَّاسِ، حَتَّىٰ فِي نَظَرَاتِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِمَا أَقَامَهُ مِنْ مَوَازِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا تَزِيغُ مَعَهُ الْقُلُوبُ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ ﵁، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ عَلَيْهِ بُرْدَةٌ لَهُ، فَقَعَدَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ جَاءَهُ رَجُلٌ عَلَيْهِ أَطْمَارٌ، فَقَعَدَ بِجِوَارِ الْغَنِيِّ، فَقَامَ الْغَنِيُّ بِثِيَابِهِ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ لِلْغَنِيِّ: **«أَكُلُّ هَذَا تَقَذُّرًا مِنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ؟! أَكُنْتَ تَحْسِبُ أَنَّهُ يُصِيبُهُ مِنْ غِنَاكَ شَيْءٌ، أَوْ يُصِيبُكَ مِنْ فَقْرِهِ شَيْءٌ»**، فَقَالَ الْغَنِيُّ: مَعْذِرَةً إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ نَفْسٍ أَمَّارَةٍ بِالسُّوءِ، وَشَيْطَانٍ يَكِيدُنِي، أُشْهِدُكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَّ نِصْفَ مَالِي لَهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ الْفَقِيرُ: مَا أُرِيدُ ذَاكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لِمَ ذَاكَ؟»، قَالَ: أَخَافُ أَنْ يُفْسِدَ قَلْبِي كَمَا أَفْسَدَهُ. (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

۞ وَرَوَىٰ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا يَوْمًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَمَامِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟»**، قَالُو: جَدِيرٌ بِهِ إِنْ تَكَلَّمَ أَنْ يُسْمَعَ لَهُ، وَإِنِ اسْتَنْكَحَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشْفَعَ لَهُ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ فَقِيرٌ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: **«مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟»**، قَالُوا: جَدِيرٌ بِهِ إِنْ تَكَلَّمَ أَلَّا يُسْمَعَ لَهُ، وَإِنِ اسْتَنْكَحَ أَلَّا يُنْكَحَ، وَإِنْ تَشَفَّعَ أَلَّا يُشْفَعَ لَهُ، فَقَالَ ﷺ مُشِيرًا إِلَىٰ هَذَا الرَّجُلِ الْفَقِيرِ: **«هَذَا خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِنْ مِثْلِ هَذَا»**.
(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ)

۞ فَالْمِيزَانُ هُنَا لَيْسَ بِالْغِنَىٰ، وَإِنَّمَا هُوَ بِتَقْوَىٰ اللهِ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(٢).

(١) النساء الآية (١٢٨). (٢) الحجرات الآية (١٣).

۞ وَهَذَا مَا تَحَلَّىٰ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الَّذِي جَمَعَ اللهُ لَهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ﷺ فِي الْمَعِيَّةِ الدَّائِمَةِ للهِ، فَقَدْ تَكَفَّلَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِعِصْمَتِهِ وَكِفَايَتِهِ وَوِلَايَتِهِ ﷺ: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1]،﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[2]،﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3]. وَهُوَ ﷺ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً.

۞ فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَىٰ الصَّوْتِ، وَهُوَ ﷺ عَلَىٰ فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ ﷺ يَقُولُ: «**لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَوَصَفَ الْبَرَاءُ شَجَاعَتَهُ ﷺ، فَقَالَ رضي الله عنه: «إِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا فِي الْحَرْبِ الَّذِي يُحَاذِيهِ».

أَيْ: يَقْتَرِبُ مِنْهُ ﷺ؛ لِقُرْبِهِ ﷺ مِنَ الْعَدُوِّ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ بَدْرٍ، وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَىٰ الْعَدُوِّ، وَكَانَ رضي الله عنه مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْسًا». (رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ)

۞ وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ الْخَطْبُ، وَاحْمَرَّتِ الْحُدُقُ، وحَمِيَ الْوَطِيسُ (أَيِ: البَأْسُ فِي الْقِتَالِ)، اِتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَىٰ الْعَدُوِّ مِنْهُ.

۞ وَلَقَدْ كَانَ ﷺ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ يَرْكَبُ دَابَّتَهُ الْبَيْضَاءَ، وَيَتَقَدَّمُ فِي الصُّفُوفِ وَيُنَادِي قَائِلاً:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

۞ وَمِنْ شَجَاعَتِهِ ﷺ، أَنَّ «رُكَانَةَ» كَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَأْسًا، فَمَا صَارَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا وَصَرَعَهُ رُكَانَةُ، فَدَعَا يَوْمًا إِلَىٰ الْمُصَارَعَةِ، وَقَالَ: مَنْ يُصَارِعُنِي. فَقَامَ لَهُ النَّبِي ﷺ فَصَارَعَهُ فَصَرَعَهُ ﷺ، حَتَّىٰ أَلْقَاهُ ﷺ عَلَىٰ الْأَرْضِ، ثُمَّ صَارَعَهُ فَصَرَعَهُ ﷺ، ثُمَّ صَارَعَهُ فَصَرَعَهُ ﷺ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. (السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

---

(١) الأعراف الآية (١٩٦). (٢) الزمر الآية (٣٦). (٣) المائدة الآية (٦٧).

الْبَابُ السَّادِسُ

ذُو الْجَاهِ الْعَظِيمِ صلى الله عليه وآله وسلم

وَيَتَنَاوَلُ جَاهُهُ الْعَظِيمُ مَا وَرَدَ مِنْ مَقَامَاتِهِ ﷺ الَّتِي شَرَّفَهُ اللهُ بِهَا، وَيَنْضَوِي تَحْتَ مَقَامَاتِهِ ﷺ، مَا جَمَّلَهُ اللهُ بِهِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ الْخَالِصَةِ للهِ، وَهِيَ الَّتِي مَلَكَ اللهُ بِهَا عَلَىٰ حَبِيبِهِ ﷺ بَصَرَهُ وَسَمْعَهُ: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾(١)، وَمَلَكَ عَلَيْهِ ﷺ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(٢)، وَمَلَكَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ﷺ جِسْمَهُ الشَّرِيفَ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾(٣)، وَهُوَ ﷺ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ قَدْ رَفَعَ اللهُ عَنْهُ الْحِجَابَ فِيمَا بَيْنَهُ سُبْحَانَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ ﷺ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾(٤)، ثُمَّ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾(٥)، فَنَفَىٰ عَنْهُ سُبْحَانَهُ حُجُبَ الضَّلَالَةِ وَالْغِوَايَةِ وَالْهَوَىٰ وَالْكَذِبِ، وَأَلْبَسَهُ حُلَلَ كَمَالَاتِهِ ﷺ أَلَا وَهِيَ الرَّحْمَةُ الْعَامَةُ الَّتِي جَمَّلَهُ اللهُ بِهَا، وَالْخُلُقُ الْعَظِيمُ الَّذِي زَادَهُ بِهِ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً، وَشَرِيعَتُهُ الْخَاتِمَةُ بِالْكَمَالِ وَالتَّمَامِ لِمَا سَبَقَهَا مِنَ الشَّرَائِعِ، هَذَا فَضْلاً عَنْ تَشْرِيفِهِ فِي الْخِطَابِ الْإِلَهِيِّ الْمُقَدَّسِ لِحَبِيبِهِ ﷺ، فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ مُخَاطِبًا لَهُ ﷺ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: «**يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ**»، «**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ**»، وَيَنْهَانَا عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَنْ نُخَاطِبَهُ ﷺ كَمَا يُخَاطِبُ بَعْضُنَا بَعْضًا فَيَقُولُ: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾(٦)، وَيُحَذِّرُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٧)، وَكُلُّ هَذَا حِفْظًا لِحُرْمَتِهِ ﷺ، فَقَدْ قَرَنَ اللهُ اسْمَهُ الشَّرِيفَ ﷺ بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ فِي الشَّهَادَتَيْنِ، وَطَاعَتَهُ ﷺ بِطَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(٨)، وَقَرَنَ رِضَاهُ سُبْحَانَهُ بِرِضَا نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ

---

(١) الكهف الآية (٢٦).
(٢) الشعراء الآيات (١٩٣-١٩٥).
(٣) الشعراء الآيتان (٢١٨، ٢١٩).
(٤) النجم الآيات (٢-٤).
(٥) النجم الآية (١١).
(٦) النور الآية (٦٣).
(٧) النور الآية (٦٣).
(٨) النساء الآية (٨٠).

مُؤْمِنِينَ ﴾(١)، فَرِضَا اللهِ هُوَ رِضَا نَبِيِّهِ ﷺ، وَرِضَا النَّبِيِّ ﷺ هُوَ رِضَا الْمَوْلَىٰ سُبْحَانَهُ، وَتَأْكِيداً لِحُرْمَتِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ، فَقَدْ أَحَاطَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ حُرْمَةَ حَبِيبِهِ ﷺ بِآدَابٍ أَنْزَلَهَا سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْحُجُرَاتِ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾(٢)، ثُمَّ امْتَدَحَ سُبْحَانَهُ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ فِي مَجْلِسِهِ ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(٣)، وَبَعْدَ ذَلِكَ ذَمَّ عَزَّوَجَلَّ مَنْ يَعْلُو صَوْتُهُ عِنْدَهُ ﷺ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٤).

۞ وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ، أَنَّ الْخَلِيفَةَ جَعْفَرَ الْمَنْصُورَ حَجَّ عَامًا مِنَ الْأَعْوَامِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْحَجِّ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَسْجِدِهِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، فَاصْطَحَبَ مَعَهُ الْإِمَامَ مَالِكًا، فَلَمَّا دَخَلَا مَعًا الْمَسْجِدَ، عَلَا صَوْتُ الْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ مُذَكِّراً: اِعْلَمْ أَنَّ حُرْمَتَهُ ﷺ بَعْدَ انْتِقَالِهِ إِلَىٰ الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ، كَحُرْمَتِهِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ، وَدَعَاه لِأَنْ يَخْفِضَ صَوْتَهُ فِي حَضْرَتِهِ ﷺ عِنْدَ زِيَارَتِهِ ﷺ، وَذَكَّرَهُ بِالثَّلَاثِ آيَاتِ السَّابِقَةِ. (الشِّفَا لِلْقَاضِي عِيَاض)

۞ وَقَدْ زَادَ اللهُ حَبِيبَهُ ﷺ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً بِصَلَاتِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ ﷺ فَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾(٥). فَكَانَتْ صَلَاتُهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ ﷺ؛ تَعْظِيمًا لِحُرْمَتِهِ ﷺ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ ﷺ؛ إِظْهَاراً لِمَكَانَتِهِ ﷺ، وَصَلَاةُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ﷺ؛ طَلَبًا لِشَفَاعَتِهِ ﷺ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً**».

(رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ)

وَالْمَعْنَىٰ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُحَدِّثُونَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِي**»، أَيْ: أَوْلَىٰ النَّاسِ

(١) التوبة (٦٢).
(٢) الحجرات الآية (٢).
(٣) الحجرات الآية (٣).
(٤) الحجرات الآية (٤).
(٥) الأحزاب الآية (٥٦).

بِشَفَاعَتِي، وَأَوْلَىٰ النَّاسِ بِمَحَبَّتِي، وَأَوْلَىٰ النَّاسِ بِالْقُرْبِ مِنْ حَضْرَتِي، «**أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً**» ﷺ.

۞ وَمِمَّا شَرَّفَ اللهُ بِهِ حَبِيبَهُ ﷺ أَنْ بَايَعَ لَهُ أَنْبِيَاءَهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ، وَأَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَنُصْرَتِهِ ﷺ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، وَقَالَ: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(١) وَفِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ أَقَامَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ مَقَامَ حَضْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(٢).

۞ وَمِنْ مَشَاهِدِ الْعَظَمَةِ الَّتِي جَمَّلَ اللهُ بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ إِسْرَاؤُهُ وَمِعرَاجُهُ ﷺ، الَّذِي جَاوَزَ بِهِ ﷺ السَّبْعَ الطِّبَاقَ، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ كِفَاحًا جِهَارًا، مُشَافَهَةً مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ وَلَا تَرْجُمَانَ، وَأَنْزَلَهُ عَزَّوَجَلَّ فِي أَعْلَىٰ مَنَازِلِ الْقُرْبِ مِنْ حَضْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾(٣)، وَتَفَضَّلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ بِرُؤْيَةِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ وَلَا حَدٍّ وَلَا حِجَابٍ، وَفِي هَذَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَالْكَلَامُ لِمُوسَىٰ، وَالرُّؤْيَةُ لِمُحَمَّدٍ؟!**» ﷺ.

(رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَمِنْ تَعْظِيمِ اللهِ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ، أَنْ أَقْسَمَ عَزَّوَجَلَّ بِحَيَاتِهِ ﷺ، فَقَالَ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٤).

۞ وَعَظَّمَهُ سُبْحَانَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي وُلِدَ وَبُعِثَ فِيهِ ﷺ، فَقَالَ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾(٥)، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾(٦). وَالْمَعْنَىٰ، أَيْ: أُقْسِمُ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ؛ لِكَرَامَتِكَ عَلَيَّ وَحُبِّي لَكَ. (تَفْسِيرُ القُرْطُبِيِّ)

۞ وَهُوَ ﷺ مُعَظَّمٌ فِي الزَّمَانِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنٍ، حَتَّىٰ كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

(١) آل عمرآن الآية (٨١).
(٢) الفتح الآية (١٠).
(٣) النجم الآيات (٨-١٠).
(٤) الحجر الآية (٧٢).
(٥) التين الآيات (١-٣).
(٦) البلد الآيتان (١، ٢).

وَتَشْمَلُ مَقَامَاتُهُ ﷺ الدَّالَةُ عَلَى عَظِيمِ شَأْنِهِ وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ، وَالَّتِي خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا دُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، الْمَقَامَاتِ الآتِيَةَ:

صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ صلى الله عليه وآله وسلم

وَهُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَحْمَدُهُ عَلَيْهِ سَائِرُ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِهِ أَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ ﷺ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1]. وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ هُوَ شَفَاعَتُهُ ﷺ لِأُمَّتِهِ، وَلِسَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.

❁❁❁❁❁

صَاحِبُ الْحَوْضِ الْمَوْرُودِ صلى الله عليه وآله وسلم

وَهَذَا الْمَقَامُ خَصَّ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَالْحَوْضُ الْمَوْرُودُ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ، وَمَاؤُهُ يَمْتَدُّ مِنَ الْجَنَّةِ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

❁❁❁❁❁

صَاحِبُ اللِّوَاءِ الْمَعْقُودِ صلى الله عليه وآله وسلم

وَاللِّوَاءُ الْمَعْقُودُ هُوَ لِوَاءُ الْحَمْدِ الَّذِي خَصَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ، وَالْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ تَحْتَ لِوَائِهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ؛ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه)

❁❁❁❁❁

صَاحِبُ الْوَسِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ الرَّفِيعَةِ صلى الله عليه وآله وسلم

وَالْوَسِيلَةُ هَذِهِ مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي لِأَحَدٍ سِوَاهُ ﷺ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ

(١) الإسراء الآية (٧٩).

الْعَاصِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ مَرَّةً، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَاً، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

قَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجلِينَ ﷺ

۞ وَهُمْ أُمَّةُ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَي ﷺ، وَفِيهِمْ يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرَّاً مُحَجَّلِينَ؛ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَمَعْنَىٰ: «غُرَّاً مُحَجَّلِينَ»، أَيْ: يَشِعُّ مِنْ وُجُوهِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ. وَهَذِهِ عَلَامَةُ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ سَائِرِ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

❁❁❁❁❁

الْفَاتِحُ الْخَاتَمُ ﷺ

۞ هُوَ ﷺ الْفَاتِحُ لِمَا أُغْلِقَ، الْخَاتِمُ لِمَا سَبَقَ، فَبِهِ ﷺ افْتَتَحَ اللهُ النُّبُوَّاتِ، حَيْثُ قَالَ ﷺ: «كُنْتُ نبِيّاً وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والْجَسَدِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَبِهِ ﷺ خُتِمَتِ النُّبُوَّاتُ، لِقَوْلِهِ تعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1].

❁❁❁❁❁

الرَّءُوفُ الرحيمُ ﷺ

۞ وَهُمَا اسْمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، جَمَّلَ بِهِمَا حَبِيبَهُ ﷺ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ كَمَالِ مَحَبَّةِ اللهِ لِحَبِيبِهِ ﷺ، والسِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ عَامِرَةٌ بِآثَارِ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ ﷺ؛ فَقَدَ شَمِلَتْ رَأْفَتُهُ وَرَحْمَتُهُ مَنْ عَادَاهُ وَآذَاهُ، وَهُوَ ﷺ يَدْعُو لَهُمْ؛ وَلَا يَدْعُو عَلَيْهِمْ، كَمَا دَعَا ﷺ لِثَقِيفَ: «اللَّهُمَّ

(١) الأحزاب الآية (٤٠).

اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»، وَلَمَّا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَمَعَهُ مَلَكُ الْجِبَالِ يَسْتَأْذِنُ أَنْ يُطْبِقَ عَلَيْهِمْ مَا بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ، فَأَبَىٰ صلى الله عليه وآله وسلم، وَقَالَ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»، فَلَمَّا سَمِعَ جِبْرِيلُ مَقَالَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ عليه السلام: «**صَدَقَ مَنْ سَمَّاكَ الرَّءُوفَ الرَّحِيمَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

الْبَشِيرُ النَّذِيرُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ وَقَدْ سَاقَ اللهُ تَعَالَىٰ الْبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[1].

۞ وَهُوَ صلى الله عليه وآله وسلم كَذَلِكَ نَذِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾[2]؛ حَتَّىٰ لَا يَرْكَنَ الْعَبْدُ لِطَاعَتِهِ، فَيَتَوَانَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الْقِيَامِ للهِ بِمَا أَرَادَ، وَفِي هَذَا حِفْظٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ، وَمِفْتَاحٌ لِلدُّخُولِ فِي رَحْمَةِ اللهِ، وَهُوَ صلى الله عليه وآله وسلم كَذَلِكَ نَذِيرٌ لِلْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، حَيْثُ يَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ عَاقِبَةِ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ نَجَاةٌ لَهُمْ، وَتَصْحِيحٌ لِمَسَارِ حَيَاتِهِمْ، يَنْقُلُهُمْ بِتَذْكِيرِهِمْ وَإِنْذَارِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[3]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[4]. وَمَعْنَىٰ: (**لُّدًّا**)، أَيْ: الْأَعْدَاءُ الْأَلِدَّاءُ الْمُبَالِغُونَ فِي الْخُصُومَةِ بِالْبَاطِلِ.

❁❁❁❁❁

السِّرَاجُ الْمُنِيرُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ أَثْنَىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِهَذَا الثَّنَاءِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[5]. فَهُوَ صلى الله عليه وآله وسلم فِي أُمَّتِهِ كَالشَّمْسِ تُمِدُّ الْقَمَرَ بِالنُّورِ فَيُضِيءُ، وَكَذَلِكَ الْكَوَاكِبُ

(١) الأحزاب الآية (٤٧).
(٢) يس الآية (١١).
(٣) إبراهيم الآية (١).
(٤) مريم الآية (٩٧).
(٥) الأحزاب الآية (٤٦).

تَسْتَمِدُّ ضِيَاءَهَا مِنَ الشَّمْسِ فَتُضِيءُ، كَذَلِكَ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ بِفَضْلِ اقْتِبَاسِهَا مِنْ سِرَاجِهِ الْمُنِيرِ ﷺ، مِنْهُمْ مَنْ يُضِيءُ كَالْبَدْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُضِيءُ كَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

الرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ لِلْعَالَمِينَ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ عَلَىٰ حَبِيبِهِ ﷺ بِهَذَا الْوَصْفِ، فَعَمَّتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ وَمَلَكٍ وَطَيْرٍ وَحَيَوَانٍ وَجَمَادٍ ....، فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ أَصَابَ مِنْ رَحْمَتِهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾(١).

❁❁❁❁❁

رَسُولُ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ وَهَذَا مَا أَثْنَىٰ بِهِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾(٢). وَفِي هَذَا تَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها لَمَّا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِهِ ﷺ فَقَالَتْ رضي الله عنها: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَيَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه فِي تَعْلِيقِهِ عَلَىٰ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «لَمَّا كَانَ ﷺ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، وَالْقُرْآنُ مَعَانِيهِ لَا تَنْتَهِي، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يَنْتَهِي»، أَيْ: أَنَّهُ ﷺ فَوْقَ الْحَدِّ وَالْعَدِّ.

❁❁❁❁❁

الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ قَالَ تَعَالَىٰ مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾(٣)، فَهُوَ ﷺ حَامِلُ رِسَالَةِ الْهُدَىٰ

(١) الأنبياء الآية (١٠٧). (٢) القلم الآية (٤). (٣) الشورى الآيتان (٥٢، ٥٣).

وَالنُّورِ قُرْآنًا وَبيَانًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

❁❁❁❁❁

رَسُولُ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ ﷺ

لَقَدِ اصْطَفَىٰ اللهُ حَبِيبَهُ ﷺ بِرِسَالَةِ الْكَمَالِ وَالتَّمامِ، فَقَالَ تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٢)، وبِكَمَالِ الدِّينِ أَتَمَّ اللهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْنَا، وَهِيَ الَّتِي نَتَحَدَّثُ بِهَا فَنَقُولُ: «رَضِيتُ بِاللهِ تَعَالَىٰ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولاً»، فَمَنْ قَالَهَا ذَاقَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، وَكَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ، كَمَا أَخْبَرَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ ﷺ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذِهِ اللَّبِنَةُ!، فَقَالَ ﷺ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»**. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَفِي هذَا إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَكْمَلَ وَأَتَمَّ رِسَالَتَهُ إِلَىٰ الْخَلْقِ بِبَعْثَةِ سَيِّدِنَا مَحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي جَاءَتْ خَاتِمَةً لِرِسَالَاتِ النَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلُ.

❁❁❁❁❁

أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﷺ

قَالَ تَعَالَىٰ مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٣).

❁❁❁❁❁

(١) يونس الآية (٥٧). (٢) المائدة الآية (٣). (٣) الأنعام الآيتان (١٦٢، ١٦٣).

أوَّلُ الْعَابِدِين ﷺ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ ﷺ: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾(١)، وَحَاشَا اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، فَهُوَ عَزَّوَجَلَّ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(٢)، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٣)، فَكَانَ الْأَسْبَقُ لِعِبَادَةِ اللهِ وَتَوْحِيدِهِ وَتَنْزِيهِهِ، هُوَ رَسُولَ اللهِ ﷺ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْهُ فِي مَقَامِ عِبَادَتِهِ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ، لَا مِنَ الْإِنْسِ وَلَا مِنَ الْجِنِّ، فَأَوَّلُ الْعَابِدِينَ للهِ مِنْ بَيْنِ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

۞۞۞۞۞

سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ﷺ

۞ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ؛ آدَمُ فَمِنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي**».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ)

۞ وَقَدْ أَشَارَ سَيِّدِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُرْسِيُّ رضي الله عنه إِلَىٰ مَعْنَىٰ: «**وَلَا فَخْرَ**»، فَقَالَ رضي الله عنه: أَيْ: وَلَا فَخْرَ بِالسِّيَادَةِ، إِنَّمَا الْفَخْرُ بِالْعُبُودِيَّةِ الَّتِي أَثْنَىٰ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ ﷺ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾(٤)، حَيْثُ أَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ ﷺ: «**بِمَ أُشَرِّفُكَ يَا مُحَمَّدُ؟**» قَالَ ﷺ: «**شَرِّفْنِي أَنْ أَكُونَ عَبْدًا لَكَ**»، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي مَقَامِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ﷺ بِالْعُبُودِيَّةِ، كَمَا وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا فِي إِسْرَائِهِ ﷺ، وَصَفَهُ بِهَا فِي مِعْرَاجِهِ ﷺ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾(٥)، وَأَثْنَىٰ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ ﷺ بِهَا فِيمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ ﷺ مِنْ كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾(٦)، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(٧).

۞۞۞۞۞

---

(١) الزخرف الآية (٨١).
(٢) الأخلاص الآية (٣-٤).
(٣) الذاريات الآية (٥٦).
(٤) الإسراء الآية (١).
(٥) النجم الآية (١٠).
(٦) الكهف الآية (١).
(٧) الفرقان الآية (١).

أَجْوَدُ وَلَدِ آدَمَ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ فَقَدْ جَادَ ﷺ بِكَونَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَكَانَ ﷺ يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَىٰ الْفَقْرَ، وَأَمَّا جُودُهُ ﷺ بِالْآخِرَةِ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي؛ شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ فَهُوَ ﷺ أَجْوَدُ وَلَدِ آدَمَ، بَلْ هُوَ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ جَادَ بِهِمَا، وَهَذَا مَقَامٌ فِي الْجُودِ لَمْ يَبْلُغْهُ إِلَّا هُوَ ﷺ.

۞۞۞۞۞

السِّرُّ السَّارِي صلى الله عليه وآله وسلم

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(١). **أَيْ**: لِمَا يُحْيِيكُمُ الْحَيَاةَ الْإِيمَانِيَّةَ، وَهِيَ حَيَاةُ الْإِيمَانِ وَالْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ وَالْإِرْشَادِ، فَهُوَ ﷺ السِّرُّ السَّارِي فِي الْأُمَّةِ بِهَدْيِهِ الشَّرِيفِ الَّذِي أَخْرَجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَهُوَ ﷺ السِّرُّ السَّارِي بِرَحْمَتِهِ الَّتِي أَصَابَ مِنْهَا كُلُّ مَوْجُودٍ، وَهُوَ ﷺ السِّرُّ السَّارِي بِالْمَحَبَّةِ الَّتِي رَفَعَتِ الْمؤْمِنِينَ إِلَىٰ مَقَامٍ أَمِينٍ، وَهُوَ ﷺ السِّرُّ السَّارِي بِالْخُلُقِ الْكَرِيمِ الَّذِي مَنْ تَخَلَّقَ بِهِ صَارَ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْأَبْرَارِ وَالْمُقَرَّبِينَ، وَهُو ﷺ السِّرُّ السَّارِي بِسِرَاجِهِ الْمُنِيرِ الَّذِي أَسْرَجَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنُّورِ وَالْيَقِينِ.

۞۞۞۞۞

الصادِقُ الْمَصْدُوقُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ فَهُوَ ﷺ الصَّادِقُ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ، وَهُوَ ﷺ الْمَصْدُوقُ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَفِي كُلِّ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، فَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ اللهِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَحُسْنِ الِاتِّبَاعِ لِحَضْرَتِهِ ﷺ.

---

(١) الأنفال الآية (٢٤).

الْكَامِلُ الْمُكَمِّلُ ﷺ

۞ فَهُوَ ﷺ الْجَامِعُ لِلْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي خَلْقِهِ الْقَوِيمِ، وَخُلُقِهِ الزَّكِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، وَرِسَالَتِهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﷺ، فَنُورُهُ أَنْوَرُ ﷺ، وَبُرْهَانُهُ أَزْهَرُ ﷺ، وَذِكْرُهُ أَجْلَىٰ ﷺ، وَقَدْرُهُ أَعْلَىٰ ﷺ، وَصُورَتُهُ أَجْمَلُ ﷺ، وَعِلْمُهُ أَرْفَعُ ﷺ، وَلِسَانُهُ أَفْصَحُ ﷺ، وَدُعَاؤُهُ أَسْمَعُ ﷺ، وَدِينُهُ أَكْمَلُ ﷺ، وَهُوَ حَبِيبُ الْمَوْلَىٰ ﷺ، وَهُوَ بِالْمُؤْمِنِينَ أَوْلَىٰ ﷺ.

❁❁❁❁❁

رَسُولُ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ ﷺ

۞ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[1]، وَالْكَوْثَرُ هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي أَفَاضَهُ اللهُ عَلَىٰ حَبِيبِهِ ﷺ؛ مِنَ الْوَسِيلَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الْعَالِيَّةِ الرَّفِيعَةِ، وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾[2].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿بَعۡضَهُمۡ﴾، هُنَا هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ. (تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ)

۞ وَمِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ قَوْلُهُ ﷺ: «**بُعِثْتُ إِلَىٰ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَخُتِمَتْ بِيَ النُّبُوَّاتُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ)

۞ وَمِنَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي خَصَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ، نَهْرُ الْكَوْثَرِ الَّذِي تَفَضَّلَ اللهُ بِهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ مَا فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ، فَقَالَ ﷺ: «**حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، وَطِينَتُهُ الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَآنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، يَجْرِي عَلَىٰ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَهُوَ ﷺ مِنْهُ تَتَفَجَّرُ يَنَابِيعُ الرَّحْمَةِ، وَتَتَّضِحُ سُبُلُ الْهِدَايَةِ وَالرَّشَادِ، وَعَلَىٰ يَدَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ ﷺ تُنَالُ الْخَيْرَاتُ وَالْبَرَكَاتُ.

❁❁❁❁❁

(١) الكوثر الآية (١). (٢) البقرة الآية (٢٥٣).

فَهُوَ ﷺ الإِمَامُ الْأَعْظَمُ، وَالْوَسِيلَةُ الْعُظْمَىٰ لِلْخَلْقِ، حَيْثُ لَا وُصُولَ لَهُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ إِلَّا بِهِ ﷺ، فَالرُّكْنُ الْأَوَّلُ فِي الْإِسْلَامِ: «**شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ**»، فَلَا دُخُولَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِهِ ﷺ، وَحُسْنِ الِاتِّبَاعِ لِحَضْرَتِهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١). وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾(٢).

وَرَوَىٰ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ يَهُودَ خَيْبَرَ كَانَتْ تُقَاتِلُ غَطْفَانَ - وَهِيَ قَبِيلَةٌ مِنْ قَبَائِلِ الْمُشْرِكِينَ - فَكَانَتْ غَطْفَانُ تَهْزِمُ الْيَهُودَ، فَدَعَتِ الْيَهُودُ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنْ تُخْرِجَهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، إِلَّا تَنْصُرُنَا عَلَيْهِمْ»، فَلَمَّا دَعَوْا بِهَذَا الدُّعَاءِ، اِسْتَجَابَ اللهُ لَهُمْ، وَهَزَمَتِ الْيَهُودُ غَطْفَانَ، وَكَانَ هَذَا التَّوَسُّلُ قَبْلَ بِعْثَتِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ، فَلَمَّا بُعِثَ ﷺ كَفَرُوا بِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ، قَالَ: يَا رَبِّ، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً؟ قَالَ: لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ، وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ، رَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ عَلَىٰ قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوباً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ. فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَىٰ اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ. قَالَ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ**». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَابْنُ عَسَاكِرَ)

❁❁❁❁❁

---

(١) آل عمران الآية (٣١). (٢) الأحزاب الآية (٢١). (٣) البقرة الآية (٨٩).

الْجَامِعُ لِشَرَائِفِ الْأَسْمَاءِ صلى الله عليه وآله وسلم

﴿ لَقَدْ خَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ حَبِيبَهُ ﷺ بِأَشْرَفِ الْأَسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ مَكَانَتِهِ ﷺ، وَعَلَىٰ رَأْسِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ (مُحَمَّدٌ) ﷺ، وَهُوَ الِاسْمُ الْجَامِعُ لِمَحَامِدِ الصِّفَاتِ الَّتِي يَحْمَدُهُ عَلَيْهَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ؛ لِكَثْرَةِ خِصَالِهِ الْمَحْمُودَةِ ﷺ الْمَوْصُوفِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ بِهَا، وَكَذَلِكَ (أَحْمَدُ) ﷺ، وَهُوَ الِاسْمُ الدَّالُّ عَلَىٰ أَنَّهُ ﷺ أَحْمَدُ الْحَامِدِينَ لِرَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ.

﴿ وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمِي، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

﴿ وَمِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ: «نَبِيُّ الرَّحْمَةِ»، الَّذِي أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﷺ، وَ«نَبِيُّ الْمَلَاحِمِ» الَّذِي يُجَاهِدُ أَعْدَاءَ اللهِ ﷺ، «وَالْمُقَفِّي» الَّذِي يَقْتَفِي هَدْيَ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ النَّبِيِّينَ ﷺ، «وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ» الَّذِي رَفَعَ اللهُ بِهِ الْإِصْرَ عَنْ أُمَّتِهِ ﷺ، فَكَانَتْ تَوْبَتُهَا النَّدَمَ وَالْإِقْلَاعَ عَنِ الذَّنْبِ ﷺ، وَ«الْقُثَّمُ»، أَيْ: الْجَامِعُ لِلْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ ﷺ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ كَذَلِكَ: الْبَشِيرُ - الْمُبَشِّرُ - النَّذِيرُ - السِّرَاجُ الْمُنِيرُ - عَبْدُ اللهِ - عَبْدُهُ - الرَّءُوفُ - الرَّحِيمُ - طَهَ - يَس - الْمُزَّمِّلُ - الْمُدَّثِّرُ - الْمُتَوَكِّلُ.

﴿ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: «قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ صِفَةَ النَّبِيِّ ﷺ: مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُهُ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ؛ بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ أَقْبِضَهُ حَتَّىٰ أُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ؛ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁❁❁❁❁

الْمَبْعُوثُ بِفَوَاتِحِ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمِهِ وَجَوَامِعِهِ صلى الله عليه وآله وسلم

﴿ وَفَوَاتِحُ الْكَلِمِ هِيَ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وَخَوَاتِمُهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وَجَوَامِعُهُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فَهِيَ الْكَلِمَةُ الْجَامِعَةُ لِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

۞ وَمِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، مَا جَمَعَهُ اللهَ تَعَالَىٰ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، وَجَمَعَ سُبْحَانَهُ الطِّبَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[2]، وَجَمَعَ عَزَّوَجَلَّ الِاقْتِصَادَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[3]، وَجَمَعَ عَزَّوَجَلَّ الْأَحْكَامَ السُّلْطَانِيَّةَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[4]، وَجَمَعَ عَزَّوَجَلَّ عَوَاقِبَ الْأَعْمَالِ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا فِي آيَتَيْنِ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[5].

۞ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ يَقُولُ ﷺ: «**مَا عِنْدِي غَيْرُ هَذِهِ الْآيَةِ الْفَاذَّةِ الْجَامِعَةِ:** ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ)

۞ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُوتِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

❁❁❁❁

الْمَبْعُوثُ بِآيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى صلى الله عليه وآله وسلم

۞ أَلَا وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الْمَجِيدُ الْكَرِيمُ الْحَكِيمُ الْعَزِيزُ الْمُبَارَكُ، فَكُلُّ آيَةٍ مِنْ آيَاتِهِ مُعْجِزَةٌ، وَبِهِ تَحَدَّىٰ اللهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[6].

۞ وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ جَامِعًا لِأَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ، فَهُوَ رِسَالَةٌ مِنَ الْحَقِّ إِلَىٰ الْخَلْقِ،

---

(١) النحل الآية (٩٠).
(٢) الأعراف الآية (٣١).
(٣) الفرقان الآية (٦٧).
(٤) المائدة الآية (٤٩).
(٥) الزلزلة الآيتان (٧-٨).
(٦) الإسراء الآية (٨٨).

وَهُوَ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ مُعْجِزَةٌ؛ لِذَلِكَ تَمَيَّزَ عَمَّا سَبَقَهُ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ بِهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ، حَيْثُ كَانَتْ رِسَالَةُ كُلِّ نَبِيٍّ مُنْفَصِلَةً عَنْ مُعْجِزَتِهِ، فَرِسَالَةُ مُوسَىٰ التَّوْرَاةُ، وَمُعْجِزَتُهُ الْعَصَا وَالْيَدُ، وَرِسَالَةُ عِيسَىٰ الْإِنْجِيلُ، وَمُعْجِزَتُهُ إِحْيَاءُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ، وَإِبْرَاءُ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ بِإِذْنِ اللهِ، وَرِسَالَةُ دَاوُدَ الزَّبُورُ، وَمُعْجِزَتُهُ أَنَّ اللهَ أَلَانَ لَهُ الْحَدِيدَ، وَأَنَّ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ كَانَتْ تُسَبِّحُ مَعَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[1].

۞ أَمَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَدِ اتَّحَدَتْ رِسَالَتُهُ وَمُعْجِزَتُهُ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِهِ ﷺ أُرْسِلُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ خَاصَّةً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2]، فَإِذَا انْتَقَلَ الرَّسُولُ مِنْهُم إِلَىٰ جِوَارِ رَبِّهِ، بَقِيَتْ رِسَالَتُهُ بِدُونِ مُعْجِزَةٍ، وَالْمُعْجِزَةُ هِيَ الْحُجَّةُ الْمُؤَيِّدَةُ لِرِسَالَتِهِ، فَلَا يُطَالِبُ بِالْإِيمَانِ بِهَا إِلَّا قَوْمَهُ الَّذِينَ شَهِدُوا مُعْجِزَتَهُ، أَمَّا مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ فَقَدْ شَهِدُوا الرِّسَالَةَ وَلَمْ يَشْهَدُوا الْمُعْجِزَةَ الْمُؤَيِّدَةَ لَهَا؛ لِذَلِكَ يُسَمَّوْنَ بِأَهْلِ الْفَتْرَةِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[3].

۞ فَلَمَّا جَاءَتْ رِسَالَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَتَتْ وَمَعَهَا وَفِي ذَاتِهَا الْمُعْجِزَةُ الْقَائِمَةُ عَلَىٰ مَرِّ الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ، يَشْهَدُهَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ؛ لِأَنَّهُ ﷺ رَسُولُ اللهِ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا، فَالْكُلُّ مُطَالَبٌ بِالْإِيمَانِ بِهِ ﷺ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَآخِرِهَا؛ لِأَنَّ الْكُلَّ قَدْ شَهِدُوا مُعْجِزَتَهُ فِي رِسَالَتِهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

۞ وَالْإِيمَانُ بِهِ ﷺ، وَبِمَا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ ﷺ، يَقْتَضِي الْإِيمَانَ بِكُلِّ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ السَّلَامِ، وَبِكُلِّ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِم مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ جَاءَ مُصَدِّقًا لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّونَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ

(١) ص الآيتان (١٨، ١٩).
(٢) الرعد الآية (٧).
(٣) الإسراء الآية (١٥).
(٤) سبأ الآية (٢٨).

ﭐلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾[1].

۞ فَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ هُوَ الْمُعْجِزَةُ الْكُبْرَىٰ الْخَالِدَةُ الْبَاقِيَةُ الْمَشْهُودَةُ لِأَعْيُنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيَاً أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُم تَابِعَاً**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞۞۞۞۞

الْمَبْعُوثُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ ﷺ

۞ وَفِي هَذَا الْمَقَامِ يُخَاطِبُ اللهُ حَبِيبَهُ ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[2].

۞ وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ وَالْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ هِيَ الْإِسْلَامُ الَّذِي هُوَ دِينُ السَّمَاحَةِ وَالْيُسْرِ، دِينُ الْفِطْرَةِ وَالطُّهْرِ، الدِّينُ الْوَسَطُ الَّذِي يَعْمَلُ فِيهِ الْإِنْسَانُ لِدُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ مَعَاً، فَلَا يَتْرُكُ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَلَا يَتْرُكُ آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ، هُوَ الدِّينُ الَّذِي يَعْنِي بِنَظَافَةِ الْإِنْسَانِ ظَاهِرَاً وَبَاطِنَاً، فَلَا يَتْرُكُ فِيهِ أَثَرَاً لِشَيْطَانٍ مَرِيدٍ، فَعَنْ عِيَاضِ بْنِ عَمَّارٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ: خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَقَدْ مَكَّنَ اللهُ لِلْعَبْدِ الْمُسْلِمِ فَأَعْطَاهُ سِلَاحَ الْمُجَاهَدَةِ الَّذِي يُجَاهِدُ بِهِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ، وَسِلَاحَ التَّوْبَةِ الَّذِي يَعُودُ بِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ تَائِبَاً مُنِيبَاً، طَاهِرَاً مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، قَدْ سَلِمَ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ الَّذِي صَارَ لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَيْهِ، وَعَادَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ فِطْرَتِهِ الزَّكِيَّةِ النَّقِيَّةِ الطَّاهِرَةِ، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَكُلُّ هَذَا بِفَضْلِ الِاتِّبَاعِ لِمَا جَاءَ بِهِ سَيِّدُ الْأَنَامِ سَيِّدُنَا مُحَمَّد ﷺ.

۞۞۞۞۞

(١) المائدة الآية (٤٨). (٢) الأنعام الآيات (١٦١-١٦٣).

الطَّيِّبُ الْمُبَارَكُ الْمَكِينُ ﷺ

۞ هَذِهِ الْخِصَالُ الَّتِي تَحَلَّىٰ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَىٰ مِفْتَاحًا لِلْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ، فَقَد رُوِيَ أَنَّ السَّيِّدَةَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها، أَصَابَهَا وَرَمٌ فِي رَأْسِهَا، فَلَمَّا شَكَتْ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَضَعَ ﷺ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَىٰ رَأْسِهَا مِنْ فَوْقِ الثِّيَابِ، فَقَالَ ﷺ: «**بِسْمِ اللهِ، أَذْهِبْ عَنْهَا سُوءَهُ وَفُحْشَهُ، بِدَعوَةِ نَبِيِّكَ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْمَكِينِ عِنْدَكَ، بِسْمِ اللهِ**»، فَأَذْهَبَ اللهُ عَنْهَا مَا نَزَلَ بِهَا.

۞ وَرُوِيَ مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه، فَقَد أَصَابَهُ وَجَعٌ فِي ضِرْسِهِ، فَشَكَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَىٰ خَدِّهِ، وَدَعَا ﷺ اللهَ تَعَالَىٰ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ سُوءَ مَا يَجِدُ وَفُحْشَهُ، بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْمَكِينِ عِنْدَكَ**»، قَالَهَا النَّبِيُّ ﷺ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَأَذْهَبَ اللهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه سُوءَهُ وَفُحْشَهُ. (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

۞۞۞۞

الطَّيِّبُ الْمُطَيَّبُ ﷺ

۞ مِنَ الْخَصَائِصِ الَّتِي تَفَضَّلَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا عَلَىٰ حَبِيبِهِ ﷺ، أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مَزَجَ بَشَرِيَّتَهُ بِالطِّيبِ ﷺ، فَرَائِحَتُهُ ﷺ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ زَكِيَّةٌ، بِلَا طِيبَ تَطَيَّبَ بِهِ ﷺ، حَتَّىٰ أَنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي كَانَ يَسِيرُ ﷺ فِيهِ، يُعْرَفُ أَنَّهُ ﷺ سَلَكَهُ؛ مِنْ طِيبِ رَائِحَتِهِ، لِمَا رَوَاهُ جَابِرٌ رضي الله عنه، قَالَ: «**لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ فِي طَرِيقٍ، فَيَتْبَعُهُ أَحَدٌ، إِلَّا عَرَفَ أَنَّهُ ﷺ سَلَكَهُ؛ مِنْ طِيبِهِ ﷺ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَرُوِيَ كَذَلِكَ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «نَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي دَارِنَا فَعَرِقَ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ بِقَارُورَةٍ تَجْمَعُ فِيهَا عَرَقَهُ، فَسَأَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «**أَنَّهُ لَمَّا غَسَّلَ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَجِدْ مِثْلَ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيِّتِ، فَقُلْتُ: طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَسَطَعَتْ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ لَمْ نَجِدْ مِثْلَهَا قَطُّ**».

۞ كَذَلِكَ حِينَ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ رضي الله عنه عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَقَبَّلَهُ، وَهُوَ ﷺ عَلَىٰ فِرَاشِ

الْمَوْتِ، قَالَ مِثْلَ مَا قَالَهُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁❁❁❁❁

الطَّاهِرُ الْمُطَهَّرُ صلى الله عليه وآله وسلم

لَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ حَبِيبِهِ ﷺ، فَقَالَ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[1]. فَرَفَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ ﷺ ثِقَلَ مَا لِلْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْأَوْزَارِ وَالذُّنُوبِ، وَهَذَا مِمَّا تَفَضَّلَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ عَلَىٰ حَبِيبِهِ ﷺ مُنْذُ أَوَّلِ نَشْأَتِهِ ﷺ حِينَ شُقَّ صَدْرُهُ وَهُوَ ﷺ فِي حَضَانَةِ السَّيِّدَةِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَةِ، حَيْثُ نَشَأَ ﷺ مَعْصُومًا، لَا حَظَّ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ ﷺ، فَكَانَ الطُّهْرُ مِعْرَاجًا لِلْكَمَالَاتِ الَّتِي جَمَعَهَا اللهُ لِحَبِيبِهِ ﷺ.

❁❁❁❁❁

الزَّكِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم

وَمِنْ خِصَالِ الطُّهْرِ وَالْكَمَالِ الَّتِي أَفْرَدَ اللهُ بِهَا حَبِيبَهُ ﷺ، هَذِهِ الْخِصَالُ الْعَشَرَةُ الَّتِي يَطِيبُ لَنَا أَنْ نَتَطَيَّبَ بِذِكْرِهَا؛ لِلْوُقُوفِ عَلَىٰ شَمِيمٍ مِنْ قَدْرِهِ الْعَظِيمِ ﷺ، وَهِيَ:

١) **لَمْ يَتَثَاءَبْ قَطُّ** صلى الله عليه وآله وسلم.

٢) **لَمْ يَحْتَلِمْ قَطُّ** صلى الله عليه وآله وسلم.

٣) **الذُّبَابُ عَنْهُ مُمْتَنِعٌ** صلى الله عليه وآله وسلم.

٤) **مَا يَخْرُجُ مِنْهُ عَلَىٰ الْأَرْضِ يُبْتَلَعُ** صلى الله عليه وآله وسلم.

٥) **لَيْسَ لَهُ ظِلٌّ** صلى الله عليه وآله وسلم.

٦) **تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ** صلى الله عليه وآله وسلم.

٧) **وُلِدَ مَخْتُونًا مَسْرُورًا؛ لِكَرَامَتِهِ عَلَىٰ اللهِ** صلى الله عليه وآله وسلم.

٨) **يَرَىٰ مِنْ خَلْفِهِ كَمَا يَرَىٰ مِنْ أَمَامِهِ** صلى الله عليه وآله وسلم.

٩) **تَأْتِي الدَّوَابُّ مُسْرِعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَسْكُنُ وَلَا تَهْرُبُ** صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) الشرح الآيات (١-٤).

١٠) يَعْلُو جُلُوسُهُ جُلُوسَ جُلَسَائِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَمَا مَاشَاهُ أَحَدٌ كَذَلِكَ إِلَّا طَالَهُ صلى الله عليه وآله وسلم.

❁❁❁❁❁

الْحِصْنُ الْحَصِينُ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ هُوَالْحِصْنُ الْحَصِينُ الَّذِي حَفِظَ اللهُ بِهِ الْأُمَّةَ مِنَ الْمَهَالِكِ، وَهَدَاهَا بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ إِلَىٰ أَقْوَمِ الطُّرُقِ وَالْمَسَالِكِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

۞ فَهُوَ ﷺ الَّذِي أَنْقَذَنَا اللهُ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوقَدَ نَاراً، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجُزِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

❁❁❁❁❁

خَلِيلُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ لَقَدِ اصْطَفَىٰ اللهُ حَبِيبَهُ ﷺ بِالْخُلَّةِ، كَمَا اصْطَفَىٰ اللهُ بِهَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَمَعْنَىٰ «**خَلِيل**»، أَيْ: تَخَلَّلَ حُبُّ اللهِ فِي قَلْبِهِ، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ ﷺ مَحْبُوبٌ ومَرْجُوٌّ وَمَقْصُودٌ إِلَّا اللهَ.

❁❁❁❁❁

الْخَبِيرُ الدَّالُّ عَلَى اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[2]، وَالْخَبِيرُ هُنَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَا أَحَدَ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ أَعْلَمُ بِاللهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ ﷺ الْإِمَامُ النَّاطِقُ عَنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ، فَقَوْلُهُ ﷺ حَقٌّ، قَالَ تَعَالَىٰ مُثْنِيًا عَلَىٰ حَبِيبِهِ ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣

---

(١) آل عمران الآية (١٠٣). (٢) الفرقان الآية (٥٩).

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[2]؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ أَعْلَمُ بِاللهِ، وَأَقْرَبُ إِلَىٰ اللهِ، وَأَتْقَىٰ للهِ، مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَا يُخْبِرُ عَنِ الرَّحْمَنِ وَمَا فِيهِ مِنْ صِفَةِ الرَّحْمَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا مَنْ أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ، وَلَا يُخْبِرُ عَنْ عَظَمَةِ الْعَظِيمِ، إِلَّا مَنْ خَصَّهُ اللهُ بِفَضْلِهِ الْعَظِيمِ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[3].

❁❁❁❁❁

وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾[4] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[5]، وَالوِلَايَةُ هِيَ النُّصْرَةُ، وَالْوَلِيُّ هُوَ الْمُعِينُ وَالنَّصِيرُ، وَالوِلَايَةُ بِمَعْنَىٰ الْقُرْبِ، وَالْوَلِيُّ هُوَ الْقَرِيبُ، وَالوِلَايَةُ هِيَ الْمَحَبَّةُ، وَالْوِلَايَةُ هِيَ الْهِدَايَةُ، فَهُوَ ﷺ نَاصِرُنَا، وَقَرِيبٌ مِنَّا، وَمُحِبٌّ لَنَا، وَهُوَ ﷺ هَادِينَا، وَالْآخِذُ بِأَيْدِينَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ ﷺ، فَرَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْجَامِعُ لِهَذِهِ الْمَعَانِي كُلِّهَا؛ بَلْ هُوَ أَوْلَىٰ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا ﷺ؛ لِذَلِكَ كَانَ شَرْطُ اسْتِكْمَالِ الْإِيمَانِ أَنْ نُقَدِّمَ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَعَزِّ شَيْءٍ لَدَيْنَا، قَالَ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

إِمَامُ الْمُتَّقِينَ ﷺ

۞ فَهُوَ ﷺ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ فِي الدُّنْيَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[6].

۞ وَهُوَ ﷺ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ فِي الْآخِرَةِ، يَسْتَفْتِحُ لَهُمْ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ

(١) النجم الآيتان (٣، ٤).
(٢) النساء الآية (٥٩).
(٣) النساء الآية (١١٣).
(٤) المائدة الآية (٥٥).
(٥) الأحزاب الآية (٦).
(٦) الأحزاب الآية (٢١).

آمِنِينَ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَلَّا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَقَدْ أَعْطَاهُ اللهِ تَعَالَىٰ الشَّرَفَ الْأَعْلَىٰ بِإِمَامَتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِلْأَنْبِيَاءِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، هَذَا فِي الدُّنْيَا، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَالْكُلُّ تَحْتَ لِوَائِهِ وَخَلْفَ إِمَامَتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وِمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ؛ آدَمُ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ)

۞۞۞۞۞

جَلِيسُ أَهْلِ الْجَنَّةِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ كَمَا أَنَّ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم الشَّرَفَ الْأَعْظَمَ وَالْمَنْزِلَةَ الْعَلِيَّةَ بِاسْتِفْتَاحِهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِبَابِ الْجَنَّةِ، فَلَا يُفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ، فَكَانَ الشَّرَفُ الْأَعْلَىٰ كَذَلِكَ لِمَنْ أَسْعَدَهُ اللهُ بِجِوَارِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ مَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[1].

۞ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقاً، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافاً، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً أَتَىٰ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»، قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَثِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ)

(١) النساء الآيتان (٦٩، ٧٠).

۞ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا** - وَأَشَارَ ﷺ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَىٰ، وَفَرَّجَ ﷺ بَيْنَهُمَا -». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّنِي، وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا، كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ)

۞ فَهَؤُلَاءِ جَمِيعًا جُلَسَاءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَهْلُ مَحَبَّةِ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَهْلُ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَالْمُكْثِرُونَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَكَافِلُ الْيَتِيمِ، وَالْمُحِبُّ لِآلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، هَؤُلَاءِ جَمِيعًا بَشَّرَهُمُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَرَسُولُهُ ﷺ أَنَّهُمْ يُنَعَّمُونَ وَيُكْرَمُونَ بِمُجَالَسَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾(١).

۞ وَلَمَّا كَانَتْ مُرَافَقَةُ نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، هِيَ مِنْ جَلَائِلِ النِّعَمِ الَّتِي يَمُنُّ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا عَلَىٰ أَحْبَابِهِ وَأَصْفِيَائِهِ، لِذَلِكَ نَرَىٰ سَيِّدَنَا عَبْدَ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يَتَضَرَّعُ إِلَىٰ اللهِ؛ لِيَنَالَ ذَلِكَ الشَّرَفَ الْعَظِيمَ، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّكَ الْكَرِيمِ ﷺ فِي أَعْلَىٰ جَنَّاتِ النَّعِيمِ».

۞ وَمِمَّنْ خَصَّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ رضي الله عنه، قَالَ: «كُنْتُ أَبِيتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ ﷺ لِي: «**سَلْ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ ﷺ: «**أَوَغَيْرَ ذَلِكَ؟**»، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ ﷺ: «**فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ أَكْثَرَ السُّجُودَ للهِ، كَانَ رَفِيقًا فِي الْجَنَّةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

۞ وَجَاءَ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ لِلْوَاحِدِيِّ: أَنَّ ثَوْبَانَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ، فَأَتَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَنَحَلَ جِسْمُهُ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْحُزْنُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا ثَوْبَانُ، مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ؟**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بِي ضَرٌّ

---

(١) المطففين الآية (٢٦).

وَلَا وَجَعٌ، غَيْرَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ اشْتَقْتُ إِلَيْكَ، وَاسْتَوْحَشْتُ وَحْشَةً شَدِيدَةً حَتَّىٰ أَلْقَاكَ، ثُمَّ ذَكَرْتُ الْآخِرَةَ وَأَخَافُ أَلَّا أَرَاكَ هُنَاكَ؛ لِأَنِّي عَرَفْتُ أَنَّكَ تُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَأَنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ كُنْتُ فِي مَنْزِلَةٍ هِيَ أَدْنَىٰ مِنْ مَنْزِلَتِكَ، وَإِنْ لَمْ أَدْخُلْ فَذَلِكَ حِينَ لَا أَرَاكَ أَبَدًا، فَأَنْزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[1].

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ وَكَرَمِهِ الْوَاسِعِ الْعَمِيمِ، أَنْ يَرْزُقَنَا مُرَافَقَةَ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَعْلَىٰ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

❁❁❁❁❁

الْبُرْهَانُ السَّاطِعُ ﷺ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[2].

وَالْبُرْهَانُ هُنَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ ﷺ جَاءَ وَمَعَهُ الْبُرْهَانُ وَالْمُعْجِزَةُ.

(ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِي هَكَذَا فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ﵁)

۞ وَهَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ؛ فَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذَاتِهِ مُعْجِزَةٌ كُبْرَىٰ، وَمَا تَقَدَّمَ فِي سِيرَتِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ مِنَ الْآيَاتِ الْعِظَامِ مُنْذُ مَوْلِدِهِ ﷺ، وَإِلَىٰ حِينِ يَوْمِنَا هَذَا، نَرَىٰ أَنَّ الْعِلْمَ الْحَدِيثَ يُتَرْجِمُ عَنْ آيَاتٍ وَحَقَائِقَ أَنْبَأَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا، وَكَمْ أَسْلَمَ أُنَاسٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَوْنِ؛ لِمَا شَهِدُوهُ مِنْ عَظَمَةِ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ ﷺ، وَخَرُّوا سُجَّدًا بَعْدَ أَنْ أَعْيَاهُمُ الْبَحْثُ، وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الَّذِي عَلَّمَهُ ﷺ هُوَ الْإِلَهُ الْقَادِرُ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[3]. وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[4]، هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾[5]. وَهُوَ الَّذِي بَشَّرَ النَّبِيَّ ﷺ فِي أَوَّلِ نُزُولِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[6].

(١) النساء الآيتان (٦٩، ٧٠).
(٢) النساء الآية (١٧٤).
(٣) سبأ الآية (٣).
(٤) النساء الآية (١٧٤).
(٥) ص الآية (٨٨).
(٦) العلق الآية (٥).

۞ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْمًا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «**أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَىٰ أَخِي عِيسَىٰ**».

(رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَابْنُ عَسَاكِرَ)

۞ وَالدُّعَاءُ نِدَاءٌ فِيهِ الرَّجَاءُ مِنَ الْعَبْدِ لِلرَّبِّ، يَفْتَحُ اللهُ بِهِ لِعَبْدِهِ مَا يَشَاءُ مِنْ فَوَاتِحِ الْخَيْرِ، وَهَذَا الَّذِي دَعَا بِهِ الْخَلِيلُ عليه السلام رَبَّهُ، فَقَدْ كَانَ دُعَاؤُهُ بِبَعْثَةِ رَسُولٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، يُتِمُّ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ، هُنَّ أُمَّهَاتُ الْخَيْرِ كُلِّهُ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١)، وَكَانَتِ الإِجَابَةُ بِمَا كَانَ يَرْجُوهُ الْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام مِنْ رَبِّهِ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٢).

وَهَذَا التَّطَابُقُ بَيْنَ الدُّعَاءِ وَالإِجَابَةِ، إِنَّمَا جَاءَ وِفْقَ مُرَادِ الْخَلِيلِ لِخَلِيلِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُجْرِي عَلَىٰ لِسَانِ خَلِيلِهِ مَا يُحِبُّ مِنَ الدُّعَاءِ؛ لِيُتِمَّ كَلِمَتَهُ فِي النَّاسِ بِإِظْهَارِ الْمُرَادِ.

۞ وَالْخَلِيلُ هُوَ الصَّفِيُّ الْخَالِصُ الْمَحَبَّةِ، وَمِلَّتُهُ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمَحَاءُ الَّتِي سَارَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وَأُمَّتُهُ، وَعَلَيْهَا كَانَ صلى الله عليه وآله وسلم يَتَحَنَّثُ وَيَعْتَكِفُ فِي غَارِ حِرَاءَ اللَّيَالِي الطِّوَالَ، حَتَّىٰ قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ مُحَمَّدًا عَشِقَ رَبَّهُ. وَظَلَّ صلى الله عليه وآله وسلم هَكَذَا حَتَّىٰ وَافَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام بِوَحْيِ السَّمَاءِ.

۞ أَمَّا الْبُشْرَىٰ الَّتِي جَاءَ بِهَا عِيسَىٰ عليه السلام، فَهِيَ نَبَأٌ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ يَتَحَقَّقُ بِهِ الْخَيْرُ الَّذِي يَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ، وَيُجْرِيهِ اللهُ عَلَىٰ يَدِ حَبِيبِهِ صلى الله عليه وآله وسلم الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ وَاصْطَفَاهُ، وَبَعَثَهُ إِلَيْهِمْ؛ لِيَكُونَ صلى الله عليه وآله وسلم رَحْمَةً مُهْدَاةً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾(٣).

۞ وَبِالْبُشْرَىٰ أَتَمَّ اللهُ نُورَهُ بِسَيِّدِ الأَنَامِ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٤). وَقَدْ جَاءَ فِي إِنْجِيلِ بَرْنَابَا عَلَىٰ لِسَانِ عِيسَىٰ عليه السلام: «**النَّبِيُّ الَّذِي يَدْخُلُ عَلَىٰ الرَّبِّ**

(١) البقرة الآية (١٢٩).
(٢) الجمعة الآية (٢).
(٣) الصف الآية (٦).
(٤) الصف الآية (٨).

اِسْمُهُ مُحَمَّدٌ أَتَمَنَّىٰ أَنْ أَكُونَ حَامِلَ حِذَائِهِ».

۞ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ اللهِ الْحُسْنَىٰ، بِبَعْثَةِ ذَلِكَ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْهَاشِمِيِّ ﷺ، الَّذِي كَسَاهُ اللهُ بِحُلَلِ الْأَنْوَارِ، وَتَنَزَّلَ بِهِ ﷺ رَحْمَةً لِلْعِبَادِ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[1]، وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾[2]، يَرَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ وَهُوَ النُّورُ، وَرَسُولَ اللهِ ﷺ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، كِلَيْهِمَا حَقِيقَتَانِ أُنْزِلَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَفِي هَذَا تَشْرِيفٌ وَتَعْظِيمٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَيْفَ لَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ حَيْثُ الْحَقِيقَةُ نُورٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾[3]، فَالنُّورُ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

۞ وَلَا عَجَبَ؛ فَقَدْ شَهِدَتْ أُمُّهُ السَّيِّدَةُ آمِنَةُ بِنْتِ وَهْبٍ رضي الله عنها بَصِيصًا مِنْ ذَلِكَ النُّورِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهَا سَاعَةَ وِلَادَتِهِ ﷺ، فَأَضَاءَ لَهَا قُصُورَ بُصْرَىٰ بِبِلَادِ الشَّامِ حَيْثُ كَانَتْ هَذِهِ الْبِلَادُ مَوْطِنًا لِرِسَالَةِ عِيسَىٰ عليه السلام.

❁❁❁❁❁

رَسُولُ الأَمْنِ وَالسَّلَامِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ إِنَّ مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنْ أَدْخَلَنَا بِهِ فِي دَائِرَةِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، فَقَدْ أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ الْأَمَانَيْنِ لِأُمَّتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[4]، فَالْأَمَانُ الْأَوَّلُ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَالْأَمَانُ الثَّانِي هُوَ الِاسْتِغْفَارُ الَّذِي تَتَنَزَّلُ بِهِ الْخَيْرَاتُ وَالْبَرَكَاتُ، قَالَ تَعَالَىٰ فِي شَأْنِ نُوحٍ عليه السلام: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾[5].

۞ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ هُوَ رَسُولُ السَّلَامِ، وَبَابُ السَّلَامِ، وَالدَّاعِي إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ بِسَلَامٍ، فَقَدْ

---

(١) الأعراف الآية (١٥٧).
(٢) الأعراف الآية (١٥٧).
(٣) المائدة الآية (١٥).
(٤) الأنفال الآية (٣٣).
(٥) نوح الآيات (١٠-١٢).

دَعَانَا ﷺ إِلَىٰ إِفْشَاءِ السَّلَامِ الَّذِي يَغْرِسُ الْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟** قَالُوا: مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: **أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَهذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ يُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ الطَّرِيقَ الْمُوصِّلَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ هُوَ الْإِيمَانُ، وَالطَّرِيقَ الْمُوَصِّلَ لِلْإِيمَانِ هُوَ الْحُبُّ، وَالطَّرِيقَ الْمُوَصِّلَ إِلَىٰ الْمَحَبَّةِ هُوَ إِفْشَاءُ السَّلَامِ، فَلَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَلَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَسُبَّ مُسْلِمًا أَوْ يَقْذِفَهُ أَوْ يُحَقِّرَهُ أَوْ يُؤْذِيَهُ بِأَيِّ لَوْنٍ مِنْ أَلْوَانِ الْإِيذَاءِ، قَالَ ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَلَيْسَ الْأَمْرُ فِي السَّلَامِ فِيمَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا السَّلَامُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي دِينِهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[1].

۞۞۞۞۞

الأُسْوَةُ الحَسَنَةُ ﷺ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

۞ فَهُوَ ﷺ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي دَعْوَتِهِ الَّتِي بِهَا يَجْمَعُ الْخَلْقَ عَلَىٰ الْحَقِّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[3]، فَدَعْوَتُهُ ﷺ هُنَا تُخَاطِبُ كُلَّ مَا فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْحَقَائِقِ: فَالْحِكْمَةُ تُخَاطِبُ الرُّوحَ، وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ تُخَاطِبُ الْقَلْبَ، وَالْمُجَادَلَةُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ تُخَاطِبُ الْعَقْلَ، فَهذِهِ سُنَّتُهُ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ وَسُنَّةُ الدَّاعِينَ مِنْ بَعْدِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ

(١) العنكبوت الآية (٤٦). (٢) الأحزاب الآية (٢١). (٣) النحل الآية (١٢٥).

﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(١).

وَكَانَ ﷺ فِي دعْوَتِهِ هيِّنًا ليِّنًا، يَدْعُو النَّاسَ بِالرِّفْقِ وَاللِّينِ الَّذِي امْتَدَحَهُ بِهِ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾(٢).

وَكَانَ ﷺ يُخَاطِبُ النَّاسَ عَلَىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ، وَيَنْهَىٰ مَنْ يَدْعُونَ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يُدْخِلُوا عَلَىٰ النَّاسِ مَا يَفْتِنُهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ، وَكَثِيراً مَا كَانَ ﷺ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ؛ لِأَنَّ الْمَثَلَ يُقَرِّبُ الْحَقِيقَةَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَىٰ إِلَىٰ الِاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَتِهِ ﷺ، وَأَحْيَانًا يُشَوِّقُ ﷺ مَنْ يَدْعُوهُمْ بِطَرِيقِ السُّؤَالِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَىٰ إِلَىٰ غَرْسِ الْجَوَابِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ ﷺ: «**أُنْظُرُوا مَا تَقُولُونَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ، وَمَالَ وَارِثِكَ مَا أَخَّرْتَ**»، أَيْ: مَا تَرَكْتَ.

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ)

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا هُوَ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي دَعْوَتِهِ، فَهُوَ ﷺ كَذَلِكَ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي جِهَادِهِ، فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ يَتَّجِهُ إِلَىٰ مَقْصِدٍ أَسْمَىٰ أَلَا وَهُوَ إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لَا لِلْمَغْنَمِ وَلَا لِلذِّكْرِ وَالسَّمْعَةِ، حَيْثُ يَقُولُ ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

وَالْجِهَادُ وَسِيلَةٌ لِنَشْرِ الرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَالْوِقَايَةِ مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِينَ، وَكَيْدِ الْكَائِدِينَ، وَإِحْلَالِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ بَيْنَ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾(٣).

وَالْجِهَادُ فِي الْإِسْلَامِ تَقُودُهُ مَبَادِئُ أَخْلَاقِيَّةٌ سَنَّهَا لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**اِنْطَلِقُوا بِاسْمِ اللهِ وَبِاللهِ، وَعَلَىٰ مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخاً فَانِياً، وَلَا طِفْلاً صَغِيراً، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَغُلُّوا، وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**».

(رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ)

---

(١) يوسف الآية (١٠٨). (٢) آل عمران الآية (١٥٩). (٣) الحج الآية (٤١).

۞ وَيَنْهَىٰ ﷺ عَنِ التَّمْثِيلِ بِالْقَتْلَىٰ مِنَ الأَعْدَاءِ، فَيَقُولُ ﷺ: «اُغْزُوا بِاسْمِ اللهِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَلَمَّا رَأَىٰ ﷺ اِمْرَأَةً مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ، أَنْكَرَ ﷺ ذَلِكَ، وَنَهَىٰ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ بَلْ وَنَهَىٰ ﷺ عَنْ قَتْلِ الْحَيَوَانِ، وَإِفْسَادِ الزَّرْعِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ ﷺ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ.

۞ وَمِنْ رَحْمَتِهِ ﷺ، أَنَّهُ ﷺ قَامَ يَوْمَـاً فِي النَّاسِ، وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَمِنْ سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ لَا يُكْرِهُ النَّاسَ عَلَىٰ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ مَتْرُوكٌ لِاخْتِيَارِهِمْ، فَإِنْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ كَانَ خَيْرَاً، وَإِنْ لَمْ يَدْخُلُوا تَرَكَهُمْ عَلَىٰ دِينِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ دَفْعُ الْجِزْيَةِ مُقَابِلَ تَمَتُّعِهِمْ بِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُشَارِكُوا فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْجِزْيَةُ أَقَلُّهَا دِينَارٌ فِي السَّنَةِ، وَأَكْثَرُهَا أَرْبَعَةُ دَنَانِيرَفِي السَّنَةِ، وَيُعْفَىٰ مِنْهَا غَيْرُ الْقَادِرِينَ؛ فَلَا تُؤْخَذُ مِنَ الْمَسَاكِينَ وَالْمَجَانِينَ وَالصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ وَذَوِي الْعَاهَاتِ وَالرُّهْبَانِ فِي الْأَدْيِرَةِ، وَهُمْ يَتَمَتَّعُونَ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ كَالْمُسْلِمِينَ سَوَاءً بِسَوَاءٍ فِي كَافَّةِ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، لَهُمْ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[1].

۞ وَقَدْ أَوْصَىٰ النَّبِيُّ ﷺ بِالرَّحْمَةِ فِي مُعَامَلَةِ الْأَسْرَىٰ، فَقَالَ ﷺ: «فُكُّوا الْعَانِيَ (أَيْ: الْأَسِيرَ)، وَأَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ)

وَبِهَذِهِ الْمَبَادِئِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، دَخَلَ النَّاسُ طَائِعِينَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجَـاً.

۞ وَهُوَ ﷺ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي الْعِبَادَاتِ؛ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَقِرَاءَةٍ لِلْقُرْآنِ وَذِكْرٍ للهِ وَدُعَاءٍ وَتَضَرُّعٍ للهِ تَعَالَىٰ، فَلَمْ يَتْرُكْ ﷺ مِنَ الْعِبَادَاتِ شَيْئَـاً إِلَّا وَبَيَّنَهُ ﷺ بَيَانَـاً مُفَصَّلاً بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَبَيَّنَ ﷺ مَا فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَأْخُذُ بِيَدِ الْعَبْدِ لِيَكُونَ قَرِيبَـاً مِنْ

(١) البقرة الآية (٢٥٦).

رَبِّهِ مَوْصُولاً بِهِ سُبْحَانَهُ.

۞ وَهُوَ ﷺ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ كَذَلِكَ فِي الْعَادَاتِ؛ فَمَا تَرَكَ ﷺ شَيْئًا إِلَّا وَبَيَّنَ آدَابَهُ بَيَانًا شَافِيًا، مِثْلَ آدَابِ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ وَالنَّوْمِ، وَآدَابِ الْمَجَالِسِ وَالسَّفَرِ، وَآدَابِ السَّلَامِ وَالْمُصَافَحَةِ، وَآدَابِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ وَالطَّهَارَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَقْتَضِيهِ الْعَادَاتُ؛ كَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَشُهُودِ الْجَنَازَةِ، وَمُوَاسَاةِ الْمُصَابِينَ، وَالرَّحْمَةِ بِالضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينَ، وَالْمُسَارَعَةِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ، وَالْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، حَتَىٰ يَكُونُوا كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّىٰ، وَكُلُّ هَذَا يَقْتَضِي التَّحَلِّي بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي تَحَلَّىٰ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَنْ تَأَسَّىٰ بِهَا فَقَدْ فَازَ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَمَحَبَّةِ اللهِ، وَمَحَبَّةِ النَّاسِ، حِينَ يُعَامِلُ النَّاسَ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوهُ بِهِ، كَمَا أَوْصَانَا وَأَرْشَدَنَا إِلَىٰ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

❁❁❁❁❁

الْمُصْطَفَى مِنَ اللَّـهِ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ ﷺ

۞ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾(١). وَهَذَا الْمَقَامُ الْمُصْطَفَوِيُّ الْمُحَمَّدِيُّ فِيهِ تَشْرِيفٌ وَتَوْقِيرٌ وَتَعْظِيمٌ لِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَهُوَ الْمَوْصُولُ مِنْ رَبِّهِ بِمَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَرِضْوَانِهِ ﷺ، الْمَنْظُورُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ عِنَايَتِهِ ﷺ، وَهُوَ ﷺ بَابُ الْوُصْلِ الَّذِي يَصِلُ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ، فَلَا وُصُولَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَّا بِهِ ﷺ، وَمِفْتَاحُ الدُّخُولِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ هُوَ حُسْنُ اتِّبَاعِهِ وَالتَّأَسِّي بِحَضْرَتِهِ وَالْإِكْثَارُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ ﷺ، وَقَدْ شَرَّفَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ؛ إِظْهَارًا لِمَكَانَتِهِ ﷺ عِنْدَ اللهِ، فَهُوَ ﷺ مَحْفُوفٌ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَمَا أَعْظَمَهَا وَمَا أَجَلَّهَا مِنْ مَنْزِلَةٍ وَمَكَانَةٍ رَفَعَ اللهُ فِيهَا ذِكْرَ حَبِيبِهِ ﷺ، وَصَلَاةُ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ عَلَىٰ حَبِيبِهِ ﷺ صَلَاةً دَائِمَةً لَا انْتِهَاءَ لَهَا، فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُصَلُّونَ﴾ فِيهَا الدَّوَامُ وَالِاسْتِمْرَارُ، وَفِي قَوْلِهِ

---

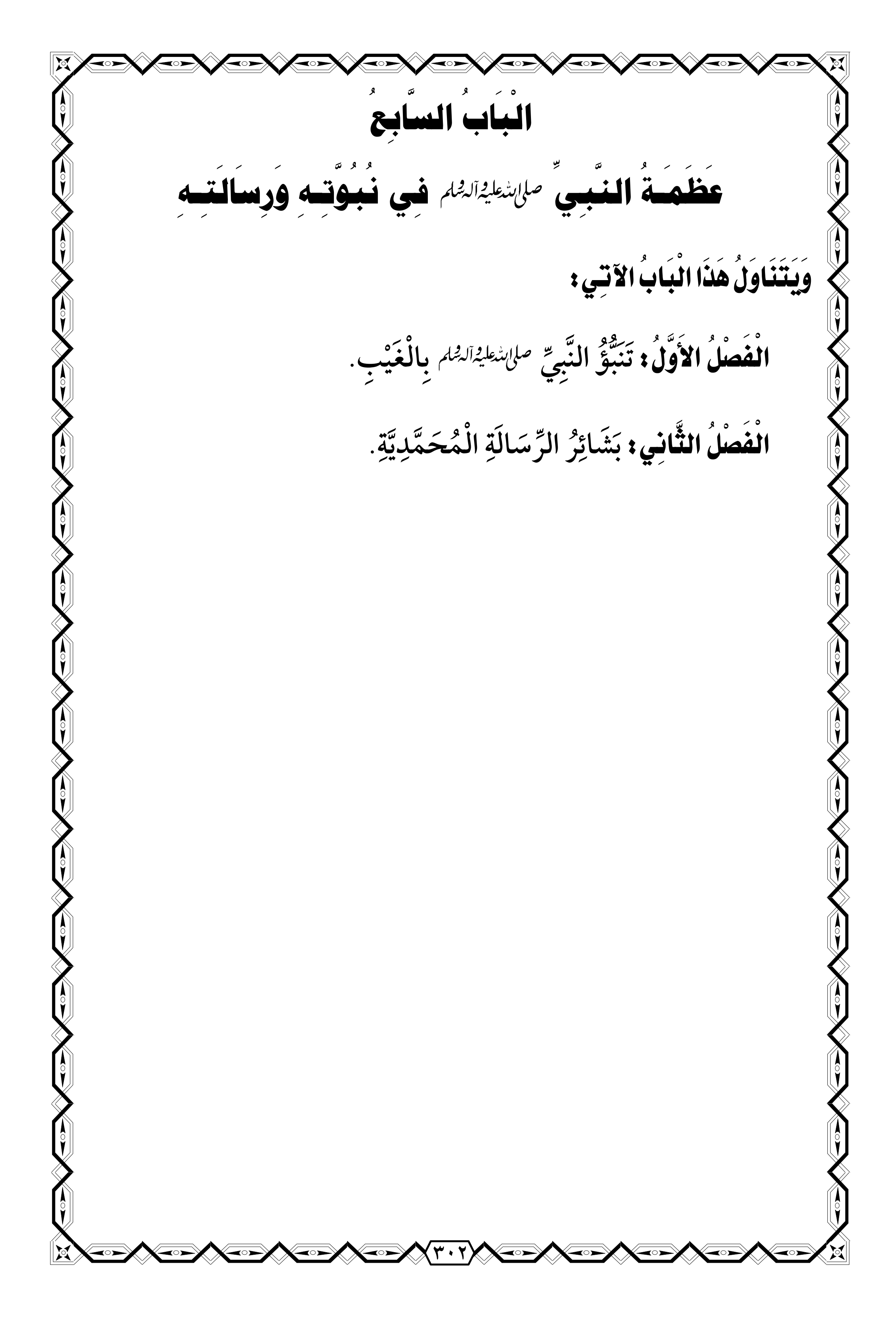
(١) الأحزاب الآية (٥٦).

تَعَالَىٰ: ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾، فِيهَا إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ﷺ مِنَ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ مُنْذُ الْقِدَمِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ يَقُولُ: «**كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

ثُمَّ كَانَ الشَّرَفُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّىٰ يَنَالُوا شَفَاعَتَهُ وَالْقُرْبَ مِنْ حَضْرَتِهِ ﷺ، فَيَمْحُوا اللهُ خَطَايَاهُمْ، وَيُضَاعِفَ حَسَنَاتِهِمْ، وَيَرْفَعَ دَرَجَاتِهِمْ، وَيَكْفِيَهُمْ بِفَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ كُلَّ مَا أَهَمَّهُمْ، وَبِصَلَاتِنَا عَلَيْهِ ﷺ يُصَلِّي رَبُّنَا عَلَيْنَا، وَتُصَلِّي عَلَيْنَا مَلَائِكَتُهُ، وَفِي هَذَا مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا تَتَّسِعُ لَهُ الْعِبَارَةُ، وَحَسْبُنَا أَنْ نَقُولَ: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[1].

(١) الأعراف الآية (٤٣).


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا
وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ
بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾
صدق الله العظيم
سورة الأحزاب
الآية: ٤٥ - ٤٦



الْبَابُ السَّابِعُ

عَظَمَـةُ النَّبِـيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِـي نُبُوَّتِـهِ وَرِسَالَتِـهِ

وَيَتَنَاوَلُ هَذَا الْبَابُ الآتِـي:

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: تَنَبُّؤُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْغَيْبِ.

الْفَصْلُ الثَّانِي: بَشَائِرُ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾
صَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ
سورة النجم
الآية: ٣ - ٤

الْفَصْلُ الأَوَّلُ

تَنَبُّؤُ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْغَيْبِ

إِنَّ مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعالَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ، أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَطْلَعَهُ عَلَىٰ غَيْبِهِ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ رُسُلَهُ الْكِرَامَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[1]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[2].

وَقَدْ أَنْبَأْنَا ﷺ بِمَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: **«قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ فِيهِ شَيْئًا إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ»**. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَعَنْ أَبِي زَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: **«صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّىٰ حَضَرَتِ الظُّهْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّىٰ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّىٰ حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّىٰ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَأَحْفَظُنَا أَعْلَمُنَا»**. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَيَطِيبُ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ نَذْكُرَ بَعْضَ مَا أَنْبَأَنَا عَنْهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بِمَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ فِي مَبْحَثَيْنِ، **وَذَلِكَ عَلَى الْوَجْهِ التَّالِي:**

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: تَنَبُّؤُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بِمَا كَانَ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: تَنَبُّؤُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بِمَا سَيَكُونُ.

(١) التكوير الآية (٢٤). (٢) التكوير الآية (٢٤).

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

تَنَبُّؤُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا كَانَ وَيَشْتَمِلُ الآتِي

۞ قَالَ تَعَالَىٰ عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[3].

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَأَخْبَرَ ﷺ عَنِ الْمَلَائِكَةِ وَعِبَادَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[4]، وَأَنَّهُمْ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[5]، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةَ الْعَذَابِ، وَخَازِنَ الْجَنَّةِ وَاسْمُهُ (**رِضْوَانُ**)، وَخَازِنَ النَّارِ وَاسْمُهُ (**مَالِكٌ**)، وَمَلَائِكَةً مُوَكَّلِينَ بِبَنِي آدَمَ؛ مِنْهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِالْحِفْظِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[6]، وَمَلَائِكَةٌ مُوَكَّلُون بِكِتَابَةِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[7]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[8]، وَهُنَاكَ مَلَائِكَةُ التَّدْبِيرِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[9]، أَيْ: يَتَنَزَّلُ أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ مِنْ أَعْلَىٰ السَّمَاوَاتِ إِلَىٰ أَقْصَىٰ تُخُومِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، يَتَنَزَّلُ بِهَا الْمَلَكُ فِي يَوْمٍ مِقْدَارُهُ أَلْفُ سَنَةٍ عِنْدَنَا إِذَا احْتَسَبْنَا الْمَسَافَةَ بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَقْطَعُهَا الْمَلَكُ بِقُدْرَةِ اللهِ فِي لَمْحِ الْبَصَرِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ

---

(١) هود الآية (٧).
(٢) الأنبياء الآية (٣٠).
(٣) السجدة الآيتان (٧-٨).
(٤) الأنبياء الآية (٢٠).
(٥) التحريم الآية (٦).
(٦) الرعد الآية (١١).
(٧) الانفطار الآيتان (١١-١٢).
(٨) ق الآية (١٨).
(٩) السجدة الآية (٥).

كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾(١).

۞ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾(٢)، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَكُونُ عَلَىٰ الْكَافِرِ بِمِقْدَارِ خَمْسِينَ أَلْفٍ، وَيَكُونُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ أَخَفَّ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾، مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ، حَتَّىٰ يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا**».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَىٰ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، اُنْظُرْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ)

۞ وَهُنَاكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَنْ هُمْ مُوَكَّلُونَ بِنَفْخِ الرُّوحِ فِي الْإِنْسَانِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَمِنْهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ، وَعَلَىٰ رَأْسِهِمْ مَلَكُ الْمَوْتِ (**عَزْرَائِيلُ**)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٣)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٤).

۞ وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُ بِالْأَرْزَاقِ، وَهُوَ مِيكَائِيلُ، وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُ بِالْأَمْطَارِ وَالرِّيَاحِ، وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَهُوَ إِسْرَافِيلُ، وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُ بِالْوَحْيِ وَهُوَ جِبْرِيلُ.

۞ وَأَنْبَأَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ خَلْقِ آدَمَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْهِ رَبُّهُ، وَمَا عَرَضَهُ اللهُ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ مِنْ أَمْرِ اسْتِخْلَافِهِ فِي الْأَرْضِ، وَتَفْضِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ عَلَىٰ مَلَائِكَتِهِ بِالْعِلْمِ، وَإِقَامَتِهِ أُسْتَاذاً عَلَيْهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾(٥).

---

(١) الطلاق الآية (١٢).
(٢) المعارج الآية (٤).
(٣) النحل الآية (٣٢).
(٤) الأنعام الآية (٩٣).
(٥) البقرة الآية (٣٣).

وَمِنْ سُجُودِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ سُجُودَ تَحِيَّةٍ وَإِجْلَالٍ، وَخُرُوجِ إِبْلِيسَ مِنَ الْجَنَّةِ مَذْءُومًا مَدْحُورًا؛ لِإِبَائِهِ السُّجُودَ لِآدَمَ عليه السلام، وَهُبُوطِ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ بِسَبَبِ أَكْلِهِ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَتَوْبَةِ آدَمَ بِمَا تَلَقَّاهُ عَنْ رَبِّهِ مِنَ الْكَلِمَاتِ، وَإِنْظَارِ إِبْلِيسَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَحِفْظِ اللهِ تَعَالَىٰ لِعِبَادِهِ الْمُخْلَصِينَ مِنْ كَيْدِ إِبْلِيسَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1].

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَمَّا كُوشِفَ بِهِ آدَمُ عليه السلام بَعْدَ ارْتِكَابِهِ لِلْخَطِيئَةِ، فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ، قَالَ: يَا رَبِّ، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ**: وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا؟ قَالَ: لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ، وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ، رَفَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُ عَلَىٰ قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَىٰ اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، قَالَ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ**».

(رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَابْنُ عَسَاكِرَ)

وَأَنْبَأَ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَخْذِ الْبَيْعَةِ لِلنَّبِيِّينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2]، وَفِي ذَلِكَ بَيَانٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِقَدْرِ نَبِيِّهِ الْعَظِيمِ صلى الله عليه وسلم؛ فَالْأَنْبِيَاءُ بِالنِّسْبَةِ لَهُ صلى الله عليه وسلم أُمَّةٌ، وَهُوَ صلى الله عليه وسلم رَسُولٌ إِلَيْهِمْ، كَمَا هُوَ صلى الله عليه وسلم رَسُولٌ إِلَيْنَا؛ لِأَنَّ رِسَالَتَهُ صلى الله عليه وسلم عَامَّةٌ لِجَمِيعِ الْبَشَرِ، حَيْثُ يَقُولُ صلى الله عليه وسلم: «**بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**»، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]، فَهُوَ صلى الله عليه وسلم صَاحِبُ الرِّسَالَةِ بَدْءًا وَخَتْمًا، وَالْأَنْبِيَاءُ نُوَّابٌ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم فِي أَزْمَانِهِم.

(أَوْرَدَ هَذَا الْمَعْنَىٰ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ فِي كِتَابِهِ (التَّعْظِيمُ وَالْمِنَّةُ)، وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه)

فَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَبُورِكَ بِمُوَاجَهَةِ أَنْوَارِهِ صلى الله عليه وسلم.

وَأَنْبَأَ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَخْذِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ عَلَىٰ بَنِي آدَمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ

(1) ص الآية (83). (2) آل عمران الآية (81). (3) سبأ الآية (28).

ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[1]. أَيْ: أَنهُ سُبْحَانَهُ، اِسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ بَنِي آدَمَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّ اللهَ رَبُّهُمْ وَمَلِيكُهُمْ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، كَمَا أَنَّهُ عَزَّوَجَلَّ فَطَرَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ وَجَبَلَهُمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَهَذِهِ سِمَةُ هَذَا الدِّينِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾[2].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ مُفْتَدِياً بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَأَنْبَأَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَمَّا رَآهُ آدَمُ مِنْ نُورِ نَبِيِّنَا سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ، أَرَاهُ بَنِيهِ، فَجَعَلَ يَرَىٰ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، فَرَأَىٰ نُوراً سَاطِعاً أَسْفَلَهُمْ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ أَحْمَدُ، وَهُوَ أَوَّلُ وَهُوَ آخِرُ وَهُوَ أَوَّلُ شَافِعٍ**». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ)

وَأَنْبَأَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَرَكَةِ اسْمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْعَرْشَ عَلَىٰ الْمَاءِ، اضْطَّرَبَ، فَكَتَبَ عَلَيْهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ فَسَكَنَ**». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ)

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي، رَأَيْتُ عَلَىٰ سَاقِ الْعَرْشِ مَكْتُوباً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**». (رَوَاهُ ابْنُ عَدِيٍّ وَابْنُ عَسَاكِرَ)

وَرُوِيَ أَنَّ أَوَّلَ مَا كَتَبَ الْقَلَمُ: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، مُحَمَّدٌ رَسُولِي، مَنِ اسْتَسْلَمَ لِقَضَائِي، وَصَبَرَ عَلَىٰ بَلَائِي، وَشَكَرَ عَلَىٰ نَعْمَائِي، وَرَضِيَ بِحُكْمِي، كَتَبْتُهُ صِدِّيقاً، وَبَعَثْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الصِّدِّيقِينَ**».

وَمِنْ بَرَكَاتِ اسْمِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مَا رَوَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**أَنَّ اسْمَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَكْتُوبٌ فِي السَّمَاءِ، وَفِي سَائِرِ الْجِنَانِ، وَبَيْنَ أَعْيُنِ الْمَلَائِكَةِ، وَعَلَىٰ شَجَرَةِ طُوبَىٰ وَسِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ**».

---

(١) الأعراف الآية (١٧٢). (٢) الروم الآية (٣٠).

(رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي الْخَصَائِصِ)

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ لَهُمْ، أَنَّ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ كَانَ نَقْشُهُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، مُحَمَّدٌ عَبْدِي وَرَسُولِي**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

وَبِبَرَكَةِ اسْمِهِ ﷺ، اِنْتَظَمَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَمِنَ الْغُيُوبِ الَّتِي أَنْبَأَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَا رَوَاهُ وَاثِلَةُ أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ للهِ تَعَالَىٰ فِي اللَّوْحِ ثَلَاثُمِائَةً وَسِتِّينَ نَظْرَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ**». (رَوَاهُ الْخَرَائِطِيُّ)

وَأَنْبَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ هَابِيلَ وَقَابِيلَ ابْنَيْ آدَمَ عليه السلام، وَمَا فِيهَا مِنْ عَوَاقِبِ الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ وَالْحَسَدِ، وَذَلِكَ عَلَىٰ التَّفْصِيلِ الْوَارِدِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، الْآيَاتِ (٢٧ ـ ٣١).

وَأَخْبَرَ ﷺ بِمَا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مِنْ بَعْدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ بِعْثَةِ نَبِيِّنَا ﷺ نَبِيًّا مِنْ بَعْدِ نَبِيٍّ، حَتَّىٰ أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ الْمُحَمَّدِيَّةُ ﷺ، وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ مِنْهُمْ مِنَ النَّجَاةِ وَالْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ فِي الدَّارَيْنِ؛ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا حَاقَ بِالْمُكَذِّبِينَ مِنْهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].



(١) العنكبوت الآية (٤٠).

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

تَنَبُّؤُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا سَيَكُونُ وَيَشْتَمِلُ الآتِي

تَنَبُّؤُهُ ﷺ بِانْتِصَارِ الرُّومِ

۞ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، وَقَدْ تَحَقَّقَ وَعْدُ اللهِ تَعَالَىٰ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَانَ النَّصْرُ وَالْغَلَبَةُ لِلرُّومِ عَلَىٰ الْفُرْسِ.

۞۞۞۞۞

تَنَبُّؤُهُ ﷺ بِهَلاكِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ

۞ فَقَدْ رَوَىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَىٰ، فَلَا كِسْرَىٰ بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ، فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقَنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞۞۞۞۞

تَنَبُّؤُهُ ﷺ بِغُزَاةٍ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ الْبَحْرِ كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ أُمِّ حَرَامٍ رضي الله عنها، فَنَامَ عِنْدَهَا، فَاسْتَيْقَظَ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ، غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكاً عَلَىٰ الْأَسِرَّةِ»، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: اُدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا ﷺ لَهَا، ثُمَّ وَضَعَ ﷺ رَأْسَهُ فَنَامَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ ﷺ: «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ، غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكاً عَلَىٰ الْأَسِرَّةِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اُدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ ﷺ: «أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ»، فَرَكِبَتْ أُمُّ حَرَامٍ الْبَحْرَ غَازِيَةً مَعَ زَوْجِهَا عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا مِنْ

---

(١) الروم الآيات (١-٥).

غَزَاتِهِمْ قَافِلِينَ، قَرَّبُوا إِلَيْهَا دَابَّةً لِتَرْكَبَهَا، فَصَرَعَتْهَا، فَمَاتَتْ شَهِيدَةً فِي سَبِيلِ اللهِ.

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ ﷺ بِمَا يَحْدُثُ مِنَ الرِّدَّةِ مِنْ بَعْدِهِ ﷺ

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا إِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]، **فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ ﷺ بِالْكَذَّابِ وَبِالْحَجَّاجِ

۞ فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ لِلْحَجَّاجِ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ فِي ثَقِيفَ كَذَّاباً وَمُبِيراً**»؛ فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ (تُرِيدُ: مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ)، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا أَخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ).

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَمَعْنَىٰ «**مُبِيراً**»، أَيْ: مُفْسِداً.

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ ﷺ بِمَقْتَلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه

۞ فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ بِبِئْرِ أَرِيسَ، فَجَلَسَ ﷺ عَلَىٰ قُفِّ (جِدَارٍ حَوْلَ الْبِئْرِ) فَتَوَسَّطَهُ، ثُمَّ دَلَّىٰ ﷺ رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ، وَكَشَفَ ﷺ عَنْ سَاقَيْهِ، فَقُلْتُ: لَأَكُونَنَّ الْيَوْمَ بَوَّابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَىٰ رِسْلِكَ، وَذَهَبْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، قَالَ ﷺ: «**ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ جَنْبِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْقُفِّ عَلَىٰ يَمِينِهِ، وَدَلَّىٰ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ، قَالَ

(١) المائدة الآية (١١٧).

ﷺ: «اِئْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَجَاءَ عُمَرُ، حَتَّىٰ جَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ يَسَارِهِ، وَدَلَّىٰ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ، فَقُلْتُ: هَذَا عُثْمَانُ يَسْتَأْذِنُ، قَالَ ﷺ: «اِئْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَىٰ تُصِيبُهُ»، فَدَخَلَ فَلَمْ يَجِدْ فِي الْقُفِّ مَجْلِسًا، فَجَلَسَ وِجَاهَهُمْ مِنْ شِقِّ الْبِئْرِ وَدَلَّىٰ رِجْلَيْهِ.

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَقَدْ حَدَثَتِ الْبَلْوَىٰ لِعُثْمَانَ بِمَقْتَلِهِ كَمَا أَنْبَأَ النَّبِيُّ ﷺ.

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ ﷺ بِفَتْحِ الْحِيرَةِ

۞ عَنْ خُرَيْمِ بْنِ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه، قَالَ: هَاجَرْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ ﷺ مِنْ تَبُوكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذِهِ الْحِيرَةُ الْبَيْضَاءُ قَدْ رُفِعَتْ لِي، وَهَذِهِ الشَّهْبَاءُ بِنْتُ بُقَيْلَةَ الْأَزْدِيَّةِ عَلَى بَغْلَتِهَا شَهْبَاءَ، مُعْتَجِرَةً بِخِمَارٍ أَسْوَدَ»، فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وَفَرَغْنَا مِنْ مُسَيْلِمَةَ، فَأَوَّلُ مَنْ تَلَقَّانَا حِينَ دَخَلْنَاهَا الشَّهْبَاءُ بِنْتُ نُفَيْلَةَ عَلَىٰ بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ، مُعْتَجِرَةً بِخِمَارٍ أَسْوَدَ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي تَارِيخِهِ)

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ ﷺ بِمَقْتَلِ عَمَّارٍ رضي الله عنه

۞ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ: «تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَقَدْ قَتَلَهُ أَعْوَانُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفِيَانَ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ.

❁❁❁❁❁

بَشَّرَ ﷺ بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما، بِأَنَّ اللَّهَ سَيُصْلِحُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

۞ فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا الْحَسَنَ، فَصَعِدَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَكَانَ مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَيْثُ تَنَازَلَ الْحَسَنُ عَنِ الْخِلَافَةِ لِمُعَاوِيَةَ، وَحُقِنَتْ

بِذَلِكَ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ.

❁❁❁❁❁

بَشَّرَ ﷺ بأُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ رضي الله عنه

۞ فَقَدْ رُوِيَ عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا: «أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يَقْدُمُ عَلَيْكُمْ، وَلَا يَدْعُ بِهَا إِلَّا أُمّاً لَهُ، وَقَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَدَعَا اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ، فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ، يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ لِأُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ: اِسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: كَيْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكَ وَأَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ». (رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ وَالْحَاكِمُ)

❁❁❁❁❁

أَنْبَأَ ﷺ أَصْحَابَهُ بِمَوْتِ النَّجَاشِيِّ رضي الله عنه

۞ فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ: «مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَىٰ أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ» (رَوَاهُ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

❁❁❁❁❁

بَشَّرَ ﷺ بِعَالِمِ الْمَدِينَةِ الإِمَامِ مَالِكٍ رضي الله عنه

۞ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَضْرِبُوا أَكْبَادَ الْإِبِلِ، فَلَا يَجِدُونَ عَالِمَاً أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ» (رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ)

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رضي الله عنه: نَرَىٰ هَذَا الْعَالِمَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ رضي الله عنه.

❁❁❁❁❁

بَشَّرَ ﷺ بِالإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه

۞ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا قُرَيْشَاً؛ فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ عِلْمَاً». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالطَّيَالِسِيُّ، وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ: هُوَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ)

تَنَبُّؤُهُ صلى الله عليه وآله وسلم بِهَلَاكِ الأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ وَمُسَيلِمَةَ الْكَذَّابَيْن

۞ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ أَنْفُخَهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي: أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَقَدْ تَحَقَّقَ مَا أَنْبَأَ عَنْهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقُتِلَ الْعَنْسِيُّ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَقُتِلَ مُسَيْلِمَةُ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه فِي فِتْنَةِ الرِّدَّةِ.

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ صلى الله عليه وآله وسلم بِتَدَاعِي الأُمَمِ عَلَى أُمَّتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ فَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «يُوشِكُ أَنْ تَتَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَمَا تَتَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ أَعْدَائِكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ»، قِيلَ: وَمَا الْوَهَنُ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ مُلْكِ أُمَّتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ فَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «زُوِيَ لِيَ الْأَرْضُ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِيَ مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ صلى الله عليه وآله وسلم بِثَبَاتِ طَائِفَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ عَلَى الْحَقِّ

۞ فَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

❁❁❁❁❁

بَشَّرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الْمُؤْمِنِينَ بِالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ وَمَنزِلَتِهَا

❁ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ»، قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ صلى الله عليه وآله وسلم بِمَا يَحْدُثُ بَعْدَهُ مِنَ الْفِتَنِ

❁ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ؛ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَمَعْنَىٰ: «وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ»، أَيْ: مَنْ تَعَرَّضَ لَهَا تُهْلِكْهُ.

❁ وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ، وَبِهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ ﷺ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: فَصِفْهُمْ لِي، قَالَ ﷺ: «نَعَمْ، هُمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ صلى الله عليه وآله وسلم بِهَلَاكِ جَيْشٍ يَغْزُو الْكَعْبَةَ

❁ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ

أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ ﷺ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَىٰ نِيَّاتِهِمْ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ ﷺ بِخُرُوجِ الْفِتْنَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ

۞ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ، وَهُوَ ﷺ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقَ: «أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَقَدْ تَحَقَّقَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَتْ مَوْقِعَةُ الْجَمَلِ، وَمَوْقِعَةُ صِفِّينَ، وَظُهُورُ الْخَوَارِجِ فِي أَرْضِ نَجْدٍ وَالْعِرَاقِ وَمَا وَرَاءَهَا مِنَ الْمَشْرِقِ.

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ ﷺ بِعَلَامَاتِ السَّاعَةِ

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَقْتَرِبَ الزَّمَانُ، وَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَالْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَالْيَوْمُ كَاحْتِرَاقِ الْحُزْمَةِ». (رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ ﷺ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ رضي الله عنه: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ ﷺ: «إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». (رَوَاهُ الشَّيْخَانِ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مِنَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ تُرْفَعَ الْأَشْرَارُ، وَتُوْضَعَ الْأَخْيَارُ، وَيُفْتَحَ الْقَوْلُ، وَيُخْبَسَ الْعَمَلُ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَظْهَرَ الْفُحْشُ والْبُخْلُ، ويُخَوَّنَ الْأَمِينُ، ويُؤتَمَنَ الْخَائِنُ، وَيَهْلِكُ الْوُعُولُ، وَيَظْهَرُ التُّحُوتُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا «الْوُعُولُ»، وَمَا «التُّحُوتُ»؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «الْوُعُولُ: وُجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ، وَالتُّحُوتُ: الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعلَمُ بِهِمْ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبْلِ بِبُصْرَىٰ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَ«بُصْرَىٰ» مَدِينَةٌ بِبِلَادِ الشَّامِ، وَمَعْنَىٰ: «تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبْلِ»، أَيْ: النَّارُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تَجْعَلُ عَلَىٰ أَعْنَاقِ الْإِبِلِ ضَوْءاً.

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَنْحَسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَمَعْنَىٰ: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَنْحَسِرَ»، أَيْ: أَنْ يَنْكَشِفَ لِذَهَابِ مَائِهِ، وَقَدْ نَهَىٰ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْأَخْذِ مِنْهُ؛ اتِّقَاءَ الْفِتْنَةِ وَالْقِتَالِ عَلَيْهِ.

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ أَخِيهِ، فَيَقُولَ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّىٰ يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، حَتَّىٰ يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّىٰ يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيباً مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّىٰ يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ،

فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَقَدْ حَدَثَ هَذَا فِيمَا بَيْنَ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَمُعَاوِيَةَ، وَقَدْ كَانَ عَلِيٌّ هُوَ الْأَفْضَلَ وَالْإِمَامَ يَوْمَئِذٍ بِالِاتِّفَاقِ.

۞ وَعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ ﷺ بِإِصْبَعَيْهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، فَقَالَتْ زَيْنَبُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

قَالَ النَّوَوِيُّ: إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ، أَيْ: الزِّنَا، وَأَوْلَادُ الزِّنَا، يَحْصُلُ الْهَلَاكُ الْعَامُّ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ صَالِحُونَ. نَسْأَلُ اللهَ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ، وَالْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

۞ وَعَنْ عُمَرَ ﵁، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثَّوْبِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ ﷺ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ ﷺ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ ﷺ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُه صلى الله عليه وآله وسلم بِافْتِرَاقِ أُمَّتِه

۞ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبِعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبِعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، قِيلَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ)

۞۞۞۞۞

تَنَبُّؤُه صلى الله عليه وآله وسلم بِخُرُوجِ الْمَهْدِي

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ، يَسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ، وتُخرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحاً، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ، وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، وَيَعِيشُ سَبْعاً أَوْ ثَمَانِياً». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْماً وَعُدْوَاناً. ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي - أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - يَمْلَؤُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَعُدْوَاناً». (رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «الْمَهْدِيُّ مِنِّي؛ أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَىٰ الْأَنْفِ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً، وَيَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ، لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّىٰ يَبْعَثَ اللهُ فِيهِ رَجُلاً مِنِّي - أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ)

۞۞۞۞۞

تَنَبُّؤُه صلى الله عليه وآله وسلم بِالآيَاتِ الْكُبْرَى لِقِيَامِ السَّاعَةِ

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ، ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا

لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾[1]، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)

۞ وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ، يَعْنِي بِهِ ﷺ قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[2]. وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ وَالزَّمَانِ، وَهُوَ نَذِيرٌ بِقِيَامِ السَّاعَةِ.

۞ وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانُ، وَالدَّابَّةُ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَخُرُوجُ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وَالدَّجَّالُ، وَثَلَاثَةُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وخَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ ــ أَوْ تَحْشُرُ النَّاسَ ــ تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمْ)

۞ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَطْلُعُ عَلَيْكُمْ قَبْلَ السَّاعَةِ سَحَابَةٌ سَوْدَاءُ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَا تَزَالُ تَرْتَفِعُ فِي السَّمَاءِ وَتَنْتَشِرُ حَتَّىٰ تَمْلَأَ السَّمَاءَ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[3]. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَيْنِ يَنْشُرَانِ الثَّوْبَ فَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَدَرُ حَوْضَهُ، فَلَا يَسْقِي مِنْهُ شَيْئاً أَبَداً، وَالرَّجُلُ يَحْلِبُ نَاقَتَهُ فَلَا يَشْرَبُهُ أَبَداً». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، وَأَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه)

وَهَذَا يَعْنِي: أَنَّ السَّاعَةَ تَأْتِي بَغْتَةً. وَذَلِكَ مِصْدَاقاً لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾[4]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[5].

❁❁❁❁❁

(١) الأنعام الآية (١٥٨).
(٢) النمل الآية (٨٢).
(٣) النحل الآية (١).
(٤) الأعراف الآية (١٨٧).
(٥) الزخرف الآية (٦٦).

۞ قَالَ تَعَالَىٰ فِي عِيسَىٰ عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾(١). فَنُزُولُ عِيسَىٰ عليه السلام آيَةٌ لِلسَّاعَةِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)

۞ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾(٢). كَلَامُهُ فِي الْمَهْدِ حِينَ بَرَّأَ أُمَّهُ، وَكَلَامُهُ وَهُوَ كَهْلٌ حِينَ يُنْزِلُهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَاتَانِ آيَتَانِ وَحُجَّتَانِ. (تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرانِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّها إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَىٰ الْأَرْضِ، حَتَّىٰ تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّىٰ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ».

وَمَعْنَىٰ: «إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ»، أَيْ: إِخْوَةٌ لِأَبٍ مِنْ أُمَّهَاتٍ شَتَّىٰ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ)

۞ وَبَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِنُزُولِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام تَابِعًا لِإِمَامٍ مِنَّا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَأَخْبَرَ ﷺ عَنْ عَلَامَاتِ الدَّجَّالِ، فَعَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ ﷺ: «مَا شَأْنُكُمْ؟»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّخْلِ، فَقَالَ ﷺ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ

(١) الزخرف الآية (٦١). (٢) آل عمران الآية (٤٦).

خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَن أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِيناً وَعَاثَ شِمَالاً، يَا عِبَادَ اللهِ، فَاثْبُتُوا»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ ﷺ: «أَرْبَعِينَ يَوْماً: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ سُبْحَانَهُ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً عَنِ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أُمِّ شُرَيْكٍ رضي الله عنها، أَنَّهَا سمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَبَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّ الدَّجَّالَ لَا يَطَأُ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهُمَا، فَيَنْزِلُ بِالسَّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يُخْرِجُ اللهُ مِنْهَا كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَبَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّ عِيسَىٰ عليه السلام سَيَقْتُلُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً، يَقْتُلُ الدَّجَّالَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ، وَتَكُونُ السَّجْدَةُ وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ

قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[1]. أَيْ: مَوْتِ عِيسَىٰ، وَأَعَادَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ ثَلَاثًا». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ صلى الله عليه وآله وسلم بِأُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَأُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَمَعْنَىٰ: «كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ»، أَيْ: تَسْتُرُ بَعْضَ بَدَنِهَا وَتَكْشِفُ بَعْضَهُ، وَمَعْنَىٰ: «مُمِيلَاتٌ»، أَيْ: مُمِيلَاتٌ لِأَكْتَافِهِنَّ، وَمَعْنَىٰ: «مَائِلَاتٌ»، أَيْ: يَمْشِينَ مُتَبَخْتِرَاتٍ، «رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ»، أَيْ: كَأَسْنِمَةِ الْإِبْلِ الْمَائِلَةِ، فَيُكَبِّرْنَ رُءُوسَهُنَّ حَتَّىٰ تُشْبِهَ أَسْنِمَةَ الْإِبْلِ الْمَائِلَةِ.

۞ عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

مَعْنَىٰ: (الْعُتُلِّ)، أَيْ: الْغَلِيظِ الْجَافِي، وَ(الْجَوَّاظِ) هُوَ الْمُخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ، الْمَنَّاعُ لِلْخَيْرِ.

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ صلى الله عليه وآله وسلم بِأَحْوَالِ الْمَوْتَى

تَخْتَلِفُ أَحْوَالُ الْمَوْتَى بِحَسَبِ السَّابِقِيَّةِ وَهُمَا فَرِيقَانِ:

(١) فَمَنْ سَبَقَتْ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ مِنَ اللهِ، تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ بِالْبُشْرَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[2]. وَمَعْنَىٰ «وَلَكُمْ

(١) النساء الآية (١٥٩).
(٢) فصلت الآيات (٣٠-٣٢).

فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ» مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ.

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا احْتَضَرَ الْمُؤْمِنُ، أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ، فَيَقُولُونَ لِلرُّوحِ: أُخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً عَنْكِ إِلَىٰ رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّىٰ أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، حَتَّىٰ يَأْتُوا بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُوا مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ. فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدُمُ عَلَيْهِ ...**». (رَوَاهُ النَّسَائِيُّ)

۞ كَذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحَيِّيهِمْ بِالسَّلَامِ يَوْمَ لِقَائِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾(1). وَالْمَلَائِكَةُ كَذَلِكَ تُحَيِّيهِمْ بِالسَّلَامِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(2).

(٢) وَأَمَّا مَنْ سَبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَابِقَةُ السُّوءِ، وَخُتِمَ لَهُمْ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ - أَعَاذَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ - فَهَؤُلَاءِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(3).

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (فِي تَتِمَّةِ الْحَدِيثِ السَّابِقِ): «**وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتَضَرَ، أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ، فَيَقُولُ لِلرُّوحِ: أُخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطاً عَلَيْكِ إِلَىٰ عَذَابِ اللهِ، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ، حَتَّىٰ يَأْتُوا بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ حَتَّىٰ يَأْتُوا بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ**». (رَوَاهُ النَّسَائِيُّ)

۞ وَقَدْ نَبَّأَنَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ نَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ

(١) الأحزاب الآية (٤٤). (٢) النحل الآية (٣٢). (٣) الأنعام الآيتان (٩٣-٩٤).

ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾[1]. فَأَهْلُ سَابِقَةِ الْحُسْنَىٰ لَهُمُ التَّثْبِيتُ مِنَ اللهِ عَلَىٰ قَوْلِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**»، فِي الدُّنْيَا وَعِنْدَ السُّؤَالِ فِي قُبُورِهِمْ، وَأَمَّا أَهْلُ خَاتِمَةِ السُّوءِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي شَأْنِهِمْ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[2]. أَيْ: يُضِلُّ الظَّالِمِينَ عَنْ حُجَّتِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ، كَمَا ضَلُّوا فِي الدُّنْيَا بِكُفْرِهِمْ، فَلَا يُلَقِّنُهُمُ اللهُ كَلِمَةَ الْحَقِّ، فَإِذَا سُئِلُوا فِي قُبُورِهِمْ قَالُوا: لَا نَدْرِي، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، (أَيْ: لَا تَلَوْتَ وَلَا قَرَأْتَ).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ**؟ (يَعْنِي سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ)؛ **فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ فِي النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا فِي الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ**: (يَعْنِي سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ)، **فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقُولَانِ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً، فَيَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَىٰ فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**»، قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**»، فَقَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالَ ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْمَيِّتَ وَهُوَ مَحْمُولٌ فِي جَنَازَتِهِ، يَرَىٰ مَا هُوَ قَادِمٌ عَلَيْهِ مِنْ نَعِيمِ الْقَبْرِ أَوْ عَذَابِهِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ، وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَىٰ أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي. وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ:**

(١) إبراهيم الآية (٢٧). (٢) إبراهيم الآية (٢٧).

يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا. يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ الْإِنْسَانُ لَصُعِقَ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَامَ بِلَالٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: مَاتَتْ فُلَانَةٌ وَاسْتَرَاحَتْ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّمَا اسْتَرَاحَ مَنْ غُفِرَ لَهُ». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا سُئِلَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَىٰ ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ الْمُؤْمِنُ غِبْطَةً وَسُرُوراً، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ لِمَا بُدِئَ مِنْهُ، وَتُجْعَلُ نَسَمَتُهُ (رُوحُهُ) فِي النَّسِيمِ الطَّيِّبِ، وَهُوَ طَيْرٌ مُعَلَّقٌ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾(١).

وَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْكَافِرِ ضِدَّ ذَلِكَ، إِلَىٰ أَنْ قَالَ ﷺ: «ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ، إِلَىٰ أَنْ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، فَتِلْكَ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ، الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾(٢).

وَرَوَىٰ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَىٰ قَبْرَيْنِ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ»، ثُمَّ دَعَا ﷺ بِجَرِيدَةٍ رَطْبَةٍ فَشَقَّهَا اثْنَتَيْنِ، فَغَرَسَ ﷺ عَلَىٰ هَذَا وَاحِداً، وَعَلَىٰ هَذَا وَاحِداً، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «لَعَلَّ اللهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَرَوَىٰ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ، فَقَالَ ﷺ فِي سَيِّدِنَا سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

---

(١) إبراهيم الآية (٢٧). (٢) طه الآية (١٢٤).

۞ وَرُوِيَ عَنْ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَىٰ قَبْرٍ بَكَىٰ حَتَّىٰ تَبْتَلَّ لِحْيَتُهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَا تَبْكِي، وَيُذْكَرُ الْقَبْرُ فَتَبْكِي!، فَقَالَ ﷺ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَةِ وَالْجَماعَةِ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يُسْأَلُ بَعْدَ مَوْتِهِ، قُبِرَ أَمْ لَمْ يُقْبَرْ، فَلَوْ أَكَلَتْهُ السِّبَاعُ أَوْ أُحْرِقَ حَتَّىٰ صَارَ رَمَادَاً، وَنُسِفَ فِي الْهَوَاءِ، أَوْ غَرِقَ فِي الْبَحْرِ، لَسُئِلَ عَنْ أَعْمَالِهِ، وَجُوزِيَ بِالْخَيْرِ خَيْرَاً، وَبِالشَّرِّ شَرَّاً، وَأَنَّ النَّعِيمَ أَوِ الْعَذَابَ عَلَىٰ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ مَعَـاً، يُوَصِّلُ اللهُ ذَلِكَ لِلنَّفْسِ وَالْبَدَنِ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ.

۞۞۞۞

إِخْبَارُهُ ﷺ بِالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

۞ يَبْدَأُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَقُومُ فِيهِ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيُعْرَضُونَ فِيه عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِلْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، يَبْدَأُ ذَلِكَ الْيَوْمُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الصُّورِ، فَقَالَ ﷺ: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَىٰ سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ فَيَنْفُخَ**». فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: فَكَيْفَ نَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ أَوْ نَقُولُ؟ قَالَ ﷺ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ وَالصُّورُ هُوَ الْقَرْنُ الَّذِي جَعَلَ اللهُ فِيهِ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْ أَرْوَاحِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ مَكَانَـاً، وَهُوَ عَالَمُ الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ الَّذِي إِلَيْهِ تَنْتَقِلُ الْأَرْوَاحُ بَعْدَ الْمَوْتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1].

۞ وَالصُّورُ مُحِيطٌ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَأَسْفَلُهُ سِجِّينٌ، وَفِيهِ أَرْوَاحُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ،

(١) المؤمنون الآية (١٠٠).

وَوَسَطُهُ مَكَانُ أَرْوَاحِ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَعْلَاهُ رَوْضَةُ أَرْوَاحِ الْأَبْرَارِ وَالْمُقَرَّبِينَ.

۞ وَالْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ هُوَ إِسْرَافِيلُ عليه السلام.

وَالنَّفْخُ فِي الصُّورِ إِنَّمَا يَكُونُ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ:

(١) النَّفْخَةُ الأُولَى:

۞ وَهِيَ نَفْخَةُ الْفَزَعِ عِنْدَ ظُهُورِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَمِنَ الْخَسْفِ وَالْمَسْخِ وَالصَّوَاعِقِ وَالزَّوَابِعِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾(١). وَفِي نَفْخَةِ الْفَزَعِ يَمُوتُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا الشُّهَدَاءَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَصِلُ لَهُمْ هَذَا الْفَزَعُ؛ بَلْ يَمُرُّ عَلَيْهِمْ نَسِيمَ عَلِيلِ بَلَيْلٍ، فَيَمُوتُونَ مُشْتَاقُونَ إِلَىٰ رِضَاءِ رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ، وَهُمُوا الَّذِينَ اسْتَثْنَاهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾، أَيْ: اِنْتَقَلُوا مِنَ الدُّنْيَا خَاضِعِينَ صَاغِرِينَ مَقْهُورِينَ.

(٢) النَّفْخَةُ الثانِيَةُ:

۞ وَهِيَ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، وَفِيهَا تَفْقِدُ الْأَرْوَاحُ حَيَاتَهَا الرُّوحَانِيَّةَ، حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ إِلَّا وَيَفْقِدُ تِلْكَ الْحَيَاةَ، إِلَّا مَنِ اصْطَفَاهُمُ اللهُ فَأَقَامَهُمْ فِي مَقَامِ مَحَبَّتِهِ لَهُمْ، وَبَعْدَ تِلْكَ النَّفْخَةِ يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾(٢)، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَا يُجِيبُهُ أَحَدٌ؛ لِفَنَاءِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، فَيُجِيبُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ قَائِلًا: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾(٣). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(٤).

(٣) النَّفْخَةُ الثالِثَةُ:

۞ وَهِيَ نَفْخَةُ الْقِيَامَةِ، وَفِيهَا تُدَكُّ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَتُنْسَفُ الْجِبَالُ نَسْفًا، حَتَّىٰ تَكُونَ هَبَاءً مُنْبَثًّا، وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَنِيًّا كَمَنِيِّ الرِّجَالِ، وَيُسَلِّطُ اللهُ تَعَالَىٰ الرِّيحَ مِنْ جِهَاتِهَا الْأَرْبَعَةِ عَلَىٰ الْأَرْضِ حَتَّىٰ تَذُوبَ، ثُمَّ تَقْوَىٰ صَدَمَاتُ الرِّيَاحِ عَلَيْهَا حَتَّىٰ تَتَصَلَّدَ، ثُمَّ تَقْوَىٰ حَتَّىٰ تَصِيرَ الْأَرْضُ ذَرَّاتٍ، وَهَذِهِ الذَّرَّاتُ هِيَ ذَرَّاتُ أَجْسَادِ الْمَوْتَىٰ، وَيَجْعَلُ اللهُ تَعَالَىٰ كُلَّ

---

(١) النمل الآية (٨٧).
(٢) غافر الآية (١٦).
(٣) غافر الآية (١٦).
(٤) الزمر الآية (٦٨).

ذَرَّةٍ مِنْ هَذِهِ الذَّرَّاتِ تَنْجَذِبُ إِلَىٰ الْأُخْرَىٰ، حَتَّىٰ تتكَوَّنَ الْأَجْسَادُ، قَالَ تعَالَىٰ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾[1]. حَيْثُ تَكُونُ كُلُّ أُمَّةٍ طَبَقًا تَعْلُوهَا طَبَقَةٌ.

وَفِي نَفْخَةِ الْقِيَامَةِ الَّتِي يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[2]، وَفِي هَذِهِ النَّفْخَةِ تَعُودُ لِلرُّوحِ حَيَاتُهَا الرُّوحَانِيَّةُ، وَيَأْمُرُ اللهُ الْأَرْوَاحَ أَنْ تَلِجَ الْأَجْسَادَ بِقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا هُم قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[3]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا﴾[4]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[5]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾[6]. وَالْأَثْقَالُ هِيَ هَذِهِ الْأَجْسَادُ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[7].

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْحَقَائِقَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**»، قِيلَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَبَيْتُ، قِيلَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَبَيْتُ، قِيلَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ رضي الله عنه: أَبَيْتُ، «**ثُمَّ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا يَبْلَىٰ إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، مِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». (رَوَاهُ مَالِكٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ)

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرَةِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَىٰ جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ**». (رَوَاهُ مَالِكٌ وَالنَّسَائِيُّ)

وَعَنْ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُعِيدُ اللهُ الْخَلْقَ، وَمَا آيَةُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ ﷺ: «**أَمَا مَرَرْتَ بِوَادِي قَوْمِكَ جَدْبًا، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ ﷺ: «**فَتِلْكَ آيَةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَىٰ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه)

وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْضَ الْحَشْرِ، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(1) الانشقاق الآية (19).
(2) الزمر الآية (68).
(3) الزمر الآية (68).
(4) المعارج الآية (43).
(5) العاديات الآية (9).
(6) الزلزلة الآية (2).
(7) إبراهيم الآية (48).

ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاس يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَمَعْنَىٰ: «عَفْرَاءَ» ، أَيْ: بَيْضَاءَ، وَ «النَّقِيِّ» هُوَ الْخُبْزُ الْأَبْيَض، «لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ»، أَيْ: لَيْسَ فِيهَا عَلَامَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ أَحَداً وَطِأَهَا مِنْ قَبْلُ.

وَوَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الْمَحْشَرِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاس حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً»، وَمَعْنَىٰ: «غُرْلاً»، أَيْ: غَير مَخْتُونِينَ، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها : الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ؟ قَالَ ﷺ: «الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

ثُمَّ بَيَّنَ ﷺ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾[1]. أَيُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَىٰ الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ؟». قَالَ قَتَادَةُ حِينَ بَلَغَهُ: بَلَىٰ وَعِزَّةِ رَبِّنَا. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَعَنِ الْمِقْدَادِ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تُدْنَىٰ الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ. فَيَكُونُ النَّاس عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا، وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ فِيهِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَيَقُولُ الإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه : النَّاسُ فِي يَوْمِ الْبَعْثِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

قِسْمٌ يَخْرُجُونَ مِنَ الْقُبُورِ لَهُمْ أَجْنِحَةٌ يَطِيرُونَ بِهَا إِلَىٰ مَسَرَّاتِ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَرْكَبُ النُّجُبَ النُّورَانِيَّةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَؤُمُّهُمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَىٰ الْفِرْدَوْسِ، وَهَؤُلَاءِ لَا يَمُرُّونَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، وَلَا يَرَوْنَ الْمِيزَانَ، وَلَا يُحْزِنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢

(١) الفرقان الآية (٣٤).

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1].

وَهَؤُلَاءِ الْمُقَرَّبُونَ وَالْأَبْرَارُ وَأَهْلُ الْيَمِينِ، وَرَدُوا النَّارَ فِي الدُّنْيَا، وَسَارُوا عَلَىٰ الصِّرَاطِ فِيهَا، وَالنَّارُ الَّتِي وَرَدُوهَا هِيَ مُجَاهَدَةُ أَنْفُسِهِمْ فِي ذَاتِ اللهِ، وَالصِّرَاطُ الَّذِي اجْتَازُوهُ عَلَىٰ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِكَمَالِ اتِّبَاعِهِ، وَالْحِسَابُ الَّذِي أَنْجَاهُمْ مِنْهُ هُوَ مُرَاقَبَةُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي كُلِّ عَمَلٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِي: «**لَا وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَجْمَعُ لِعَبْدٍ أَمْنَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَبَداً خَوْفَيْنِ؛ فَإِنْ هُوَ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا، أَمِنَنِي فِي يَوْمٍ أَجْمَعُ فِيهِ عِبَادِي عِنْدِي فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ، فَيَدُومُ لَهُ أَمْنُهُ، وَإِنْ هُوَ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا، خَافَنِي فِي يَوْمٍ أَجْمَعُ فِيهِ عِبَادِي لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، فَيَدُومُ لَهُ الْخَوْفُ**». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَوْرَدَهُ السُّيُوطِيُّ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ)

وَالْفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ: لَا يُقَامُ لَهُمْ مِيزَانٌ، وَلَا يُنْصَبُ لَهُمْ صِرَاطٌ، وَإِنَّمَا يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ، قَالَ اللهُ عَنْهُمْ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[2]؛ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ، أَوْ مَاتُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ.

الْفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ: وَهُمُوا الَّذِينَ يُحَاسَبُونَ حِسَاباً يَسِيراً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾[3].

وَهَؤُلَاءِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، وَهُمُوا الَّذِينَ مَدَحَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[5].

الْفِرْقَةُ الرَّابِعَةُ: وَهُمُوا الَّذِينَ يُحَاسَبُونَ حِسَاباً شَدِيداً، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾[6].

(١) الأنبياء الآيات (١٠١-١٠٣).
(٢) الكهف الآية (١٠٥).
(٣) الانشقاق الآيات (٧-٩).
(٤) التوبة الآية (١٠٢).
(٥) آل عمران الآية (١٣٥).
(٦) الانشقاق الآيات (١٠-١٥).

۞ وَأَخْذُ الْكِتَابِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ إِنَّمَا هُوَ بِشِمَالِهِ؛ لِأَنَّ يَدَهُ الْيُمْنَىٰ مَغْلُولَةٌ فِي عُنُقِهِ مُلْتَوِيَةٌ وَرَاءَ ظَهْرِهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴾. أَيْ: يُنَادِي بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ؛ لِمَا حَلَّ بِهِ مِنَ الْهَلَاكِ وَالْيَأْسِ مِنَ النَّجَاةِ: ﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾[١]. أَيْ: يَهْوَىٰ فِي السَّعِيرِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾[٢].

۞ هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ الْمُتَسَاهِلُونَ بِالدِّينِ مِنْ نِسْيَانِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَسُرُورِهِمْ بِاقْتِرَافِ الْخَطَايَا: ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾، أَيْ: لَنْ يُبْعَثَ وَلَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنِسْيَانُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مُوجِبٌ لِأَلِيمِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[٣]. أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلَىٰٓ ﴾، فَتَكْذِيبٌ لِلظَّالِمِ وَرَدْعٌ لَهُ وَزَجْرٌ، وَإِثْبَاتٌ لِرُجُوعِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَانْقِلَابِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْحِسَابِ.

۞ أَمَّا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي يُنَادَىٰ مِنْهُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْبَعْثِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾[٤]، فَهُوَ صَخْرَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ مَوْضِعٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، يُنَادِي إِسْرَافِيلُ قَائِلًا: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ، وَالْأَوْصَالُ الْمُنْقَطِعَةُ، وَاللُّحُومُ الْمُتَمَزِّقَةُ، وَالشُّعُورُ الْمُتَفَرِّقَةُ، إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَجْتَمِعْنَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ.

۞ وَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ طُولَ يَوْمِ الْحَشْرِ، فَقَالَ: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[٥].

۞ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قِيلَ لَهُ: مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ! فَقَالَ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ حَتَّىٰ يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ»**.

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَىٰ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ وَفِي رِوَايَةٍ: **«يُهَوَّنُ ذَلِكَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَىٰ أَنْ تَغْرُبَ»**.

(رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

---

(١) الانشقاق الآية (١٢).
(٢) الانشقاق الآيتان (١٣-١٤).
(٣) الجاثية الآية (٣٤).
(٤) ق الآية (٤١).
(٥) المعارج الآية (٤).

۞ وَوَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُرُورَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، فَعَنْ حُذَيْفَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَقُومُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ عَلَىٰ جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ، سَلِّمْ سَلِّمْ. حَتَّىٰ تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفاً، قَالَ: وَفِي حَافَّتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ تَأْخُذُ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ خَرِيفاً». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

مَعْنَىٰ: «وَشَدِّ الرِّجَالِ»، أَيْ: الْإِسْرَاعِ فِي السَّيْرِ.

۞۞۞۞۞

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصِفُ الْجَنَّةَ رَأْيَ الْعَيْنِ

۞ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُرِيتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُوداً، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْجَنَّةُ بِنَاؤُهَا لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَىٰ ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَىٰ شَبَابُهُ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلاً، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضاً». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَوَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ نَهَرَ الْكَوْثَرِ الَّذِي وَعَدَهُ بِهِ رَبُّهُ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْكَوْثَرُ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ مِنَ الذَّهَبِ، وَمَجْرَاهُ عَلَىٰ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه)

۞ وَوَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ تِلَالِ ـ أَوْ: مِنْ تَحْتِ جِبَالِ ـ الْمِسْكِ». (رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ وَوَصَفَ ﷺ أَشْجَارَ الْجَنَّةِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَبَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الْغُرَفِ فِي الْجَنَّةِ بِعُلُوِّ مَنَازِلِهِمْ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ ﷺ: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَأَهْلُ الْغُرْفَةِ هُمُوا الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾(١)، وَأَهْلُ الْغُرْفَةِ كَذَلِكَ هُمُ الصَّابِرُونَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا﴾(٢).

۞ وَوَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي اجْتِمَاعِهِمْ وَحُسْنِ عَاقِبَتِهِمْ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ سُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشِّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ، وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَوَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الْجَنَّةِ عِنْدَ دُخُولِهَا بَيَانًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾(٣)، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفِلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأُلُوَّةُ (عُودُ الطِّيبِ)، أَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينِ، عَلَىٰ خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

---

(١) الحديد الآية (١٩). (٢) الفرقان الآية (٧٥). (٣) الزمر الآية (٧٣).

۞ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعَدٍ رضي الله عنه، قَالَ: شَهِدْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ ﷺ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ، ثُمَّ قَالَ ﷺ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، ثُمَّ قَرَأَ ﷺ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِرِضْوَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعَدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبَّنَا، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَبَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِالْكَرَامَةِ الْكُبْرَىٰ، أَلَا وَهِيَ النَّظَرُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، فَعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

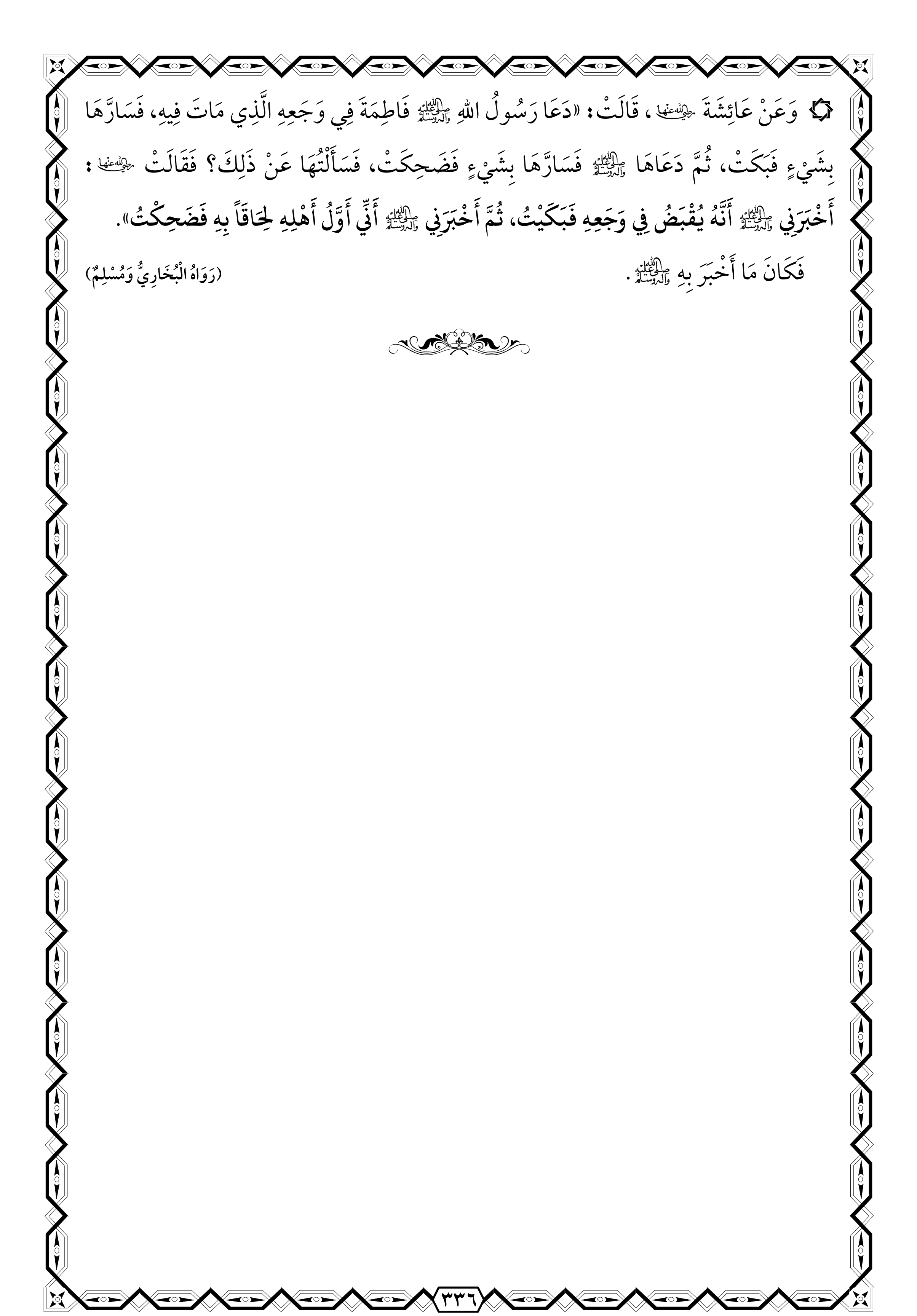
۞ وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

تَنَبُّؤُهُ ﷺ بِوَفَاتِهِ فِي مَرَضِهِ

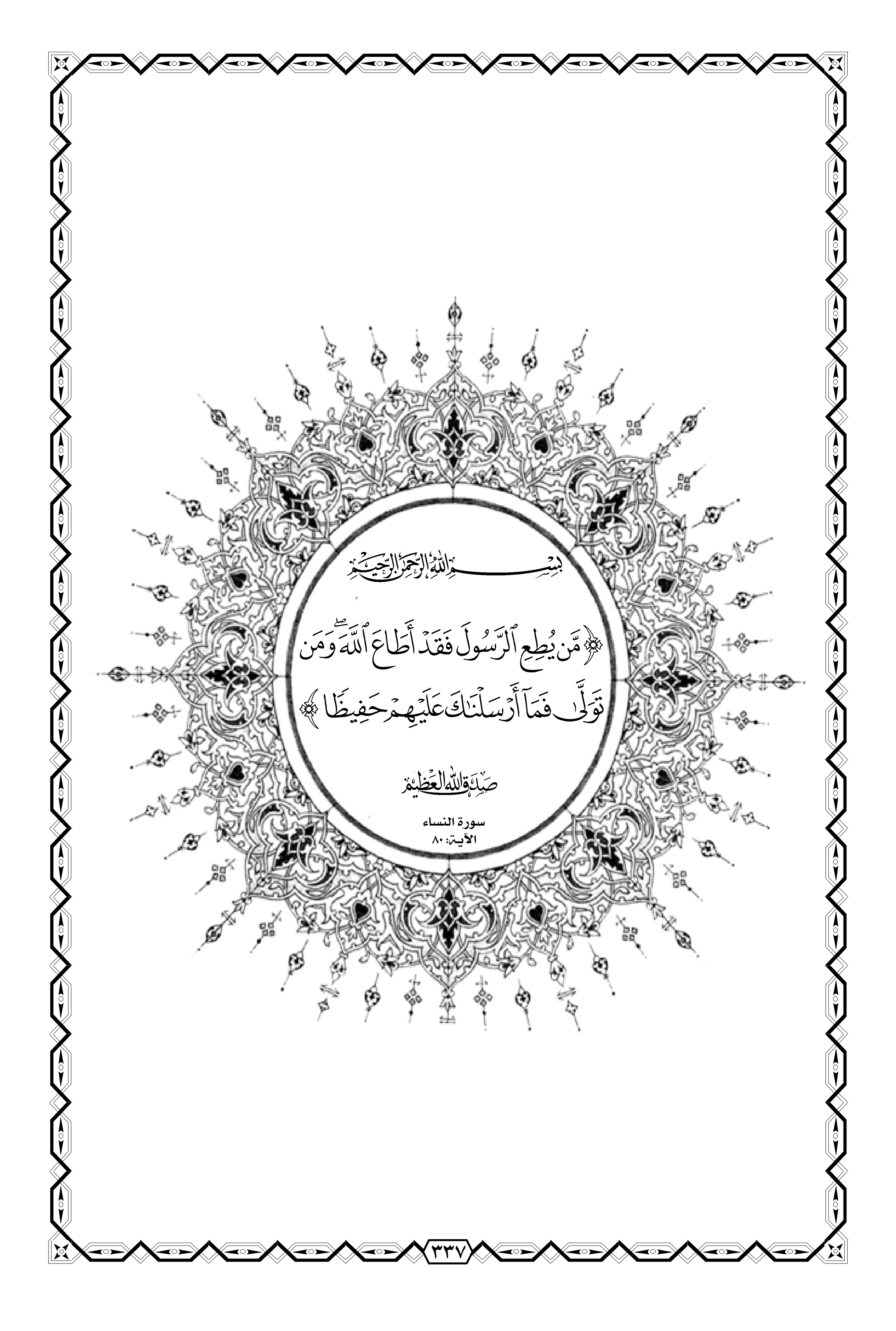
۞ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها أَخْبَرَتْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَسَرَّ إِلَيْهَا، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَأَنَّهُ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَىٰ أَجَلِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

(١) السجدة الآيتان (١٦-١٧).



۞ وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: «دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا ﷺ فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَضَحِكَتْ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ ﵂: **أَخْبَرَنِي ﷺ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي ﷺ أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ لِحَاقاً بِهِ فَضَحِكْتُ**».

فَكَانَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن
تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾
صدق الله العظيم
سورة النساء
الآية: ٨٠

الْفَصْلُ الثَّانِي
بَشَائِرُ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

۞ إِنَّ مِنْ عَظِيمِ فَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَجَلَائِلِ نِعَمِهِ أَنْ بَعَثَ فِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ بَشِيراً وَنَذِيراً، فَبِالْبُشْرَىٰ فَتَحَ اللهُ لَنَا أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ؛ لِيُيَسِّرَ عَلَيْنَا طَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَبِالْإِنْذَارِ كَانَ الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ وَالرَّهْبَةُ مِنْ حَضرَةِ الْجَنَابِ، وَكَانَ التَّعْظِيمُ للهِ الْعَلِيِّ بِإِجْلَالِ الْمَقَامِ، وَفِي ذَلِكَ وِقَايَةٌ لَنَا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الزَّلَّاتِ، وَحِفْظٌ لَنَا مِنَ الِالْتِفَاتِ وَالْغَفَلَاتِ، وَبِهِ يَكُونُ دُخُولُنَا فِي حِصْنِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، وَالْفَوْزُ بِالْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمِ الْمَآلِ.

۞ وَقَدْ جَاءَتِ الْبَشَائِرُ مِنَ اللهِ وَمِنْ رَسُولِهِ ﷺ لِلصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، نَذْكُرُ مِنْهَا مَا تَطِيبُ لَهُ الْأَسْمَاعُ، وَتَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ، **حَيْثُ يَحْوِي هَذَا الْفَصْلُ هَذِهِ الْبَشَائِرَ فِي الْمَبَاحِثِ التَّالِيَةِ كَالآتِي:**

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ : بُشْرَىٰ الْمُتَّقِينَ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي : بُشْرَىٰ الذَّاكِرِينَ.

الْمَبْحَثُ الثَّالِث : بُشْرَىٰ الْمُسْتَغْفِرِينَ وَالتَّوَّابِينَ.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ : بَشْرَىٰ الصَّابِرِينَ.

الْمَبْحَثُ الْخَامِسُ : بُشْرَىٰ الشَّاكِرِينَ.

الْمَبْحَثُ السَّادِسُ : بُشْرَىٰ الْمُتَوَكِّلِينَ.

الْمَبْحَثُ السَّابِع : بُشْرَىٰ الزَّاهِدِينَ.

الْمَبْحَثُ الثَّامِنُ : بُشْرَىٰ الْمُقْسِطِينَ وَالْمُحْسِنِينَ.

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

بُشْرَى الْمُتَقِينَ

بَشَّرَ اللهُ الْمُتَّقِينَ بِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ وَالْفَوْزِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

وَبَشَّرَ اللهُ الْمُتَّقِينَ بِالنُّورِ يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِهِ الْعَظِيمِ، فَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2].

وَبَشَّرَ اللهُ الْمُتَّقِينَ بِقَبُولِ أَعْمَالِهِمْ، وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِمْ، وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَنَالُونَ بِهِ غَايَةَ مَطْلُوبِهِمْ، أَلَا وَهُوَ رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالنَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ سُبْحَانَهُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

وَبَشَّرَ اللهُ الْمُتَّقِينَ بِالْمَقَامِ الْأَمِينِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[4].

وَبَشَّرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِأَنَّ مَجْلِسَهُمْ فِي الْجَنَّةِ سَيَكُونُ بِالْقُرْبِ مِنْ حَضْرَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[5].

وَبَشَّرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِوَاسِعِ رَحْمَتِهِ، وَبِالنُّورِ الَّذِي يَهْتَدُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيُجَوِّزُونَ بِهِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ

(١) يونس الآيات (٦٢-٦٤).
(٢) الأنفال الآية (٢٩).
(٣) الأحزاب الآيتان (٧٠-٧١).
(٤) الدخان الآيات (٥١-٥٧).
(٥) القمر الآيتان (٥٤-٥٥).

كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1].

وَمَعْنَىٰ: ﴿ كِفۡلَيۡنِ ﴾، أَيْ: نَصِيبَيْنِ، وَذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ سِعَةِ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ.

۞ وَبَشَّرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ يَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَيَرْزُقُهُمْ بِالرِّزْقِ الَّذِي لَا يَخْطُرُ لَهُمْ عَلَىٰ بَالٍ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾[2].

۞ وَبَشَّرَهُمْ عَزَّوَجَلَّ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ يُسْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾[3].

۞ وَبَشَّرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ مَعِيَّتِهِ عَزَّوَجَلَّ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾[4]. وَمَنْ كَانَ مَعَ اللهِ، لَا يَشْكُو هَمًّا وَلَا حُزْنًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[5]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[6].

۞ وَبَشَّرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِالْقَبُولِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[7].

۞ وَبَشَّرَهُمْ بِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[8].

۞ وَبَشَّرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِمَحَبَّتِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[9].

۞ وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ أَكْرَمُ النَّاسِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ ﷺ: «**أَتْقَاهُمْ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾[10].

۞ وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّ نَسَبَ التَّقْوَىٰ هُوَ أَرْفَعُ نَسَبٍ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ:

---

(١) الحديد الآية (٢٨).
(٢) الطلاق الآيتان (٢-٣).
(٣) الطلاق الآية (٤).
(٤) النحل الآية (١٢٨).
(٥) التوبة الآية (٤٠).
(٦) التوبة الآية (٣٦).
(٧) المائدة الآية (٢٧).
(٨) القصص الآية (٨٣).
(٩) آل عمران الآية (٧٦).
(١٠) الحجرات الآية (١٣).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَمَعَ اللهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَنَادَاهُمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ أَقْصَاهُمْ، كَمَا يَسْمَعُهُ أَدْنَاهُمْ، فَيَقُولُ: يَأَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أَنْصَتُّ إِلَيْكُمْ مُنْذُ خَلَقْتُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِكُمْ هَذَا، فَأَنْصِتُوا إِلَيَّ الْيَوْمَ، فَإِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ نَسَباً، وَجَعَلْتُمْ نَسَباً، فَوَضَعْتُمْ نَسَبِي، وَرَفَعْتُمْ نَسَبَكُمْ، قُلْتُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، فَأَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَفُلَانٌ أَغْنَىٰ مِنْ فُلَانٍ، فَالْيَوْمَ أَضَعُ نَسَبَكُمْ، وَأَرْفَعُ نَسَبِي، أَيْنَ الْمُتَّقُونَ؟ فَيُرْفَعُ لِلْقَوْمِ لِوَاءٌ، فَيَتْبَعُ الْقَوْمُ لِوَاءَهُمْ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمْ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ)

۞ **وَلِلتَّقْوَىٰ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ**؛ فَهِيَ بِمَعْنَىٰ الْخَشْيَةِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْخَشْيَةُ هِيَ انْكِسَارُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيْ مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ.

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**اِتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَىٰ، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَىٰ**». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: **التَّقْوَىٰ هِيَ الْخَوْفُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَالرِّضَا بِالْقَلِيلِ، وَالْعَمَلُ بِالتَّنْزِيلِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ.**

۞ وَالتَّقْوَىٰ هِيَ الْعَمَلُ بِأَوَامِرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ. وَالتَّقْوَىٰ مِنَ الْوِقَايَةِ، فَهِيَ وِقَايَةٌ لِلْعَبْدِ مِنَ الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَمِنَ الشِّرْكِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ، وَمِنَ الْمَعْصِيَةِ بَعْدَ الطَّاعَةِ. وَالتَّقْوَىٰ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَىٰ، وَأَنْ تَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَىٰ.

۞ وَالتَّقْوَىٰ هِيَ خَيْرُ زَادٍ، وَخَيْرُ لِبَاسٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1]، وَهُوَ مَا يَتَزَوَّدُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ مِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[2]. وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ هِيَ خَشْيَةُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي السِّرِّ، فَيَنْضَحُ عَلَىٰ صَاحِبِهَا أَثَرُهَا بِالسَّمْتِ الْحَسَنِ فِي الْوَجْهِ. (تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)

۞ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،**

---

(١) البقرة الآية (١٩٧). (٢) الأعراف الآية (٢٦).

مَا أَسَرَّ عَبْدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَلْبَسَهُ اللهُ رِدَاءَهَا؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه، وَقَفَ يَوْمًا بِجِوَارِ الْكَعْبَةِ، وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَرَادَ سَفَرًا لَتَزَوَّدَ فِيهِ مِنَ الزَّادِ مَا يُصْلِحُهُ، أَفَلَا تَتَزَوَّدُونَ فِي سَفَرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالُوا: زِدْنَا، قَالَ رضي الله عنه: صُمْ يَوْمًا شَدِيدَ الْحَرِّ لِلنُّشُورِ، وَحُجَّ حِجَّةً لِعَظَائِمِ الْأُمُورِ، وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ لِوَحْشَةِ الْقُبُورِ، وَكَلِمَةُ خَيْرٍ تَقُولُهَا، وَكَلِمَةُ شَرٍّ تَسْكُتَ عَنْهَا، وَصَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَىٰ مِسْكِينٍ؛ لَعَلَّكَ تَنْجُو يَا مِسْكِينُ مِنْ يَوْمٍ عَسِيرٍ.

۞ بَشَّرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: **«إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا».**

(رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

بُشْرَى الذَّاكِرِين

❁ بَشَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَهْلَ الذِّكْرِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

❁ وَبَشَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَهْلَ الذِّكْرِ بِأَنَّهُمْ مِنْ أُوْلِي الْأَلْبَابِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2].

❁ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ للَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمَاً يَذْكُرُونَ اللهَ، تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمِدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ، مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيداً، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونَنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَباً، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللهِ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ؛ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

❁ بَشَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَهْلَ الذِّكْرِ، بِذِكْرِهِ سُبْحَانَهُ لَهُمْ، فَقَالَ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[3].

---

(1) الأحزاب الآية (٣٥). (2) آل عمران الآية (١٩٠-١٩١). (3) البقرة الآية (١٥٢).

۞ وَبَشَّرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحُفُّهُمْ، وَالرَّحْمَةَ تَغْشَاهُمْ، وَالسَّكِينَةَ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ، وَذِكْرُ اللهِ لَهُمْ فِيمَنْ عِنْدَهُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه)

۞ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيَبْعَثَنَّ اللهُ أَقْوَاماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمُ النُّورُ، عَلَىٰ مَنَابِرِ اللُّؤْلُؤِ، يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ**»، قَالَ: فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: جَلِّهِمْ لَنَا نَعْرِفْهُمْ؟ قَالَ ﷺ: «**هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّىٰ، يَجْتَمِعُونَ عَلَىٰ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ يَذْكُرُونَهُ**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ أَثْنَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ مَجَالِسِ أَهْلِ الذِّكْرِ، وَوَصَفَهَا ﷺ بِأَنَّهَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ ﷺ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا**»، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ ﷺ: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ ذِكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَفَّارَةً لِلْمَجَالِسِ الْخَالِيَةِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ، وَيَكْثُرُ فِيهَا اللَّغَطُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ جَلَسَ مَجْلِساً كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ شَهِدَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَهْلِ الذِّكْرِ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ السَّبْقِ إِلَىٰ مَحَابِّ اللهِ وَمَرَاضِيهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَهْلَ السَّبْقِ هُمُ الْمُقَرَّبُونَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[1].

۞ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**»، قَالُوا: **وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟** قَالَ ﷺ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الذَّاكِرِينَ بِأَنَّهُمُ الْأَحْيَاءُ؛ أَمَّا الْغَافِلُونَ فَهُمُوا الْأَمْوَاتُ، فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ، مَثَلُ الْحَيِّ**

---

(١) الواقعة الآيتان (١٠-١١).

وَالْمَيِّتِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الذِّكْرِ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ مَعِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الذِّكْرِ بِأَنَّ ذِكْرَ اللهِ هُوَ خَيْرُ الْأَعْمَالِ، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟»، قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ ﷺ: «ذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ ﷺ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللهِ».

(رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)

وَجَاءَ فِي فَضْلِ (لا إِلـهَ إِلا اللَّـهُ) الآتِي:

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ - أَوْ نَفْسِهِ -». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً

وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلّاً، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ، فَقَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: بَلَىٰ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: فَإِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه وَالْحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ وَجَاءَ فِي وَصَايَا نُوحٍ عليه السلام لِوَلَدِهِ، مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِوَصِيَّةِ نُوحٍ ابْنَهُ»، قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ ﷺ: «أَوْصَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ فَقَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنِّي أُوصِيكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ؛ أُوصِيكَ بِقَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَإِنَّهَا إِنْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي كِفَّةٍ، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَآمُرُكَ بِسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صِلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالْبَزَّارُ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ وَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنهما، قَالَا: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «هَلْ فِيكُمْ مِنْ غَرِيبٍ»، يَعْنِي: أَهْلَ الْكِتَابِ؟ قُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَمَرَ ﷺ بِغَلْقِ الْبَابِ، وَقَالَ ﷺ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وَأَنْتَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «أَلَا أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُمْ)

۞ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا

وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ)

وَعَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

وَعَنْ أُمِّ هَانِئٍ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ لَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**قُولِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَا تَذَرُ ذَنْبًا، وَلَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

وَمِنَ الْمَعَانِي الَّتِي يَجِبُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا: أَنَّ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» فِي كِتَابَتِهَا: مِنَ الْحُرُوفِ الْمُعْجَمَةِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا نُقَطٌ، وَفِي نُطْقِهَا مِنَ الْحُرُوفِ الْجَوْفِيَّةِ الَّتِي تَخْرُجُ عِنْدَ نُطْقِهَا مِنَ الْجَوْفِ، وَيَقُولُ الْإِمَامُ الرَّازِي رحمه الله فِي فَضَائِلِهَا الَّتِي جَاءَتْ فِي كِتَابِ اللهِ عز وجل: إِنَّهَا الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي ضَرَبَ اللهُ لَهَا الْمَثَلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[1].

وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَىٰ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[2].

وَهِيَ الْقَوْلُ السَّدِيدُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[3].

وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَصْبَحَ «**أَصْبَحْنَا عَلَىٰ فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَىٰ دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وسلم، **وَعَلَىٰ مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**».

وَهِيَ كَلِمَةُ الصِّدْقِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) إبراهيم الآيتان (٢٤-٢٥). (٢) الفتح الآية (٢٦). (٣) الأحزاب الآية (٧٠).

ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(١).

وجاءَ فِي فَضْلِ (لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللـهِ) الآتِي:

۞ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «-أَلَا أُعَلِّمُكَ- أَوْ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ؟ تَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَيَقُولُ اللهُ: أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ».
(رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْبَزَّارُ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اِسْتَعِينُوا بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ سَبْعِينَ بَاباً مِنَ الضُّرِّ أَدْنَاهَا الْهَمُّ». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ)

۞ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: «فَإِنَّهَا تَدْفَعُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ بَاباً مِنَ الضُّرِّ أَدْنَاهَا الْهَمُّ».
(رَوَاهُ الْعُقَيْلِيُّ)

وجاءَ فِي فَضْلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ الآتِي:

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً، حِينَ صَلَّىٰ الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ ﷺ بَعْدَ أَنْ أَضْحَىٰ وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ ﷺ: «مَا زِلْتِ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟»، قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَاءَ نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ تَمْلَآنِ (أَوْ تَمْلَأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي الْيَوْمِ

---

(١) الزمر الآية (٣٣).

مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ؟ إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

فَضْلُ التَّكْبِيرِ:

۞ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اِسْتَعِينُوا عَلَى إِطْفَاءِ الْحَرِيقِ بِالتَّكْبِيرِ». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّعْوَاتِ)

فَضْلُ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ:

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اِسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ: التَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ)

۞ وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يَقُولُ: «لَقَدْ جَمَعَتِ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ؛ فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، فَقَدْ ذَكَرَ اللهَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ، فَقَدْ شَكَرَ اللهَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ وَحَّدَ اللهَ، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَقَدْ عَظَّمَ اللهَ، وَمَنْ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَدْ أَسْلَمَ وَاسْتَسْلَمَ، وَكَانَ لَهُ بِهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ، وَقَدِ اشْتَغَلَ رضي الله عنه بِغَرْسِ النَّخْلِ، فَقَالَ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غَرْسٍ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا؛ تَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، يَغْرِسُ اللهُ لَكَ بِكُلِّ كَلِمَةٍ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ».

۞ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ اللهَ فِي كُلِّ أَحْيَانِهِ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

فَبُشْرَىٰ لِأَهْلِ الذِّكْرِ، فَازُوا بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَفِيهِمْ يَقُولُ **الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ** رضي الله عنه:

أَرُونِي فَتىً ذَكَرَ الْإِلَهَ مُصَدِّقًا ... وَلَمْ يَرَ نُورَ الْحَقِّ فِي كُلِّ وِجْهَةِ
وَقَدْ قَالَ رَبُّ الْعَرْشِ فِي نَصِّ ذِكْرِهِ ... بِآيَاتِ قُرْآنٍ أَضَاءَتْ مُنِيرَةِ
أَلَا فَاذْكُرُونِي إِنْ ذَكَرْتُمْ فَإِنَّنِي ... لَدَيْهَا لَكُمْ أَذْكُرْ بِرِضْوَانِ جَنَّةِ
هُوَ الذِّكْرُ مَنْ رُفِعُوا بِهِ لِمَحَبَّةِ ... يُوَفِّقُ أَهْلَ الْقُرْبِ لِلذِّكْرِ سَادَتِي
وَمَنْ لَمْ يُوَفَّقْ يَذْكُرِ اللهَ مُخْلِصًا ... فَذَاكَ بَعِيدٌ عَنْ شُهُودِي وَجَنَّتِي
عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ إِنْ كُنْتَ رَاغِبًا ... نَوَالَ الرِّضَا مِنْهُ بِكُلِّ بِشَارَةِ
فَإِنَّكَ إِنْ تَذْكُرْهُ يَكْشِفْ لَكَ الْغِطَا ... وَتَشْهَدْ أَنْوَارًا بِسِرِّ الْمَعِيَّةِ

وَمِنَ الْمَأْثُورِ عَنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِ رضي الله عنهم فِي فَضَائِلِ الذِّكْرِ الْآتِي:

قَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ رضي الله عنه: «**وَاللهِ مَا طَابَتِ الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَمَا طَابَتِ الْآخِرَةُ إِلَّا بِعَفْوِهِ، وَمَا طَابَتِ الْجَنَّةُ إِلَّا بِرُؤْيَتِهِ سُبْحَانَهُ**».

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رضي الله عنه: «**اُذْكُرِ اثْنَيْنِ، وَانْسَ اثْنَيْنِ، وَاحْمَدِ اللهَ عَلَىٰ اثْنَيْنِ: اُذْكُرِ اثْنَيْنِ: اللهَ وَالْمَوْتَ، وَانْسَ اثْنَيْنِ: إِحْسَانَكَ إِلَىٰ النَّاسِ، وَإِسَاءَةَ النَّاسِ لَكَ، وَاحْمَدِ اللهَ عَلَىٰ اثْنَيْنِ: الْإِيمَانِ وَالْعَافِيَةِ**».

قَالَ حَاتِمٌ الْأَصَمُّ رضي الله عنه: «**تَعَاهَدْ نَفْسَكَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: إِذَا عَمِلْتَ فَاذْكُرْ نَظَرَ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَيْكَ، وَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَاذْكُرْ سَمْعَ اللهِ مِنْكَ، وَإِذَا سَكَتَّ فَاذْكُرْ عِلْمَ اللهِ فِيكَ**».

قِيلَ لِسَيِّدِي عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ رضي الله عنه: «**مَا عَلَامَةُ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ للهِ؟ قَالَ** رضي الله عنه: **أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ، قِيلَ لَهُ: وَمَا عَلَامَةُ مَحَبَّةِ اللهِ لِلْعَبْدِ؟ قَالَ: أَنْ يُسْمِعَهُ ذِكْرَهُ**».

۞ قَالَ سَيِّدِي أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه : «الَّذِينَ لا تَزَالُ أَلْسِنَتُهُمْ رَطْبَةً بِذِكْرِ اللهِ، يَدْخُلُ أَحَدُهُمُ الْجَنَّةَ وَهُوَ يَضْحَكُ».

۞ قَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ رضي الله عنه : «مَنْ ذَكَرَ اللهَ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، نَسِيَ فِي جَنْبِ ذِكْرَاهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَحَفِظَ اللهُ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَكَانَ اللهُ لَهُ عِوَضًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ».

۞ قَالَ ابْنُ عَطَاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِيُّ رضي الله عنه : «ذِكْرُ اللِّسَانِ كَفَّارَةٌ وَدَرَجَاتٌ، وَذِكْرُ الْقَلْبِ زُلْفَىٰ وَقُرُبَاتٌ، وَذِكْرُ الرُّوحِ حُضُورٌ وَمُشَاهَدَاتٌ».

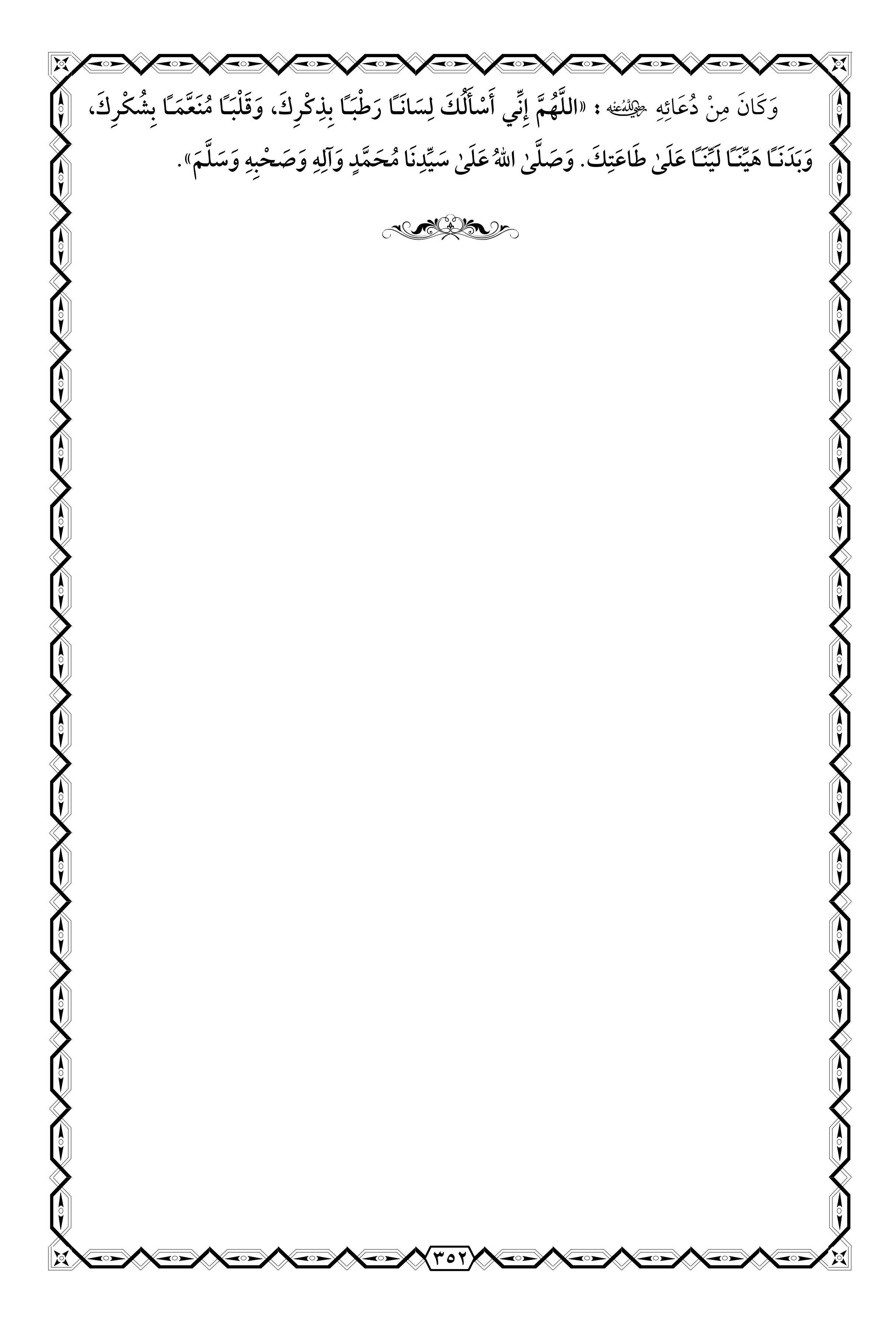
۞ قَالَ سَيِّدِي عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ رضي الله عنه : «الذِّكْرُ أَوَّلاً بِاللِّسَانِ، ثُمَّ يَتَعَدَّىٰ إِلَىٰ الْقَلْبِ، وَمَتَىٰ ذَكَرَ الْقَلْبُ، جَاءَ الْحُبُّ وَالشَّوْقُ».

۞ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه : «إِذَا ذَكَرَ اللِّسَانُ سَكَنَتِ النَّفْسُ، وَإِذَا ذَكَرَتِ النَّفْسُ سَكَنَ الْقَلْبُ، وَإِذَا ذَكَرَ الْقَلْبُ سَكَنَتِ الرُّوحُ، وَإِذَا ذَكَرَتِ الرُّوحُ سَكَنَ السِّرُّ، وَإِذَا ذَكَرَ السِّرُّ سَكَنَتْ نَفْخَةُ الْقُدْسِ، وَإِذَا ذَكَرَتْ نَفْخَةُ الْقُدْسِ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ».

۞ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه : «الذِّكْرُ يُزِيلُ عَنِ الذَّاكِرِ أَمْرَاضًا أَرْبَعَةً: النُّقْطَةَ، وَالسَّكْتَةَ، وَالنِّفَاقَ، وَمَرَضَ الْقَلْبِ».

۞ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ رضي الله عنه : «الذِّكْرُ يَأْتِي عَلَىٰ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ؛ فَذِكْرُ اللهِ لِعَظَمَتِهِ، يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْهَيْبَةُ وَالْجَلَالُ، وَذِكْرُ اللهِ لِقُدْرَتِهِ وَغِنَاهُ وَسَطْوَتِهِ، يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ، وَذِكْرُ اللهِ لِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ وُجُودِهِ وَكَرَمِهِ، يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الرَّجَاءُ، وَذِكْرُ اللهِ بِإِسْدَائِهِ النِّعَمَ وَالْخَيْرَاتِ وَدَفْعَ الْبَلَاءِ وَالْمَضَرَّاتِ، يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الشُّكْرُ، وَذِكْرُ اللهِ بِالْكَمَالِ وَالْجَمَالِ، يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْمَحَبَّةُ، وَذِكْرُ اللهِ بِأَنَّهُ النَّافِعُ الضَّارُّ وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الصَّبْرُ، وَذِكْرُ اللهِ بِأَنَّهُ الْكَافِي فِي الْمُهِمَّاتِ الْمُتَكَفِّلُ بِالْأَرْزَاقِ بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالْعَطَاءُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا أَرَادَهُ سُبْحَانَهُ وَقَدَّرَهُ، يَتَوَلَّدُ مِنْهُ التَّوَكُّلُ، وَذِكْرُ اللهِ بِوَعْدِهِ لِأَحْبَابِهِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ يُوَلِّدُ الشَّوْقَ».

۞ وَكَانَ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ رضي الله عنه يُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ عِلْمَهَا فِي قَلْبِي، وَاغْفِرْ بِهَا ذَنْبِي».



وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لِسَانًا رَطْبًا بِذِكْرِكَ، وَقَلْبًا مُنَعَّمًا بِشُكْرِكَ، وَبَدَنًا هَيِّنًا لَيِّنًا عَلَىٰ طَاعَتِكَ. وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ».

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ
بُشْرَى الْمُسْتَغْفِرِينَ وَالتَّوَّابِينَ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾(١).

۞ وَهُنَا يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَىٰ ثَمَرَةَ الِاسْتِغْفَارِ مِنَ الذَّنْبِ، وَالْإِقْلَاعِ عَنْهُ بِالتَّوْبَةِ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾، فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ بِالتَّوْسِعَةِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ، مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾(٢)، أَمَّا مَا وَعَدَ اللهُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ؛ فَهُوَ الْفَضْلُ الَّذِي يَتَفَضَّلُ بِهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْعَفْوِ عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَمُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعُمِائَةِ ضِعْفٍ، وَتَبْدِيلِ السَّيِّئَاتِ بِحَسَنَاتٍ؛ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٣).

۞ **وَلِلتَّوْبَةِ ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ، هِيَ:**

(١) الْإِقْلَاعُ عَنْ فِعْلِ السُّوءِ.

(٢) النَّدَمُ عَلَىٰ فِعْلِهِ.

(٣) الْعَزْمُ عَلَىٰ أَلَّا يَعُودَ إِلَيْهِ أَبَدًا.

وَهُنَاكَ شَرْطُ رَابِعٌ، هُوَ: إِنْ كَانَتْ عَلَىٰ التَّائِبِ مَظْلَمَةٌ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِنْ كَانَتْ حَدَّ قَذْفٍ وَنَحْوَهُ مَكَّنَ صَاحِبَ الْحَقِّ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وَإِنْ كَانَتْ غِيبَةً اسْتَحَلَّ مَنِ اغْتَابَهُ مِنْهَا.

۞ وَقَدْ بَشَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ التَّوَّابِينَ بِالْفَلَاحِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٤).

---

(١) هود الآية (٣).

(٢) نوح الآيات (١٠-١٢).

(٣) الفرقان الآية (٧٠).

(٤) النور الآية (٣١).

۞ كَمَا بَشَّرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِمَحَبَّتِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

۞ وَبَشَّرَهُمْ عَزَّوَجَلَّ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

۞ وَكَمَا بَشَّرَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ التَّوَّابِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ؛ فَقَدْ حَذَّرَ الْمُذْنِبِينَ وَالْعُصَاةَ مِنْ فِعْلِ السُّوءِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[3].

۞ وَقَدْ فَتَحَ اللهُ تَعَالَىٰ بَابَ التَّوْبَةِ؛ تَرْغِيبًا لِعِبَادِهِ فِي الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، فَفِي الْإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ سَلَامَةٌ لِلْمُذْنِبِ الْمُسِيءِ مِنْ عَوَاقِبِ الذَّنْبِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَلَامَةٌ لِلْأُمَّةِ مِنْ شَرِّ بَوَائِقِهِ، وَلِذَلِكَ ذَمَّ سُبْحَانَهُ الْيَأْسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4].

۞ وَامْتَدَحَ عَزَّوَجَلَّ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُسْتَغْفِرًا لِذَنْبِهِ، غَيْرَ مُصِرٍّ عَلَىٰ فِعْلِهِ، وَفَتَحَ لَهُ بَابَ الرَّجَاءِ فِي رَحْمَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[5].

۞ وَبَشَّرَهُمْ بِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[6].

۞ وَقَدْ فَتَحَ اللهُ بَابَ التَّوْبَةِ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[7]. وَالْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾، فَالْأَمْرُ مُعَلَّقٌ عَلَىٰ مَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ، فَلَا يَرْكَنُ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ سَعَةِ

---

(١) البقرة (٢٢٢).
(٢) النساء الآية (١١٠).
(٣) النساء الآية (١٢٣).
(٤) يوسف الآية (٨٧).
(٥) آل عمران الآيتان (١٣٥-١٣٦).
(٦) الأنفال الآية (٣٣).
(٧) النساء الآيتان (٤٨، ١١٦).

رَحْمَتِهِ وَحِلْمِهِ سُبْحَانَهُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾[1].

وَفِي هَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِعِبَادِهِ يَقُولُ فِيهِ مَا مَعْنَاهُ: يَا عِبَادِي، لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَابَلَ كَرَمِي وَحِلْمِي بِالْجَهْلِ وَعَمَلِ السُّوءِ، وَقَدْ سَمِعَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه رَجُلاً يَقْرَؤُهَا، فَقَالَ: غَرَّهُ جَهْلُهُ، أَيْ: جَهْلُهُ بِرَبِّهِ، وَكَذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ حَلِيمٌ لَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ، فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**»، ثُمَّ قَرَأَ صلى الله عليه وآله وسلم قَوْلَه تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[2]. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ)

لِذَلِكَ دَعَانَا الْحَقُّ سُبْحَانَهُ إِلَىٰ الْإِسْرَاعِ لِلْمَغْفِرَةِ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]. فَمَنْ سَارَعَ إِلَىٰ الْمَغْفِرَةِ مِنَ الذَّنْبِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ؛ فَقَدْ فَازَ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4].

وَالْحِكْمَةُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟﴾، ﴿سَابِقُوٓا۟﴾، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَوْتُ، فَرُبَّ نَفَسٍ يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ، وَرُبَّ نَفَسٍ يَخْرُجُ وَلَا يَدْخُلُ، وَالْعَبْدُ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ لَا تُقْبَلُ لَهُ تَوْبَةٌ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾، أَيْ: قَبْلَ الْغَرْغَرَةِ، ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[5].

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه)

وَمَعْنَىٰ: «**مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»، أَيْ: مَا لَمْ تَبْلُغُ الرُّوحُ الْحُلْقُومَ، فَإِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ الْحُلْقُومَ أُغْلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ.

---

(١) الانفطار الآية (٦).
(٢) هود الآية (١٠٢).
(٣) آل عمران الآية (١٣٣).
(٤) الحديد الآية (٢١).
(٥) النساء الآية (١٧).

تَرْغِيبُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ

۞ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ، أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنَعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. مَنْ قَالَهَا فِي النَّهَارِ مُوقِنَاً بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَفِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحْدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا».

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنِ الْأَغَرِّ بْنِ يَسَارٍ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ اسْتِغْفَارَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لِرَبِّهِ، وَهُوَ الْمَعْصُومُ صلى الله عليه وآله وسلم مِنَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ، فَمَا بَالُنَا نَحْنُ؟! أَلَسْنَا أَوْلَىٰ بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ.

۞ وَاسْتِغْفَارُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إِنَّمَا هُوَ بِشُهُودِهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْعَجْزِ عَنِ الْقِيَامِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ بِحَقِّهِ، رَغْمَ أَنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم الْمَوْصُوفُ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾[1].

۞ فَكَانَ ذَٰلِكَ مِنْهُ صلى الله عليه وآله وسلم إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الْأَدَبِ مَعَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، حَيْثُ يَقُولُ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»، وَكَانَ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّىٰ تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، وَهُوَ صلى الله عليه وآله وسلم الْمَغْفُورُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَيَقُولُ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدَاً شَكُورَاً». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ)

فَكَانَ اسْتِغْفَارُهُ وَتَوْبَتُهُ صلى الله عليه وآله وسلم إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ التَّرْغِيبِ لَنَا فِي الِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ؛ اقْتِدَاءً بِهِ

(١) الزخرف الآية (٨١).

ﷺ.

۞ وَمِنْ طَرَائِفَ مَا رَوَىٰ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ رضي الله عنه أَنَّهُ اسْتَوْقَفَهُ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ:

«إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

فَقَالَ رضي الله عنه فِي نَفْسِهِ: كَيْفَ يُغَانُ - أَيْ يُغَطَّىٰ - عَلَىٰ قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَنَامِهِ، وَقَالَ ﷺ لَهُ: **«يَا عَلِيُّ، يُغَانُ عَلَيَّ بِالْأَنْوَارِ، وَلَا يُغَانُ عَلَيَّ بِالظُّلُمَاتِ وَالْأَكْدَارِ».**

۞ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: وَاذُنُوبَاهُ! وَاذُنُوبَاهُ! (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا)، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قُلْ: اللَّهُمَّ مَغْفِرَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذَنْبِي، وَرَحْمَتُكَ أَرْجَىٰ عِنْدِي مِنْ عَمَلِي»**، فَقَالَهَا الرَّجُلُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«عُدْ»**، فَعَادَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **«عُدْ»**، فَعَادَ، فَقَالَ ﷺ: **«قُمْ فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ».** (رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«النَّدَمُ تَوْبَةٌ»** (رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ».** (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ أَبِي ذَرٍّ وَمُعَاذٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».** (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ وَرُوِيَ عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ - أَنَّهُ رضي الله عنه لَقِيَ رَجُلاً أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَاسْتَعْظَمَ ذَنْبَهُ إِلَىٰ جَانِبِ عَفْوِاللهِ عز وجل حَتَّىٰ أَسْلَمَهُ ذَلِكَ إِلَىٰ الْيَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رضي الله عنه، وَقَالَ رضي الله عنه لَهُ: **يَا هَذَا، يَأْسُكَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِكَ.**

۞ **وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُسِرُّ إِلَىٰ عَبْدِهِ سِرَّيْنِ، يُسِرُّهُمَا إِلَيْهِ بِإِلْهَامٍ يُلْهِمُهُ: سِرٌّ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، يَقُولُ عز وجل لَهُ: عَبْدِي، قَدْ أَخْرَجْتُكَ إِلَىٰ الدُّنْيَا طَاهِرًا نَظِيفًا، وَاسْتَوْدَعْتُكَ عُمْرَكَ ائْتَمَنْتُكَ عَلَيْهِ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَحْفَظُ الْأَمَانَةَ، وَانْظُرْ كَيْفَ تَلْقَانِي كَمَا أَخْرَجْتُكَ. وَسِرٌّ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِهِ، يَقُولُ عز وجل لَهُ: عَبْدِي، مَاذَا صَنَعْتَ فِي أَمَانَتِي عِنْدَكَ؟ هَلْ حَفِظْتَهَا حَتَّىٰ تَلْقَانِي عَلَىٰ الْعَهْدِ وَالرِّعَايَةِ، فَأَلْقَاكَ بِالْوَفَاءِ وَالْجَزَاءِ، أَوْ ضَيَّعْتَهَا فَأَلْقَاكَ بِالْمُطَالَبَةِ**

وَالْعِقَابِ.

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَ خَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ لِقَائِهِ، وَخَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِيمَهَا، وَأَنْ يَتَوَفَّانَا وَهُوَ رَاضٍ عَنَّا، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ

بُشْرَى الصَّابِرِينَ

۞ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾(1). وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(2).

۞ وَفِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى الصَّبْرَ وَالصَّلَاةَ هُمَا الْعُدَّةَ الَّتِي يَنَالُ بِهَا الصَّابِرُونَ قَضَاءَ الْحَوَائِجِ وَتَيْسِيرَ الْمَطَالِبِ، وَمَرْضَاةَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَقَدْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ الْعُدَّةَ الَّتِي يَتَحَصَّنُ بِهَا الْمُؤْمِنُ، قَدْ رَفَعَ اللهُ ثِقَلَ مَا فِيهَا مِنَ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ عَنِ الْخَاشِعِينَ لِجَنَابِهِ، الْخَاضِعِينَ لِسُلْطَانِهِ، الْمُوقِنِينَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، كَمَا بَشَّرَهُمْ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ مَعِيَّتِهِ، وَأَهْلُ مَعِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ هُمْ أَهْلُ الْقُرْبِ مِنْ حَضْرَتِهِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ يُجَمِّلُهُمْ بِحُلَّةِ الْعُبُودِيَّةِ وَالِانْكِسَارِ، وَالصَّلَاةَ تُوَصِّلُهُمْ إِلَىٰ حَضْرَةِ الْجَنَابِ، وَمَنْ كَانَ شَأْنُهُ هَكَذَا فَهُوَ مَعَ اللهِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ مَعَهُ.

۞ وَقَدِ اخْتَارَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ مِنَ الصَّبْرِ أَعْلَىٰ مَنَازِلِهِ، أَلَا وَهُوَ الصَّبْرُ الَّذِي تَحَلَّىٰ بِهِ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ مُخَاطِبًا لِحَضْرَتِهِ ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾(3). وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾(4)، فَكَانَ ﷺ يَتَوَجَّهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ حَالَ الشِّدَّةِ وَالْكَرْبِ، وَيُنْزِلُ حَاجَتَهُ بِرَبِّهِ مُحْتَسِبًا صَابِرًا، يَبُثُّ شَكْوَاهُ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، فَيَقُولُ ﷺ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْحَكِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَهَذَا هُوَ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ الَّذِي لَا شَكْوَىٰ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾(5).

۞ وَقَدْ بَشَّرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الصَّابِرِينَ بِمَحَبَّتِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(6).

---

(1) البقرة الآية (٤٥).
(2) البقرة الآية (١٥٣).
(3) الأحقاف الآية (٣٥).
(4) المدثر الآية (٧).
(5) المعارج الآية (٥).
(6) آل عمران الآية (١٤٦).

۞ وَالصَّبْرُ هُوَ وَصْفُ أُوْلِي الْأَلْبَابِ، وَبِهِ بَشَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِحُسْنِ الْعَاقِبَةِ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾(١).

۞ وَقَدْ خَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ الصَّابِرِينَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ بِالسَّلَامِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَبَعْدَ أَنْ أَثْنَىٰ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِالْخِصَالِ الثَّمَانِيَةِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، خَصَّ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ الصَّبْرَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾، لِأَنَّ الصَّبْرَ هُوَ عِمَادُ الطَّاعَاتِ كُلِّهَا، وَبِهِ تُرْفَعُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

۞ وَقَدِ اخْتَارَ اللهُ تَعَالَىٰ الْأَئِمَّةَ الدَّاعِينَ إِلَىٰ الْخَيْرِ، وَاصْطَفَاهُمْ لِتَبْلِيغِ دَعْوَتِهِ، بِفَضْلِ مَا تَحَلَّوْا بِهِ مِنَ الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ؛ فَفِي الصَّبْرِ تَمْحِيصٌ، وَفِي الْيَقِينِ تَثْبِيتٌ عَلَىٰ الْحَقِّ، يُنْزِلُ اللهُ بِهِمَا مَنْ يَشَاءُ مَقَامَ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٣).

۞ وَوَعَدَ اللهُ تَعَالَىٰ الدَّاعِينَ إِلَىٰ اللهِ الَّذِينَ تَحَلَّوْا بِالصَّبْرِ بِالْحَظِّ الْعَظِيمِ، وَالْحَظُّ الْعَظِيمُ هُوَ النَّصِيبُ الْوَافِرُ مِنَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٤).

۞ كَمَا وَعَدَ اللهُ تَعَالَىٰ الصَّابِرِينَ بِأَعْلَىٰ الْمَنَازِلِ فِي الْجَنَّةِ، أَلَا وَهِيَ الْغُرْفَةُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا

---

(١) الرعد الآيات (١٩-٢٤).
(٢) يوسف الآية (٩٠).
(٣) السجدة الآية (٢٤).
(٤) فصلت الآيات (٣٣-٣٥).

وَمُقَامًا ﴾[1].

۞ وَقَالَ ﷺ مُبَيِّنًا لِعُلُوِّ مَنَازِلِهِمْ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَلَمَّا كَانَ الصَّابِرُونَ مِنْ أَهْلِ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمِنْ أَهْلِ مَعِيَّتِهِ وَالْقُرْبِ مِنْ حَضْرَتِهِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَصَّهُمْ بِإِكْرَامِهِ وَعَظِيمِ فَضْلِهِ، مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2].

۞ وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُمْ لَا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ، وَلَا يُنْشَرُ لَهُمْ دِيوَانٌ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَعَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَيُؤْتَىٰ بِأَهْلِ الصَّدَقَةِ، فَيُوَفَّوْنَ أُجُورَهُمْ بِالْمَوَازِينِ، وَكَذَلِكَ الصَّلَاةِ وَالْحَجِّ، وَيُؤْتَىٰ بِأَهْلِ الْبَلَاءِ، فَلَا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ، وَلَا يُنْشَرُ لَهُمْ دِيوَانٌ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ تَلَا ﷺ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ**: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾». (رَوَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدُّرِّ الْمَنْثُورِ)

۞ وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، أَيْ: لَا مِقْدَارَ لِأَجْرِهِ. فَلَا حَدَّ وَلَا عَدَّ لِمَا خَصَّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ مِنَ الْأَجْرِ، وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: لَيْسَ يُوزَنُ لَهُمْ وَلَا يُكَالُ، وَإِنَّمَا يُغْرَفُ لَهُمْ غَرْفًا. (أَوْرَدَهُ ابْنُ كَثِيرٍ)

۞ وَقَدْ بَشَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ الصَّابِرِينَ عَلَىٰ الْبَلَاءِ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[3].

فَكَانَتْ بُشْرَىٰ الصَّابِرِينَ عَلَىٰ الْبَلَاءِ هُنَا ثَلَاثًا: صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ يَصِلُهُمْ فِيهَا بِمَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ، وَرَحْمَةٌ يُؤَمِّنُهُمْ فِيهَا مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِمْ بِالْهِدَايَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾.

۞ وَرُوِيَ عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، قَالَ: نِعْمَ الْعَدْلَانِ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ

(١) الفرقان الآيتان (٧٥-٧٦). (٢) الزمر الآية (١٠). (٣) البقرة الآيات (١٥٥-١٥٧).

مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾، فَهَذَانِ الْعَدَلَانِ، وَنِعْمَتِ الْعِلَاوَةُ أَلَا وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ أُعْطُوا ثَوَابَهُمْ مِنَ اللهِ بِصَلَوَاتِ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتِهِ، وَزِيدُوا فِي الْعَطَاءِ مِنْ رَبِّهِمْ بِثَنَائِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾.

مُخْتَارَاتٌ مِنَ الْمَأْثُورِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي فَضَائِلِ الصَّبْرِ:

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ صُهَيْبٍ الرُّومِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ لَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنُ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ حَتَّىٰ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَالْمُرَادُ بِـ: «النَّصَبِ»: التَّعَبُ، وَالْمُرَادُ بِـ: «الْوَصَبِ»: الْمَرَضُ.

۞ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رِبَاحٍ رحمه الله، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ لَهُ، أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ ﷺ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ»، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا ﷺ لَهَا. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا ابْتَلَى اللهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ، قَالَ اللهُ لِلْمَلَكِ: اُكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ، وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ فَقَالَ ﷺ: «**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**»، قُلْتُ: ذَلِكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ ﷺ: «**أَجَلْ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ، إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أُمِّ السَّائِبِ، فَقَالَ ﷺ: «**مَالَكِ تُزَفْزِفِينَ؟**»، قَالَتْ: **الْحُمَّىٰ**، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ ﷺ: «**لَا تَسُبِّي الْحُمَّىٰ؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: اِسْتَأْذَنَتِ الْحُمَّىٰ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ هَذِهِ**»؟ قَالَتْ: أُمُّ مِلْدَمٍ، فَأَمَرَ ﷺ بِهَا إِلَىٰ أَهْلِ قُبَاءَ، فَلَقُوا مِنْهَا مَا يَعْلَمُ اللهُ، فَأَتَوْهُ فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**مَا شِئْتُمْ؛ إِنْ شِئْتُمْ دَعَوْتُ اللهَ فَكَشَفَهَا عَنْكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ طَهُورًا؟**»، قَالُوا: أَوَتَفْعَلُ؟ قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ**»، قَالُوا: فَدَعْهَا. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرُوَاتُهُ رُوَاةُ الصَّحِيحِ)

۞ عَنْ أَبِي رَيْحَانَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْحُمَّىٰ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، وَهِيَ نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ**». (رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ**». يُرِيدُ ﷺ بِـ: (**حَبِيبَتَيْهِ**) أَيْ: عَيْنَيْهِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ ﷺ: «**اِتَّقِ اللهَ وَاصْبِرِي**»، فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي. وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَىٰ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

فَلَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ مَقَامَ الصَّبْرِ إِلَّا بِثَبَاتِهِ وَتَسْلِيمِهِ الْأَمْرَ للهِ وَحْدَهُ مِنْ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ لَا بَعْدَهَا.

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**».

(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷛، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ ﷺ: «**تَؤُدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَ(الْأَثَرَةُ) هِيَ: الْأَنَانِيَةُ وَالِاسْتِئْثَارُ بِالشَّيْءِ عَمَّنْ لَهُ فِيهِ حَقٌّ.

۞ عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ﷛، أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْأَوْفَى ﷛، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**».

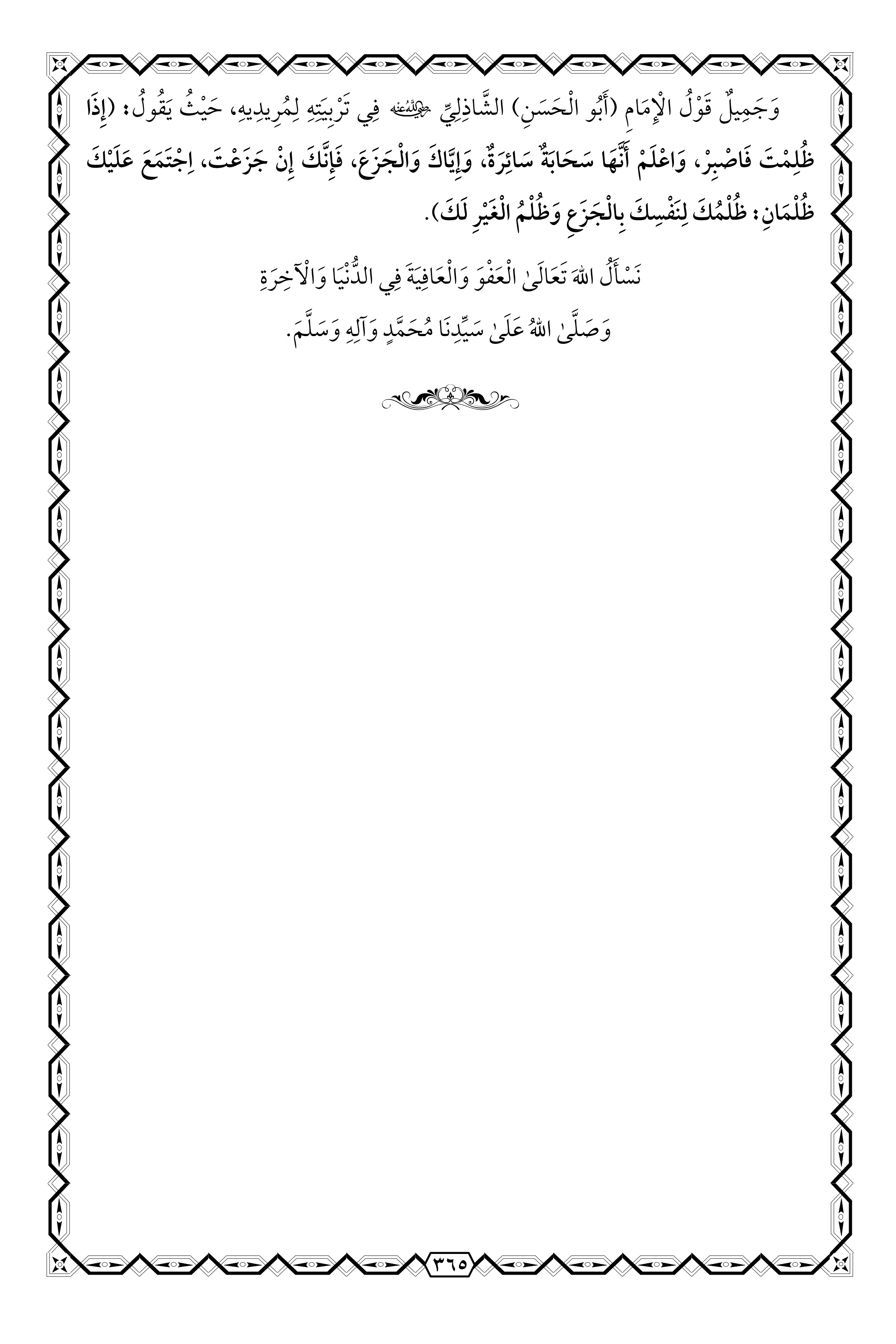
(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ أَنَسٍ ﷛، قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ تَعَالَى الصَّبْرَ إِلَّا عِنْدَ وُقُوعِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى الْعَافِيَةَ، فَقَدْ سَمِعَ ﷺ رَجُلاً يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ**»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ الْبَلَاءَ، فَاسْأَلْهُ الْعَافِيَةَ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷛، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**سَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ إِلَّا الْيَقِينَ**». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَالنَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ)

وَفِي هَذَا يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَّالِيُّ ﷛: «**الْمُرَادُ بِالْيَقِينِ عَافِيَةُ الْقَلْبِ مِنَ أَمْرَاضِ الْجَهْلِ وَالشَّكِّ، فَعَافِيَةُ الْقَلْبِ أَفْضَلُ مِنْ عَافِيَةِ الْبَدَنِ**»؛ لِأَنَّ فِيهَا السَّلَامَةَ فِي الدُّنْيَا وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَا فِي الْآخِرَةِ.



وَجَمِيلٌ قَوْلُ الْإِمَامِ (أَبُو الْحَسَنِ) الشَّاذِلِيِّ ﷺ فِي تَرْبِيَتِهِ لِمُرِيدِيهِ، حَيْثُ يَقُولُ: (**إِذَا ظُلِمْتَ فَاصْبِرْ، وَاعْلَمْ أَنَّهَا سَحَابَةٌ سَائِرَةٌ، وَإِيَّاكَ وَالْجَزَعَ، فَإِنَّكَ إِنْ جَزَعْتَ، اِجْتَمَعَ عَلَيْكَ ظُلْمَانِ: ظُلْمُكَ لِنَفْسِكَ بِالْجَزَعِ وَظُلْمُ الْغَيْرِ لَكَ**).

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

الْمَبْحَثُ الْخَامِسُ

بُشْرَى الشَّاكِرِينَ

۞ الشُّكْرُ مَقَامٌ مِنْ أَرْفَعِ الْمَقَامَاتِ، وَمَنْزِلَةٌ مِنْ أَعْلَىٰ الْمَنَازِلِ، وَقَدْ قَرَنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِعِبَادَتِهِ؛ تَشْرِيفًا لَهُ، فَقَالَ مُخَاطِبًا لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]. فَعِبَادَةُ اللهِ تَعَالَىٰ هِيَ الْغَايَةُ الْعُظْمَىٰ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا كَانَ خَلْقُ الْإِنْسَانِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]، وَالشُّكْرُ عَلَىٰ نِعَمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ هُوَ الْبُرْهَانُ عَلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[4]. فَمَنْ شَكَرَ اللهَ تَعَالَىٰ فَقَدْ أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ للهِ عَزَّوَجَلَّ، وَكَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي الشُّكْرِ، يَكْتُبُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ رِضْوَانَهُ لِعَبْدِهِ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبَ الشُّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَقَدْ وَعَدَ اللهُ تَعَالَىٰ الشَّاكِرِينَ مِنْ عِبَادِهِ بِالْمَزِيدِ مِنْ نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[5].

وَشُكْرُ اللهِ تَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ سُبْحَانَهُ يَقْتَضِي أُمُوراً ثَلَاثَةً:

الْأَوَّلُ) شُكْرٌ بِاللِّسَانِ:

۞ وَهُوَ أَنْ يُحَدِّثَ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِ، مُسْتَشْعِراً عَجْزَهُ عَنِ الْقِيَامِ للهِ بِالشُّكْرِ الْوَاجِبِ عَلَىٰ نَعْمَائِهِ، وَقَدِ اخْتَارَ اللهُ لَنَا عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ نَحْمَدَهُ سُبْحَانَهُ بِصِيغَةٍ ارْتَضَاهَا لَنَا؛ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ بِعَجْزِنَا، أَلَا وَهِيَ قَوْلُنَا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، نَقْرَؤُهَا عِنْدَ افْتِتَاحِ كُلِّ صَلَاةٍ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ الَّتِي لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إِلَّا بِهَا، فَإِذَا قَالَهَا الْعَبْدُ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «**حَمِدَنِي عَبْدِي**»، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) الزمر الآية (٦٦).
(٢) العنكبوت الآية (١٧).
(٣) الذاريات (٥٦).
(٤) البقرة الآية (١٧٢).
(٥) إبراهيم الآية (٧).

۞ وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَقَدْ أَدَّىٰ شُكْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي، فَقَدْ أَدَّىٰ شُكْرَ لَيْلَتِهِ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ)

وَالْمُرَادُ هُنَا، أَيْ: أَدَّىٰ شُكْرَ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ بِالْقَوْلِ.

الثاني) شُكْرٌ بِالْقَلْبِ:

۞ وَهُوَ الِاعْتِرَافُ بِأَنَّ كُلَّ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، إِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾(١).

۞ وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ مُوسَىٰ: يَا رَبِّ، خَلَقْتَ آدَمَ بِيَدَيْكَ، وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِكَ، وَأَسْكَنْتَهُ جَنَّتَكَ، وَأَسْجَدْتَ لَهُ مَلَائِكَتَكَ، فَمَا كَانَ شُكْرُهُ لَكَ؟ قَالَ عَزَّوَجَلَّ: يَا مُوسَىٰ، عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي فَحَمِدَنِي عَلَيْهِ، فَكَانَ ذَلِكَ شُكْراً لِمَا صَنَعْتُهُ إِلَيْهِ».

(رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا)

۞ وَمِنْ شُكْرِ الْقَلْبِ إِخْلَاصُ النِّيَّةِ للهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالْخَشْيَةُ مِنْ جَنَابِهِ سُبْحَانَهُ، وَعَقْدُهُ عَلَىٰ كَمَالِ التَّوْحِيدِ وَالْحُبِّ الْخَالِصِ.

الثالِثُ) شُكْرُ الْجَوَارِحِ:

۞ وَهُوَ الْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلِكُلِّ جَارِحَةٍ مِنَ الشُّكْرِ مَا يُنَاسِبُهَا؛ **فَشُكْرُ الْعَيْنَيْنِ:** غَضُّ الْبَصَرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَالنَّظَرُ بِعَيْنِ التَّدَبُّرِ وَالْفِكْرِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، نَظْرَةَ تَفَكُّرٍ وَتَدَبُّرٍ وَاعْتِبَارٍ فِيمَا أَوْدَعَهُ اللهُ فِي هَذَا الْكَوْنِ مِنْ بَدَائِعِ الْقُدْرَةِ، وَغَرَائِبِ الْحِكْمَةِ، **وَشُكْرُ الْأُذُنَيْنِ:** سَمَاعُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ سَمَاعِ اللَّغْوِ، **وَشُكْرُ الْيَدَيْنِ:** كَفُّ الْأَذَىٰ، وَالْأَخْذُ بِيَدِ الضَّعِيفِ، وَبَذْلُ الْمَالِ خَالِصاً لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ، **وَشُكْرُ الرِّجْلَيْنِ:** كَثْرَةُ الْخُطَا إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ، وَالسَّعْيُ إِلَىٰ مَجَالِسِ الْعِلْمِ وَالذِّكْرِ، وَالسَّعْيُ إِلَىٰ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ، وَالتَّزَاوُرُ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ، **وَشُكْرُ الْفَرْجِ:** حِفْظُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالتَّدَبُّرُ فِيمَا أَوْدَعَهُ اللهُ فِيهِ مِنْ عِمَارَةِ الْكَوْنِ وَالِاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، **وَشُكْرُ الْبَطْنِ:** التَّغَذِّي بِقَلِيلٍ مِنَ الْحَلَالِ الْخَالِصِ، قَالَ

---

(١) النحل الآية (٥٣).

تَعَالَىٰ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(١). فَفُسِّرَ الشُّكْرُ هُنَا بِالْعَمَلِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَبَّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ؛ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ؛ كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَمِنَ السُّنَنِ الَّتِي سَنَّهَا لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ سَجْدَةُ الشُّكْرِ، فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ، أَوْ بُشِّرَ بِهِ، خَرَّ ﷺ سَاجِداً؛ شُكْراً لِلَّهِ تَعَالَى».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه)

۞ وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَسُرُّهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَيَقُولُ ﷺ فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَكْرَهُهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ؛ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمْ)

۞ وَقَدْ أَدْخَلَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ اللَّعِينَ حِينَ طُرِدَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَوَعَّدَ بَنِي آدَمَ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَىٰ لِسَانِهِ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾(٢)، نَرَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا كَلِمَاتٍ نَدْخُلُ بِهَا فِي حِصْنِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، حَتَّىٰ نَكُونَ مِنَ الذَّاكِرِينَ الشَّاكِرِينَ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ

(١) سبأ الآية (١٣). (٢) الأعراف الآية (١٦-١٧).

فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجه وَغَيْرُهُمْ)

فَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَوَاطِنَ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا إِبْلِيسُ اللَّعِينُ لِابْنِ آدَمَ، حَتَّىٰ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قِيَامِهِمْ للهِ تَعَالَىٰ بِالشُّكْرِ الْوَاجِبِ عَلَىٰ نَعَمَائِهِ، وَسَأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ الْحِفْظَ مِنْ كَيْدِهِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَرْبَعَةَ مَدَاخِلَ لِإِبْلِيسَ اللَّعِينِ، وَلَمْ يَقُلْ مِنْ فَوْقِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّتِي تَتَنَزَّلُ مِنْ سَمَاءِ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ، وَبِالدُّعَاءِ تَأْتِي الْبُشْرَىٰ مِنَ اللهِ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[1]. ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2]. ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[3].

فَالْعُبُودِيَّةُ الَّتِي قِوَامُهَا التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ، وَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ للهِ، وَمِفْتَاحُهَا الدُّعَاءُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَىٰ اللهِ، هِيَ حِصْنُ الْمُؤْمِنِ الْوَاقِي، الَّذِي يُؤَمِّنُهُ مِمَّا يَكْرَهُ وَيُبَلِّغُهُ مَا يُحِبُّ.

فَمَا أَعْظَمَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، إِنَّهُ ﷺ حَقًّا النِّعْمَةُ الَّتِي لَا تُحْصَىٰ وَلَا تُعَدُّ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ فِي الْوُجُودِ تُحْصَىٰ وَتُعَدُّ إِلَّا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]. وَمِنْ هُنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحْصِيَ شُكْرَهَا، وَهَذَا مَقَامُ الْعَاجِزُ الَّذِي لَا يَقْوَىٰ - مَهْمَا قَدَّمَ - عَلَىٰ الْقِيَامِ للهِ بِشُكْرِهِ عَلَىٰ النِّعْمَةِ الْعُظْمَىٰ، وَالرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَفِي هَذَا الْمَقَامِ يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه:

إِنَّا عَجَزْنَا جَمِيعًا عَنْ أَنْ نَقُومَ بِشُكْرِكَ
وَالْعَجْزُ حَمْدٌ وَشُكْرٌ وَالْعَبْدُ قَدْ صَارَ يُدْرِكُ

إِنَّهُ ﷺ النِّعْمَةُ الْمُسْدَاةُ وَالرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ، نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا بِالرَّءُوفِ الرَّحِيمِ ﷺ، الَّذِي يَتَنَزَّلُ إِلَيْنَا بِرَأْفَتِهِ وَحَنَانَتِهِ ﷺ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

(1) الإسراء الآية (65).
(2) النحل الآية (99).
(3) ص الآيتان (82-83).
(4) النحل الآية (18).

الْمَبْحَثُ السَّادِسُ
بُشْرَى الْمُتَوَكِّلِينَ

۞ بَشَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَىٰ جَنَابِهِ الْعَلِيِّ بِأَرْبَعِ بَشَائِرَ فِي آيَتَيْنِ كَرِيمَتَيْنِ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وَالْبَشَائِرُ الأَرْبَعَةُ فِي هَذِهِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ الأَخِيرَةِ هِيَ:

۞ النِّعْمَةُ، وَالْفَضْلُ، وَصَرْفُ السُّوءِ، وَاتِّبَاعُ الرِّضَا، فَرَضَّاهُمْ عَنْهُ وَرَضِيَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا تَوَكَّلُوا عَلَىٰ اللهِ كَفَاهُمْ مَا أَهَمَّهُمْ، وَرَدَّ عَنْهُمْ بَأْسَ مَنْ أَرَادَ كَيْدَهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَىٰ بَلَدِهِمْ: ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[2]، مِمَّا أَضْمَرَ لَهُمْ عَدُوُّهُمْ. (ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِي فِي تَفْسِيرِهِ)

۞ وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ هُوَ تَسْلِيمُ الْأُمورِ كُلِّهَا للهِ عَزَّوَجَلَّ، مَعَ كَمَالِ الِاعْتِقَادِ بِأَنَّهُ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَىٰ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، وَلَا مُقَدِّمَ لِمَا أَخَّرَ، وَلَا مُؤَخِّرَ لِمَا قَدَّمَ، وَلَا قَابِضَ لِمَا بَسَطَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضَ. فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُنْفَرِدُ بِالتَّقْدِيرِ وَالتَّدْبِيرِ.

۞ وَتَصْرِيفُ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، يَقْضِي فِي مُلْكِهِ بِمَا شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[3]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[4]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[5]. هَذِهِ هِيَ أَوْصَافُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، أَمَّا أَوْصَافُنَا نَحْنُ: فَهِيَ الضَّعْفُ وَالِافْتِقَارُ وَالِاضْطِرَارُ إِلَىٰ جَنَابِهِ سُبْحَانَهُ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[6]. وَيَقُولُ عَزَّوَجَلَّ فِي وَصْفِ الْإِنْسَانِ بِالِافْتِقَارِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[7]. فَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْغَنِيُّ، وَنَحْنُ الضُّعَفَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ، فَاضْطِرَارُنَا وَافْتِقَارُنَا وَضَعْفُنَا، هُوَ مِفْتَاحُ التَّوَكُّلِ

---

(١) آل عمران الآيتان (١٧٣-١٧٤).
(٢) آل عمران الآيتان (١٧٤).
(٣) الروم الآية (٤٠).
(٤) البروج الآية (١٦).
(٥) يس الآية (٨٢).
(٦) النساء الآية (٢٨).
(٧) فاطر الآية (١٥).

عَلَيْهِ، وَتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَقَدْ أَمَرَنَا سُبْحَانَهُ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾(1).

۞ فَأَمَرَنَا عَزَّوَجَلَّ هُنَا بِالسَّعْيِ وَالْكَسْبِ مِنَ الْحَلَالِ الْخَالِصِ بِمُرَاقَبَتِهِ سُبْحَانَهُ مُرَاقَبَةً تَجْعَلُهُ عَزَّوَجَلَّ حَاضِراً نُصْبَ أَعْيُنِنَا، حَيْثُ يُذَكِّرُنَا سُبْحَانَهُ بِالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، فَيَقُولُ: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾.

۞ وَلَمَّا كَانَ تَحْقِيقُ الرَّغَائِبِ وَنَيْلُ الْمَطَالِبِ إِنَّمَا هُوَ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ، نَرَاهُ سُبْحَانَهُ يَأْمُرُنَا بِالدُّعَاءِ، فَيَقُولُ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(2). وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّهُ لَا مُجِيبَ لِدُعَائِنَا إِلَّا اللهُ، وَأَمَرَنَا سُبْحَانَهُ أَنْ نَأْخُذَ حَذَرَنَا مِنَ الْأَعْدَاءِ، فَيَكُونُ ذَٰلِكَ سَبَبًا لِلْوِقَايَةِ مِنْ كَيْدِهِمْ، فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾(3).

۞ وَأَمَرَنَا سُبْحَانَهُ بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(4). وَجَعَلَ عَزَّوَجَلَّ ذَٰلِكَ سَبَبًا لِنَوَالِ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(5).

۞ وَقَدْ أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِهَدْيِهِ الشَّرِيفِ إِلَىٰ الْعَمَلِ مَعَ كَمَالِ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ أَعْرَابِيًا أَهْمَلَ نَاقَتَهُ، وَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتْرُكُهَا وَأَتَوَكَّلُ عَلَىٰ اللهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ، اِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ**». (رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ)

۞ وَكَانَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ يُحَذِّرُ مِنَ التَّوَانِي وَتَرْكِ الْأَسْبَابِ، فَقَالَ رضي الله عنه: «اِحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ يَخْدَعَكَ الشَّيْطَانُ، فَيُمَثِّلَ لَكَ التَّوَانِي فِي صُورَةِ التَّوَكُّلِ، وَيُوَرِّثَكَ الْهُوَيْنَىٰ بِالْإِحَالَةِ عَلَىٰ الْقَدَرِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَ بِالتَّوَكُّلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْحِيَلِ، وَبِالتَّسْلِيمِ لِلْقَضَاءِ بَعْدَ

---

(1) الملك الآية (15).
(2) النمل الآية (62).
(3) النساء الآية (102).
(4) النحل الآية (90).
(5) النحل الآية (97).

الْإِنْذَارِ، فَقَالَ: ﴿وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾(١). وَقَالَ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾(٢). وَقَالَ ﷺ: «**اِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**».

۞ وَمِمَّا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَثِّ عَلَىٰ الْعَمَلِ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَافَحَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ سَيِّدَ الْأَوْسِ، فَإِذَا أَدِيمُ يَدَيْهِ مُتَشَقِّقٌ، فَسَأَلَهُ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رضي الله عنه لَهُ ﷺ: أَضْرِبُ بِالْمَرِّ وَالْمِسْحَاةِ؛ لِأُنْفِقَ عَلَىٰ عِيَالِي، فَقَالَ ﷺ: «**كَفَّانِ يُحِبُّهُمَا اللهُ**».

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**طَلَبُ الْحَلَالِ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ**».

(رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ)

۞ وَكَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ: الْمُتَوَكِّلُ رَجُلٌ أَلْقَىٰ حَبَّةً فِي التُّرَابِ، وَتَوَكَّلَ عَلَىٰ رَبِّ الْأَرْبَابِ.

۞ وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَحْمِلُ مَعْنَىٰ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ فِي كُلِّ عَمَلٍ نَعْمَلُهُ أَوْ كَلِمَةٍ نَقُولُهَا أَوْ أَمْرٍ يَهُمُّنَا قَضَاؤُهُ، وَلَمَّا كَانَتِ الْبَسْمَلَةُ تَحْمِلُ هَذَا الْمَعْنَىٰ الْجَلِيلَ، لِذَلِكَ نَرَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَحُثُّنَا عَلَيْهَا، فَيَقُولُ ﷺ: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَبْتَرُ**»، أَيْ: مَقْطُوعُ الْبَرَكَةِ.

۞ وَالتَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَدْخُلُ بِهِ فِي كَنَفِ اللهِ، فَلَا يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَهُدِيتَ. وَتَنَحَّىٰ عَنْهُ الشَّيْطَانُ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي قَوْلِ الْعَبْدِ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**» التَّبَرُّأَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ، وَهَذَا هُوَ عَيْنُ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) النساء الآية (١٠٢). (٢) البقرة الآية (١٩٥).

﴿ وَمِمَّا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي فَضْلِ التَّوَكُّلِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: مَا رَوَاهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَانَاً**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

﴿ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَىٰ النَّاسِ، فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ فَلْيَتَّقِ اللهَ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَىٰ النَّاسِ، فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ بِهِ مِمَّا فِي يَدِهِ**». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ)

﴿ وَمِمَّا بَشَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ الْمُتَوَكِّلِينَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1]. أَيْ: كَافِيهِ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ.

﴿ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**»، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ بِهِ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[2]. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

﴿ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[3]. أَيْ: وَفَّىٰ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ؛ فَإِنَّهُ حِينَ زُجَّ بِهِ فِي النَّارِ، اِشْتَغَلَ بِقَوْلِهِ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[4]، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ: **أَلَكَ حَاجَةٌ**؟ فَقَالَ عليه السلام: «**أَمَّا لَكَ فَلَا، عِلْمُهُ بِحَالِي غَنِيٌّ عَنْ سُؤَالِي**»، فَاشْتِغَالُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، مُتَوَجِّهًا بِكُلِّيَتِهِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ الِالْتِفَاتِ إِلَىٰ جِبْرِيلَ عليه السلام، وَاسْتِغْنَاؤُهُ بِذَلِكَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ، مُتَوَجِّهًا إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، هَذَا هُوَ عَيْنُ الْوَفَاءِ الَّذِي وَفَّىٰ فِيهِ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ.

وَفِي هَذَا يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه:

جِبْرِيلُ جَاءَ لَهُ لَمْ يَلْتَفِتْ نَفَسَا ... شَوْقًا إِلَىٰ الذَّاتِ حَتَّىٰ أَطْفَأَ النَّارَا

يُشِيرُ رضي الله عنه بِذَلِكَ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[5].

---

(١) الطلاق الآية (٣).
(٢) آل عمران الآية (١٧٣).
(٣) النجم الآية (٣٧).
(٤) آل عمران الآية (١٧٣).
(٥) الأنبياء الآية (٦٩).

۞ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ التَّوَكُّلَ عَلَىٰ جَنَابِهِ سُبْحَانَهُ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١). وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٢). لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا لَهُ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

۞ وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ، فَإِنَّهُ إِنْ مَاتَ، مَاتَ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا لِي مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَالْمُؤْمِنُ مُتَوَكِّلٌ عَلَىٰ اللهِ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، نَاظِرٌ بِعَيْنِ الْمُرَاقَبَةِ وَالْخَشْيَةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَكِيلُهُ فِي كُلِّ مَا أَهَمَّهُ عِنْدَ ذِكْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَالْمُعِينُ عَلَيْهِمَا هُوَ اللهُ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ أُنَعَّمُ، وَصَاحِبُ الْقَرْنِ (أَيْ: إِسْرَافِيلُ) قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ فَيَنْفُخَ**»، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: فَمَا نَقُولُ؟ قَالَ ﷺ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ)

۞ إِنَّ التَّوَكُّلَ عَلَىٰ اللهِ، هُوَ إِقْبَالُ الْعَبْدِ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَىٰ اللهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، وَلَقَدْ ضَرَبَ اللهُ تَعَالَىٰ الْمَثَلَ الْأَعْلَىٰ فِي ذَلِكَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَفِي حَالِ إِقْبَالِ الْخَلْقِ عَلَيْهِ ﷺ، يَكُونُ إِقْبَالُهُ ﷺ عَلَىٰ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لَا عَلَىٰ الْخَلْقِ، حَيْثُ يَقُولُ لَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾(٣).

۞ وَفِي حَالِ إِدْبَارِ الْخَلْقِ عَنْهُ ﷺ، يَكُونُ إِقْبَالَهُ ﷺ عَلَىٰ رَبِّهِ، حَيْثُ يَقُولُ لَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٤).

---

(١) المائدة الآية (٢٣).
(٢) إبراهيم الآية (١١).
(٣) النصر الآيتان (٢-٣).
(٤) التوبة الآية (١٢٩).

۞ وَالْمُؤْمِنُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ هُوَ الَّذِي يُقَدِّمُ مَرْضَاةَ اللهِ عَلَىٰ مَرْضَاةِ نَفْسِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَلَا يَسْعَىٰ إِلَّا إِلَىٰ مَرْضَاةِ اللهِ وَإِنْ سَخِطَ النَّاسُ؛ لِأَنَّهُ مُوقِنٌ بِأَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ، يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، لِذَلِكَ يَقُولُ ﷺ: «**مَنِ ابْتَغَىٰ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللهُ مَؤُونَةَ النَّاسِ، وَمَنِ ابْتَغَىٰ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ**».

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «**إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**».

(رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ وَمِمَّا أَوْصَىٰ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتَهُ السَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ رضي الله عنها، مَا رَوَاهُ أَنَسٌ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ، مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ، أَنْ تَقُولِي: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ فَأَغِثْنِي، وَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ**».

(رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ فَالْمُؤْمِنُ حَقًّا لَا يَتَوَكَّلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ تَوَكَّلَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ضَلَّ، وَلَا يَتَوَكَّلُ عَلَىٰ مَالِهِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ تَوَكَّلَ عَلَىٰ مَالِهِ قَلَّ، وَلَا يَتَوَكَّلُ عَلَىٰ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ تَوَكَّلَ عَلَىٰ النَّاسِ ذَلَّ.

۞ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَىٰ اللهِ لَا ضَلَّ وَلَا قَلَّ وَلَا ذَلَّ؛ لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْخَلْقَ أَسْبَابٌ، سَخَّرَ اللهُ بَعْضَهُمْ لِخِدْمَةِ بَعْضٍ، وَيَقْضِي اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِمْ مَا يَشَاءُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ إِنْ شَاءَ شَيْئًا كَانَ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يَشَاءُ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، لِذَلِكَ تَرَىٰ الْمُؤْمِنَ آخِذًا فِي الْأَسْبَابِ، مُطْمَئِنَّ الْقَلْبِ بِمَا عِنْدَ اللهِ، يَنْظُرُ إِلَىٰ الدُّنْيَا نَظْرَةَ مَنْ يَتَّخِذُهَا مَطِيَّةً لِآخِرَتِهِ، شُغْلُهُ الشَّاغِلُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ هُوَ ابْتِغَاءُ مَرْضَاةِ رَبِّهِ، لَا يَلْتَفِتُ عَنْهُ نَفَسًا وَلَا طَرْفَةً، فَخَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ فِي اللهِ هُوَ الَّذِي مَلَكَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ، لَا يَغْفُلُ عَنْهُ وَإِنْ غَفَلَ الْغَافِلُونَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

---

(١) الأنعام الآية (٨٢).

﴿۞﴾ أَفْرَدُوا اللهَ وَحْدَهُ بِالْقَصْدِ، فَوَالاهُمْ مِنْهُ بِالْعَطَاءِ وَالْفَضْلِ، لَا يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَلَا مُخَوِّفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ، هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ حَقًّا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[1]، صَمْتُهُمْ فِكْرَةٌ، وَنَظَرُهُمْ عِبْرَةٌ، وَكَلَامُهُمْ نُورٌ لِمَنْ فَقِهُوا، حُصُونُهُمْ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ». وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(١) يونس الآية (٦٢).

الْمَبْحَثُ السَّابِعُ

بُشْرَى الزَّاهِدِينَ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[1]. هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ النَّاسَ هُنَا فَرِيقَانِ:

(١) فَرِيقٌ يَعْمَلُ فِي هَذِهِ الدَّارِ لِآخِرَتِهِ، يَزْرَعُ هَاهُنَا فِي الدُّنْيَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ؛ لِيَجْنِيَ ثِمَارَهَا فِي الْآخِرَةِ.

(٢) وَفَرِيقٌ يَعْمَلُ لِدُنْيَاهُ؛ طَمَعًا فِي زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِها، دُونَ نَظَرٍ إِلَىٰ الْآخِرَةِ.

۞ فَالْفَرِيقُ الْأَوَّلُ جَعَلَ الدُّنْيَا مَطِيَّةَ الْآخِرَةِ، لَمْ تَسْتَهْوِهِ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الدُّنْيَا ظِلٌّ زَائِلٌ، وَعَارِيَةٌ مُسْتَرَدَّةٌ، وَأَنَّهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ ضَيْفٌ، وَالضَّيْفُ مُرْتَحِلٌ، وَأَنَّ الدُّنْيَا مَا خُلِقَتْ إِلَّا لِتُطْلَبَ بِهَا الْآخِرَةُ، فَالدُّنْيَا دَارُ افْتِتَانٍ مَثَلُهَا كَمَثَلِ سُوقٍ انْعَقَدَ ثُمَّ انْفَضَّ، رَبِحَ فِيهِ مَنْ رَبِحَ، وَخَسِرَ فِيهِ مَنْ خَسِرَ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا جَاهَدُوا أَنْفُسَهُمْ وَهَوَاهُمْ؛ لِنَيْلِ مَقْصِدِهِمُ الْأَسْمَىٰ: أَلَا وَهُوَ النَّعِيمُ الْخَالِدُ فِي الْآخِرَةِ، فَكَانُوا مِنَ الْمُكْرَمِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ؛ أَمَّا فِي الدُّنْيَا، فَلَهُمُ الْمَجْدُ وَالْعِزَّةُ وَالْمَكَانَةُ وَالشَّرَفُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ، وَهَؤُلَاءِ بَشَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3]. وَهَذَا هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالتَّنَافُسِ فِيهِ وَالسَّعْيِ إِلَيْهِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِإِيثَارِ دَارِ الْبَقَاءِ وَالْخُلُودِ، عَلَىٰ دَارِ الْفَنَاءِ الَّتِي سَتَمْضِي وَتَزُولُ.

وَهَذَا الطَّرِيقُ طَرِيقُ الْفَوْزِ بِالدَّارِ الْآخِرَةِ، يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ هِيَ:

(١) الْمُعِينُ. (٢) الدَّلِيلُ. (٣) الزَّادُ.

۞ أَمَّا **الْمُعِينُ** فَهُوَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَأَمَّا **الدَّلِيلُ** فَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَمَّا **الزَّادُ** فَهُوَ تَقْوَىٰ اللهِ؛ فَمَنْ

(١) الشورىٰ الآية (٢٠). (٢) المنافقون الآية (٨). (٣) السجدة الآية (١٧).

أَعَانَهُ اللهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ، وَاهْتَدَىٰ بِهَدْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَتَزَوَّدَ لِآخِرَتِهِ، فَقَدَّمَ لَهَا صَالِحَ الْأَعْمَالِ، مَعَ إِخْلَاصِ الْوِجْهَةِ للهِ، وَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْعَالِ، فَهُوَ السَّالِكُ إِلَىٰ سَبِيلِ النَّجَاةِ، الْفَائِزُ بِرِضْوَانِ اللهِ، يَعِيشُ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّهُ غَرِيبٌ عَنْهَا، أَوْ كَأَنَّهُ عَابِرُ سَبِيلٍ، فَهُوَ فِي الدُّنْيَا بِجِسْمِهِ، أَمَّا قَلْبُهُ فَمُعَلَّقٌ بِاللهِ، يَسْعَىٰ كَمَا أَمَرَ، وَيَرْضَىٰ بِمَا قَدَّرَ، يَرْجُو رَحْمَتَهُ وَيَخَافُ عَذَابَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾(١).

وَهَذَا مِنْ سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ فَضْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ أَعَانَهُمْ، وَوَفَّقَهُمْ، وَشَكَرَ لَهُمْ سَعْيَهُمْ لِدَارِ الْخُلُودِ وَالْبَقَاءِ.

۞ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَهُنَا نَتَبَيَّنُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ سَعَةَ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَنَحْنُ نَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالْقَلِيلِ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَتَقَرَّبُ إِلَيْنَا بِالْكَثِيرِ وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنَّا، حَيْثُ إِنَّكَ إِنْ تَقَرَّبْتَ شِبْرًا إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ تَقَرَّبَ هُوَ ذِرَاعًا إِلَيْكَ، وَإِنْ تَقَرَّبْتَ ذِرَاعًا إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَقَرَّبَ هُوَ بَاعًا إِلَيْكَ، وَإِنْ أَتَيْتَهُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ تَمْشِي، هَرْوَلَ هُوَ سُبْحَانَهُ وَأَسْرَعَ إِلَيْكَ. كُلُّ هَذَا لِيَأْخُذَ بِيَدِكَ إِلَىٰ طَرِيقِ النَّجَاةِ وَالْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ؛ حِرْصًا عَلَيْكَ وَإِكْرَامًا لَكَ.

أَقْسَامُ الزُّهْدِ: الزُّهْدُ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: اَلزُّهْدُ فِي الْمُحَرَّمَاتِ، وَهَذَا زُهْدُ فَرْضٍ.

وَالثَّانِي: اَلزُّهْدُ فِي الشُّبُهَاتِ، وَهَذَا زُهْدُ سَلَامَةٍ.

وَالثَّالِثُ: اَلزُّهْدُ فِي الْفُضُولِ مِنَ الْحَلَالِ، وَهَذَا زُهْدُ فَضْلٍ.

هَكَذَا قَسَّمَهُ الزَّاهِدُ الْعَابِدُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ رضي الله عنه، وَهُوَ اقْتِبَاسٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، **وَذَلِكَ عَلَىٰ النَّحْوِ الْآتِي:**

---

(١) الإسراء الآية (١٩).

(١) الزُّهْدُ فِي الْمُحَرَّمَاتِ:

۞ وَيَعْنِي: تَرْكَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَفِيهِ يَقُولُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[(١)]. وَهَذَا الزُّهْدُ فَرْضٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ.

(٢) الزُّهْدُ فِي الشُّبُهَاتِ:

۞ وَيَعْنِي: تَرْكَ الشُّبُهَاتِ، وَهِيَ الْأُمُورُ الَّتِي تَدُورُ بَيْنَ الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ، فَتَرْكُهَا أَسْلَمُ لِلْمَرْءِ فِي دِينِهِ، فَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يُرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ»**. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ)

وَالْمَعْنَىٰ: اُتْرُكْ مَا تَشُكُّ فِي حِلِّهِ، وَاعْدِلْ عَنْهُ إِلَىٰ مَا لَا تَشُكُّ فِيهِ.

۞ وَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَىٰ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الزُّهْدِ فِي حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ، فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **«إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ، فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ، أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ لَمُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَاَ وَهِيَ الْقَلْبُ»**. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

(٣) الزُّهْدُ فِي الْفُضُولِ مِنَ الْحَلَالِ:

۞ وَهَذَا هُوَ زُهْدُ الْفَضْلِ، وَهُوَ الَّذِي رَغَّبَنَا فِيهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَفِيهِ إِيثَارُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ عَلَىٰ مَا تُحِبُّهُ النَّفْسُ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدَّ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ زَادٍ، فَلْيَعُدَّ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا زَادَ لَهُ»**، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَذَكَرَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّىٰ رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

---

(١) النساء الآية (٣١).

عَلامَاتُ الزُّهْدِ:

لِلزُّهْدِ عَلامَاتٌ، يُعْرَفُ بِهَا الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الرَّاغِبِ فِيهَا، وَهِيَ كَالآتِي:

۞ **الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا:** لَا يَفْرَحُ فَرَحَ الْغُرُورِ وَالِافْتِخَارِ بِالْمَوْجُودِ، وَلَا يَحْزَنُ عَلَىٰ الْمَفْقُودِ، قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَمَعَ الزُّهْدَ فِي كَلِمَتَيْنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

۞ **الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا:** لَا يَتَأَثَّرُ بِمَدْحِ مَنْ مَدَحَهُ، وَلَا بِذَمِّ مَنْ ذَمَّهُ، فَإِنْ مُدِحَ قَالَ مَا قَالَهُ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه: «**اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَاجْعَلْنِي خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ**». وَإِنْ ذَمَّهُ أَحَدٌ لَا يَحْزَنُ لِذَمِّهِ إِيَّاهُ، بَلْ يُذَكِّرُ نَفْسَهُ قَائِلاً: إِنْ كَانَ فِيَّ مَا يَقُولُ، فَذَنْبٌ أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيَّ مَا يَقُولُ، فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا يَقُولُ، فَهُوَ إِمَّا مُسْتَغْفِرٌ للهِ عَلَىٰ ذَنْبِهِ عِنْدَ الذَّمِّ إِنْ كَانَ فِيهِ، أَوْ حَامِدٌ للهِ تَعَالَىٰ شَاكِرٌ لِنِعَمِهِ؛ إِذْ عَافَاهُ اللهُ مِنْهُ، وَلَمْ يَجْعَلْ فِيهِ مَا يُعَيِّرُونَهُ بِهِ.

۞ **الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا:** يُحِبُّ التَّسَتُّرَ عَنِ الْخَلْقِ بِتَقْوَاهُ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْخَفِيَّ، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ، فَهُوَ لَا يُحِبُّ أَنْ يَتَظَاهَرَ بِالتَّقْوَىٰ، وَلَا يُحِبُّ التَّصَدِّي لِلرِّيَاسَةِ، أَوِ الشُّهْرَةِ وَالسُّمْعَةِ وَالذِّكْرِ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَهُوَ زَاهِدٌ فِي هَذَا كُلِّهِ، وَلَا يُحِبُّ فِي الْمَجَالِسِ التَّصَدِّي وَالتَّظَاهُرَ بَيْنَ الْجَالِسِينَ، وَالِافْتِخَارَ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ شَأْنُ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ شَأْنَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا.

۞ **مِنْ عَلامَاتِ الزُّهْدِ كَذَلِكَ:** قِصَرُ الْأَمَلِ، وَمُخَالَفَةُ النَّفْسِ وَالْهَوَىٰ، فَلَا يُؤَمِّلُ مَا لَا يُدْرِكُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ مِنْهَا، فَإِنْ أَتَتْهُ الدُّنْيَا رَاغِمَةً، أَخَذَ مِنْهَا مَا يَكْفِيهِ لِنَفْسِهِ وَأَهْلِهِ، وَبَذَلَ مَا زَادَ عِنْدَهُ مِنَ الْفَضْلِ لِإِخْوَانِهِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

۞ **وَمِنْ عَلامَاتِ الزُّهْدِ:** أَنْ يَكُونَ الزَّاهِدُ مُتَوَاضِعًا فِي مَعِيشَتِهِ فِي دُنْيَاهُ، مُتَوَاضِعًا فِي مَسْكَنِهِ، مُتَوَاضِعًا فِي مَلْبَسِهِ، مُتَوَاضِعًا فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ، بَلْ يَكُونُ

---

(١) الحديد الآية (٢٣).

رَاضِيًا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيمَا قَسَمَ، خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ دُنْيَاهُ وَمَالِهِ وَهَوَاهُ، مُحِبًّا لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، مُجَالِسًا لَهُمْ، لَا تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ إِلَّا بِمَا فِيهِ مَرْضَاةُ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1].

۞ وَكَانَ ﷺ يُحِبُّ مِنْ دُنْيَاهُ الْكَفَافَ (أَيْ: الضَّرُورِيَّ)، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**»، أَيْ: كَفَافًا. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ، أَنَّهُ ﷺ كَانَ لَا يَدَّخِرُ لِنَفْسِهِ إِلَّا قُوتَ يَوْمِهِ، وَيَدَّخِرُ ﷺ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَةٍ.

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ)

الزُّهْدُ عِلَاجٌ لِأَمْرَاضِ النُّفُوسِ:

۞ إِنَّ مِنْ أَمْرَاضِ النُّفُوسِ الِاغْتِرَارَ وَالِافْتِخَارَ بِمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، الَّذِي لَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْقَضِيَ وَيَزُولَ؛ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ مَغْرُورًا بِعُلُوِّ الْجَاهِ وَنُفُوذِ الْكَلِمَةِ الَّذِي أَفْسَدَ قَلْبَهُ، وَهَذَا حَسْبُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[2].

۞ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ مَغْرُورًا بِمَالِهِ، وَهَذَا حَسْبُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[3].

۞ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ مَغْرُورًا بِحَسَبِهِ وَنَسَبِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَهَذَا حَسْبُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾[4].

۞ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ مَغْرُورًا بِعِلْمِهِ، وَهَذَا حَسْبُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا

---

(١) النازعات الآية (٤٠-٤١).
(٢) النساء الآية (٧٧).
(٣) النحل الآية (٩٦).
(٤) عبس الآية (١٧-١٩).

قَلِيلًا ﴾[1].

وَالْوَلِيُّ لَهُ ثَلاثُ عَلامَاتٍ:

١. إِذَا زَادَ جَاهُهُ، زَادَ تَوَاضُعُهُ.

٢. إِذَا زَادَ مَالُهُ، زَادَ سَخَاؤُهُ.

٣. إِذَا زَادَ عُمْرُهُ، زَادَ اجْتِهَادُهُ.

الزُّهْدُ عِلاجٌ لأَمْرَاضِ الْعَصْرِ:

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[2]. وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ نِعْمَتَهُ عَلَىٰ عَبْدِهِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَه)

۞ وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ فَاعِلاً لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ)

۞ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «**مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّىٰ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ فَالِاقْتِصَادُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْمَلْبَسِ وَالنَّفَقَةِ، هِيَ السُّنَّةُ الَّتِي هَدَانَا إِلَيْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَنَبِيُّنَا الصَّادِقُ الْأَمِينُ ﷺ، وَلَقَدْ خَالَفَ الْكَثِيرُ فِي زَمَانِنَا هَذَا سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَقَعُوا فِيمَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ مِثْلَ أَمْرَاضِ السُّكَّرِ وَالضَّغْطِ وَالْقَلْبِ...إِلَخْ، وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمِلُوا بِسُنَّتِهِ ﷺ، لَكَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَإِنَّ الْإِسْرَافَ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ يَسِمُ الْقَلْبَ بِالْقَسَاوَةِ، وَيُبْطِئُ بِالْجَوَارِحِ عَنِ الطَّاعَةِ، وَيُصِمُّ الْأُذُنَ عَنْ سَمَاعِ الْمَوْعِظَةِ، كَمَا أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ.

۞ فَإِنَّ فِي هَذَا مِنَ الْخُسْرَانِ فِي الدِّينِ مَا فِيهِ؛ أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَهِيَ الْأَمْرَاضُ الَّتِي تَشَعَّبَتْ فِي

(١) الإسراء الآية (٨٥). (٢) الأعراف الآية (٣١).

عَصْرِنَا هَذَا، وَقَدْ رُوِيَ: أَنَّ الْمُقَوْقِسَ عَظِيمَ مِصْرَ، لَمَّا جَاءَهُ خِطَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، أَرْسَلَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ضِمْنَ هَدَايَاهُ طَبِيبًا، فَرَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْمُقَوْقِسِ، فَلَمَّا عَادَ الطَّبِيبُ سَأَلَهُ الْمُقَوْقِسُ مَا الَّذِي أَتَىٰ بِكَ؟ فَقَالَ الطَّبِيبُ: لَقَدْ أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ رَجُلٍ جَمَعَ الطِّبَّ فِي كَلِمَتَيْنِ: «**نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّىٰ نَجُوعَ، وَإِذَا أَكَلْنَا لَا نَشْبَعُ**»؛ فَلَا حَاجَةَ لَهُ لِطَبِيبٍ.

۞ بَلْ إِنَّ الْإِسْرَافَ وَالْإِقْبَالَ عَلَىٰ الدُّنْيَا بِالتَّكَالُبِ وَالتَّنَافُسِ عَلَيْهَا، سَبَبٌ فِي سُوءِ وَتَدْهُورِ الْحَالَةِ الِاقْتِصَادِيَّةِ، وِفْقًا لِنَظَرِيَّةِ الْعَرَضِ وَالطَّلَبِ؛ فَحِينَ يَكْثُرُ الطَّلَبُ عَلَىٰ السِّلَعِ تَرْتَفِعُ أَسْعَارُهَا، وَلَا حَلَّ لِهَذِهِ الْمُشْكِلَةِ إِلَّا بِالتَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي زُهْدِهِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ النَّاسَ شَكَوْا لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ رحمه الله غَلَاءَ اللَّحْمِ، فَقَالَ رحمه الله: **أَرْخِصُوهُ**، قَالُوا لَهُ: **كَيْفَ**؟ قَالَ رحمه الله: «**لَا تَأْكُلُوهُ**».

۞ وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ؛ لِأَنَّ قِلَّةَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ الزُّهْدِ فِيهِ، تُؤَدِّي حَتْمًا إِلَىٰ انْخِفَاضِ قِيمَتِهِ، هَذَا فَضْلًا عَمَّا فِي الْعَمَلِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «**تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

تُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا رضي الله عنها بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ تَأْخُذُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكِيلَهُ فَلَا يَنْفَدُ، فَلَمَّا كَالَتْهُ نَفَدَ، وَهَذَا مِنْ بَرَكَتِهِ ﷺ.

الدُّنْيَا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ:

۞ الدُّنْيَا هِيَ مَطِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ لِنَيْلِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ فِي الْآخِرَةِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِيَّ، فَقَالَ ﷺ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: «**إِذَا أَمْسَيْتَ، فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ، فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُمَيْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُونُوا فِي الدُّنْيَا أَضْيَافًا، وَاتَّخِذُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتًا، وَعَوِّدُوا قُلُوبَكُمُ الرَّأْفَةَ، وَأَكْثِرُوا التَّفْكِيرَ وَالْبُكَاءَ، وَلَا تَخْتَلِفَنَّ بِكُمُ الْأَهْوَاءُ؛**

تَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَتَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

۞ إِنَّ الْمُؤْمِنَ الصَّادِقَ يَنْظُرُ إِلَىٰ الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْيَقِينِ، فَيَرَاهَا كَمَا وَصَفَهَا الْحَقُّ سُبْحَانَهُ: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾(١). فَمَتَاعُهَا مُنْذُ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ إِلَىٰ آخِرِهَا قَلِيلٌ، فَمَا يَكُونُ نَصِيبُ الْإِنْسَانِ مِنْهَا إِذَنْ فِي جَنْبِ هَذَا الْقَلِيلِ! وَلَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ نِسْبَةَ الدُّنْيَا إِلَىٰ الْآخِرَةِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

إِنَّهَا تَرْجِعُ بِقَطْرَةِ مَاءٍ أَوْ أَقَلَّ، فَمَا تَكُونُ إِذَنْ هَذِهِ الْقَطْرَةُ فِي جَانِبِ الْبَحْرِ! هَذِهِ هِيَ نِسْبَتُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْآخِرَةِ.

۞ ثُمَّ كَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ حَقِيقَةِ مَتَاعِهَا الْقَلِيلِ، فَقَالَ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، حَيْثُ يَقُولُ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾(٢). ثُمَّ قَالَ ﷺ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ)

۞ وَقَدْ حَذَّرَنَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الرُّكُونِ إِلَيْهَا، وَبَيَّنَ ﷺ لَنَا عَاقِبَةَ حُبِّهَا، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أُشْرِبَ قَلْبُهُ حُبَّ الدُّنْيَا الْتَاطَ مِنْهُ بِثَلَاثٍ: شَقَاءٌ لَا يَنْفَدُ عَنَاهُ، وَحِرْصٌ لَا يَبْلُغُ غِنَاهُ، وَأَمَلٌ لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ، فَالدُّنْيَا طَالِبَةٌ وَمَطْلُوبَةٌ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَتْهُ الْآخِرَةُ، حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ فَيَأْخُذَهُ، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ وَضَرَبَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِزُهْدِهِ الْمَثَلَ الْأَعْلَىٰ، فَيَقُولُ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ الشَّرِيفِ ﷺ، فَقَالَ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْتَ فِرَاشًا أَوْثَرَ مِنْ هَذَا (أَيْ: أَلْيَنَ مِنْ هَذَا)؟ فَقَالَ ﷺ: «مَالِي وَلِلدُّنْيَا، مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

---

(١) النساء الآية (٧٧). (٢) التكاثر الآية (١).

۞ وَضَرَبَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَثَلَ لِلدُّنْيَا وَهَوَانِهَا عَلَىٰ اللهِ، فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتْهُ (أَيْ: عَلَىٰ جَانِبَيْهِ ﷺ) فَمَرَّ ﷺ بِجَدْيٍ أَسَكَّ (أَيْ: صَغِيرِ الْأُذُنَيْنِ) مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ ﷺ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ ﷺ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ**»؟ قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ ﷺ: «**وَاللهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَهَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الدُّنْيَا عِنْدَ اللهِ؛ لَا تَزِنُ عِنْدَهُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلِهَوَانِهَا عَلَيْهِ يَرْزُقُ مِنْهَا الْكَافِرَ، وَقَدْ يُوَسِّعُ لَهُ فِي رِزْقِهِ مِنْهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[1].

الدُّنْيَا دَارُ تَكْلِيفٍ وَتَعْرِيفٍ:

۞ إِنَّ الدُّنْيَا رَغْمَ هَوَانِهَا عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، إِلَّا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يَجْعَلَهَا: إِمَّا مِعْرَاجًا لِمَنْ أَدَّىٰ فَرَائِضَ اللهِ، وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيَهُ، وَوَقَفَ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَإِمَّا مِدْرَاجًا لِمَنْ ضَيَّعَ فَرَائِضَ اللهِ، وَارْتَكَبَ مَعَاصِيَهُ، وَضَيَّعَ حُدُودَهُ، فَهِيَ دَارُ امْتِحَانٍ وَاخْتِبَارٍ، مَنْ وَفَّىٰ فِيهَا وُفِّيَ لَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[3]. ثُمَّ بَعْدَ الِاخْتِبَارِ تُقَامُ مَوَازِينُ الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ، الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾[4]، فَتَكُونُ السَّعَادَةُ لِمَنِ اهْتَدَىٰ، وَالشَّقَاوَةُ لِمَنِ اعْتَدَىٰ وَأَبَىٰ، فَالْإِنْسَانُ هُنَا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ مُفْتَرَقِ الطَّرِيقِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[5].

---

(١) الشورىٰ الآية (٢٠).
(٢) العنكبوت الآيات (١-٣).
(٣) الملك الآية (٢).
(٤) النجم الآية (٣١).
(٥) الإنسان الآية (٣).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[1].

۞ وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا هُوَ مِفْتَاحُ الْقُرْبِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، فَفِيهِ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ مِنَ الْحُظُوظِ وَالْأَهْوَاءِ، وَإِعْدَادُ الْقَلْبِ لِيَكُونَ حَاضِراً مَعَ اللهِ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ، وَمُرَاقَبَتِهِ سُبْحَانَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمَا وَالَاهُ وَعَالِماً وَمُتَعَلِّماً**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

وَمَعْنَىٰ: «**مَلْعُونٌ مَا فِيهَا**»، أَيْ: مَا فِيهَا مِنْ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الَّتِي تَفْتِنُ أَهْلَهَا، وتَغُرُّ وتَضُرُّ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَمُرُّ، وَيَحْمِلُ أَهْلُها أَوْزَارَهُمْ مَعَهُمْ إِلَىٰ قُبُورِهِمْ.

۞ قَالَ الْحَسَنُ ﵁: **يَا ابْنَ آدَمَ، أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا؛ رَضِيتَ مِنْ لَذَّتِهَا بِمَا يَنْقَضِي، وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي، وَمَنْ مُلْكِهَا بِمَا يَنْفَدُ، وَلَا تَزَالُ تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ الْأَوْزَارَ، وَلِأَهْلِكَ الْأَمْوَالَ، فَإِذَا مِتَّ حَمَلْتَ أَوْزَارَكَ إِلَىٰ قَبْرِكَ، وَتَرَكْتَ أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ.**

۞ فَمَا خُلِقَتِ الدُّنْيَا إِلَّا لِحِكْمَةٍ عَلِيَّةٍ، أَلَا وَهِيَ نَوَالُ السَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ الْبَاقِيَةِ فِي جِوَارِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمَعِيَّةِ رَسُولِهِ ﷺ الَّذِي تَضَرَّعَ لِرَبِّهِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ دِينِي بِالدُّنْيَا، وَعَلَىٰ آخِرَتِي بِالتَقْوَىٰ، وَاحْفَظْنِي فِيمَا غِبْتُ عَنْهُ، يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ، وَلَا تُنقِصُهُ الْمَغْفِرَةُ، هَبْ لِي مَا لَا يُنقِصُكَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ**».

۞ وَمَتَىٰ خَلُصَتِ النَّفْسُ مِنْ شَوَائِبِ الدُّنْيَا، وَصْفَا الْقَلْبُ مِنَ الْأَغْيَارِ، صَارَ أَهْلاً لِتَلَقِّي الْعُلُومِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالْفُيُوضَاتِ الْقُدْسِيَّةِ، الَّتِي تُفَاضُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ أَحْبَابِهِ وَأَصْفِيَائِهِ، وَذَلِكَ مِنْ سِرِّ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[2]، وَعِنْدَهَا يَتَرَقَّىٰ الزَّاهِدُ؛ لِيَنَالَ رُتْبَةَ (**الْعَارِفِ بِالله**)، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَلْبِ الْعَامِرِ بِذِكْرِ اللهِ، وَاللِّسَانِ الْمُتَرْجِمِ عَنْ أَنْوَارِ التَّنْزِيلِ وَمَعَانِيهِ، وَهُوَ الَّذِي يُنْهِضُكَ حَالُهُ، وَيَدُلُّكَ عَلَىٰ اللهِ مَقَالُهُ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ بِصُحْبَتِهِ، فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[3].

۞ وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ لُبْسَ الْمُرَقَّعَاتِ هُوَ الزُّهْدُ، وَهُمْ بِذَلِكَ قَدْ نَسُوا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ:

(١) النمل الآية (٤٠). (٢) البقرة الآية (٢٨٢). (٣) التوبة الآية (١١٩).

«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مَرَّ يَوْمًا بِسُوقِ الْبَصْرَةِ، فَرَأَىٰ رَجُلاً فَقِيراً يَلْبَسُ الْمُرَقَّعَاتِ وَيَخْتَالُ فِيهَا، فَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُ: **مَا أَدَبُ الْفَقِيرِ الصَّادِقِ**؟ قَالَ الرَّجُلُ: مِنْكَ يُؤْخَذُ الْعِلْمُ يَا أَبَا الْحَسَنِ، فَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: **آدَابُ الْفَقِيرِ الصَّادِقِ اثْنَتَا عَشْرَةَ خَصْلَةً هِيَ:**

١ـ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِاللهِ تَعَالَىٰ.

٢ـ مُرَاعِيًا لِأَوَامِرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

٣ـ مُتَمَسِّكًا بِسُنَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

٤ـ أَنْ يَكُونَ دَائِمًا عَلَىٰ طَهَارَةٍ.

٥ـ رَاضِيًا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي كُلِّ حَالٍ.

٦ـ مُوقِنًا بِمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ.

٧ـ آيِسًا مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ.

٨ـ مُتَحَمِّلاً لِلْأَذَىٰ.

٩ـ شَفُوقًا عَلَىٰ النَّاسِ.

١٠ـ مُتَوَاضِعًا لِلنَّاسِ.

١١ـ مُبَادِراً إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

١٢ـ وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَهُ عَدُوٌّ فَيَتَّخِذَهُ عَدُوًّا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾(١).

عِنْدَ ذَلِكَ خَلَعَ الْفَقِيرُ هَذَا مُرَقَّعَتَهُ وَأَلْقَىٰ بِهَا، وَقَالَ: «**وَاللهِ، لَا أَعُودُ لَهَا بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَداً**».

۞ وَقَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ اِسْتَخْلَفَنَا فِي هَذِهِ الدَّارِ؛ لِيَنْظُرَ كَيْفَ نَعْمَلُ؟ فَقَالَ

(١) فاطر الآية (٦).

ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ اسْتَخْلَفَكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه)

۞ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ ﷺ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَالطَّبَرَانِيُّ)

۞ فَالزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا حَبِيبُ رَبِّهِ، وَالزَّاهِدُ فِيمَا فِي أَيْدِ النَّاسِ مَحْبُوبٌ عِنْدَ النَّاسِ، وَهَذَا مَا بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ مَقَامِ الزُّهْدِ.

۞ وَجَمِيلٌ قَوْلُ ابْنِ عَطَاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِيِّ رضي الله عنه، حَيْثُ يَقُولُ فِي الدُّنْيَا: «إِنَّمَا جَعَلَهَا اللهُ مَحَلاًّ لِلأَغْيَارِ، وَمَعْدِنًا لِلأَكْدَارِ؛ تَزْهِيداً لَكَ فِيهَا».

۞ وَقَالَ الإِمَامُ الْأَبْهَرِيُّ رضي الله عنه: «فِي الْمِحَنِ ثَلَاثُ فَوَائِدَ: تَطْهِيرٌ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَتَكْفِيرٌ لِلصَّغَائِرِ، وَتَذْكِيرٌ بِاللهِ». (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ لِأَبِي نُعَيْمٍ)

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُعَامِلَنَا بِإِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ، كَمَا نَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ،
وَأَنْ يَجْعَلَ دُنْيَانَا مِعْرَاجًا لِآخِرَتِنَا، وَآخِرَتَنَا مِعْرَاجًا لِمَرْضَاةِ رَبِّنَا
وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

الْمَبْحَثُ الثَّامِنُ
بُشْرَى الْمُقْسِطِينَ وَالْمُحْسِنِينَ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١).

وَالْمُقْسِطُونَ:

هُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا، وَهُمْ بِعَدْلِهِمْ يَحْفَظُونَ لِأَهْلِ الْحَقِّ حَقَّهُمْ، بَرِئَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ، يَقْضُونَ بِالْحَقِّ لِأَهْلِهِ وَإِنْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِهِ بَغْضَاءُ وَشَنَآنُ، وَذَلِكَ اسْتِجَابَةً لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢). وَمَعْنَىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾(٣)، أَيْ: لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُكُمْ لَهُمْ عَلَىٰ إِقَامَةِ مَوَازِينِ الْعَدْلِ الَّذِي بِهِ يَأْخُذُ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ.

وَهَذِهِ دَرَجَةٌ مِنْ دَرَجَاتِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ، وَمَنْزِلَةٌ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، حَيْثُ يَقْضِي فِيهَا الْإِنْسَانُ بِالْحَقِّ، وَيَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، لِذَلِكَ بَشَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِمَحَبَّتِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(٤).

وَبَشَّرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُّوا**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ)

كَمَا بَشَّرَهُمْ ﷺ بِالْجَنَّةِ، فَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ مُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

---

(١) النحل الآية (٩٠).
(٢) المائدة الآية (٨).
(٣) المائدة الآية (٨).
(٤) المائدة الآية (٤٢).

۞ **وَمِنْ رَوَائِعِ الْعَدْلِ فِي الإِسْلَامِ**، مَا رُوِيَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَجَدَ دِرْعًا لَهُ عِنْدَ يَهُودِيٍّ الْتَقَطَهَا ذَلِكَ الْيَهُودِيُّ، فَعَرَفَهَا سَيِّدُنَا عَلِيٌّ، فَذَهَبَ لِلْيَهُودِيِّ وَقَالَ لَهُ: دِرْعِي سَقَطَتْ عَنْ جَمَلٍ لِي، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: دِرْعِي وَفِي يَدِي، وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ قَاضِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَتَوْا شُرَيْحًا الْقَاضِي، فَقَالَ شُرَيْحٌ: مَا تَشَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: دِرْعِي سَقَطَتْ عَنْ جَمَلٍ لِي، فَالْتَقَطَهَا هَذَا الْيَهُودِيُّ. قَالَ شُرَيْحٌ: مَا تَقُولُ يَا يَهُودِيُّ؟ قَالَ الْيَهُودِيُّ: دِرْعِي وَفِي يَدِي. قَالَ شُرَيْحٌ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ: صَدَقْتَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهَا لَدِرْعُكَ؛ وَلَكِنْ لَابُدَّ مِنْ شَاهِدَيْنِ، فَدَعَا سَيِّدُنَا عَلِيٌّ مَوْلًىٰ لَهُ يُقَالُ لَهُ: (قَنْبَرٌ)، وَوَلَدَهُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَشَهِدَا أَنَّهَا دِرْعُ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ، قَالَ الْقَاضِي شُرَيْحٌ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ: أَمَّا شَهَادَةُ مَوْلَاكَ فَقَدْ أَجَزْنَاهَا، وَأَمَا شَهَادَةُ ابْنِكَ لَكَ فَلَا نُجِيزُهَا. فَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ: عَجَبًا لَكَ، أَمَا سَمِعْتَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، قَالَ شُرَيْحٌ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ ﷺ: أَفَلَا تُجِيزُ شَهَادَةَ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ! وَقَضَىٰ شُرَيْحٌ لِلْيَهُودِيِّ بِالدِّرْعِ، وَقَالَ لَهُ: خُذِ الدِّرْعَ. عِنْدَ ذَلِكَ تَعَجَّبَ الْيَهُودِيُّ مِمَّا قَضَىٰ بِهِ شُرَيْحٌ، وَقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ جَاءَ مَعِي إِلَىٰ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ، فَقَضَىٰ لِي وَرَضِيَ بِقَضَائِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَحُكْمُ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ الْيَهُودِيُّ إِلَىٰ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهَا لَدِرْعُكَ، سَقَطَتْ عَنْ جَمَلٍ لَكَ الْتَقَطْتُهَا، وَالْآنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: أَمَا وَقَدْ أَسْلَمْتَ، فَإِنَّهَا هَدِيَّةٌ مِنِّي إِلَيْكَ، وَوَهَبَهَا لَهُ، وَأَجَازَهُ بِتِسْعِمِائَةٍ وَحَسُنَ إِسْلَامُ ذَلِكَ الْيَهُودِيِّ، وَقَاتَلَ مَعَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ فِي مَوْقِعَةِ صِفِّينَ، حَتَّىٰ لَقِيَ رَبَّهُ شَهِيدًا. (أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ)

أَمَّا الْمُحْسِنُونَ:

۞ فَهُمْ أَهْلُ مَقَامِ الْإِحْسَانِ الَّذِينَ جَمَعَ اللهُ لَهُمُ الْإِحْسَانَ فِي الْأَقْوَالِ، وَالْإِحْسَانَ فِي الْأَعْمَالِ، وَالْإِحْسَانَ فِي الْأَخْلَاقِ، فَأَحْسَنُوا الْقَوْلَ؛ اسْتِجَابَةً لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى

يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[1]، وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، أَلَا وَهُوَ قَوْلُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» حَتَّىٰ يَلْقَىٰ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ وَلِسَانُهُ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللهِ.

۞ وَمِنَ الْإِحْسَانِ فِي الْقَوْلِ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2]، ثُمَّ بَشَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[3].

۞ وَكَمَا أَحْسَنَ أَهْلُ الْإِحْسَانِ لِأَنْفُسِهِمْ فِي الْقَوْلِ، فَقَدْ أَحْسَنُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَذَلِكَ فِي الْعَمَلِ، فَاجْتَهَدُوا فِي عَمَلِ الْقُرُبَاتِ وَالْإِقْبَالِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ، مَعَ إِخْلَاصِ النِّيَّةِ للهِ تَعَالَىٰ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَإِفْرَادِهِ وَحْدَهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ دُونَ سِوَاهُ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ بَشَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[4]. وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَامَّةٌ تُشِيرُ إِلَىٰ الدَّاعِي الْأَوَّلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُلِّ مَنِ اتَّبَعَهُ وَسَارَ عَلَىٰ هَدْيِهِ ﷺ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[5].

۞ وَكَمَا تَجَمَّلَ أَهْلُ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، فَقَدْ تَجَمَّلُوا كَذَلِكَ بِحُلَلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِخْلَاصِ؛ اِسْتِجَابَةً لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾[6].

وَالإِحْسَانُ هُنَا عَلَى مَقَامَيْنِ:

الْأَوَّلُ: مُقَابَلَةُ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾[7]. فَهُمْ يُحْسِنُونَ إِلَىٰ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ مُكَافَأَةً.

وَالثَّانِي: مُقَابَلَةُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ، وَهُوَ الَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدۡفَعۡ

---

(١) الإسراء الآية (٥٣).
(٢) النساء الآية (١١٤).
(٣) النساء الآية (١١٤).
(٤) فصلت الآية (٣٣).
(٥) يوسف الآية (١٠٨).
(٦) فصلت الآية (٣٤).
(٧) الرحمن الآية (٦٠).

بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(١)، فَهُمْ يُحْسِنُونَ إِلَىٰ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ تَفَضُّلاً.

۞ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَيْ: اِدْفَعْ بِحِلْمِكَ جَهْلَ مَنْ يَجْهَلُ عَلَيْكَ، وَهَذَا هُوَ خُلُقُ رُسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ تَفَضُّلاً.

۞ فَالْإِحْسَانُ هُوَ خُلُقُ أَهْلِ مَقَامِ الْإِحْسَانِ فِي الْحَالَيْنِ: فَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، أَحْسَنُوا إِلَيْهِ مُكَافَأَةً، وَمَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ، أَحْسَنُوا إِلَيْهِ كَذَلِكَ تَفَضُّلاً.

۞ وَلَمَّا تَخَلَّقَ أَهْلُ الْإِحْسَانِ بِهَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ الَّذِي تَخَلَّقَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بَشَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾(٢).

۞ وَالْحُسْنَىٰ هِيَ الْجَنَّةُ وَمَا فِيهَا مِنْ رِضْوَانِ رَبٍّ كَرِيمٍ، وَالزِّيَادَةُ هِيَ الْكَرَامَةُ الْعُظْمَىٰ: أَلَا وَهِيَ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ.

۞ **وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ**: أَنَّهُمْ عَبَدُوا اللهَ تَعَالَىٰ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ فَهُمْ لِكَمَالِ حُضُورِهِمْ مَعَ اللهِ، وَمُرَاقَبَتِهِمُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، كَشَفَ اللهُ لَهُمُ الْحِجَابَ عَنْ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهَذَا مِمَّا خَصَّهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ بِالْمَزِيدِ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مَحَبَّتِهِ الَّذِينَ بَشَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(٣).

۞ وَهُمْ كَذَلِكَ أَهْلُ مَعِيَّتِهِ الَّذِينَ وَافَتْهُمُ الْبُشْرَىٰ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾(٤)، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(٥).

۞ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا ﴾، قَالَ: هُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ﴾(٦). وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، عَلَّمَهُ اللهُ مَا لَمْ**

(١) فصلت الآية (٣٤).
(٢) يونس الآية (٢٦).
(٣) آل عمران الآيتان (١٣٤، ١٤٨).
(٤) النحل الآية (١٢٨).
(٥) العنكبوت الآية (٦٩).
(٦) البقرة الآية (٢٨٢).

يَعْلَمْ». (تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ)

۞ فَبَشَّرَهُمُ الْحَقُّ هُنَا بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، أَيْ: مَعَهُمْ بِالنُّصْرَةِ وَالْمَعُونَةِ، وَالْحِفْظِ وَالْوِقَايَةِ، وَالْهِدَايَةِ وَالْوِلَايَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١).

أَوْصَافُ الْمُحْسِنِينَ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

(١) وَالْمُتَّقُونَ هُنَا هُمْ أَهْلُ الإِحْسَانِ الَّذِينَ أَحَبَّهُمُ اللهُ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الأَوْصَافِ:

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، وَهُمُ الْمُتَصَدِّقُونَ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، فِي الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَهَؤُلَاءِ كَمَا بَشَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِجَنَّتِهِ، بَشَّرَهُمْ كَذَلِكَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(٣). أَيْ: الْحَسَنَةُ بِأَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا كَانَتْ تُطَيِّبُ الصَّدَقَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَصَدَّقَ بِهَا، وَتَقُولُ رضي الله عنها: «**إِنِّي أَضَعُهَا فِي يَدِ اللهِ**».

۞ وَرُوِيَ عَنْهَا رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَيُرَبِّي لِأَحَدِكُمُ التَّمْرَةَ وَاللُّقْمَةَ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّىٰ يَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

وَالْمُرَادُ بِـ «**الْفَلُوِّ**»: الْفَرَسُ الصَّغِيرُ أَوَّلُ مَا يُولَدُ، وَالْمُرَادُ بِـ «**الْفَصِيلِ**» وَلَدُ النَّاقَةِ، أَوْ مَا يُولَدُ إِلَىٰ أَنْ يُفْصَلَ عَنْ أُمِّهِ بَعْدَ الرَّضَاعَةِ.

۞ وَبَشَّرَ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُتَصَدِّقِينَ بِالْخَلْفِ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن

(١) البقرة الآية (١١٢). (٢) آل عمران الآيتان (١٣٣-١٣٤). (٣) الحديد الآية (١٨).

شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[1].

۞ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَيُصْبِحُ فِيهِ مَلَكَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا عَبْدِي، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، فَإِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى سَحَّى، لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ بِاللَّيْلِ وَلَا بِالنَّهَارِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَجَاءَ فِي فَضْلِ الصَّدَقَةِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**اَلصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَمِنَ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : «**رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

(٢) **كَذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِ أَهْلِ الإِحْسَانِ:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾، وَهُمُ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْغَيْظَ إِذَا غَضِبُوا، فَوَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ هُنَا بِالْحِلْمِ وَهُوَ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ مِنْ جَرْعَةٍ أَفْضَلَ أَجْراً مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ كَتَمَهَا؛ اِبْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَه)

(٣) **وَمِنْ أَوْصَافِ أَهْلِ الإِحْسَانِ:** الْعَفْوُ عَنِ الْمُسِيءِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزّاً، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[2]. وَمَعْنَىٰ ﴿ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾، أَيْ: أَنَّ أَجْرَهُ مُدَّخِرٌ لَهُ عِنْدَ اللهِ، فَاللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي يَجْزِيهِ بِعَفْوِهِ خَيْرَ مَا يَجْزِي بِهِ عِبَادَهُ الْمُحْسِنِينَ.

وَمِنْ طَرَائِفِ مَا رُوِيَ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا الْمُحْسِنُونَ:

۞ أَنَّ مَيْمُونَ بْنَ مَهْرَانَ جَاءَتْ جَارِيَتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ بِصَحْفَةٍ فِيهَا مَرَقَةٌ حَارَّةٌ، وَعِنْدَهُ أَضْيَافٌ، فَعَثُرَتْ فَصَبَّتِ الْمَرَقَةَ الْحَارَّةَ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ مَيْمُونُ أَنْ يَضْرِبَهَا، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: يَا مَوْلَايَ،

(١) سبأ الآية (٣٩). (٢) الشورى الآية (٤٠).

اِسْتَمِعْ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، قَالَ لَهَا: «**كَظَمْتُ غَيْظِي**»، فَقَالَتْ: اِعْمَلْ بِمَا بَعْدَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، فَقَالَ: «**قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ**»، فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، قَالَ مَيْمُونٌ: «**قَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكِ**»؛ فَأَنْتَ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ.

۞ وَرُوِيَ عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ مِثْلُ هَذَا، وَكَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْحِلْمِ، فَيُقَالُ: **فُلَانٌ فِي** حِلْمِ الْأَحْنَفِ.

۞ وَتَكْرِيمًا لِأَهْلِ مَقَامِ الْإِحْسَانِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَتَحَ لَهُمْ بَابَ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]. هَؤُلَاءِ إِنْ سَأَلُوا رَبَّهُمْ لَبَّاهُمْ، وَإِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ، وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ، وَإِنْ شَفَعُوا شُفِّعُوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2].

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١) الزمر الآية (٣٤). (٢) الحديد الآية (٢١).



البَابُ الثَّامِنُ

عَظَمَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي شَرِيعَتِهِ السَّمْحَاءِ

وَيَشْتَمِلُ هَذَا الْبَابُ عَلى أَرْبَعَةِ فُصُولٍ:

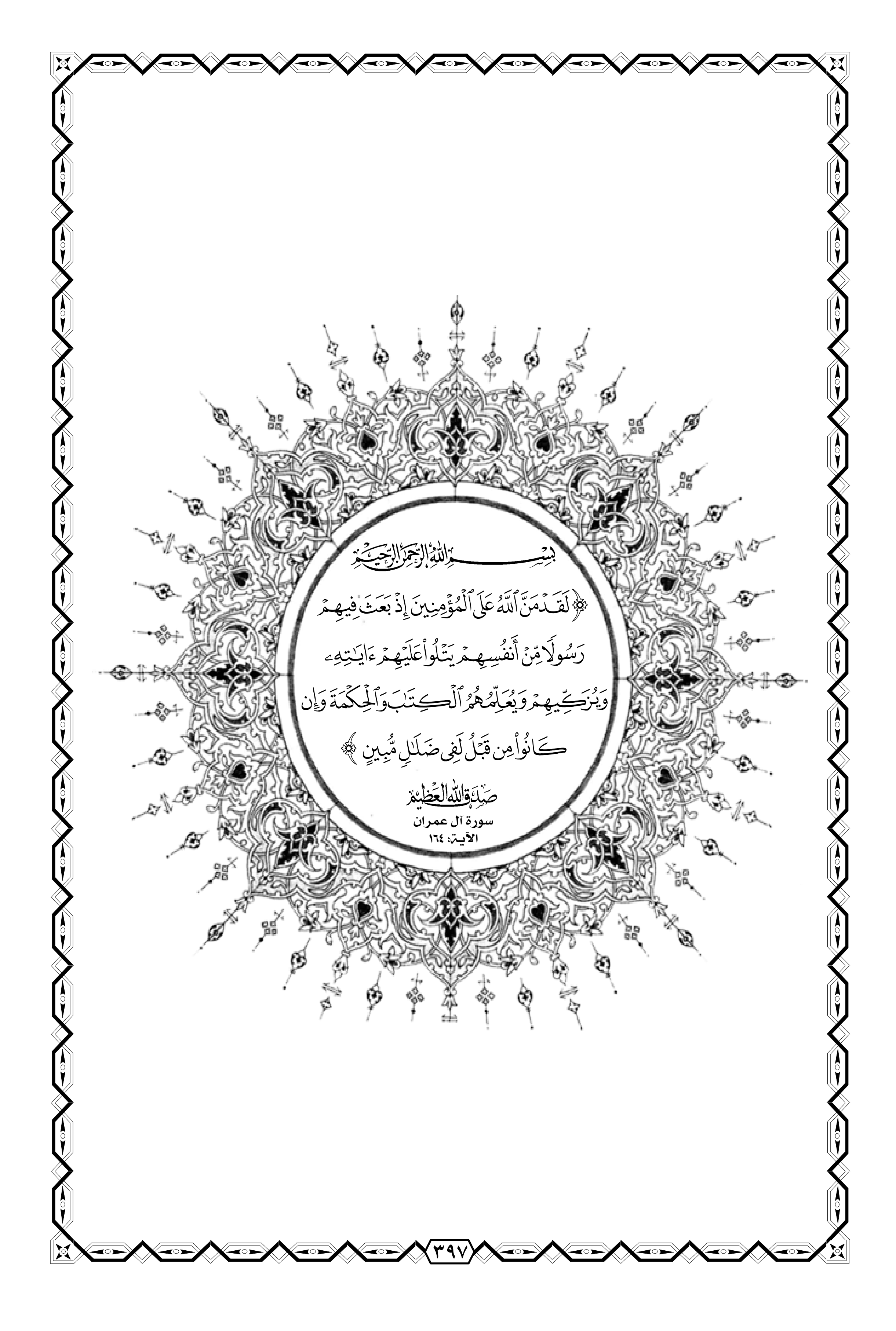
الْفَصْلُ الأَوَّلُ: شَرِيعَةُ الْإِسْلامِ شَرِيعَةُ السَّمَاحَةِ

الْفَصْلُ الثَّانِي: الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ فِي الْعِبَادَاتِ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ فِي بِنَاءِ الْأُسْرَةِ.

الْفَصْلُ الرَّابِعُ: الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ فِي الْمُعَامَلَاتِ

وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ
رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن
كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾
صدق الله العظيم
سورة آل عمران
الآية: ١٦٤

الْفَصْلُ الأَوَّلُ

شَرِيعَةُ الإِسْلَامِ شَرِيعَةُ السَّمَاحَةِ وَالْيُسْرِ

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

لمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، حَزِنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُزْنًا شَدِيدًا؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحَاسِبُهُمْ عَلَىٰ مَا يُخْفُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، فَشَكَوْا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي شَقَّ عَلَيْهِمْ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: لمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، اِشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَىٰ الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْجِهَادَ، وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾(٢)، فَقَالَ ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟! بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا**»، فَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا، فَأَلْقَىٰ اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾(٣). فَقَالَ: «**نَعَمْ، قَدْ فَعَلْتُ**»، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾(٤) فَقَالَ: «**نَعَمْ، قَدْ فَعَلْتُ**»، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾(٥)، فَقَالَ: «**نَعَمْ، قَدْ فَعَلْتُ**»، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٦)، فَقَالَ: «**نَعَمْ قَدْ فَعَلْتُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ)

---

(١) البقرة الآية (٢٨٤).
(٢) البقرة الآية (٢٨٤).
(٣) البقرة الآية (٢٨٥).
(٤) البقرة الآية (٢٨٦).
(٥) البقرة الآية (٢٨٦).
(٦) البقرة الآية (٢٨٦).

۞ وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ ثَنَاءٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْإِيمَانِ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ جَاءَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ مَقْرُونًا بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّهُمْ حِينَ اسْتَجَابُوا لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا**»، نَزَلَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[1]، فَالثَّنَاءُ هُنَا عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ مُلَازِمٌ وَمُصَاحِبٌ لِلثَّنَاءِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي هَذَا تَشْرِيفٌ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ حَيْثُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَشْرَكَهُمْ فِي الثَّنَاءِ بِالْإِيمَانِ مَعَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَجَمَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾[2]؛ اِسْتِجَابَةً لِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا**»، لِأَنَّ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَالتَّسْلِيمَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ هُوَ السَّبِيلُ لِلْإِيمَانِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[3].

۞ فَكَانَ ثَمَرَةُ التَّسْلِيمِ هُوَ الْإِيمَانَ الَّذِي أَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَأَعْقَبَ ذَلِكَ أَنْ فَتَحَ اللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، فَرَفَعَ عَنْهُمْ مَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ عَلَىٰ حَدِيثِ النَّفْسِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾[4]، مِنَ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ، ﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾[5]، مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالْإِثْمِ، وَبَيَّنَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْقَوْلِ الصَّرِيحِ مَعْنَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَبَشَّرَهُمْ ﷺ كَذَلِكَ بِبُشْرَىٰ تَطْمَئِنُّ لَهَا قُلُوبُهُمْ، أَلَا وَهِيَ مَا رَوَاهُ أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِي عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ: يَقُولُ اللهُ: «**إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

---

(١) البقرة الآية (٢٨٥).
(٢) البقرة الآية (٢٨٥).
(٣) النساء الآية (٦٥).
(٤) البقرة الآية (٢٨٦).
(٥) البقرة الآية (٢٨٦).

۞ ثُمَّ بَشَّرَهُمُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ قَدْ رَفَعَ عَنْهُمُ الْإِصْرَ، وَهُوَ الْعِبْءُ الثَّقِيلُ فِي التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ، الَّذِي كَانَ عَلَىٰ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾(١)، فَقَدْ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا أَذْنَبَ أَحَدُهُمْ ذَنْبًا، وَجَدَ ذَنْبَهُ مَكْتُوبًا عَلَىٰ بَابِهِ، فَإِنْ غَفَرَهُ اللهُ لَهُ، لَمْ يَسْلَمْ مِنِ افْتِضَاحِ أَمْرِهِ عِنْدَ النَّاسِ، وَإِنْ لَمْ يَغْفِرْ لَهُ، حَمَلَ تَبِعَتَهُ عِنْدَ اللهِ، وَلَمْ يَسْلَمْ كَذَلِكَ مِنِ افْتِضَاحِ أَمْرِهِ عِنْدَ النَّاسِ.

۞ أَمَّا نَحْنُ أُمَّةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَدْ عَافَانَا اللهُ مِنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾(٢)، فَهُوَ عَزَّوَجَلَّ يَعْفُو عَنَّا وَيَغْفِرُ لَنَا وَيَرْحَمُنَا بِالسَّتْرِ عَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣)، وَفِي هَذَا الْمَقَامِ يُبَشِّرُنَا سَيِّدُ الْأَنَامِ ﷺ، حَيْثُ يَقُولُ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ (أَيْ: سِتْرَهُ) فَيُقَرِّرَهُ بِذُنُوبِهِ. فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ، هَلْ تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بِهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَبْلُغَ، قَالَ اللهُ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. قَالَ: فَيُعْطَىٰ صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ أَوْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٤)». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَالْعَبْدُ إِذَا حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِذَنْبٍ، أَوْ خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، فَاسْتَعْظَمَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَلَامَةِ الْإِيمَانِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ﷺ: «**ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ فَالْعَبْدُ الَّذِي يَسْتَعْظِمُ حَدِيثَ النَّفْسِ، وَوَسَاوِسَ الشَّيْطَانِ، وَيَتْفُلُ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا كَمَا أَوْصَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَا يَسْتَرْسِلُ فِي سَمَاعِهَا؛ بَلْ يَسْتَنْكِرُهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَلَامَةِ الْإِيمَانِ

---

(١) البقرة الآية (٢٨٦).
(٢) البقرة الآية (٢٨٦).
(٣) البقرة الآية (٢٨٦).
(٤) هود الآية (١٨).

الَّذي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ: «ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ».

۞ كَذَلِكَ مِنَ الْإِصْرِ الَّذِي رَفَعَهُ اللهُ عَنَّا، أَنَّ الثَّوْبَ إِذَا أَصَابَتْهُ نَجَاسَةٌ مِنَ الْبَوْلِ، فَيَكْفِي فِي طَهَارَتِهِ عِنْدَنَا أَنْ نُطَهِّرَهُ بِالْمَاءِ ثَلَاثَـاً، إِلَّا وَلُوغَ الْكَلْبِ، فَطَهَارَتُهُ بِالْمَاءِ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ؛ أَمَّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَا يَكْفِي ذَلِكَ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَقْطَعَ مَكَانَ الثَّوْبِ الَّذِي أَصَابَتْهُ النَّجَاسَةُ، وَهَذَا مِمَّا رَفَعَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ أُمَّةِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى ﷺ.

۞ وَمِنَ الْإِصْرِ الَّذِي رَفَعَهُ اللهُ عَنَّا، أَنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَقَدْ خَفَّفَ اللهُ ذَلِكَ عَنَّا، فَجَعَلَهَا عَزَّ وَجَلَّ خَمْسَـاً فِي الْفَرِيضَةِ وَخَمْسِينَ فِي الْأَجْرِ. (تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ)

۞ وَمِنَ الْإِصْرِ الَّذِي رَفَعَهُ اللهُ عَنَّا، أَنَّ الْعِبَادَةَ فِي أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ: الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، تُقَامُ فِي مَعَابِدِهِمْ وَكَنَائِسِهِمْ، أَمَّا عِنْدَنَا فَالْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ، فَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْنَا الصَّلَاةُ نُصَلِّي، وَذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّيْسِيرِ، وَرَفْعِ الْمَشَقَّةِ عَنَّا.

۞ وَمِنَ الْإِصْرِ الَّذِي كَانَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَطْعِمَةِ كُلَّ ذِي ظُفُرٍ؛ مِثْلَ الْإِبِلِ وَالنَّعَامِ وَالْأَوَزِّ وَالْبَطِّ وَالدَّجَاجِ، وَكَانَ ذَلِكَ بِسَبَبِ بَغْيِهِمْ وَظُلْمِهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[1]. كَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِلَّا الشُّحُومَ الَّتِي تَحْمِلُهَا ظُهُورُ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَالشُّحُومَ الَّتِي تَخْتَلِطُ بِالْعَظْمِ، أَوِ الشُّحُومَ الَّتِي تَكُونُ حَوْلَ الْبَطْنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[2].

۞ أَمَّا عِنْدَنَا فَقَدْ نَسَخَ اللهُ بِشَرِيعَتِهِ السَّمْحَاءِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ كُلَّ مَا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرائِيلَ، وَأَبَاحَ لَهُمْ مَا كَانَ مُحَرَّمَـاً عَلَيْهِمْ، وَأَزَالَ عَنْهُمُ الْحَرَجَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ إِصْرَاً وَعِبْئَـاً ثَقِيلاً، فَرَفَعَهُ عَنْهُمْ بِبَعْثَةِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَرَسُولِ الْهُدَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ لِلنَّاسِ كَافَّةً، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[3].

---

(١) النساء الآية (١٦٠). (٢) الأنعام الآية (١٤٦). (٣) الأنبياء الآية (١٠٧).

الْفَصْلُ الثَّانِي

الشَّرِيعَـةُ السَّمْحَـاءُ فِي الْعِبَادَاتِ

رَفَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْإِصْرَ وَالْعِبْءَ الثَّقِيلَ فِيمَا أَنْزَلَهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ مِنْ أَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ فِي الْعِبَادَاتِ، وَذَلِكَ عَلَىٰ النَّحْوِ الآتِي:

١) فَفِي الصَّلَاةِ:

۞ الَّتِي هِيَ عِمَادُ هَذَا الدِّينِ، جَعَلَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَمْسًا فِي الْفَرْضِ وَخَمْسِينَ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ؛ فَالتَّكْلِيفُ هُنَا بِالْيَسِيرِ، وَالْأَجْرُ عَلَيْهَا بِالْجَزِيلِ، وَأَبَاحَ لِمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الصَّلَاةَ قَائِمًا أَنْ يُصَلِّيَ قَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ قَاعِدًا، فَلْيُصَلِّ عَلَىٰ جَنْبِهِ.

۞ كَذَلِكَ لَمَّا كَانَ الْوُضُوءُ شَرْطًا لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ مِنَ السَّمَاحَةِ وَالْيُسْرِ أَنَّ مَنْ فَقَدَ الْمَاءَ، أَوْ كَانَ يَضُرُّهُ الْوُضُوءُ بِالْمَاءِ لِمَرَضٍ أَوْ جِرَاحٍ أَصَابَتْهُ، أَوْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِوَىٰ مَا يَكْفِيهِ لِشَرَابِهِ وَطَعَامِهِ ... إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْذَارِ، فَلَهُ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيُصَلِّيَ وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ خَفِيَتْ عَلَيْهِ الْقِبْلَةُ، فَلْيُصَلِّ فِي أَيِّ اتِّجَاهٍ شَاءَ وَصَلَاتُهُ صَحِيحَةٌ وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ.

٢) كَذَلِكَ مِنَ التَّيْسِيرِ فِي فَرِيضَةِ الصِّيَامِ:

۞ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَبَاحَ الْفِطْرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ؛ دَفْعًا لِلْمَشَقَّةِ، وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ بَعْدَ انْقِضَاءِ شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا أَبَاحَ الْفِطْرَ لِلْمَرِيضِ الَّذِي لَا يُرْجَىٰ بُرْؤُهُ، وَالْعَجُوزِ الَّذِي تَقَدَّمَ بِهِ السِّنُّ، وَصَارَ لَا يَقْوَىٰ عَلَىٰ الصِّيَامِ، فَعَلَيْهِ الْفِدْيَةُ وَهِيَ إِطْعَامُ مِسْكِينٍ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ أَفْطَرَ، وَإِنْ زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِإِطْعَامِ مِسْكِينَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ، كَمَا أَبَاحَ الْفِطْرَ لِلْمَرْأَةِ الْحَامِلِ وَالْمُرْضِعِ إِذَا خَافَتْ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَهَؤُلَاءِ عَلَيْهِمُ الْقَضَاءُ وَالْفِدْيَةُ أَوِ الْقَضَاءُ فَقَطْ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1].

---

(١) البقرة الآية (١٨٥).

٣) وأمَّا عَنْ إِخْرَاجِ الزَّكَاة:

۞ فَإِنَّهَا فَرْضٌ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ مَلَكَ نِصَابَ الزَّكَاةِ. **وَالنِّصَابُ هُنَا لَهُ شُرُوطُهُ:**

(١) أَنْ يَكُونَ فَائِضًا عَنِ الْحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ، الَّتِي لَا غِنَىٰ لِلْمَرْءِ عَنْهَا؛ كَالْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَسْكَنِ وَالْمَرْكَبِ وَآلَاتِ الْحِرْفَةِ.

(٢) أَنْ يَكُونَ قَدْ حَالَ عَلَيْهَا الْحَولُ (أَيْ: عَامٌ بِالسَّنَةِ الْهِجْرِيَّةِ)، وَيُعْتَبَرُ ابْتِدَاؤُهُ مِنْ يَوْمِ أَنْ مَلَكَ النِّصَابَ، وَلَابُدَّ مِنْ كَمَالِهِ فِي الْحَوْلِ كُلِّهِ، فَإِذَا انْقَضَىٰ أَثْنَاءَ الْحَوْلِ ثُمَّ كَمُلَ، اُعْتُبِرَ ابْتِدَاءُ الْحَوْلِ مِنْ يَوْمِ كَمَالِهِ، هَذَا عِنْدَ جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ بِاسْتِثْنَاءِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ الَّذِي اعْتَبَرَ وُجُودَ النِّصَابِ فِي أَوَّلِ الْحَوْلِ وَآخِرِهِ، وَلَا يَضُرُّ نَقْصُهُ بَيْنَهُمَا.

۞ وَنِصَابُ الزَّكَاةِ الْوَاجِبُ فِي النُّقُودِ لِمَنْ مَلَكَ (٢٠) عِشْرِينَ دِينَارًا مِنَ الذَّهَبِ أَوْ (٢٠٠) مِائَتَيْ دِرْهَمٍ مِنَ الْفِضَّةِ؛ فَفِي الْعِشْرِينَ دِينَاراً نِصْفُ دِينَارٍ، وَفِي الْمِائَتَيْ دِرْهَمٍ خَمْسَةُ دَرَاهِمَ، وَهَذِهِ النِّسْبَةُ الْوَاجِبُ إِخْرَاجُهَا فِي الذَّهَبِ أَوِ الْفِضَّةِ هِيَ رُبْعُ الْعُشْرِ، أَيْ: رُبْعُ عُشْرِ مَا تَمْلِكُ فَائِضًا عَنْ حَاجَتِكَ الضَّرُورِيَّةِ بِشَرْطِ أَنْ يَبْلُغَ نِصَابَ الزَّكَاةِ، وَيَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، أَيْ: يَمْضِي عَلَيْهِ عَامٌ هِجْرِيٌّ، فَيُخْرِجُ زَكَاةَ مَالِهِ مِنْ كُلِّ عِشْرِينَ دِينَاراً نِصْفَ دِينَارٍ، وَعَنْ كُلِّ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ.

۞ وَمِمَّا هُوَ جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ الدِّينَارَ وَزْنُهُ مِثْقَالٌ، فَيُقَالُ لِلدِّينَارِ: مِثْقَالٌ، فَمَنْ مَلَكَ عِشْرِينَ مِثْقَالاً مِنَ الذَّهَبِ، أَيْ: عِشْرِينَ دِينَاراً، وَجَبَتْ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ، وَقَدْ قَدَّرَهُ عُلَمَاءُ عَصْرِنَا بِمَا يُعَادِلُ ٩٦ جْرَامْ ذَهَب (سِتَّةً وَتِسْعِينَ جْرَامًا ذَهَبًا) وَمَنْ كَانَ لَهُ دَيْنٌ، فَعَلَيْهِ زَكَاتُهُ إِذَا قَبَضَهُ لِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ (وَذَلِكَ عَلَىٰ أَرْجَحِ وَأَيْسَرِ الْمَذَاهِبِ).

۞ وَكَمَا تَجِبُ الزَّكَاةُ فِي النُّقُودِ، تَجِبُ كَذَلِكَ فِي أَوْرَاقِ الْبَنْكُنُوتِ وَالسَّنَدَاتِ، إِذَا بَلَغَتْ قِيمَتُهَا نِصَابَ الزَّكَاةِ، وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي عُرُوضِ التِّجَارَةِ، وَالْحُلِيِّ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

أَمَّا مَا يَخْرُجُ مِنَ الأَرْضِ مِنَ الثِّمَارِ:

۞ فَإِذَا بَلَغَتْ خَمْسَةَ أَوْسُقٍ، وَجَبَتْ فِيهَا الزَّكَاةُ، وَالْوَسَقُ سِتُّونَ صَاعـًا (٦٠)، وَالصَّاعُ أَرْبَعَةُ (٤) أَمْدَادٍ، وَالمُدُّ مَا يَمْلأُ الْكَفَّيْنِ، وَيُقَدَّرُ وَزْنُ الْمُدِّ: ١٢٨ دِرْهَمـًا (مِائَةٌ وَثَمَانٍ وَعِشْرُونَ دِرْهَمـًا وَأَرْبَعَةُ أَسْبَاعٍ) هَذَا هُوَ النِّصَابُ.

۞ أَمَّا الْقَدْرُ الْوَاجِبُ أَدَاؤُهُ، فَيَخْتَلِفُ باخْتِلَافِ سَقْيِهِ؛ فَمَا سُقِيَ بِدُونِ آلَةٍ فَفِيهِ عُشْرُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ، وَمَا سُقِيَ بِآلَةٍ، فَفِيهِ نِصْفُ عُشْرِ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ، لِمَا رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا الْعُشْرُ، وَفِيمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَلَا يُشْتَرَطُ فِي زَكَاةِ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ أَنْ يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، وَلَكِنْ يَجِبُ إِخْرَاجُ زَكَاةِ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ مِنْ وَقْتِ حَصَادِهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[1].

أَمَّا عَنْ زَكَاةِ الأَنْعَامِ:

فَتَشْمَلُ: زَكَاةَ الْغَنَمِ، وَزَكَاةَ الْإِبِلِ، وَزَكَاةَ الْبَقَرِ. وَذَلِكَ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْآتِي:

زَكَاةُ الْغَنَمِ:

۞ فِي أَرْبَعِينَ شَاةً، شَاةٌ وَاحِدَةٌ؛ فَلَا زَكَاةَ فِي الْغَنَمِ، حَتَّىٰ تَبْلُغَ أَرْبَعِينَ، وَيَحُولَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ، فَإِذَا بَلَغَتْ أَرْبَعِينَ، وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ فَفِيهَا شَاةٌ، فَإِذَا بَلَغَتْ مِائَةً وَإِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ، فَفِيهَا شَاتَانِ حَتَّىٰ تَبْلُغَ مِائَتَيْنِ، فَإِذَا بَلَغَتْ مِائَتَيْنِ وَوَاحِدَةً، فَفِيهَا ثَلَاثُ شِيَاهٍ حَتَّىٰ تَبْلُغَ ثَلَاثَمِائَةً، فَإِذَا زَادَتْ عَلَىٰ ثَلَاثِمِائَةٍ، فَفِي كُلِّ مِائَةٍ شَاةٌ.

۞ وَيُؤْخَذُ الْجَذَعُ مِنَ الضَّأْنِ، وَالثَّنِيُّ مِنَ الْمَعْزِ.

۞ وَإِذَا كَانَ نِصَابُ الْغَنَمِ كُلُّهُ ذُكُورًا، جَازَ إِخْرَاجُ الذُّكُورِ مِنَ الزَّكَاةِ. وَإِذَا كَانَ ذُكُورًا وَإِنَاثًا، جَازَ إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ مِنْ أَيِّ الصِّنْفَيْنِ (ذُكُورًا أَوْ إِنَاثًا).

أَمَّا عَنْ زَكَاةِ الإِبِلِ:

۞ فَلَا شَيْءَ فِي الْإِبِلِ حَتَّىٰ تَبْلُغَ خَمْسًا، فَإِذَا بَلَغَتْ خَمْسًا، وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ، فَفِيهَا شَاةٌ،

(١) الأنعام الآية (١٤١).

فَإِذَا بَلَغَتْ عَشْرَاً، فَفِيهَا شَاتَانِ، وَهَكَذَا كُلَّمَا زَادَتْ خَمْسَاً زَادَتْ شَاةٌ، فَإِذَا بَلَغَتْ خَمْسَاً وَعِشْرِينَ، فَفِيهَا بِنْتُ مَخَاضٍ (وَهِيَ الَّتِي لَهَا سَنَةٌ وَدَخَلَتْ فِي الثَّانِيَةِ، أَوِ ابْنُ لَبُونٍ وَهُوَ الَّذِي لَهُ سَنَتَانِ، وَدَخَلَ فِي الثَّالِثَةِ)، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ فَفِيهَا ابْنَةُ لَبُونٍ، وَفِي سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ حِقَّةٌ (وَهِيَ الَّتِي لَهَا ثَلَاثُ سِنِينَ، وَدَخَلَتْ فِي الرَّابِعَةِ)، وَفِي إِحْدَىٰ وَسِتِّينَ جَذَعَةٌ (وَهِيَ الَّتِي لَهَا أَرْبَعُ سِنِينَ وَدَخَلَتْ فِي الْخَامِسَةِ)، وَفِي سِتٍّ وَسَبْعِينَ بِنْتَا لَبُونٍ، وَفِي إِحْدَىٰ وَتِسْعِينَ حِقَّتَانِ إِلَىٰ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ، فَإِذَا زَادَتْ، فَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ ابْنَةُ لَبُونٍ، وَفِي كُلِّ خَمْسِينَ حِقَّةٌ.

۞ فَإِذَا تَبَايَنَ أَسْنَانُ الْإِبِلِ فِي فَرَائِضِ الصَّدَقَاتِ، فَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ الْجَذَعَةِ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ جَذَعَةٌ، وَعِنْدَهُ حِقَّةٌ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنْهُ، وَيَجْعَلُ مَعَهَا شَاتَيْنِ، إِنْ تَيَسَّرَتَا لَهُ أَوْ عِشْرِينَ دِرْهَمَاً.

۞ وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ الْحِقَّةِ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ إِلَّا جَذَعَةٌ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنْهُ، وَيُعْطِيهِ الْمُتَصَدِّقُ عِشْرِينَ دِرْهَمَاً أَوْ شَاتَيْنِ.

۞ وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ الْحِقَّةِ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ، وَعِنْدَهُ ابْنَةُ لَبُونٍ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنْهُ، وَيَجْعَلُ مَعَهَا شَاتَيْنِ إِنْ تَيَسَّرَتَا لَهُ أَوْ عِشْرِينَ دِرْهَمَاً.

۞ وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ ابْنَةِ لَبُونٍ وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ إِلَّا حُقَّةٌ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ وَيُعْطِيهِ الْمُتَصَدِّقُ عِشْرِينَ دِرْهَمَاً أَوْ شَاتَيْنِ.

۞ وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ ابْنَةِ لَبُونٍ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ ابْنَةُ لَبُونٍ، وَعِنْدَهُ ابْنَةُ مَخَاضٍ، فَإِنَّهَا تُقْبَلُ مِنْهُ، وَيَجْعَلُ مَعَهَا شَاتَيْنِ، إِنْ تَيَسَّرَتَا لَهُ أَوْ عِشْرِينَ دِرْهَمَاً.

۞ وَمَنْ بَلَغَتْ عِنْدَهُ صَدَقَةُ ابْنَةِ مَخَاضٍ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا ابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٍ، فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْهُ وَلَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ.

۞ وَمَنْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ إِلَّا أَرْبَعَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، فَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا. وَهَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.

أَمَّا عَنْ زَكَاةِ الْبَقَرِ:

۞ فَلَا شَيْءَ فِيهَا حَتَّىٰ تَبْلُغَ ثَلَاثِينَ، فَإِذَا بَلَغَتْ ثَلَاثِينَ، وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ، فَفِيهَا تَبِيعٌ أَوْ

تَبيعَةٌ (وَهُوَ مَا لَهُ سَنَةٌ)، وَلَا شَيْءَ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ حَتَّىٰ تَبْلُغَ أَرْبَعِينَ، فَإِذَا بَلَغَتْ أَرْبَعِينَ، فَفِيهَا مُسِنَّةٌ (وَهِيَ مَا لَهَا سَنَتَانِ)، وَلَا شَيْءَ فِيهَا حَتَّىٰ تَبْلُغَ سِتِّينَ، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتِّينَ، فَفِيهَا تَبِيعَانِ.

۞ وَفِي السَّبْعِينَ مُسِنَّةٌ وَتَبِيعٌ، وَفِي الثَّمَانِينَ مُسِنَّتَانِ، وَفِي التِّسْعِينَ ثَلَاثُةُ أَتْبَاعٍ، وَفِي الْمِائَةِ مُسِنَّةٌ وَتَبِيعَانِ، وَفِي الْعَشْرَةِ وَالْمِائَةِ مُسِنَّتَانِ وَتَبِيعٌ، وَفِي الْعِشْرِينَ وَالْمِائَةِ ثَلَاثُ مُسِنَّاتٍ، أَوْ أَرْبَعَةُ أَتْبَاعٍ، وَهَكَذَا مَا زَادَ، فَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ تَبِيعٌ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مُسِنَّةٌ.

وَمِمَّا هُوَ جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ:

۞ أَنَّ الْأَنْعَامَ الَّتِي يَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ هِيَ الَّتِي تَرْعَىٰ مِنَ الْكَلَإِ الْمُبَاحِ فِي أَكْثَرِ الْعَامِ، وَهَذَا مَا أَخَذَ بِهِ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ، باسْتِثْنَاءِ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَالْإِمَامِ اللَّيْثِ رضي الله عنهما، فَقَالَا: إِنَّ الزَّكَاةَ وَاجِبَةٌ فِي السَّائِمَةِ وَالْمَعْلُوفَةِ، أَيْ: فِي الْمَوَاشِي مُطْلَقًا.

وَهُنَاكَ سُؤَالٌ، وَهُوَ: مَا الْحُكْمُ إِذَا لَمْ تَفِ الزَّكَاةُ بِسَدِّ حَاجَةِ الْفُقَرَاءِ؟

۞ إِذَا لَمْ تَفِ الزَّكَاةُ بِسَدِّ حَاجَةِ الْفُقَرَاءِ، أُخِذَ مِنْ أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ بِقَدْرِ مَا يَفِي بِسَدِّ حَاجَةِ الْفُقَرَاءِ، فَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِي الْمَالِ حَقٌّ سِوَىٰ الزَّكَاةِ**»، ثُمَّ تَلَا ﷺ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾[1]. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وابْنُ مَاجَه)

۞ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعْدَ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾، قَالَ: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2]، فَصَارَ لَهُمْ حَقُّ الزَّكَاةِ، فَإِذَا لَمْ تَفِ، فَتُسَدُّ حَاجَتُهُمْ مِمَّا رَغَّبَهُمْ فِيهِ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ إِيتَاءِ الْمَالِ عَلَىٰ حُبِّهِ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاهُمْ، وَلِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ أَوْ سَادِسٍ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لَا زَادَ لَهُ**»، فَذَكَرَ رَسُولُ

(١) البقرة الآية (١٧٧). (٢) البقرة الآية (١٧٧).

اللهِ ﷺ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الْفَضْلِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ)

۞ فَهَذِهِ صِفَاتُ أَهْلِ الْبِرِّ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَجَعَلَهَا عَلَامَةً عَلَىٰ صِدْقِ إِيمَانِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(١).

۞ وَعَلَىٰ هَذَا كَانَ عَمَلُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهُ قَالَ: «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، لَأَخَذْتُ مِنْ فُضُولِ أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ، فَقَسَّمْتُهَا عَلَىٰ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ**».

۞ وَقَدْ أَشَادَ النَّبِيُّ ﷺ بِصَنِيعِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ رضي الله عنه، حِينَ اشْتَرَىٰ رضي الله عنه بِئْرَ رُومَةَ مِنَ الْيَهُودِيِّ الَّذِي احْتَبَسَهَا، وَجَعَلَهَا رضي الله عنه سِقَايَةً لِلنَّاسِ، فَبَشَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَرَوَىٰ ابْنُ شَيْبَةَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: «**أَدْرَكْتُ زَمَنَ عُثْمَانَ، وَمَا مِنْ نَفْسٍ مُسْلِمَةٍ إِلَّا وَلَهَا فِي مَالِ اللهِ حَقٌّ**»، يَعْنِي: بَيْتَ الْمَالِ.

٤) أما عن فريضة الحج:

۞ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَرَضَهُ عَلَىٰ الْمُسْتَطِيعِ الْقَادِرِ عَلَىٰ أَدَائِهِ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(٢). وَجَعَلَهَا عَزَّ وَجَلَّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمْرِ كُلِّهِ، وَمَنْ زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ بَابِ التَّطَوُّعِ الَّذِي يُؤْجَرُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ عِنْدَ اللهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**يَأَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا**»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ ﷺ، حَتَّىٰ قَالَهَا ثَلَاثًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ.**

(١) البقرة الآية (١٧٧).
(٢) آل عمران الآية (٩٧).

لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ، فَأْتُوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

❁❁❁❁❁

۞ هَذِهِ الْفَرَائِضُ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْنَا، نَرَىٰ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُكَلِّفُنَا فِيهَا بِالْيَسِيرِ، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا الْجَزِيلَ، وَهِيَ أَفْضَلُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَأَحَبُّ الْقُرُبَاتِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْ زَادَ عَلَيْهَا بِالنَّوَافِلِ، ازْدَادَ مِنَ اللهِ حُبًّا وَقُرْبًا.

۞ وَمِنْ عَلَامَةِ حُبِّ اللهِ تَعَالَىٰ، غَيْرَتُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ أَهْلِ مَحَبَّتِهِ، الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِأَوْلِيَائِهِ؛ لِأَنَّهُمْ وَالُوهُ بِحُسْنِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، فَوَالَاهُمْ بِجَمِيلِ الْقُبُولِ مِنْهُ.

۞ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَمَعْنَىٰ: «فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»، أَيْ: أَعْلَمْتُهُ أَنَّنِي مُحَارِبٌ لَهُ. وَمَعْنَىٰ: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ...»، أَيْ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَصْطَفِي هَذَا الْعَبْدَ بِمَحَبَّتِهِ وَقُرْبِهِ، وَيَرْفَعُ الْحِجَابَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَيَكُونُ فِي مَعِيَّةِ اللهِ وَاللهُ تَعَالَىٰ مَعَهُ، فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا حَقًّا، وَلَا يَرَىٰ إِلَّا حَقًّا، وَلَا يَبْطِشُ بِيدِهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّهِ، وَلَا يَخْطُو خُطْوَةً إِلَّا فِيمَا رَغَّبَهُ فِيهِ رَبُّهُ، وَبِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللهِ إِنْ سَأَلَهُ عَطَاءً أَعْطَاهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَ بِهِ أَعَاذَهُ؛ لِأَنَّهُ دَخَلَ فِي مَعِيَّتِهِ، وَصَارَ فِي حِصْنِ عِنَايَتِهِ وَوِلَايَتِهِ، الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

---

(١) يونس الآيات (٦٢-٦٤).


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
صدق الله العظيم
سورة النور
الآية: ٥٦

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ فِي بِنَاءِ الْأُسْرَةِ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(١).

۞ وَحِينَ نَتَأَمَّلُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، نَرَىٰ أَنَّ الْبَشَرِيَّةَ كُلَّهَا فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ، إِنَّمَا نَشَأَتْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ؛ هِيَ آدَمُ عليه السلام، وَزَوْجَتُهُ حَوَّاءُ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ مِنَ الضِّلْعِ الْأَيْسَرِ لِآدَمَ، إِذْ بِزَوَاجِهِمَا أَنِسَ إِلَيْهَا وَأَنِسَتْ إِلَيْهِ، وَمِنْ هُنَا كَانَ الزَّوَاجُ مِنْ بَعْدِهِمَا سُنَّةً مِنْ سُنَنِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ عَلَيْهَا بَنِي آدَمَ، وَقَدِ افْتَتَحَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾، ثُمَّ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ تَنْبِيهًا لَنَا بِتَقْوَىٰ اللهِ فِي أَنْفُسِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَبْنَائِنَا وَإِخْوَانِنَا وَسَائِرِ أَرْحَامِنَا، وَلَمَّا كَانَ الزَّوَاجُ هُوَ مِفْتَاحَ هَذِهِ الرَّوَابِطِ كُلِّهَا الَّتِي بِهَا تَتَحَقَّقُ حِكْمَةُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي اسْتِخْلَافِنَا فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، أَلَا وَهِيَ عِمَارَتُهَا وَعِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مِنْ أَجْلِ هَذَا بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ الْكِرَامَ، وَخَتَمَهُمْ بِرِسَالَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم؛ لِيَصُونَ صلى الله عليه وسلم بِشَرِيعَتِهِ السَّمْحَاءِ هَذِهِ الرَّابِطَةَ الْقُدْسِيَّةَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، أَلَا وَهِيَ رَابِطَةُ الزَّوَاجِ، الَّذِي رَغَّبَ فِيهِ، وَسَمَّاهُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْمِيثَاقِ الْغَلِيظِ، وَكَرَّهَ فِيهِ الْمَسَاسَ بِنَقْضِهِ، وَهَدْمِهِ بِالطَّلَاقِ، إِلَّا لِحَاجَةٍ وَضَرُورَةٍ وَذَلِكَ عَلَىٰ التَّفْصِيلِ الْآتِي:

(١) فَفِي الزَّوَاجِ:

۞ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢)، فَالزَّوَاجُ فِيهِ ثَلَاثُ نِعَمٍ: السَّكِينَةُ وَالْمودَّةُ وَالرَّحْمَةُ.

۞ وَلَمَّا كَانَتِ النِّعْمَةُ لَابُدَّ وَأَنْ تُقَابَلَ بِالشُّكْرِ، لِذَلِكَ أَمَرَنَا الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا،

---

(١) النساء الآية (١). (٢) الروم الآية (٢١).

فَفَرَضَ حُقُوقًا لِكُلٍّ مِنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ، وَأَوَّلُ هَذِهِ الْحُقُوقِ، هُوَ مَا فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الزَّوْجِ لِزَوْجَتِهِ مِنَ الصَّدَاقِ (**الْمَهْرِ**)، وَذَلِكَ بِمَا سَتُحِلُّهُ مِنْهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[1].

۞ كَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ الزَّوْجَ بِمُعَاشَرَةِ زَوْجَتِهِ بِالْمَعْرُوفِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2]، وَالْمَعْرُوفُ هُوَ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَمُلَاطَفَةُ الزَّوْجَةِ، وَطِيبُ الْكَلَامِ، قَالَ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

هَذَا مَا تُحِبُّهُ الزَّوْجَةُ مِنْ زَوْجِهَا، وَهُوَ يُحِبُّ كَذَلِكَ أَنْ يَرَىٰ مِنْهَا حُسْنَ الْخُلُقِ، وَطَلَاقَةَ الْوَجْهِ، وَطَاعَتَهَا لَهُ، وَطِيبَ الْكَلَامِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3].

۞ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ نَفَقَةَ الزَّوْجَةِ أَمْرًا وَاجِبًا عَلَىٰ الزَّوْجِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾[4]، وَجَعَلَ عَزَّوَجَلَّ طَاعَةَ الزَّوْجَةِ، وَحِفْظَهَا لِزَوْجِهَا فِي غَيْبَتِهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، أَمْرًا وَاجِبًا عَلَىٰ الزَّوْجَةِ نَحْوَ زَوْجِهَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[5]، فَهَذِهِ هِيَ أَوْصَافُ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ: ﴿قَـٰنِتَـٰتٌ﴾، أَيْ: مُطِيعَاتٌ لِأَزْوَاجِهِنَّ، ﴿حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[6]، أَيْ: حَافِظَاتٌ لِأَزْوَاجِهِنَّ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ.

۞ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الزَّوَاجِ بِاخْتِيَارِ الْمَرْأَةِ ذَاتِ الدِّينِ، فَقَالَ ﷺ: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَذَاتُ الدِّينِ هِيَ الَّتِي تُطِيعُ زَوْجَهَا، وَلَا تَتَرَفَّعُ عَلَيْهِ، وَتُؤَدِّي فَرْضَهَا، وَتُوصِيهِ بِالْكَسْبِ الْحَلَالِ، فَلَقَدْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِ تُوصِي زَوْجَهَا حِينَ يَخْرُجُ مِنْ يَوْمِهِ لِلسَّعْيِ عَلَىٰ الْمَعَاشِ، وَتَقُولُ لَهُ: «**اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَىٰ الْجُوعِ، وَلَا نَصْبِرُ عَلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ**».

---

(١) النساء الآية (٤).
(٢) النساء الآية (١٩).
(٣) البقرة الآية (٢٢٨).
(٤) النساء الآية (٣٤).
(٥) النساء الآية (٣٤).
(٦) النساء الآية (٣٤).

۞ **وَمِنَ الطَّاعَةِ الْوَاجِبَةِ عَلَىٰ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا:** أَنْ تَأْتِيَ فِرَاشَهُ مَتَىٰ دَعَاهَا إِلَيْهِ، فَإِنْ أَبَتْ لَعَنَتْهَا الْملَائِكَةُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَأَبَتْ عَلَيْهِ، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَهَذِهِ تُسَمَّىٰ عِنْدَ اللهِ (**نَاشِزاً**)، وَقَدْ شَرَعَ اللهُ لِتَأْدِيبِهَا هَذِهِ الْوَسَائِلَ عَلَىٰ التَّرْتِيبِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾[1]، فَعَلَىٰ الزَّوْجِ الْمَوْعِظَةُ أَوَّلاً لِزَوْجَتِهِ، فَإِنْ أَبَتْ هَجَرَهَا فِي مَضْجَعِهَا، وَيَكُونُ هَجْرُهُ لَهَا فِي الْبَيْتِ، فَإِنْ أَبَتْ ضَرَبَهَا ضَرْبَاً غَيْرَ مُبَرِّح، أَيْ: غَيْرَ شَاقٍّ، فَلَا يُحْدِثُ بِهَا ضَرَراً، وَلَا يَضْرِبُ الْوَجْهَ، وَلَا يَقُولُ لَهَا: قَبَّحَكِ اللهُ، فَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَىٰ زَوْجِهَا، فَقَالَ ﷺ: «**تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاوُدَ)

۞ وَبَعْدَ هَذِهِ الْوَسَائِلِ الَّتِي شَرَعَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي تَأْدِيبِ الزَّوْجَةِ، وَبَيَّنَهَا لَنَا رَسُولُ الله ﷺ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[2]، أَيْ: فَإِذَا أَطَاعَتِ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي جَمِيعِ مَا يُرِيدُ مِنْهَا، مِمَّا أَبَاحَهُ اللهُ لَهُ مِنْهَا، فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ لَهُ ضَرْبُهَا وَلَا هُجْرَانُهَا، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[3]، إِنْذَارٌ لِلرِّجَالِ وَتَهْدِيدٌ لَهُمْ إِذَا بَغَوْا عَلَىٰ النِّسَاءِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، فَإِنَّ اللهَ الْعَلِيَّ الْكَبِيرَ وَلِيُّهُنَّ، وَهُوَ يَنْتَقِمُ لَهُنَّ مِمَّنْ ظَلَمَهُنَّ وَبَغَىٰ عَلَيْهِنَّ. (تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)

۞ فَقَدْ أَوْصَىٰ رَسُولُ الله ﷺ بالنِّسَاءِ خَيْراً، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اِسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْرَاً؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ أَعْوَجَ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَفِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بَيَّنَ رَسُولُ الله ﷺ مَا لِلرِّجَالِ وَمَا لِلنِّسَاءِ مِنْ حُقُوقٍ، وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ وَاجِبَاتٍ، فَقَالَ ﷺ: «**أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ حَقَّاً، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقَّاً، فَحَقُّكُمْ**

(١) النساء الآية (٣٤). (٢) النساء الآية (٣٤). (٣) النساء الآية (٣٤).

عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ، أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵄، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَمَتَىٰ سَادَتِ الْمُعَاشَرَةُ بِالْمَعْرُوفِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، سَادَتِ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ بَيْنَهُمَا فِي الْبَيْتِ؛ مِنَ السَّكِينَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَوَدَّةِ، وَصَارَا مَعًا قُدْوَةً حَسَنَةً لِرَعِيَّتِهِمْ مِنَ الْأَبْنَاءِ؛ لِمَا يَرَوْنَهُ فِي الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ مِنْ حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

۞۞۞۞۞

(٢) أما عن الطلاق:

۞ فَإِنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الرَّابِطَةَ الزَّوْجِيَّةَ رَابِطَةٌ مُقَدَّسَةٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي شَأْنِهِ: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[١]، أَيْ: عَهْدًا مُوَثَّقًا، لَا يَنْبَغِي الْإِخْلَالُ بِهِ، لِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللهِ الطَّلَاقُ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه)

۞ فَالزَّوَاجُ شُرِعَ؛ لِإِقَامَةِ أُسْرَةٍ عَلَىٰ سَبِيلِ الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ، وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُفْسِدَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَحَكَمَ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ بِفِعْلِهِ هَذَا صَارَ خَارِجًا عَلَىٰ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ، حَيْثُ يَقُولُ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَىٰ زَوْجِهَا». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ)

وَمَعْنَىٰ (خَبَّبَ)، أَيْ: أَفْسَدَ.

۞ وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْأَلَ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا، فَعَنْ ثَوْبَانَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ)

---

(١) النساء الآية (٢١).

۞ فَالطَّلَاقُ رُخْصَةٌ لَا يَنْبَغِي اللُّجُوءُ إِلَيْهَا إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ، لِذَلِكَ كَانَتْ لِلطَّلَاقِ أَحْكَامُهُ، فَقَدْ يَكُونُ وَاجِبًا، وَقَدْ يَكُونُ مُحَرَّمًا، وَقَدْ يَكُونُ مُبَاحًا، وَقَدْ يَكُونُ مَنْدُوبًا إِلَيْهِ، **عَلَىٰ التَّفْصِيلِ الْآتِي:**

١) الطَّلَاقُ الْوَاجِبُ:

۞ هُوَ طَلَاقُ الْحَكَمَيْنِ فِي الشِّقَاقِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[1].

۞ وَطَلَاقُ الْمُولِي بِسَبَبِ الْإِيلَاءِ، وَهُوَ الَّذِي يَحْلِفُ أَلَّا يَقْرَبَ امْرَأَتَهُ مُدَّةً، وَقَدْ قَيَّدَتِ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ هَذِهِ الْمُدَّةَ بِحَدٍّ أَقْصَىٰ هُوَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، فَإِنْ زَادَتْ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَلِلزَّوْجَةِ مُطَالَبَةُ الزَّوْجِ عِنْدَ انْقِضَاءِ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، إِمَّا أَنْ يَفِيءَ (أَيْ: يُجَامِعَ)، وَإِمَّا أَنْ يُطَلِّقَ، وَالْحَاكِمُ عَلَيْهِ أَنْ يُجْبِرَهُ عَلَىٰ هَذَا أَوْ هَذَا؛ لِئَلَّا يَضُرَّ بِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

٢) الطَّلَاقُ الْمُحَرَّمُ:

۞ فَهُوَ الطَّلَاقُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا كَانَ حَرَامًا؛ لِأَنَّهُ ضَرَرٌ بِنَفْسِ الزَّوْجِ، وَضَرَرٌ بِزَوْجَتِهِ، وَإِعْدَامٌ لِلْمَصْلَحَةِ الْحَاصِلَةِ لَهُمَا، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَيْهِ، فَكَانَ حَرَامًا، حُرْمَتُهُ كَحُرْمَةِ إِتْلَافِ الْمَالِ، قَالَ ﷺ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**» (رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ وَأَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَه)

٣) الطَّلَاقُ الْمُبَاحُ:

۞ وَهُوَ مَا كَانَ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ؛ لِسُوءِ خُلُقِ الْمَرْأَةِ، وَسُوءِ عِشْرَتِهَا، وَالتَّضَرُّرِ بِهَا مِنْ غَيْرِ حُصُولِ الْغَرَضِ مِنْهَا.

٤) الطَّلَاقُ الْمَنْدُوبُ:

۞ فَهُوَ الطَّلَاقُ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْمَرْأَةِ فِي حُقُوقِ اللهِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهَا؛ مِثْلِ الصَّلَاةِ

(١) النساء الآية (٣٥). (٢) البقرة الآيتان (٢٢٦، ٢٢٧).

وَنَحْوِهَا، وَلَا يُمْكِنُهُ إِجْبَارُهَا عَلَيْهَا، أَوْ تَكُونُ غَيْرَ عَفِيفَةٍ.

السُّنَّةُ فِي الطَّلَاقِ:

۞ هُوَ أَنْ يُطَلِّقَ الزَّوْجُ امْرَأَتَهُ الْمَدْخُولَ بِهَا، فِي طُهْرٍ لَمْ يَمَسَّهَا فِيهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[1]، فَالْمَشْرُوعُ فِي الطَّلَاقِ أَنْ يَكُونَ مَرَّةً يَعْقُبُهَا رَجْعَةٌ، ثُمَّ مَرَّةً ثَانِيَةً يَعْقُبُهَا رَجْعَةٌ كَذَلِكَ.

۞ وَبَعْدَ ذَلِكَ فَلِلْمُطَلِّقِ الْخِيَارُ بَيْنَ أَنْ يُمْسِكَهَا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ يُفَارِقَهَا بِإِحْسَانٍ، وَالْمَشْرُوعُ كَذَلِكَ فِي الطَّلَاقِ أَنْ يُطَلِّقَهَا فِي طُهْرٍ لَمْ يَمَسَّهَا فِيهِ، حَتَّىٰ تَسْتَقْبِلَ عِدَّتَهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[2].

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ وَهِيَ حَائِضٌ تَطْلِيقَةً، فَأَتَىٰ أَبُوهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَذَكَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: «**مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيُطَلِّقْهَا إِذَا طَهُرَتْ، أَوْ وَهِيَ حَامِلٌ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ)

۞ وَالْحِكْمَةُ مِنْ تَطْلِيقِهَا فِي طُهْرٍ لَمْ يَمَسَّهَا فِيهِ؛ حَتَّىٰ لَا تَطُولَ عَلَيْهَا الْمُدَّةُ إِنْ طَلَّقَهَا وَهِيَ حَائِضٌ أَوْ نُفَسَاءُ؛ لِأَنَّهَا تَصِيرُ مُضْطَرَّةً إِلَىٰ انْقِضَاءِ مُدَّةِ الْحَيْضِ أَوِ النِّفَاسِ، ثُمَّ تَبْدَأُ عِدَّتَهَا بَعْدَ أَنْ تَطْهُرَ، فَرَفْعًا لِلضَّرَرِ عَنْهَا، فَالطَّلَاقُ فِي ظِلِّ الشَّرِيعَةِ السَّمْحَاءِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي طُهْرٍ، وَيُشْتَرَطُ كَذَلِكَ أَلَّا يُجَامِعَهَا فِي هَذَا الطُّهْرِ؛ لِأَنَّهَا رُبَّمَا تَحْمِلُ، فَلَا تَدْرِي بِمَ تَعْتَدُّ، أَتَعْتَدُّ بِالْأَقْرَاءِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾[3]، أَيْ: ثَلَاثَ حَيْضَاتٍ، أَمْ تَعْتَدُّ بِوَضْعِ الْحَمْلِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾[4]. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِمَّنْ يَحِيضُ، وَلَمْ تَكُنْ حَامِلاً مِثْلُ الْيَائِسَةِ مِنَ الْمَحِيضِ، وَالصَّغِيرَةِ الَّتِي لَا تَحِيضُ، فَعِدَّتُهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾[5].

---

(١) البقرة الآية (٢٢٩).
(٢) الطلاق الآية (١).
(٣) البقرة الآية (٢٢٨).
(٤) الطلاق الآية (٤).
(٥) الطلاق الآية (٤).

۞ وَقَدْ وَعَدَ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ يَتَّقِ اللهَ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ وَنَهَاهُ بِتَيْسِيرِ أَمْرِهِ، بِأَنْ يَجْعَلَ لَهُ فَرَجًا قَرِيبًا، وَمَخْرَجًا عَاجِلًا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾(١).

۞ أَمَّا عِدَّةُ الْمُتَوَفَّىٰ عَنْهَا زَوْجُهَا فَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةُ أَيَّامٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾(٢)، فَإِنْ كَانَتِ الْمُتَوَفَّىٰ عَنْهَا زَوْجُهَا حَامِلًا، فَإِنَّهَا تَعْتَدُّ بِوَضْعِ الْحَمْلِ، لِقَولِ النَّبِي ﷺ لِسُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ الَّتِي تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَهِيَ حَامِلٌ، وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ بِلَيَالٍ، قَالَ ﷺ لَهَا: «**قَدْ حَلَلْتِ حِينَ وَضَعْتِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ فَمَتَىٰ وَضَعَتْ حَمْلَهَا قَبْلَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرةِ أَيَّامٍ، فَيَكْفِيهَا فِي عِدَّتِهَا وَضْعُ حَمْلِهَا. وَهَذَا أَيْضًا مِنْ بَابِ الْيُسْرِ الَّذِي اتَّصَفَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ، إِذْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ عِدَّةِ الْمَرْأَةِ عَامَّةً هُوَ بَرَاءَةُ الرَّحِمِ مِنَ الْحَمْلِ، وَالْمُتَوَفَّىٰ عَنْهَا زَوْجُهَا وَضْعُهَا لِحَمْلِهَا بَرَاءَةٌ لِرَحِمِهَا مِنَ الْحَمْلِ، اَلْأَمْرُ الَّذِي يَقْتَضِي انْتِهَاءَ عِدَّتِهَا، وَهَذَا هُوَ مَا اخْتَارَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ لِسُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ، وَسَارَتْ نِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَعْدِهَا عَلَىٰ هَدْيِهِ ﷺ.

الْمَعْرُوفُ وَالإِحْسَانُ فِي الطَّلَاقِ:

۞ الْمَعْرُوفُ هُوَ سِمَةُ الشَّرِيعَةِ السَّمْحَاءِ، الَّذِي تَحَلَّىٰ بِهِ أَهْلُهَا فِي كُلِّ شُئُونِ حَيَاتِهِمْ، فَكَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ الْأَزْوَاجَ بِالْمُعَاشَرَةِ بِالْمَعْرُوفِ، فَقَدْ أَمَرَهُمْ كَذَلِكَ بِالْمَعْرُوفِ فِي الطَّلَاقِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣).

۞ فَالْمُطَلَّقَةُ طَلَاقًا رَجْعِيًّا، لَهَا فِي عِدَّتِهَا النَّفَقَةُ وَالسُّكْنَىٰ؛ لِأَنَّهَا وَهِيَ فِي عِدَّتِهَا لَازَالَتْ زَوْجَتَهُ حُكْمًا، وَلِمُطَلِّقِهَا أَنْ يُرَاجِعَهَا وَهِيَ فِي عِدَّتِهَا، وَالزَّوْجَةُ لَهَا النَّفَقَةُ فِي عِدَّتِهَا وَكَذَلِكَ السُّكْنَىٰ.

۞ فَإِذَا مَضَتْ مُدَّةُ الْعِدَّةِ بَانَتْ مِنْهُ بَعْدَ عِدَّةِ الطَّلْقَةِ الْأُولَىٰ وَالثَّانِيَةِ بَيْنُونَةً صُغْرَىٰ، فَلَا تَحِلُّ لِزَوْجِهَا إِلَّا بِمَهْرٍ وَعَقْدٍ جَدِيدَيْنِ؛ أَمَّا الْمُطَلَّقَةُ ثَلَاثًا، فَلَهَا فِي عِدَّتِهَا السُّكْنَىٰ، وَلَا نَفَقَةَ لَهَا؛

(١) الطلاق الآية (٤). (٢) البقرة الآية (٢٣٤). (٣) البقرة الآية (٢٤١).

لِأَنَّهَا بِطَلَاقِهَا فِي الطَّلْقَةِ الثَّالِثَةِ صَارَتْ مَبْتُوتَةً، لِقَوْلِ النَّبِي ﷺ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ حِينَ طَلَّقَهَا زَوْجُهَا الْبَتَّةَ: «لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

إِلَّا أَنْ تَكُونَ حَامِلاً، فَيُنْفِقَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ تَضَعَ حَمْلَهَا؛ لِأَنَّهَا تَعْتَدُّ بِوَضْعِ الْحَمْلِ.

هَذَا كُلُّهُ فِي الْمَدْخُولِ بِهَا، وَكَذَلِكَ غَيْرُ الْمَدْخُولِ بِهَا، أَيْ: الْمُطَلَقَّةِ قَبْلَ مَسِيسِهَا تَجِبُ لَهَا الْمُتْعَةُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وَهَذَا مِنْ بَابِ الْإِحْسَانِ، وَقَدْ فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ وَأَبِي أُسَيْدٍ قَالَا: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُمَيْمَةَ بِنْتَ شُرَاحِيلَ، فَلَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ، بَسَطَ ﷺ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَكَأَنَّمَا كَرِهَتْ ذَلِكَ، فَأَمَرَ ﷺ أَبَا أُسَيْداً أَنْ يُجَهِّزَهَا وَيَكْسُوَهَا ثَوْبَيْنِ رَازِقِيَّيْنِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

فَالْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْمُطَلَّقَةِ وَاجِبٌ حَتَّىٰ وَلَوْ لَمْ يُدْخَلْ بِهَا، كَمَا هُوَ فِي الْمَدْخُولِ بِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾[2].

وَهُنَاكَ وَجْهٌ آخَرُ مِنْ أَوْجُهِ الْإِحْسَانِ فِي الْمُطَلَّقَةِ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا، وَهُوَ إِحْسَانٌ مِنَ الزَّوْجَةِ الْمُطَلَّقَةِ لِزَوْجِهَا؛ فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمُطَلَّقَةَ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا لَهَا نِصْفُ الْمَهْرِ، وَلَهَا أَنْ تَعْفُوَ زَوْجَهَا مِنْ نِصْفِ الْمَهْرِ، أَوْ يَعْفُ وَلِيُّهَا وَهُوَ أَبُوهَا وَأَخُوهَا الَّذِي بَاشَرَ عَقْدَ الزَّوَاجِ، فَلَا تُنْكَحُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَلَهُ أَنْ يَعْفُوَ، وَقَدْ رَغَّبَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْعَفْوِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3].

وَوَجهُ التَّرْغِيبِ فِي الْعَفْوِ هُنَا هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، أَيْ: الْإِحْسَانَ فَاعْمَلُوا بِهِ وَلَا تُهْمِلُوهُ. (تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)

❁❁❁❁❁

(١) البقرة الآية (٢٣٦). (٢) البقرة الآية (٢٢٩). (٣) البقرة الآية (٢٣٧).

الْعَدْلُ وَالإِحْسَانُ فِي مُعَامَلَةِ الأَبْنَاءِ:

۞ وَالأَبْنَاءُ سَوَاءٌ كَانُوا بَنِينَ أَوْبَنَاتٍ، هُمْ ثَمَرَةُ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ، وَقَدْ فَرَضَتْ لَهُمُ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ حُقُوقًا نَحْوَ آبَائِهِمْ، بِمَا يَضْمَنُ لَهُمْ حَيَاةً طَيِّبَةً كَرِيمَةً، يَكُونُ بِهَا صَلَاحُ أَمْرِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَذَلِكَ عَلَىٰ النَّحْوِ الْآتِي:

١) النَّفَقَةُ:

۞ وَهِيَ حَقٌّ لِلْأَبْنَاءِ وَالْأَهْلِ عَلَىٰ رَبِّ الْأُسْرَةِ؛ لِأَنَّهُ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ فَإِنْ ضَيَّعَ الرَّجُلُ مَنْ يَعُولُ مِنَ الْأَبْنَاءِ وَالْأَهْلِ كَانَ آثِمًا أَشَدَّ الإِثْم، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**»، أَيْ: مَنْ يَعُولُ. (حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمْ)

۞ وَأَعْظَمُ الْأَجْرِ فِي النَّفَقَةِ مَا أَنْفَقَهُ الرَّجُلُ عَلَىٰ مَنْ يَعُولُ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، فَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ عِيَالِهِ**»، ثُمَّ ذَكَرَ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ: «**وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَىٰ مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَىٰ أَهْلِكَ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ: «**وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

«**فِي امْرَأَتِكَ**»: أَيْ: حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُهُ فِي «**فَمِ امْرَأَتِكَ**».

٢) الْعِنَايَةُ بِتَعْلِيمِ الأَبْنَاءِ الصَّلَاةَ، وَالأَدَبَ الْجَيِّدَ، وَاخْتِيَارُ الاسْمِ الْحَسَنِ:

۞ عَلَىٰ الْأَبِ أَنْ يُعَلِّمَ أَوْلَادَهُ الصَّلَاةَ وَطَاعَةَ اللهِ، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ)

۞ كَذَلِكَ عَلَيْهِ أَنْ يُعَلِّمَهُ طَاعَةَ اللهِ بِأَنْ يُحْسِنَ أَدَبَهُ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ حَقِّ الْوَلَدِ عَلَىٰ الْوَالِدِ أَنْ يُحْسِنَ أَدَبَهُ وَيُحْسِنَ اسْمَهُ». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ)

۞ وَعَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَىٰ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَاً مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

وَمَعْنَىٰ: (مَا نَحَلَ)، أَيْ: مَا أَعْطَىٰ، (مِنْ نَحْلٍ)، أَيْ: مِنْ عَطَاءٍ.

۞ وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَتَسَمَّىٰ الْوَلَدُ باسْمٍ قَبِيحٍ أَوْ فِيهِ تَزْكِيَةٌ لِلنَّفْسِ، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ؛ فَحَسِّنُوا أَسْمَاءَكُمْ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُغَيِّرُ الِاسْمَ الْقَبِيحَ. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ كَانَ اسْمُهَا (بَرَّةَ)، فَقِيلَ: تُزَكِّي نَفْسَهَا، فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «زَيْنَبَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

۞ ونَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَنْ يَتَسَمَّىٰ أَحَدٌ بمَلِكِ الْأَمْلَاكِ، أَوْ شَاهِنْشَاهْ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ، رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ».

وَمَعْنَىٰ: «أَخْنَع»، أَيْ: أَوْضَعُ، مِنَ الشَّيْءِ الْوَضِيعِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

۞ أَمَّا عَنْ أَحَبِّ الْأَسْمَاءِ، فَهِيَ: «عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»، لِما رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ: عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ».

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ وأَبُو دَاوُدَ)

۞ وَمَا رَوَاهُ أَبُو وَهْبٍ الْجُشَمِيُّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ،

وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَىٰ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ)

٣) الرَّحْمَةُ وَالعَدْلُ بَيْنَ الأَوْلادِ:

الرَّحْمَةُ هِيَ خُلُقُ الرَّءُوفِ الرَّحِيمِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﷺ، وَالْأَهْلُ وَالْأَبْنَاءُ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ رَأَىٰ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُ وَلَدَهُ الْحَسَنَ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِداً مِنْهُمْ، فَقَالَ ﷺ: **«مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»**. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ ﷺ: **«هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»**. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

أَمَّا عَنْ حُبِّهِ ﷺ لِفَاطِمَةَ رضي الله عنها، فَيَقُولُ ﷺ فِيهِ: **«فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُرِيبُنِي مَا رَابَهَا»**. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَمِنَ الرَّحْمَةِ أَلَّا يَدْعُوَ الْآبَاءُ عَلَىٰ أَبْنَائِهِمْ؛ خَشْيَةَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُمْ فَيَنْدَمُوا، فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهِ عَطَاءً، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ»**. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

أَمَّا عَنِ الْعَدْلِ بَيْنَ الْأَوْلَادِ، فَعَلَىٰ الْأَبِ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَ أَوْلَادِهِ وَلَوْ فِي الْقُبَلِ، فَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ وَاحِدٍ وَآخَرَ، حَتَّىٰ وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ مَحَبَّةُ قَلْبِهِ لِأَحَدِهِمْ أَكْثَرَ مِنَ الْآخَرِ؛ لِأَنَّ عَدَمَ الْعَدْلِ يَزْرَعُ الضَّغَائِنَ وَالْأَحْقَادَ بَيْنَ الْأَوْلَادِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَباً دَاعِياً لِفَسَادِهِمْ، وتَمَرُّدِهِمْ عَلَىٰ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، أَنَّ أَبَاهُ أَتَىٰ بِهِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ: فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَاماً كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟»** فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تُشْهِدْنِي، اِتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَىٰ جَوْرٍ»**. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

حُقُوقُ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ عَلَى الأَبْنَاءِ:

لَقَدْ عَظَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ حُقُوقَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ عَلَىٰ أَبْنَائِهِمْ، فَقَرَنَ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّهُمْ عَلَىٰ أَبْنَائِهِمْ

بِعِبَادَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾(١)، وحَثَّ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ مُرَاعَاةِ هَذَا الْحَقِّ خَاصَّةً عِنْدَ الْكِبَرِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(٢).

۞ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ يَنْهَىٰ عَنْ أَدْنَىٰ مَعْصِيَةٍ، وَهِيَ أَنْ يَقُولَ لَهُمَا الْإِنْسَانُ: (أُفٍّ)، وَذَلِكَ لِعَظِيمِ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَحَداً لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوَفِّيَ حَقَّهُماَ مَهْمَا قَدَّمَ؛ لِذَلِكَ أَمَرَ عَزَّوَجَلَّ الْأَبْنَاءَ بِالْقَوْلِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الطَّيِّبُ اللَّيِّنُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ تَكْرِيمٌ وَتَوْقِيرٌ لَهُمَا، مِمَّا يَسْتَجْلِبُ حُبَّهُمَا لَهُ وَرِضَاهُمَا عَنْهُ، وَيَأْمُرُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ كَذَلِكَ بِلِينِ الْجَانِبِ، وَالتَّوَاضُعِ لَهُمَا، وَالرَّحْمَةِ بِهِمَا؛ بِأَنْ تَكُونَ عَوْنَـاً لَهُما، بَارّاً بِهِمَا، مُسَارِعَـاً لِإِرْضَائِهِمَا، وَأَنْ تَدْعُوَ لَهُمَا بِالرَّحْمَةِ؛ جَزَاءً لِمَا قَدَّمُوهُ لَكَ فِي صِغَرِكَ مِنْ حُسْنِ الرِّعَايَةِ الَّتِي بَلَغْتَ بِهَا أَشُدَّكَ، وَاسْتَوَيْتَ بِهَا عَلَىٰ سُوقِكَ.

۞ وَكَمَا قَرَنَ اللهُ تَعَالَىٰ الْإِحْسَانَ إِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ بِعِبَادَتِهِ، فَقَدْ قَرَنَ كَذَلِكَ شُكْرَهُ بِشُكْرِ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾(٣).

۞ **وَشُكْرُ الْوَالِدَيْنِ إِنَّمَا يَكُونُ:** بِاللِّسَانِ، وَالْقَلْبِ، وَالْعَمَلِ.

❁ **فَشُكْرُ اللِّسَانِ:** الْقَوْلُ الطَّيِّبُ الْكَرِيمُ الَّذِي يَحْمِلُ مَعْنَىٰ الْإِجْلَالِ وَالتَّوْقِيرِ وَالتَّكْرِيمِ لِلْوَالِدَيْنِ.

❁ **وَشُكْرُ الْقَلْبِ:** الِاعْتِرَافُ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْكَ بِهِمَا؛ فَقَدْ جَعَلَهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ سَبَبًا لِوُجُودِكَ، وَعَلَىٰ يَدَيْهِمَا الْكَرِيمَتَيْنِ كَانَتِ الرَّعَايَةُ، وَالْحُبُّ، وَإِيثَارُكَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمَا فِي طَعَامِهِمَا وَشَرَابِهِمَا وَنَوْمِهِمَا، فَلَا يَشْبَعَانِ حَتَّىٰ تَشْبَعَ، وَلَا يَنَامَانِ حَتَّىٰ تَنَامَ.

❁ **وَأَمَّا الشُّكْرُ بِالْعَمَلِ:** فَإِنَّمَا يَكُونُ بِطَاعَتِهِمَا، وَالْبِرِّ بِهِمَا، وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمَا، وَإِدْخَالِ

(١) الإسراء الآية (٢٣).
(٢) الإسراء الآيتان (٢٣، ٢٤).
(٣) لقمان الآية (١٤).

السُّرورِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمَا، وَأَنْ تُحْسِنَ صُحْبَتَهُمَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾(1).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**الصَّلاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ نَبِيِّ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

وَعَنْ جَاهِمَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَ صلى الله عليه وسلم أَسْتَشِيرُهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ النَّبِيُ صلى الله عليه وسلم: «**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**فَالْزَمْهَا؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلِهَا**».

(رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وابْنُ مَاجه وَالطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ)

حُقُوقُ ذَوِي الأَرْحَامِ:

إِنَّ مَنْ أَحَبِّ الْقُرُبَاتِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ صِلَةَ الرَّحِمِ، الَّتِي أَمَرَنَا بِهَا عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَقَرَنَهَا عَزَّ وَجَلَّ بِتَقْوَاهُ سُبْحَانَهُ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(2). وَهِيَ عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ أُوْلِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾(3)، وحَذَّرَ سُبْحَانَهُ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَقَرَنَ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾(4).

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَا فِي صِلَةِ الرَّحِمِ مِنَ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَا فِي قَطِيعَةِ الرَّحِمِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، فَبَشَّرَ مَنْ وَصَلَهَا، وَحَذَّرَ وَأَنْذَرَ مَنْ قَطَعَهَا، وَذَلِكَ عَلَىٰ النَّحْوِ الآتِي:

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي

---

(1) لقمان الآية (15).
(2) النساء الآية (1).
(3) الرعد الآيات (19-21).
(4) محمد الآية (22).

الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، فَقَالَ ﷺ: «**تَعْبُدُ اللهَ ولا تُشرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤتِي الزَّكَاةَ، وتصِلُ الرَّحِمَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

فَقَرَنَ ﷺ صِلَةَ الرَّحِمِ هُنَا بِقَوَائِمِ هَذَا الدِّينِ، أَلَا وَهْيَ الصَّلاةُ وَالزَّكَاةُ.

۞ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ، قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ، قال: فذَلِكَ لَكِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اِقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[1]». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَفِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ تَعْظِيمٌ لِصِلَةِ الرَّحِمِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ، حَيْثُ بَشَّرَنَا ﷺ بِأَنَّ مَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ، وَحَذَّرَنَا مِنْ قَطِيعَتِهَا؛ لِأَنَّ مَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ وَلَعَنَهُ، أَيْ: طَرَدَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، لِذَلِكَ أَمَرَنَا عَزَّ وَجَلَّ بِصِلَةِ الرَّحِمِ؛ نَجَاةً لَنَا، وَجَعَلَهَا وَاجِبَةً عَلَيْكَ حَتَّىٰ لِلْقَاطِعِ الَّذِي لَا يَصِلُكَ، فَلا تَقْطَعْ إِنْ قَطَعَ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، ولَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَمِنْ فَضَائِلِ صِلَةِ الرَّحِمِ، أَنَّ الْوَاصِلَ لِرَحِمِهِ يُوَسَّعُ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُؤَخَّرُ لَهُ فِي أَجَلِهِ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَقَدْ أَنْزَلَ النَّبِيُّ ﷺ (الْخَالَةَ) بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ، وَجَعَلَ ﷺ بِرَّهَا مِنْ مُوجِبَاتِ التَّوْبَةِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلاً أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا، فَهَلْ

(١) محمد الآيتان (٢٢، ٢٣).

لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقَالَ ﷺ لَهُ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟»، قَالَ: لَا. قَالَ ﷺ: «فَهَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ ﷺ: (**فَبِرَّهَا**). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**اَلْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْأَوْفَىٰ رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**لَا يُجَالِسْنَا الْيَوْمَ قَاطِعُ رَحِمٍ**»، فَقَامَ فَتَىٰ مِنَ الْحَلْقَةِ، فَأَتَىٰ خَالَةً لَهُ كَانَ بَيْنَهُمَا بَعْضُ الشَّيْءِ، فَاسْتَغْفَرَ لَهَا وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ الْمجْلِسِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَنْزِلُ عَلَىٰ قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْأَصْبَهَانِيُّ)

۞ إِنَّ ذُنُوبَ الْعِبَادِ يُعَذِّبُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ؛ أَمَّا الظُّلْمُ وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، فَإِنَّ اللهَ يُعَجِّلُ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُهُ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وابْنُ مَاجَه وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

وَمَعْنَىٰ هَذَا: أَنَّ الْبَاغِيَ، أَيْ: الظَّالِمَ وَقَاطِعَ الرَّحِمِ قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، أَعَاذَنَا اللهُ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

۞ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّدَقَةَ عَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ (أَيْ: الْمُضْمِرِ لِلْعَدَاوَةِ) أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ، فَعَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ رضي الله عنها ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أفضَلُ الصَّدقةِ: عَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ**». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ)

وَإِنَّمَا كَانَتْ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ؛ لِأَنَّ فِيهَا ثَلَاثَ فَضَائِلَ: اَلصَّدَقَةُ، وَالصِّلَةُ، وَالْعَفْوُ، حَيْثُ قَابَلَ عَدَاوَتَهُ بِالْإِحْسَانِ، فَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي بُعِثَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلمُ عَنْهُمْ، وَيَجْهَلُونَ عليَّ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ،**

فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَمَعْنَىٰ (الْمَلَّ)، أَيْ: الرَّمَادَ الْحَارَّ.

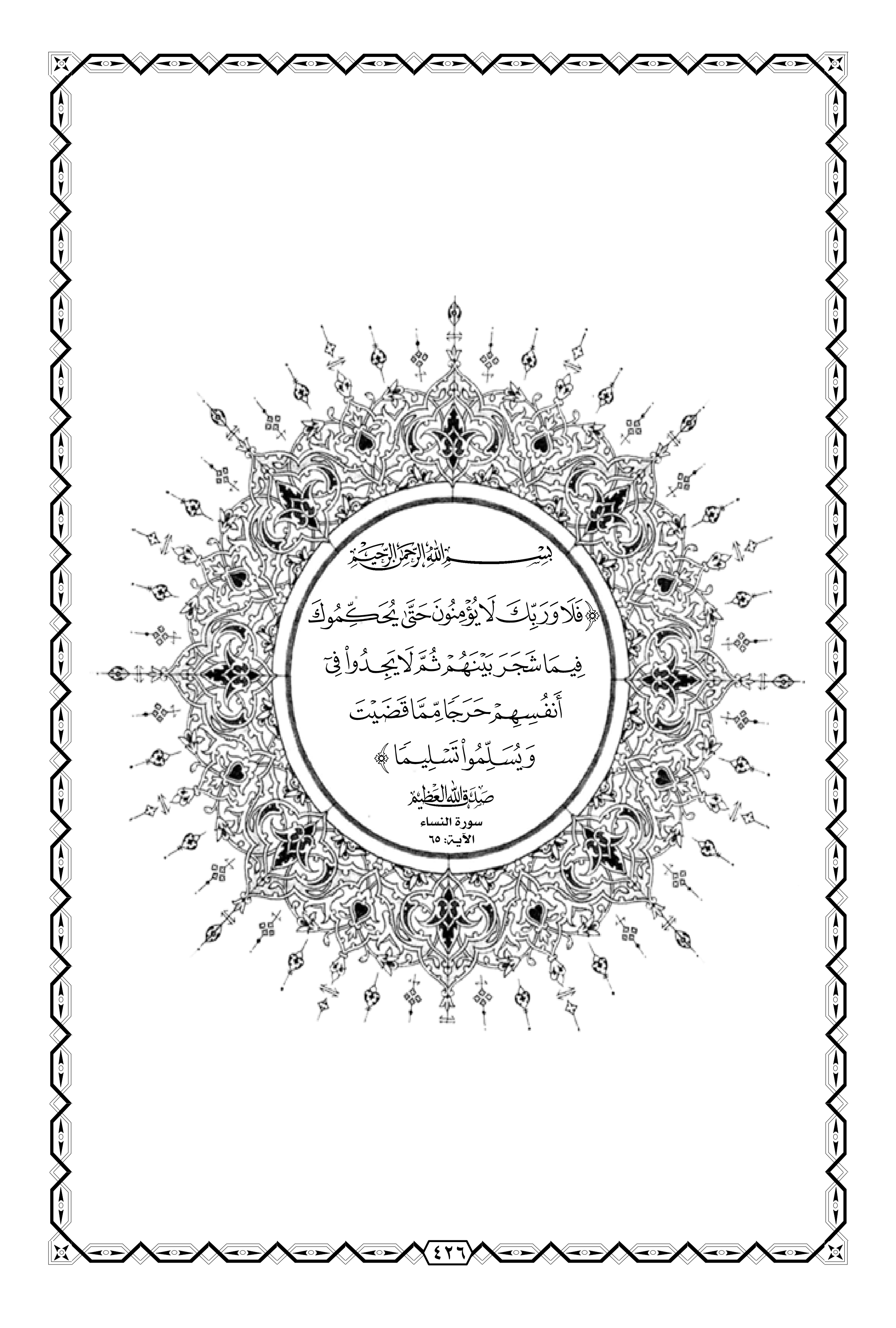
عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﵁، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ، فَقَالَ ﷺ: «يَا عُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضاً يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْراً، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَصِهْراً».

قَالَ الْعُلَمَاءُ: (الرَّحِمُ) الَّتِي لَهُمْ كَوْنُ هَاجَرَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ ﵇ مِنْهُمْ. وَ(الصِّهْرُ) كَوْنُ مَارِيَةَ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ.

عَنْ زَيْنَبَ الثَّقَفِيَّةِ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁، أَنَّهَا أَتَتْ بَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَتِ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا بِلَالٌ ﵁، فَقَالَا لِبِلَالٍ: اِئْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلَانِكَ: أَتُجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمَا وَعَلَىٰ أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا؟ وَلَا تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ، فَدَخَلَ بِلَالٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ هُمَا؟»، قَالَ: اِمْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ، فَقَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ هِيَ؟»، قَالَ: اِمْرَأَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)



بسم الله الرحمن الرحيم
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ
فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
صدق الله العظيم
سورة النساء
الآية: ٦٥

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

الشَرِيعَةُ السَّمْحَاءُ فِي الْمُعَامَلَاتِ وَالآدابِ

وَيَنْقَسِمُ هَذَا الْفَصْلُ إِلَى مَبْحَثَيْنِ:

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ فِي الْمُعَامَلَاتِ.

الْمَبْحَثُ الثانِي: الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ فِي الْآدَابِ.

وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ

الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ فِي الْمُعَامَلَاتِ

إِنَّ الْمُعَامَلَاتِ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، تَخْضَعُ لِمَبَادِئَ أَخْلَاقِيَّةٍ قِوَامُهَا الصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ وَالسَّمَاحَةُ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْكَذِبِ وَالْغِشِّ وَالْخِدَاعِ فِي أَيِّ صُورَةٍ كَانَتْ، وَنَتَنَاوَلُ فِي هَذَا الْمَبْحَثِ الْمُعَامَلَاتِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْآتِي:

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: الْبُيُوعُ.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: الدُّيُونُ.

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ: مُعَامَلَاتٌ أُخْرَىٰ.

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ

الْبُيُوعُ

۞ وَقَدِ امْتَدَحَ النَّبِيُّ ﷺ الْبُيُوعَ الَّتِي تَسُودُهَا رُوحُ السَّمَاحَةِ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَاقْتِضَاءِ الثَّمَنِ، فَعَنْ جابرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحاً إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ، وَإِذَا اقْتَضَىٰ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وابْنُ مَاجَه والتِّرْمِذِيُّ)

۞ كَمَا نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْكَذِبِ فِي الْبُيُوعِ، فَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْبَيِّعَانِ بالْخِيارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فإِنْ صَدَقَا وبَيَّنَا، بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وكَذَبَا، مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

فَالْكَذِبُ يَمْحَقُ بَرَكَةَ الْبَيْعِ، وَكَذَلِكَ كِتْمَانُ أَوْصَافِ السِّلْعَةِ، أَوْ كِتْمَانُ الثَّمَنِ الْحَقِيقِيِّ، وَالْمُغَالَاةُ فِيهِ، فَكُلُّ هَذَا يَجْعَلُ الْبَيْعَ لَا بَرَكَةَ فِيه.

۞ وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْغِشِّ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَىٰ صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ ﷺ يَدَهُ فِيهَا، فَنالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ ﷺ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ ﷺ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ؛ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ التَّنَاجُشِ، وَبَيَّنَ ﷺ أَنَّهُ يُنَافِي أُخُوَّةَ الإِسْلَامِ الَّتِي تَقْتَضِي أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءُ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ، وَالتَّنَاجُشُ هُوَ أَنْ يَزِيدَ فِي ثَمَنِ سِلْعَةٍ يُنَادَىٰ عَلَيْهَا فِي السُّوقِ وَنَحْوِهِ، وَلَا رَغْبَةَ لَهُ فِي شِرَائِهَا، بَلْ يَقْصِدُ أَنْ يَغُرَّ غَيْرَهُ، وَهَذَا حَرَامٌ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَحَاسَدُوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ أَخِيهِ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانَاً». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَنَاجَشُوا». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ كَمَا نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَبِيعَ الرَّجُلُ عَلَىٰ بَيْعِ أَخِيهِ، أَوْ يَخْطُبَ امْرَأَةً عَلَىٰ خِطْبَةِ أَخِيهِ،

وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنْ يَتَقَدَّمَ رَجُلٌ؛ لِيَبْتَاعَ سِلْعَةً مِنَ السِّلَعِ، وَيَتِمَّ لَهُ الْبَيْعُ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَقَدَّمَ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَمَنٍ أَعْلَىٰ لِلْبَائِعِ؛ لِيَفْسَخَ الْبَيْعَ الْأَوَّلَ، وَيَتِمَّ الْبَيْعُ لَهُ هُوَ، فَإِنَّ هَذَا يُؤَدِّي إِلَىٰ الْعَدَاوَةِ وَالْمُشَاجَرَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي الْمَرْأَةِ الْمَخْطُوبَةِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ حَقِّ الْأَوَّلِ، وَقَدْ يَنْجُمُ عَنْهُ الشِّقَاقُ وَالْخِلَافُ.

۞ وَقَدْ حَسَمَ ذَلِكَ كُلَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَىٰ بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبَ عَلَىٰ خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّىٰ يَذَرَ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وأَحْمَدُ)

۞ وَمَعْنَىٰ (**حَتَّىٰ يَذَرَ**) أَيْ: حَتَّىٰ يَتْرُكَ.

۞ وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْبُيُوعِ عَنِ الْجَلَبِ، وَصُورَةُ الْجَلَبِ، هُوَ أَنْ يَتَقَدَّمَ رَكْبُ التُّجَّارِ بِتِجَارَةٍ، فَيَتَلَقَّىٰ الرَّكْبَ رَجُلٌ قَبْلَ دُخُولِهِمُ الْبَلَدَ وَقَبْلَ مَعْرِفَتِهِمُ السِّعْرَ، فَيَشْتَرِي مِنْهُمْ بِأَرْخَصَ مِنْ سِعْرِ الْبَلَدِ، فَإِذَا تَبَيَّنَ لِأَهْلِ الْبَلَدِ ذَلِكَ، كَانَ لَهُمُ الْخِيَارُ؛ دَفْعًا لِلضَّرَرِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ عَنْ تَلَقِّي الْجَلَبِ، وَقَالَ ﷺ: «**لَا تَلَقَّوْا الْجَلَبَ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَالنَّهْيُ هُنَا لِلتَّحْرِيمِ؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ ظُلْمًا وَغَبْنًا وَخِدَاعًا، وَلِما رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ﵄، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ لَهُ رَجُلٌ أَنَّهُ يُخْدَعُ فِي الْبُيُوعِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ: لَا خِلَابَةَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَمَعْنَىٰ: «**لَا خِلَابَةَ**»، أَيْ: لَا خَدِيعَةَ.

۞ وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ **الِاحْتِكَارِ**، وَهُوَ شِرَاءُ الشَّيْءِ وَحَبْسُهُ؛ لِيَقِلَّ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَغْلُوَ سِعْرُهُ، وَيُصِيبَهُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الضَّرَرُ، فَعَنْ مَعْمَرٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وأَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ)

۞ وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ احْتَكَرَ الطَّعَامَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ، وَبَرِئَ اللَّهُ مِنْهُ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ والْحَاكِمُ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﵄، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ، وَالْمُحْتَكِرُ**

مَلْعُونٌ». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ والْحَاكِمُ)

۞ وَمَعْنَىٰ (الْجَالِبُ)، أَيْ: الَّذِي يَجْلِبُ السِّلَعَ وَيَبِيعُهَا بِرِبْحٍ يَسِيرٍ.

۞ وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ، كَانَ حَقّاً عَلَىٰ اللَّهِ أَنْ يُقْعِدَهُ بِعُظْمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

۞ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «**الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) وَفِي رِوَايَةٍ: «**مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ**»، وَالْمعْنَىٰ: أَنَّ الْكَسْبَ الَّذِي يَأْتِي بِالْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ يَمْحَقُ بَرَكَةَ الْكَسْبِ.

۞ وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ خِيَانَةِ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ: أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ؛ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ **عَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ**، وَهُوَ كُلُّ بَيْعٍ احْتَوَىٰ جَهَالَةً، أَوْ تَضَمَّنَ مُخَاطَرَةً أَوْ قِمَاراً، وَقَدْ كَانَ هَذَا الْبَيْعُ سَائِداً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، **وَلَهُ صُوَرٌ كَثِيرَةٌ:**

۞ مِنْهَا **بَيْعُ الْحَصَاةِ**، فَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْقِدُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ الَّتِي لَا تَتَعَيَّنُ مِسَاحَتُهَا، ثُمَّ يَقْذِفُونَ الْحَصَاةَ، حَتَّىٰ إِذَا اسْتَقَرَّتْ كَانَ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ هُوَ مُنْتَهَىٰ مِسَاحَةِ الْبَيْعِ. أَوْ يَبْتَاعُونَ الشَّيْءَ الَّذِي لَا يُعْلَمُ، ثُمَّ يَقْذِفُونَ بِالْحَصَاةِ فَمَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ، كَانَ هُوَ الْمَبِيعُ.

۞ وَمِنَ الْغَرَرِ كَذَلِكَ، **بَيْعُ ضَرْبَةِ الْغَوَّاصِ**، فَقَدْ كَانُوا يَبْتَاعُونَ مِنَ الْغَوَّاصِ مَا قَدْ يَعْثُرُ عَلَيْهِ مِنْ لَقَطَاتِ الْبَحْرِ حِينَ غَوْصِهِ، وَيُلْزِمُونَ الْمُتَبَايِعَيْنِ بِالْعَقْدِ، فَيَدْفَعُ الْمُشْتَرِي الثَّمَنَ، وَلَوْ لَمْ

(١) آل عمران الآية (٧٧).

يَحْصُلْ عَلَىٰ شَيْءٍ، وَيَدْفَعُ الْبَائِعُ مَا عَثَرَ عَلَيْهِ، وَلَوْ بَلَغَ أَضْعَافَ مَا أَخَذَ مِنَ الثَّمَنِ.

۞ وَمِنَ الْغَرَرِ **بَيْعُ النِّتَاجِ** وَهُوَ الْعَقْدُ عَلَىٰ نِتَاجِ الْمَاشِيَةِ قَبْلَ أَنْ تُنْتِجَ، وَبَيْعُ مَا فِي ضُرُوعِهَا مِنَ اللَّبَنِ، وَمِنَ الْغَرَرِ **بَيْعُ الْمُلَامَسَةِ** وَهُوَ أَنْ يَلْمِسَ كُلٌّ مِنْهُمَا ثَوْبَ صَاحِبِهِ أَوْسِلْعَتِهِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَجِبُ الْبَيْعُ دُونَ عِلْمٍ بِحَالِهَا أَوْ تَرَاضٍ عَنْهَا، وَمِنَ الْغَرَرِ، **بَيْعُ الْمُنَابَذَةِ** وَهُوَ أَنْ يَنْبُذَ كُلٌّ مِنَ الْمُتَعَاقِدَيْنِ مَا مَعَهُ، وَيَجْعَلَانِ ذَلِكَ مُوجِبًا لِلْبَيْعِ دُونَ تَرَاضٍ مِنْهُمَا.

۞ وَمِنْهُ **بَيْعُ الْمُحَاقَلَةِ**، وَهُوَ بَيْعُ الزَّرْعِ بِكَيْلٍ مِنَ الطَّعَامِ مَعْلُومٍ، وَمِنْهُ **بَيْعُ الْمُزَابَنَةِ** وَهُوَ بَيْعُ ثَمَرِ النَّخْلِ بِأَوْسَاقٍ مِنَ التَّمْرِ، وَمِنْهُ **بَيْعُ الْمُخَاضَرَةِ** وَهُوَ بَيْعُ الثَّمَرَةِ الْخَضْراءِ قَبْلَ بُدُوِّ صَلَاحِهَا، وَمِنْهُ بَيْعُ الصُّوفِ فِي الظَّهْرِ، وَمِنْهُ بَيْعُ السَّمْنِ فِي اللَّبَنِ، وَمِنْهُ بَيْعُ حَبَلِ الْحَبَلَةِ، وَهُوَ أَنْ تُنْتِجَ النَّاقَةُ مَا فِي بَطْنِهَا، ثُمَّ تَحْمِلُ الَّتِي نَتَجَتْ.

۞ فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَأَمْثَالِهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْغَرَرِ وَالْجَهَالَةِ بِالْمَعْقُودِ عَلَيْهِ.
(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَرَغَّبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي فَسْخِ عَقْدِ الْبَيْعِ إِذَا ظَهَرَتْ حَاجَةٌ أَوْ ضَرُورَةٌ، وَذَلِكَ مِنْ بَابِ إِقَالَةِ الْعَثَرَاتِ، فَمَنِ اشْتَرَىٰ شَيْئًا ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ عَدَمُ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، أَوْ بَاعَ شَيْئًا بَدَا لَهُ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، فَلِكُلٍّ مِنْهُمَا أَنْ يَطْلُبَ الْإِقَالَةَ وَفَسْخَ الْعَقْدِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه)

وَخُلاصَةُ الْقَوْلِ:

۞ أَنَّ كُلَّ مَا فِيهِ ضَرَرٌ وَضَيَاعٌ لِحُقُوقِ الْمُتَبَايِعَيْنِ نَهَىٰ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكُلَّ مَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ تَقْتَضِيهَا الضَّرُورَةُ أَوِ الْحَاجَةُ، رَغَّبَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ.

۞ وَكُلُّ هَذَا تَمَشِّيًا مَعَ شَرِيعَتِهِ السَّمْحَاءِ ﷺ الَّتِي تَدْفَعُ الضَّرَرَ، وَتَرْفَعُ الْحَرَجَ، وَتَجْلِبُ النَّفْعَ لِلْمُتَبَايِعَيْنِ، دُونَ أَنْ يَضُرَّ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ.

المطلب الثاني

الدُّيُون

۞ إِنَّ مِمَّا دَعَانَا اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ، وَأَمَرَنَا بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾(١). وَإِنَّ مِنَ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ أَنْ يُنَفِّسَ الْمُؤْمِنُ عَنْ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ مَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْكَرْبِ، وَأَنْ يُيَسِّرَ عَلَيْهِ إِذَا تَعَسَّرَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَقَدْ فَتَحَ اللهُ تَعَالَىٰ بَابَ التَّيْسِيرِ عَلَىٰ الْمُعْسِرِ الَّذِي لَا يَجِدُ وَفَاءً لِدَيْنِهِ، وَأَمَرَ مَنْ أَقْرَضَهُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَيْهِ فِي حَالِ الْعُسْرِ حَتَّىٰ يُوَفِّيَ دَيْنَهُ؛ بَلْ وَفَوْقَ ذَلِكَ رَغَّبَهُ فِي أَنْ يَتْرُكَ لَهُ مَا أَعْطَاهُ، وَيَضَعَ عَنْهُ الدَّيْنَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(٢). وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ مَا فِي إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ مِنَ الْفَضْلِ، فَعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً كَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةً، قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَاهِ صَدَقَةً**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ)

۞ كَمَا رَغَّبَ ﷺ فِيمَنْ يُنَفِّسُ عِنْ غَرِيمِهِ (**مَدِينِهِ**) أَوْ يَضَعُ عَنْهُ، وَبَشَّرَهُ بِأَنَّهُ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيمِ أَوْ مَحَا عَنْهُ، كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ رَجُلاً لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُيَسِّرُ عَلَىٰ الْمُوسِرِ، وَيُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُتِيَ اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عَبِيدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: مَا عَمِلْتُ لَكَ يَا رَبِّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي الدُّنْيَا أَرْجُوكَ بِهَا. قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ الْعَبْدُ عِنْدَ آخِرِهَا: يَا رَبِّ، إِنَّكَ كُنْتَ أَعْطَيْتَنِي فَضْلَ مَالٍ، وَكُنْتُ رَجُلاً أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ،**

(١) المائدة الآية (٢). (٢) البقرة الآية (٢٨٠).

فَكُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَىٰ الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا أَحَقُّ مَنْ يُيَسِّرُ، اُدْخُلِ الْجَنَّةَ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أَبِي الْيُسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

هَذَا مَا وَعَدَ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُحْسِنِينَ، الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِإِخْوَانِهِمْ، فَأَحْسَنَ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِمْ.

۞ وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِكِتَابَةِ الدَّيْنِ؛ حِفْظًا لِلْحُقُوقِ، وَحِرْصًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْتَرِيَهُمْ نِسْيَانُ مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ، فَتَقَعَ الْمَضَرَّةُ، لِذَلِكَ دَفْعًا لِلضَّرَرِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾[1].

۞ وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ كَذَلِكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ كُلًّا مِنَ الدَّائِنِ وَالْمَدِينِ بِالْإِشْهَادِ عَلَىٰ الدَّيْنِ، وَذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّوْثِيقِ لِلْكِتَابَةِ، فَقَالَ: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[2]، وَأَمَرَ عَزَّوَجَلَّ الشُّهَدَاءَ أَنْ يُلَبُّوا إِذَا دُعُوا إِلَىٰ الشَّهَادَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾[3]، وَسَوَاءٌ كَانَ الدَّيْنُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، فَعَلَيْهِمْ كِتَابَتُهُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾[4]، وَكَمَا أَلْزَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ الشُّهَدَاءَ بِالشَّهَادَةِ إِذَا مَا دُعُوا، أَلْزَمَ كَذَلِكَ الْكَاتِبَ الَّذِي يَكْتُبُ بِالْكِتَابَةِ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ، فَقَالَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾[5].

وَكُلُّ هَذَا حِفْظًا لِلْحُقُوقِ، وَمَنْعًا لِمَا يَنْشَأُ عَنْ عَدَمِ الْكِتَابَةِ مِنَ الْخِلَافِ وَالشِّقَاقِ، وَهَذَا مَا دَعَانَا اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

۞ وَرَخَّصَ عَزَّوَجَلَّ فِي الدَّيْنِ الَّذِي يَنْشَأُ عَنِ الْبَيْعِ بِالْحَاضِرِ يَدًا بِيَدٍ، فَلَا بَأْسَ بِعَدَمِ الْكِتَابَةِ؛

---

(١) البقرة الآية (٢٨٢).
(٢) البقرة الآية (٢٨٢).
(٣) البقرة الآية (٢٨٢).
(٤) البقرة الآية (٢٨٢).
(٥) البقرة الآية (٢٨٢).

لِانْتِفَاءِ الْمَحْذُورِ فِي تَرْكِهَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾[1]، وَأَمَرَنَا أَنْ نَكْتَفِيَ بِالشَّهَادَةِ، وَذَلِكَ بِالْإِشْهَادِ عَلَىٰ الْبَيْعِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾[2]، وَالْمَعْنَىٰ: فَأَشْهِدُوا عَلَىٰ حَقِّكُمْ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، سَوَاءٌ كَانَ فِيهِ أَجَلٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ.

❁ فَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ سَفَرٍ، وَتَدَايَنُوا وَلَمْ يَجِدُوا كَاتِبًا يَكْتُبُ لَهُمْ، أَوْ وَجَدُوهُ وَلَمْ يَجِدُوا قِرْطَاسًا أَوْ دَوَاةً أَوْ قَلَمًا، فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ بَدَلاً عَنِ الْكِتَابَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[3]. هَذَا فِي حَالِ السَّفَرِ، وَلَابُدَّ أَنْ يَكُونَ الرَّهْنُ مَقْبُوضًا يَقْبِضُهُ الدَّائِنُ؛ حِفْظًا لِحَقِّهِ.

❁ وَقَدِ اسْتَدَلَّ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ عَلَىٰ أَنَّ الْإِشْهَادَ عَلَىٰ الْبَيْعِ فِي التِّجَارَةِ الْحَاضِرَةِ وَالرَّهْنِ إِنَّمَا جَاءَتِ الْآيَاتُ فِيهِ عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِرْشَادِ وَالنَّدْبِ؛ لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْوُجُوبِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[4]، بِأَنْ يُؤَدِّيَ الْمُؤْتَمَنُ مَا تَحْتَ يَدِهِ، فَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَىٰ الْيَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّىٰ تُؤَدِّيَهُ».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ، تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ)

❁ وَكَمَا رَغَّبَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي التَّيْسِيرِ عَلَىٰ الْمُعْسِرِ، وَحَثَّنَا عَلَىٰ الْوُقُوفِ بِجَانِبِهِ وَإِقَالَةِ عَثْرَتِهِ، فَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ يَأْخُذُ أَمْوَالَ النَّاسِ وَهُوَ لَا يُرِيدُ أَدَاءَهَا بِتَلَفِ هَذِهِ الْأَمْوَالِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّىٰ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا، أَتْلَفَهُ اللَّهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ عَنْهُ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه فِي صَحِيحِهِ)

❁ **وَمَعْنَىٰ هَذَا:** أَنَّ رُوحَهُ تَظَلُّ مُعَلَّقَةً فِي قَبْرِهِ لَا تَصْعَدُ إِلَىٰ السَّمَاءِ إِلَّا بَعْدَ سَدَادِ الدَّيْنِ.

❁ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْغَنِيَّ الَّذِي يُمَاطِلُ فِي دَفْعِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ، مَطْلُهُ ظُلْمٌ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

---

(1) البقرة الآية (٢٨٢).

(2) البقرة الآية (٢٨٢).

(3) البقرة الآية (٢٨٣).

(4) البقرة الآية (٢٨٣).

ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمْ)

۞ وَمَعْنَىٰ «وَإِذَا أُتْبِعَ»، أَيْ: أُحِيلَ أَحَدُكُمْ، «عَلَىٰ مَلِيءٍ»، بِمَعْنَىٰ: أَنْ يَكُونَ لِلْمَدِينِ دَيْنٌ عِنْدَ رَجُلٍ، فَيُحِيلُ الدَّائِنَ الَّذِي يُطَالِبُهُ بِحَقِّهِ عَلَىٰ الْمَدِينِ لَهُ الَّذِي تَحْتَ يَدِهِ حَقُّهُ لِيَسْتَوْفِيَ مِنْهُ، وَمَعْنَىٰ: «فَلْيَتْبَعْ» أَيْ فَلْيُحِلَ. وَهَذَا جَائِزٌ؛ تَمَشِّيًا مَعَ رُوحِ الشَّرِيعَةِ السَّمْحَاءِ، الَّتِي تَدْعُو الْغَنِيَّ إِلَىٰ النَّجَاةِ مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَعَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ؛ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ من سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَتْ عَلَيْهِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ جَابِرٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاهَدْتُ بِنَفْسِي وَمَالِي، فَقُتِلْتُ صَابِراً مُحْتَسِبًا مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ، أَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ»، فَقَالَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ ﷺ: «إِلَّا إِنْ مِتَّ وَعَلَيْكَ دَيْنٌ، وَلَيْسَ عِنْدَكَ وَفَاءٌ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وأَحْمَدُ)

۞ وَرَوَىٰ جَابِرٌ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يُصَلِّي عَلَىٰ رَجُلٍ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَأُتِيَ بِمَيِّتٍ، قَالَ ﷺ: «أَعَلَيْهِ دَيْنٌ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، دِينَارَانِ، فَقَالَ ﷺ: «صَلُّوا عَلَىٰ صَاحِبِكُمْ». فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ ﷺ: هُمَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ، قَالَ: «أَنَا أَوْلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، فَمَنْ تَرَكَ دَيْناً فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِوَرَثَتِهِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ هَذَا مَا دَعَانَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ قَضَاءِ الدَّيْنِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ الْمَدِينَ الْمَوْتُ، فَيَنْدَمَ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ، فَعَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

الْمَطْلَبُ الثَّالِثُ

الْمُعَامَلَاتُ الْأُخْرَى

إِنَّ الْمُعَامَلَاتِ الْغَالِبَةَ وَالسَّائِدَةَ بَيْنَ النَّاسِ، إِنَّمَا تَتَمَثَّلُ فِي الْبُيُوعِ وَالدُّيُونِ سَوَاءٌ كَانَ الدَّيْنُ يَرْجِعُ سَبَبُهُ إِلَىٰ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، أَوْ يَرْجِعُ سَبَبُهُ إِلَىٰ الْقُرُوضِ، إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ أَنْوَاعًا أُخْرَىٰ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ، مِنْهَا مَا هُوَ مُبَاحٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مَحْظُورٌ وَغَيْرُ مُبَاحٍ، وَذَلِكَ عَلَىٰ مَا سَنُوَضِّحُهُ مِنْ خِلَالِ التَّقْسِيمِ الْآتِي:

الْفَرْعُ الأَوَّلُ: اَلْمُبَاحُ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ.

الْفَرْعُ الثَّانِي: اَلْمَحْظُورُ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ.

❁❁❁❁❁

الْفَرْعُ الْأَوَّلُ

الْمُبَاحُ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ

وَهَذِهِ تَخْضَعُ لِلْقَاعِدَةِ الْأُصُولِيَّةِ الَّتِي تَقُولُ: اَلْأَصْلُ فِي الْأَشْيَاءِ الْإِبَاحَةُ، مَا لَمْ يَرِدْ نَصٌّ بِالتَّحْرِيمِ، وَقَدْ أَبَاحَتِ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ الْكَثِيرَ؛ مِثْلَ: الرَّهْنِ، وَالْإِجَارَةِ، وَالْعَارِيَةِ، وَالْوَدِيعَةِ، وَالْوَكَالَةِ، وَالشُّفْعَةِ، وَاللُّقَطَةِ، وَاللَّقِيطِ، وَالْوَقْفِ، وَالْوَصِيَّةِ، وَالْمَوَارِيثِ، وَالشَّرِكَاتِ، وَالْهِبَةِ، وَقَدْ سَنَّتِ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ فِي كُلِّ هَذَا أَحْكَامًا تَضْمَنُ سَلَامَتَهَا، وَذَلِكَ وِفْقًا لِمَا يَلِي:

الرَّهْنُ

۞ وَهُوَ مُبَاحٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[1].

۞ وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ ، قَالَتْ: اِشْتَرَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا،

(١) البقرة الآية (٢٨٣).

وَرَهَنَهُ دِرْعَهُ. (رواه الْبُخَارِيُّ)

۞ وَالرَّهْنُ مُرْتَبِطٌ بِالدَّيْنِ، فَإِذَا اسْتَدَانَ شَخْصٌ دَيْنًا مِنْ شَخْصٍ آخَرَ، وَجَعَلَ لَهُ فِي نَظِيرِ ذَلِكَ الدَّيْنِ عَقَارًا أَوْ حَيَوَانًا مَحْبُوسًا تَحْتَ يَدِهِ حَتَّىٰ يَقْضِيَ دَيْنَهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْضِهِ كَانَ لِصَاحِبِ الدَّيْنِ وَهُوَ الْمُرْتَهِنُ أَنْ يَأْخُذَ دَيْنَهُ كُلَّهُ أَوْ بَعْضًا مِنْ تِلْكَ الْعَيْنِ الْمُرْتَهَنَةِ تَحْتَ يَدِهِ.

۞ وَالْعَيْنُ الْمَرْهُونَةُ إِنْ كَانَتْ حَيَوَانًا مَثَلاً وَتَأْتِي بِأَلْبَانٍ وَأَصْوَافٍ، فَهِيَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهَا، وَهُوَ الْمَدِينُ الَّذِي أَوْدَعَهَا تَحْتَ يَدِ الدَّائِنِ، وَعَلَيْهِ نَفَقَتُهَا مِنْ إِطْعَامِهَا وَرِعَايَتِهَا، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا يَغْلَقُ الرَّهْنُ لِصَاحِبِهِ، لَهُ غُنْمُهُ، وَعَلَيْهِ غُرْمُهُ**». (رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ)

۞۞۞۞۞

الإِجَارَةُ

۞ وَهِيَ عَقْدُ الْمَنْفَعَةِ الَّذِي يَتِمُّ بَيْنَ الْمُؤَجِّرِ وَالْمُسْتَأْجِرِ، فَيَدْفَعُ الْمُؤَجِّرُ الْعَيْنَ الْمُتَعَاقَدَ عَلَيْهَا لِلْمُسْتَأْجِرِ، وَيَدْفَعُ الْمُسْتَأْجِرُ الْأَجْرَ الْمُسْتَحَقَّ عَلَيْهِ لِلْمُؤَجِّرِ، وَهَذِهِ الْمَنْفَعَةُ قَدْ تَكُونُ مَنْفَعَةَ عَيْنٍ كَسُكْنَىٰ الدَّارِ أَوْ رُكُوبِ السَّيَّارَةِ، وَقَدْ تَكُونُ مَنْفَعَةَ عَمَلٍ مِثْلَ عَمَلِ الْمُهَنْدِسِ وَالْبَنَّاءِ وَالْخَيَّاطِ وَالنَّجَارِ، وَقَدْ تَكُونُ مَنْفَعَةَ شَخْصٍ مِثْلَ الْخَادِمِ وَالْعَامِلِ الَّذِي يَبْذُلُ جُهْدَهُ نَظِيرَ الْأَجْرِ.

۞ وَهِيَ مُبَاحَةٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾[1]. وَقَدِ اسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُرَيْقِطٍ، وَكَانَ هَادِيًا خِرِّيتًا، أَيْ: مَاهِرًا. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَقَالَ ﷺ: «**أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ**». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجه)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ احْتَجَمَ وَأَعْطَىٰ الْحَجَّامَ أَجْرَهُ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞۞۞۞۞

(١) القصص الآية (٢٦).

الْعَارِيَةُ

۞ وَهِيَ عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ الَّتِي نَدَبَتْ إِلَيْهَا الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ، وَرَغَّبَتْ فِيهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾(١). وَقَدْ عَرَّفَهَا الْفُقَهَاءُ بِأَنَّهَا: إِبَاحَةُ الْمَالِكِ مَنَافِعَ مِلْكِهِ لِغَيْرِهِ بِلَا عِوَضٍ.

۞ وَيُسْتَدَلُّ عَلَىٰ إِبَاحَتِهِ وَالنَّدْبِ إِلَيْهِ كَذَلِكَ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ فَزَعٌ بِالْمَدِينَةِ، فَاسْتَعَارَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ فَرَسًا يُقَالُ لَهُ: (الْمَنْدُوبُ) فَرَكِبَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ ﷺ، قَالَ: «**مَا رَأَيْنَا مِنْ شَيْءٍ، وَإِنْ وَجَدْنَاهُ لَبَحْرًا**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَلَىٰ الْمُسْتَعِيرِ أَنْ يَرُدَّ الْعَارِيَةَ الَّتِي اسْتَعَارَهَا بَعْدَ اسْتِيفَاءِ نَفْعِهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾(٢).

۞ وَلِلْمُعِيرِ أَنْ يَسْتَرِدَّ الْعَارِيَةَ مَتَىٰ شَاءَ، مَا لَمْ يُسَبِّبْ ضَرَراً لِلْمُسْتَعِيرِ، فَإِنْ كَانَ فِي اسْتِرْدَادِهَا ضَرَرٌ بِالْمُسْتَعِيرِ أُجِّلَ، حَتَّىٰ يَتَّقِيَ مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنْ ضَرَرٍ.

❁❁❁❁❁

الْوَدِيعَةُ

۞ وَالْوَدِيعَةُ أَمَانَةٌ عِنْدَ الْمُودَعِ، يَجِبُ رَدُّهَا عِنْدَمَا يَطْلُبُهَا صَاحِبُهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾(٣). وَلَا ضَمَانَ عَلَىٰ الْمُودَعِ الَّذِي لَدَيْهِ الْوَدِيعَةُ إِلَّا فِي حَالِ التَّقْصِيرِ أَوِ الْخِيَانَةِ، وَكَذَلِكَ الْحُكْمُ فِي الْعَارِيَةِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَيْسَ عَلَىٰ الْمُسْتَعِيرِ غَيْرِ الْمُغِلِّ ضَمَانٌ، وَلَا عَلَىٰ الْمُسْتَوْدَعِ غَيْرِ الْمُغِلِّ ضَمَانٌ**». (رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ)

❁❁❁❁❁

الْوَكَالَةُ

۞ وَهِيَ أَنْ يُنِيبَ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ، فِي الْقِيَامِ بِمَا يَقْبَلُ النِّيَابَةَ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ الَّتِي أَجَازَهَا الشَّرْعُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي أَهْلِ الْكَهْفِ: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ

(١) المائدة الآية (٢). (٢) النساء الآية (٥٨). (٣) البقرة الآية (٢٨٣).

أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامًا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٍ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴾[1]. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي شَأْنِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾[2].

۞ وَالْوَكَالَةُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّعَاوُنِ عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، الَّذِي رَغَّبَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَهِيَ جَائِزَةٌ فِي كُلِّ الْعُقُودِ الَّتِي يَعْقِدُهَا الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ كَالْبَيْعِ، وَالشِّرَاءِ، وَالْإِجَارَةِ، وَإِثْبَاتِ الدَّيْنِ وَالْعَيْنِ، وَالتَّقَاضِي، وَالصُّلْحِ، وَالشُّفْعَةِ، وَالْهِبَةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالرَّهْنِ، وَالزَّوَاجِ، وَالطَّلَاقِ، وَالْإِعَارَةِ، وَالِاسْتِعَارَةِ، وَإِدَارَةِ الْأَمْوَالِ.

۞ وَقَدْ وَضَعَ لَهَا الْفُقَهَاءُ ضَابِطًا لِمَا تَجُوزُ فِيهِ الْوَكَالَةُ، فَقَالُوا: كُلُّ عَقْدٍ جَازَ أَنْ يَعْقِدَهُ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ، جَازَ أَنْ يُوَكِّلَ بِهِ غَيْرَهُ، إِلَّا الْأَعْمَالَ الَّتِي لَا تَدْخُلُ فِي النِّيَابَةِ كَالصَّلَاةِ وَالْحَلِفِ وَالطَّهَارَةِ، فَهَذِهِ لَا يَجُوزُ فِيهَا التَّوْكِيلُ لِلْغَيْرِ، أَمَّا مَا أَجَازَهُ الشَّرْعُ الشَّرِيفُ أَنْ تَعْقِدَهُ لِنَفْسِكَ، فَتَجُوزُ الْوَكَالَةُ فِيهِ لِغَيْرِكَ.

❁❁❁❁❁

الشُّفْعَةُ

۞ وَهِيَ أَنْ يَكُونَ لَدَىٰ الْمَالِكِ مَنْزِلٌ أَوْ حَائِطٌ (بُسْتَانٌ) أَوْ عَقَارٌ كَالْأَرْضِ، وَيُرِيدُ الْمَالِكُ بَيْعَهُ أَوْ بَيْعَ جُزْءٍ مِنْهُ، فَإِنْ كَانَ لَهُ شَرِيكٌ فِيمَا يَمْلِكُ، فَيَنْبَغِي أَلَّا يَبِيعَ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنَ شَرِيكَهُ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الشِّرَاءِ فَهُوَ أَوْلَىٰ بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ رَغْبَةٌ جَازَ لِلْمَالِكِ التَّصَرُّفُ فِيهِ.

۞ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمَالِكِ شَرِيكٌ فِيمَا يَمْلِكُ، وَلَكِنْ لَهُ جَارٌ، فَيَنْبَغِي كَذَلِكَ أَلَّا يَبِيعَ حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنَ جَارَهُ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الشِّرَاءِ، فَجَارُهُ أَوْلَىٰ بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ رَغْبَةٌ جَازَ لِلْمَالِكِ التَّصَرُّفُ فِيهِ.

۞ فَفِي كِلَا الْحَالَتَيْنِ لَابُدَّ مِنِ اسْتِئْذَانِ الشَّرِيكِ أَوِ الْجَارِ؛ فَإِذَا تَقَدَّمَ الشَّرِيكُ وَالْجَارُ لِلشِّرَاءِ يُقَدَّمُ الشَّرِيكُ عَلَىٰ الْجَارِ، أَمَّا الْأَجْنَبِيُّ فَلَا حَقَّ لَهُ فِي الشِّرَاءِ إِلَّا بَعْدَ اسْتِئْذَانِ الشَّرِيكِ أَوِ

(١) الكهف الآية (١٩). (٢) يوسف الآية (٥٥).

الْجَارِ. فَإِنْ تَصرَّفَ الْمَالِكُ لِلْمُشْتَرِي الأَجْنَبِيِّ دُونَ الرُّجُوعِ إِلَىٰ الشَّرِيكِ أَوِ الْجَارِ، وَأَبْدَىٰ الشَّرِيكُ أَوِ الْجَارُ الرَّغْبَةَ فِي الشِّرَاءِ، تَمَلَّكَ الشَّرِيكُ أَوِ الْجَارُ الْعَيْنَ الَّتِي تَمَّ التَّصرُّفُ فِيهَا جَبْرَاً عَنِ الْمُشْتَرِي الأَجْنَبِيِّ، وَدَفَعَ لَهُ الثَّمَنَ وَالنَّفَقَاتِ.

۞ وَيُشْتَرَطُ فِي الشُّفْعَةِ أَنْ تَكُونَ الْعَيْنُ الْمُرَادُ التَّصرُّفُ فِيهَا لَمْ تُقْسَمْ. فَإِذَا وَقَعَتِ الْحُدُودُ وَقُسِّمَتْ فَلَا شُفْعَةَ، فَعَنْ جَابِرٍ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَضَىٰ فِي الشُّفْعَةِ فِيمَا لَمْ يُقْسَمْ، فَإِذَا وَقَعَتِ الْحُدُودُ وَصُرِّفَتِ الطُّرُقُ فَلَا شُفْعَةَ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ جَابِرٍ ﵁، قَالَ: قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالشُّفْعَةِ فِي كُلِّ شِرْكَةٍ لَمْ تُقْسَمْ؛ رَبْعَةٍ أَوْ حَائِطٍ (أَيْ: مَنْزِلٍ أَوْ بُسْتَانٍ) لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَبِيعَ حَتَّىٰ يُؤْذِنَ شَرِيكَهُ، فَإِنْ شَاءَ أَخَذَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، فَإِذَا بَاعَ وَلَمْ يُؤْذِنْهُ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ جَابِرٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْجَارُ أَحَقُّ بِشُفْعَةِ جَارِهِ، يُنْتَظَرُ بِهَا - وَإِنْ كَانَ غَائِبَاً - إِذَا كَانَ طَرِيقُهُمَا وَاحِدَاً**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وابْنُ مَاجَه)

۞ وَالْحِكْمَةُ مِنَ الشُّفْعَةِ دَفْعُ الضَّرَرِ عَنِ الشَّرِيكِ أَوِ الْجَارِ، الَّذِي قَدْ يَحْدُثُ إِذَا آلَتِ الْمِلْكِيَّةُ لِلْمُشْتَرِي الأَجْنَبِيِّ؛ لِذَلِكَ أَوْجَبَتِ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ اسْتِئْذَانَهُمَا قَبْلَ الْبَيْعِ، فَإِنْ أَبْدَىٰ أَيُّهُمَا رَغْبَتَهُ فِي الشِّرَاءِ، فَهُوَ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ.

۞۞۞۞۞

اللُّقَطَةُ

۞ وَهِيَ كُلُّ مَالٍ مَعْصُومٍ مُعَرَّضٍ لِلضَّيَاعِ لَا يُعْرَفُ مَالِكُهُ، وَحُكْمُ الْتِقَاطِ الضَّالَّةِ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْمَكَانِ الَّذِي وُجِدَتْ فِيهِ، فَإِنْ وُجِدَتْ فِي مَكَانٍ آمِنٍ، اُسْتُحِبَّ الْتِقَاطُهَا، وَإِنْ وُجِدَتْ فِي مَكَانٍ غَيْرِ آمِنٍ، وَجَبَ الْتِقَاطُهَا.

۞ وَعَلَىٰ مَنِ الْتَقَطَ اللُّقْطَةَ أَنْ يَعْرِفَ أَوْصَافَهَا ثُمَّ يُعَرِّفَهَا مُدَّةً مُعَيَّنَةً، وَهَذِهِ الْمُدَّةُ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ قِيمَتِهَا؛ فَإِنْ كَانَتْ ذَاتَ قِيمَةٍ مَالِيَّةٍ، وَجَبَ تَعْرِيفُهَا سَنَةً، وَهَذِهِ هِيَ أَقْصَىٰ مُدَّةٍ، وَإِنْ كَانَتْ قِيمَتُهَا الْمَالِيَّةُ ضَعِيفَةً، وَجَبَ تَعْرِيفُهَا الْمُدَّةَ الَّتِي يُظَنُّ أَنَّ صَاحِبَ اللُّقَطَةِ لَا يَطْلُبُهَا

بَعْدَهَا، وَإِنْ كَانَتِ اللُّقَطَةُ شَيْئًا حَقِيرًا؛ مِثْلَ الْعَصَا وَالسَّوْطِ وَالْحَبْلِ وَأَشْبَاهِهَا، جَازَ لِلْمُلْتَقِطِ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا.

وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ الآتِي:

۞ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: لَقِيتُ أَوْسَ بْنَ كَعْبٍ، فَقَالَ: وَجَدْتُ صُرَّةً فِيهَا مِائَةُ دِينَارٍ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ ﷺ: «**عَرِّفْهَا حَوْلاً**»، أَيْ: عَامًا، فَعَرَّفْتُهَا فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ ثَلَاثًا، فَقَالَ ﷺ: «**احْفَظْ وِعَاءَهَا وَعَدَدَهَا وَوِكَاءَهَا، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا، وَإِلَّا فَاسْتَمْتِعْ بِهَا**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِدِينَارٍ وَجَدَهُ فِي السُّوقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَرِّفْهُ ثَلَاثًا**»، أَيْ: ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. فَفَعَلَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَعْرِفُهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلْهُ**». (رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه)

۞ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: «رَخَّصَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْعَصَا، وَالسَّوْطِ، وَالْحَبْلِ، وَأَشْبَاهِهِ يَلْتَقِطُهُ الرَّجُلُ يَنْتَفِعُ بِهِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ)

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ رضي الله عنه: «وَأَشْبَاهِهِ»، كَالطَّعَامِ فَإِنَّهُ لَا يُعَرَّفُ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ مَنِ الْتَقَطَهُ.

۞۞۞۞۞

اللَّقِيطُ

۞ هُوَ الطِّفْلُ غَيْرُ الْبَالِغِ الَّذِي يُوجَدُ فِي الطَّرِيقِ، أَوْ ضَالُّ الطَّرِيقِ وَلَا يُعْرَفُ نَسَبُهُ، فَمَنْ وَجَدَ اللَّقِيطَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنِ النَّاسِ، فَالْتِقَاطُهُ فَرْضُ عَيْنٍ، أَيْ: يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ الْتِقَاطُهُ، وَإِنْ وُجِدَ اللَّقِيطُ فِي مَكَانٍ عَامِرٍ بِالنَّاسِ، فَالْتِقَاطُهُ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَى الْجَمَاعَةِ؛ إِنْ قَامَ بِهِ الْبَعْضُ، سَقَطَ الْإِثْمُ عَنِ الْآخَرِينَ، وَإِنْ تَرَكُوهُ فِي الطَّرِيقِ، أَثِمَ الْكُلُّ؛ لِأَنَّ فِي تَرْكِهِ ضَيَاعَهُ، وَيُحْكَمُ بِإِسْلَامِهِ مَتَى وُجِدَ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

۞ وَيُشْتَرَطُ فِيمَنْ يَكْفُلُهُ أَنْ يَكُونَ صَالِحًا وَأَمِينًا؛ فَإِنْ كَانَ الَّذِي الْتَقَطَهُ فَاسِقًا، أُخِذَ مِنْهُ، وَتَوَلَّى الْحَاكِمُ أَمْرَ تَرْبِيَتِهِ، فَإِنْ وُجِدَ مَعَ اللَّقِيطِ مَالٌ، يُنْفَقُ عَلَيْهِ مِنْ مَالِهِ، فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ مَعَهُ

مَالٌ، فَنفَقَتُهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ؛ لِأَنَّ بَيْتَ الْمَالِ مُعَدٌّ لِحَوائِجِ الْمُسْلِمِينَ.

۞ وَإِذَا مَاتَ اللَّقِيطُ وَتَرَكَ مِيرَاثًا أَوْ كَانَتْ لَهُ دِيَةٌ إِذَا قُتِلَ، فَمِيرَاثُهُ وَدِيَتُهُ لِبَيْتِ الْمَالِ، وَلَيْسَ لِمُلْتَقِطِهِ حَقٌّ مِيرَاثِهِ، وَلَيْسَ لَهُ كَذَلِكَ الْحَقُّ فِي دِيَتِهِ.

۞ وَإِذَا حَضَرَ مَنِ ادَّعَىٰ نَسَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ، أُلْحِقَ بِهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ مَصْلَحَةِ اللَّقِيطِ، وَحِينَئِذٍ يَثْبُتُ نَسَبُهُ وَإِرْثُهُ لِمُدَّعِيهِ.

۞ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم دَخَلَ يَوْمًا مَسْرُورًا، تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «**أَلَمْ تَرَىٰ أَنَّ مُجَزِّزًا الْمُدْلِجِيَّ** (وَكَانَ قَائِفًا) **نَظَرَ آنِفًا إِلَىٰ زَيْدٍ وَأُسَامَةَ، وَقَدْ غَطَّيَا رُءُوسَهُمَا، وَبَدَتْ أَقْدَامُهُمَا، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَفِي هَذَا دَرْسٌ تَتَعَلَّمُهُ الْأُمَّةُ كُلُّهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم الَّذِي يَفْرَحُ وَيَعْلُوهُ السُّرُورُ حِينَ يَلْحَقُ الْوَلَدُ فِي نَسَبِهِ مِنْ أَبِيهِ؛ بَلْ يَكْفِي زَيْدًا وَأُسَامَةَ شَرَفًا أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا كَانَ يُلَقَّبُ بِـ: «حِبِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم».

۞۞۞۞۞

الْوَقْفُ

۞ وَهُوَ حَبْسُ الْمَالِ، وَصَرْفُ مَنَافِعِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَهُوَ نَوْعَانِ:

١) **وَقْفٌ أَهْلِيٌّ:** وَهُوَ مَا يُحْبَسُ عَلَىٰ الْأَبْنَاءِ وَالْأَحْفَادِ أَوِ الْأَقَارِبِ، وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِلَىٰ الْفُقَرَاءِ، وَيُسَمَّىٰ بِالْوَقْفِ الْأَهْلِيِّ أَوِ الذُّرِّيِّ، فَمَنْ وَقَفَ عَلَىٰ أَوْلَادِهِ، دَخَلَ فِي ذَلِكَ أَوْلَادُ الْأَوْلَادِ مَا تَنَاسَلُوا، وَكَذَلِكَ أَوْلَادُ الْبَنَاتِ، فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

٢) **وَقْفٌ خَيْرِيٌّ:** وَهُوَ مَا يُوقَفُ وَيُحْبَسُ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ ابْتِدَاءً، وَيُسَمَّىٰ بِالْوَقْفِ الْخَيْرِيِّ.

۞ وَالْوَقْفُ سَوَاءٌ الْأَهْلِيُّ أَوِ الْخَيْرِيُّ، لَا يَجُوزُ بَيْعُهُ وَلَا هِبَتُهُ وَلَا التَّصَرُّفُ فِيهِ بِأَيِّ شَيْءٍ يُزِيلُ وَقْفَهُ وَحَبْسَهُ، وَلَا يُورَثُ.

۞ وَعَلَىٰ مَنْ قَامَ عَلَىٰ الْوَقْفِ أَنْ يَأْكُلَ بِالْمَعْرُوفِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ عُمَرَ

أَصَابَ أَرْضَـاً بِخَيْبَرَ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضَـاً بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالاً قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا**»، فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ أَنَّهَا لَا تُبَاعُ وَلَا تُوهَبُ وَلَا تُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الْفُقَرَاءِ، وَفِي الْقُرْبَىٰ، وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّعِيفِ، وَلَا جُنَاحَ عَلَىٰ مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ (أَيْ: غَيْرَ مُتَّخِذٍ مِنْهَا مِلْكَـاً لِنَفْسِهِ). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَقَدْ رَغَّبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْوَقْفِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَالصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ مِنْهَا بِنَاءُ الْمَسَاجِدِ، أَوْ بَيْتٍ لِابْنِ السَّبِيلِ، أَوْ إِجْرَاءُ نَهْرٍ، أَوْ حَفْرُ بِئْرٍ، أَوْ تَوْرِيثُ مُصْحَفٍ يُنْتَفَعُ بِتِلَاوَتِهِ وَحِفْظِهِ.

۞ وَالْوَقْفُ يَقْتَضِي حَبْسَ الْعَيْنِ عَنِ التَّصَرُّفَاتِ، وَالِانْتِفَاعَ بِمَا أُوقِفَتْ مِنْ أَجْلِهِ مِنَ الْمَنَافِعِ مِمَّنْ لَهُمُ الْحَقُّ فِي ذَٰلِكَ.

۞ وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ يَتَنَافَسُونَ فِي عَمَلِ الْوَقْفِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الصَّدَقَاتِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**مَنِ احْتَبَسَ فَرَسَاً فِي سَبِيلِ اللهِ إِيمَانَاً وَاحْتِسَابَاً، فَإِنَّ شِبَعَهُ، وَرَوْثَهُ، وبَوْلَهُ، فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسَنَاتٌ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ ﷺ: «**الْمَاءُ**»، فَحَفَرَ بِئْرَاً، وَقَالَ: هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ. أَيْ: ثَوَابُهَا لِأُمِّهِ. (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ)

۞ وَرَوَىٰ أَنَسٌ ﷺ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ ﷺ كَانَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ (وَكَانَتْ بَيْرُحَاءُ بُسْتَانَـاً مِنْ نَخْلٍ بِجِوَارِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ) وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ

الْكَرِيمَةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2]، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ**»، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «**بَخٍ**»، اَلْإِعْجَابُ وَالتَّفْخِيمُ لِعَمَلِ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه.

وَعَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ**»، فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ رضي الله عنه، وَجَعَلَهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَقَدِ امْتَدَحَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِداً رضي الله عنه؛ لِأَنَّهُ أَوْقَفَ أَدْرُعَهُ وَسِلَاحَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، حَيْثُ قَالَ ﷺ: «**أَمَّا خَالِدٌ فَقَدِ احْتَبَسَ أَدْرُعَهُ وَأَعْتَادَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ؛ سُرُوراً بِمَا صَنَعَهُ خَالِدٌ رضي الله عنه.

وَقَدْ تَصَدَّقَ بَنُو النَّجَارِ بِحَائِطِهِمْ، أَيْ: بُسْتَانِهِمْ لِيَكُونَ مَسْجِداً، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَأَمَرَ ﷺ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، قَالَ ﷺ: «**يَا بَنِي النَّجَارِ، ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا**؟ فَقَالُوا: وَاللهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَأَخَذَهُ ﷺ فَبَنَاهُ مَسْجِداً». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

الْوَصِيَّةُ

هِيَ هِبَةُ الْإِنْسَانِ غَيْرَهُ عَيْناً، أَوْ دَيْناً، أَوْ مَنْفَعَةً، عَلَىٰ أَنْ يَمْلِكَ الْمُوصَىٰ لَهُ الْهِبَةَ بَعْدَ الْمَوْتِ. فَهِيَ هِبَةٌ لَا يَمْلِكُهَا الْمُوصَىٰ لَهُ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ الْمُوصِّي.

وَهِيَ قُرْبَةٌ يَتَقَرَّبُ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ؛ كَيْ تَزْدَادَ حَسَنَاتُهُ، أَوْ يَتَدَارَكَ بِهَا مَا فَاتَهُ، وَلِمَا فِيهَا مِنَ الْبِرِّ بِالنَّاسِ وَالْمُوَاسَاةِ لَهُمْ.

وَيُشْتَرَطُ فِيهَا أَلَّا يَكُونَ فِيهَا إِضْرَارٌ بِالْوَرَثَةِ، وَأَلَّا يُوَصِّيَ لِوَارِثٍ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا**

(١) آل عمران الآية (٩٢). (٢) آل عمران الآية (٩٢).

وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ)

۞ وَأَمَّا عَنِ الْمِقْدَارِ الَّذِي تُسْتَحَبُّ الْوَصِيَّةُ بِهِ، فَهُوَ ثُلُثُ مَا تَرَكَ، وَلَا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَيْهِ، وَالْأَوْلَىٰ أَنْ يَنْقُصَ عَنْهُ، فَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَادَهُ فِي مَرَضِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «لَا»، قُلْتُ: فَالشَّطْرُ؟ (أَيْ: اَلنِّصْفُ)، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «لَا»، قُلْتُ: اَلثُّلُثُ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: **«فَالثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ؛ إِنَّكَ إِنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»**. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَيُشْتَرَطُ لِنَفَاذِ الْوَصِيَّةِ قَبُولُ الْمُوصَىٰ لَهُ لِلْوَصِيَّةِ.

❁❁❁❁❁

الْمَوَارِيثُ

۞ **وَيُقَالُ لَهَا: الْفَرَائِضُ**، وَالْفَرَائِضُ هِيَ الْأَنْصِبَةُ الَّتِي قَدَّرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلْوَرَثَةِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بَعْدَ وَفَاةِ الْمُوَرِّثِ، وَبَيَّنَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَدَعَانَا صلى الله عليه وسلم إِلَىٰ تَعَلُّمِهَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهَا، فَإِنَّهَا نِصْفُ الْعِلْمِ»**.
(رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَالدَّارَقُطْنِيُّ)

۞ وَالْمَالُ الَّذِي يَتْرُكُهُ الْمُوَرِّثُ بَعْدَ وَفَاتِهِ يُقَالُ لَهُ: التَّرِكَةُ، فَيَؤُولُ ذَلِكَ الْمَالُ لِوَرَثَتِهِ بَعْدَ إِخْرَاجِ الْحُقُوقِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالتَّرِكَةِ كَالْآتِي:

١) **الْحَقُّ الْأَوَّلُ**: وَهُوَ تَكْفِينُ الْمَيِّتِ، وَتَجْهِيزُهُ مِنَ الْمَالِ الَّذِي تَرَكَهُ.

٢) **الْحَقُّ الثَّانِي**: قَضَاءُ دُيُونِهِ سَوَاءٌ كَانَتْ دَيْنًا عَلَيْهِ للهِ تَعَالَىٰ كَالزَّكَاةِ وَالْكَفَّارَاتِ، أَوْ دَيْنًا لِلْعِبَادِ.

٣) **الْحَقُّ الثَّالِثُ**: وَهُوَ تَنْفِيذُ وَصِيَّتِهِ مِنْ ثُلُثِ الْبَاقِي بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ.

وَبَعْدَ أَدَاءِ هَذِهِ الْحُقُوقِ الثَّلَاثَةِ، يُقَسَّمُ مَا بَقِيَ مِنَ الْمَالِ الَّذِي تَرَكَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَلَىٰ وَرَثَتِهِ، وِفْقًا لِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ عز وجل، وَعَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖ ﴾(١).

(١) النساء الآية (١٢).

وَالْـوَارِثُ نَوْعَـانِ:

١) وَارِثٌ بِسَبَبِ الْعَصَبَةِ وَالرَّحِمِ، وَالْمُرَادُ بِالْعَصَبَةِ بَنُو الرَّجُلِ وَقَرَابَتُهُ لِأَبِيهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1].

٢) وَارِثٌ بِسَبَبِ الزَّوَاجِ الصَّحِيحِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾[2].

مَـوَانِـعُ الإِرْثِ:

يُشْتَرَطُ لِلْمِيرَاثِ، أَلَّا يَكُونَ هُنَاكَ مَانِعٌ مِنْ مَوَانِعِ الإِرْثِ كَالْآتِي:

❁ **الْقَتْلُ الْعَمْدُ**، الَّذِي يَقْتُلُ فِيهِ الْوَارِثُ مُوَرِّثَهُ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَيْسَ لِلْقَاتِلِ شَيْءٌ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ)

❁ **اخْتِلَافُ الدِّينِ**، فَلَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ، فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَالْحِكْمَـةُ مِنْ مَـوَانِـعِ الإِرْثِ:

أَنَّ الْمِيرَاثَ نِعْمَةٌ تَفَضَّلَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا عَلَىٰ عِبَادِهِ، أَسْدَاهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِلْوَارِثِ بِسَبَبِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُوَرِّثِهِ مِنْ قَرَابَةِ الْعَصَبِ وَالرَّحِمِ الَّتِي بَيْنَهُمَا، فَالْقَاتِلُ لِمُوَرِّثِهِ جَاحِدٌ لِنِعْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالْكَافِرُ جَاحِدٌ كَذَلِكَ بِسَبَبِ كُفْرِهِ، فَلَا يَرِثُ الْمُسْلِمَ وَلَا يَرِثُهُ الْمُسْلِمُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[3]، وَالْكُفْرُ وَالإِيمَانُ لَا يَلْتَقِيَانِ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَلْتَقِيَانِ فِي الْآخِرَةِ.

أَصْحَابُ الْفُرُوضِ:

هُمُ الَّذِينَ لَهُمْ فَرْضٌ، أَيْ: نَصِيبٌ مِنَ الْفُرُوضِ السِّتَّةِ الْمُعَيَّنَةِ لَهُمْ، وَهِيَ كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ: ($\frac{1}{2}$، $\frac{1}{4}$، $\frac{1}{8}$، $\frac{2}{3}$، $\frac{1}{3}$، $\frac{1}{6}$).

وَأَصْحَابُ الْفُرُوضِ اثْنَا عَشَرَ؛ أَرْبَعَةٌ مِنَ الذُّكُورِ وَهُمُ الْأَبُ وَالْجَدُّ الصَّحِيحُ وَإِنْ عَلَا،

(١) الأنفال الآية (٧٥). (٢) النساء الآية (١٢). (٣) الكافرون الآية (٦).

وَالْأَخُ لِأُمٍّ، وَالزَّوْجُ. وَثَمَانٍ مِنَ الْإِنَاثِ هُنَّ الزَّوْجَةُ، وَالْبِنْتُ، وَالْأُخْتُ الشَّقِيقَةُ، وَالْأُخْتُ لِأَبٍ، وَالْأُخْتُ لِأُمٍّ، وَبِنْتُ الِابْنِ، وَالْأُمُّ، وَالْجَدَّةُ الصَّحِيحَةُ وَإِنْ عَلَتْ.

تَقْسِيمُ الْمِيرَاثِ:

وَقَدْ أَرْشَدَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ تَقْسِيمِ الْمِيرَاثِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا أَبْقَتِ الْفَرَائِضُ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَمَعْنَىٰ: «**فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ**»: الْأَقْرَبُ مِنَ الْمُوَرِّثِ فِي الْعَصَبِ وَالنَّسَبِ، فَلَا تَخْرُجُ التَّرِكَةُ إِلَىٰ قَوْمٍ آخَرِينَ لَيْسُوا مِنَ الْعَصَبِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ وَارِثُ الْقَوْمِ مِنْهُمْ عَصَبًا وَنَسَبًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ، وَهُوَ الَّذِي يُورَثُ كَلَالَةً، وَلَهُ أَخٌ لِأُمٍّ أَوْ أُخْتٌ لِأُمٍّ، فَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْفُرُوضِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[1].

۞ وَقَدْ فَرَضَ اللهُ هُنَا لِلْأَخِ لِأُمٍّ أَوِ الْأُخْتِ لِأُمٍّ السُّدُسَ؛ لِما بَيْنَهُما وَبَيْنَ الْمُوَرِّثِ مِنَ الرَّحِمِ، وَإِنْ كَانُوا لَيْسُوا مِنَ الْعَصَبِ، وَفَرَضَ سُبْحَانَهُ لِمَنْ يُورَثُ كَلَالَةً، أَيْ: لَيْسَ لَهُ وَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ، وَلَكِنَّهُمْ أَشِقَّاءُ، أَكْثَرَ مِمَّا فَرَضَهُ لِلْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ لِأُمٍّ؛ فَفَرَضَ لِلْأُخْتِ الشَّقِيقَةِ نِصْفَ مَا تَرَكَ أَخُوهَا، أَمَّا إِنْ مَاتَتْ هِيَ فَلِلْأَخِ الشَّقِيقِ كُلُّ مَا تَرَكَتْ أُخْتُهُ الشَّقِيقَةُ، فَالزِّيَادَةُ هُنَا فِي مِيرَاثِ الْأَشِقَّاءِ فِي حَالَةِ الْكَلَالَةِ، تَزِيدُ عَلَىٰ مِيرَاثِ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ لِأُمٍّ؛ لِأَنَّ الْأَشِقَّاءَ جَمَعُوا بَيْنَ رَابِطَةِ الْعَصَبِ وَالرَّحِمِ مَعًا بِالنِّسْبَةِ لِلْمُوَرِّثِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾[2].

۞ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي اجْتِمَاعِ الْإِخْوَةِ مَعَ الْأَخَوَاتِ الْأَشِقَّاءِ، لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ،

(١) النساء الآية (١٢). (٢) النساء الآية (١٧٦).

هَذَا فِي مِيرَاثِ الْكَلالَةِ، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي مِيرَاثِ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُ﴾(١).

۞ كَمَا وَضَّحَ جَلَّ جَلالُهُ عَلَىٰ وَجْهِ التَّحْدِيدِ مِيرَاثَ الْأَبَوَيْنِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِى بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾(٢).

۞ وَإِنَّمَا لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَهُ الْقِوَامَةُ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾(٣). وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي مِيرَاثِ الْأَزْوَاجِ، فَإِنْ مَاتَتِ الزَّوْجَةُ كَانَ لِلزَّوْجِ نِصْفُ مَا تَرَكَتْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ، وَلَهُ الرُّبُعُ إِنْ كَانَ لَهَا وَلَدٌ، أَمَّا إِنْ مَاتَ الزَّوْجُ فَلِلزَّوْجَةِ رُبْعُ مَا تَرَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ، فَإِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَلَهَا الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَ.

۞ وَلَمَّا كَانَ الْأَصْلُ فِي الْمِيرَاثِ يَرْجِعُ إِلَىٰ رَابِطَةِ الْعَصَبِ وَالنَّسَبِ، حَيْثُ يَرِثُ الْمُوَرِّثَ الْمُتَوَفَّىٰ مَنْ هُوَ مِنْهُ، فَوَارِثُ الْقَوْمِ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِلُ إِلَيْهِ مَالُ مُوَرِّثِهِ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ بِرَابِطَةِ الْعَصَبِ وَالنَّسَبِ وَالرَّحِمِ الَّتِي بَيْنَ الْمُوَرِّثِ وَالْوَارِثِ، فَإِنْ كَانَ الْوَارِثُ لَيْسَ مِنْ عَصَبِ الْمُوَرِّثِ، اِسْتَحَقَّ فِي مِيرَاثِ الْكَلالَةِ السُّدُسَ، وَتَسَاوَىٰ فِيهِ الْأَخُ وَالْأُخْتُ لِأُمٍّ؛ لِأَنَّ مَا افْتَرَضَهُ اللهُ لَهُمْ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الْإِحْسَانِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَيْهِمْ وَالرِّفْقِ بِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ عَصَبِ الْمُوَرِّثِ وَنَسَبِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمُۢ﴾(٤).

۞ وَفِي هَذَا مَا يَبْعَثُ رُوحَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالْأُلْفَةِ، وَأَدْعَىٰ لِلصِّلَةِ بَيْنَ ذَوِي الْقُرْبَىٰ، وَهَذَا هُوَ مَا تَهْدِفُ إِلَيْهِ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ الَّتِي شَرَعَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِصَالِحِ الْعِبَادِ، وَأَمَرَنَا بِهَا فِي كِتَابِهِ

(١) النساء الآية (١١).
(٢) النساء الآية (١١).
(٣) النساء الآية (٣٤).
(٤) الأنفال الآية (٧٥).

الْعَزِيزِ، وَدَعَانَا لِلِاعْتِصَامِ بِهَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

❁❁❁❁❁

الشَّرِكَةُ

وَهِيَ نَوْعَانِ:

(١) **شَرِكَةُ أَمْلَاكٍ.** (٢) **شَرِكَةُ عُقُودٍ.**

(١) **فَشَرِكَةُ الْأَمْلَاكِ:** هِيَ أَنْ يَتَمَلَّكَ أَكْثَرُ مِنْ شَخْصٍ عَيْنًا مِنْ غَيْرِ عَقْدٍ، وَتَنْقَسِمُ إِلَىٰ الْآتِي:

۞ **اِخْتِيَارِيَّةٌ:** وَهِيَ أَنْ يَهَبَ لِشَخْصَيْنِ هِبَةً، أَوْ يُوصِي لَهُمَا بِشَيْءٍ فَيَقْبَلَا، فَيَكُونَ الشَّيْءُ الْمَوْهُوبُ أَوِ الْمُوصَىٰ بِهِ مِلْكًا لَهُمَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُشَارَكَةِ، وَكَذَلِكَ إِذَا اشْتَرَيَا شَيْئًا لِحِسَابِهِمَا، فَيَكُونُ الشَّيْءُ الْمُشْتَرَىٰ شَرِكَةً بَيْنَهُمَا.

۞ **جَبْرِيَّةٌ:** وَهِيَ الَّتِي تَثْبُتُ لِأَكْثَرَ مِنْ شَخْصٍ جَبْرًا، دُونَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ فِعْلٌ فِي إِحْدَاثِ الْمِلْكِيَّةِ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي الْمِيرَاثِ. فَإِنَّ الشَّرِكَةَ تَثْبُتُ لِلْوَرَثَةِ دُونَ اخْتِيَارٍ مِنْهُمْ، وَتَكُونُ الشَّرِكَةُ بَيْنَهُمْ شَرِكَةَ مِلْكٍ.

۞ وَحُكْمُ شَرِكَةِ الْأَمْلَاكِ، أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَيِّ شَرِيكٍ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي نَصِيبِ صَاحِبِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا وِلَايَةَ لِأَحَدِهِمَا فِي نَصِيبِ الْآخَرِ.

(٢) **شَرِكَةُ الْعُقُودِ:** وَهِيَ عَقْدٌ بَيْنَ الْمُتَشَارِكِينَ فِي رَأْسِ الْمَالِ وَالرِّبْحِ، وَلَهَا رُكْنَانِ: الْإِيجَابُ وَالْقُبُولُ، فَيَقُولُ أَحَدُ الطَّرَفَيْنِ: شَارَكْتُكَ فِي كَذَا وَكَذَا. وَيَقُولُ الثَّانِي: قَبِلْتُ.

۞ وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَشْرُوعِيَّتِهَا، مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَإِنْ خَانَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ)

۞ وَقَالَ زَيْدٌ: «**كُنْتُ أَنَا وَالْبَرَاءُ شَرِيكَيْنِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَفِي الْغَالِبِ مَا تَكُونُ الْمُضَارَبَةُ هَدَفًا مِنْ أَهْدَافِ الشُّرَكَاءِ، وَقَدْ أَقَرَّهَا النَّبِيُّ ﷺ؛ حَيْثُ إِنَّهُ ﷺ دَفَعَ أَرْضَ خَيْبَرَ بَعْدَ فَتْحِهَا إِلَىٰ الْيَهُودِ يُعَمِّرُونَهَا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي مُقَابِلِ شَطْرِ مَا يَخْرُجُ

مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ، وَكَانَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِأَرَاضِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، يَدْفَعُونَهَا إِلَىٰ مَنْ يَقُومُ عَلَيْهَا مُقَابِلَ جُزْءٍ مِمَّا يَخْرُجُ مِنْهَا نَظِيرَ عَمَلِهِمْ فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا فِي شُغْلٍ بِالْجِهَادِ وَغَيْرِهِ. (ذَكَرَ ذَلِكَ صَاحِبُ كِتَابِ الرَّوْضَةِ النَّدِيَّةِ)

۞ فَالْمُضَارَبَةُ شَرِكَةٌ: أَحَدُ الشَّرِيكَيْنِ يَكُونُ فِيهَا شَرِيكًا بِرَأْسِ الْمَالِ، وَالْآخَرُ بِالْعَمَلِ، وَالرِّبْحُ مِنَ الْمَالِ أَوِ الثِّمَارِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ يُقَسَّمُ بَيْنَهُمَا.

۞ وَمِنْ صُوَرِ الشَّرِكَاتِ الَّتِي جَرَتْ بِهَا الْعَادَةُ فِي التِّجَارَةِ: أَنْ يَشْتَرِكَ اثْنَانِ فِي مَالٍ لَهُمَا عَلَىٰ أَنْ يَتَّجِرَا فِيهِ وَالرِّبْحُ بَيْنَهُمَا، وَلَا يُشْتَرَطُ فِيهَا الْمُسَاوَاةُ فِي الْمَالِ، وَلَا فِي الرِّبْحِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا أَكْثَرَ مَالاً مِنَ الْآخَرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَسَاوَيَا فِي الرِّبْحِ أَوْ يَخْتَلِفَا حَسَبَ الِاتِّفَاقِ بَيْنَهُمَا، فَإِذَا كَانَتْ ثَمَّةَ خَسَارَةٌ، فَتَكُونُ بِنِسْبَةِ رَأْسِ الْمَالِ. وَيَتِمُّ ذَلِكَ فِيمَا يُسَمَّىٰ: (شَرِكَةَ الْعِنَانِ)، حَيْثُ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا تَعْنِيهِ شَرِكَةُ الْآخَرِ، وَيَأْخُذُ بِعِنَانِ الشَّرِكَةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا. وَتَصِحُّ هَذِهِ الشَّرِكَةُ بِالتَّرَاضِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ.

وَهُنَاكَ مِنْ صُوَرِ الشَّرِكَاتِ:

۞ شَرِكَةٌ يَتَّفِقُ فِيهَا اثْنَانِ عَلَىٰ قَبُولِ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، عَلَىٰ أَنْ تَكُونَ أُجْرَةُ هَذَا الْعَمَلِ بَيْنَهُمَا حَسَبَ الِاتِّفَاقِ، وَكَثِيراً مَا يَحْدُثُ هَذَا بَيْنَ النَّجَارِينَ، وَالْحَدَّادِينَ، وَالْخَيَّاطِينَ، وَالصَّاغَةِ، وَالْحَمَّالِينَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْحِرَفِ، وَتَصِحُّ هَذِهِ الشَّرِكَةُ، سَوَاءٌ اتَّحَدَتْ حِرْفَتُهُمَا أَمِ اخْتَلَفَتْ، كَنَجَّارٍ مَعَ نَجَّارٍ، أَوْ نَجَّارٍ مَعَ حَدَّادٍ، وَسَوَاءٌ عَمِلُوا جَمِيعًا أَوْ مُنْفَرِدِينَ، وَتُسَمَّىٰ هَذِهِ الشَّرِكَةُ بِشَرِكَةِ الْأَبْدَانِ أَوِ الْأَعْمَالِ.

وَيُشْتَرَطُ لِصِحَّةِ هَذِهِ الشَّرِكَاتِ جَمِيعِهَا وَأَمْثَالِهَا الشُّرُوطُ الْآتِيَةُ:

١) كَمَالُ الْأَهْلِيَّةِ فِي الْمُتَعَاقِدِينَ؛ بِأَنْ يَكُونَ الْمُتَعَاقِدُ بَالِغًا عَاقِلاً رَشِيداً.

٢) اَلتَّرَاضِي بَيْنَ الْمُتَعَاقِدِينَ.

٣) أَنْ تَكُونَ عُقُودُ الشَّرِكَاتِ خَالِيَةً مِنَ الْغِشِّ، وَالْخِدَاعِ، وَالْخِيَانَةِ، وَالْغَبْنِ، وَكُلِّ مَا يُفْسِدُ التَّصَرُّفَاتِ.

٤) أَنْ يَكُونَ رَأْسُ الْمَالِ مَحَلَّ التَّعَاقُدِ بَيْنَ الشُّرَكَاءِ، مِمَّا يَجُوزُ التَّعَاقُدُ فِيهِ شَرْعًا، وَأَنْ يَكُونَ

مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ.

۞ وَمَتَىٰ سَلِمَتْ عُقُودُ الشَّرِكَاتِ مِمَّا يُفْسِدُهَا، وَتَوَافَرَتِ الْأَهْلِيَّةُ وَالتَّرَاضِي بَيْنَ الْمُتَعَاقِدِينَ، قَامَتْ هَذِهِ الشَّرِكَاتُ صَحِيحَةً، وَفَازَ أَهْلُهَا بِرِضَا اللهِ سُبْحَانَهُ، وَرِضَا رَسُولِهِ ﷺ الْقَائِلِ فِيمَا وَرَدَ عَنْهُ: «**نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ)

۞ كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[1]، **وَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[2]. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمْ)

۞۞۞۞۞

الْهِبَةُ

۞ هِيَ تَمْلِيكُ الْإِنْسَانِ مَالاً مَمْلُوكًا لِغَيْرِهِ فِي الْحَيَاةِ بِلَا عِوَضٍ، وَقَدْ شَرَعَ اللهُ الْهِبَةَ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ، وَتَوْثِيقِ عُرَىٰ الْمَحَبَّةِ بَيْنَ النَّاسِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَهَادُوا تَحَابُّوا**». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

۞ وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا، فَعَنْ خَالِدِ بْنِ عَدِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ جَاءَهُ مِنْ أَخِيهِ مَعْرُوفٌ مِنْ غَيْرِ إِشْرَافٍ وَلَا مَسْأَلَةٍ، فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدُّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْهِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

وَمَعْنَىٰ: (مِنْ غَيْرِ إِشْرَافٍ)، أَيْ: مِنْ غَيْرِ تَطَلُّعٍ وَطَمَعٍ لِمَا فِي يَدِ الْوَاهِبِ.

۞ وَقَدْ سَنَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ سُنَّةً مَحْمُودَةً فِي مُكَافَأَةِ الْوَاهِبِ عَلَىٰ حُسْنِ صَنِيعِهِ وَمَعْرُوفِهِ، وَهُوَ مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَجَارَ بِاللهِ فَأَجِيرُوهُ، وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا، فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**».

---

(١) المؤمنون الآية (٥١). (٢) البقرة الآية (١٧٢).

(رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ وابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

وَمَعْنَىٰ: «**وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ**»، أَيْ: مَنِ اصْطَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ بِهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُثِيبَهُ عَلَىٰ هَدِيَّتِهِ إِنْ كَانَ الْمَوْهُوبُ لَهُ قَادِراً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَادِراً، فَعَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ حَتَّىٰ يَعْلَمَ الْمَوْهُوبُ لَهُ أَنَّهُ قَدْ كَافَأَ الْوَاهِبَ.

وَإِلَىٰ هَذَا أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، مَا رَأَيْنَا قَوْماً أَحْسَنَ بَذْلاً لِكَثِيرٍ، وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً فِي قَلِيلٍ مِنْهُمْ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْونَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَإِ، حَتَّىٰ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ ﷺ: «**لَا، مَا دَعَوْتُمْ لَهُمْ، وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

وَمَعْنَىٰ: «**الْمَهْنَإِ**»، أَيْ: كِفَايَةِ الْمَعِيشَةِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: «**أَلَيْسَ تُثْنُونَ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَتَدْعُونَ لَهُمْ؟**»، قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ ﷺ: «**فَذَاكَ بِذَاكَ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الدُّعَاءَ لِلْوَاهِبِ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ مِنْ أَبْلَغِ الثَّنَاءِ، فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْراً، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ شُكْرَ اللهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَوْقُوفاً عَلَىٰ شُكْرِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا مِنَ النَّاسِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وأَبُو دَاوُدَ)

آدَابُ الْهِبَةِ:

(١) لَا يَجُوزُ لِلْوَاهِبِ أَنْ يَرْجِعَ فِي هِبَتِهِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ حُرْمَةِ الرُّجُوعِ فِي الْهِبَةِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ هِبَةِ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُعْطِيَ عَطِيَّةً، أَوْ يَهَبَ هِبَةً، فَيَرْجِعَ فِيهَا، إِلَّا الْوَالِدُ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ. وَمَثَلُ الَّذِي يُعْطِي الْعَطِيَّةَ، ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَمَثَلِ الْكَلْبِ يَأْكُلُ، فَإِذَا شَبِعَ قَاءَ، ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ والتِّرْمِذِيُّ)

(٢) عَلَىٰ الْمَوْهُوبِ قُبُولُ الْهَدِيَّةِ، وَهَذَا مَا حَثَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَدْ حَضَّ عَلَىٰ ذَلِكَ، حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَتْ شَيْئًا يَسِيراً، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ، وَلَوْ دُعِيتُ عَلَيْهِ لَأَجَبْتُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وأَحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ)

❁ وَمِمَّا نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَدِّهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ: الْوَسَائِدُ، وَالدُّهْنُ (أَيْ: الطِّيبُ)، وَاللَّبَنُ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

❁ كَمَا نَهَىٰ ﷺ عَنْ رَدِّ الرَّيْحَانِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلَا يَرُدُّهُ؛ لِأَنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمَلِ، طَيِّبُ الرِّيحِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

(٣) إِنْ كَانَتِ الْهِبَةُ مِنَ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، فَعَلَىٰ الْوَالِدِ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَ أَوْلَادِهِ، فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، أَنَّ أَبَاهُ أَتَىٰ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رضي الله عنه: إِنِّي نَحَلْتُ هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟**» فَقَالَ رضي الله عنه: لَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تُشْهِدْنِي؛ اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَىٰ جَوْرٍ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَذَلِكَ حَتَّىٰ لَا يُؤَدِّيَ عَدَمُ الْعَدْلِ بَيْنَهُمْ إِلَىٰ الْبَغْضَاءِ وَالْكَرَاهِيَةِ.

(٤) إِذَا كَانَتِ الْهِبَةُ لِلْجِيرَانِ، فَعَلَىٰ الْوَاهِبِ أَنْ يَبْدَأَ بِأَقْرَبِ جَارٍ لَهُ؛ لِمَا رَوَتْهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَىٰ أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ ﷺ: «**إِلَىٰ أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا**».

(٥) مُكَافَأَةُ الْوَاهِبِ عَلَىٰ هِبَتِهِ، إِنِ اسْتَطَاعَ الْمَوْهُوبُ لَهُ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، دَعَا لَهُ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، كَمَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

الْفَرْعُ الثَّانِي

الْمَحْظُورُ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ

إِنَّ الشَّرِيعَةَ السَّمْحَاءَ مَا أَحَلَّتْ شَيْئًا لِلْإِنْسَانِ إِلَّا وَفِيهِ مَصْلَحَةٌ، وَمَا نَهَتْ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَفِيهِ مَفْسَدَةٌ، فَمَنْ أَحْسَنَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾(١). وَمِنَ الصُّوَرِ الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْمُعَامَلَاتِ، الْآتِي:

١. الرِّبَا

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾(٢). وَمَعنَىٰ الرِّبَا، أَيْ: الزِّيَادَةُ عَلَىٰ رَأْسِ الْمَالِ.

۞ وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِيهَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ، وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ، لِمَنِ اسْتَمَرَّ عَلَىٰ تَعَاطِي الرِّبَا بَعْدَ الْإِنْذَارِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَعَنْ قَتَادَةَ، أَنَّ آكِلَ الرِّبَا يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾(٣).

وَالرِّبَا قِسْمَانِ:

(أ) رِبَا النَّسِيئَةِ. **(ب) رِبَا الْفَضْلِ.**

(أ) فَرِبَا النَّسِيئَةِ:

۞ هُوَ الزِّيَادَةُ الْمَشْرُوطَةُ الَّتِي يَأْخُذُهَا الدَّائِنُ مِنَ الْمَدِينِ نَظِيرَ التَّأْجِيلِ، فَإِنِ اشْتَرَطَهَا الدَّائِنُ مُنِعَ، وَتَعَيَّنَ عَلَىٰ الْمَدِينِ رَدُّ الدَّيْنِ أَوْ مِثْلِهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ، فَإِنْ رَدَّ الْمَدِينُ أَفْضَلَ مِمَّا اقْتَرَضَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْتَرِطَ عَلَيْهِ الدَّائِنُ الزِّيَادَةَ عَلَىٰ الدَّيْنِ، كَانَ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُ، فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ لِي عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ حَقٌّ، فَقَضَانِي وَزَادَنِي». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ)

۞ أَمَّا الزِّيَادَةُ الْمَشْرُوطَةُ، فَهِيَ حَرَامٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ.

(١) النساء الآية (١٤٧). (٢) البقرة الآية (٢٧٩). (٣) البقرة الآية (٢٧٩).

(ب) **رِبَـا الْفَضْـلِ:**

۞ هُوَ بَيْعُ النُّقُودِ بِالنُّقُودِ، أَوِ الطَّعَامِ بِالطَّعَامِ، بِزِيَادَةٍ أَوِ اسْتِزَادَةٍ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلاً بِمِثْلٍ، يَدَاً بِيَدٍ، فَمَنْ زَادَ أَوِ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرْبَىٰ، اَلْآخِذُ وَالْمُعْطِي سَوَاءٌ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وأَحْمَدُ)

۞ أَمَّا إِذَا اخْتَلَفَتِ الْأَصْنَافُ؛ بِأَنْ بِعْتَ بُرَّاً بِذَهَبٍ، أَوْ ذَهَبًا بِفِضَّةٍ، بِزِيَادَةٍ أَوِ اسْتِزَادَةٍ، فَلَا شَيْءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحُرْمَةِ بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ الْمُبَادَلَةُ عَلَىٰ الْفَوْرِ، يَدَاً بِيَدٍ مِنْ غَيْرِ تَأْجِيلٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «**اَلذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلاً بِمِثْلٍ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدَاً بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ؛ إِذَا كَانَ يَدَاً بِيَدٍ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

فَالأَصْنَـافُ الْمُحَرَّمُ فِيهَا رِبَـا الْفَضْلِ سِتَّـةُ أَصْنَـافٍ:

الذَّهَبُ - الْفِضَّةُ - الْقَمْحُ - الشَّعِيرُ- التَّمْرُ- الْمِلْحُ.

۞ وَقَدْ أَضَافَ الْفُقَهَاءُ كُلَّ مَا يَقُومُ مَقَامَ هَذِهِ الْأَصْنَافِ السِّتَّةِ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ﷺ: «**لَا رِبَا إِلَّا فِيمَا كِيلَ أَوْ وُزِنَ مِمَّا يُؤْكَلُ أَوْ يُشْرَبُ**»، وَمَا عَدَا هَذَا وَمَا قِيسَ عَلَيْهِ فَلَا رِبَا فِيهِ، وَإِنَّمَا خَصَّ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الْأَصْنَافَ السِّتَّةَ؛ لِأَنَّها الْأَشْيَاءُ الْأَسَاسِيَّةُ الَّتِي يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهَا، وَالَّتِي لَا غِنَىٰ لَهُمْ عَنْهَا.

۞ فَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ هُمَا الْعُنْصُرَانِ الْأَسَاسِيَّانِ لِلنُّقُودِ، وَبِهِمَا تَنْضَبِطُ الْمُعَامَلَةُ وَالْمُبَادَلَةُ، فَهُمَا مِعْيَارُ الْأَثْمَانِ الَّذِي يُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي تَقْوِيمِ السِّلَعِ، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْأَعْيَانِ الْأَرْبَعَةِ فَهِيَ عَنَاصِرُ الْأَغْذِيَةِ، وَأُصُولُ الْقُوتِ الَّذِي بِهِ قَوَامُ الْحَيَاةِ.

۞ فَإِذَا جَرَىٰ الرِّبَا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، كَانَ ضَارَّاً بِالنَّاسِ، وَمُفْضِيًا إِلَىٰ الْفَسَادِ فِي الْمُعَامَلَةِ، فَمَنَعَها الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَرَسُولُهُ ﷺ؛ رَحْمَةً بِالنَّاسِ وَرِعَايَةً لِمَصَالِحِهِمْ.

۞ وَمِنْ ظَاهِرِ مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَرَىٰ أَنَّ عِلَّةَ التَّحْرِيمِ بِالنِّسْبَةِ لِلذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَوْنُهَا ثَمَنًا، وَعِلَّةُ التَّحْرِيمِ بِالنِّسْبَةِ لِبَقِيَّةِ الْأَجْنَاسِ كَوْنُهَا طَعَامًا، فَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَمَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا

مِنَ النُّقُودِ، وَبَاقِي الْأَجْنَاسِ وَمَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الطَّعَامِ الْقَابِلِ لِلْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، لَا يُبَاعُ إِلَّا مِثْلاً بِمِثْلٍ يَداً بِيَدٍ، وَالْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «مِثْلاً بِمِثْلٍ»، أَيْ: التَّسَاوِي فِي الْمِقْدَارِ سَوَاءٌ كَانَ بِالْكَيْلِ أَوِ الْوَزْنِ، وَالْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «يَداً بِيَدٍ»، أَيْ: اَلْبَيْعُ الْفَوْرِيُّ الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَىٰ التَّسَلُّمِ وَالتَّسْلِيمِ فِي الْحَالِ مِنْ غَيْرِ أَجَلٍ. هَذَا إِذَا اتَّحَدَتِ الْأَجْنَاسُ، أَيْ: بَيْعُ ذَهَبٍ بِذَهَبٍ، أَوْ فِضَّةٍ بِفِضَّةٍ، أَوْ قَمْحٍ بِقَمْحٍ؛ أَمَّا إِذَا اخْتَلَفَتِ الْأَجْنَاسُ: ذَهَبٌ بِفِضَّةٍ، أَوْ قَمْحٌ بِشَعِيرٍ «**فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَداً بِيَدٍ**»، أَيْ: مِنْ غَيْرِ أَجَلٍ، وَلَا يُشْتَرَطُ التَّسَاوِي فِي الْكَمِّ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «**لَا بَأْسَ بِبَيْعِ الْبُرِّ بِالشَّعِيرِ، وَالشَّعِيرُ أَكْثَرُهُمَا؛ يَداً بِيَدٍ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ)

۞ فَالتَّفَاضُلُ مَعَ اخْتِلَافِ الْأَجْنَاسِ لَا حُرْمَةَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِرِباً. وَحِكْمَةُ اشْتِرَاطِ الْمُنَاجَزَةِ؛ «يَداً بِيَدٍ»، مِنْ غَيْرِ أَجَلٍ؛ حَتَّىٰ لَا يَدْخُلَ الْبَائِعُ وَالْمُشْتَرِي فِي الْمَحْظُورِ وَهُوَ رِبَا النَّسِيئَةِ؛ لِأَنَّ قِيمَةَ الْأَشْيَاءِ بِمُرُورِ الْوَقْتِ رُبَّمَا تَتَغَيَّرُ، فَيَقَعُ الْخِلَافُ الَّذِي لَا تُحْمَدُ عَوَاقِبُهُ، وَالْخَيْرُ فِيمَا أَرْشَدَنَا وَدَعَانَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

حِكْمَةُ تَحْرِيمِ الرِّبَا:

۞ هُوَ أَنَّ الرِّبَا يَقْضِي عَلَىٰ رُوحِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ النَّاسِ.

۞ وَإِثَارَةُ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَانْتِفَاءُ الْمُرُوءَةِ وَالرَّحْمَةِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، كَمَا أَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَىٰ تَضَخُّمِ الْأَمْوَالِ فِي أَيْدِي طَبَقَةٍ مُتْرَفَةٍ لَا تَعْمَلُ شَيْئاً، وَذَلِكَ عَلَىٰ حِسَابِ طَبَقَةٍ تَعْمَلُ وَتَجْتَهِدُ مِنْ أَجْلِ الْكَسْبِ، فَيَكُونُ الرِّبَا مَدْعَاةً لِامْتِصَاصِ دِمَاءِ النَّاسِ، وَالَّذِي دَعَا إِلَيْهِ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ هُوَ الْقَرْضُ الْحَسَنُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[1].

التَّرْهِيبُ مِنَ الرِّبَا:

۞ لَعَنَ اللهُ تَعَالَىٰ كُلَّ مَنِ اشْتَرَكَ فِي الرِّبَا، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَهُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ وأَحْمَدُ)

---

(١) الحديد الآية (١١).

وَالْمَلْعُونُ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ.

۞ وَالرِّبَا مِنَ السَّبْعِ الْمُوبِقَاتِ الْمُهْلِكَاتِ الَّتِي تُودِي بِصَاحِبِهَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**اِجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَالرِّبَا أَشَدُّ جُرْمًا مِنَ الزِّنَا، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْظَلَةَ غَسِيلِ الملائكة رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**دِرْهَمُ رِباً يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ مِنْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً**».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ)

۞ وَآكِلُ الرِّبَا عَاقِبَةُ أَمْرِهِ قِلَّةُ الْمَالِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا، إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ**». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجه بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

مِنْ سَمَاحَةِ الشَّرِيعَةِ الإِسْلامِيَّةِ:

۞ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يُحَاسِبْ أَكَلَةَ الرِّبَا عَلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَنْ بَلَغَهُ نَهْيُ اللهِ عَنِ الرِّبَا، فَانْتَهَىٰ عَنْ أَكْلِ الرِّبَا، فَلَهُ مَا سَلَفَ مِنَ الْمُعَامَلَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1].

۞ فَمَا كَانَ مِنْ رِبَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**وَكُلُّ رِباً فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَأَوَّلُ رِباً أَضَعُ رِبَا الْعَبَّاسِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَلَمْ يَأْمُرْهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِرَدِّ الزِّيَادَاتِ عَلَىٰ رَأْسِ الْمَالِ الْمَأْخُوذَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، بَلْ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ.

۞ أَمَّا مَنْ عَادَ بَعْدَ بُلُوغِهِ نَهْيُ اللهِ عَنِ الرِّبَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[2].

۞ فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُحَاسِبْ أَكَلَةَ الرِّبَا عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ، وَإِنَّمَا حَاسَبَهُمْ بَعْدَ الْعِلْمِ

(١) البقرة الآية (٢٧٥). (٢) البقرة الآية (٢٧٥).

بِحُرْمَتِهِ، وَفِي ذَلِكَ رَفْعٌ لِلْحَرَجِ، وَتَرْغِيبٌ لَهُمْ فِي الْإِقْبَالِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ بِالْخَوْفِ مِنْ عَذَابِهِ، وَالرَّجَاءِ فِي رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[1].

❁❁❁❁❁

٢. الغَصْبُ

۞ هُوَ أَخْذُ شَخْصٍ حَقَّ غَيْرِهِ، وَالِاسْتِيلَاءُ عَلَيْهِ عُدْوَانًا وَقَهْرًا.

حُكْمُهُ:

۞ حَرَامٌ يَأْثَمُ فَاعِلُهُ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[2].

دَلِيلُ حُرْمَتِهِ مِنَ السُّنَّةِ:

(١) مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

(٣) عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ جَادًّا وَلَا لَاعِبًا، وَإِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ عَصَا أَخِيهِ، فَلْيَرُدَّهَا عَلَيْهِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ)

(٤) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ**». (رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ)

(٥) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ، طَوَّقَهُ اللهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

(٦) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ إِيَاسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْحَارِثِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا

(١) فاطر الآية (٢). (٢) البقرة الآية (١٨٨).

يَسِيرَاً؟ قَالَ ﷺ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَمَعْنَىٰ: «قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ»، أَيْ: وَإِنْ كَانَ سِوَاكًا مِمَّا يَسْتَاكُ بِهِ الْإِنْسَانُ لِأَسْنَانِهِ.

حُرْمَةُ الانْتِفَاعِ بِالْمَغْصُوبِ:

۞ مَا دَامَ الْغَصْبُ حَرَامًا؛ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ الِانْتِفَاعُ بِالْمَغْصُوبِ بِأَيِّ وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الِانْتِفَاعِ، وَيَجِبُ رَدُّهُ إِنْ كَانَ قَائِمًا بِنَمَائِهِ سَوَاءٌ كَانَ النَّمَاءُ مُتَّصِلاً أَوْ مُنْفَصِلاً، وَذَلِكَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «عَلَىٰ الْيَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّىٰ تُؤَدِّيَهُ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاوُدَ والْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ فَإِنْ هَلَكَ الْمَغْصُوبُ، وَجَبَ عَلَىٰ الْغَاصِبِ أَنْ يَرُدَّ مِثْلَهُ أَوْ قِيمَتَهُ، سَوَاءٌ كَانَ التَّلَفُ بِفِعْلِهِ أَوْ بِآفَةٍ سَمَاوِيَّةٍ. وَمُؤُونَةُ الرَّدِّ وَتَكَالِيفُهُ عَلَىٰ الْغَاصِبِ مَهْمَا بَلَغَتْ، وَإِذَا انْقَضَىٰ الْمَغْصُوبُ، وَجَبَ رَدُّ قِيمَةِ النَّقْصِ.

۞ وَإِذَا بَاعَ الْغَاصِبُ الشَّيْءَ الْمُغْتَصَبَ، فَالْمَالِكُ الَّذِي اغْتُصِبَ مِنْهُ أَحَقُّ بِهِ، وَعَلَىٰ الْمُشْتَرِي لِلشَّيْءِ الْمُغْتَصَبِ الرُّجُوعُ عَلَىٰ الْغَاصِبِ الَّذِي بَاعَ لَهُ بِالثَّمَنِ الَّذِي أَخَذَ مِنْهُ، فَعَنْ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ وَجَدَ عَيْنَ مَالِهِ عِنْدَ رَجُلٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ، وَيَتْبَعُ الْبَيْعُ مَنْ بَاعَهُ»، أَيْ: يَرْجِعُ الْمُشْتَرِي عَلَىٰ الْبَائِعِ. (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ)

❁❁❁❁❁

٣. الْمَيْسِرُ (الْقِمَارُ)

۞ وَهُوَ أَنْ يَتَّفِقَ اثْنَانِ عَلَىٰ السِّبَاقِ بِعِوَضٍ مَالِيٍّ يُقَالُ لَهُ: **(الرِّهَانُ)**، فَإِنْ سَبَقَ أَحَدُهُمَا فَلَهُ الرِّهَانُ، وَإِنْ سُبِقَ فَيَغْرَمُ لِصَاحِبِهِ مِثْلَهُ.

حُكْمُهُ:

۞ حَرَامٌ وَيَأْثَمُ فَاعِلُهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[١].

۞ وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: فَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ، وَفَرَسٌ لِلْإِنْسَانِ؛ فَأَمَّا فَرَسُ

(١) المائدة الآية (٩٠).

الرَّحْمَنِ، فَالَّذِي يُرْبَطُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَعَلَفُهُ وَرَوْثُهُ وَبَوْلُهُ (وَذَكَرَ مَا شَاءَ اللهُ) أَجْرٌ، وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ، فَالَّذِي يُقَامَرُ أَوْ يُرَاهَنُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الْإِنْسَانِ، فَالَّذِي يَرْتَبِطُهَا الْإِنْسَانُ يَلْتَمِسُ بَطْنَهَا، فَهِيَ تَسْتُرُ مِنْ فَقْرٍ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ)

حِكْمَةُ التَّحْرِيمِ:

۞ وَقَدْ حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُخَاطَرَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾(١). وَلِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَىٰ إِيقَاعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، فَضْلاً عَمَّا فِيهِ مِنَ الصَّدِّ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَالْغَفْلَةِ عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(٢). وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، تَهْدِيدٌ وَتَرْهِيبٌ لِمَنْ لَمْ يَنْتَهِ، فَقَدْ وَصَفَهَا اللهُ تَعَالَىٰ بِأَنَّهَا: «رِجْسٌ»، أَيْ: إِثْمٌ وَشَرٌّ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.

۞ وَيَدْخُلُ كَذَلِكَ فِي التَّحْرِيمِ اللَّعِبُ بِالنَّرْدِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ الرِّهَانُ بِالْمَعْنَىٰ السَّابِقِ ذِكْرُهُ فِي الْمَيْسِرِ، فَالْغَالِبُ فِي اللَّعِبِ بِالنَّرْدِ يَأْخُذُ الرِّهَانَ، وَإِنْ غُلِبَ فَيَغْرَمُ لِصَاحِبِهِ مِثْلَهُ، وَهَذَا حَرَامٌ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ، فَكَأَنَّمَا غَمَسَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ، فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ». (رَوَاهُ مَالِكٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞۞۞۞۞

٤. أَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ

۞ وَالَّذِي يَأْكُلُ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا وَيَسْتَحِلُّهَا لِنَفْسِهِ، مُخَالِفًا لِمَا أَوْصَىٰ اللهُ بِهِ مِنَ الْإِصْلَاحِ إِلَيْهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾(٣)، لِذَلِكَ تَوَعَّدَ اللهُ مَنْ أَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا

(١) النساء الآية (٢٩). (٢) سور المائدة الآية (٩١). (٣) البقرة الآية (٢٢٠).

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[1]، وَحِكْمَةُ التَّحْرِيمِ: الْإِضْرَارُ بِالْيَتِيمِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ مُفْتَقِرٌ إِلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ وَيَرْعَاهُ، فَلَا يُقْدِمُ عَلَىٰ أَكْلِ مَالِهِ إِلَّا مَنِ انْتُزِعَتْ مِنْ قَلْبِهِ الرَّحْمَةُ، لِذَلِكَ كَانَ الْوَعِيدُ بِالْعَذَابِ مِنَ اللهِ شَدِيدًا لِمَنْ يَأْكُلُ مَالَهُ، وَالْوَعْدُ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ لِمَنْ لَاطَفَهُ وَرَحِمَهُ، قَالَ ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا** - وَأَشَارَ ﷺ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ، وَفَرَّجَ ﷺ بَيْنَهُمَا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُحَرِّجُ مَالَ الضَّعِيفَيْنِ: الْمَرْأَةِ وَالْيَتِيمِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ)

وَمَعْنَىٰ: «أُحَرِّجُ»، أَيْ: أُلْحِقُ الْحَرَجَ وَهُوَ الْإِثْمُ بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وَأُحَذِّرُ مِنْ ذَلِكَ تَحْذِيرًا بَلِيغًا، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زَجْرًا أَكِيدًا. (قَالَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ)

۞۞۞۞۞

٥. تَطْفِيفُ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[2].

۞ وَالْمُطَفِّفُ هُوَ الَّذِي يُنْقِصُ حَقَّ صَاحِبِهِ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ، فَإِذَا اشْتَرَىٰ اسْتَوْفَىٰ بِكَيْلٍ رَاجِحٍ أَوْ وَزْنٍ رَاجِحٍ، وَإِنْ بَاعَ بَخَسَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ.

۞ وَالْمُطَفِّفُونَ تَوَعَّدَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي مَطْلَعِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ فِي الْآخِرَةِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيْلٌ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَيْلٌ﴾، وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَسِيلُ فِيهِ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ.

۞ وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا جَزَاءَ الْمُطَفِّفِينَ؛ لِأَنَّهُم لَا يَرْضَوْنَ لِلنَّاسِ مَا يَرْضَونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلِأَنَّ فِي ذَلِكَ أَكْلًا لِأَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَانْتِهَاكَ حُرْمَةِ أَمْوَالِهِمْ، وَقَدْ أَهْلَكَ اللهُ قَوْمَ شُعَيْبٍ بِسَبَبِ هَذَا؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَبْخَسُونَ النَّاسَ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَكَانَ هَلَاكُهُمْ بِثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ

(١) النساء الآية (١٠). (٢) المطففين (١-٣).

الْعَذَابِ: الرَّجْفَةُ، وَالصَّيْحَةُ، وَالظُّلَّةُ.

۞ أَمَّا الرَّجْفَةُ فَقَدْ رَجفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ رَجْفَةً شَدِيدَةً مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾(1).

۞ وَأَمَّا الصَّيْحَةُ فَهِيَ مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾(2). وَذَلِكَ لِتَكْذِيبِهِمْ لِنَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِمْ: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾(3).

۞ وَأَمَّا الظُّلَّةُ فَهِيَ سَحَابَةٌ أَظَلَّتْهُمْ فِيهَا شَرَرٌ مِنْ نَارٍ، وَلَهَبٌ، وَوَهَجٌ عَظِيمٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾(4). وَعِنْدَ ذَلِكَ زَهَقَتِ الْأَرْوَاحُ، وَفَاضَتِ النُّفُوسُ، وَخَمَدَتِ الْأَجْسَادُ: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾(5)، فَبَاءُوا بِالْهَوَانِ وَالْخُسْرَانِ الْمُبِينِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(6).

۞ لِذَلِكَ أَمَرَنَا الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَحْمَةً بِنَا وَنَجَاةً لَنَا مِمَّا أَصَابَ الْأُمَمَ السَّالِفَةَ مِنَ الْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾(7)، أَيْ: أَوْفُوا الْكَيْلَ مِنْ غَيْرِ تَطْفِيفٍ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، ﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾(8)، الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَلَا انْحِرَافَ وَلَا اضْطِرَابَ، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(9)، أَيْ: خَيْرٌ ثَوَابًا وَعَاقِبَةً وَمَآلاً وَمُنْقَلَبًا فِي آخِرَتِنَا.

❁❁❁❁❁

٦. الْمُحَرَّمُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ

أ- الْمُحَرَّمُ مِنَ الطَّعَامِ:

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾(10). وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ

(1) الأعراف الآية (91).
(2) هود الآية (94).
(3) الشعراء الآية (187).
(4) الشعراء الآية (189).
(5) الأعراف الآية (91).
(6) الأعراف الآية (92).
(7) الإسراء الآية (35).
(8) الإسراء الآية (35).
(9) الإسراء الآية (35).
(10) الأنعام الآية (145).

إِنَّمَا نَزَلَتْ؛ لِبَيَانِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يُحَرِّمْ مَا حَرَّمَهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْأَنْعَامِ تَحْتَ مُسَمَّيَاتٍ ابْتَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ: هَذِهِ (بَحِيرَةٍ)؛ لَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَيَضَعُونَ لِذَلِكَ عَلَامَةً وَهِيَ شَقُّ أُذُنِهَا، وَهَذِهِ (سَآئِبَةٍ)؛ لَا يَحْمِلُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَهَذِهِ (وَصِيلَةٍ)؛ إِنْ وَلَدَتْ سَبْعَةَ بُطُونٍ، وَهَذَا (حَامٍ)؛ لَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ إِذَا قَضَىٰ فِي حَمْلِهِ ضِرَابًا مَعْدُودَةً، وَكُلُّ هَذِهِ تُوهَبُ لِأَصْنَامِهِمْ، فَلَا يَقْرَبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

۞ فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بِرِسَالَةِ التَّوْحِيدِ، وَضَعَ ﷺ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الِافْتِرَاءِ عَلَىٰ اللهِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾، فَإِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

۞ فَبَيَّنَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْأَنْعَامَ حَلَالٌ أَكْلُ لُحُومِهَا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾[1]، ثُمَّ بَيَّنَ مَا حَرَّمَهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[2]. فَالْمَيْتَةُ وَالدَّمُ الْمَسْفُوحُ، أَيْ: الْمُهْرَاقُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ، وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ، فَهَذَا هُوَ مَا حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَضَارِّ الْبَالِغَةِ بِالْإِنْسَانِ، وَمَا تَحْمِلُهُ مِنَ الْجَرَاثِيمِ وَالْمِيكْرُوبَاتِ، كَذَلِكَ فَإِنَّ الْخِنْزِيرَ يَعِيشُ عَلَىٰ الْقِمَامَاتِ وَالْقَاذُورَاتِ الَّتِي تَعَافُهَا النَّفْسُ، وَتَنْمُو فِيهِ الدُّودَةُ الشَّرِيطِيَّةُ، كَذَلِكَ (مَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ)؛ لِأَنَّ فِيهِ شِرْكًا بِاللهِ، وَجُحُودًا لِنِعْمَةِ اللهِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَىٰ الْعَبْدِ أَنْ يُقَابِلَهَا بِالشُّكْرِ، وَأَدْنَىٰ دَرَجَاتِ الشُّكْرِ، الِاعْتِرَافُ بِنِعْمَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[3].

۞ وَقَدْ خَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ الدَّمَ الْمَسْفُوحَ بِالذِّكْرِ، أَيْ: أَنَّ الدَّمَ الْغَيْرَ مَسْفُوحٍ الَّذِي يَخْتَلِطُ بِاللَّحْمِ، فَلَا شَيْءَ فِيهِ مِنَ الْحَرَامِ. وَاسْتَثْنَىٰ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ الْمُضْطَرَّ، وَهُوَ الَّذِي يَصِلُ بِهِ الْجُوعُ

(١) الأنعام الآية (١٤٥). (٢) الأنعام الآية (١٤٥). (٣) النحل الآية (٥٣).

إِلَىٰ الْهَلَاكِ، أَوْ إِلَىٰ مَرَضٍ يُفْضِي بِهِ إِلَىٰ الْهَلَاكِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾[1]، أَيْ: غَيْرَ رَاغِبٍ فِي أَكْلِ الْمَيْتَةِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، ﴿وَلَا عَادٍ﴾، يَتَعَدَّىٰ حَلَالاً إِلَىٰ حَرَامٍ وَهُوَ يَجِدُ عِنْدَهُ الْحَلَالَ، فَلَمْ يَأْكُلْهُ إِلَّا لِيَدْفَعَ الْهَلَاكَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ عَنْ نَفْسِهِ، فَهَذَا مَا رَخَّصَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ مَا فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا دَفْعًا لِلضَّرَرِ.

قَالَ مَسْرُوقٌ تِلْمِيذُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: مَنِ اضْطُرَّ، فَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ ثُمَّ مَاتَ، دَخَلَ النَّارَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

كَذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدِ اسْتَثْنَىٰ مِنَ الْمَيْتَةِ، مَيْتَةَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ، فَأَحَلَّ لَنَا مَيْتَةَ الْبَحْرِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾[3].

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ فِي مَاءِ الْبَحْرِ وَمَيْتَتِهِ: «**هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ**».
(رَوَاهُ مُسْلِمٌ وأَحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ)

كَمَا رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**أُحِلَّ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ: السَّمَكُ وَالْجَرَادُ، وَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وابْنُ مَاجَه وَالشَّافِعِيُّ)

(فَالْمَيْتَتَانِ) هُمَا السَّمَكُ وَالْجَرَادُ، **(وَالدَّمَانِ)** هُمَا الْكَبِدُ وَالطِّحَالُ.

وَقَدْ وَضَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَاعِدَةً شَرْعِيَّةً لِمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**الْحَلَالُ مَا أَحَلَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وابْنُ مَاجَه والْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ)

وَمِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌۗ﴾[4]. **وَقَدْ ذَكَرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَيْتَةِ الَّتِي يَحْرُمُ أَكْلُهَا بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ الْآتِي:**

- ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾، وَهِيَ الَّتِي تَمُوتُ خَنْقًا. ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾، وَهِيَ الَّتِي تَمُوتُ مِنْ شِدَّةِ

---

(١) البقرة الآية (١٧٣).
(٢) الأنعام الآية (١٤٥).
(٣) المائدة الآية (٩٦).
(٤) المائدة الآية (٣).

الضَّرْبِ. ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾، وَهِيَ الَّتِي تَقَعُ مِنْ مَوْضِعٍ عَالٍ فَتَمُوتُ بِذَلِكَ. ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾، وَهِيَ الَّتِي تَمُوتُ بِسَبَبِ نَطْحِ غَيْرِهَا لَهَا. ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾، أَيْ: مَا عَدَا عَلَيْهَا أَسَدٌ، أَوْ فَهْدٌ، أَوْ قِطٌّ، أَوْ ذِئْبٌ، أَوْ كَلْبٌ، فَإِنْ أَكَلَ بَعْضَهَا، فَمَاتَتْ حَرُمَ أَكْلُهَا. وَإِنْ سَالَ مِنْهَا الدَّمُ.

۞ وَقَدِ اسْتَثْنَىٰ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنَ الْمُنْخَنِقَةِ وَالْمَوْقُوذَةِ وَالْمُتَرَدِّيَةِ وَالنَّطِيحَةِ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، أَيْ: مَا ذَبَحْتَهُ وَفِيهِ رُوحٌ، فَلَا حَرَجَ فِي أَكْلِهِ فَهُوَ ذَكِيٌّ.

(رُوِيَ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَالسُّدِّيِّ. ذَكَرَهُمُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ)

۞ وَمِنَ الْمُحَرَّمِ أَكْلُهُ ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾، وَهِيَ الْحِجَارَةُ الصَّمَّاءُ الَّتِي ادَّعَوْا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّهَا آلِهَتُهُمْ، وَهِيَ ثَلَاثُمِائَةٌ وَسِتُّونَ نُصُبًا كَانُوا يَذْبَحُونَ عِنْدَهَا؛ لِأَنَّهَا مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

۞ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**هِيَ الْقِدَاحُ الَّتِي كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا فِي الْأُمُورِ لِأَصْنَامِهِمْ**»، وَقَدْ حَرَّمَهَا اللهُ تَعَالَىٰ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَعَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ الِاسْتِخَارَةَ، فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾(١). وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ يُرَادُ بِهَا مَا ذُبِحَ لِغَيْرِ اللهِ (كَمَا تَقَدَّمَ)، أَمَّا الذَّبَائِحُ الَّتِي لَا يَدْرِي الْمُسْلِمُ أَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهَا أَمْ لَمْ يُذْكَرْ، فَقَدْ أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ أَنْ نُسَمِّيَ عَلَيْهَا نَحْنُ وَنَأْكُلَ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ قَوْمًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ يَأْتُونَنَا بِلَحْمٍ لَا نَدْرِي أَذَكَرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا أَمْ لَا؟ فَقَالَ ﷺ: «**سَمُّوا أَنْتُمْ وَكُلُوا**». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

۞ وَهُنَاكَ أَطْعِمَةٌ أُخْرَىٰ حَرَّمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهِيَ لُحُومُ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ وَالْبِغَالُ، فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنِ الْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، وَلَمْ يَنْهَنَا عَنِ الْخَيْلِ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

---

(١) الأنعام الآية (١٢١).

وَحَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ السِّبَاعِ كُلَّ ذِي نَابٍ، وَمِنَ الطَّيْرِ كُلَّ ذِي مِخْلَبٍ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «**نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَكُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَالْمُرَادُ بِذِي نَابٍ هُوَ مَا يَعْدُو عَلَىٰ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ بِنَابِهِ، مِثْلُ: (الذِّئْبِ، وَالْأَسَدِ، وَالْكَلْبِ، وَالْفَهْدِ، وَالنَّمِرِ، وَالْهِرِّ، وَالْفِيلِ، وَالضَّبْعِ، وَالْقِرْدِ، وَالْيَرْبُوعِ)، فَكُلُّ هَذِهِ أَكْلُهَا حَرَامٌ.

وَأَمَّا ذُو الْمِخْلَبِ مِنَ الطَّيْرِ، مِثْلُ: (الصَّقْرِ، وَالشَّاهِينِ، وَالْعُقَابِ، وَالنِّسْرِ، وَالْحِدَأَةِ).

وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْجَلَّالَةِ، وَهِيَ الَّتِي تَأْكُلُ الْعَذِرَةَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالدَّجَاجِ وَالْأَوِزِّ وَغَيْرِهَا، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه، قَالَ: «**نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ وَعَنِ الْجَلَّالَةِ؛ عَنْ رُكُوبِهَا وَأَكْلِ لُحُومِهَا**».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ)

فَإِذَا حُبِسَتْ عَنِ الْقَذَارَةِ زَمَنًا، وَعُلِفَتْ طَاهِرًا فَطَابَ لَحْمُهَا حَلَّتْ؛ لِأَنَّ عِلَّةَ النَّهْيِ وَهِيَ التَّغْيِيرُ، أَيْ: تَغْيِيرُ رِيحِهَا قَدْ زَالَتْ.

أَمَّا مَا سَكَتَتْ عَنْهُ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ، فَلَمْ يَرِدْ فِيهَا نَصٌّ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيُرْجَعُ فِيهِ إِلَىٰ الْقَاعِدَةِ الْأُصُولِيَّةِ، وَهِيَ الْأَصْلُ فِي الْأَشْيَاءِ الْإِبَاحَةُ.

ب- الْمُحَرَّمُ مِنَ الشَّرَابِ:

حَرَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الشَّرَابِ الْخَمْرَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(1). وَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ آخِرَ مَا نَزَلَ فِي تَحْرِيمِ الْخَمْرِ. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّهُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةٍ: مِنَ الْعِنَبِ، وَمِنَ التَّمْرِ، وَالْعَسَلِ، وَالْحِنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ. وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لُعِنَتِ الْخَمْرُ عَلَىٰ عَشَرَةِ وُجُوهٍ:**

---

(1) المائدة الآية (٩٠).

لُعِنَتِ الْخَمْرَةُ بِعَيْنِهَا، وَشَارِبِهَا، وَسَاقِيهَا، وَبَائِعِهَا، وَمُبْتَاعِهَا، وَعَاصِرِهَا، وَمُعْتَصِرِهَا، وَحَامِلِهَا، وَالْمَحْمُولَةِ إِلَيْهِ، وَآكِلِ ثَمَنِهَا». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاوُدَ وابْنُ مَاجَه بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ فِيهَا، حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ، وَلَا عَاقٌّ وَالِدَيْهِ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اِجْتَنِبُوا الْخَمْرَ؛ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ».

۞ وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُضْرَبُ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ وَالْقَيْنَاتِ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي، فَتُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ وابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ وَقَدْ عَمَّمَ النَّبِيُّ ﷺ مَا فِي مَعْنَىٰ الْخَمْرِ، وَحَكَمَ عَلَيْهَا ﷺ بِأَنَّهَا حَرَامٌ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ».
(رَوَاهُ مُسْلِمٌ وأَحْمَدُ وأَبُو دَاوُدَ)

۞ وَقَالَ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَهَذَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّذِي أُوتِيَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ ﷺ: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ وابْنُ مَاجَه وأَحْمَدُ)

۞ وَبِنَاءً عَلَىٰ هَذَا، أَفْتَىٰ الْمُتَقَدِّمُونَ وَالْمُتَأَخِّرُونَ بِأَنَّ الْحَشِيشَ حَرَامٌ حُرْمَةَ الْخَمْرِ؛ لِأَنَّهُ مُسْكِرٌ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ وَابْنُ الْبِيطَارِ (مِنَ الْأَطِبَّاءِ)، وَابْنُ عَابِدِينَ، وَذَلِكَ لِاتِّحَادِ عِلَّةِ التَّحْرِيمِ؛ اسْتِنَادًا إِلَىٰ قَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»، وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ».

حِكْمَةُ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ، وَكُلِّ مُسْكِرٍ:

۞ ضَرَرُهُ بِالْعَقْلِ؛ لِأَنَّهُ يُخَامِرُ الْعَقْلَ فَيُغَطِّيهِ، وَيَصِيرُ شَارِبُهُ كَالْمَجْنُونِ، بَلْ قَدْ يُسَبِّبُ لِشَارِبِهِ مَرَضَ الْجُنُونِ، وَقَالَ الْأَطِبَّاءُ: إِنَّ الْخَمْرَ شَدِيدُ الْفَتْكِ بِالْمَجْمُوعَةِ الْعَصَبِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ، وَضَارٌّ بِجَمِيعِ أَجْهِزَةِ الْجِسْمِ، حَيْثُ إِنَّهُ يُوهِنُ الْبَدَنَ، وَيَجْعَلُهُ أَقَلَّ مُقَاوَمَةً لِلْأَمْرَاضِ مُطْلَقًا، وَيُؤَثِّرُ عَلَىٰ الْكَبِدِ، فَيُعَطِّلُ وَظَائِفَهُ، وَالْخَمْرُ مَا نَزَلَتْ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْدَتْ بِهِمْ مَادَّةً وَمَعْنًىٰ، بَدَنًا وَرُوحًا، جِسْمًا وَعَقْلًا، وَهُوَ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ؛ بِسَبَبِ فُقْدَانِ الْإِنْسَانِ لِعَقْلِهِ وَرُشْدِهِ.

حَدُّ شَارِبِ الْخَمْرِ:

۞ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَدَ شَارِبَ الْخَمْرِ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً، وَلَمَّا جِيءَ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ بِالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ - وَكَانَ الْوَلِيدُ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ - جَلَدَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً؛ اقْتِدَاءً بِفِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه.

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَمِمَّا يُلْحَقُ بِالطَّعَامِ الْمُحَرَّمِ وَالشَّرَابِ الْمُحَرَّمِ، تَحْرِيمُ اسْتِعْمَالِ إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ؛ فِي الشَّرَابِ، وَالْأَكْلِ، وَالطَّهَارَةِ، وَسَائِرِ وُجُوهِ الِاسْتِعْمَالِ، فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞۞۞۞۞

٧. الْمُحَرَّمُ مِنَ اللِّبَاسِ

۞ وَهُوَ الْحَرِيرُ وَالذَّهَبُ، فَهُمَا حَرَامٌ عَلَىٰ الرِّجَالِ، حَلَالٌ لِلنِّسَاءِ، فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ؛ فَإِنَّ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَمَعْنَىٰ: «**مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ**»، أَيْ: مَنْ لَا نَصِيبَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ.

۞ وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ حَرِيراً فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَىٰ ذُكُورِ أُمَّتِي**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ)

۞ وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَىٰ ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأُحِلَّ لِإِنَاثِهِمْ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)

۞ وَرَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِلُبْسِ الْحَرِيرِ لِمَنْ أَصَابَهُ مَرَضٌ فِي جِلْدِهِ، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنهما فِي لُبْسِ الْحَرِيرِ؛ لِحِكَّةٍ كَانَتْ بِهِمَا». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَحِكْمَةُ تَحْرِيمِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ عَلَىٰ الرِّجَالِ؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ زِينَةِ النِّسَاءِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يُحِبُّ لِلرِّجَالِ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالنِّسَاءِ، فَيَكُونَ ذَلِكَ نَقْصًا فِي رُجُولَتِهِمْ، وَمَدْعَاةً لِغَضَبِ رَبِّهِمْ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه، أَنَّهُ رَأَىٰ وَلَدَهُ وَقَدْ تَخَتَّمَ بِخَاتَمٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَنَزَعَهُ مِنْهُ وَأَلْقَىٰ بِهِ، وَقَالَ لِوَلَدِهِ: «**الْبَسْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَاكْتُبْ عَلَيْهِ: رَحِمَ اللهُ امْرَءاً عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ**». يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يُذَكِّرَ وَلَدَهُ أَنَّ أَصْلَهُ مِنْ تُرَابٍ، وَمَرْجِعَهُ إِلَىٰ التُّرَابِ، فَمَنْ عَرَفَ هَذَا اسْتَدْبَرَ الدُّنْيَا، وَأَعَدَّ الْعُدَّةَ لِلْآخِرَةِ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَتَقْوَىٰ اللهِ، الَّتِي لَمْ تُبْقِ فِي ظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ لِغَيْرِ اللهِ بَاقِيَةً.

الْمَبْحَثُ الثانِي

الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ فِي الآدَابِ

وَيَحْتَوِي هَذَا الْمَبْحَثُ عَلَى مَطْلَبَيْنِ:

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: تَكْرِيمُ الْإِنْسَانِ.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: حُرْمَةُ الْإِنْسَانِ.

وَذَلِكَ عَلَى الْوَجْهِ الآتِي:

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ

تَكْرِيمُ الإِنْسَانِ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا﴾[1].

۞ وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تُخْبِرُ عَنْ تَشْرِيفِ اللهِ تَعَالَىٰ لِبَنِي آدَمَ، وَتَكْرِيمِهِ عَزَّوَجَلَّ إِيَّاهُمْ فِي خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ لَهُمْ عَلَىٰ أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ وَأَكْمَلِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٖ﴾[2].

۞ فَهُوَ يَمْشِي مُنْتَصِبًا عَلَىٰ رِجْلَيْهِ، وَيَأْكُلُ بِيَدِهِ؛ وَغَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ، وَلَا وَسِيلَةَ لَهُ يَأْكُلُ بِهَا، وَإِنَّمَا يَتَنَاوَلُ طَعَامَهُ بِفَمِهِ.

۞ وَالْإِنْسَانُ مُفَضَّلٌ كَذَلِكَ عَلَىٰ النَّبَاتِ، حَيْثُ إِنَّكَ تَرَىٰ الشَّجَرَةَ فِي تُرْبَتِهَا، رَأْسُهَا فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِ، وَفُرُوعُهَا وَأَغْصَانُهَا فَوْقَ الْأَرْضِ، بَيْنَمَا تَرَىٰ الْإِنْسَانَ رَأْسُهُ إِلَىٰ أَعْلَىٰ، أَمَّا فُرُوعُهُ مِنَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مُتَدَلِّيَةً إِلَىٰ أَسْفَلَ؛ لِأَنَّ الرَّأْسَ فِي الْإِنْسَانِ هِيَ مَحَلُّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالتَّفْكِيرِ وَالتَّدْبِيرِ الَّذِي يَعْقِلُ بِهِ وَيُمَيِّزُ بِهِ الصَّوَابَ مِنَ الْخَطَإِ فِي الْأُمُورِ، وَالْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي

---

(١) الإسراء الآية (٧٠).
(٢) التين الآية (٤).

الْأَحْكَام، وَمِنْ أَجْلِهِ كَانَتِ التَّكَالِيفُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ، الَّذِي حَمَلَ الْأَمَانَةَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْخَلَائِقِ، وَكَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِاسْتِخْلَافِهِ فِي أَرْضِهِ.

۞ وَمِنْ آيَاتِ التَّكْرِيمِ الَّتِي كَرَّمَ اللهُ بِهَا الإِنْسَانَ أَنْ جَمَعَ فِيهِ بِالرُّوحِ خَوَاصَّ الْعَالَمِ الْأَعْلَىٰ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَبِالْجِسْمِ خَوَاصَّ الْعَالَمِ الْأَدْنَىٰ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالدَّوَابِّ، فَهُوَ مُجَانِسٌ لِلْمَلَائِكَةِ بِالرُّوحِ مِنْ حَيْثُ مَا فَطَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْخَيْرِ وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَمُجَانِسٌ لِعَالَمِ الْأَرْضِ مِنْ حَيْثُ الصِّفَاتُ وَالنَّزَعَاتُ وَالْمُيُولُ الْحَيَوَانِيَّةُ مِنْ شَهْوَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّكَاحِ، فَكَانَ خَلْقُ اللهِ تَعَالَىٰ لِلْإِنْسَانِ عَلَىٰ أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ جَامِعًا فِي خَلْقِهِ لِخَوَاصِّ الْعَالَمَيْنِ: عَالَمِ الْمَلَائِكَةِ وَمَا فِيهِ مِنْ صَفَاءٍ وَنَقَاءٍ وَطُهْرٍ، وَعَالَمِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهِ مِنْ مُيُولٍ وَنَزَعَاتٍ وَشَهَوَاتٍ، أَوْدَعَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ لِحِكْمَةٍ عَلِيَّةٍ، أَلَا وَهِيَ اسْتِمْرَارُ اسْتِخْلَافِهِ فِي الْأَرْضِ إِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾[1]. فَكَانَ خَلْقُ اللهِ لِلْإِنْسَانِ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْخَلَائِقِ.

۞ وَمِنْ آيَاتِ التَّكْرِيمِ الَّتِي خَصَّ اللهُ بِهَا الْإِنْسَانَ أَنْ كَرَّمَهُ مُنْذُ أَوَّلِ خَلْقِهِ، حَيْثُ جَعَلَ عَزَّوَجَلَّ مَوْطِنَهُ الْأَوَّلَ الَّذِي سَكَنَهُ فِي الْجَنَّةِ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[2]. وَكَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْعِلْمِ الَّذِي أَعْجَزَ بِهِ الْمَلَائِكَةَ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[3]. فَلَمَّا عَجَزُوا بِقَوْلِهِمْ: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[4]، عِنْدَ ذَلِكَ أَقَامَ اللهُ تَعَالَىٰ آدَمَ أُسْتَاذًا عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ، وَمُعَلِّمًا لَهُمْ: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[5].

۞ وَكَرَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسُجُودِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ سُجُودَ تَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ وَإِكْرَامٍ، لَا سُجُودَ عِبَادَةٍ؛ لِأَنَّ سُجُودَ الْعِبَادَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا للهِ وَحْدَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟

(١) الأنعام الآية (١٦٥).
(٢) الأعراف الآية (١٩).
(٣) البقرة الآية (٣١).
(٤) البقرة الآية (٣٢).
(٥) البقرة الآية (٣٣).

لِآدَمَ﴾(١)، فكَانَ لِلْمَلَائِكَةِ بِامْتِثَالِهِمْ لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ الزُّلْفَىٰ وَالْقُرْبُ مِنَ اللهِ؛ أَمَّا مَنْ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ فَكَانَتْ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ وَالطَّرْدُ وَالْخُرُوجُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَجَنَّتِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٢).

۞ وَهُنَا نَرَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَرَّبَ بِآدَمَ عليه السلام مَنْ قَرَّبَ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ، وَأَبْعَدَ بِهِ مَنْ أَبْعَدَ وَهُوَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ الَّذِي أَبَىٰ الِامْتِثَالَ لِأَمْرِ اللهِ. وَهَذِهِ آيَةٌ أُخْرَىٰ مِنْ آيَاتِ التَّكْرِيمِ لِآدَمَ عليه السلام.

۞ كَذَلِكَ فِي اصْطِفَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي الْأَرْضِ، وَالنُّبُوَّةِ، ثُمَّ تَسْخِيرِ اللهِ تَعَالَىٰ لِآدَمَ عليه السلام وَذُرِّيَّتِهِ مَا خَلَقَهُ سُبْحَانَهُ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣).

۞ فَتَرَىٰ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ وَالْكَوَاكِبَ فِي السَّمَاءِ كُلَّهَا فِي خِدْمَةِ الْإِنْسَانِ؛ حَيْثُ إِنَّهَا تَمُدُّهُ بِالنُّورِ وَالْحَرَارَةِ، وَيَهْتَدِي بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَتَرَىٰ الْبِحَارَ وَالْأَنْهَارَ وَمَا أَوْدَعَهُ اللهُ فِيهَا مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الْإِنْسَانِ الَّتِي لَا غِنَىٰ لَهُ عَنْهَا فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَرُكُوبِهِ، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، وَالْجِبَالِ الَّتِي أَرْسَىٰ بِهَا الْأَرْضَ، وَمَا يَنْتَفِعُ بِهَا فِي تَشْيِيدِ مَسْكَنِهِ، وَمَا أَوْدَعَهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، وَفِي الْبِحَارِ وَالْأَنْهَارِ مِنَ الْكُنُوزِ الَّتِي بِهَا قِوَامُ حَيَاتِهِ، كُلُّ هَذَا خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَهُوَ الْغَنِيُّ سُبْحَانَهُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا خَلَقَهُ مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ، لِذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي افْتِتَاحِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾(٤)، هَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ مَا حَوْلَنَا مِنَ الْكَائِنَاتِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، أَمَّا الْإِنْسَانُ فَقَدْ خُلِقَ لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَهَذِهِ أَشْرَفُ وَأَسْمَىٰ الْغَايَاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾(٥).

۞ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَعْبِدَهُ مَا لِأَجْلِهِ خُلِقَ؛ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يُخْلِصَ الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ، وَمَنْ أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ للهِ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَ اللهِ السَّعَادَةَ فِي الدَّارَيْنِ: الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

---

(١) البقرة الآية (٣٤).
(٢) البقرة الآية (٣٤).
(٣) الجاثية الآية (١٣).
(٤) الجاثية الآية (١٣).
(٥) الذاريات الآيات (٥٦-٥٨).

وَالْبُشْرَىٰ الْعَاجِلَةَ، وَالْبُشْرَىٰ الْآجِلَةَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(1).

۞ وَقَدْ شَمِلَتْ عِنَايَةُ اللهِ تَعَالَىٰ الْإِنْسَانَ فِي خَلْقِهِ؛ فَحَفِظَهُ فِي عَيْنَيْهِ بِالْمُلُوحَةِ، حَيْثُ إِنَّ الْعَيْنَ مِنْ مَادَّةٍ دُهْنِيَّةٍ، وَلَوْلَا مَا جَعَلَهُ اللهُ فِيهَا مِنَ الْمُلُوحَةِ، لَفَسَدَتْ، وَكَذَلِكَ الْأُذُنُ، جَعَلَ اللهُ فِيهَا الصِّمَاخَ وَهُوَ مَادَّةٌ مُرَّةٌ، حَتَّىٰ لَا تَقْرَبَهَا الْحَشَرَاتُ وَالْهَوَامُّ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَرَارَةِ، وَجَعَلَ الْعُذُوبَةَ فِي الْفَمِ؛ حَتَّىٰ يَسْتَعْذِبَ الْإِنْسَانُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالْكَلَامَ، وَجَعَلَ عَزَّ وَجَلَّ الْإِنْسَانَ مَحْفُوظًا فِي رَأْسِهِ بِالشَّعْرِ الَّذِي أَنْبَتَهُ اللهُ فِيهَا، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَحَدِ الصَّالِحِينَ أَنَّهُ تَفَكَّرَ يَوْمًا فِي شَعْرِ رَأْسِهِ، فَقَالَ: **إِنَّ للهِ تَعَالَىٰ عَلَيَّ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ نِعْمَتَيْنِ: الْأُولَىٰ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ثَبَّتَ أَصْلَهَا، وَالثَّانِيَةَ أَنَّهُ لَيَّنَ فَرْعَهَا**، كَذَلِكَ تَرَىٰ الْفَمَ وَالْأَسْنَانَ مَحْفُوظَةً بِالشَّفَتَيْنِ، وَالْأَنْفَ مَحْفُوظًا بِالشُّعَيْرَاتِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَمْنَعُ دُخُولَ الْأَتْرِبَةِ وَالْجَرَاثِيمِ وَالْمِيكْرُوبَاتِ، فَإِنْ تَسَرَّبَتْ رَغْمَ ذَلِكَ فَهُنَاكَ الْمُخَاطُ الْأَنْفِيُّ الَّذِي تَلْتَصِقُ بِهِ الْجَرَاثِيمُ وَالْمِيكْرُوبَاتُ، فَلَا تَقْوَىٰ عَلَىٰ اخْتِرَاقِ الْأَنْفِ إِلَىٰ الْقَصَبَةِ الْهَوَائِيَّةِ، فَإِنْ تَسَرَّبَتْ فَهُنَاكَ اللُّوزُ الَّتِي تَطْرُدُهَا، وَكُلُّ هَذَا حِمَايَةً مِنَ اللهِ لِلْإِنْسَانِ وَتَكْرِيمًا مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ لَهُ.

۞ وَمِنْ آيَاتِ التَّكْرِيمِ مَا تَرَاهُ فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمَسَامِّ الْجِلْدِيَّةِ، الَّتِي تُفْرِزُ الْعَرَقَ، فَيَعْمَلُ عَلَىٰ لِينِ الطَّبَقَةِ الْجِلْدِيَّةِ، كَذَلِكَ تَرَىٰ الْأَصَابِعَ فِي الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ مَحْفُوظَةً بِالْأَظَافِرِ؛ حَتَّىٰ لَا تَتَعَرَّضَ لِمَا قَدْ يُصِيبُهَا أَثْنَاءَ تَنَاوُلِ الْيَدَيْنِ لِلْأَجْسَامِ الصُّلْبَةِ، وَمَا قَدْ تَتَعَرَّضُ لَهُ الرِّجْلَانِ أَثْنَاءَ الْمَشْيِ.

۞ وَفِي الْعَيْنَيْنِ تَرَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَفِظَهَا بِالْأَجْفَانِ الَّتِي تَنْتَهِي بِشُعَيْرَاتٍ صَغِيرَةٍ وَهِيَ الرُّمُوشُ الَّتِي تَحْفَظُ الْعَيْنَيْنِ مِنْ تَسَرُّبِ الْأَتْرِبَةِ وَالْحَشَرَاتِ الَّتِي تُؤْذِيهَا.

۞ كَذَلِكَ الْمَفَاصِلُ فِي الْإِنْسَانِ الَّتِي تُسَاعِدُهُ عَلَىٰ تَحْرِيكِ أَعْضَائِهِ فِي يُسْرٍ وَسُهُولَةٍ، وَتَرَىٰ هَذِهِ الْمَفَاصِلَ فِي الذِّرَاعَيْنِ وَالْكَفَّيْنِ وَالْأَصَابِعِ، وَكَذَلِكَ فِي الرُّكْبَتَيْنِ، وَالْكَعْبَيْنِ، وَأَصَابِعِ

(1) يونس الآية (٦٤).

الْقَدَمَيْنِ، وَالسَّاقَيْنِ وَالْفَخِذَيْنِ، وَفَقَرَاتِ الظَّهْرِ، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ عَدَدَ الْمَفَاصِلِ فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ ثَلَاثُمِائَةٌ وَسِتُّونَ مِفْصَلاً، وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ نِعَمِ اللهِ الَّتِي أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْنَا شُكْرَهَا، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلَامَىٰ مِنَ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَمَعْنَىٰ «**سُلَامَىٰ**»: اَلْأَعْضَاءُ وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَفَاصِلِ.

۞ وَإِنَّ مِنْ عِنَايَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْإِنْسَانِ، أَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَفِظَهُ بِالْحَفَظَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[1]. أَيْ: يَحْفَظُونَهُ مِمَّا قَدْ يُصِيبُهُ مِنَ السُّوءِ، إِلَّا مَا قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ. (قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما)

۞ وَقَدْ يَبْلُغُ الْعَبْدُ دَرَجَةً فِي الْقُرْبِ مِنَ اللهِ، فَيُوَكِّلُ اللهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ مَنْ يَخْدُمُهُ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ رضي الله عنها؛ حَيْثُ كَانَتْ تَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ بِفَاكِهَةِ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، وَفَاكِهَةِ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾[2].

۞ وَهُنَاكَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ فِي أُمَّةِ خَيْرِ الْأَنَامِ صلى الله عليه وسلم مَنْ تَخْدُمُهُ الْمَلَائِكَةُ، كَمَا كَانَتْ تَخْدُمُ مَرْيَمَ الصِّدِّيقَةَ رضي الله عنها، مِنْ هَذَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، مِنْ أَمْرِ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ رضي الله عنه، حِينَ أَسَرَهُ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ، فَكَانَتْ بِنْتُ الْحَارِثِ تَقُولُ: «**وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيراً خَيْراً مِنْ خُبَيْبٍ؛ فَوَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوَثَّقٌ بِالْحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ. وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْبًا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)



(١) الرعد الآية (١١). (٢) آل عمران الآية (٣٧).

الْمَطْلَبُ الثَّانِي

حُرْمَةُ الإِنْسَانِ

۞ لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مَحَلَّ عِنَايَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَرِعَايَتِهِ وَحِفْظِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ جَعَلَ لَهُ حُرْمَةً فِي دِينِهِ، وَنَفْسِهِ، وَعَقْلِهِ، وَمَالِهِ، وَنَسْلِهِ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَقَاصِدُ الْخَمْسَةُ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الشَّرِيعَةُ السَّمْحَاءُ، فَالْمُسْلِمُ مَحْفُوظٌ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي دِينِهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لَهُ مِنَ الْعَقِيدَةِ الْحَقَّةِ، وَالْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ، وَالْمُعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، فَهَذِهِ الدَّعَائِمُ الْأَرْبَعَةُ هِيَ قِوَامُ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ الَّتِي وَصَفَهَا اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[1]، وَهِيَ الَّتِي مِنْ أَجْلِ إِعْلَائِهَا جَاهَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْكِرَامُ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[2].

۞ وَهُوَ مَحْفُوظٌ كَذَلِكَ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْتَهِكَ حُرْمَةَ أَخِيهِ، فَلَا يَسُبُّهُ وَلَا يَقْذِفُهُ وَلَا يُرَوِّعُهُ، وَلَا يُصِيبُ مِنْهُ مَا يُهْدِرُ دَمَهُ أَوْ كَرَامَتَهُ.

۞ وَهُوَ كَذَلِكَ مُحَاطٌ بِعِنَايَةِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي عَقْلِهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ كُلَّ مُسْكِرٍ؛ حِفْظًا لِهَذِهِ الْجَوْهَرَةِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ فِيهِ، وَكَرَّمَهُ بِهَا.

۞ وَجَعَلَ عَزَّوَجَلَّ لِلْإِنْسَانِ حُرْمَةً فِي مَالِهِ؛ فَلَا يَنْتَهِكُ حُرْمَةَ مَالِهِ أَحَدٌ بِسَرِقَةٍ، أَوْ نُهْبَةٍ، أَوِ اخْتِلَاسٍ، أَوْ رِشْوَةٍ.

۞ كَمَا جَعَلَ عَزَّوَجَلَّ لَهُ حُرْمَةً فِي نَسْلِهِ، فَحَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ؛ حِفْظًا لِلْأَنْسَابِ، وَوِقَايَةً لَهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ، الَّتِي تَفْتِكُ بِالْإِنْسَانِ، وَتُذْهِبُ بِالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

۞ وَبِهَذِهِ الْمَقَاصِدِ الْخَمْسَةِ يَكْتَمِلُ بِنَاءُ الْإِنْسَانِ، وَيُلْحَقُ بِمَعِيَّةِ سَيِّدِ الْأَنَامِ ﷺ، وَتَبْقَىٰ كَلِمَةُ الْحَقِّ سَارِيَةً عَلَىٰ مَرِّ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ضَمِنَ لَهُمْ صَلَاحَ أَمْرِهِمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

(١) الروم الآية (٣٠). (٢) الحج الآية (٤١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[1].

وَلَقَدْ جَاءَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْكِتَابِ الْمُفَصَّلِ الَّذِي بُعِثَ ﷺ بِهِ، لِيَكُونَ شِفَاءً وَهُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي يَتَطَهَّرُ بِهَا الإِنْسَانُ ظَاهِراً وَبَاطِناً مِنْ دَنَسِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ؛ حَتَّىٰ يَسْلُكَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُوصِلُهُ إِلَىٰ مَرْضَاةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حِينَ يَتَحَلَّىٰ بِالْآدَابِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَعْمَالِهِ، وَأَحْوَالِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2]. وَالْهِدَايَةُ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ تَقْتَضِي الِامْتِثَالَ لِأَوَامِرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَاجْتِنَابَ نَوَاهِيهِ، وَهَذَا بِدَوْرِهِ يَقْتَضِي الْعِلْمَ بِهَا عَلَىٰ يَدِ عَالِمٍ رَبَّانِيٍّ جَمَّلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْخَشْيَةِ، وَالْخُشُوعِ، وَالزُّهْدِ، وَالتَّوَاضُعِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ.

فَالْعُلَمَاءُ هُمْ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَهُمْ وَرَثَتُهُمْ، وَبِهِمْ تَنْجَلِي مَعَالِمُ الْهُدَىٰ فِي كُلِّ زَمَانٍ، فَهُمْ سُرُجُ الدُّنْيَا وَمَصَابِيحُ الْآخِرَةِ، بِهِمْ تَنْجَلِي كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ، لِذَلِكَ كَانَ لَابُدَّ فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ صُحْبَتِهِمْ، وَالتَّلَقِّي عَنْهُمْ، وَالتَّأَدُّبِ بِآدَابِهِمْ، فَمَنْ صَحِبَهُمْ، فَازَ مِنْهُمْ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْحَالِ الصَّادِقِ، أَلَا وَهُوَ الْخَشْيَةُ وَالْخُشُوعُ وَالزُّهْدُ وَالتَّوَاضُعُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الصَّادِقَةَ لَا تَصِلُ إِلَىٰ السَّالِكِ بِمُجَرَّدِ الْقِرَاءَةِ فِي الْكُتُبِ فَحَسْبُ؛ بَلْ لَابُدَّ مِنَ الصُّحْبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمُشَاكَلَةُ وَالْمُجَانَسَةُ لِمَنْ صَحِبَهُمْ، فَإِنَّ التَّأْثِيرَ بِالْحَالِ فَوْقَ التَّأْثِيرِ بِالْمَقَالِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[3].

وَكَانَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، يَقُولُ: «**خُذِ الرَّفِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ**». وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَللهِ عَلَيَّ فِيهِ ثَلَاثُ نِعَمٍ: الْأُولَىٰ:** إِنْ وَجَدْتُ مَنْ هُوَ فَوْقِي فِي الْعِلْمِ، سَمَّيْتُ هَذَا الْيَوْمَ: **يَوْمَ الْفَائِدَةِ. وَالثَّانِيَةُ:** إِنْ وَجَدْتُ مَنْ هُوَ دُونِي فِي الْعِلْمِ، سَمَّيْتُ هَذَا الْيَوْمَ: **يَوْمَ الْجَائِزَةِ. وَالثَّالِثَةُ:** إِنْ وَجَدْتُ مَا هُوَ مِثْلِي فِي الْعِلْمِ، سَمَّيْتُ هَذَا الْيَوْمَ: **يَوْمَ الْمُذَاكَرَةِ**».

فَيَوْمُ الْفَائِدَةِ؛ لِأَنَّهُ رضي الله عنه سَيَسْتَفِيدُ مِنْ عِلْمِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، **وَيَوْمُ الْجَائِزَةِ** حِينَ يُعَلِّمُ مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ، **وَيَوْمُ الْمُذَاكَرَةِ** لِمَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي الْعِلْمِ حِينَ يُذَكِّرُ كُلٌّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ.

(١) الرعد الآية (١٧). (٢) آل عمران الآية (١٠١). (٣) التوبة الآية (١١٩).

فَالصُّحْبَةُ كُلُّهَا خَيْرٌ، وَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَهُوَ بَابُ مَدِينَةِ الْعِلْمِ، فَمَا بَالُنَا نَحْنُ!.

وَلِلرَّفِيقِ الصَّالِحِ وَالشَّيْخِ النَّاصِحِ عَلَامَاتٌ ثَلَاثَةٌ: فَهُوَ الَّذِي يُذَكِّرُكَ بِاللهِ رُؤْيَتُهُ، وَيَزِيدُكَ فِي الْعِلْمِ مَنْطِقُهُ، وَيُقَرِّبُكَ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَلُهُ.

وَالصُّحْبَةُ، لَهَا آدَابٌ يَقُولُ فِيهَا الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه:

صُحبَةُ الْوَلِيِّ الْمُرْشِدِ تَقْتَضِي آدَابًا ثَلَاثَةً:

(١) أَنْ تُقِيمَهُ مَقَامَ الْوَالِدِ الرَّءُوفِ الرَّحِيمِ، وَتَقُومَ لَهُ بِمَا يَقُومُ بِهِ الْوَلَدُ الْبَارُّ الْكَرِيمُ، وَقَدْ أَدَّبَ اللهُ مَنِ اجْتَبَاهُمْ فِي صُحْبَةِ الْأَئِمَّةِ، حَتَّىٰ بَلَغُوا أَرْقَىٰ مَقَامَاتِ الْمَحَبَّةِ وَالْقُرْبِ.

(٢) أَنَّ السَّالِكَ مَهْمَا أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، لَا يَخْطُرُ عَلَىٰ قَلْبِهِ أَنَّهُ أَشْبَهَ الْمُرْشِدَ أَوْ سَاوَاهُ أَوِ اسْتَغْنَىٰ عَنْهُ؛ فَالطَّرِيقُ لَا يَسْلَمُ فِيهِ إِلَّا أَهْلُ الْأَدَبِ.

(٣) السَّعَادَةُ فِي الطَّرِيقِ، هِيَ الْأَدَبُ مَعَ الْمُرْشِدِ حَتَّىٰ يُفَارِقَ الدُّنْيَا، وَحِفْظُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ. فَإِنَّ مُسِيءَ الْأَدَبِ لَمْ يَدْخُلِ الطَّرِيقَ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ.

أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَرْزُقَنِي وَإِخْوَانِي الْأَدَبَ لله وَلِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَلِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: «**الْأَدَبُ قَبْلَ الطَّلَبِ؛ وَإِلَّا فَالْعَطَبُ**».

وَكَانَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، يَقُولُونَ: **أَرْبَعَةُ آدَابٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا الْفَقِيرُ الصَّادِقُ:**

(١) **اَلرَّحْمَةُ بِالْأَصَاغِرِ.** (٢) **اَلْحُرْمَةُ لِلْأَكَابِرِ.**

(٣) **اَلْإِنْصَافُ مِنَ النَّفْسِ.** (٤) **تَرْكُ الِانْتِصَافِ لِلنَّفْسِ.**

وَقَالَ أَبُو مَدْيَنَ الْغَوْثُ رضي الله عنه:

مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا صُحْبَةُ الْفُقَرَا ... هُمُ السَّلَاطِينُ وَالسَّادَاتُ وَالْأُمَرَا
فَاصْحَبْهُمُوا وَتَأَدَّبْ فِي مَجَالِسِهِمْ ... وَخَلِّ نَفْسَكَ مَهْمَا قَدَّمُوكَ وَرَا

۞ وَمَا سَارَ عَلَيْهِ سَلَفُنَا الصَّالِحُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ هَدْيِ نَبِيِّنَا ﷺ الَّذِي يَقُولُ: «**طُوبَىٰ لِمَنْ جَالَسَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ، وَخَالَطَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالْمَسْكَنَةِ**». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ)

۞ وَرَوَىٰ الشَّعْبِيُّ رضي الله عنه، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه صَلَّىٰ عَلَىٰ جَنَازَةٍ، فَقُرِّبَتْ إِلَيْهِ بَغْلَتُهُ لِيَرْكَبَهَا، فَجَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ زَيْدٌ: خَلِّ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكُبَرَاءِ، فَقَبَّلَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ يَدَهُ، وَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا ﷺ. (رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَمِنَ الْآدَابِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، مَا رَوَاهُ جَابِرٌ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَتَجْتَذِبُوا بِهِ الْأَمْوَالَ، وَتَصْرِفُوا بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ**». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ اللهِ، لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ)

هَذِهِ وَصَايَا رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ.

۞ وَهُنَاكَ آدَابٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا الْمُعَلِّمُ الْمُرْشِدُ، فَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلِّمُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، وَدَعُوا مَا يُنْكِرُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْعِلْمَ النَّافِعَ هُوَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْ أَهْلِ الْقُلُوبِ، فَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي اللِّسَانِ، وَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ، وَذَلِكَ النَّافِعُ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)

۞ وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ أَبِي يَزِيدَ الْبُسْطَامِيِّ رضي الله عنه فِي آدَابِ الْمُرِيدِ مَعَ الشَّيْخِ، حَيْثُ يَقُولُ:

وَأَنْزِلِ الشَّيْخَ فِي أَعْلَىٰ مَنَازِلِهِ ... وَاجْعَلْهُ قِبْلَةَ تَعْظِيمٍ وَتَنْزِيهِ
وَلَسْتَ تَفْعَلُ هَذَا إِنْ ظَنَنْتَ بِهِ ... نَقْصاً وَلَا خَلَلاً فِيمَا يُعَانِيهِ
وَكُنْ مُحِبَّ مُحِبِّيهِ وَنَاصِرَهُ ... وَالْزَمْ عَدَاوَةَ مَنْ أَضْحَىٰ يُعَادِيهِ

وَغَـايَـةُ الْأَمْـرِ فِـيـهِ أَنْ تَـرَاهُ عَـلَـىٰ نَـهْـجِ الْـكَـمَـالِ وَأَنَّ اللهَ هَـادِيـه
ومِـنْ أَمَـارَةِ هَـذَا أَنْ تَـؤَوِّلَ مَـا عَـلَـيْـكَ أَشْـكَـلَ إِظْـهَـاراً بِـمَـا فِـيـه

۞ **وَمُلَازَمَةُ أَعْتَابِ الشَّيْخِ تَقْتَضِي أُمُوراً ثَلَاثَةً: اِجْتِمَاعٌ - فَاسْتِمَاعٌ - فَاتِّبَاعٌ.** وَبَعْدَ ذَلِكَ الِاعْتِرَافُ بِفَضْلِ اللهِ بِهِ عَلَيْكَ، فَتَنْظُرُ أَيْنَ أَنْتَ قَبْلَ دُخُولِكَ عَلَيْهِ، ثَمَّ أَيْنَ أَنْت بَعْدَ اتِّبَاعِكَ لَهُ، وَهُنَا تَكُونُ مُلَازَمَتُكَ لَهُ فِي النِّهَايَةِ فَوْقَ مُلَازَمَتِكَ لَهُ فِي الْبِدَايَةِ؛ لِأَنَّكَ فِي الْبِدَايَةِ صَحِبْتَهُ قَبْلَ التَّعْرِيفِ، أَمَّا فِي النِّهَايَةِ فَقَدْ صَحِبْتَهُ بَعْدَ التَّعْرِيفِ، فَإِنَّ صُحْبَةَ مَنْ عَرفَ تَقْتَضِي مِنَ الْمُرِيدِ الصَّادِقِ أَنْ يُنَفِّذَ أَوَامِرَ شَيْخِهِ، وَيَفْقَهَ إِرَادَتَهُ، وَيَفْهَمَ إِشَارَتَهُ، وَيُقْبِلَ عَلَيْهِ بِثِيَابِ التَّذَلُّلِ وَالِانْكِسَارِ فِي التَّوَدُّدِ إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢].

۞ وَقَدْ رُوِيَ فِي دَوَامِ مُلَازَمَةِ الْأَدَبِ فِي صُحْبَةِ الشَّيْخِ، أَنَّ الْإِمَامَ (أَبُو الْحَسَنِ) الشَّاذِلِيَّ رضي الله عنه، كَانَ لَهُ مُرِيدٌ يَتَلَقَّىٰ عَنْهُ، وَيَتَرَبَّىٰ عَلَىٰ يَدَيْهِ، فَغَابَ ذَلِكَ الْمُرِيدُ عَنْهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَهُ، قَالَ لَهُ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ: **مَا الَّذِي غَيَّبَكَ عَنَّا؟** قَالَ: أَخَذْتُ الْعِلْمَ الَّذِي عِنْدَكَ، وَاسْتَغْنَيْتُ بِهِ عَنْكَ. فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ: **يَا بُنَيَّ، لَوِ اسْتَغْنَىٰ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، لَاسْتَغْنَىٰ أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه **عَنْ رَسُولِ اللهِ** صلى الله عليه وآله وسلم**، وَلَكِنَّهُ كَانَ وَزِيراً لِرَسُولِ اللهِ** صلى الله عليه وآله وسلم **فِي حَيَاتِهِ، وَخَلِيفَتَهُ بَعْدَ انْتِقَالِهِ.**

۞ فَالْعِلْمُ وَالْأَدَبُ أَمْرَانِ مُتَلَازِمَانِ؛ فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ الْعِلْمَ، وَلَمْ يَمْنَحْهُ الْأَدَبَ كَانَ الْعِلْمُ حُجَّةً عَلَيْهِ، وَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الْأَدَبَ وَلَمْ يَمْنَحْهُ الْعِلْمَ، أَثَابَهُ اللهُ عَلَىٰ الْأَدَبِ، وَكَانَ الْأَدَبُ حُجَّةً لَهُ، وَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ، فَقَدْ ظَفِرَ بِمَقَامِ أُوْلِي الْأَلْبَابِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[٣].

۞ وَفِي هَذَا يَقُولُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه: «**مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ، وَلَمْ يَمْنَحْهُ الْخَشْيَةَ،**

(١) المائدة الآية (٥٤). (٢) الزمر الآية (١٧، ١٨). (٣) الزمر الآية (١٨).

كَانَتِ الْحِكْمَةُ حُجَّةً عَلَيْهِ، وَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الْخَشْيَةَ، وَلَمْ يَمْنَحْهُ الْحِكْمَةَ، أَثَابَهُ اللهُ عَلَىٰ الْخَشْيَةِ، وَلَمْ يُعَاتِبْهُ عَلَىٰ فَوَاتِ الْحِكْمَةِ». وَكَانَ ﵁ يَقُولُ فِي وَصَايَاهُ: «لَا تَصْحَبْ إِلَّا مَنْ يُنْهِضُكَ حَالُهُ، وَيَدُلُّكَ عَلَىٰ اللهِ مَقَالُهُ»، وَيَقُولُ ﵁:

وَصَاحِبْ مَنْ بِهِ تَحْيَا ... وَتَدْخُلُ جَنَّةَ الْمَعْنَىٰ
وَلَا تَصْحَبْ أُوْلِي الْأَهْوَا ... وَمَنْ مَالُوا عَنِ السُّنَنَا

۞ لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الصُّحْبَةِ أَنْ تَنْتَقِلَ مِنْ مَوْتَةِ الْجَهَالَةِ، إِلَىٰ حَيَاةِ النُّورِ وَالْإِيمَانِ الَّذِي تَحْيَا بِهِ الْقُلُوبُ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَىٰ يَدِ مَنْ أَحْيَاهُ اللهُ الْحَيَاةَ الْإِيمَانِيَّةَ، حَيَاةَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(١).

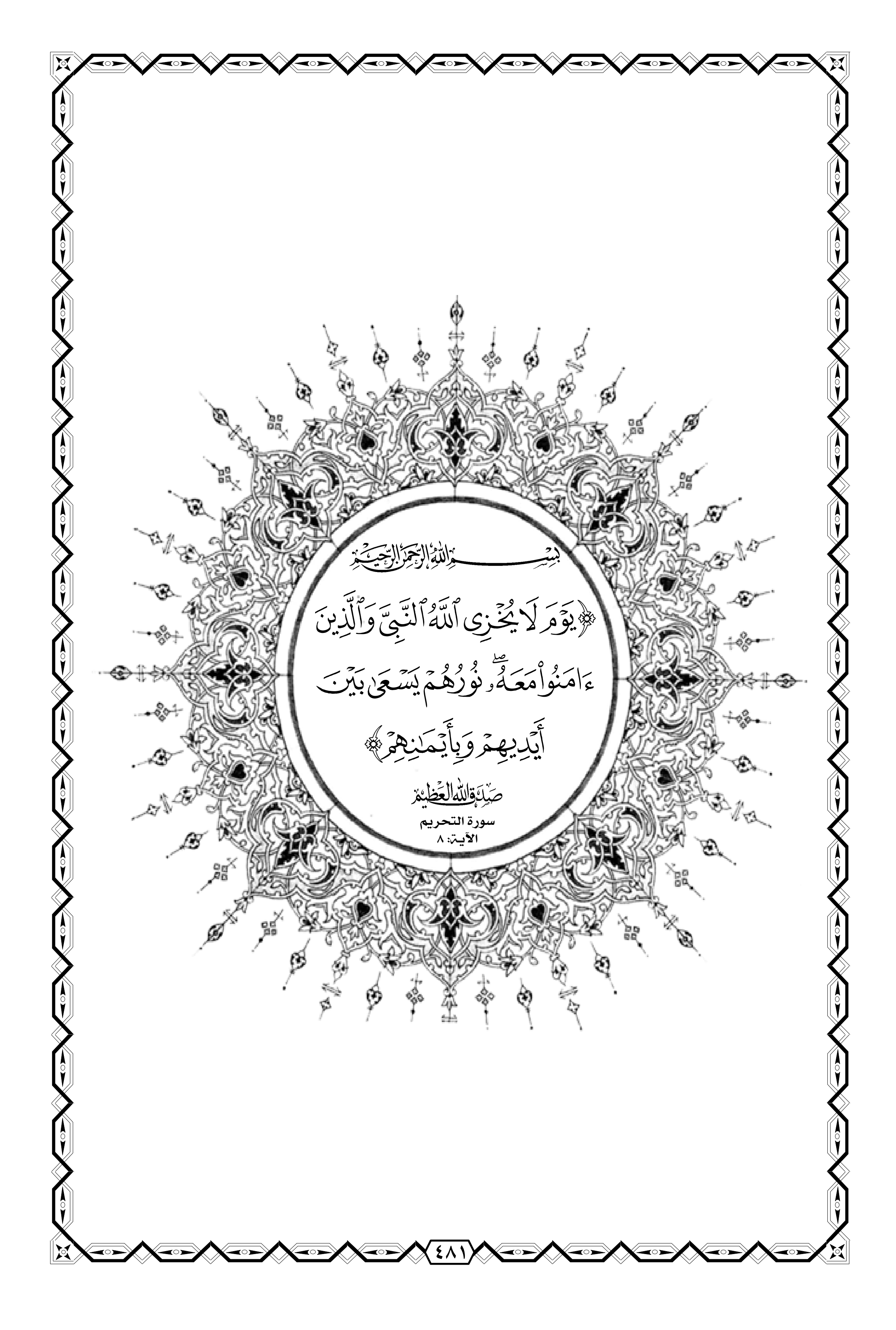
۞ وَالشَّيْخُ الدَّاعِي إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ يَدْعُوكَ إِلَىٰ مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

۞ فَبِصُحْبَةِ الشَّيْخِ الْمُرَبِّي الدَّالِّ عَلَىٰ اللهِ بِاللهِ، يَنْقَشِعُ الرَّانُ، وَحِجَابُ الْحُظُوظِ وَالْأَهْوَاءِ عَنْ قَلْبِ الْمُرِيدِ الَّذِي قَتَلَ فِيهِ الشَّيْخُ آفَاتِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ، وَبَدَّلَ مَا فِيهِ مِنَ الرَّذَائِلِ بِالْفَضَائِلِ، فَزَكَتْ نَفْسُهُ، فَأَقْبَلَ عَلَىٰ اللهِ ذَاكِراً فَاكِراً شَاكِراً، مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ، فَصَارَ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَهْلِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، الَّذِينَ بَشَّرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)

---

(١) الأنفال الآية (٢٤).

(٢) يوسف الآية (١٠٨). (٣) التوبة الآية (١١٢).



بسم الله الرحمن الرحيم
﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾
صدق الله العظيم
سورة التحريم
الآية: ٨

الْبَابُ التَّاسِعُ

عَظَمَـةُ النَّبِـيِّ ﷺ فِي أُمَّتِـهِ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾(١).

۞ وَإِنَّما حَازَتِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ هَذَا الشَّرَفَ الْعَظِيمَ الَّذِي فَضَّلَهَا اللهُ بِهِ عَلَىٰ سَائِرِ الْأُمَمِ بِفَضْلِ انْتِسَابِهَا لِأَشْرَفِ الْخَلْقِ وَأَكْرَمِ الرُّسُلِ عَلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَهُوَ الَّذِي أَكْمَلَ اللهُ عَلَىٰ يَدَيهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ ﷺ، وَأَتَمَّ بِهِ نِعْمَتَهُ عَلَىٰ النَّاسِ ﷺ، فَإِنَّ الْعَمَلَ بِمِنْهَاجِهِ وَشَرِيعَتِهِ ﷺ، يَقُومُ الْقَلِيلُ مِنْهُ مَا لَا يَقُومُ بِهِ الْعَمَلُ الْكَثِيرُ مِنْ أَعْمَالِ غَيرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ، وَقَدِ افْتَخَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأُمَّتِهِ الَّتِي حَازَتِ السَّبْقَ عَلَىٰ سَائِرِ الْأُمَمِ، فَقَالَ ﷺ: «**أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ**»، قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: **قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هُوَ؟** قَالَ ﷺ: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ لِيَ التُّرَابُ طَهُورَاً، وجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ بَلْ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُبَاهِي بِالْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ أَنْبِيَاءَهُ، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: **يَا عِيسَىٰ، إِنِّي بَاعِثٌ بَعْدَكَ أُمَّةً، إِنْ أَصَابَهُمْ مَا يُحِبُّونَ، حَمَدُوا وَشَكَرُوا، وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ، اِحْتَسَبُوا وَصَبَرُوا، وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ**، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيفَ هَذَا لَهُمْ، وَلَا حِلْمَ وَلَا عِلْمَ؟ قَالَ: **أُعْطِيهِمْ مِنْ حِلْمِي وَعِلْمِي**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَهَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ يُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ خَصَّهَا اللهُ سُبْحَانَهُ بِخَصَائِصَ سَبَقَتْ بِهَا مَنْ سَبَقَهَا مِنَ الْأُمَمِ: أَلَا وَهِيَ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ، وَاحْتِسَابُ مَا يَرْجُونَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ عِنْدَ اللهِ، والصَّبْرُ، وَمَا يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ مِنْ حِلْمِهِ وَعِلْمِهِ.

۞ وَالْحِلْمُ هُوَ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ، وَالْعِلْمُ الرَّبَّانِيُّ هُوَ مَنَارَةُ السَّبِيلِ إِلَىٰ اللهِ، وَبِهِ يَكُونُ الْهُدَىٰ وَالرَّشَادُ، فَمَا أَعْظَمَ وَأَجَلَّ عَطَاءَ الْمُنْعِمِ سُبْحَانَهُ لِخَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

---

(١) آل عمران الآية (١١٠).

۞ وعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يومَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ». (مُتَّفقٌ عَلَيْهِ)

فَنَحْنُ فِي الدُّنْيَا آخِرُ الْأُمَمِ، الَّتِي جَمَعَ اللهُ لَهَا مِنْ شَرْعِهِ الشَّرِيفِ وَدِينِهِ الْقَوِيمِ كَمَالَهُ وَتَمَامَهُ، وَنَحْنُ فِي الْآخِرَةِ الْأَوَّلُونَ شَرَفًا وَمَقَامًا، كَذَلِكَ مِنْ تَكْرِيمِ اللهِ تَعَالَىٰ لِأُمَّةِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ، أَنَّهَا أَوَّلُ الْأُمَمِ دُخُولاً الْجَنَّةَ يومَ الْقِيَامَةِ.

۞ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلَ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيس مَعَهُ أَحَدٌ؛ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ وَقَومُهُ؛ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: أُنْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ ﷺ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيئًا - وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ - فَخَرَجَ عَلَيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟»، فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ ﷺ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: أُدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ ﷺ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: أُدْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ ﷺ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ ومَعْنَىٰ «لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ»، أَي: لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ بِرُقَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ، ومَعْنَىٰ: «وَلَا يَتَطَيَّرُونَ»، أَيْ: لَا يَتَشَاءَمُونَ بِرُؤْيَةِ الطَّيْرِ.

۞ وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ السَّبْعِينَ أَلْفًا بِقَولِهِ ﷺ: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلفاً آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، حَتَّي يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمُ الْجَنَّةَ، وَوُجُوهُهُمْ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَقَدْ ضَاعَفَ اللهُ ذَلِكَ الْعَدَدَ؛ إِكْرَامًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ)

وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ أُمَّةَ سَيِّدِ الْأَنَامِ ﷺ نِصْفَ عَدَدِ أَهْلِ الْجَنَّةِ كُلِّهِمْ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَمِمَّا خَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ سِعَةِ فَضْلِهِ، أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَصَّنَا بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَهَدَانَا إِلَيْهِ وَهُوَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ سَيِّدُ الْأَيَّامِ، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَومَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ يَومٌ مَشْهُودٌ؛ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَغَيْرُهُ)

وعَنْ أَبِي لُبَابَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيِّدُ الْأَيَّامِ يَومُ الْجُمُعَةِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ الله تَعَالَىٰ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَه)

وَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَومُ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وفِيهِ قُبِضَ، وفِيهِ النَّفْخَةُ، وفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ عَلَيَّ مَعْرُوضَةٌ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيفَ تُعْرَضُ عَلَيكَ صَلَاتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ (أَيْ: بَلِيتَ)، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ». (رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ)

وعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

فَقَدْ خَصَّنَا اللهُ تَعَالَىٰ بِيَومِ الْجُمُعَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْأَيَّامِ، وَنَبِيُّنَا ﷺ وَهُوَ سَيِّدُ الْأَنَامِ، وَفِي هَذَا تَكْرِيمٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ مَنْ سَبَقَهَا مِنَ الْأُمَمِ، يَقْتَضِي الشُّكْرَ بِالْإِكْثَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْيَهُودُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُمْ لَنْ يَحْسُدُونَا عَلَىٰ شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَنَا عَلَىٰ الْجُمُعَةِ، هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وعَلَىٰ الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وعَلَىٰ قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِين». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ فَيومُ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ، وَالْقِبْلَةُ هِيَ الْبيتُ الْحَرَامُ وَهُوَ أَفْضَلُ مَسَاجِدِ الْأَرْضِ، وَأَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ، وَالصَّلَاةُ فِيهِ تَعْدِلُ مِائَةَ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، وَهُوَ بَيتُ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾(١)، فَكَانَتِ الْجُمُعَةُ فِي الزَّمَانِ خَيْرَ الْأَيَّامِ، وَقِبْلَتُنَا الَّتِي نَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا فِي الصَّلاةِ فِي خَيْرِ مَكَانٍ.

۞ وَأَمَّا قولُنَا: (آمِينَ) فِي الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّنَا نُوَافِقُ بِهَا تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ عَلَىٰ دُعَائِنَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ هَذَا، وَالْحَدِيثُ عَنْ فَضْلِ أُمَّةِ سَيِّدِ الْأَنَامِ ﷺ، يَقْتَضِي الْحَدِيثَ عَنْ فَضْلِ الصَّحَابَةِ الْأَخْيَارِ؛ فَهُمُ الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ الَّذِي تَرَبَّىٰ عَلَىٰ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وبَلَّغُوا عَنْهُ ﷺ رِسَالَتَهُ لِلْأُمَّةِ جَمْعَاءَ، فَأَخَذَ عَنْهُمُ التَّابِعُونَ وَمَنْ تَابَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَهَذَا مَا لَا تَتَّسِعُ لَهُ الْكُتُبُ وَالْمُجَلَّدَاتُ، فَإِنَّ شَمَائِلَهُمْ ﵃ تَجِفُّ دُونَهَا الْأَقْلَامُ، وَلَكِنْ حَسْبُنَا مِنْ سِيرَتِهِمُ الْعَطِرَةِ، مَا شَهِدَ اللهُ لَهُمْ بِهِ مِنْ فَوقِ السَّبْعِ الطِّبَاقِ، وَزَكَّاهُمْ بِهِ خَيرُ نَبِيٍّ أُرْسِلَ لِلنَّاسِ ﷺ، حَتَّىٰ صَارُوا بِاعْتِصَامِهِمْ بِكِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ أَعْلَامًا فِي سَمَاءِ الدَّلَالَةِ عَلَىٰ اللهِ، وَبُدُوراً يُسْتَضَاءُ بِنُورِهِمْ، وَأَنْجُمًا يُهْتَدَىٰ بِهِمْ، فَفَازُوا بِرِضْوَانِ رَبِّهِمْ، وَفَازَ بِهِ مَنْ سَارَ عَلَىٰ هَدْيِهِمْ، فَإِنَّ فِي ذِكْرِ مَوَاقِفِهِمُ الْخَالِدَةِ، وَمَنَاقِبِهِمُ الْبَاهِرَةِ، ذِكْرَىٰ لِمَنْ: ﴿كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٢).

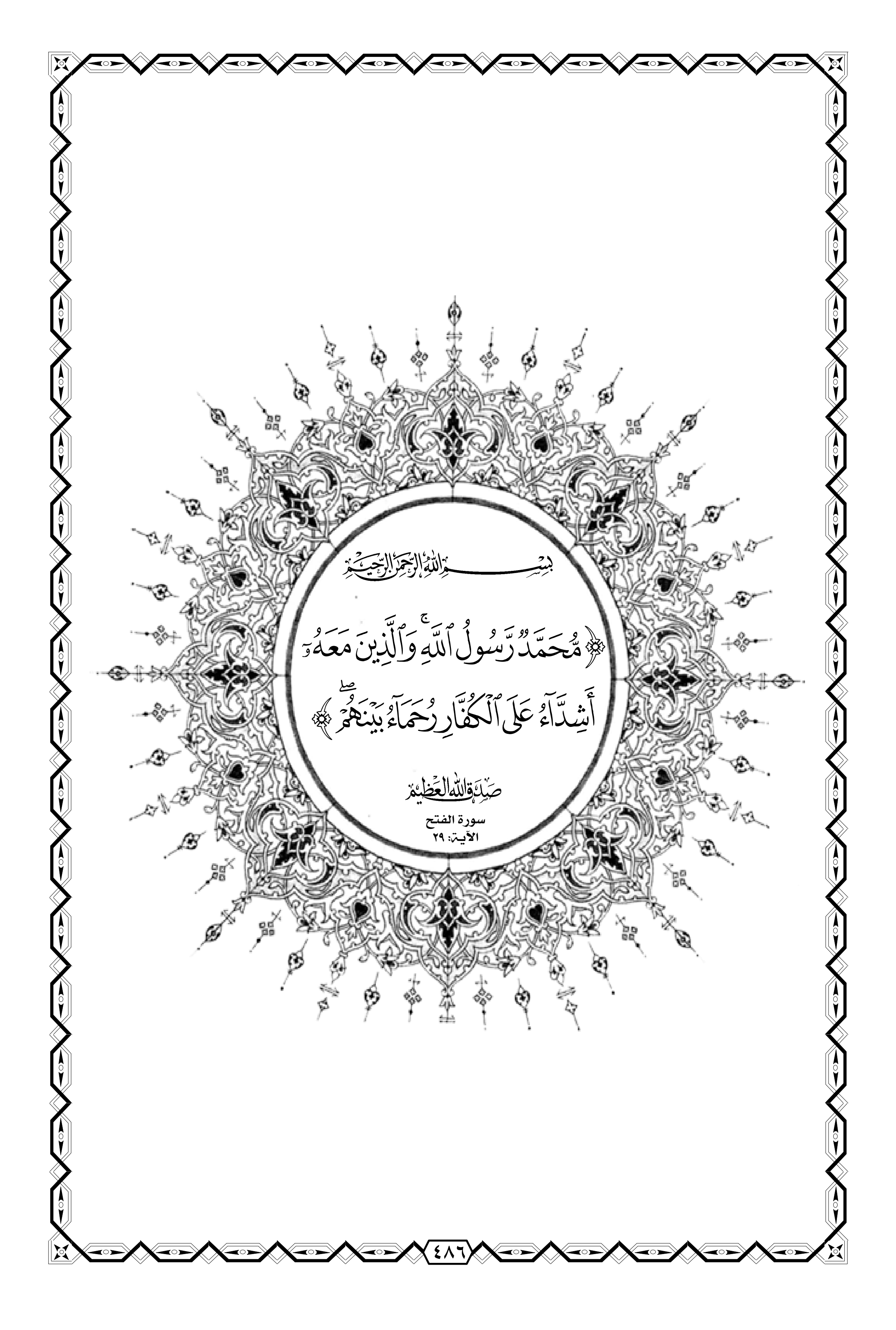
وَهَذَا الْبَابُ كَمَا تَنَاوَلَ فَضْلَ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَمَا خَصَّهَا اللهُ بِهِ عَلَىٰ سَائِرِ الْأُمَمِ، فَإِنَّهُ إِتْمَامٌ لِبَيَانِ فَضْلِهَا يَتَنَاوَلُ فَصْلَيْنِ:

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: فَضْلُ الصَّحَابَةِ الْأَخْيَارِ.

الْفَصْلُ الثَّانِي: فَضْلُ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ.

---

(١) آل عمران الآية (٩٧). (٢) ق الآية (٣٧).


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ
أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾
صدق الله العظيم
سورة الفتح
الآية: ٢٩

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

فَضْـلُ الصَّحَابَـةِ الْأَخْيَـارِ

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[1].

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ شَمِلَ بِرِضْوَانِهِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ تَابَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَرَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، بِمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَهُمْ أَهْلُ رِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ.

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[2].

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ شَهِدَ اللهُ فِيهَا بِالصِّدْقِ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَتَرَكُوا الدِّيَارَ وَالْأَمْوَالَ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، يَبْتَغُونَ بِهِجْرَتِهِمْ فَضْلَ اللهِ وَرِضْوَانَهُ، وَنُصْرَةَ دِينِهِ سُبْحَانَهُ.

۞ ثُمَّ يَقُولُ سُبْحَانَهُ فِي الْأَنْصَارِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[3].

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ بَشَّرَ اللهُ فِيهَا الْأَنْصَارَ بِالْفَلَاحِ؛ لِحُبِّهِمْ لِلْمُهَاجِرِينَ، وَإِيثَارِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، بِأَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الْإِيثَارِ، وَذَلِكَ بِالْبَذْلِ لَهُمْ حَتَّىٰ وَلَو كَانَتْ بِالْأَنْصَارِ خَصَاصَةٌ، أَيْ: حَاجَةٌ وَفَاقَةٌ.

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ

(١) التوبة الآية (١٠٠). (٢) الحشر الآية (٨). (٣) الحشر الآية (٩).

﴿فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾[1].

وفي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ثَنَاءٌ مِنَ اللهِ عَلَىٰ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَهُمُ الْأَشِدَّاءُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ، الرُّحَمَاءُ فِيمَا بَينَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، وَأَثْنَىٰ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ بِقِيَامِهِمْ فِي الصَّلَاةِ رُكَّعاً سُجَّداً بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، وَوَصَفَهُمْ بِالْإِخْلَاصِ حَيْثُ إِنَّهُمْ يَحْتَسِبُونَ ثَوَابَ طَاعَتِهِمْ، وَاجْتِهَادِهِمْ فِي عَمَلِ الْقُرُبَاتِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَعْلُو وُجُوهَهُمُ السَّمْتُ الْحَسَنُ؛ مِنْ أَثَرِ سُجُودِهِمْ بَينَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسَّمْتُ الْحَسَنُ هُوَ النُّورُ السَّاطِعُ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ مِنْ نُورِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ، وَالِاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَقَدْ أَشَارَ اللهُ تَعَالَىٰ بِذِكْرِهِمْ فِي التَّوراةِ: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾، ومَعْنَىٰ: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾، أَيْ: فَرْخَهُ، فَالْأَصْلُ هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الَّذِي ضَرَبَ اللهُ لَهُ الْمَثَلَ بِالزَّرْعِ، أَيْ: أَنَّهُ ﷺ شَجَرَةُ الْأَصْلِ الَّتِي أَخْرَجَتْ أَفْرَاخَهَا، فَآزَرُوهُ، فَاسْتَغْلَظَ، فَكَذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ آزَرُوهُ وَأَيَّدُوهُ وَنَصَرُوهُ، فَهُمْ مَعَهُ كَالشَّطْءِ مَعَ الزُّرُوعِ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَصَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي افْتِتَاحِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، ثُمَّ بَشَّرَهُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَوَاتِيمِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ بِالْمَغْفِرَةِ لِذُنُوبِهِمْ، وَالْأَجْرِ الْعَظِيمِ؛ ثَوَاباً مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ، وَصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ.

۞ وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنِ اتَّصَفَ بِأَوصَافِهِمْ، وَسَارَ عَلَىٰ هَدْيِهِمْ، فَهُوَ فِي حُكْمِهِمْ، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[3].

۞ فَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ هُمْ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالسَّبْقِ وَالْكَمَالِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ أَثْنَىٰ اللهُ

(١) الفتح الآية (٢٩). (٢) المائدة الآية (٥٤). (٣) التوبة الآية (١٠٠).

تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ بِالْأَدَبِ مَعَ مَنْ سَبَقُوهُمْ بِالْإِيمَانِ، وَعَلَامَةُ الْأَدَبِ الدُّعَاءُ لَهُمْ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[1].

وَقَدْ بَشَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّهُ مِنْهُمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[2]. فَمَعِيَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَائِمَةٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، لِكُلِّ مَنِ اتَّصَفَ بِأَوْصَافِ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، وَأَحَبَّهُمْ وَإِنْ لَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَهَذِهِ الْمَكَانَةُ الْمَرْمُوقَةُ الَّتِي رَفَعَ اللهُ إِلَيْهَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالَّتِي ذَكَرَهَا سُبْحَانَهُ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْطِنٍ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، إِنَّمَا هِيَ نِدَاءٌ لَنَا لِاقْتِفَاءِ أَثَرِهِمْ، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّهُمْ وَاقْتَفَىٰ أَثَرَهُمْ صَارَ مِنْهُمْ وَمَعَهُمْ، وَفَازَ بِمَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَلْقَىٰ اللهُ مَحَبَّتَهُ فِي قَلْبِ جِبْرِيلَ عليه السلام، وَدَعَا جِبْرِيلُ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ لِمَحَبَّتِهِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ تَعَالَىٰ الْعَبْدَ دَعَا جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَيَطِيبُ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ نُشَرِّفَ أَسْمَاعَنَا بِبَعْضِ مَا وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَدْرِ مَا يَتَّسِعُ لَهُ هَذَا الْفَصْلُ، وَذَلِكَ عَلَىٰ النَّحْوِ الْآتِي:

---

(١) الحشر الآية (١٠).
(٢) الجمعة الآية (٣، ٤).

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

۞ تُخْبِرُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وَهُمَا مَعًا فِي الْغَارِ أَثْنَاءَ هِجْرَتِهِمْ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، حَيْثُ مَكَثُوا فِي الْغَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا وَصَلَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي آثَارِهِمْ يَطْلُبُونَهُمْ، خَافَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه أَنْ يَخْلُصَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُمْ أَذَىٰ، فَقَالَ رضي الله عنه: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ ﷺ مُطَمْئِنًا لَهُ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي اثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَهَذَا مِنْ بَابِ الشَّرَفِ الْعَظِيمِ الَّذِي خَصَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، لِيَكُونَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ أَخًا وَصَاحِبًا، فَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مُقَدَّمٌ فِي الْأُخُوَّةِ وَالصُّحْبَةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ سَائِرِ الْأُمَّةِ.

۞ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَهَا ﷺ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ: الْمَوْتُ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي، فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَهُوَ ﷺ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّ الَّذِي يَلِي أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَهُ ﷺ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه.

۞ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَىٰ جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، قَالَ عَمْرٌو: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ ﷺ: «**عَائِشَةُ**»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ ﷺ: «**أَبُوهَا**» يُرِيدُ ﷺ أَبَا بَكْرٍ، قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ﷺ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**»، فَعَدَّ

---

(١) التوبة الآية (٤٠).

ﷺ رِجَالاً». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَإِنَّمَا نَالَ أَبُو بَكْرٍ هَذِهِ الْمَكَانَةَ؛ لِأَنَّهُ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَسْجُدْ لِصَنَمٍ قَطُّ، وَكَانَ ﷺ أَعَفَّ النَّاسِ؛ فَقَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الْخَمْرَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ.

۞ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي «يُرِيدُ سَيِّدَنَا عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهَ»: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ﷺ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: ثُمَّ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ فَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾(١). فَقَبْلَ الْفَتْحِ أَيْ: فَتْحِ مَكَّةَ كَانَ الصَّحَابَةُ فِي شِدَّةٍ، فَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الصِّدِّيقُونَ، أَمَا بَعْدَ الْفَتْحِ، فَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَكَانَ الَّذِي أَنْفَقَ مَالَهُ قَبْلَ الْفَتْحِ، أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِي أَنْفَقَ مَالَهُ بَعْدَ الْفَتْحِ؛ لِذَلِكَ بَشَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ قَبْلَ الْفَتْحِ، بِأَنَّهُ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِي أَنْفَقَ مَالَهُ بَعْدَ الْفَتْحِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٢).

۞ وَقَدْ أَنْفَقَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ مَالَهُ كُلَّهُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ الْفَتْحِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ وَعِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ وَعَلَيْهِ عَبَاءَةٌ قَدْ خَلَّهَا عَلَىٰ صَدْرِهِ بِخِلَالٍ (أَيْ: بِهَا مُرَقَّعَاتٌ)، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ ﷺ فَأَقْرَأَهُ مِنَ اللهِ السَّلَامَ، وَقَالَ ﷺ: «**يَا مُحَمَّدُ، مَالِي أَرَىٰ أَبَا بَكْرٍ عَلَيْهِ عَبَاءَةٌ قَدْ خَلَّهَا عَلَىٰ صَدْرِهِ بِخِلَالٍ**»، فَقَالَ ﷺ: «**يَا جِبْرِيلُ، أَنْفَقَ مَالَهُ قَبْلَ الْفَتْحِ عَلَيَّ**»، قَالَ ﷺ: فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: «**اقْرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ؛ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَبُّكَ: أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا أَمْ سَاخِطٌ؟**» فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَيَقُولُ لَكَ رَبُّكَ: أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا أَمْ سَاخِطٌ؟**» فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: عَلَىٰ رَبِي أَغْضَبُ؟!

(١) الحديد الآية (١٠). (٢) الحديد الآية (١٠).

أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ. (رَوَاهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، وَالْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ)

وَقَدِ امْتَدَحَ اللهُ تَعَالَىٰ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي خَوَاتِيمِ سُورَةِ اللَّيْلِ، بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾(١). وَكُلُّ هَذِهِ الْأَوْصَافِ كَانَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَدْ كَانَ صِدِّيقًا تَقِيًّا كَرِيمًا جَوَادًا، يَفْعَلُ ذَلِكَ؛ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ، وَذَلِكَ دُونَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنَّةٌ وَنِعْمَةٌ فَيَجْزِيهِ عَلَيْهَا، فَكَانَتْ لَهُ الْبُشْرَىٰ بِرِضْوَانِهِ: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

لَقَدْ مَنَّ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه بِفِرَاسَةِ الْمُؤْمِنِ، فَكَانَ يَرَىٰ بِنُورِ اللهِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ رضي الله عنه قَالَ لِابْنَتِهِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: إِنَّمَا هُمَا أَخَوَاكِ وَأُخْتَاكِ، فَقَالَتْ: هَذِهِ أَسْمَاءُ قَدْ عَرَفْتُهَا، فَمَنِ الْأُخْرَىٰ؟ قَالَ رضي الله عنه: ذُو بَطْنِ بِنْتِ خَارِجَةَ، قَدْ أُلْقِيَ فِي خَلَدِي أَنَّهَا جَارِيَةٌ، فَكَانَتْ كَمَا قَالَ رضي الله عنه، وَوُلِدَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَسُمِّيَتْ «أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، أُمُّهَا حَبِيبَةُ بِنْتُ خَارِجَةَ»، وَقَدْ تَزَوَّجَ بِهَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِي مَوْقِعَةِ الْجَمَلِ. وَالْأَخَوَانِ هُمَا: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَالْأُخْتَانِ هُمَا: أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ الَّتِي بَشَّرَ بِهَا أَبُوهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه قَبْلَ أَنْ تُولَدَ. (طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ)

تَحَلَّىٰ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَقَدْ وَصَفَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ حِينَ لَقِيَهُ مُهَاجِرًا قَائِلًا لَهُ، **إِنَّكَ لَتَزِينُ الْعَشِيرَةَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ النَّوَائِبِ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ.**

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَهَذِهِ الصِّفَاتُ هِيَ مِنْ خِصَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ وَصَفَتْهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رضي الله عنها بِهَا عِنْدَمَا تَنَبَّأَ ﷺ بِالْوَحْيِ فِي غَارِ حِرَاءَ، وَعَادَ إِلَيْهَا يَقُصُّ عَلَيْهَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ﷺ.

كَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَاجِرًا، وَكَانَ رَأْسُ مَالِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَكَانَ رضي الله عنه ذَا بَذْلٍ يُنْفِقُ مِنْ مَالِهِ بِجُودٍ وَسَخَاءٍ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ رضي الله عنه رَأَىٰ رُؤْيَا وَهُوَ فِي تِجَارَةٍ لَهُ بِبِلَادِ الشَّامِ، فَقَصَّهَا عَلَىٰ بَحِيرَا الرَّاهِبِ، فَقَالَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قَالَ رضي الله عنه: مِنْ مَكَّةَ، قَالَ: مِنْ أَيِّهَا؟

(١) الليل الآيات (١٨-٢١).

قَالَ رضي الله عنه: مِنْ قُرَيْشٍ، قَالَ بَحِيرَا: فَأَيُّ شَيْءٍ أَنْتَ؟ قَالَ رضي الله عنه: **تَاجِرٌ**، قَالَ: إِنْ صَدَّقَ اللهُ رُؤْيَاكَ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ بِنَبِيٍّ مِنْ قَوْمِكَ، تَكُونُ وَزِيرَهُ فِي حَيَاتِهِ، وَخَلِيفَتَهُ بَعْدَ عَوْدَتِهِ، فَأَسَرَّ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ فِي نَفْسِهِ.

۞ عِنْدَمَا دَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمَ دُونَ أَنْ يَتَلَعْثَمَ أَوْ يَتَرَدَّدَ، وَعَاهَدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ نُصْرَتِهِ، فَكَانَ رضي الله عنه أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّهُ وَيَغَارُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ ﷺ لِمَنْ حَوْلَهُ: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي**» يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ.

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ كَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه سَبَّاقًا إِلَىٰ الْخَيْرِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَصْحَابَهُ يَوْمًا بَعْدَ أَنْ صَلَّىٰ الْفَجْرَ فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ صَائِمًا؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: **أَنَا**، قَالَ ﷺ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: **أَنَا**، قَالَ ﷺ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ مِسْكِينًا؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: **أَنَا**، قَالَ ﷺ: «**فَمَنْ عَادَ[1] مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: **أَنَا**، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه إِذَا مُدِحَ فِي وَجْهِهِ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ، اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ**». (أُسْدُ الْغَابَةِ)

۞ وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه بِأَنَّهُ يُدْعَىٰ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ مِنْ أَبْوَابِهَا كُلِّهَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: **يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَىٰ هَذَا الَّذِي يُدْعَىٰ مِنْ**

---

(١) زار.

تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُول اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

والْمَعْنَىٰ فِي قَوْلِهِ رضي الله عنه: «مَا عَلَىٰ هَذَا الَّذِي يُدْعَىٰ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ»؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ بَابٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنْ تَكْرِيمًا لَهُ تُفَتَّحُ لَهُ كُلُّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، ويُدْعَىٰ مِنْهَا كُلِّهَا، ثُمَّ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه

۞ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه مُحَدَّثًا مُلْهَمًا، وَصَفَهُ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَكَانَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُوَافِقًا لِقَوْلِ عُمَرَ رضي الله عنه؛ فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: **وَافَقْتُ رَبِّي وَوَافَقَنِي فِي أَرْبَعٍ**:

١. **قُلْتُ**: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ صَلَّيْنَا خَلْفَ الْمَقَامِ، فَأَنْزَلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾(1)،

٢. **وَقُلْتُ**: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْتَ عَلَىٰ نِسَائِكَ حِجَابًا، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَأَنْزَلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾(2)،

٣. **وَقُلْتُ لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ** ﷺ: لَتَنْتَهُنَّ أَوْ لَيُبْدِلَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ، فَأَنْزَلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾(3)،

٤. وَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا

(1) البقرة من الآية (١٢٥). (2) الأحزاب من الآية (٥٣). (3) التحريم من الآية (٥).

فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾(١)، **فَقُلْتُ: (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)،**

فَنَزَلَتْ: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾(٢). (أَوْرَدَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ)

۞ بَشَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ؛ لِرُؤْيَا رَآهَا ﷺ لِعُمَرَ رضي الله عنه؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ قَالَ ﷺ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِراً**». فَبَكَى عُمَرُ، وَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟!". (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه قَوِيًّا فِي دِينِهِ؛ حَتَّى أَنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لَا يَسْلُكُ فَجًّا سَلَكَهُ عُمَرُ؛ فَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعُمَرَ يَوْمًا: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجّاً قَطُّ، إِلَّا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ بَشَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعِلْمِ، وَبِالْفَضْلِ فِي الدِّينِ؛ أَمَّا الْبُشْرَى بِالْعِلْمِ، فَعَنْ حَمْزَةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ شَرِبْتُ** (يَعْنِي ﷺ: اللَّبَنَ)، **حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرِّيِّ يَجْرِي فِي ظُفُرِي - أَوْ: فِي أَظْفَارِي - ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ**، فَقَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: **الْعِلْمُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَأَمَّا الْبُشْرَى بِالْفَضْلِ فِي الدِّينِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ، وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ؛ فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ اجْتَرَّهُ**، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «**الدِّينُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ أَعَزَّ اللهُ بِعُمَرَ رضي الله عنه الْإِسْلَامَ، حَتَّى قَوِيَتْ شَوْكَتُهُ، وَضَرَبَ بِأَطْنَابِهِ فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَبِلَادِ الْعَجَمِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «**لَازِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ لَمَّا أَسْلَمَ رضي الله عنه قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مِتْنَا وَإِنْ حَيِينَا؟ قَالَ ﷺ: «**بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ، إِنْ مِتُّمْ وَإِنْ حَيِيتُمْ**»، قَالَ رضي الله عنه: **فَفِيمَ**

---

(١) المؤمنون من الآيات (١٢-١٤). (٢) المؤمنون من الآية (١٤).

الِاخْتِفَاءُ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ، فَأَذِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بِالْخُرُوجِ، فَخَرَجُوا مِنْ دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ فِي صَفَّيْنِ: صَفٌّ عَلَىٰ رَأْسِهِ عُمَرُ، وَصَفٌّ عَلَىٰ رَأْسِهِ حَمْزَةُ، حَتَّىٰ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ، فَنَظَرَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ عُمَرَ وَحَمْزَةَ، فَأَصابَتْهُمْ كَآبَةٌ لَمْ تُصِبْهُمْ قَطُّ، وَسَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ «**الْفَارُوقَ**». (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ)

۞ كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ رضي الله عنه اِسْتِجَابَةً مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَدِ الْعُمَرَيْنِ: عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ أَوْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**».

(رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ)

۞ كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه أَحَبَّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؛ فَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «**عَائِشَةُ**»، فَقَالَ لَهُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ ﷺ: «**أَبُوهَا**» يُرِيدُ ﷺ: أَبَا بَكْرٍ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ﷺ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ؛ الَّذِي يُفْصَلُ فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ، يَقُولُ رضي الله عنه: «**لَا يَزَالُ الْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفًا، حَتَّىٰ آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ، وَلَا يَزَالُ الضَّعِيفُ عِنْدِي قَوِيًّا، حَتَّىٰ آخُذَ لَهُ الْحَقَّ**».

۞ كَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه مَضْرِبَ الْمَثَلِ فِي الْعَدْلِ، يَرَىٰ ذَلِكَ فِيهِ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْهُرْمُزَانَ قَائِدَ الْفُرْسِ لَمَّا وَقَعَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، أَتَوا بِهِ إِلَىٰ سَيِّدِنَا عُمَرَ، وَهُوَ نَائِمٌ بِالْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ حَوْلَهُ حَرَسٌ وَلَا حَاجِبٌ، فَتَعَجَّبَ الْهُرْمُزَانُ مِنْ أَمْرِهِ، وَقَالَ فِيهِ كَلِمَتَهُ الْمَشْهُورَةَ: «**حَكَمْتَ فَعَدَلْتَ؛ فَنِمْتَ فَأَمِنْتَ**».

۞ كَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه شَدِيداً فِي الْحَقِّ، قَوِيًّا فِي دِينِهِ، يَحْرِصُ عَلَىٰ إِقَامَةِ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا يُفَرِّقُ فِي إِقَامَةِ الْعَدْلِ بَيْنَ حَاكِمٍ وَمَحْكُومٍ؛ وَمِنْ هَذَا مَا رُوِيَ فِي قِصَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ، حِينَ ضَرَبَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ابْنَ الْمِصْرِيِّ، وَكَانَ عَمْرٌو رضي الله عنه وَالِيًا عَلَىٰ مِصْرَ، وَتَسَابَقَ ابْنُهُ مَعَ ابْنِ الْمِصْرِيِّ، فَلَمَّا سَبَقَهُ ابْنُ الْمِصْرِيِّ، قَامَ ابْنُ عَمْرٍو وَضَرَبَ ابْنَ الْمِصْرِيِّ بِالسَّوْطِ،

وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو لِابْنِ الْمَصْرِيِّ: أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ، فَشَكَاهُ الْمِصْرِيُّ إِلَىٰ سَيِّدِنا عُمَرَ رضي الله عنه، فَدَعَاهُ عُمَرُ وَدَعَا أَبَاهُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَأَعْطَىٰ الدِّرَّةَ لِلْمِصْرِيِّ، وَقَالَ عُمَرُ لِابْنِ الْمِصْرِيِّ: اِضْرِبِ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ، وَالْتَفَتَ رضي الله عنه إِلَىٰ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَقَالَ رضي الله عنه قَوْلَتَهُ الْمَشْهُورَةَ: «**مَتَىٰ اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ، وَقَدْ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَاراً**».

۞ وَمِمَّا رُوِيَ فِي عَدْلِهِ رضي الله عنه، أَنَّ وَلَداً لَهُ يُقَالُ لَهُ: «أَبُو شَحْمَةَ» أَصَابَ حَدّاً؛ لِارْتِكَابِهِ الْفَحْشَاءَ، فَأَقَامَ رضي الله عنه عَلَيْهِ الْحَدَّ مِائَةَ جَلْدَةً، لَكِنَّ وَلَدَهُ مَاتَ قَبْلَ الْمِائَةِ جَلْدَةً، فَظَلَّ عُمَرُ رضي الله عنه فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ حَتَّىٰ الْمِائَةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ عَلَتْهُ الْعَبْرَةُ فَبَكَىٰ، فَلَمَّا نَامَ رضي الله عنه رَأَىٰ وَلَدَهُ فِي مَنَامِهِ يَتَبَخْتَرُ فِي حُلَلِ الْجَنَّةِ، وَيَقُولُ لَهُ: «**طَهَّرَكَ اللهُ يَا أَبَتِي، كَمَا طَهَّرْتَنِي**».

۞ وَمِمَّا رُوِيَ عَنْهُ فِي مَحَبَّتِهِ لِلْأَمَانَةِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْغِشِّ وَالْخِيَانَةِ؛ أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ يَتَحَسَّسُ الرَّعِيَّةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَسَمِعَ امْرَأَةً تَأْمُرُ ابْنَتَهَا أَنْ تَخْلِطَ اللَّبَنَ بِالْمَاءِ، فَأَبَتْ أَنْ تَفْعَلَ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا: إِنَّ عُمَرَ لَا يَرَانَا، فَقَالَتِ الْبِنْتُ الصَّالِحَةُ: **إِنْ كَانَ عُمَرُ لَا يَرَانَا، فَإِنَّ رَبَّ عُمَرَ يَرَانَا**، فَسُرَّ بِهَا سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه، وَزَوَّجَهَا مِنِ ابْنِهِ عَاصِمٍ، فَأَنْجَبَتْ بِنْتاً، تَزَوَّجَ بِهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ، الَّذِي أَنْجَبَتْ مِنْهُ الْخَلِيفَةَ الْعَادِلَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه، وَالَّذِي يُعَدُّ خَامِسَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَكَانَ جَدُّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يُبَشِّرُ بِمَقْدِمِهِ، وَيَقُولُ: «**مَنْ هَذَا الَّذِي يُولَدُ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلاً وَنُوراً، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمَاً وَجُوراً**»، فَكَانَ الَّذِي وُلِدَ لَهُ مِنْ وَلَدِهِ، وَمَلَأَ الْأَرْضَ عَدْلاً وَنُوراً، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمَاً وَجُوراً هُوَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه.

۞ وَبِرِوَايَةٍ أُخْرَىٰ: مَرَّ عُمَرُ بِعَجُوزٍ تَبِيعُ لَبَناً مَعَهَا فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهَا: يَا عَجُوزُ، لَا تَغُشِّي الْمُسْلِمِينَ وَزُوَّارَ بَيْتِ اللهِ عز وجل، وَلَا تَشُوبِي اللَّبَنَ بِالْمَاءِ. فَقَالَتْ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ مَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ رضي الله عنه: أَلَمْ آمُرْكِ أَنْ لَا تَشُوبِي لَبَنَكِ بِالْمَاءِ؟ فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا فَعَلْتُ. فَتَكَلَّمَتْ ابْنَةٌ لَهَا مِنْ دَاخِلِ الْخِبَاءِ، فَقَالَتْ: يَا أُمِّي، أَغِشّاً وَكَذِباً جَمَعْتِ عَلَىٰ نَفْسِكِ؟! فَسَمِعَهُمَا عُمَرُ، فَهَمَّ بِمُعَاقَبَةِ الْعَجُوزِ، فَتَرَكَهَا لِكَلَامِ ابْنَتِهَا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَىٰ بَنِيهِ فَقَالَ رضي الله عنه: أَيُّكُمْ يَتَزَوَّجُ هَذِهِ؛ فَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْهَا نَسَمَةً طَيِّبَةً مِثْلَهَا، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ: أَنَا أَتَزَوَّجُهَا

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَوَلَدَتْ لَهُ بِنْتًا، الَّتِي تَزَوَّجَهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ؛ فَوَلَدَتْ لَهُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه.

۞ وَقَدْ جَمَعَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ الْكَثِيرَ، فَقَدْ كَانَ رَغْمَ شِدَّتِهِ فِي الْحَقِّ رَحِيمَ الْقَلْبِ، حَتَّىٰ مَعَ أَصْحَابِ الْمِلَلِ الْأُخْرَىٰ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ؛ فَلَقَدْ كَانَ رضي الله عنه يَمْشِي يَوْمًا فِي الْعَسَسِ، يَتَفَقَّدُ رَعِيَّتَهُ، فَوَجَدَ يَهُودِيًّا قَدْ بَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا، وَهُوَ يَطْرُقُ بَابًا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا، فَسَأَلَهُ: مَا الَّذِي أَلْجَأَكَ إِلَىٰ هَذَا؟ قَالَ الْيَهُودِيُّ: السِّنُّ وَالْحَاجَةُ، فَاصْطَحَبَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ إِلَىٰ خَازِنِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ رضي الله عنه لَهُ بِعَطَاءٍ، ثُمَّ عَلَاهُ الْبُكَاءُ فَبَكَىٰ، وَقَالَ رضي الله عنه: «**وَاللهِ مَا أَنْصَفْنَاهُ؛ حِينَ أَكَلْنَا شَبِيبَتَهُ، ثُمَّ نَخْذُلُهُ عِنْدَ الْكِبَرِ**».

۞ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ خَرَجَ إِلَىٰ مَكَّةَ مُعْتَمِرًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِكَ يَا أَخِي**»، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «**كَلِمَةٌ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه زَاهِدًا رَاضِيًا بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا، وَكَانَ رضي الله عنه وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَتَقَاضَىٰ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا الضَّرُورِيَّ، وَيَقُولُ رضي الله عنه: «**إِنِّي أُنْزِلُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللهِ بِمَنْزِلَةِ قَيِّمِ الْيَتِيمِ، إِنِ اسْتَغْنَيْتُ عَنْهُ تَرَكْتُ، وَإِنِ افْتَقَرْتُ إِلَيْهِ، أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ**».

۞ وَرُوِيَ عَنْهُ كَذَلِكَ: أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «**إِنْ شِئْتُمْ أَخْبَرْتُكُمْ مَا أَسْتَحِلُّ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ: مَا أَحُجُّ عَلَيْهِ وَأَعْتَمِرُ مِنَ الظَّهْرِ، وَحُلَّتِي فِي الشِّتَاءِ، وَحُلَّتِي فِي الصَّيْفِ، وَقُوتُ عِيَالِي شَبَعُهُمْ، وَسَهْمِي فِي الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**».

۞ كَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ: **مَا أَشْتَهِي مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا ثَلَاثَةً: أَنْ أُدَبِّرَ الْخَيْلَ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْ أُكَابِدَ التَّهَجُّدَ بِاللَّيْلِ، وَأَنْ أُجَالِسَ أَقْوَامًا يُنْفِقُونَ مِنْ أَطَايِبِ الْكَلَامِ، كَمَا تُنْفِقُونَ أَنْتُمْ مِنْ أَطَايِبِ الثَّمَرِ.**

۞ وَمِنْ مَنَاقِبِهِ رضي الله عنه: اِسْتِسْقَاؤُهُ لِلنَّاسِ، وَاسْتِغَاثَتُهُ بِاللهِ تَعَالَىٰ فِي تَضَرُّعِهِ، وَدُعَاؤُهُ لِنُزُولِ الْغَيْثِ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَاعِدَةَ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ رضي الله عنه إِذَا صَلَّىٰ الْمَغْرِبَ نَادَىٰ: أَيُّهَا النَّاسُ، اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، وَسَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاسْتَسْقُوا سُقْيَا رَحْمَةٍ لَا سُقْيَا عَذَابٍ،

فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ ذَلِكَ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه اِسْتَسْقَىٰ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَجَاءَ فِي صِفَةِ مَا دَعَا بِهِ الْعَبَّاسُ، أَنَّهُ رضي الله عنه دَعَا رَبَّهُ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَمْ يُكْشَفْ إِلَّا بِتَوْبَةٍ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ بِي إِلَيْكَ؛ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ** صلى الله عليه وسلم**، وَهَذِهِ أَيْدِينَا بِالذُّنُوبِ، وَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ، فَاسْقِنَا الْغَيْثَ، فَأَرْخَتِ السَّمَاءُ مِثْلَ الْجِبَالِ، حَتَّىٰ أَخْصَبَتِ الْأَرْضُ وَعَاشَ النَّاسُ**».

۞ وَكَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه يُحِبُّ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَسِيرُوا عَلَىٰ هَدْيِهِ الشَّرِيفِ صلى الله عليه وسلم؛ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، والإِقْبَالِ عَلَىٰ طَرِيقِ الْآخِرَةِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْهُ وَهُوَ قَاضٍ فِي زَمَنِ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، أَنَّ طَلْحَةَ رضي الله عنه سَأَلَ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه - وَهُوَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ - أَنْ يُقْطِعَهُ أَرْضًا مِنَ الْغَنَائِمِ، فَكَتَبَ لَهُ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ كِتَابًا بِذَلِكَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَخْتِمَهُ مِنْ عُمَرَ؛ بِوَصْفِهِ الْقَاضِي، فَلَمَّا جَاءَ طَلْحَةُ لِعُمَرَ بِكِتَابِهِ؛ لِيَخْتِمَهُ لَهُ، أَبَىٰ سَيِّدُنَا عُمَرُ أَنْ يَخْتِمَهُ؛ حَتَّىٰ لَا يَدْخُلَ طَلْحَةُ فِي الدُّنْيَا، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**لَا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ؛ فَتُحِبُّوا الدُّنْيَا**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ فَرَجَعَ سَيِّدُنَا طَلْحَةُ إِلَىٰ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ قَائِلًا لَهُ: أَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ أَمْ عُمَرُ؟ فَقَالَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «**الْخَلِيفَةُ عُمَرُ؛ لَكِنَّهُ أَنَا**»، فَأَبُو بَكْرٍ هُوَ عُمَرُ، وَعُمَرُ هُوَ أَبُو بَكْرٍ؛ لِأَنَّ كِلَيْهِمَا أَخَذَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَعْنَىٰ الْأُخُوَّةِ الصَّادِقَةِ، حَتَّىٰ صَارُوا كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، كَذَلِكَ فَإِنَّ الْأُخُوَّةَ الصَّادِقَةَ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ مِرْآةَ أَخِيهِ، وَهَذَا مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما.

۞ وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، جَلَسَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي مَجْلِسِهِ وقَالُوا: مَا وَجَدْنَا أَحَدًا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَفْضَلَ مِنْ عُمَرَ، فَقَامَ سَيِّدُنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه وَقَالَ: وَاللهِ لَقَدْ وَجَدْنَا مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ، قَالُوا: مَنْ، قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، وَهُنَا يَقِفُ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه ويَقُولُ: **وَاللهِ لَقَدْ كَذَبْتُمْ أَنْتُمْ، وَصَدَقَ أَخُوكُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، أَيْنَ**

كَانَ عُمَرُ، وَأَبُو بَكْرٍ مُؤَازِرَاً وَنَصِيراً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، **وَعُمَرُ كَالْبَعِيرِ الشَّارِدِ؛ يَتَخَبَّطُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ!**، فَانْظُرْ كَيْفَ يَشْهَدُ لِأَبِي بَكْرٍ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ، ويُذَكِّرُ نَفْسَهُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ رضي الله عنه صَعَدَ يَوْمَـًا الْمِنبَرَ - وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ كُنْتُ أَرْعَىٰ غَنَمَـًا لِخَالاتِي مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فَيَقْبِضُونَ لِي الْقَبْضَةَ مِنَ التَّمْرِ أَوِ الزَّبِيبِ، فَلَمَّا نَزَلَ مِنْ فَوْقَ الْمِنْبَرِ، قَالُوا لَهُ: مَا هَذَا؟، لَقَدْ عِبْتَ نَفْسَكَ! فَقَالَ رضي الله عنه: حَدَّثَتْنِي نَفْسِي أَنَّنِي أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُعَرِّفَهَا قَدْرَهَا.

وَمِنْ مَآثِرِهِ رضي الله عنه: أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ يَقُولُ: بَخٍ بَخٍ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَصْبَحْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كُنْتَ وَضِيعَـًا فَرَفَعَكَ اللهُ، ضَالّاً فَهَدَاكَ اللهُ، ذَلِيلاً فَأَعَزَّكَ اللهُ، ثُمَّ وَلَّاكَ اللهُ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، لَقَدْ كُنْتَ تَرْعَىٰ غَنَمَـًا لِأَبِيكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَيُشِيرُ إِلَىٰ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَرْعَىٰ فِيهِ، وَلَا يَأْنَفُ مِنْ ذَلِكَ. (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ لِلْإِمَامِ أَبِي نُعَيْمٍ)

كَانَ يَعْتَرِفُ رضي الله عنه لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه بِأَفْضَلِيَّتِهِ عَلَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ ويَقُولُ: «**وَاللهِ، إِنَّ لِأَبِي بَكْرٍ لَيَوْمَـًا فِي الْإِسْلَام وَلَيْلَةً، تَعْدِلُ حَسَنَاتُهُمَا حَسَنَاتِ عُمَرَ**»، يُرِيدُ بِالْيَوْمِ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي حَارَبَ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَهْلَ الرِّدَّةِ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ. وَيُرِيدُ بِاللَّيْلَةِ لَيْلَةَ الْهِجْرَةِ الَّتِي هَاجَرَ فِيهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَقُولُ فِي مَانِعِي الزَّكَاةِ: «**وَاللهِ، لا أُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالَ بَعِيرٍ كَانُوا يُؤَدُّونَهُ لِرَسُولِ اللهِ - ﷺ - لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ**».

كَذَلِكَ مِنَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي كَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ يَشْهَدُ بِالْفَضْلِ فِيهَا لِسَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ، مَا رُوِيَ أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ يُشِيرُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ بِعَزْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ قِيَادَةِ الْجَيْشِ فِي الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَذَلِكَ خَوْفَـًا عَلَىٰ خَالِدٍ مِنَ الْغُرُورِ، فَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «وَاللهِ، مَا كُنْتُ لِأُغْمِدَ سَيْفَـًا سَلَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَتْ خِلَافَةُ عُمَرَ رضي الله عنه، وَأَرَادَ فَتْحَ بِلَادِ الشَّامِ وَلَّىٰ قِيَادَةَ الْجَيْشِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه، وَعَزَلَ عَنِ الْقِيَادَةِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ؛ لكنَّ خَالِداً رضي الله عنه سَارَ

خَلْفَ قِيَادَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه، وَأَبْلَىٰ فِي الْقِتَالِ بَلَاءً حَسَنًا، وَلَمْ يُغَيِّرْهُ حَالُهُ وَهُوَ جُنْدِيٌّ عَنْ حَالِهِ وَهُوَ قَائِدٌ، وَجَاءَ نَفَرٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لِخَالِدٍ رضي الله عنه: أَأَنْتَ الَّذِي سَمَّاكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «سَيْفَ اللهِ الْمَسْلُولَ»، يَأْتِي عُمَرُ وَيَعْزِلُكَ مِنْ قِيَادَةِ الْجَيْشِ، وَيُوَلِّي أَبَا عُبَيْدَةَ!، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَرُدُّ عَلَيْهِم خَالِدٌ رضي الله عنه قَائِلاً: «وَاللهِ، لَوْ وَلَّىٰ عَلَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عُمَرُ امْرَأَةً لَسَمِعْتُ وَأَطَعتُ، إِنِّي لَا أُقَاتِلُ مِنْ أَجْلِ عُمَرَ؛ وَلَكِنِّي أُقَاتِلُ مِنْ أَجْلِ رَبِّ عُمَرَ»، فَلَمَّا بَلَغَتْ مَقُولَتُهُ سَيِّدَنَا عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ؛ كَانَ أَعْلَمَ بِالرِّجَالِ مِنِّي**».

۞ رُوِيَ أَنَّهُ رضي الله عنه لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، بَعْدَ أَنْ طعَنَهُ أَبُو لُؤْلُؤَةَ الْمَجُوسِيُّ، قَالَ رضي الله عنه: مَنِ الَّذِي طعَنَنِي؟ قَالُوا: فُلَانٌ، فَقَالَ رضي الله عنه: الْحَمْدُ للهِ؛ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ دَمِي عَلَىٰ يَدِ رَجُلٍ سَجَدَ للهِ سَجْدَةً وَاحِدَةً، وَلَمَّا حَمَلُوهُ إِلَىٰ الْبَيْتِ، وَضَعُوا رَأْسَهُ عَلَىٰ وِسَادَةٍ، فَقَالَ رضي الله عنه لِابْنِهِ عَبْدِ اللهِ: ضَعْ رَأْسِي عَلَىٰ الْأَرْضِ؛ لَعَلَّ اللهَ يَنْظُرُ إِلَيَّ فَيَرْحَمَنِي، ثُمَّ أَنْشَدَ رضي الله عنه يَقُولُ رَغْمَ عَدْلِهِ الَّذِي كَانَ مَضْرِبَ الْمَثَلِ:

ظَلُومٌ لِنَفْسِي غَيْرَ أَنِّي مُسْلِمٌ ... أُصَلِّي الصَّلَاةَ كُلَّهَا وَأَصُومُ

۞ وَقَدْ شَهِدَ بِفَضْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَإِنَّهُ قَالَ عِنْدَمَا تُوفِيَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «**رَحِمَكَ اللهُ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقَدْ كُنْتَ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَامًا، وَأَخْلَصَهُمْ إِيمَانًا، وَأَشَدَّهُمْ يَقِينًا، وَأَعْظَمَهُمْ غِنًىٰ، وَأَحْفَظَهُمْ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَحْدَىٰ بِهِ مِنْ أَهْلِهِ، سَمَّاكَ اللهِ فِي كِتَابِهِ الصِّدِّيقَ**، فَقَالَ: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(1)، **يُرِيدُ عز وجل رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَيُرِيدُكَ، كُنْتَ كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْعَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ الْقَوَاصِفُ، كُنْتَ ضَعِيفًا فِي بَدَنِكَ، قَوِيًّا فِي دِينِكَ، كَبِيراً عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، جَلِيلاً عِنْدَ اللهِ عز وجل، فَجَزَاكَ اللهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ الْجَزَاءِ**»، هَذَا مَا وَصَفَ بِهِ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ الصِّدِّيقَ الْأَكْبَرَ بِبَعْضِ مَنَاقِبِهِ رضي الله عنه.

۞ وَأَمَّا مَا قَالَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ عِنْدَ وَفَاةِ عُمَرَ رضي الله عنه؛ فَإِنَّهُ تَرَحَّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**مَا**

(1) الزمر الآية (٣٣).

خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ، إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَكُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقُولُ: «ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَمِمَّا حَفَلَ بِهِ التَّارِيخُ فِي سِيرَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ رضي الله عنه: أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رضي الله عنه كَتَبَ لَهُ يُخْبِرُهُ عَنْ عَادَةِ أَهْلِ مِصْرَ فِي رَمْيِ فَتَاةٍ فِي النِّيلِ كُلَّ عَامٍ؛ لِيَفِيضَ النِّيلُ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ سَيِّدُنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِعْلَهُمْ، وَكَتَبَ إِلَىٰ سَيِّدِنَا عُمَرَ رضي الله عنه، قَائِلًا: إِنَّهُ نَهَاهُمْ عَنْ فِعْلِهِمْ هَذَا، فَكَفُّوا عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ، لَكِنَّ النِّيلَ مَكَثَ فَتْرَةً لَا يَجْرِي قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُهُ إِلَىٰ سَيِّدِنَا عُمَرَ رضي الله عنه، بَعَثَ إِلَىٰ عَمْرٍو رضي الله عنه بِبِطَاقَةٍ دَاخِلَ كِتَابِهِ، وَقَالَ لَهُ: أَلْقِهَا فِي النِّيلِ، وَكَتَبَ فِيهَا سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه: **مِنْ عَبْدِ اللهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ نِيلِ أَهْلِ مِصْرَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ كُنْتَ إِنَّمَا تَجْرِي مِنْ قِبَلِكَ وَمِنْ أَمْرِكَ فَلَا تَجْرِي، فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَجْرِي بِأَمْرِ اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَهُوَ الَّذِي يُجْرِيكَ، فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُجْرِيَكَ**، فَأَلْقَىٰ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه الْبِطَاقَةَ فِي النِّيلِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَأَصْبَحُوا يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدْ فَاضَ النِّيلُ، وَقَطَعَ اللهُ هَذِهِ الْعَادَةَ السَّيِّئَةَ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ إِلَىٰ الْيَوْمِ. (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ)

۞ وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَىٰ شَيْءٍ، فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَىٰ قُوَّةِ إِيمَانِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه الَّذِي نَفَىٰ اللهُ بِهِ الْبَاطِلَ، وَأَثْبَتَ الْحَقَّ، مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1].

۞ وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ الْإِيمَانُ الَّذِي غَرَسَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، حَتَّىٰ دَانَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا، حِينَ أَخْرَجُوهَا مِنْ قُلُوبِهِمْ، فَعَمُرَتْ بِنُورِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَفَتَحَ اللهُ لَهُمْ بِفَضْلِهِ سُبْحَانَهُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ، حَتَّىٰ أَنَّهُمْ فِي فُتُوحَاتِهِمْ كَانُوا يَمْشُونَ عَلَىٰ الْبَحْرِ كَمَا يَمْشُونَ عَلَىٰ الْبَرِّ، حَدَثَ ذَلِكَ عِنْدَ فَتْحِ الْقَادِسِيَّةِ فِي خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ رضي الله عنه، وَفِي فَتْحِ شَمَالِ أَفْرِيقِيَا مِنْ بَعْدُ عَلَىٰ يَدِ عُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ رضي الله عنه: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

---

(١) الرعد من الآية (١٧).
(٢) يوسف من الآية (٢١).

۞ وَيَطِيبُ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنَّ نُشَرِّفَ أَسْمَاعَنَا بِقَوْلِ سَيِّدِنَا عُمَرَ رضي الله عنه حَيْثُ يَقُولُ: **نَظَرْتُ فِي الْمَالِ، فَلَمْ أَجِدْ خَيْرًا مِنَ الْقَنَاعَةِ، وَنَظَرْتُ فِي النِّعَمِ فَلَمْ أَجِدْ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ، وَنَظَرْتُ فِي الثِّيَابِ، فَلَمْ أَجِدْ خَيْرًا مِنَ الْوَرَعِ، وَنَظَرْتُ فِي الْأَصْحَابِ، فَلَمْ أَجِدْ خَيْرًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ.**

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه

۞ كَانَ رضي الله عنه أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ، أَيْ: بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهم، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «**كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم؛ وَلَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَقَدْ بَشَّرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْجَنَّةِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ؛ مِنْهَا: أَنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**مَنْ يَحْفِرُ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ**»، **فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ**، وَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ**»، **فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ**.

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

۞ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي حَدِيقَةِ بَنِي فُلَانٍ، وَالْبَابُ عَلَيْنَا مُغْلَقٌ، إِذِ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**قُمْ فَافْتَحْ لَهُ الْبَابَ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَقُمْتُ فَفَتَحْتُ الْبَابَ، فَإِذَا أَنَا بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَحَمِدَ اللهَ، وَدَخَلَ فَسَلَّمَ وَقَعَدَ، ثُمَّ أَغْلَقْتُ الْبَابَ، فَاسْتَفْتَحَ آخَرُ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «**قُمْ فَافْتَحْ لَهُ الْبَابَ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَقُمْتُ فَفَتَحْتُ، فَإِذَا أَنَا بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فَحَمِدَ اللهَ، وَدَخَلَ فَسَلَّمَ وَقَعَدَ، وَأَغْلَقْتُ الْبَابَ، فَاسْتَفْتَحَ الثَّالِثُ الْبَابَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**قُمْ فَافْتَحِ الْبَابَ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تَكُونُ**»، فَقُمْتُ فَفَتَحْتُ الْبَابَ، فَإِذَا أَنَا بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ رضي الله عنه: اللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، ثُمَّ دَخَلَ فَسَلَّمَ وَقَعَدَ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ بَشَّرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بِالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: صَعَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إِلَى جَبَلِ أُحُدٍ، وَمَعَهُ صلى الله عليه وآله وسلم أَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ الْجَبَلُ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِرِجْلِهِ، وَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «**اُثْبُتْ أُحُدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

يُرِيدُ ﷺ بِالصِّدِّيقِ: أَبَا بَكْرٍ، وَيُرِيدُ ﷺ بِالشَّهِيدَيْنِ: عُمَرَ وَعُثْمَانَ رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ.

۞ كَانَ رضي الله عنه يُلَقَّبُ بِـ: (ذِي النُّورَيْنِ)؛ لِزَوَاجِهِ رضي الله عنه مِنَ الْسَيِّدَةِ رُقَيَّةَ رضي الله عنها بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ تَزَوَّجَ رضي الله عنه بِأُخْتِهَا السَّيِّدَةِ أُمِّ كُلْثُومٍ رضي الله عنها بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ أَنْجَبَ مِنَ السَّيِّدَةِ رُقَيَّةَ رضي الله عنها (عَبْدَ اللهِ)، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ كَانَ رضي الله عنه يُلَقَّبُ بِهِ، وَيُقَالُ لَهُ: (أَبُو عَبْدِ اللهِ)، وَقِيلَ: لُقِّبَ (ذَا النُّورَينِ)؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، والْقُرْآنُ نُورٌ، وَيُكْثِرُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ نُورٌ، فَلَمَّا جَمَعَ بَيْنَ الْقُرْآنِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ، لُقِّبُ بِذِي النُورَيْنِ.

۞ كَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه أَصْدَقَ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ حَيَاءً، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهَا فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهَا حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهَا بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وأَقْرَأُهَا لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهَا بِالْفَرَائِضِ (أَيْ: الْمَوَارِيثِ) زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وِلِكُلِّ أُمَةٍ أَمِينٌ وأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ لَقَدْ بَلَغَ الْحَيَاءُ بِسَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَتْ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذِنَ ﷺ لَهُ وَهُوَ ﷺ عَلَىٰ تِلْكَ الحَالِ، فَتحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ ﷺ لَهُ وَهُوَ ﷺ عَلَىٰ تِلْكَ الحَالِ، فتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَوَّىٰ ثِيَابَهُ، فَدَخَلَ عُثْمَانُ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ، فَقَالَ ﷺ: «أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ؛ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَكَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه كَثِيرَ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ؛ فَعَنْ هَانِئٍ مَوْلَىٰ عُثْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَىٰ قَبْرٍ بَكَىٰ حَتَّىٰ تَبْتَلَّ لِحيَتُهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ رضي الله عنه إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه)

۞ وَعَنْهُ ﵁ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**اِسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ كَانَ مِنْ أَجَلِّ أَعْمَالِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﵁ أَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مَجْمُوعًا فِي صُحُفٍ، وَأَمَرَ ﵁ مَنْ جَمَعُوهُ فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ، أَنْ يَجْمَعُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، ثُمَّ أَرْسَلَ ﵁ بِنُسَخٍ مِنْهُ إِلَىٰ سَائِرِ الْأَمْصَارِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]. فَجَزَاهُ اللهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﵁

۞ هُوَ رَابِعُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدِينَ، وَابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ﵂، وَهُوَ أَبُ الْحَسَنِ وَالْحُسَينِ وَالسَّيِّدَةِ زَيْنَبَ ﵃ وَعَنْ آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَجْمَعِينَ، وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ سَيِّدَنَا عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَقَالَ لَهُ: «**أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَقَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﵁: «**تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْ عَلِيٍّ رَاضٍ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَقَدْ أَنْزَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَىٰ تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ ﷺ: «**أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ، إِلَّا أَنَّهُ لَيسَ نَبِيٌّ بَعْدِي**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَفِي قَوْلِهِ ﵁: (أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ)، دَلِيلٌ عَلَىٰ شَجَاعَتِهِ وَحُبِّهِ لِلْجِهَادِ ﵁؛ رَغْبَةً فِي الْخُرُوجِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لِغَزْوِ تَبُوكَ.

---

(١) الحجر الآية (٩).

۞ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**»، فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَىٰ، فَغَدَوا وَكُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَىٰ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «**أَيْنَ عَلِيٌّ**»، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ صلى الله عليه وسلم فَدُعِيَ رضي الله عنه، فَبَصَقَ صلى الله عليه وسلم فِي عَيْنَيْهِ رضي الله عنه، فَبَرَأَ حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ صلى الله عليه وسلم الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: نُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «**أُنْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

ومَعْنَىٰ (**حُمْرِ النَّعَمِ**): هِيَ نَوعٌ مِنَ الْإِبِلِ نَادِرَةُ الْوُجُودِ.

۞ قَدْ بَشَّرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِحُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، وَبِحُبِّهِ للهِ وَرَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، فَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ فِي يَوْمِ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَيُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؛ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**»، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُحِبُّ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَيُلَاطِفُهُ، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْتَ فَاطِمَةَ، فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: «**أَينَ ابْنُ عَمِّكِ؟**» قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي، فَخَرَجَ فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي (أَيْ: لَمْ يَنَمْ عِنْدِي فِي الْقَيْلُولَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي مُنْتَصَفِ النَّهَارِ)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِأَحَدِ أَصْحَابِهِ، «**أُنْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟**»، فَجَاءَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَىٰ عَلِيٍّ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُهُ عَنْهُ، ويَقُولُ: «**قُمْ أَبَا تُرَابٍ! قُمْ أَبَا تُرَابٍ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

صَارَتْ كَلِمَةُ: «**أَبُو تُرَابٍ**» كُنْيَةَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَكَانَ يَفْرَحُ إِذَا نُودِيَ بِهَا؛ لِأَنَّ الَّذِي كَنَاهُ بِهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، كَمَا كَانَ يُكَنَّي «**أَبُو الْحَسَنِ**»؛ نِسْبَةً إِلَىٰ ابْنِهِ الْأَكْبَرِ الْحَسَنِ رضي الله عنه.

۞ وَمِنْ أَلْقَابِهِ كَذَلِكَ: «**الْإِمَامُ**»، وَلُقِّبَ كَذَلِكَ: «**أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ**» بَعْدَ أَنْ تَوَلَّىٰ الْخِلَافَةَ.

۞ نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ، حِينَ جَاءَ وَفْدَ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَىٰ يُجَادِلُونَ

النَّبِيَّ ﷺ فِي عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[1]. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي». وَعَدَلُوا عَنِ الْمُبَاهَلَةِ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَنَزَلَ فِي سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[2]، لِمَا رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَائِمًا يُصَلِّي، فَمَرَّ سَائِلٌ وَهُوَ رَاكِعٌ، فَأَعْطَاهُ خَاتِمَهُ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةَ. (أَورَدَ ابنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ)

وَفِي هَذَا ثَنَاءٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ؛ لِمُسَارَعَتِهِ فِي فِعْلِ الْخَيرَاتِ، حَيثُ إِنَّهُ قَدَّمَ صَدَقَتَهُ وَهُوَ رَاكِعٌ.

۞ كَانَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مَنْ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ، فَقَدْ تَرَبَّىٰ فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَوَىٰ عَنْهُ الْحَدِيثَ، فَكَانَ لَهُ مِنْ مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ الْحِكْمَةُ الَّتِي قَالَ الله تَعَالَىٰ فِيهَا: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[3].

وَمِمَّا وَرَدَ عَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي عُلُومِ الْحِكْمَةِ الآتِي:

۞ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَمَعَ الزُّهْدَ فِي كَلِمَتَيْنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[4]، فَمَنْ لَمْ يَيْأَس عَلَىٰ الْمَاضِي، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي، فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ. (وَمَعْنَىٰ الْفَرَحِ بِالْآتِي، أَيْ: فَرَحَ الْغُرُورِ بِهِ).

۞ سُئِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَمْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؟ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ**، قِيلَ لَهُ: كَمْ بَينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ**، قِيلَ لَهُ: كَيْفَ يُحَاسِبُ اللهُ النَّاسَ مَعَ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ؟ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **كَمَا خَلَقَهُمْ عَلَىٰ كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ**، قِيلَ لَهُ: كَيْفَ يُحَاسِبُ اللهُ النَّاسَ وَلَمْ

---

(١) آل عمران الآية (٦١).
(٢) المائدة الآية (٥٥).
(٣) البقرة الآية (٢٦٩).
(٤) الحديد الآية (٢٣).

يَرَوهُ؟ قَالَ: **كَمَا خَلَقَهُمْ وَلَمْ يَرَوهُ.**

۞ **النَّاسُ نِيَامٌ، فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا.**

۞ **إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ طَبْعَ الرَّجُلِ فَاسْتَشِرْهُ، فَإِنَّكَ تَقِفُ مِنْ مَشُورَتِهِ عَلَىٰ عَدْلِهِ وَجَوْرِهِ، وَخَيْرِهِ وَشَرِّهِ.**

۞ **إِذَا سَأَلْتَ كَرِيمًا حَاجَةً، فَدَعْهُ يُفَكِّرُ، فَإِنَّهُ لا يُفَكِّرُ إِلَّا فِي خَيْرٍ، وَإِذَا سَأَلْتَ لَئِيمًا حَاجَةً فَعَافِصْهُ** (أَيْ: لَا تُعْطِهِ الْفُرْصَةَ لِيُفَكِّرَ)؛ **فَإِنَّهُ إِنْ فَكَّرَ عَادَ إِلَىٰ طَبْعِهِ.**

۞ **إِذَا رَفَعْتَ أَحَدَاً فَوْقَ قَدْرِهِ، فَتَوَقَّعْ مِنْهُ أَنْ يَحُطَّ مِنْكَ بِقَدْرِ مَا رَفَعْتَ مِنْهُ.**

۞ اِحْذَرْ كُلَّ الْحَذْرِ أَنْ يَخْدَعَكَ الشَّيطَانُ، فَيُمَثِّلَ لُكَ التَّوَانِي فِي صُورَةِ التَّوَكُّلِ، وَيُوَرِّثَكَ الْهُوَيْنَىٰ بِالْإِحَالَةِ عَلَىٰ الْقَدْرِ، فَإِنَّ اللهَ أَمَرَ بِالتَّوَكُّلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْحِيَلِ، وَبِالتَّسْلِيمِ لِلْقَضَاءِ بَعْدَ الْإِنْذَارِ، فَقَالَ: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[1]، وَقَالَ: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[2]، وَقَالَ ﷺ: «**اِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**».

۞ سَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: «**كَيْفَ أَنْتَ يَا عَلِيُّ إِذَا زَهَدَ النَّاسُ فِي الْآخِرَةِ، وَرَغِبُوا فِي الدُّنْيَا، وَاتَّخَذُوا دِينَهُمْ دَخَلَاً بَيْنَهُمْ؟**» فَقَالَ ﵁: **أَتْرُكُهُمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَأَذَرُهُمْ وَمَا اخْتَارُوا، وَأَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَأَصْبِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ أَلْقَاكَ.**

۞ نَظَرَ ﵁ يَوْمًا إِلَىٰ رَجُلٍ اسْتَعْظَمَ ذَنْبَهُ حَتَّىٰ أَسْلَمَهُ إِلَىٰ الْيَأْسِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، فَقَالَ ﵁ لَهُ: **يَا هَذَا، يَأْسُكَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ ذَنْبِكَ**، وَكَانَ ﵁ يَقُولُ: **عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ الِاسْتِغْفَارُ.**

۞ **يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَىٰ الظَّالِمِ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَىٰ الْمَظْلُومِ.**

۞ سُئِلَ ﵁ عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَالَ ﵁: **الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.**

۞ **أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، مَا أَكْرَهْتَ عَلَيْهِ نَفْسَكَ.**

---

(١) النساء الآية (٧١). (٢) البقرة الآية (١٩٥).

۞ إِنَّ اللهَ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقُرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مَنَعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللهُ تَعَالَىٰ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ.

۞ لَو رَأَىٰ الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَصِيرَهُ، لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ.

۞ قَالَ عليه السلام يَوْمَاً لِوَلَدِهِ الْحَسَنِ عليه السلام : يَا بُنَيَّ، إِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهِ، وَإِنَّ كَانَ كُلٌّ مِنَ اللهِ كَثِيرَاً.

۞ أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ، وَأَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ.

۞ قِيلَ لَهُ: لَوْ سُدَّ عَلَىٰ رَجُلٍ بَابُ بَيْتِهِ وَتُرِكَ فِيهِ، مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ؟ فَقَالَ عليه السلام : مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ.

۞ سُئِلَ عَنِ التَّوحِيدِ وَالْعَدْلِ؟ فَقَالَ عليه السلام : التَّوحِيدُ أَلَا تَتَوَهَّمَهُ، وَالْعَدْلُ أَلَا تَتَّهِمَهُ.

۞ لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحَقِّ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ.

۞ مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ، كَانَتِ الْخِيَرَةُ بِيَدِهِ.

۞ قَطِيعَةُ الْجَاهِلِ، تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ، قِيلَ لَهُ: صِفْ لَنَا الْعَاقِلَ؟ فَقَالَ: الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَوْضِعِهِ، قِيلَ لَهُ: صِفْ لَنَا الْجَاهِلَ، فَقَالَ: قَدْ قُلْتَ. (يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ الْجَاهِلَ هُوَ الَّذِي لَا يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَوْضِعِهِ).

۞ قَالَ عليه السلام لِابْنِهِ الْحَسَنِ: يَا بُنَيَّ، اِحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَاً، وَأَرْبَعَاً لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إِنَّ أَغْنَىٰ الْغِنَي الْعَقْلُ، وَأَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحمْقُ، وَأَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ، وَأَكْرَمَ الْحُبِّ حُسْنُ الْخُلُقِ. يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ؛ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ؛ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ؛ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَيُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ.

۞ قَالَ عليه السلام : الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ: ظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ: فَأَمَّا الظُّلْمُ

الَّذِي لَا يُغْفَرُ، فَالشِّرْكُ بِاللهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[1]. **وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ**، فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَّاتِ. **وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ** ظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا.

۞ قَالَ عليه السلام: **هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ**. (وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ: الْمُحِبَّ الْغَالِي: هُمُ الشِّيعَةُ، وَالْمُبْغِضُ الْقَالِي: هُمُ الْخَوَارِجُ)

۞ **عَجَبًا لِابْنِ آدَمَ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ قَذِرَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ مَذِرَةٌ، وَبَيْنَهُمَا عَاشَ يَحْمِلُ الْعَذَرَةَ، كَيْفَ يَتَكَبَّرُ!**.

۞ وَكَانَ عليه السلام يَقُولُ:

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّحْقِيقِ أَكْفَاءُ ... أَبُوهُمُ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَّاءُ

فَإِنْ كَانَ لَهُمْ مِنْ نَسَبٍ يُفَاخِرُونَ ... بِهِ فَالطِّينُ وَالْمَاءُ

۞ إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يومَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ، فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ، وَدَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ.

۞ عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ الْغِنَىٰ الَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسَبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ.

۞ لَقَدْ بَيَّنَ عليه السلام حِكْمَةَ الْإِيمَانِ وَالْأَحْكَامِ، فَقَالَ عليه السلام: فَرَضَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيرًا مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهًا مِنَ الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ تَسْبُّبًا لِلرِّزْقِ، وَالصِّيَامَ اِبْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ، وَالْحَجَّ تَقْوِيَةً لِلدِّينِ، وَالْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعًا لِلسُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنَمَاةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصَاصَ حَقْنًا لِلدِّمَاءِ، وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَامًا لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِينًا لِلْعَقْلِ، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةُ إِيجَابًا لِلْعِفَّةِ، وَتَرْكَ الزِّنَا تَحْصِينًا لِلنَّسَبِ، وَتَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيرًا لِلنَّسْلِ، وَالشَّهَادَاتِ اِسْتِظْهَارًا عَلَىٰ الْمُجَاحَدَاتِ، وَتَرْكَ الْكَذِبِ تَشْرِيفًا لِلصِّدْقِ، وَالسَّلَامَ أَمَانًا مِنَ الْخَوْفِ، وَالْأَمَانَةَ نِظَامًا لِلْأُمَّةِ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيمًا لِلْإِمَامَةِ.

---

(١) النساء الآيتان (٤٨، ١١٦).

۞ **كَانَ ﷺ يَصِفُ الأَخَ فِي اللَّهِ فَيَقُولُ:**

كَانَ لِي فِيمَا مَضَىٰ أَخٌ فِي اللهِ، وَكَانَ رَأْسُ مَا عَظَّمَهُ فِي عَينِي، صَغِرَ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ، فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ، وَكَانَ أَكْثَرُ دَهْرِهِ صَامِتًا، فَإِنْ قَالَ بَزَّ الْقَائِلِينَ، وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ، وَكَانَ ضَعِيفًا مُتَضَعِّفًا، فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ وَصِلُّ وَادٍ، لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّىٰ يَأْتِي قَاضِيًا، وَكَانَ لَا يُلُومُ أَحَدًا عَلَىٰ مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّىٰ يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ، وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ، وَكَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ، وَلَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ، وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَىٰ الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَىٰ السُّكُوتِ، وَكَانَ عَلَىٰ أَنْ يَسْمَعَ أَحْرِصَ مِنْهُ عَلَىٰ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَىٰ الْهَوَىٰ فَخَالَفَهُ، فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخِصَالِ فَالْزَمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا، فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ.

مَعْنَىٰ: (صِلُّ وادٍ) أَي: الْحَيَّةُ الَّتِي لَا تَهْدَأُ حَتَّىٰ تَنْتَصِرَ لِحَقِّهَا، وَكَذَلِكَ الْأَخُ فِي اللهِ مِنْ أَوصَافِهِ أَنَّهُ لَا يَهْدَأُ حَتَّىٰ يَنْتَصِرَ لِلْحَقِّ.

۞ **ووَصَفَ ﷺ أَولِيَاءَ اللَّهِ، فَقَالَ:**

إِنَّ أَولِيَاءَ اللهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَىٰ بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسَ إِلَىٰ ظَاهِرِهَا، وَاشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ، وَتَرُكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ، وَرَأَوُا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا، وَدَرْكَهُمْ لَهَا فَوْتًا، أَعْدَاءَ مَا سَالَمَ النَّاسُ، وَسِلْمُ مَا عَادَىٰ النَّاسُ، بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَبِهِ عُلِمُوا، وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا، لَا يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَلَا مُخَوِّفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ.

۞ سَأَلَهُ ﷺ سَائِلٌ تَعَنُّتًا (أَيْ: يَبْغِي تَحدِّيهِ) فَقَالَ لَهُ ﷺ: «**سَلْ تَفَقُّهًا وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتًا، فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَنِّتَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ.**

۞ اِصْطَحَبَ ﷺ تِلْمِيذَهُ كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ لِزِيَارَةِ الْقُبُورِ بِالْكُوفَةِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ، وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ، وَالْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ، يَا أَهْلَ التَّوْبَةِ، يَا أَهْلَ

الْغُرْبَةِ، يا أَهْلَ الْوَحْدَةِ، يا أَهْلَ الْوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنا فَرَطٌ سابِقٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لاحِقٌ، حَدِّثُونا ما عِنْدَكُمْ؛ كَيْ نُحَدِّثَكُمْ مَا عِنْدَنا، أَمَّا مَا عِنْدَنَا، فَدِيَارُكُمْ قَدْ سُكِنَتْ، وَأَزْوَاجُكُم قَدْ نُكِحَتْ، وَأَمْوَالُكُمْ قَدْ قُسِّمَتْ، هَذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا؟ فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ؟ ثُمَّ الْتَفَتَ رضي الله عنه إِلَىٰ صَاحِبِهِ، فَقَالَ: لَو أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَقَالُوا: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1].

۞ قَالَ رضي الله عنه: **عَجَبًا لِلإِنْسَانِ يَرَىٰ بِشَحْمٍ، وَيسمَعُ بِعَظْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ.**

۞ قَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ يُخَاطِبُ الدُّنْيَا: **يَا دُنْيَا، غُرِّي غَيْرِي، أَإِلَيَّ تَعَرَّضْتِ، أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، فَقَدْ بَايَنْتُكِ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا، فَعُمْرُكِ قَصِيرٌ، وخَطَرُكِ كَبِيرٌ، آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وبُعْدِ السَّفَرِ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ.**

۞ قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مُخَاطِبًا لِلإِنْسَانِ:

دَوَاؤُكَ فِيكَ وَمَا تَشْعُرُ ... وَدَوَاؤُكَ مِنْكَ وَمَا تُبْصِرُ
وَتَحْسَبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ ... وَفِيكَ انْطَوَىٰ الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

۞ قَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: **لَو فَلَقْتَ الذَّرَّةَ، لَوَجَدْتَّ بِهَا شَمْسًا.**

۞ وَهَذَا مَا اكْتَشَفَهُ عُلَمَاءُ الْكَوْنِ فِي زَمَانِنَا هَذَا: أَنَّ الذَّرَّةَ تَتَوَسَّطُهَا النَّوَاةُ، مِثْلُهَا فِي ذَلِكَ مِثْلُ الشَّمْسِ، وَحَوْلَ النَّوَاةِ الالِكْتُرُونَاتِ، وَهَذِهِ مِثْلَهَا فِي ذَلِكَ كَمِثْلِ الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ.

۞ وَمَا قَالَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي شَأْنِ الذَّرَّةِ، إِنَّمَا هُوَ مَعْنَىٰ مِنْ مَعَانِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا فَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ**»، أَيْ: أَنَّهُ يُبْصِرُ وَيَسْمَعُ بِنُورٍ مِنَ اللهِ، وَهَذَا النُّورُ الَّذِي يَهَبُهُ اللهُ لِأَحِبَّائِهِ، هُوَ الَّذِي أَبْصَرَ بِهِ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ مَا فِي أَدَقِّ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ الذَّرَّةُ، فَهُوَ حِينَ يَتَحَدَّثُ رضي الله عنه، فَإِنَّمَا يَتَحَدَّثُ بِلِسَانِ الْكَشْفِ وَالإِلْهَامِ الَّذِي يَأْتِي بِالْعَطَاءِ الرَّبَّانِيِّ، وَلَا يَتَحَدَّثُ بِلِسَانِ التَّجَارُبِ وَالْبَحْثِ الَّذِي لَا يُؤتِي ثِمَارِهِ إِلَّا بَعْدَ حِينٍ مِنَ الزَّمَانِ.

---

(١) البقرة الآية (١٩٧).

﴿﴾ لَقَدْ قَرَأَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ كِتَابَ النَّفْسِ فِي الْإِنْسَانِ، فَرَأَىٰ بِنُورِ بَصِيرَتِهِ أَنْوَاعَ النُّفُوسِ، فَقَالَ حِينَ سَأَلَهُ تِلْمِيذُهُ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أُرِيدُ أَنْ تُعَرِّفَنِي نَفْسِي، فَقَالَ: يَا كُمَيْلُ، وَأَيُّ الْأَنْفُسِ تُرِيدُ أَنْ أُعَرِّفَكَ، فَقَالَ لَهُ كُمَيْلٌ: يَا مَوْلَايَ، وَهَلْ هِيَ إِلَّا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ؟ قَالَ: يَا كُمَيْلُ: «**إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعٌ: النَّامِيَةُ النَّبَاتِيَّةُ - وَالْحِسِّيَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ - وَالنَّاطِقَةُ الْقُدْسِيَّةُ - وَالْكُلِّيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ**» وَهُوَ يُرِيدُ بِتَعَدُّدِ الْأَنْفُسِ، لَيسَ تَعَدُّدَهَا مِنْ حَيْثُ الْحَقِيقَةِ وَالْجَوْهَرِ، فَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ، وَلَكِنْ تَعَدَّدَتْ أَنْوَاعُهَا بِحَسْبِ الْقُوَىٰ وَالْخَوَاصِّ وَمَرَاتِبِ الْقُرْبِ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، حَيْثُ يَقُولُ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: «وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْفُسِ الْأَرْبَعِ خَمْسُ قُوَىٰ وَخَاصَّتَانِ: فَالنَّامِيَةُ النَّبَاتِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوَىٰ: جَاذِبَةٌ - وَمَاسِكَةٌ - وَهَاضِمَةٌ - وَدَافِعَةٌ - وَمُرَبِّيَةٌ» يُرِيدُ بِالْجَاذِبَةِ الَّتِي تَمِيلُ وَتَنْجَذِبُ إِلَىٰ الطَّعَامِ، وَالْمَاسِكَةُ هِيَ الَّتِي تَقْتَنِيهِ بَعْدَ الْمَيْلِ إِلَيْهِ، وَالْهَاضِمَةُ هِيَ الَّتِي تَهْضِمُ الطَّعَامَ، وَالدَّافِعَةُ تَدْفَعُ الدَّمَ إِلَىٰ سَائِرِ الْجِسْمِ، وَالْمُرَبِّيَةُ هِيَ الَّتِي تُعْطِي لِكُلِّ عُضْوٍ بَلْ وَلِكُلِّ خَلِيَّةٍ حَقَّهَا مِنَ الْغِذَاءِ.

ثُمَّ يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَهَذِهِ الْقُوَىٰ الْخَمْسُ لَهَا خَاصَّتَانِ: الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ وَانْبِعَاثُهَا مِنَ الْكَبِدِ- وَالْحِسِّيَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوَىٰ: سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَشَمٌّ وَذَوْقٌ وَلَمْسٌ، وَلَهَا خَاصَّتَانِ؛ الرِّضَا وَالْغَضَبُ، وَانْبِعَاثُهَا مِنَ الْقَلْبِ.

وَالنَّاطِقَةِ الْقُدْسِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوَىٰ: فِكْرٌ، وَذِكْرٌ، وَعِلْمٌ، وَحِلْمٌ، وَنَبَاهَةٌ. وَلَيسَ لَهَا انْبِعَاثٌ، وَهِيَ أَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ بِالنُّفُوسِ الْمَلَكِيَّةِ، وَلَهَا خَاصَّتَانِ؛ النَّزَاهَةُ وَالْحِكْمَةُ.

وَالْكُلِّيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ لَهَا خَمْسُ قُوَىٰ: بَقَاءٌ فِي فَنَاءٍ، وَنَعِيمٍ فِي شَقَاءٍ، وَعِزٌّ فِي ذُلٍّ، وَفَقْرٌ فِي غِنًى، وَصَبْرٌ فِي بَلَاءٍ. وَلَهَا خَاصَّتَانِ: الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي مَبْدَؤُهَا مِنَ اللهِ وَإِلَيْهِ تَعُودُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾(1)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾(2)، وَهُوَ يُرِيدُ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ بِقَوْلِهِ: (بَقَاءٌ فِي فَنَاءٍ) الرُّوحُ وَهِيَ النَّفْسُ الَّتِي أَهَّلَهَا اللهُ

(1) الحجر الآية (29). (2) الفجر الآية (27-30).

فِي دَارِ الْفَنَاءِ لِلْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ الْخَالِدَةِ فِي جِوَارِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهَذِهِ هِيَ أَرْفَعُ النُّفُوسِ قَدْراً وَشَأْناً لَدَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَهِيَ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ الَّتِي تَعَالَتْ عَنْ جَوَاذِبِ الْأَرْضِ، وَارْتَقَتْ بِالتَّزْكِيَةِ حَتَّىٰ صَارَتْ أَشْبَهَ مَا تَكُونُ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ، حِينَ جَعَلَتِ الدُّنْيَا مَطِيَّةً لِلْآخِرَةِ، حِينَ جَعَلَتْ دَارَ الْفَنَاءِ مَطِيَّةً لِدَارِ الْبَقَاءِ.

۞ قَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: **مَنْ أَرَادَ الْعِزَّ بِلَا جَاهٍ، وَالْغِنَىٰ بِلَا مَالٍ، وَالْكَثْرَةَ بِلَا عَشِيرَةٍ، فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ إِلَىٰ عِزِّ الطَّاعَةِ.**

۞ كَانَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ يَحُثُّ عَلَىٰ الْأَخْذِ بِعَزَائِمِ الْأُمُورِ وَمَا فِيهَا مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ فَيَقُولُ: «**رُبَّ هِمَّةٍ أَحْيَتْ أُمَّةً**».

۞ كَانَ مِنْ دُعَائِهِ الْمَأْثُورِ عَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلِّي، وَضَرَاعَتِي إِلَيْكَ، وَوَحْشَتِي مِنْ خَلْقِكَ، وَآنِسْنِي بِوَجْهِكَ يَا كَرِيمُ**».

۞ وَمِنْ دُعَائِهِ الْمَأْثُورِ عَنْهُ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «**اللَّهُمَّ لا تُخْلِي الْأَرْضَ مَنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ؛ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، وَإِمَّا بَاطِناً مَسْتُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّنَاتُهُ**».

۞ كَانَ مِنْ أَوْصَافِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «**صَاحِبُ الْقَلْبِ الْعَقُولِ، وَاللِّسَانِ السَّؤُولِ**».

❁❁❁❁❁

مناقب سيدنا سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

۞ كَانَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حَتَّىٰ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ لَهُ: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**»، فعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: مَا رَأَيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُفَدِّي رَجُلاً بَعْدَ سَعْدٍ، سَمِعْتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**ارْمِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ كَانَ سَعْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِمَّنْ تَقَدَّمَ إِسْلَامُهُ، فَهُوَ سَابِعُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَفِي هَذَا يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِنِّي لَأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمْياً بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَكَانَ سَعْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَقَدْ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: «**اللَّهُمَّ أَجِبْ دَعْوَتَهُ،**

وَسَدِّدْ رَمْيَتَهُ»، فَكَانَ رضي الله عنه كَمَا أَحَبَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

۞ كَانَ سَعْدٌ رضي الله عنه سَبَّاقًا لِحِرَاسَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سَهِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «**لَيْتَ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ**»، إِذْ سَمِعْنَا صَوْتًا، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ هَذَا؟**»، فَقَالَ رضي الله عنه: أَنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ، وَنَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ ثَنَاءٌ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَىٰ سَعْدٍ بِالصَّلَاحِ. وَقَدْ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَهُوَ رضي الله عنه أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ رضي الله عنهما

۞ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ كَانَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه مُؤَازِرًا وَنَصِيرًا لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا: «**مَنْ يَأْتِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ**»، فَانْطَلَقَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَأَمَّا طَلْحَةُ رضي الله عنه، فَقَدْ أَبْلَىٰ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَلَاءً حَسَنًا فِي الْجِهَادِ، حَتَّىٰ قَالَ أَبُو عُثْمَانَ مُحَدِّثًا عَنْ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ رضي الله عنهما: لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم غَيْرُ طَلْحَةَ وَسَعْدٍ. وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَنْ طَلْحَةَ رَاضٍ.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَقَدْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأَهْلِ نَجْرَانَ، فَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأَهْلِ

نَجْرَانَ: «لَأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمْ أَمِيناً حَقَّ أَمِينٍ»، فَأَشْرَفَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ رضي الله عنه ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَوَلَدِهِ أُسَامَةَ رضي الله عنهما

۞ رَوَىٰ الْبَرَّاءَ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه : «**أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ رضي الله عنه مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ، وَأَحَبَّ النَّاسِ مِنْ بَعْدِهِ رضي الله عنه ابْنُهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنهما ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ، إِنْ كَانَ لَخَلِيقاً لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا** «يُرِيدُ ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ» **لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَكَانَ ﷺ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ وَيَقُولُ ﷺ : «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه

۞ كَانَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه خَامِسَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرَاً قَبْلَ إِسْلَامِهِ يَتَحَسَّسُ أَخْبَارَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ يَمُرُّ عَلَيْهِ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَيَنْصَرِفُ، وَلَمَّا سَأَلَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ عَنْ شَأْنِهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ جَاءَ؛ لِيَتَحَسَّسَ خَبَرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَاصْطَحَبَهُ مَعَهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا دَخَلَ رضي الله عنه عَلَيْهِ ﷺ، قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ أَوَّلَ مَنَ حَيَّىٰ النَّبِيَّ ﷺ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ السَّلَامَ، ثُمَّ سَأَلَهُ ﷺ مِنْ أَيِّ الْقَبَائِلِ أَنْتَ؟ قَالَ رضي الله عنه : مِنْ غِفَارٍ، فَقَالَ ﷺ : «**غِفَارٌ غَفَرَ اللهُ لَهَا**»، ثُمَّ سَأَلَهُ ﷺ : «**كَمْ بَقِيَ لَكَ هُنَا؟**»، قَالَ رضي الله عنه : شَهْرَاً كَامِلاً، قَالَ ﷺ : «**مَا كَانَ طَعَامُكَ**»، قَالَ رضي الله عنه : مَاءُ زَمْزَمَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «**مَاءُ زَمْزَمَ طَعَامُ**

طُعْمٍ وَشِفَاءُ سُقْمٍ». (رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)

ومَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّ مَاءَ زَمْزَمَ طَعَامٌ يُشْبِعُ مَنْ شَرِبَهُ.

۞ وَلَمَّا أَسْلَمَ أَبُو ذَرٍّ ﵁، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَىٰ قَومِكَ فَأَخْبِرْهُمْ وَاكْتُمْ أَمْرَكَ عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ؛ فَإِنِّي أَخْشَاهُمْ عَلَيْكَ»، لَكِنَّ أَبَا ذَرٍّ أَتَىٰ الْمَسْجِدَ، وَنَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَثَارَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ فَضَرَبُوهُ حَتَّىٰ أَضْجَعُوهُ، وَأَتَىٰ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَيْلَكُمْ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارَتِكُمْ إِلَىٰ الشَّامِ عَلَيْهِمْ؟! وَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ إِلَىٰ مِثْلِهَا، وَثَارُوا إِلَيْهِ فَضَرَبُوهُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَأَنْقَذَهُ، ثُمَّ مَضَىٰ فَلَحِقَ بِقَوْمِهِ.

۞ كَانَ أَبُو ذَرٍّ ﵁ زَاهِداً، فَقَدْ قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ: «فِي أُمَّتِي أَبُو ذَرٍّ شَبِيهُ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ فِي زُهْدِهِ». (رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ)

۞ كَمَا شَبَّهَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي تَوَاضُعِهِ كَذَلِكَ بِعِيسَىٰ ﵇، حَيْثُ يَقُولُ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ تَوَاضُعِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ أَبِي ذَرٍّ».

۞ وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ ﵁ يُحَدِّثُ عَنْ تَقَشُّفِهِ وزُهْدِهِ فَيَقُولُ: «كَانَ قُوتِي عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَلَسْتُ بِزَائِدٍ عَلَيْهِ حَتَّىٰ أَلْقَىٰ اللهَ».

۞ كَانَ هَذَا هُوَ زَادَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُوَ الزَّادُ الَّذِي لَا يَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ الشِّبَعِ مِنَ الطَّعَامِ، فَعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّىٰ قُبِضَ ﷺ».
(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوسِيِّ ﵁

۞ أَسْلَمَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﵁ عَامَ خَيْبَرَ وَشَهِدَهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ ﵁ مُلَازِمًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَلَقَّىٰ عَنْهُ الْعِلْمَ، وَرَوَىٰ عَنْهُ ﵁ الْحَدِيثَ أَكْثَرُ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ رَجُلٍ مَا بَيْنَ صَاحِبٍ وَتَابِعٍ، وَيَرْوِي أَبُو هُرَيْرَةَ ﵁ فِي حِفْظِهِ لِلْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَقُولُ: حَضَرْتُ مِنَ

النَّبِيِّ ﷺ مَجْلِسًا، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ، حَتَّىٰ أُقْضِيَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضُهُ إِلَيْهِ؛ فَلَنْ يَنْسَىٰ شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي»، فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ حَتَّىٰ قَضَىٰ ﷺ حَدِيثَهُ، ثُمَّ قَبَضْتُهَا إِلَيَّ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ ﷺ بَعْدُ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ كَانَ لِأَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أُمٌّ يُقَالُ لَهَا (أُمَيْمَةُ)، وَكَانَ رضي الله عنه بَارًّا بِهَا، فَلَمَّا أَسْلَمَ دَعَاهَا لِلْإِسْلَامِ، فَكَانَتْ تَأْبَىٰ عَلَيْهِ كُلَّمَا دَعَاهَا، فَسَأَلَ رضي الله عنه رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ لَهَا، فَدَعَا لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ»، فَخَرَجَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَدْوًا إِلَىٰ بَيْتِهِ، فَسَمِعَ عِنْدَ الْبَابِ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، ثُمَّ فَتَحَتْ أُمُّهُ لَهُ الْبَابَ فَقَالَتْ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَرَجَعَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي وَأُمِّي إِلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ»، فَدَعَا لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَقَدْ رَوَىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ نَفْسِهِ، أَنَّهُ كَانَ يَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَىٰ بَطْنِهِ مِنَ الْجُوعِ، فَقَعَدَ يَوْمًا فِي الطَّرِيقِ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَتَبَسَّمَ ﷺ حِينَ رَآهُ، وَعَرَفَ ﷺ مَا فِي وَجْهِهِ وَنَفْسِهِ، وَدَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَلْحَقَ رضي الله عنه بِهِ ﷺ إِلَىٰ بَيْتِهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو هُرَيرَةَ رضي الله عنه، فَأَذِنَ ﷺ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهِ لَبَنًا فِي قَدَحٍ أُهْدِيَ لَهُ، فَقَالَ ﷺ: «يَا أَبَا هِرٍّ، انْطَلِقْ إِلَىٰ أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي»، فَلَمَّا ذَهَبَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه لِيَدْعُوَهُمْ، قَالَ رضي الله عنه فِي نَفْسِهِ: «وَمَا عَسَىٰ أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَلَمَّا دَعَاهُم أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ»، قَالَ رضي الله عنه: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ، فَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَرْتَوِي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهُ الْآخَرَ فَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَرْتَوِي، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدِ ارْتَوَىٰ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ ﷺ الْقَدَحَ وَوَضَعَهُ ﷺ عَلَىٰ يَدِهِ، وَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ ﷺ: «أَبَا هِرٍّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ ﷺ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ»، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ ﷺ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ»، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ ﷺ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ ﷺ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّىٰ قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ ﷺ: «فَأَرِنِي»، فَأَعْطَيْتُهُ ﷺ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ ﷺ

اللهَ تَعَالَىٰ، وَسَمَّىٰ وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَهَذَا مِنْ مُعْجِزَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ ﷺ.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما

❁ كَانَ رضي الله عنه لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا وَعَلَىٰ مَائِدَتِهِ يَتِيمٌ.

❁ رَوَىٰ رضي الله عنه أَنَّهُ رَأَىٰ رُؤْيَا، فَقَصَّهَا عَلَىٰ أُخْتِهِ السَّيِّدَةِ حَفْصَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، فَقَصَّتْهَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَو كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ»، فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁ كَانَ رضي الله عنه بَكَّاءً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، قَالَ نَافِعٌ (صَاحِبُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ): كَانَ رضي الله عنه إِذَا قَرَأَ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[1]، بَكَىٰ حَتَّىٰ يَغْلِبَهُ الْبُكَاءُ.

❁ قِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَضْحَكُونَ؟ قَالَ رضي الله عنه: نَعَمْ وَالإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ أَعْظَمُ مِنَ الْجِبَالِ. (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ)

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما

❁ أَحَبَّهُ النَّبِيُّ ﷺ وَدَعَا لَهُ، حَيْثُ قَالَ رضي الله عنه: ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ صَدْرِهِ، وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁ وَعَنْهُ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لَهُ حِينَ وَضَعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَاءَ الْوُضُوءِ؛ حَتَّىٰ يَتَوَضَّأَ بِهِ بَعْدَ خُرُوجِهِ ﷺ مِنَ الْخَلَاءِ، وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁ كَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ، يَسْتَشِيرُ أَصْحَابَهُ، فَيَبْدَأُ بِمَشُورَةِ أَهْلِ بَدْرٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ جَوَابًا، اِسْتَشَارَ رضي الله عنه الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ جَوَابًا،

---

(١) الحديد الآية (١٦).

اِسْتَشَارَ ﷺ الْأَنْصَارَ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ جَوَابًا، اِلْتَفَتَ ﷺ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ وَقَالَ ﷺ لَهُ: «غُصْ يَا غَوَّاصُ». (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ لِأَبِي نُعَيْمٍ)

۞ أَقَامَ ﷺ الْحُجَّةَ عَلَىٰ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَىٰ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا تَابُوا إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ يَدَيْهِ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ قُتِلُوا. (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ)

۞ كَانَ ﷺ جَوَادًا كَرِيمًا، قَالَ فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْحُسَيْنِ: **مَا رَأَيْتُ بَيْتًا أَكْثَرَ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا وَلَا فَاكِهَةً وَلَا عِلْمًا مِنْ بَيْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ** ﷺ. (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ لِأَبِي نُعَيْمٍ)

۞ قَالَ فِيهِ أَهْلُ زَمَانِهِ: مَا بَلَغَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ مَا بَلَغَ إِلَّا لِأَنَّهُ كَانَ آخِذًا بِثَلَاثٍ، وَتَارِكًا لِثَلَاثٍ: كَانَ ﷺ آخِذًا بِالْقُلُوبِ إِذَا حَدَّثَ، وَآخِذًا بِحُسْنِ الِاسْتِمَاعِ إِذَا حُدِّثَ، وَكَانَ آخِذًا بِأَيْسَرِ الْأُمُورِ إِذَا خُولِفَ فِي الرَّأْيِ، وَكَانَ ﷺ تَارِكًا لِثَلَاثٍ: تَارِكًا لِلْمِرَاءِ، وَتَارِكًا لِصُحْبَةِ اللِّئَامِ، وَتَارِكًا لِمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ مِنَ الْكَلَامِ. (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ لِأَبِي نُعَيْمٍ)

۞ كَانَ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فَضْلِ (سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ) فَيَقُولُ: مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ. فَقَدْ ذَكَرَ اللهَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ. فَقَدْ شَكَرَ اللهَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَقَدْ وَحَّدَ اللهَ، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ. فَقَدْ عَظَّمَ اللهَ، وَمَنْ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَدْ أَسْلَمَ وَاسْتَسْلَمَ، وَكَانَ لَهُ بِهَا كَنْزٌ فِي الْجَنَّةِ. (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ لِأَبِي نُعَيْمٍ)

۞ رَوَىٰ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ ﷺ شَهِدْتُ جَنَازَتَهُ بِالطَّائِفِ، وَلَمَّا وُضِعَ لِيُصَلَّىٰ عَلَيْهِ، جَاءَ طَائِرٌ أَبْيَضُ حَتَّىٰ دَخَلَ فِي أَكْفَانِهِ، فَالْتَمَسْنَاهُ فَلَمْ نَجِدْهُ، فَلَمَّا سُوِّيَ عَلَيْهِ سَمِعْنَا صَوْتًا وَلَمْ نَرَ شَخْصًا يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[1]. (جَاءَ ذَلِكَ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ)

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ

۞ رَوَتْ أُمُّهُ السَّيِّدَةُ أُمُّ سُلَيمٍ ﷺ أَنَّهَا أَتَتْ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا أَنَسٌ

---

(١) الفجر الآيات (٢٧-٣٠).

غُلَامٌ يَخْدُمُكَ، فَادْعُ اللهَ لَهُ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَأَجَلَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

فَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَأَكْثَرَ اللهُ لِأَنَسٍ مَالَهُ، فَكَانَ رضي الله عنه لَهُ بُسْتَانٌ يَأْتِي بِثِمَارِهِ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ، وَبَارَكَ اللهُ لَهُ فِي وَلَدِهِ؛ حَيْثُ وَهَبَهُ اللهُ عَشْرَةً مِنَ الْأَوْلَادِ كُلُّهُمْ يَحْفَظُونَ الْقُرْآنَ، وَبَارَكَ عَزَّ وَجَلَّ فِي عُمُرِهِ؛ فَعَاشَ رضي الله عنه مِائَةَ عَامٍ، فَكَانَ رضي الله عنه مِمَّنْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّهُ، وَيَأْتَمِنُهُ ﷺ عَلَىٰ سِرِّهِ، حَيْثُ يَقُولُ رضي الله عنه: أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ سِرًّا فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَداً بَعْدَهُ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي أُمُّ سُلَيْمٍ (أُمُّهُ) فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَقَالَ رضي الله عنه: خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سَنَوَاتٍ، فَمَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ، وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتَهُ، وَلَكِنْ يَقُولُ ﷺ: «مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ فِي وَصْفِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَا مَسَسْتُ حَرِيراً وَلَا دِيبَاجاً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا شَمَمْتُ رِيحاً أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ أَوْ عَرَقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾(١)، قَالَ أُبَيٌّ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ ﷺ: (نَعَمْ)، فَبَكَىٰ. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: تَعَجَّبَ أُبَيٌّ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ تَسْمِيَةَ اللهِ لَهُ تَشْرِيفٌ وَتَعْظِيمٌ لِأُبَيٍّ، فَلِذَلِكَ بَكَىٰ رضي الله عنه، وَقَدْ خَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ السُّورَةَ بِالذِّكْرِ؛ لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ وَالْإِخْلَاصِ، وَالصُّحُفِ وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ، وَذِكْرِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْمَعَادِ، وَبَيَانِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، مَعَ وَجَازَتِهَا.

۞ كَانَ رضي الله عنه مِنْ أَقْرَإِ الصَّحَابَةِ لِلْقُرآنِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ

(١) البينة الآية (١).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اِسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَىٰ أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ كَانَ رضي الله عنه يُكْثِرُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: خَرجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الثُّلُثِ الْأَوَّلِ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ ﷺ: «اُذْكُرُوا اللهَ، اُذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ (أَيْ: الدُّعَاءَ) فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي (أَيْ: دُعَائِي)؟ قَالَ ﷺ: «مَا شِئْتَ»، قُلْتُ: الرُّبْعَ؟ قَالَ ﷺ: «مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَّ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ ﷺ: «مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَّ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ ﷺ: «مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَّ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا دُعَاءً لَكَ وَصَلَاةً عَلَيْكَ، قَالَ ﷺ: «إذن يُكْفَىٰ هَمُّكَ، وَيُغْفَرَ ذَنْبُكَ».
(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ)

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا سَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ رضي الله عنه

۞ هُوَ أَحُدُ الْقُرَّاءِ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَسْتَقْرِأَ الْقُرْآنَ مِنْهُمْ (كَمَا تَقَدَّمَ).

۞ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا خَرَجَتْ يَوْمًا لِقَضَاءِ حَاجَتِهَا، فَاسْتَبْطَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا رَجَعَتْ سَأَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَمَّا أَبْطَأَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، سَمِعْتُ صَوْتَ قِرَاءَةٍ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا قَطُّ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْمَعَ، فَلَمَّا سَمِعَ ﷺ قَالَ: «هَذَا سَالِمٌ مَولَىٰ أَبِي حُذَيْفَةَ، اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَهُ».

۞ وَكَانَ سَالِمٌ شَدِيدَ الْحُبِّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ سَالِمًا شَدِيدُ الْحُبِّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ». (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ)

۞ وَلَمَّا حَضَرَتْ سَيِّدَنَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ الْوَفَاةُ، قَالَ رضي الله عنه: لَو كَانَ سَالِمٌ حَيًّا، لَاسْتَخْلَفْتُهُ مِنْ بَعْدِي.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا أَبِي الدَّرْدَاءِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه

۞ هُوَ «**عُوَيْمِرُ أَبُو الدَّرْدَاءِ**»، قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ: «**عُوَيْمِرَ حَكِيمُ أُمَّتِي**»، فَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه حَكِيمًا زَاهِدًا، آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَينَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنهما؛ لِأَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ عَلَىٰ شَاكِلَةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه فِي الزُّهْدِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ.

۞ وَرَوَىٰ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّهُ اسْتَضَافَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ رضي الله عنه، فَلَمَّا حَضَرَ سَلْمَانُ، شَكَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ، وَكَانَتْ رضي الله عنها رَثَّةَ الْهَيْئَةِ، وَقَالَتْ: إِنَّ أَخَاكَ لَا يُرِيدُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ، فَأَقْبَلَ سَلْمَانُ عَلَىٰ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَقَالَ: «**إِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَصَلِّ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَائْتِ أَهْلَكَ**»، فَذَكَرَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ لَهُ: «**أَطِعْ أَخَاكَ سَلْمَانَ، لَقَدْ أُوتِيَ سَلْمَانُ مِنَ الْعِلْمِ**». (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ لِأَبِي نُعَيْمٍ)

۞ وَرَوَىٰ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ رَأَىٰ فِي مَنَامِهِ قُبَّةَ آدَمَ فِي عَرَفَاتٍ وَحَوْلَهَا غَنَمٌ رَبُوضٌ، فَقَالَ: لِمَنْ هَذِهِ؟ قِيلَ: لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَعْطَاهُ اللهُ ذَلِكَ بِالْقُرْآنِ، وَلَو أَشْرَفْتَ عَلَىٰ هَذِهِ الثَّنِيَّةِ لَرَأَيْتَ مَا لَمْ تَرَ عَيْنُكَ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنُكَ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبِكَ مِثْلُهُ، أَعَدَّهُ اللهُ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَدْفَعُ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِهِ بِرَاحَتَيْهِ وَصَدْرِهِ. (ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الِاسْتِيعَابِ)

۞ وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه يَقُولُ:

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَىٰ مُنَاهُ ... وَيَأْبَىٰ اللهُ إِلَّا مَا أَرَادَا

يَقُولُ الْمَرْءُ فَائِدَتِي وَمَالِي ... وَتَقْوَىٰ اللهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا

۞ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ يَوْمًا قَالَ: أَوْصِنِي؟ قَالَ رضي الله عنه: **أُذْكُرِ اللهَ فِي السَّرَّاءِ، يَذْكُرْكَ فِي الضَّرَّاءِ، وَإِذَا أَشْرَفْتَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، فَانْظُرْ إِلَىٰ مَا يَصِيرُ.**

۞ وَمِنْ حِكَمِهِ رضي الله عنه: **الدُّنْيَا دَارُ كَدَرٍ، وَلَنْ يَنْجُوَ مِنْهَا إِلَّا أَهْلُ الْحَذَرِ.**

۞ وَكَانَ رضي الله عنه شَدِيدَ الْمُرَاقَبَةِ وَالْخَشْيَةِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: **أَخْوَفُ مَا أَخَافُ إِذَا وَقَفْتُ عَلَىٰ الْحِسَابِ أَنْ يُقَالَ لِي: قَدْ عَلِمْتَ، فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟** (الْحِلْيَةُ لِأَبِي نُعَيْمٍ)

مَنَاقِبُ سَيِدِنَا حَسان بْنِ ثَابت رضي الله عنه

۞ هُوَ شَاعِرُ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ رضي الله عنه يُنَافِحُ عَنْهُ ﷺ، وَيَنْشُدُ رضي الله عنه الشِّعْرَ فِي مَجْلِسِهِ ﷺ بِالْمَسْجِدِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو لَهُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِحَسَانَ وَهُوَ يَنْشُدُ الشِّعْرَ بينَ يَدَيْهِ ﷺ بِالْمَسْجِدِ: «أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَالْمَعْنَىٰ، أَيْ: أَيِّدْهُ بِجِبْرِيلَ، فَقَدْ رَوَىٰ الْبَرَاءُ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِحَسَّانَ: «اُهْجُهُمْ ـ أَوْ: هَاجِهِمْ ـ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ». (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ)

۞ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو لَهُ ويَقُولُ: «لَا فُضَّ فُوكَ»، فَعَاشَ حَسَّانُ رضي الله عنه بِبَرَكَةِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِائَةَ عَامٍ، لَمْ تُفَضَّ لَهُ ثَنِيَّةٌ؛ اِسْتِجَابَةً لِدَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

مَنَاقِبُ آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

وَتَشْمَلُ الآتِي:

مَنَاقِبُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها

۞ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةَ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

يُرِيدُ ﷺ بِذَلِكَ: أَنَّ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ خَيْرُ نِسَاءِ أَهْلِ زَمَانِهَا، وَخَدِيجَةَ رضي الله عنها هِيَ خَيْرُ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

۞ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَىٰ جِبْرِيلُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَو طَعَامٌ أَو شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

ومَعْنَىٰ: «**مِنْ قَصَبٍ**»، أَيْ: مِنَ الذَّهَبِ الْمَنْظُومِ بِالْجَوْهَرِ. وَمَعْنَىٰ: «**لَا صَخْبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**» أَيْ: لَا ضَجِيجَ فِيهِ وَلَا مَشَقَّةَ وَلَا تَعَبَ.

۞ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها، وَيُثْنِي ﷺ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ غَارَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها، وَقَالَتْ: هَلْ كَانَتْ إِلَّا عَجُوزاً أَبْدَلَكَ اللهُ خَيْراً مِنْهَا، فَغَضِبَ ﷺ وَقَالَ: «**وَاللهِ مَا أَبْدَلَنِي اللهُ خَيْراً مِنْهَا؛ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَّمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ مِنْهَا الْوَلَدَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَالْمُرَادُ بِقَولِهِ ﷺ: «**وَرَزَقَنِي اللهُ مِنْهَا الْوَلَدَ**»؛ لِأَنَّ جَمِيعَ أَولَادِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها، إِلَّا إِبْرَاهِيمَ رضي الله عنه، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ جَارِيَتِهِ ﷺ مَارِيَةَ.

وَأَولَادِهِ ﷺ مِنَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ هُمْ: الْقَاسِمُ وَبِهِ كَانَ يُكَنَّي رَسُولُ اللهِ ﷺ (**يَا أَبَا الْقَاسِمِ**) وَقَدْ مَاتَ صَغِيراً- وَبَنَاتُهُ الْأَرْبَعُ زَيْنَبُ ثُمَّ رُقِيَّةُ ثُمَّ أُمُّ كُلْثُومٍ ثُمَّ فَاطِمَةُ- ثُمَّ عَبْدُ اللهِ وُلِدَ بَعْدَ الْبَعْثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الطَّاهِرُ وَالطَّيِّبُ، وَقَدْ مَاتَ عَبْدُ اللهِ صَغِيراً، وَكَذَلِكَ وَلَدُهُ ﷺ إِبْرَاهِيمُ مِنْ مَارِيَةَ مَاتَ صَغِيراً.

۞ وَيُرْوَىٰ عَنْ حُبِّهِ ﷺ لِلسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﵂ وَوَفَائِهِ ﷺ بِهَا، مَا رَوَتْهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ﵂ قَالَتْ: اِسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَرَفَ ﷺ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، فَارْتَاعَ ﷺ (أَيْ: فَزِعَ) لِذَلِكَ فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ هَالَةَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

أَيْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا هَالَةَ الَّتِي ذَكَّرَتْهُ ﷺ بِالسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ ﵂.

۞ وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

يَفْعَلُ ﷺ ذَلِكَ؛ وَفَاءً بِخَدِيجَةَ ﵂.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ﵂

۞ جَاءَ فِي فَضْلِهَا: أَنَّهَا ﵂ بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدْ رَوَىٰ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُرِيبُنِي مَا رَابَهَا، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ ﵂: «**أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَو سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)،

۞ وَقَالَ ﷺ: «**فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَمِنْ مَنَاقِبِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ ﵂، مَا رَوَاهُ أَنَسٌ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَونَ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

أَيْ: أَنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعَةً، وَمِنْهُمُ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ ﵂.

۞ وَقَدْ لُقِّبَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (**بِالزَّهْرَاءِ**)؛ لِصَفَائِهَا وَنُورِهَا، وَ(**بِالْبَتُولِ**)؛ لِطَهَارَتِهَا وَكَثْرَةِ عِبَادَتِهَا، وَمِنْ أَلْقَابِهَا كَذَلِكَ ﵂: (**الصِّدِّيقَةُ**)، وَ(**الْمُبَارَكَةُ**)، وَ(**الطَّاهِرَةُ**)، وَ(**الذَّكِيَّةُ**)، وَ(**الرَّاضِيَةُ**)، وَ(**الْمَرْضِيَّةُ**) وَكَانَ مِنْهَا نَسَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

۞ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، أَنَّ فَاطِمَةَ ﵂ كَانَتْ مِنْ أَحَبِّ أَهْلِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهَا ﵂

سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ خادِمًا يَخْدُمُها، فَقَالَ ﷺ لَها: «أُعْطِيكِ وَأَذَرُ أَهْلَ الصُّفَّةِ؟! وَلَكِنْ إِذَا أَخَذْتِ مَضْجَعَكِ فَسَبِّحِي ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدِي ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرِي أَرْبَعاً وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ مِائَةٌ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَقَدْ زَارَهَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ ﷺ لَها كَيْفَ تَجِدِينَكِ يا بُنَيَّةُ؟ فَقَالَتْ: إِنِّي لَوَجِعَةٌ، وَإِنَّهُ لَيَزِيدُنِي أَنِّي مَالِي طَعَامٌ آكُلُهُ، فَدَمَعَتْ عَيناهُ ﷺ، وقَالَ ﷺ لَها: «يَا بُنَيَّةُ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنَّكِ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَرَآهَا ﷺ يَوْمًا وَهِيَ تَطْحَنُ بِالرَّحَا، فَقَالَ ﷺ لَهَا: «تَجَرَّعِي يَا فَاطِمَةُ مَرَارَةَ الدُّنْيَا لِنَعِيمِ الْآخِرَةِ».

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ، جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: وَاكَرْبَ أَبَتَاهُ، فَقَالَ ﷺ: «لَيْسَ عَلَىٰ أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَومِ»، فَلَمَّا مَاتَ ﷺ قَالَتْ رضي الله عنها: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، جَنَّةُ الْفِرْدَوسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، إِلَىٰ جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ، فَلَمَّا دُفِنَ ﷺ قَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: «أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ؟». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ بَشَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَرَضِ الَّذِي لَقِيَ ﷺ فِيهِ رَبَّهُ، أَنَّهَا رضي الله عنها سَتكُونُ أَوَّلَ آلِ بَيْتِهِ لِحاقًا بِهِ ﷺ، فَتُوُفِّيَتْ رضي الله عنها بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ.

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا الْحَسَنِ وَسَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ رضي الله عنهما

۞ عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْحَسَنَ عَلَىٰ عَاتِقِهِ، يَقُولُ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَانَقَ الْحُسَيْنَ وَقَبَّلَهُ وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَحِبْهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدرِيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ عَنْ أَنَسٍ ﵁، قَالَ: «لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﵁، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ إِلَىٰ جَنْبِهِ يَنْظُرُ إِلَىٰ النَّاسِ مَرَّةً، وَإِلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ ﷺ: «**اِبْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَقَدْ تَحَقَّقَ ذَٰلِكَ حِينَ تَنَازَلَ الْحَسَنُ ﵁ لِمُعَاوِيَةَ ﵁ عَنِ الْخِلَافَةِ، فَأَصْلَحَ اللهُ بِهِ مَا بَيْنَ أَنْصَارِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَبَينَ أَنْصَارِ مُعَاوِيَةَ ﵁.

۞ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ ﵁ حَمَلَ الْحَسَنَ وَهُوَ يَقُولُ: «**بِأَبِي، شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَلَيْسَ شَبِيهًا بِعَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ ﵁ يَضْحَكُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﵄، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﵁: «**اُرْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَمَعْنَىٰ الْحَدِيثِ، أَيْ: اِحْفَظُوهُ ﷺ وَوَقِّرُوهُ وَأَكْرِمُوهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ. وَكَانَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﵁ يَقُولُ: «**لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَرَابَتِي**».

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂

۞ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ كَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ﵂ أَحَبَّ النِّسَاءِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵁، أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ ﷺ: «**عَائِشَةُ**»، فَقُلْتُ مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ ﷺ: «**أَبُوهَا**»، قَالَ ﵁: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ﷺ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**» فَعَدَّ رِجَالاً. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ، فَقَالَتْ : وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَا أَرَىٰ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَرَدَ فِي فَضْلِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ ، أَنَّ زَوَاجَهَا بِالنَّبِيِّ ﷺ جَاءَ بِأَمْرٍ مِنَ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَيْثُ جَاءَ فِيمَا رَوَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ؛ أَرَىٰ أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَاكْشِفْ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ

۞ كَانَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ عَلَىٰ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينَ، حَتَّىٰ أَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَتَصَدَّقُ، فَكَنَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهَا «أَطْوَلُ نِسَائِهِ يَدًا»؛ لِكَثْرَةِ صَدَقَاتِهَا.

۞ تَزَوَّجَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ؛ امْتِثَالاً لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي زَوَّجَهَا إِيَّاهُ ﷺ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾[1]. فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِلَا خِطْبَةٍ وَلَا إِشْهَادٍ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «اللهُ زَوَّجَ، وجِبْرِيلُ الشَّاهِدُ»، فَكَانَتْ تَفْتَخِرُ وَتَقُولُ: «إِنَّ اللهَ زَوَّجَنِي مِنَ السَّمَاءِ». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ)

۞ وَقَدْ أَثْنَىٰ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّهَا أَوَّاهَةٌ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْأَوَّاهُ؟ قَالَ ﷺ: «الْخَاشِعُ الدَّعَّاءُ الْمُتَضَرِّعُ» ثُمَّ قَرَأَ ﷺ: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[2]. (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

۞ عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لُحُوقًا؟ قَالَ ﷺ: «أَطْوَلُكُنَّ يَدًا». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

يُرِيدُ ﷺ بِذَلِكَ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ ، فَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ كُنْيَتَهَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَتْ كَمَا بَشَّرَهَا، حَيْثُ تُوُفِّيَتْ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ لَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَزْوَاجِهِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِنَّ.

---
(١) الأحزاب الآية (٣٧). (٢) التوبة الآية (١١٤).

مَنَاقِبُ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ أُخْتِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رِضْوَانُ اللَّـهِ عَلَيْهَا وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ

۞ وُلِدَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ رضي الله عنها فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْهِجْرَةِ بَعْدَ أَخِيهَا الْحَسَنِ بِسَنَتَيْنِ، وَالَّذِي سَمَّاهَا «زَيْنَبَ» رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بَعْدَ عَوْدَتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ أَحَدِ أَسْفَارِهِ.

۞ وَصَفَهَا الْجَاحِظُ فِي كِتَابِ «الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ» أَنَّهَا رضي الله عنها كَانَتْ تُشْبِهُ أُمَّهَا السَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ رضي الله عنها لُطْفَـًا وَرِقَّةً، وَتُشْبِهُ أَبَاهَا عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ عِلْمَـًا وَتُقىً، كَمَا وَرِثَتْ عَنْ أَبِيهَا الْبَلَاغَةَ وَالزُّهْدَ وَالشَّجَاعَةَ.

۞ لُقِّبَتْ رضي الله عنها بِأَلْقَابٍ كَثِيرَةٍ تُوحِي بِمَا كَانَ لَهَا مِنْ صِفَاتِ الْجُودِ، وَالرَّحْمَةِ، وَرَجَاحَةِ الْعَقْلِ، وَذَلِكَ كَالْآتِي:

۞ **أُمُّ هَاشِمٍ:** لِأَنَّهَا كَانَتْ تَهْشِمُ الْخُبْزَ، وَتُطْعِمُهُ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ.

۞ **السَّيِّدَةُ:** وَهُوَ لُقِبٌ انْفَرَدَتْ بِهِ رضي الله عنها، فَإِذَا قِيلَ: **(السَّيِّدَةُ)** كَانَ الْمُرَادُ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ رضي الله عنها .

۞ **أُمُّ الْعَزَائِمِ:** لِما لَهَا مِنْ عَزِيمَةٍ فِي الدِّينِ .

۞ **أُمُّ الْعَوَاجِزِ:** لِعَطْفِهَا عَلَىٰ الْعَجَزَةِ وَالْمَسَاكِينِ.

۞ **عَقِيلَةُ بَنِي هَاشِمٍ:** لِرَجَاحَةِ عَقْلِهَا.

۞ **صَاحِبَةُ الشُّورَى:** فَكَثِيراً مَا كَانَ يُرْجَعُ إِلَيْهَا فِي الرَّأْيِ.

۞ **الطَّاهِرَةُ:** وَقَدْ وَصَفَهَا بِذَلِكَ أَخُوهَا الْحَسَنُ رضي الله عنه، فَقَدْ سَمِعَهَا يَوْمَـًا تَشْرَحُ قَوْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَينَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ...**»، فَأَفَاضَتْ فِي الشَّرْحِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ، اِعْتَذَرَتْ عَنْ تَقْصِيرِهَا وَعَجْزِهَا عَنِ الْبَيَانِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ كُلَّ البَيَانِ، فَقَالَ لَهَا أَخُوهَا الْحَسَنُ رضي الله عنه: «**أَنْعِمْ بِكِ يَا طَاهِرَةُ، حَقَّـًا إِنَّكِ مِنْ شَجَرَةِ النُّبُوَّةِ الْمُبَارَكَةِ، وَمِنْ مَعْدِنِ الرِّسَالَةِ الْكَرِيمَةِ**».

۞ **رَئِيسَةُ الدِّيوَانِ:** حَيْثُ كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَهَا فِي الْعِلْمِ وَالِي مِصْرَ (مَسْلَمَةُ بْنُ مَخْلَدٍ) وَمَنْ مَعَهُ مِنْ حَاشِيَتِهِ، يَسْأَلُونَهَا فِي أَمْرِ دِينِهِمْ.

۞ تَزَوَّجَتْ بِابْنِ عَمِّهَا عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ أَوَّلَ مَنْ وُلِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْحَبَشَةِ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ، وَكَانَ رضي الله عنه مِنْ أَجْوَدِ وَأَكْرَمِ أَهْلِ زَمَانِهِ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ رضي الله عنه أَنَّهُ مَرَّ يَوْمًا عَلَىٰ بُسْتَانٍ، فَوَجَدَ فِي الْبُسْتَانِ غُلَامًا يُطْعِمُ كَلْبًا كُلَّ مَا مَعَهُ مِنَ الْخُبْزِ وَلَمْ يُبْقِ لِنَفْسِهِ شَيْئًا، فَاقْتَرَبَ مِنَ الْغُلَامِ وَقَالَ لَهُ: أَرَاكَ قَدْ أَطْعَمْتَ ذَلِكَ الْكَلْبَ كُلَّ مَا لَدَيْكَ وَلَمْ تُبْقِ لِنَفْسِكَ شَيْئًا، فَقَالَ الْغُلَامُ: إِنَّ هَذِهِ الْبِلَادَ لَيْسَ فِيهَا كِلَابٌ، وَقَدْ نَزَلَ ذَلِكَ الْكَلْبُ ضَيْفًا عَلَيْنَا، فَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ مَا لَدَيَّ، فَسُرَّ بِهِ؛ لِحُسْنِ صَنِيعِهِ وَكَرَمِهِ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ صَاحِبِ هَذَا الْبُسْتَانِ، فَاشْتَرَىٰ مِنْهُ الْبُسْتَانَ، وَاشْتَرَىٰ مِنْهُ ذَلِكَ الْغُلَامَ، ثُمَّ أَعْتَقَهُ حُرًّا لِوَجْهِ اللهِ، ثُمَّ مَلَّكَهُ الْبُسْتَانَ.

۞ وَرُوِيَ مِنْ مَوَاقِفِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ الدَّالَةِ عَلَىٰ رِجَاحَةِ عَقْلِهَا: أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، تَفَاخَرَا أَمَامَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنَّ أَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيكَ، فَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رضي الله عنه لِابْنَتِهِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ: اِقْضِ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتْ رضي الله عنها: مَا رَأَيْتُ شَابًّا خَيْرًا مِنْ جَعْفَرٍ، وَلَا كَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رضي الله عنه: فَمَا أَبْقَيْتِ لَنَا؟ فَقَالَتْ: «إِنَّ ثَلَاثَةً أَنْتَ آخِرُهُمْ لَأَخْيَارٌ» تَقْصِدُ: عَقِيلًا - وَجَعْفَرًا- وَعَلِيًّا أَبْنَاءَ أَبِي طَالِبٍ.

۞ تَشَرَّفَتْ أَرْضُ مِصْرَ بِمَقْدِمِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ رضي الله عنها، فَهِيَ أَوَّلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ اللَّائِي شَرَّفْنَ أَرْضَ مِصْرَ، وَكَانَ نُزُولُهَا بِمِصْرَ فِي أَوَّلِ شَهْرِ شَعْبَانَ بَعْدَ مُضِيِّ سِتَّةِ أَشْهُرٍ عَلَىٰ اسْتِشْهَادِ أَخِيهَا الْحُسَيْنِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ رضي الله عنه.

۞ وَتُوُفِّيَتْ رضي الله عنها فِي الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ سَنَةَ ٦٢ هـ.

❁❁❁❁❁

حَقُّ آلِ الْبَيتِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ

۞ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]. يُرِيدُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ أَهْلَ قَرَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ. وَقَالَ ﷺ: «أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنَ النِّعَمِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا آلَ بَيْتِي لِحُبِّي». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَفِي مَحَبَّةِ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حُبُّكُمُوا ... فَرْضٌ مِنَ اللهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ

يَكْفِيكُمُوا مِنْ جَلِيلِ الْقَدْرِ أَنَّكُمُوا ... مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَرْزُقَنَا حُبَّهُ، وَحُبَّ نَبِيِّهِ ﷺ، وَحُبَّ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَتِهِمْ دُنْيَا وَآخِرَة، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) الشورىٰ الآية (٢٣).

الْفَصْلُ الثَّانِي

فَضْلُ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ

وَالتَّابِعُونَ هُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ صَحِبَهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَهُمْ، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِيمَنْ أَتَىٰ بَعْدَهُمْ، وَسَارَ عَلَىٰ هَدْيِهِمْ، وَأَحْيَا سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ، مُتَأَسِّيًا بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَخُلُقِهِ ﷺ، وَهَكَذَا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَقَدِ امْتَدَحَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[1]، وَامْتَدَحَهُمْ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[2].

وَنَتَنَاوَلُ بِالذِّكْرِ الْبَعْضَ مِنْهُمْ مِمَّنْ كَانَ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَىٰ؛ مِنَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ، فَنَفَعَ اللهُ بِهِمْ أَوَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَآخِرَهَا، وَذَلِكَ مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[3]، وَتَحْقِيقًا لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[4].

وَقَدْ تَتَابَعَ ذِكْرُ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ فِي سِيرَةِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

مَنَاقِب سَيِّدِنَا أُوَيس الْقَرَنِيِّ رضي الله عنه

بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَدَعَا ﷺ أَصْحَابَهُ أَنْ يَأْتُوهُ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، وَأَنَّهُ رضي الله عنه خَيْرُ التَّابِعِينَ، فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ، وَلَهُ وَالِدَةٌ بِهَا بَارٌّ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ»**. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

---

(١) الحشر الآية (١٠).
(٢) الجمعة الآيتان (٣، ٤).
(٣) سبأ الآية (٢٨).
(٤) الأعراف الآية (١٥٨).

۞ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا: أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، يَقْدُمُ عَلَيْكُمْ، وَلَا يَدْعُ بِهَا إِلَّا أُمّاً لَهُ، فَقَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوضِعَ دِينَارٍ، يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْس بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ؛ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَارٌّ، لَو أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ خَيْرُ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَومُ الْقِيَامَةِ قِيلَ لِلْعِبَادِ: اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَيُقَالُ لِأُوَيْسٍ: قِفْ فَاشْفَعْ. فَيُشَفَّعُ عِنْدَ اللهِ ﷻ فِي مِثْلِ عَدَدِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ، يَا عُمَرُ وَيَا عَلِيُّ إِذَا أَنْتُمَا لَقِيتُمَاهُ، فَاطْلُبَا إِلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكُمَا، يَغْفِرِ اللهُ تَعَالَى لَكُمَا». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

۞ وَقَدْ جَاءَ فِي أَوْصَافِهِ وَمَنَاقِبِهِ ﷺ، أَنَّهُ مُعْتَدِلُ الْقَامَةِ، آدَمُ شَدِيدُ الْأُدْمَةِ، بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، ضَارِبٌ بِذَقْنِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ، يَتْلُو الْقُرْآنَ، يَبْكِي عَلَىٰ نَفْسِهِ، ذُو طِمْرَيْنِ، لَا يُؤْبَهُ لَهُ، مَجْهُولٌ فِي الْأَرْضِ، مَعْرُوفٌ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ، لَو أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ. (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ)

۞ رَوَىٰ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: غَزَوْنَا أَذْرَبِيجَانَ زَمَنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ وَمَعَنَا أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ مَرِضَ عَلَيْنَا فَحَمَلْنَاهُ، فَلَمْ يَسْتَمْسِكْ فَمَاتَ فَنَزَلْنَا فَإِذَا قَبْرٌ مَحْفُورٌ، وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ، وَكَفَنٌ وَحَنُوطٌ، فَغَسَّلْنَاهُ وَكَفَّنَّاهُ وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ وَدَفَنَّاهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: لَوْ رَجَعْنَا فَعَلَّمْنَا قَبْرَهُ، فَرَجَعْنَا فَإِذَا لَا قَبْرَ وَلَا أَثَرَ. (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ)

۞ **دُعَاءُ أُوَيْسٍ الْقَرَنِيِّ ﷺ:**

«مَوْلَايَ، إِلَهِي أَنْتَ الرَّبُ وَأَنَا الْعَبْدُ، وَهَل يَرْحَمُ الْعَبْدَ إِلَّا الرَّبُّ. مَوْلَايَ، إِلَهِي أَنْتَ الْقَوِيُّ وَأَنَا الضَّعِيفُ، وَهَلْ يَرْحَمُ الضَّعِيفَ إِلَّا الْقَوِيُّ. مَوْلَايَ مَوْلَايْ، إِلَهِي، أَنْتَ الْمَالِكُ وَأَنَا الْمَمْلُوكُ وَهَل يَرْحَمُ الْمَمْلُوكَ إِلَّا الْمَالِكُ. مَوْلَايَ مَوْلَاي، إِلَهِي أَنْتَ الْعَزِيزُ وَأَنَا الذَّلِيلُ، وَهَلْ

يَرْحَمُ الذَّلِيلَ إِلَّا الْعَزِيزُ. مَوْلَايَ مَوْلَايَ، إِلَهِي أَنْتَ الرَّزَّاقُ وَأَنَا الْمَرْزُوقُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَرْزُوقَ إِلَّا الرَّزَّاقُ. مَوْلَايَ مَوْلَايَ، إِلَهِي أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ، وَأَنَا الْمُذْنِبُ الْمُسِيءُ، وَهَلْ يُغْفِرُ لِلْمُسِيءِ إِلَّا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. إِلَهِي الْأَمَانَ الْأَمَانَ فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ، وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ. إِلَهِي الْأَمَانَ الْأَمَانَ يَوْمَ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] .. إِلَهِي الْأَمَانَ الْأَمَانَ: يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ. إِلَهِي الْأَمَانَ الْأَمَانَ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[2]. إِلَهِي الْأَمَانَ الْأَمَانَ: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[3].

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رضي الله عنه

۞ أُمُّهُ «خَيِّرَةُ» وَكَانَتْ مَوْلَاةً لِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، وَأَبُوهُ «يَسَارُ» مَوْلَىٰ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه.

۞ وَقَدْ أَرْضَعَتْهُ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها عِنْدَمَا كَانَتْ تَخْرُجُ أُمُّهُ لِقَضَاءِ حَاجَتِهَا.

۞ وَتَرَبَّىٰ عَلَىٰ يَدِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ؛ مِثْلِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَرَوَىٰ عَنْهُمْ:

۞ كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مُولَعًا بِحُبِّ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَقَدْ أَخَذَ عَنْهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، وَالزُّهْدَ فِي الْعِبَادَةِ، وَنَهَجَ عَلَىٰ مِنْوَالِهِ فِي الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ، وَأَخَذَ عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما الْفِقْهَ وَاللُّغَةَ وَالتَّفْسِيرَ وَالْحَدِيثَ، وَجَلَسَ مَجْلِسَ الْفَتْوَىٰ، فَأَفْتَىٰ وَهُوَ فِي الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ عُمْرِهِ رضي الله عنه.

۞ وَسُمِّيَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رضي الله عنه بِهَذَا الِاسْمِ؛ نِسْبَةً إِلَىٰ الْبَصْرَةِ الَّتِي رَحَلَ إِلَيْهَا مَعَ أَبَوَيْهِ، وَهُوَ فِي الرَّابِعَةَ عَشَرَ مِنْ عُمْرِهِ.

۞ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، دَخَلَ يَوْمًا مَسْجِدَ الْبَصْرَةِ، فَوَجَدَ النَّاسَ يَقُصُّونَ

(١) النمل الآية (٨٧). (٢) إبراهيم الآية (٤٨). (٣) النبأ الآية (٤٠).

فِيهِ قَصَصًا، فَسَاءَهُ ذَلِكَ، فَأَخْرَجَ الْقَصَّاصِينَ، ثُمَّ أَتَىٰ إِلَىٰ غُلَامٍ حَدَثِ السِّنِّ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي سَائِلُكَ سُؤَالاً، إِن أَجَبْتَهُ جَلَسْتَ، وَإِنْ لَمْ تُجِبْهُ خَرَجْتُ مَعَ مَنْ خَرَجَ، قَالَ: سَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ لَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رضي الله عنه: مَا فَسَادُ الدِين وَمَا صَلَاحُهُ؟ فَأَجَابَ فِي الْحَالِ: فَسَادُ الدِينِ الطَّمَعُ، وَصَلَاحُهُ الْوَرَعُ، فَسُرَّ بِهِ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ: وَقَالَ لَهُ: «**مِثْلُكَ يَصْلُحُ أَن يَجْلِسَ لِهَذَا الْمَجْلِسِ**»، فكَانَ هَذَا الغُلَامُ هُوَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ رضي الله عنه.

۞ كَانَ رضي الله عنه حَكِيمًا فَيَقُولُ فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ: **اُذْكُرِ اثْنَيْنِ، وَانْسَ اثْنَيْنِ، وَاحْمَدِ اللهَ عَلَىٰ اثْنَيْنِ؛ اُذْكُرِ اللهَ وَالْمَوْتَ، وَانْسَ إِحْسَانَكَ إِلَىٰ النَّاسِ، وَانْسَ إِسَاءَةَ النَّاسِ إِلَيْكَ، وَاحْمَدِ اللهَ عَلَىٰ اثْنَيْنِ؛ الْإِيمَانِ وَالْعَافِيَةِ.**

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه

۞ هُوَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، وَأُمُّهُ السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وُلِدَ فِي السَّنَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

۞ وَكَانَ عُرْوَةُ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْعَشَرَةِ بِالْمَدِينَةِ الَّذِينَ كَانَ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه حِينَ كَانَ رضي الله عنه وَالِيًا عَلَىٰ الْمَدِينَةِ.

۞ وَقَدْ نَالَ عُرْوَةُ رضي الله عنه مَا نَالَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ بِفَضْلِ مَا تَلَقَّاهُ مِنْ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنهم، وَمَا تَلَقَّاهُ عَنْ خَالَتِهِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها.

۞ كَانَ جَوَاداً سَخِيًّا، فَمِمَّا رُوِيَ عَنْهُ رضي الله عنه فِي جُودِهِ وَكَرَمِهِ، أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ لَهُ بُسْتَانٌ، يَضْرِبُ عَلَيْهِ سوراً طُولَ الْعَامِ، حَتَّىٰ إِذَا آنَ أَوَانُ الرُّطَبِ، هَدَمَ سُورَهُ، حَتَّىٰ يَدْخُلَ النَّاسُ وَيَأْكُلُوا مِنْهُ مَا يَشْتَهُونَ، وَكَانَ رضي الله عنه كُلَّمَا دَخَلَ بِبُسْتَانِهِ يَقْرَأُ قَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[1].

(١) الكهف الآية (٣٩).

۞ وَكَانَ ﷺ قَوِيَّ الْإِيمَانِ، صَبُوراً عَلَىٰ الشَّدَائِدِ؛ فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ مَرِضَ بِرِجْلِهِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْأَطِبَّاءُ أَنْ يَبْتُرُوهَا لَهُ، فَقَالُوا: نَأْتِيكَ بِتِرْيَاقٍ (أَي: مُخَدِّرٍ)، فَقَالَ: أَنَا أَكْفِيكُمْ بِنَفْسِي عَنْ هَذَا، قَالُوا: نَأْتِيكَ بِرِجَالٍ أَشِدَّاءٍ، فَقَالَ: أَنَا أَكْفِيكُمْ بِنَفْسِي عَنْ هَؤُلَاءِ، وَصَبَرَ حَتَّىٰ بُتِرَتْ رِجْلُهُ، وَمَا أَنْ بُتِرَتْ رِجْلُهُ حَتَّىٰ أَتَاهُ الْخَبَرُ أَنَّ ابْنًا لَهُ كَانَ وَاقِفًا عَلَىٰ اصْطَبْلٍ لِلْخَيلِ، فَسَقَطَ فِي الِاصْطَبْلِ، فَدَاسَتْهُ الْخَيْلُ بِسَنَابِكِهَا فَمَاتَ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ تَوَجَّهَ إِلَىٰ رَبِّهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ، أَخَذْتَ ابْنًا وَتَرَكْتَ أَبْنَاءًا، وَأَخَذْتَ عُضْواً وَتَرَكْتَ أَعْضَاءًا، فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ ابْتَلَيْتَ فَقَدْ عَافَيْتَ**».

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ﷺ

۞ هُوَ عَالِمُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، الَّذِي تَلَقَّىٰ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الْحَدِيثَ، وَهُوَ زَوجُ ابْنَتِهِ ﷺ، وَقَدْ أَخَذَ عَنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ؛ كَعَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

۞ كَانَتْ لَهُ حَلْقَةٌ لِلْعِلْمِ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَعِنْدَمَا زَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَدِينَةَ، أَرْسَلَ غُلَامَهُ مَيْسَرَةَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ؛ لِيَأْتِيَهُ بِمُحَدِّثٍ يُحَدِّثُهُ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ لِغُلَامِهِ: «الْعِلْمُ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ وَلَا يَأْتِي».

وَفِي هَذَا مَا يَشْهَدُ بِالْعِزَّةِ لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَفِيهِ يَقُولُ الْقَائِلُ:

وَلَو أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ ... وَلَو عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعَظُمْ

۞ وَقَدْ أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَنْ يَتَشَرَّفَ بِمُصَاهَرَتِهِ، فَيُزَوِّجَ ابْنَهُ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مِن ابْنَتِهِ فَأَبَىٰ؛ خَوفًا عَلَىٰ ابْنَتِهِ أَنْ تَدْخُلَ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ بَنُو أُمَيَّةَ مِن افْتِتَانِهِمْ بِزِينَةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا، وَعَمَدَ إِلَىٰ أَحَدِ تَلَامِذَتِهِ الْفُقَهَاءِ، وَاخْتَارَهُ زَوْجًا لِابْنَتِهِ، وَكَانَ هَذَا التِلْمِيذُ هُوَ (أَبُو وَدَاعَةَ) ﷺ، أَمَّا زَوجَتُهُ فَكَانَتْ أَحْفَظَ نِسَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِلْقُرْآنِ، وَأَكْثَرَهُمْ رِوَايَةً لِلْحَدِيثِ، وَأَعْرَفَهُمْ بِحَقِّ الزَّوْجَةِ لِزَوْجِهَا، وَبَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ زَوَاجِهِمَا، زَارَهَا أَبُوهَا سَعِيدُ بْنُ

الْمُسَيَّبِ، وَدَفَعَ إِلَيْهِمَا مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ وَدَعَا لَهُمَا وَانْصَرَفَ.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه

۞ هُوَ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الزَّاهِدُ الْعَابِدُ، نَشَأَ وَتُرَبَّىٰ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، حَيثُ تَلَقَّىٰ الْعِلْمَ عَلَىٰ كِبَارِ الصَّحَابَةِ وَعَلَىٰ الْأَخَصِّ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، وَقَدِ انْتَقَلَ رضي الله عنه إِلَىٰ الْكُوفَةِ؛ لِنَشْرِ مَا تَلَقَّاهُ مِنَ الْعِلْمِ، وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ عَامٍ عُمْرَةٌ يَخْرُجُ إِلَيْهَا فِي شَهْرِ رَجَبٍ، أَمَّا عَنْ حَجِّهِ؛ فَكَانَ يَحُجُّ فِي كُلِّ عَامَيْنِ حَجَّةً، يَخْرُجُ إِلَيْهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ.

۞ كَانَ سَعِيدُ بْنُ جَبِيرٍ رضي الله عنه مِمَّنْ قَتَلَهُمُ الْحُجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ، وَقَدْ أَلْقَىٰ اللهُ الرُّعْبَ وَالْفَزَعَ فِي قَلْبِ الْحَجَّاجِ بَعْدَ قَتْلِهِ، فَمَاتَ الْحَجَّاجُ بَعْدَهُ بِخَمْسَ عَشَرَةَ لَيْلَةً، فَلَمَّا مَاتَ رَآهُ الْبَعْضُ فِي الرُّؤْيَا، فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: قَتَلَنِي بِكُلِّ امْرِئٍ قَتَلْتُهُ قَتْلَةً، وَقَتَلَنِي بِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ سَبْعِينَ قَتْلَةً.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ الْأَزْدِيِّ رضي الله عنه

۞ كَانَ رضي الله عنه يُلَقَّبُ بِـ «**زَيْنِ الْفُقَهَاءِ، وَعَابِدِ الْبَصْرَةِ**»، وَكَانَ رضي الله عنه مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَمَا شَارَكَ فِي غَزْوَةٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ إِلَّا كَانَ النَّصْرُ بِإِذْنِ اللهِ، حَتَّىٰ قَالَ فِيهِ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ قَائِدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ: «إِنَّ إِصْبَعَ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ الْأُزْدِيِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ (سَيْفٍ شَهِيرٍ) يَحْمِلُهَا أَلْفُ شَابٍّ». وَكَانَ هَذَا فِي فَتْحِ بُخَارَىٰ.

۞ وَرُوِيَ فِي زُهْدِهِ، أَنَّهُ شَارَكَ فِي فَتْحِ «جُرْجَانَ» وَ«طُبُرْسْتَانَ»، وَكَانَ مَعَ ضَعْفِ بَدَنِهِ يُرِيدُ أَنْ يُبَارِزَ أَقْوَىٰ فُرْسَانِ الْعَدُوِّ، فَأَشْفَقُوا عَلَيْهِ، وَكَانَ النَّصْرُ بِإِذْنِ اللهِ، وَلَمَّا ظَفَرَ قَائِدُ الْجَيْشِ بِغَنَائِمِ الْعَدُوِّ، أَرَادَ "يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ" قَائِدُ الْجَيشِ أَنْ يُعْطِيَهُ تَاجَ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِهِمْ، فَأَبَىٰ أَنْ يَأْخُذَ، فَأَقْسَمُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ، فَأَخَذَهُ وَتَصَدَّقَ بِهِ.

۞ كَانَ زَاهِداً فِي الْجَاهِ وَمَا فِيهِ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا؛ فَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهِ وَالِي الْبَصْرَةِ مَنْصِبَ

الْقَضَاءِ فَأَبَىٰ، فَقَالَ لَهُ الْوَالِي: أَجْلِدُكَ ثَلَاثُمِائَةَ جَلْدَةً، فَقَالَ رضي الله عنه: «مُعَذَّبٌ فِي الدُّنْيَا، خَيرٌ مِنْ مُعَذَّبٍ فِي الْآخِرَةِ»، فَاسْتَحْيَا مِنْهُ الْوَالِي وَانْصَرَفَ.

۞ كَانَ رضي الله عنه إِذَا عَرَضَتْ لَهُ حَاجَةٌ عِنْدَ أَمِيرٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ، ذَهَبَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّا قَدْ رَفَعْنَا حَاجَتَنَا إِلَىٰ اللهِ، فَإِنْ قَضَاهَا اللهُ عَلَىٰ يَدِيْكَ، حَمِدْنَا اللهَ وَشَكَرْنَاكَ، وَإِنْ لَمْ يَقْضِهَا عَلَىٰ يَدَيْكَ، حَمِدْنَا اللهَ وَعَذَرْنَاكَ.

۞ سَأَلَهُ يَوْمًا وَالِي الْبَصْرَةِ، قَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَسْأَلُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ.

۞ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ رضي الله عنه يَقُولُ: «**إِذَا أَقْبَلَ الْعَبْدُ بِقَلْبِهِ عَلَىٰ اللهِ، أَقْبَلَ اللهُ بِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ**».

۞ وَكَانَ رضي الله عنه يُكْثِرُ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ مَقَامِ سُوءٍ قُمْتُهُ، وَمِنْ كُلِّ مَقْعَدِ سُوءٍ قَعَدْتُهُ، وَمِنْ كُلِّ مَدْخَلِ سُوءٍ دَخَلْتُهُ، وَمِنْ كُلِّ مَخْرَجِ سُوءٍ خَرَجْتُهُ، وَمِنْ كُلِّ عَمَلِ سُوءٍ عَمَلْتُهُ، وَمِنْ كُلِّ قَوْلِ سُوءٍ قُلْتُهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهُ فَاغْفِرْهُ لِي**».

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بنِ الْحَنَفِيَّةِ رضي الله عنه

۞ وَالِدُهُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَأُمُّهُ خَوْلَةُ بِنْتُ جَعْفَرٍ الْحَنَفِيَّةُ، تَزَوَّجَ بِهَا سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رضي الله عنه بَعْدَ وَفَاةِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَهْرَاءِ رضي الله عنها.

۞ كَانَ مُحَبَّبًا لِأَبِيهِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَأَوْصَىٰ بِهِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رضي الله عنهما قَبْلَ وَفَاتِهِ.

۞ لَمَّا آلَ الْأَمْرُ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ، بَايَعَهُ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَكْرَهِ وَالْمَنْشَطِ؛ رَغْبَةً مِنْهُ فِي جَمْعِ الشَّمْلِ وعِزَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يُجِلُّهُ وَيَزُورُهُ فِي دِمَشْقَ أَكْثَرَ من مَرَّةٍ وَيرْجِعُ إِلَيْهِ فِي الرَّأْيِ.

۞ كَانَ ﷺ يَقُولُ: أَرْجَىٰ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[1]، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ.

۞ مِنْ أَقْوَالِهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ الْجَنَّةَ ثَمَنًا لِأَنْفُسِكُمْ، فَلَا تَبِيعُوهَا بِغَيْرِهَا**».

۞ قِيلَ لَهُ يَوْمًا: أَنْتُمْ آلُ الْبَيْتِ فَضَّلَكُمُ اللهُ بِالْعِلْمِ وَبِالْأَسْرَارِ وَكُنُوزِ الشَّرِيعَةِ، فَقَالَ: «**إِنَّا وَاللهِ مَا وَرَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا مَا بَيْنَ هَذَيْنِ اللَّوْحَيْنِ وَأَشَارَ إِلَىٰ الْمُصْحَفِ**».

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا سَيِّدِنَا عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ﷺ

۞ هُوَ ابْنُ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَهُ أَلْقَابٌ تُوحِي بِعَظِيمِ فَضْلِهِ، وَعُلُوِّ مَقَامِهِ؛ فَمِنْ أَلْقَابِهِ ﷺ: (**زَيْنُ الْعَابِدِينِ**) - (**السَّجَّادُ**) - (**الزَّكِيُّ**) وَأُمُّهُ (شَاهُ زَانٍ) بِنْتُ مَلِكِ الْفُرْسِ "يَزْدَجِرْدَ" الَّتِي أَسْلَمَتْ، وَتَزَوَّجَ بِهَا سَيِّدُنَا الْحُسَيْنُ ﷺ.

۞ وَقَدْ مَاتَتْ أُمُّهُ بَعْدَ وِلَادَتِهِ، فَأَحْسَنَتْ رِعَايَتَهُ مَوْلَاةٌ لَهُ، كَانَتْ لَهُ بِمُثَابَةِ الْأُمِّ.

۞ تَلَقَّىٰ عِلْمَهُ عَلَىٰ يَدِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ﷺ، وَكَانَ ﷺ كَثِيرَ الدُّعَاءِ وَالضَّرَاعَةِ إِلَىٰ اللهِ، فَكَانَ ﷺ إِذَا دَعَا يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اقْبَلْ مِنِّي دُعَاءَ الْغَرِيقِ الْغَرِيبِ، الَّذِي لَا يَجِدُ لِإِنْقَاذِهِ إِلَّا أَنْتَ**».

۞ وَكَانَ ﷺ كَثِيرَ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَوْمًا: لِمَ تُكْثِرُ مِنَ الْبُكَاءِ وَأَنْتَ ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَكَ شَفَاعَةُ جَدِّكَ ﷺ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَاسِعَةٌ، فَقَالَ ﷺ: أَمَا إِنَّنِي ابْنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[2]. وَأَمَّا شَفَاعَتُهُ ﷺ لِي، فَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[3]، وَأَمَّا رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَىٰ فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4].

۞ أَعْتَقَ ﷺ رَقَابًا كَثِيرَةً بَلَغَتِ الْأَلْفَ رَقَبَةٍ، وَكَانَ ﷺ يَعْتَقُ الْعَبْدَ لِمُجَرَّدِ أَنْ يَتُوبَ أَوْ

---

(١) الضحىٰ الآية (٥).
(٢) المؤمنون الآية (١٠١).
(٣) الأنبياء الآية (٢٨).
(٤) الأعراف الآية (٥٦).

يُحْسِنَ أَوْ يَأْتِيَ بِعَمَلٍ مِنَ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ.

۞ رُوِيَ عَنْهُ رضي الله عنه فِي حِلْمِهِ وَإِحْسَانِهِ، أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ خَارِجًا يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ وَسَبَّهُ فَنَظَرَ إِلَىٰ غُلَامِهِ، وَقَالَ لَهُ سَلْهُ: أَلَكَ حَاجَةٌ فَنَقْضِيَهَا عَنْكَ، قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا، فَقَالَ لَهُ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ: يَا هَذَا، إِنَّ مَا سَتَرَهُ اللهُ عَنْكَ فِينَا فَوْقَ مَا تَقُولُ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ كِسَاءَهُ، فَاسْتَحْيَا الْأَعْرَابِيُّ مِنْهُ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ ابْنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

۞ كَانَ رضي الله عنه يُحِبُّ صَدَقَةَ السِّرِّ، وَيُكْثِرُ مِنْهَا؛ فَقَدْ كَانَ رضي الله عنه يَحْمِلُ الْجِرَابَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، وَيَخْرُجُ بِهِ إِلَىٰ الْفُقَرَاءِ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ حَتَّىٰ لَا يَعْرِفَهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا غَسَّلُوهُ وَجَدُوا أَثَرَ ذَلِكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ، فَلَمَّا مَاتَ وَافْتَقَدُوا مَنْ كَانَ يَأْتِيهِم، عَرَفُوا أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِمْ بِهِ هُوَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ زَين الْعَابِدِينَ رضي الله عنهما.

۞ كَانَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ زَينُ الْعَابِدِينَ رضي الله عنهما مَا رَأَىٰ مَكْرُوبًا إِلَّا وَسَارَعَ لِتَفْرِيجِ كُرْبَتِهِ، فَقَدْ دَخَلَ يَوْمًا عَلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي مَرَضِهِ، فَوَجَدَهُ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: عَلَيَّ دَيْنٌ، قَالَ رضي الله عنه: كَمْ هُوَ؟ قَالَ: خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ، قَالَ رضي الله عنه: «هُوَ عَلَيَّ». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

۞ كَانَ مِنْ مَنَاقِبِهِ رضي الله عنه قُوَّةُ الْحُجَّةِ؛ فَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ رضي الله عنه يَوْمًا نَفَرٌ مِنَ الشِّيعَةِ، فَخَاضُوا فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رضي الله عنهم، فَقَالَ رضي الله عنه لَهُمْ: أَأَنْتُمُ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1]؟ قَالُوا: لَا، قَالَ رضي الله عنه: أَفَأَنْتُمْ مِنَ الَّذِينَ: ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2]؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]. ثُمَّ قَالَ رضي الله عنه لَهُمْ: «اُخْرُجُوا فَعَلَ اللهُ بِكُمْ». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

(١) الحشر الآية (٨). (٢) الحشر الآية (٩). (٣) الحشر الآية (١٠).

۞ كَانَ ﵁ يَحْرِصُ عَلَىٰ صَحْبَةِ أَهْلِ العِلْمِ، وَيُزَاحِمُ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَمِنْهُمُ الْعَالِمُ الْعَابِدُ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ﵁، وَيَقُولُ وَهُوَ يُزَاحِمُ فِي مَجْلِسِهِ: «**إِنَّمَا يَجْلِسُ الرَّجُلُ إِلَىٰ مَنْ يَنْفَعُهُ فِي دِينِهِ**». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا الرَّبِيعِ بْنِ الْخُثَيِّمِ الْمُضَرِيِّ ﵁

۞ يَلْتَقِي نَسَبُهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَجْدَادِهِ إِلْيَاسَ وَمُضَرَ، وَقَدْ تَلَقَّىٰ الْعِلْمَ عَلَىٰ يَدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁، وَكَانَ مِنْ كَمَالِ خُشُوعِهِ، أَنَّهُ لَا يَرْفَعُ طَرْفَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ؛ بَلْ كَانَ مُطْرِقَ الرَّأْسِ، حَتَّىٰ ظَنَّ النَّاسُ مِنْ شِدَّةِ إِطْرَاقِهِ أَنَّهُ أَعْمَىٰ.

۞ وَقَدْ أَحَبَّهُ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﵁، حَتَّىٰ أَنَّهُ كَانَ يَتَمَنَّىٰ لَوْ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيَقُولُ لَهُ: «يَا أَبَا يَزِيدَ، لَوْ رَآكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَأَحَبَّكَ»، وَكَانَ ﵁ يَقُولُ لَهُ: «**مَا رَأَيْتُكَ مَرَّةً إِلَّا ذَكَرْتَ الْمُخْبِتِينَ**».

۞ كَانَ الرَّبِيعُ يَسْمَعُ الْقُرْآنَ بِآذَانِ قَلْبِهِ، وَيُذَكِّرُ نَفْسَهُ عِنْدَ كُلِّ مَشْهَدٍ يَرَاهُ فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ بِكِتَابِ اللهِ ﷻ، فَقَدْ مَرَّ يَوْمًا فِي سُوقِ الْحَدَّادِينَ، فَهَالَهُ مَا رَأَىٰ فِيهِ مِنَ النِّيرَانِ، فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، وَتَلَا قَوْلَ اللهِ ﷻ: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾(1)، وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.

۞ وَكَانَ ﵁ إِذَا أَتَاهُ سَائِلٌ آثَرَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَقَدْ رُوِيَ: أَنَّ ابْنَهُ أَتَاهُ يَوْمًا بِطَعَامٍ، فَطَرَقَ بَابَهُ سَائِلٌ، فَأَمَرَ ابْنَهُ أَنْ يَدْفَعَ الطَّعَامَ كُلَّهُ لِلسَّائِلِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: كُنَّا نَشْتَهِي أَنْ نَأْكُلَ مِنْهُ، فَتَلَا قَوْلَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾(2).

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ ﵁

۞ يَنْتَمِي أَبُو مُسْلِمٍ إِلَىٰ بِلَادِ الْيَمَنِ، وَكَانَ ﵁ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَرُوِيَ أَنَّ الْمَطَرَ انْقَطَعَ فِي

---

(1) الفرقان الآيتان (١٢، ١٣).
(2) آل عمران الآية (٩٢).

عَهْدِ مُعَاوِيَةَ، فَاسْتَسْقَوْا بِهِ، فَدَعَا اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُنْزِلَ الْغَيْثَ عَلَيْهِمْ، وَمَا أَنْ أَتَمَّ دَعْوَتَهُ حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْغَيْثَ.

۞ وَكَانَ رضي الله عنه لَا يُجَالِسُ مَنْ يُكْثِرُ مِنَ الْكَلَامِ فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا تَكَلَّمَ عِنْدَهُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا تَحَوَّلَ عَنْهُ.

۞ وَقَدِ اخْتَصَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِكَرَامَةِ الْأَوْلِيَاءِ، فَرُوِيَ عَنْهُ: أَنَّهُ تَصَدَّىٰ لِفِتْنَةِ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ الَّذِي ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ، وَلَمَّا سَأَلَهُ الْأَسْوَدُ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ أَضْرَمَ لَهُ نَاراً؛ لِيَرْجِعَ عَنْ دِينِ اللهِ، فَأَبَىٰ وَأَطْفَأَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَنَجَّاهُ مِنْهَا، ثُمَّ قَفَلَ رَاجِعًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فِي خِلَافَةِ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، حَيْثُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ، وَصَلَّىٰ فِي الرَّوْضَةِ رَكْعَتَيْنِ، فَلَقِيَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ، فَقَصَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ، فَقَبَّلَهُ سَيِّدُنَا عُمَرُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ، وَاصْطَحَبَهُ مَعَهُ إِلَىٰ خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، فَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَأَجْلَسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَيِّدِنَا عُمَرَ رضي الله عنه الَّذِي قَالَ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَشْهَدَنِي فِي أُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ فُعِلَ بِهِ كَمَا فُعِلَ بِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ**».

أَمَّا الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ فَقَدْ قُتِلَ، وَأَخْمَدَ اللهُ نَارَ الْفِتْنَةِ الَّتِي أَجَّجَهَا، وَعَادَ أَصْحَابُهُ إِلَىٰ دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا.

۞ وَهَكَذَا نَشْهَدُ ثَمَرَةَ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ فِي هَذَا التَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ (أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ) رضي الله عنه الَّذِي أَحَقَّ اللهُ بِهِ الْحَقَّ، وَأَبْطَلَ الْبَاطِلَ، فَلَحِقَ بِالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، الَّذِينَ أَثْنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾(1).

❀❀❀❀❀

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ رضي الله عنه

۞ نَشَأَ رضي الله عنه فِي صِغَرِهِ مَمْلُوكًا لِامْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَكَانَ غُلَامًا حَبَشِيًّا، وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَىٰ

---

(1) الأحزاب الآية (٢٣).

تَلَقِّي الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ الْأَجِلَّاءِ: أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

۞ وَلَمَّا رَأَتْ سَيِّدَتُهُ مَا رَأَتْ مِنْ إِقْبَالِهِ عَلَىٰ الْعِلْمِ أَعْتَقَتْهُ حُرًّا لِوَجْهِ اللهِ، وَرُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما خَرَجَ إِلَىٰ مَكَّةَ مُعْتَمِرًا، فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ أَهْلُ مَكَّةَ يَسْأَلُونَهُ، فَقَالَ: إِنِّي عَجِبْتُ لَكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ؛ تَسْأَلُونَنِي وَفِيكُمْ (عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ).

۞ وَقَدْ رُوِيَ فِي فَضْلِهِ، أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ النُّعْمَانَ حَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ، فَقَالَ: خَرَجْتُ حَاجًّا إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، فَأَخْطَأْتُ فِي خَمْسِ مَسَائِلَ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ تَعَلَّمْتُهَا مِنْ حَجَّامٍ، وَذَلِكَ أَنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَتَحَلَّلَ مِنَ الْإِحْرَامِ، فَأَتَيْتُ حَلَّاقًا وَقُلْتُ: بِكَمْ تَحْلِقُ الرَّأْسَ؟ فَقَالَ: هَدَاكَ اللهُ، النُّسُكُ لَا يُشَارَطُ فِيهِ، وَأَعْطِ مَا تَيَسَّرَ لَكَ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: فَخَجِلْتُ وَجَلَسْتُ مُنْحَرِفًا عَنِ الْقِبْلَةِ، فَقَالَ الْحَلَّاقُ: اِسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، فَفَعَلْتُ وَاسْتَقْبَلْتُ الْقِبْلَةَ، وَازْدَدْتُ خَجَلًا عَلَىٰ خَجَلِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ رَأْسِي مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ، فَقَالَ: أَدِرْ شِقَّكَ الْأَيْمَنَ، وَجَعَلَ يَحْلِقُ رَأْسِي وَأَنَا صَامِتٌ، فَقَالَ: مَالِي أَرَاكَ سَاكِتًا؟ كَبِّرْ، فَجَعَلْتُ أُكَبِّرُ حَتَّىٰ قُمْتُ لِأَذْهَبَ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَىٰ رَحْلِي، فَقَالَ: صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ امْضِ إِلَىٰ حَيْثُ تَشَاءُ، فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَقُلْتُ لَهُ: مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَذَا الْعِلْمِ؟ قَالَ: رَأَيْتُ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ يَفْعَلُهُ، فَأَخَذْتُهُ عَنْهُ، وَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ النَّاسَ.

۞ كَانَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ رضي الله عنه زَاهِدًا؛ لَا يَلْبَسُ إِلَّا قَمِيصًا لَا يَزِيدُ عَلَىٰ خَمْسَةِ دَرَاهِمَ، وَكَانَ رضي الله عنه يُخْلِصُ النَّصِيحَةَ لِأُولِي الْأَمْرِ فِي لِينٍ وَرَحْمَةٍ وَرِفْقٍ، فَقَدْ تَشَفَّعَ لِأَهْلِ الْحَرَمَيْنِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَ: «**اتَّقِ اللهَ فِي نَفْسِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ خُلِقْتَ وَحْدَكَ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ، وَتُحْشَرُ وَحْدَكَ، وَتُحَاسَبُ وَحْدَكَ .. وَلَا وَاللهِ مَا مَعَكَ مِمَّنْ تَرَىٰ أَحَدٌ**»، فَأَكَبَّ هِشَامٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ يَبْكِي، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنْ قِبَلِ الْأَمِيرِ بِكِيسٍ مِنَ الْمَالِ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

(1) الشعراء الآية (١٠٩).

مَناقِبُ سَيِّدِنا عُمَرَ بن عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه

۞ هُوَ الْخَلِيفَةُ الْعَادِلُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، جَدُّهُ لِأُمِّهِ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ أَنَّهُ خَامِسُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ أَوْصَىٰ بِاتِّبَاعِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَيْثُ يَقُولُ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ».

(رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ تَرَبَّىٰ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه عَلَىٰ يَدَيْ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ، فَقَدْ بَلَغَ عَدَدُ شُيُوخِهِ الَّذِينَ تَلَقَّىٰ عَنْهُمْ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ؛ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِنَ التَّابِعِينَ. (مُسْنَدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ)

۞ سَارَ رضي الله عنه فِي خِلَافَتِهِ عَلَىٰ مَا سَارَ عَلَيْهِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأَرْبَعَةُ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

۞ فَقَدْ كَانَ رضي الله عنه زَاهِدًا، تَقِيًّا، وَرِعًا، عَادِلًا فِي حُكْمِهِ، أَتَتْهُ الدُّنْيَا رَاغِمَةً، فَأَعْرَضَ عَنْ زِينَتِهَا وَزُخْرُفِهَا.

۞ وَمِمَّا رُوِيَ عَنْهُ رضي الله عنه فِي زُهْدِهِ: أَنَّهُ لَمَّا تَوَلَّىٰ الْخِلَافَةَ أَتَوْا إِلَيْهِ بِمَرَاكِبِ الْخِلَافَةِ الَّتِي أُعِدَّتْ لَهُ لِيَرْكَبَهَا، فَقَالَ رضي الله عنه: مَالِي وَلَهَا؟ نَحُّوهَا عَنِّي، بَارَكَ اللهُ عَلَيْكُمْ، وَقَرِّبُوا لِي بَغْلَتِي؛ فَإِنَّ لِي فِيهَا بَلَاغًا، وَمَا كَادَ يَسْتَوِي عَلَىٰ بَغْلَتِهِ، حَتَّىٰ جَاءَهُ صَاحِبُ الشُّرْطَةِ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَعَهُ ثُلَّةٌ مِنْ رِجَالِهِ اصْطَفُّوا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حِرَابُهُمُ اللَّامِعَةُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ سَيِّدُنَا عُمَرُ، وَقَالَ لِصَاحِبِ الشُّرْطَةِ وَمَنْ مَعَهُ: مَالِي بِكَ وَبِهِمْ مِنْ حَاجَةٍ، مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

۞ كَانَ رضي الله عنه كَثِيرَ التَّفْكِيرِ فِي الْقِيَامَةِ وَالْمَآلِ، فَقَدْ بَكَىٰ يَوْمًا، فَبَكَتْ لِبُكَائِهِ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَبَكَىٰ كُلُّ أَهْلِ الدَّارِ، فَسَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ: مِمَّ تَبْكِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ رضي الله عنه: يَا فَاطِمَةُ، ذَكَرْتُ انْصِرَافَ الْقَوْمِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ، ثُمَّ صَرَخَ صَرْخَةً وَأُغْشِيَ عَلَيْهِ. (ابْنُ الْجَوْزِيِّ)

۞ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ رحمه الله يَجْمَعُ كُلَّ لَيْلَةٍ الْفُقَهَاءَ؛ يَتَذَاكَرُونَ الْمَوْتَ وَالْقِيَامَةَ وَالْآخِرَةَ، ثُمَّ يَبْكُونَ حَتَّىٰ كَأَنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ جَنَازَةً. (ابْنُ الْجَوْزِيِّ)

۞ كَانَ رحمه الله يَسِيرُ فِي قَضَائِهِ بَيْنَ النَّاسِ عَلَىٰ مَبْدَإٍ يَتَحَرَّىٰ فِيهِ الْعَدْلَ وَالْخَشْيَةَ مِنَ اللهِ عز وجل، وَهُوَ مَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ: «**ادْرَءُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ**»، وَيَقُولُ رحمه الله: «**لَأَنْ أَلْقَىٰ اللهَ بِجِنَايَاتِهِمْ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَلْقَاهُ بِدِمَائِهِمْ**».

۞ كَانَ رحمه الله يَعُدُّ الْوِلَايَةَ بَلَاءً مِنَ اللهِ ابْتَلَاهُ بِهَا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمه الله: لَمَّا وُلِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخِلَافَةَ، دَعَا سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ، وَرَجَاءَ بْنَ حَيْوَةَ، فَقَالَ رحمه الله: «إِنِّي قَدِ ابْتُلِيتُ بِهَذَا الْأَمْرِ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ». (ابْنُ الْجَوْزِيِّ)

۞ وَمِنَ الْمَأْثُورِ عَنْهُ فِي تَوَاضُعِهِ رحمه الله، أَنَّ السِّرَاجَ انْطَفَأَ يَوْمًا فِي مَجْلِسِهِ، فَقَامَ وَأَصْلَحَهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ مَكَانِهِ، فَقَالَ جُلَسَاؤُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كُنَّا نَكْفِيكَ هَذَا، قَالَ رحمه الله: وَمَا يَضِيرُنِي؟ قُمْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَرَجَعْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

۞ سَارَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله عَلَىٰ مَا أَسْدَاهُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ مِنْ حُسْنِ الْمَشُورَةِ فِي أَمْرِ خِلَافَتِهِ؛ فَقَدْ سَأَلَ يَوْمًا مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ عَنِ الْعَدْلِ، وَقَالَ لَهُ: «صِفْ لِيَ الْعَدْلَ»، فَقَالَ: سَأَلْتَ عَنْ أَمْرٍ حَسَنٍ: كُنْ لِصَغِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبًا، وَلِكَبِيرِهِمْ ابْنًا، وَلِلْمِثْلِ مِنْهُمْ أَخًا، وَعَاقِبِ النَّاسَ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ عَلَىٰ قَدْرِ أَجْسَامِهِمْ، وَلَا تَضْرِبَنَّ لِغَضَبِكَ سَوْطًا وَاحِدًا فَتَتَعَدَّىٰ، فَتَكُونَ عِنْدَ اللهِ عز وجل مِنَ الْعَادِينَ. (ابْنُ الْجَوْزِيِّ)

۞ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قِيلَ لَهُ: تَتْرُكُ أَوْلَادَكَ هَكَذَا، وَلَا دِرْهَمَ لَهُمْ وَلَا دِينَارَ، فَقَالَ: أَقْعِدُونِي فَأَجْلَسُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَإِنِّي وَاللهِ لَمْ أَمْنَعْهُمْ حَقًّا لَهُمْ، وَلَمْ أَكِلْهُم إِلَىٰ حَقِّ غَيْرِهِمْ، فَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ طَائِعًا كَفَاهُ اللهُ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ عَاصِيًا، فَلَا أُبَالِي مَا اللهُ فَاعِلٌ بِهِ.

۞ كَانَ لِعُمَرَ بْنِ الْعَزِيزِ رحمه الله الْفَضْلُ فِي تَدْوِينِ السُّنَّةِ، فَقَدْ كَتَبَ إِلَىٰ الْعُلَمَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ بِأَنْ يَقُومُوا بِتَدْوِينِ السُّنَّةِ، فَيَجْمَعَ كُلُّ عَالِمٍ مَا عِنْدَهُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا سَمِعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، قَائِلًا لَهُمْ: انْظُرُوا حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاجْمَعُوهُ وَاحْفَظُوهُ؛

فَإِنِّي أَخَافُ ذَهَابَ الْعُلَمَاءِ.

۞ وَقَدْ وَضَعَ لَهُمْ مِنْهَاجاً فِي تَدْوِينِ السُّنَّةِ يَقُومُ عَلَىٰ حُسْنِ اخْتِيَارِهِ لِلْقَائِمِينَ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الصَّحِيحِ مِنَ السَّقِيمِ، وَالتَّثَبُّتِ مِنْ صِحَّةِ الْحَدِيثِ، وكَانَتْ ثَمْرَةُ هَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ مَا جَمَعَهُ الْإِمَامُ الزُّهْرِيُّ فِي دَفَاتِرِهِ، وَعَرَضَهُ عَلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه، فَأَمَرَ بِنَسْخِهَا عِدَّةَ نُسَخٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ كُلِّ بَلَدٍ دَفْتَراً مِنْهَا. (جَاءَ هَذَا فِي فَتْحِ الْبَارِي، أُصُولُ الْحَدِيثِ)

۞ لَقَدْ عَاشَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه عُمْراً قَصِيراً لَا يَتَجَاوَزُ الْأَرْبَعِينَ عَامَاً، فَقَدْ وُلِدَ فِي عَامِ ٦١ هـ - وَتُوُفِّيَ عَامَ ١٠١هـ، وَمَعَ هَذَا الْعُمْرِ الْقَصِيرِ، كَانَتْ حَيَاتُهُ حَافِلَةً وَعَامِرَةً بِفَضَائِلَ مُتَعَدِّدَةٍ؛ تَتَمَثَّلُ فِي الرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ وَالزُّهْدِ وَالتَّقْوَىٰ وَالْوَرَعِ وَالتَّوَاضُعِ، حَتَّىٰ قَالَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ نَجِيبَاً، وَأَنَّ نَجِيبَ بَنِي أُمَيَّةَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحِدَهُ**».

۞ لَمَّا تُوُفِّيَ رضي الله عنه عَلِمَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ بِوَفَاتِهِ بِالشَّامِ، بِرُؤْيَا صَالِحَةٍ رَآهَا أَحَدُ الصَّالِحِينَ بِالْمَغْرِبِ، فَقَدْ رَأَىٰ فِي مَنَامِهِ أَنَّ أَخَاً لَهُ كَانَ قَدِ اسْتُشْهِدَ، أَتَىٰ لِزِيَارَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي أَتَىٰ بِكَ؟ قَالَ: الْيَوْمَ تُوُفِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي جَنَازَتِهِ مِائَةَ أَلْفِ شَهِيدٍ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ جَنَازَتِهِ حَضَرْتُ لِزِيَارَتِكَ، وَأَصْبَحَ الرَّجُلُ فَقَصَّ رُؤْيَاهُ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، فَعَلِمُوا بِوَفَاتِهِ رضي الله عنه.

۞ قِيلَ لَهُ: جَزَاكَ اللهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرَاً، قَالَ رضي الله عنه: بَلْ جَزَا اللهُ الْإِسْلَامَ عَنِّي خَيْرَاً.
(الْحِلْيَةُ لِأَبِي نُعَيْمٍ)

۞ وَكَانَ مِنْ وَصَايَاهُ رضي الله عنه: «**أَيُّهَا النَّاسُ، أَصْلِحُوا سَرَائِرَكُمْ، تَصْلُحْ عَلَانِيَتُكُمْ، وَاعْمَلُوا لِآخِرَتِكُمْ، تُكْفَوْا أَمْرَ دُنْيَاكُمْ**». (الْحِلْيَةُ لِأَبِي نُعَيْمٍ)

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه

۞ هُوَ ابْنُ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، وَأُمُّهُ بِنْتُ مَلِكِ الْفُرْسِ، وَقَدْ أَدْرَكَ الْكَثِيرَ

مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ، وَأَخَذَ عَنْهُمْ، وَنَشَأَ ﵁ عَلَىٰ التُّقَىٰ وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ، وَكَانَ ﵁ فَقِيهًا عَالِمًا، لَا يُقْضَىٰ أَمْرٌ فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا بِمَشُورَتِهِ.

۞ وَمِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ: مَا رُوِيَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَجَّ فِي عَامٍ مِنَ الْأَعْوَامِ، وَبَعْدَ أَنْ صَلَّىٰ رَكْعَتَيِ الطَّوَافِ، أَقْبَلَ عَلَىٰ شَابٍّ تَنْهَمِرُ عَيْنَاهُ مِنَ الدُّمُوعِ، فَسَأَلَ عَنْهُ؟ قَالُوا: هَذَا سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَكَانَ سَالِمٌ يَتْلُو الْقُرْآنَ وَيَبْكِي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ، اِقْتَرَبَ مِنْهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: سَلْنِي حَاجَةً أَقْضِهَا إِلَيْكَ؟ فَقَالَ سَالِمٌ: إِنِّي أَسْتَحْيِي أَنْ أَكُونَ فِي بَيْتِ اللهِ، وَأَسْأَلَ غَيْرَهِ.

فَلَمَّا خَرَجَ سَالِمٌ مِنَ الْمَسْجِدِ، تَبِعَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَهُ: نَحْنُ الْآنَ خَارِجَ الْمَسْجِدِ، فَسَلْ حَاجَتَك؟ فَقَالَ سَالِمٌ: أَمِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا أَمِ الْآخِرَةِ؟ قَالَ: مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَطْلُبْ حَوَائِجَ الدُّنْيَا مِمَّنْ يَمْلِكُهَا، فَكَيْفَ أَطْلُبُهَا مِمَّنْ لَا يَمْلِكُهَا !!، فَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: مَا أَعَزَّكُمْ آلَ الْخَطَّابِ بِالزَّهَادَةِ وَالتُّقَىٰ، وَمَا أَغْنَاكُمْ بِاللهِ ﷿.

۞ وَرُوِيَ أَنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ أَمَرَهُ يَوْمًا أَنْ يَضْرِبَ رَجُلًا بَرِيئًا بِسَيْفِهِ، فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَىٰ أَبِيهِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ﵄، وَذَكَرُوا لَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ﵁: مَا كَانَ لِوَلَدِي سَالِمٍ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَىٰ مَجْلِسِ الْحَجَّاجِ، فَوَجَدُوا الرَّجُلَ الْبَرِيءَ قَدْ جِيءَ بِهِ، وَأَمَرَ الْحَجَّاجُ سَالِمَ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَاقْتَرَبَ سَالِمٌ مِنَ الرَّجُلِ وَقَالَ لَهُ: هَلْ صَلَيْتَ الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ؟ قَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ، فَرَدَّ سَالِمٌ السَّيْفَ فِي غِمْدِهِ، فَثَارَتْ ثَائِرَةُ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: رَوَيْتُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّىٰ الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ**»، وَأَنَا لَا أَضْرِبُ عُنُقَ رَجُلٍ فِي ذِمَّةِ اللهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَسْرَعَ النَّاسُ إِلَىٰ أَبِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﵁، وَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «صَدَقَتْ أُمُّهُ إِذْ سَمَتْهُ سَالِمًا».

۞ وَقَدْ تُوُفِّيَ سَالِمٌ ﵁ سَنَة ١٠٦ هـ، ودُفِنَ بِالْبَقِيعِ.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه

۞ وُلِدَ رضي الله عنه فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، وَأَبُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمُّهُ بِنْتُ يَزْدَجَرْدَ مَلِكِ الْفُرْسِ، وَهِيَ إِحْدَىٰ بَنَاتِ مَلِكِ الْفُرْسِ الثَّلَاثَةِ اللَّاتِي أَسْلَمْنَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُنَّ، حَيْثُ تَزَوَّجَتْ إِحْدَاهُمَا بِسَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَنْجَبَتْ عَلِيًّا زَيْنَ الْعَابِدِينَ، وَتَزَوَّجَتِ الثَّانِيَةُ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فَأَنْجَبَتْ سَالِمًا، وَتَزَوَّجَتِ الثَّالِثَةُ بِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَأَنْجَبَتِ الْقَاسِمَ، وَقَدْ أَخَذَ رضي الله عنه عَنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ الْفِقْهَ وَالْحَدِيثَ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَا رَوَىٰ مِنَ الْحَدِيثِ عَنْ عَمَّتِهِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها الَّتِي تَرَبَّىٰ فِي حِجْرِهَا بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهم.

۞ وَكَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْعَزِيزِ لَا يَقْضِي رَأْيًا فِي أَيَّامِ وِلَايَتِهِ أَمِيرًا عَلَىٰ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ إِلَّا بَعْدَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَإِلَىٰ صَاحِبَيْهِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَعَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ وَبَقِيَّةِ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ.

۞ وَمِمَّا يُرْوَىٰ عَنْهُ فِي حُسْنِ مَشُورَتِهِ؛ أَنَّهُ أَشَارَ عَلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه بِتَوْسِعَةِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَإِدْخَالِ بُيُوتِ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الْمَسْجِدِ، وَتَمَّ ذَلِكَ وِفْقَ مَشُورَتِهِ رضي الله عنه.

۞ وَيُرْوَىٰ عَنْهُ فِي أَدَبِهِ وَخُلُقِهِ الْكَرِيمِ رضي الله عنه؛ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ لَهُ، وَقَالَ: أَنْتَ أَعْلَمُ أَمْ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ؟ فَقَالَ: «ذَاكَ مَنْزِلُ سَالِمٍ». وَلَمْ يُزَكِّ نَفْسَهُ، وَهَذَا مِنْ أَدَبِ الْأَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ رضي الله عنهم.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه

۞ وُلِدَ رضي الله عنه بِالْيَمَامَةِ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ.

۞ لَمَّا أَرْسَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إِلَىٰ قَوْمِهِ دَاعِيًا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، كَانَ الْأَحْنَفُ حِينَئِذٍ غُلَامًا صَغِيرًا، وَلَمْ يَرَ مِنْ قَوْمِهِ اسْتِجَابَةً لِدَاعِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ رضي الله عنه لَهُمْ: «مَالِي أَرَاكُمْ تُقَدِّمُونَ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُونَ أُخْرَىٰ، وَاللهِ إِنَّ هَذَا الْوَافِدَ عَلَيْكُمْ لَوَافِدُ خَيْرٍ، وَإِنَّهُ يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ

مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ مَذَامِّهَا، وَاللهِ مَا سَمِعْنَا مِنْهُ إِلَّا حَسَنًا، فَأَجِيبُوا دَاعِيَ الْهُدَىٰ تَفُوزُوا بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، فَكَانَتْ لِهَٰذِهِ الْكَلِمَاتِ أَثَرُهَا الْفَعَّالُ فِي قَوْمِهِ، فَأَسْلَمُوا جَمِيعًا، وَأَسْلَمَ مَعَهُمُ الْأَحْنَفُ، وَذَهَبُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ؛ لِيُبَايِعُوا النَّبِيَّ ﷺ.

۞ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ**»، فَلَمَّا سَمِعَ الْأَحْنَفُ ذَلِكَ، قَالَ رضي الله عنه: «**كَلِمَةٌ هِيَ عِنْدِي خَيْرٌ مِنْ سَائِرِ عَمَلِي**».

۞ كَانَ رضي الله عنه مَضْرِبَ الْمَثَلِ فِي الْحِلْمِ، حَتَّىٰ أَنَّهُ كَانَ يُقَالُ: «فُلَانٌ فِي حِلْمِ الْأَحْنَفِ».

۞ وَمِمَّا رُوِيَ عَنْهُ فِي الْحِلْمِ؛ أَنَّ رَجُلًا يَوْمًا سَبَّهُ بِأَشَدِّ السِّبَابِ، وَالْأَحْنَفُ صَامِتٌ، فَلَمَّا رَأَىٰ الرَّجُلُ ذَلِكَ، أَخَذَ يَعَضُّ عَلَىٰ أَصَابِعِهِ وَيَقُولُ: وَاللهِ مَا مَنَعَهُ مِنْ جَوَابِي إِلَّا هَوَانِي عَلَيْهِ.

۞ وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْحِلْمُ أَنَّهُ كَانَ يُشْفِقُ عَلَىٰ مَنْ يَسُبُّهُ، وَيَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيذَاءِ؛ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ يَمْشِي يَوْمًا بِالْبَصْرَةِ بَعِيدًا عَنِ النَّاسِ، فَأَتَىٰ رَجُلٌ يَتْبَعُهُ وَيَسُبُّهُ وَهُوَ صَامِتٌ، فَلَمَّا اقْتَرَبَا مِنَ النَّاسِ، الْتَفَتَ إِلَىٰ الرَّجُلِ وَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ مِنْ كَلَامِكَ فَضْلَةٌ فَقُلْهَا الْآنَ قَبْلَ أَنْ تَقْدَمَ عَلَىٰ قَوْمِي؛ فَإِنَّهُم إِذَا سَمِعُوا مَا تَقُولُ أَصَابَكَ مِنْهُمْ أَذَىٰ.

۞ كَانَ الْأَحْنَفُ ذَا خَشْيَةٍ وَرَهْبَةٍ مِنَ اللهِ، فَكَانَ رضي الله عنه إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ الْمِصْبَاحِ يُذَكِّرُ نَفْسَهُ بِنَارِ الْآخِرَةِ، وَيَقُولُ: وَيْحَكَ يَا أَحْنَفُ إِنْ كُنْتَ لَا تُطِيقُ الْيَوْمَ لَهَبَ الْمِصْبَاحِ وَلَا تَصْبِرُ عَلَىٰ حَرِّهِ، فَكَيْفَ تُطِيقُ لَهَبَ جَهَنَّمَ؟ اللَّهُمَّ إِنْ تَغْفِرْ لِي؛ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذَاكَ، وَإِنْ تُعَذِّبْنِي؛ فَأَنَا أَهْلٌ لِذَاكَ.

۞ وَكَانَ رضي الله عنه صَوَّامًا قَوَّامًا زَاهِدًا، فَقَدْ جَمَعَ اللهُ لَهُ بِذَلِكَ فَضْلَ الْعِبَادَةِ وَالْخَشْيَةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ الْإِمَامِ الشَّعْبِيِّ رضي الله عنه

۞ وُلِدَ رضي الله عنه بِالْكُوفَةِ لِسِتِّ سَنَوَاتٍ خَلَتْ مِنْ خِلَافَةِ الْفَارُوقِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه،

(١) الحديد الآية (٢١).

وَتَلَقَّىٰ الْعِلْمَ عَلَىٰ يَدِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ﷺ؛ كَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدِ اللهِ بن عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، وَزَيْدِ بنِ ثَابِتٍ وَغَيْرِهِمْ.

۞ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَوْمًا، فَقَالَ لِلرَّجُلِ: لَا تَطْرِينَا بِمَا لَيْسَ فِينَا، فَلَا أَنَا فَقِيهٌ وَلَا عَالِمٌ؛ فَإِنَّ الْفَقِيهَ مَنْ تَوَرَّعَ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَالْعَالِمَ مَنْ يَخْشَىٰ اللهَ.

۞ كَانَ مِنَ الْخِصَالِ الَّتِي تَحَلَّىٰ ﷺ بِهَا الْحِلْمُ؛ فَقَدْ سَبَّهُ رَجُلٌ يَوْمًا، فَقَالَ ﷺ: يَا هَذَا إِنْ كُنْتَ صَادِقًا؛ غَفَرَ اللهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا غَفَرَ اللهُ لَكَ.

۞ كَانَ ﷺ يُوصِي بِمُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ، وَيَقُولُ: «جَالِسُوا الْعُلَمَاءَ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ أَحْسَنْتُمْ حَمَدُوكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُم تَأَوَّلُوا لَكُمْ وَعَذَرُوكُم، وَإِنْ أَخْطَأْتُمْ لَمْ يُعَنِّفُوكُمْ، وَإِنْ جَهِلْتُمْ عَلَّمُوكُمْ، وَإِنْ شَهِدُوا لَكُمْ نَفَعُوكُم».

۞ عَاشَ ﷺ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، فَقَالَ: كَانَ الشَّعْبِيُّ وَاسِعَ الْعِلْمِ، عَظِيمَ الْحِلْمِ، وَإِنَّهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمَكَانٍ.

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ﷺ

۞ وُلِدَ ﷺ فِي السَّنَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ مِنْ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ ﷺ، وَقَدْ أَخَذَ ﷺ عَنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَشَاعَ فَضْلُهُ وَعِلْمُهُ الَّذِي تَزَيَّنَ بِالتَّوَاضُعِ، فَقَدْ سُئِلَ ﷺ يَوْمًا عَنْ فُتْيَا فَأَحْسَنَ الْإِجَابَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَحْسَنْتَ الْفُتْيَا، فَقَالَ: كَانَتِ الصَّحَابَةُ تُحْسِنُ الْفُتْيَا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، وَلَوْ أَرَدْنَا فِقْهَهُمْ لَمَا أَدْرَكَتْهُ عُقُولُنَا.

۞ وَقَدْ تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْهِ بِتَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، حَيْثُ افْتَتَحَ حَيَاتَهُ بِرُؤْيَا، وَخَتَمَ حَيَاتَهُ كَذَلِكَ بِرُؤْيَا؛ **فَأَمَّا الرُّؤْيَا الَّتِي افْتَتَحَ بِهَا حَيَاتَهُ فَيَقُولُ ﷺ فِيهَا:** رَأَيْتُ فِي نَوْمِي كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَامِعَ، فَإِذَا أَنَا بِمَشَايِخَ ثَلَاثٍ، وَبِجِوَارِهِمْ شَابٌّ جَمِيلُ الصُّورَةِ، حَسَنُ الْوَجْهِ، فَقُلْتُ لِلشَّابِ: مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللهُ؟ قَالَ: أَنَا يُوسُفُ، قُلْتُ: فَهَؤُلَاءِ الْمَشَايِخُ؟ قَالَ: آبَائِي إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ، فَقُلْتُ لَهُ: عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ؟ قَالَ: فَفَتَحَ فَاهُ، فَقَالَ: أُنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ؟ فَقُلْتُ: أَرَىٰ لِسَانَكَ،

ثُمَّ فَتحَ فاهُ، فَقَالَ: أُنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ؟ فَقُلْتُ: أَرَىٰ لَهَاتَكَ، ثُمَّ فَتحَ فَاهُ، وَقَالَ: أُنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ؟ قُلْتُ: أَرَىٰ قَلْبَكَ، فَقَالَ: عَبِّرْ وَلَا تَخَفْ، فَأَصْبَحْتُ وَمَا قُصَّتْ عَلَيَّ رُؤْيَا، إِلَّا وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا فِي كَفِّي.

۞ **وَأَمَّا الرُّؤْيَا الَّتِي خَتَمَ بِهَا حَيَاتَهُ**؛ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ لَهُ وَهُوَ يَتَنَاوَلُ طَعَامَهُ، فَقَالَتْ: «رَأَيْتُ كَأَنَّ الْقَمَرَ دَخَلَ فِي الثُّرَيَّا، وَمُنَادٍ يُنَادِي: أَنِ ائْتِ ابْنَ سِيرِينَ فَقُصِّي عَلَيْهِ رُؤْيَاكِ»، فَقَبَضَ يَدَهُ عَنِ الطَّعَامِ وَقَالَ لَهَا: وَيْحَكِ كَيْفَ رَأَيْتِ؟ فَأَعَادَتْ عَلَيْهِ، فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ، فَسَأَلَتْهُ أُخْتُهُ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ تَقُولُ: إِنِّي مَيِّتٌ إِلَىٰ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ.

۞ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا سَأَلَهُ عَنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا يَقُولُ: اِتَّقِ اللهَ فِي الْيَقَظَةِ، وَلَا يَضُرُّكَ مَا رَأَيْتَ فِي الْمَنَامِ.

۞ وَمِنْ أَقْوَالِهِ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ**».

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رضي الله عنه

۞ كَانَ يُلَقَّبُ بِـ (أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) فِي الْحَدِيثِ؛ لِكَثْرَةِ رِوَايَتِهِ، فَقَدْ قَالَ فِيهِ الْأَشْجَعِيُّ: كَتَبْتُ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ثَلَاثِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ. وَمَعَ هَذَا كَانَ يَقُولُ: لَيْسَ طَلَبُ الْعِلْمِ رَوَىٰ فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ، إِنَّمَا طَلَبُ الْعِلْمِ الْخَشْيَةُ مِنَ اللهِ، وَمَثَلُ الْعَالِمِ مَثَلُ الطَّبِيبِ؛ لَا يَضَعُ الدَّوَاءَ إِلَّا عَلَىٰ مَوْضِعِ الدَّاءِ.

وَمِنْ أَقْوَالِهِ رضي الله عنه **:**

۞ **كَفَىٰ بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَىٰ اللهَ، وَكَفَىٰ بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بِعَمَلِهِ، وَكَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهَ ثُمَّ يَعُودَ إِلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ.**

۞ **الصُّمْتُ زَيْنُ الْعَالِمِ، وَسَتْرُ الْجَاهِلِ.**

۞ كَتَبَ لِعَبْدِ اللهِ بنِ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: **ثَبِّتْ عِلْمَكَ، وَاحْذَرِ الشُّهْرَةَ.**

۞ كَانَ رضي الله عنه مُحِبًّا لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَسَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَيَقُولُ فِيهِمَا: **لَا**

يَجْتَمِعُ حُبُّ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ إِلَّا عَلَىٰ نُبَلَاءِ الرِّجَالِ.

۞ وَكَانَ الْخَلِيفَةُ الْمَهْدِيُّ الْعَبَّاسِيُّ يَقُولُ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: **اِصْحَبْنِي حَتَّىٰ أَسِيرَ فِيكُمْ سَيْرَ الْعُمَرَيْنِ: عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.**

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ الْإِمَامِ الْأَوْزَاعِيِّ رضي الله عنه

۞ كَانَ رضي الله عنه مِنْ أَئِمَّةِ الْمُحَدِّثِينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ غَيُوراً عَلَىٰ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ مَرَّ عَلَيْهِ يَوْمًا رَجُلٌ، وَالْأَوْزَاعِيُّ رضي الله عنه يُحدِّثُ وَحَوْلَهُ فِي مَجْلِسِهِ الْأُلُوفُ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا شَهِدْتُ هَذَا الْمَجْلِسَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، فَغَضِبَ لِمَقُولَةِ الرَّجُلِ، وَعزَمَ عَلَىٰ أَلَّا يَعُودَ إِلَىٰ مَجْلِسِهِ هَذَا بَعْدَ الْيَوْمِ؛ غَيْرَةً مِنْهُ عَلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

۞ وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: **لَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْقَوْلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْقَوْلُ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ إِلَّا بِالنِّيَّةِ الْمُوَافِقَةِ لِلسُّنَّةِ.**

۞ وَكَانَ رضي الله عنه خَاشِعًا حَتَّىٰ قِيلَ: كَأَنَّهُ أَعْمَىٰ مِنَ الْخُشُوعِ.

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا عَبْدِ الْوَاحِدِ بن زَيدٍ رضي الله عنه

۞ كَانَ رضي الله عنه وَاعِظًا بَلِيغًا يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ إِذَا حَدَّثَ، فَقَدْ رُوِيَ: أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ جَالِسًا يَوْمًا لِلْوَعْظِ، فَقَالَ رَجُلٌ: كُفَّ عَنِّي؛ فَقَدْ كَشَفْتَ قِنَاعَ قَلْبِي، فَاسْتَمَرَّ رضي الله عنه فِي وَعْظِهِ، وَالرَّجُلُ يَقُولُ لَهُ: كُفَّ عَنِّي؛ فَقَدْ كَشَفْتَ قِنَاعَ قَلْبِي، فَمَا زَالَ يَعِظُ وَالرَّجُلِ يَقُولُ مَقَالَتَهُ حَتَّىٰ شَهِقَ شَهْقَةً فَمَاتَ.

۞ وَمِنْ أَقْوَالِهِ رضي الله عنه: **الرِّضَا بَابُ اللهِ الْأَعْظَمُ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا، وَمُسْتَرَاحُ الْعَابِدِينَ.**

۞ وَقَدْ أَصَابَهُ الْفَالَجُ (الشَّلَلُ) فِي آخِرِ أَيَّامِهِ، فَدَعَا اللهَ أَنْ يَفُكَّ أَعْضَاءَهُ عِنْدَ الْوُضُوءِ لِلصَّلَاةِ، فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ، فَكَانَ رضي الله عنه إِذَا قَامَ فَتَوَضَّأَ أَطْلَقَ اللهُ أَعْضَاءَهُ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ وُضُوئِهِ وَصَلَاتِهِ عَادَ لِمَرَضِهِ كَمَا كَانَ.

۞ كَانَ ﷺ يَقُولُ: رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَبَا بِشْرِ بنَ مُسْلِمٍ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: نَجَوْنَا بِعَفْوِ اللهِ، قَالَ: قُلْتُ: فَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ؟ قَالَ: ذَاكَ فِي عِلِّيِّينَ لَا يُرَىٰ وَلَا يَرَانَا، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: فَمَا الَّذِي تَأْمُرُنَا بِهِ؟ قَالَ: **عَلَيْكُمْ بِمَجَالِسِ الذِّكْرِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِمَوْلَاكَ، وَكَفَاكَ بِهِمَا خَيْرًا.**

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ ﷺ

۞ كَانَ ﷺ تَقِيًّا وَرِعًا مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، قَالَ فِيهِ الْإِمَامُ أَبُو نُعَيْمٍ: «مَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ رَوَىٰ الْعِلْمَ الْكَثِيرَ، ثُمَّ شَغَلَتْهُ الرِّعَايَةُ عَنِ الرِّوَايَةِ».

۞ وَمِمَّا يُؤْثَرُ عَنْهُ فِي عُلُومِ الْحِكْمَةِ قَوْلُهُ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْعَمَلِ، وَأَغْلَقَ عَنْهُ بَابَ الْجَدَلِ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَ الْعَمَلِ، وَفَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْجَدَلِ».

۞ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لِزِيَارَتِهِ، حَتَّىٰ قَالَ لَهُ وَلَدُهُ: أَرَاكَ يَا أَبِي كَثِيرًا مَا تَذْهَبُ لِزِيَارَةِ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ وَلَيْسَ عِنْدَهُ مَا عِنْدَكَ مِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، عِنْدَهُ أَصْلُ الدِّينِ: الْوَرَعُ، وَتَقْوَىٰ اللهِ.

۞ وَمِنْ أَقْوَالِهِ ﷺ: «**تَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ مُعَلِّمَكَ وَأَنِيسَكَ، وَمَوضِعَ شَكْوَاكَ**».

۞ وَمِمَّا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ فِي اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ: مَا رَوَاهُ خَلِيلٌ الصَّيَّادُ، قَالَ: غَابَ ابْنِي مُحَمَّدٌ فَجَزِعَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا، فَأَتَيْتُ مَعْرُوفًا الْكَرْخِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: اِبْنِي مُحَمَّدٌ غَابَ، وَجَزِعَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْهَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَتَوَجَّهَ إِلَىٰ اللهِ بِالدُّعَاءِ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ إِنَّ السَّمَاءَ سَمَاؤُكَ، وَالْأَرْضَ أَرْضُكَ، وَمَا بَيْنَهُمَا لَكَ، فَأْتِ بِهِ»، فَمَا أَنْ أَتَمَّ دُعَاءَهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَابَ الشَّامِ فَإِذَا بِابْنِي مُحَمَّدٍ وَجَدْتُهُ قَائِمًا مُنْبَهِرًا، قَالَ: يَا أَبَتِ، كُنْتُ السَّاعَةَ بِالْأَنْبَارِ.

۞ وَمِمَّا رُوِيَ عَنْ مَعْرُوفٍ فِي فَضْلِهِ؛ أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: (عَوْنُ الدِّينِ) نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: لَا مَخْرَجَ لَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ إِلَّا أَنْ تَذْهَبَ فَتَصْحَبَ مَعْرُوفًا الْكَرْخِيَّ؛ لَعَلَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَنْفَعُكَ بِبَرَكَةِ صُحْبَتِهِ، فَإِنَّهُ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ، وَأَخَذَ عَوْنُ الدِّينِ يَسِيرُ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ حَتَّىٰ

دَخَلَ مَسْجِداً مَهْجُوراً، لَيْسَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا شَيْخاً هَرِماً أَشْرَفُ عَلَىٰ الْمَوْتِ، فَسَأَلَهُ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ، وَإِنَّ لِي مَالاً خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ خُذْهَا لَكَ، فَقَدِ اقْتَرَبَتْ مَنِيَّتِي، وَقُمْ عَلَىٰ جِهَازِي؛ فَإِنَّنِي عَلَىٰ وَشْكِ الْمَوْتِ، وَمَا لَبِثَ أَنْ أَتَمَّ كَلَامَهُ ثُمَّ شَهِقَ شَهْقَةً فَمَاتَ، وَقَامَ عَوْنُ الدِّينِ عَلَىٰ جِهَازِهِ؛ عَمَلاً بِوَصِيَّتِهِ، وَلَمَّا قَفَلَ رَاجِعاً وَمَعَهُ الدَّنَانِيرُ رَأَىٰ رَجُلاً لَا يَخْتَلِفُ فِي الشَّبَهِ عَنْ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ، فَقَالَ لَهُ هَلْ لَكَ مِنْ أَخٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ لِي أَخٌ زَاهِدٌ عَابِدٌ، اِعْتَزَلَ النَّاسَ، وَلَا أَدْرِي عَنْهُ شَيْئاً، قَالَ: مَا اسْمُهُ؟ قَالَ: مَعْرُوفٌ الْكَرْخِيُّ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ وَأَنْتَ وَرِيثُهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَتَقَاسَمَ مَعَهُ الْمَالَ، فَأَبَىٰ عَونُ الدِّينِ وَدَفَعَ لَهُ الْمَالَ كُلَّهُ، وَبَلَغَ أَمْرُ عَوْنِ الدِّينِ الْخَلِيفَةَ، فَاخْتَارَهُ أَمِيناً عَلَىٰ خَزَائِنِهِ، ثُمَّ وَزِيراً لِلْخَلِيفَةِ، وَكُلُّ هَذَا بِفَضْلِ صُحْبَةِ الزَّاهِدِ التَّقِيِّ الْعَارِفِ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ لَحَظَاتٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا حَاتِمِ الْأَصَمِّ رضي الله عنه

۞ كَانَ رضي الله عنه مِنْ خَاشِعِي الْمُصَلِّينَ، حَكِيماً زَاهِداً، مُرَاقِباً رَبَّهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، فَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ يَوْماً: كَيْفَ تُصَلِّي؟ قَالَ: أَقُومُ بِالْأَمْرِ، وَأَمْشِي بِالْخَشْيَةِ، وَأَدْخُلُ بِالنِّيَّةِ، وَأُكَبِّرُ بِالْعَظَمَةِ، وَأَقْرَأُ بِالتَّرْتِيلِ وَالتَّفَكُّرِ، وَأَرْكَعُ بِالْخُشُوعِ، وَأَسْجُدُ بِالتَّوَاضُعِ، وَأَقْعُدُ لِلتَّشَهُّدِ بِالتَّمَامِ، وَأُسَلِّمُ بِالْإِخْلَاصِ للهِ، وَأَرْجِعُ عَلَىٰ نَفْسِي بِالْخَوْفِ؛ أَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنِّي.

۞ وَمِنْ حِكَمِهِ وَوَصَايَاهُ رضي الله عنه: **تَعَاهَدْ نَفْسَكَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: إِذَا عَمِلْتَ فَاذْكُرْ نَظَرَ اللهِ إِلَيْكَ، وَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَاذْكُرْ سَمْعَ اللهِ مِنْكَ، وَإِذَا سَكَتَّ فَاذْكُرْ عِلْمَ اللهِ فِيكَ.**

۞ وَسَأَلَهُ سَائِلٌ: كَيْفَ أَنْتَ وَالدُّنْيَا يَا حَاتِمُ؟ قَالَ: عَرَفْتُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ، فَأَنَا مُسْتَرِيحٌ بِهَا: عَرَفْتُ أَنَّ رِزْقِي لَنْ يَأْخُذَهُ غَيْرِي فَأَنَا غَيْرُ مُشْتَغِلٍ بِهِ (أَيْ: غَيْرُ مَهْمُومٍ بِهِ)، وَعَرَفْتُ أَنَّ عَمَلِي لَنْ يَعْمَلَهُ غَيْرِي فَأَنَا مُشْتَغِلٌ بِهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ عَيْنَ اللهِ تَرَانِي فَأَنَا أَسْتَحْيِي مِنْهُ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، فَأَنَا مُسْتَعِدٌّ لَهُ.

❁❁❁❁❁

مناقب سيدنا إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه

۞ هُوَ زَاهِدُ خُرَاسَانَ، الَّذِي تَخَلَّىٰ عَنِ التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ وَالْمُلْكِ؛ فَقَدْ كَانَ أَبُوهُ مَلِكًا عَلَىٰ خُرَاسَانَ، وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ يَوْمًا لِيَصْطَادَ، وَكَانَ رضي الله عنه رَاكِبًا فَرَسَهُ، فَسَمِعَ هَاتِفًا يُنَادِيهِ، وَيَقُولُ: «مَا لِهَذَا خُلِقْتَ، مَا لِهَذَا وُجِدْتَ»، فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا، ثُمَّ سَمِعَ الصَّوْتَ بَعْدَ ذَلِكَ يُنَادِيهِ: «مَا لِهَذَا خُلِقْتَ، مَا لِهَذَا وُجِدْتَ»، فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا، وَفِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ سَمِعَ الصَّوْتَ يُنَادِيهِ وَيَقُولُ: «مَا لِهَذَا خُلِقْتَ مَا لِهَذَا وُجِدْتَ»، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾(١)، اتَّقِ اللهَ، وَعَلَيْكَ بِالزَّادِ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ رَجَعَ رضي الله عنه إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَتَخَلَّىٰ عَنْ فَرَسِهِ، وَجَاءَ إِلَىٰ رَاعٍ لِأَبِيهِ فَأَخَذَ جُبَّتَهُ وَكِسَاءَهُ فَلَبِسَهُ، وَتَخَلَّىٰ عَنْ ثِيَابِ الْمُلْكِ، وَخَرَجَ سَائِحًا يَلْتَمِسُ الْكَسْبَ الْحَلَالَ، وَيَطْلُبُ الْعِلْمَ، وَإِذَا اشْتَهَرَ فِي مَكَانٍ تَرَكَهُ وَهَاجَرَ إِلَىٰ مَكَانٍ آخَرَ، وَذَلِكَ زُهْدًا فِي الشُّهْرَةِ.

۞ كَانَ إِبْرَاهِيمُ رضي الله عنه مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَقَدْ رَكِبَ سَفِينَةً فِي الْبَحْرِ يَوْمًا، فَعَصَفَتِ الرِّيحُ، وَنَزَلَ بِرَاكِبِي السَّفِينَةِ هَوْلٌ شَدِيدٌ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ نَائِمًا فِي كِسَائِهِ، فَأَيْقَظُوهُ وَشَكَوْا لَهُ، فَدَعَا رَبَّهُ قَائِلًا: **«اللَّهُمَّ قَدْ أَرَيْتَنَا قُدْرَتَكَ، فَأَرِنَا عَفْوَكَ»** فَسَكَنَ الْبَحْرُ، وَنَجَا الْقَوْمُ.

(كِتَابُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْحَلِيمِ مَحْمُودٍ)

۞ وَرُوِيَ أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ وَاقِفًا يَوْمًا عَلَىٰ جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ رضي الله عنه: **لَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا قَالَ لِذَلِكَ الْجَبَلِ: «زُلْ». «لَزَالَ»، فَتَحَرَّكَ الْجَبَلُ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: إِنِّي لَمْ أَعْنِكَ. فَسَكَنَ الْجَبَلُ.**

(كِتَابُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْحَلِيمِ مَحْمُودٍ)

۞ وَرُوِيَ أَنَّهُ رضي الله عنه خَرَجَ يَوْمًا مَعَ أَصْحَابِهِ فِي سَفَرٍ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ أَسَدٌ، فَأَتَوْا إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لِلْأَسَدِ: **يَا أَبَا الْحَارِثِ، إِنْ كُنْتَ أُمِرْتَ فِينَا بِشَيْءٍ فَامْضِ لِمَا أُمِرْتَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أُمِرْتَ فِينَا بِشَيْءٍ فَتَنَحَّ عَنَّا**، فَتَنَحَّىٰ الْأَسَدُ وَهُوَ يُهَمْهِمُ وَانْصَرَفَ.

۞ وَكَانَ مِمَّا وَرَدَ عَنْهُ رضي الله عنه فِي الدُّعَاءِ: **«اللَّهُمَّ احْرُسْنَا بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَاكْنُفْنَا بِكَنَفِكَ**

---

(١) المؤمنون الآية (١١٥).

الَّذِي لَا يُرَامُ، وَارْحَمْنَا بِقُدْرَتِكَ عَلَيْنَا، فَلَا نُهْلَكَ وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا».

۞ وَرَوَىٰ فَارِسٌ النَّجَّارُ قَالَ: رَآىٰ إِبْرَاهِيمُ بنُ أَدْهَمَ يَوْمًا فِي مَنَامِهِ جِبْرِيلَ عليه السلام قَدْ نَزَلَ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَقَالَ رضي الله عنه لَهُ عليه السلام: لِمَ نَزَلْتَ إِلَىٰ الْأَرْضِ؟ قَالَ عليه السلام: لِأَكْتُبَ الْمُحِبِّينَ، قَالَ رضي الله عنه: مِثْلُ مَنْ، قَالَ عليه السلام: مِثْلُ مَالِكِ بنِ دِينَارٍ، وَثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، وَأَيُّوبَ السِّخْتِيَانِيِّ، وَعَدَّ جَمَاعَاتٍ لَيْسَ فِيهِمْ اسْمُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ، فَإِذَا كَتَبْتَهُمْ فَاكْتُبْنِي تَحْتَهُمْ مُحِبًّا لِلْمُحِبِّينَ، فَنَزَلَ الْوَحْيُ عَلَىٰ جِبْرِيلَ عليه السلام: «اُكْتُبْهُ فِي أَوَّلِهِمْ».

(كِتَابُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْحَلِيمِ مَحْمُودٍ)

۞ كَانَ أُنْسُهُ رضي الله عنه وَلَذَّتُهُ وَنَعِيمُهُ فِي عُكُوفِهِ عَلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ، وَالِاشْتِغَالِ بِذِكْرِ اللهِ، حَتَّىٰ قَالَ رضي الله عنه مَقُولَتَهُ الْمَشْهُورَةَ: «**نَحْنُ فِي نَعِيمٍ لَوْ عَلِمَهُ الْمُلُوكُ، لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِسُيُوفِهِمْ**».

۞ كَانَ مِنْ وَصَايَاهُ رضي الله عنه: «**اُطْلُبُوا الْعِلْمَ لِلْعَمَلِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ قَدْ أَخْطَأُوا حَتَّىٰ صَارَ عِلْمُهُمْ كَالْجِبَالِ، وَعَمَلُهُمْ كَالذَّرِّ**».

۞ وَمِنْ حِكَمِهِ رضي الله عنه: «**قِلَّةُ الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ، تُورِثُ الصِّدْقَ وَالْوَرَعَ، وَكَثْرَةُ الْحِرْصِ وَالطَّمَعِ، تُورِثُ الْهَمَّ وَالْجَزَعَ**».

۞ وَمِنْ مَوَاعِظِهِ رضي الله عنه، مَا رُوِيَ أَنَّهُ مَرَّ يَوْمًا بِسُوقِ الْبَصْرَةِ، فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ، وَقَالُوا لَهُ: مَا لَنَا نَدْعُو اللهَ تَعَالَىٰ فَلَا يُسْتَجَابُ لَنَا؟ وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١)، فَقَالَ رضي الله عنه: لِأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَاتَتْ بِعَشْرَةِ أَشْيَاءَ:

١) عَرَفْتُمُ اللهَ، فَلَمْ تُؤَدُّوا حَقَّهُ.

٢) قَرَأْتُمُ الْقُرْآنَ، وَلَمْ تَعْمَلُوا بِهِ.

٣) اِدَّعَيْتُمْ حُبَّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَتَرَكْتُمْ سُنَّتَهُ.

٤) اِدَّعَيْتُمْ عَدَاوَةَ الشَّيْطَانِ وَوَافَقْتُمُوهُ وَلَمْ تُخَالِفُوهُ.

٥) قُلْتُمْ: إِنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَلَمْ تَعْمَلُوا لَهَا.

---

(١) غافر الآية (٦٠).

٦) قُلْتُمْ: إِنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَرَهَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِهَا.

٧) قُلْتُمْ: إِنَّ الْمَوتَ حَقٌّ، وَلَمْ تَسْتَعِدُّوا لَهُ.

٨) اِشْتَغَلْتُمْ بِعُيُوبِ إِخْوَانِكُمْ، وَنَبَذْتُمْ عُيُوبَكُمْ.

٩) أَكَلْتُمْ نِعَمَ اللهِ، وَلَمْ تُؤَدُّوا شُكْرَهَا.

١٠) دَفَنْتُمْ مَوتَاكُمْ، وَلَمْ تَعْتَبِرُوا بِهِمْ.

۞ قِيلَ لَهُ يَوْمًا: إِنَّ اللَّحْمَ قَدِ ارْتَفَعَ سِعْرُهُ وَغَلَا، فَقَالَ ﵁: **أَرْخِصُوهُ**، قَالُوا: كَيفَ؟ قَالَ ﵁: **لَا تَشْتَرُوهُ**.

۞ **كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ ﵁ يُقَسِّمُ الزُّهْدَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ:**

(١) زُهْدُ فَرْضٍ وَهُوَ الزُّهْدُ فِي الْحَرَامِ.

(٢) وَزُهْدُ سَلَامَةٍ وَهُوَ الزُّهْدُ فِي الشُّبُهَاتِ.

(٣) وَزُهْدُ فَضْلٍ وَهُوَ الزُّهْدُ فِي الْفُضُولِ مِنَ الْحَلَالِ.

۞ وَمِنْ أَقْوَالِهِ ﵁: «**لَيسَ أَشَدُّ عَلَىٰ إِبْلِيسَ مِنْ عَالِمٍ حَلِيمٍ؛ إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِحِلْمٍ**». وَهَذِهِ الْحِكَمُ إِنَّمَا أَجْرَاهَا اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ﵁؛ **لِأَنَّهَا ثَمَرَةُ الزُّهْدِ**.

۞ وَرَدَ فِي الْأَثَرِ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا زَهِدَ فِي الدُّنْيَا، وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكًا يَغْرِسُ طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ فِي قَلْبِهِ، كَمَا يَغْرِسُ أَحَدُكُمْ طَرَائِفَ الشَّجَرِ فِي بُسْتَانِهِ**»، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

۞ وَكَانَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ أَدْهَمَ ﵁ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْعِلْمِ؟ أَجَابَ بِالْأَدَبِ. «**لِأَنَّهُ يَرَىٰ أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي الْأَدَبِ**».

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ ﵁

۞ كَانَ ﵁ عَالِمًا رَبَّانِيًا، أَنْطَقَ اللهُ لِسَانَهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْبَيَانِ، وَقَدْ حَقَدَ عَلَيهِ أَهْلُ السُّوءِ،

(١) البقرة الآية (٢٦٩).

فَادَّعُوا أَنَّهُ يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، وَأَوْشَوْا بِهِ إِلَىٰ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ فِي بَغْدَادَ بِالْعِرَاقِ، فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: ائْتُونِي بِهِ مُكَبَّلاً بِالْأَغْلَالِ، وَلَمَّا حَمَلُوهُ فِي طَرِيقِهِ مِنْ مِصْرَ إِلَىٰ بَغْدَادَ، خَرَجَتْ عَلَيهِ امْرَأَةٌ وَقَالَتْ لَهُ: إِذَا مَثَلْتَ أَمَامَ الْخَلِيفَةِ، فَلَا تُدَافِعْ عَنْ نَفْسِكَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ دَافَعْتَ عَنْ نَفْسِكَ، وَكَلَكَ اللهُ إِلَىٰ نَفْسِكَ، وَلَا تَهَابُهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ هِبْتَهُ سَلَّطَهُ اللهُ عَلَيْكَ.

فَلَمَّا مَثَلَ أَمَامَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ، أَخَذَ الْخَلِيفَةُ يَذْكُرُ التُّهَمَ الَّتِي وَشَىٰ بِهَا أَهْلُ السُّوءِ، وَذُو النُّونِ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا يُرَىٰ عَلَيهِ أَثَرُ الْخَوْفِ مِنَ الْخَلِيفَةِ، فَتَعَجَّبَ الْخَلِيفَةُ مِنْ أَمْرِهِ، وقَالَ لَهُ: إِنَّ مَا ذَكَرْتُهُ لَكَ مِنَ التُّهَمِ جَدِيرٌ بِأَنْ يُقِيمَ عَلَيْكَ الْحَدَّ، فَمَا تَقُولُ؟ فَقَالَ رضي الله عنه: إِنْ قُلْتُ: إِنَّنِي قُلْتُ هَذَا، فَقَدْ كَذَبْتُ، وَإِنْ قُلْتُ: إِنَّنِي لَمْ أَقُلْهُ، فَقَدْ كَذَّبْتُ مَنْ أَخْبَرَكَ بِهِ، وَأَنَا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكْذِبَ، وَلَا أُحِبُّ أَنْ أُكَذِّبَ، فَأَدْرَكَ الْخَلِيفَةُ أَنَّ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عَلَامَةِ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ، فَأَمَرَ بِأَنْ يُحْمَلَ عَلَىٰ دَابَّتِهِ إِلَىٰ مِصْرَ.

وَلَمَّا رَجَعَ مَرَّ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ الَّتِي نَصَحَتْهُ وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَىٰ بَغْدَادَ، وَقَالَ لَهَا: لَقَدْ عَمِلْتُ بِنَصِيحَتِكِ، فَنَفَعَنِيَ اللهُ بِهَا، فَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتِ بِهَذَا الْعِلْمِ؟ قَالَتْ: مِنْ حَيْثُ أَتَىٰ بِهِ هُدْهُدُ سُلَيمَانَ. تُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ عِلْمَهَا بِالنِّسْبَةِ لِعِلْمِ ذِي النُّونِ، مَثَلُهُ كَمَثَلِ عِلْمِ الْهُدْهُدِ بِالنِّسْبَةِ لِعِلْمِ سُلَيْمَانَ حِينَ قَالَ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾(١)، تَقُولُ ذَلِكَ تَوَاضُعًا لِذِي النُّونِ رضي الله عنه، وَاعْتِرَافًا لَهُ بِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ.

وَمِنَ الْمَأْثُورِ عَنْهُ رضي الله عنه فِي أَقْوَالِهِ الَّتِي تَنُمُّ عَنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ الْآتِي:

- **اِجْلِسْ إِلَىٰ مَنْ تُكَلِّمُكَ صِفَاتُهُ، وَلَا تَجْلِسْ إِلَىٰ مَنْ يُكَلِّمُكَ لِسَانُهُ.**
- **إِذَا اطَّلَعَ الْخَبِيرُ فِي الضَّمِيرِ، فَلَمْ يَجِدْ فِي الضَّمِيرِ غَيرَ الْخَبِيرِ، جَعَلَ فِيهِ السِّرَاجَ الْمُنِيرَ** صلى الله عليه وآله وسلم.
- **كَيْفَ أَفْرَحُ بِعَمَلِي وَذُنُوبِي كَثِيرَةٌ؟ أَمْ كَيْفَ أَفْرَحُ بِعَمَلِي وَعَاقِبَتِي مُبْهَمَةٌ؟.**
- **الْكَيِّسُ مَنْ بَادَرَ بِعَمَلِهِ، وَسَوَّفَ بِأَمَلِهِ، وَاسْتَعَدَّ لِأَجَلِهِ.**

(١) النمل الآية (٢٢).

۞ وَاللهِ مَا طَابَتِ الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَمَا طَابَتِ الْآخِرَةُ إِلَّا بِعَفْوِهِ، وَمَا طَابَتِ الْجَنَّةُ إِلَّا بِرُؤْيَتِهِ.

(يَقْصِدُ بِذَلِكَ: ذِكْرَ اللهِ، وَعَفْوَهُ، والتَّنَعُّمَ بِرُؤْيَتِهِ فِي الْجَنَّةِ).

۞ لَا يَتَفَكَّرُ القَلْبُ بِغَيْرِ اللهِ، إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ.

۞ قِيلَ لِذِي النُّونِ: مَا الْأُنْسُ بِاللهِ؟ قَالَ: اَلْعِلْمُ وَالْقُرْآنُ.

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا أَبِي يَزِيدَ البُسْطَامِيِّ رضي الله عنه

۞ كَانَ رضي الله عنه مِنْ ذَوِي الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ فِي إِقْبَالِهِ عَلَىٰ اللهِ بِالْحُبِّ الْخَالِصِ وَالْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ لِوَجْهِهِ سُبْحَانَهُ، فَرَقَىٰ بِعُلُوِّ هِمَتِهِ وَمَقْصِدِهِ إِلَىٰ أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الْعَارِفِينَ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ رضي الله عنه رَأَىٰ يَوْمَـًا فِي مَنَامِهِ الْحُورَ الْعِينَ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ أَصْبَحَ بَاكِيًا؛ لِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ يُشْغِلَهُ شَاغِلٌ عَنِ اللهِ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ التَالِيَةُ، رَأَىٰ الْحُورَ الْعِينَ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَقَالَ لَهُنَّ فِي مَنَامِهِ: **اِذْهَبْنَ عَنِّي؛ فَإِنَّكُنَّ شَوَاغِلُ.**

۞ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ تَعَلُّقًا كَامِلًا لَا يَشُوبُهُ مَيْلٌ إِلَىٰ الْأَغْيَارِ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ اللهَ، تَمَضْمَضَ وَغَسَلَ لِسَانَهُ؛ إِجْلَالًا للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

۞ وَكَانَ رضي الله عنه يُنَاجِي رَبَّهُ وَيَقُولُ: **لَيْسَ الْعَجَبُ مِنْ حُبِّي لَكَ وَأَنَا عَبْدٌ فَقِيرٌ، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِنْ حُبِّكَ لِي وَأَنْتَ مَلِكٌ قَدِيرٌ.**

۞ **أَشَدُّ الْمَحْجُوبِينَ عَنِ اللهِ ثَلَاثَةٌ: الزَّاهِدُ إِذَا أُعْجِبَ بِزُهْدِهِ، وَالْعَابِدُ إِذَا أُعْجِبَ بِعِبَادَتِهِ، وَالْعَالِمُ إِذَا أُعْجِبَ بِعِلْمِهِ.**

۞ **لَو نَظَرْتُمْ إِلَىٰ رَجُلٍ أُعْطِيَ مِنَ الْكَرَامَاتِ حَتَّىٰ يُرْفَعَ فِي الْهَوَاءِ، فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّىٰ تَنْظُرُوا كَيفَ تَجِدُونَهُ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَحِفْظِ الْحُدُودِ، وَأَدَاءِ الشَّرِيعَةِ.**

۞ سُئِلَ رضي الله عنه عَنْ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ فَقَالَ: **إِنَّمَا هُوَ فَرَاغُ قَلْبِكَ لِوَحْدَانِيَّتِهِ، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ، فَافْزَعْ إِلَىٰ أَيِّ اسْمٍ شِئْتَ، فَإِنَّكَ تَطِيرُ بِهِ إِلَىٰ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.**

۞ قِيلَ لِأَبِي يَزِيدَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَمُرُّ فِي الْهَوَاءِ؟ قَالَ: **وَأَيُّ أُعْجُوبَةٍ فِي هَذَا؟ طَيرٌ يَأْكُلُ الْمَيْتَةَ**

يَمُرُّ فِي الْهَوَاءِ، وَالْمُؤْمِنُ أَشْرَفُ مِنَ الطَّيْرِ.

۞ اَلْعَارِفُ فَوْقَ مَا يَقُولُ، وَالْعَالِمُ دُونَ مَا يَقُولُ.

۞ وَرُوِيَ عَنْ بَعْضِ الْعَارِفِينَ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ تَجَلَّىٰ لَهُ فِي مَنَامِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: «**كُلُّ النَّاسِ يَطْلُبُونَ مِنِّي، إِلَّا أَبُو يَزِيدَ فَإِنَّهُ يَطْلُبُنِي**». يُرِيدُ بِذَلِكَ: أَنَّ أَبَا يَزِيدَ اِشْتَغَلَ بِذِكْرِ اللهِ عَنِ السُّؤَالِ وَالطَّلَبِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي السَّائِلِينَ، كَمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

۞ وَمِمَّا رُوِيَ عَنْ أَبِي يَزِيدَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ هَاتِفًا يومًا يَقُولُ لَهُ: يَا أَبَا يَزِيدَ، مَاذَا تُرِيدُ؟ قَالَ رضي الله عنه: **أُرِيدُ فِي أَلَّا أُرِيدُ، فَاللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ.**

۞ وَرُوِيَ عَنْهُ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يُنَاجِي رَبَّهُ يَوْمًا وَيَقُولُ: **يَا رَبِّ، بِمَ أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَا أَبَا يَزِيدَ تَقَرَّبْ إِلَيَّ بِمَا لَيْسَ فِيَّ، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: الذُّلُّ وَالِانْكِسَارُ.**

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا يَحْيَى بنِ مُعَاذٍ رضي الله عنه

۞ كَانَ يَحْيَىٰ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله عنه مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، الَّذِينَ سَعِدُوا بِحَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ، وَشَرِبُوا مَعِينَ الْحُبِّ الْخَالِصِ للهِ، فَقَدْ خَاضَ رضي الله عنه بِحَارَ الْمَعْرِفَةِ، وَاغْتَرَفَ مِنْهَا، فَكَانَ لَهُ مِنَ اللهِ الْعَطَاءُ الْوَافِرُ، وَنَذْكُرُ مِنْ هَذَا الْعَطَاءِ مَا تَفَضَّلَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ عُلُومِ الْحِكْمَةِ، حَيْثُ يَقُولُ رضي الله عنه: **الْمَعْرِفَةُ قُرْبُ الْقَلْبِ إِلَىٰ الْقَرِيبِ، وَمُرَاقَبَةُ الرُّوحِ لِلْحَبِيبِ، وَالِانْفِرَادُ عَنِ الْكُلِّ بِالْمَلِكِ الْمُجِيبِ.**

۞ وَيَصِفُ رضي الله عنه الْعَارِفِينَ فَيَقُولُ: **سَبَحُوا فِي بِحَارِ الْبَلَايَا، حَتَّىٰ جَاوَزُوهَا إِلَىٰ الْعَطَايَا، وَسَبَحُوا فِي بِحَارِ الْعَطَايَا، حَتَّىٰ جَاوَزُوهَا إِلَىٰ ربِّ الْبَرَايَا.**

۞ **يَا ابْنَ آدَمَ، لا يَزَالُ دِينُكَ مُتَمَزِّقًا، مَا دَامَ قَلْبُكَ بِحُبِّ الدُّنْيَا مُتَعَلِّقًا.**

۞ **الْخَلْقُ مُتَعَلِّقُونَ بِالْأَسْبَابِ، وَالْعَارِفُ مُتَعَلِّقٌ بِوَلِيِّ الْأَسْبَابِ.**

۞ **لَو لَمْ يَكُنْ لِلْعَارِفِينَ إِلَّا هَاتَانِ النِّعْمَتَانِ، لَكَفَاهُمْ مِنْهُ: أَنَّهُمْ مَتَىٰ رَجَعُوا إِلَيْهِ وَجَدُوهُ، وَمَتَىٰ شَاءُوا ذَكَرُوهُ.**

۞ إِنَّ الْعَبْدَ عَلَىٰ قَدْرِ حُبِّهِ لِمَوْلاَهُ، يُحَبِّبُهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ، وعَلَىٰ قَدْرِ تَوقِيرِهِ لِأَمْرِهِ يُوَقِّرُهُ خَلْقُهُ.

۞ قَالَ لَهُ رَجُلٌ يَوْمَاً: أَخْبِرْنِي عَنِ اللهِ؟ قَالَ رضي الله عنه: إِلَهٌ وَاحِدٌ. قَالَ: كَيْفَ هُوَ؟ قَالَ رضي الله عنه: مَلِكٌ قَادِرٌ. قَالَ: أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ رضي الله عنه: بِالْمِرْصَادِ. قَالَ الرَّجُلُ: لَيْسَ عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ. قَالَ رضي الله عنه: أَنْتُمْ تَسْأَلُونَ عَنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِ، وَأَنَا أُخْبِرُكَ عَنْ صِفَةِ الْخَالِقِ.

۞ مَنْ أَقَامَ قَلْبَهُ عِنْدَ اللهِ سَكَنَ، وَمَنْ أَرْسَلَهُ فِي النَّاسِ اضْطَّرَبَ.

۞ كَانَ رضي الله عنه يُنَاجِي رَبَّهُ وَيَقُولُ: إِلَهِي، هَذَا سُرُورِي بِكَ فِي دَارِ الْغُرْبَةِ، فَكَيْفَ يَكُونُ سُرُورِي بِكَ فِي دَارِ الْقُرْبَةِ، وَهَذَا سُرُورِي بِكَ فِي دَارِ الْخِدْمَةِ، فَكَيفَ يَكُونُ سُرُورِي بِكَ فِي دَارِ النِّعْمَةِ.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا أَحْمَدَ بْنِ الْحَوَارِيِّ رضي الله عنه

۞ كَانَ رضي الله عنه عَالِمَاً مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ وَالزُّهْدَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهِ وَانْتَفَعَ، وَمِنْ أَقْوَالِهِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُ رضي الله عنه: لا دَلِيلَ عَلَىٰ اللهِ سِوَاهُ، وَإِنَّمَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ لِأَدَبِ الْخِدْمَةِ.

۞ سُئِلَ رضي الله عنه: لِأَيِّ شَيْءٍ يُحِبُّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فِي اللهِ؟ قَالَ رضي الله عنه: إِذَا رَآهُ يُحْسِنُ خِدْمَةَ رَبِّهِ.

۞ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا زَهِدَ فِيهَا، وَمَنْ عَرَفَ الْآخِرَةَ رَغِبَ فِيهَا، وَمَنْ عَرَفَ اللهَ آثَرَ رِضَاهُ.

۞ قِيلَ لَهُ: أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي ذَمَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ، يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَجْتَنِبَهَا؟ فَقَالَ رضي الله عنه: كُلُّ مَا أَصَبْتَهُ فِيهَا تُرِيدُ بِهِ الدُّنْيَا فَهُوَ مَذْمُومٌ، وكُلُّ مَا أَحْبَبْتَهُ فِيهَا تُرِيدُ بِهِ الْآخِرَةَ فَلَيْسَ مِنْهَا.

۞ وَقَالَ رضي الله عنه: مَنْ أَدْخَلَ فُضُولاً مِنَ الطَّعَامِ، أَخْرَجَ فُضُولاً مِنَ الْكَلَامِ.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا الْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ رضي الله عنه

۞ كَانَ رضي الله عنه عَالِمَاً فَقِيهَاً زَاهِدَاً، تَرَبَّىٰ عَلَىٰ يَدِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، وَدَاوُدَ الطَّائِيِّ، فَأَخَذَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ، وَالزُّهْدِ فِي عَرَضِ الدُّنْيَا.

۞ فَقَدْ كَانَ ﷺ يُحِبُّ صُحْبَةَ الْأَتْقِيَاءِ الْأَخْفِيَاءِ، وَيَكْرَهُ الشُّهْرَةَ وَالْجَاهَ.

۞ وَقَدْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ أَئِمَّةُ عَصْرِهِ، حَيْثُ يَقُولُ فِيهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ﷺ: «**مَا سَمِعْتُ فِي الْحَقَائِقِ مِثْلَ هَذَا الرَّجُلِ، وَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَصْحَابِهِ مَعَهُ**».

۞ وَكَانَ الْمُحَاسِبِيُّ ﷺ كَثِيرَ الْمُعَاتَبَةِ لِنَفْسِهِ، فَيُذَكِّرُ نَفْسَهُ بِنَظَرِ اللهِ إِلَيْهِ، وَيَقُولُ لَهَا: **اِسْتَحْيِي مِنَ اللهِ وَحْدَهُ، وَيُحَذِّرُهَا مِنَ السَّلْبِ بَعْدَ الْعَطَاءِ، وَيَدْعُو نَفْسَهُ إِلَىٰ دَوَامِ الِاسْتِعَانَةِ وَالِاسْتِغَاثَةِ بِاللهِ وَحْدَهُ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ.**

وَمِمَّا وَرَدَ عَنْهُ فِي أَقْوَالِهِ ﷺ:

۞ **الْعِلْمُ يُورِثُ الْمَخَافَةَ، وَالزُّهْدُ يُورِثُ الرَّاحَةَ، وَالْمَعْرِفَةُ تُورِثُ الْإِنَابَةَ.**

۞ **الظَّالِمُ نَادِمٌ وَإِنْ مَدَحَهُ النَّاسُ، وَالْمَظْلُومُ سَالِمٌ وَإِنْ ذَمَّهُ النَّاسُ، وَالْقَانِعُ غَنِيٌّ وَإِنْ جَاعَ، وَالْحَرِيصُ فَقِيرٌ وَإِنْ مَلَكَ.**

۞ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1]، وَهُوَ ﷺ يَرَىٰ بِمُقْتَضَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْحُبَّ دَرَجَاتٌ، وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُ مِنَ الشَّوقِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُ ﷺ: **نُورُ الشَّوْقِ مِنْ نُورِ الْحُبِّ، وَمَزِيدُ الشَّوْقِ مِنْ مَزِيدِ الْحُبِّ.**

❁❁❁❁❁

مَنَاقِب سَيِّدِنَا بِشْرِ بْنِ الْحَارِث ﷺ

۞ كَانَ بِشْرٌ ﷺ مِنْ كِبَارِ الْعَارِفِينَ بِاللهِ، وَقَدْ فَتَحَ اللهُ لَهُ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ بِآيَةٍ مِنْ آيَاتِهِ فِي الْأَرْضِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ رَأَىٰ رُقْعَةً يَوْمًا فِي الطَّرِيقِ مَكْتُوبًا فِيهَا: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فَرَفَعَهَا وَطَيَّبَهَا بِالطِّيبِ وَجَعَلَهَا فِي جَيْبِهِ، فَلَمَّا نَامَ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ: يَا بِشْرُ، رَفَعْتَ اسْمَنَا عَنِ الطَّرِيقِ وَطَيَّبْتَهُ، لَأُطَيِّبَنَّ اسْمَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

۞ تَحَلَّىٰ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ بِخِصَالٍ أَرْبَعَةٍ، رَفَعَهُ اللهُ بِهَا عَلَىٰ سَائِرِ أَهْلِ زَمَانِهِ؛ وَهِيَ: اِتِّبَاعُ السُّنَّةِ - خِدْمَةُ الصَّالِحِينَ - نَصِيحَتُهُ لِإِخْوَانِه - مَحَبَّةُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَمَحَبَّةُ أَهْلِ

(١) البقرة الآية (١٦٥).

بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَيَرْجِعُ هَذَا الْمَسْلَكُ الْكَرِيمُ إِلَىٰ رُؤْيَا صَالِحَةٍ رَآهَا رضي الله عنه، فَقَدْ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي مَنَامِهِ يَقُولُ لَهُ: **يَا بِشْرُ، أَتَدْرِي لِمَ رَفَعَكَ اللهُ بَينَ أَقْرَانِكَ؟** فَقَالَ رضي الله عنه: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ ﷺ: **بِاتِّبَاعِكَ لِسُنَّتِي، وَخِدْمَتِكَ لِلصَّالِحِينَ، وَنَصِيحَتِكَ لِإِخْوَانِكَ، وَمَحَبَّتِكَ لِأَصْحَابِي وَأَهْلِ بَيْتِي، هُوَ الَّذِي بَلَّغَكَ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ.**

۞ كَانَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ رضي الله عنه وَرِعًا، سَادَ عَلَىٰ أَهْلِ زَمَانِهِ بِوَرَعِهِ، حَتَّىٰ قَالُوا: **ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ لَهُ الْعِبَارَةُ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَهْلٍ التُّسْتَرِيُّ لَهُ الْإِشَارَةُ؛ أَمَّا بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ فَلَهُ الْوَرَعُ.**

۞ كَانَ بِشْرٌ رضي الله عنه إِذَا ذُكِرَ أَمَامَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رضي الله عنه بَكَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، فَقَدْ جَاءَتْ يَوْمًا امْرَأَةٌ إِلَىٰ الْإِمَامِ أَحْمَدَ تَسْتَفْتِيهِ فِي مَسْأَلَةٍ، فَقَالَتْ لَهُ: **إِنَا نَغْزِلُ الْغَزْلَ مِنْ فَوقِ أَسْطُحِ مَنَازِلِنَا عَلَىٰ مَشَاعِلِ الْوُلَاةِ حِينَ تَمُرُّ مَوَاكِبُهُمْ، فَهَلْ هَذَا حَلَالٌ أَمْ حَرَامٌ؟** فَقَالَ لَهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ رضي الله عنه: مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ: **أَنَا أُخْتُ بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ**، فَبَكَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَقَالَ لَهَا: **مِنْ بَيْتِكُمْ يَخْرُجُ الْوَرَعُ.**

۞ كَانَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ رضي الله عنه يَحْفَظُ لِلْعُلَمَاءِ مَنْزِلَتَهُمْ وَمَكَانَتَهُمْ؛ فَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ يَوْمًا يَسْأَلُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ قَائِلًا: بِمَ تَلِينُ الْقُلُوبُ؟ فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: **بِأَكْلِ الْحَلَالِ**، فَذَهَبَ السَّائِلُ إِلَىٰ بِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَسَأَلَهُ نَفْسَ السُّؤَالِ: بِمَ تَلِينُ الْقُلُوبُ؟ قَالَ: **بِذِكْرِ اللهِ** عز وجل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(1)، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: بِأَكْلِ الْحَلَالِ، فَقَالَ بِشْرٌ: **هَذَا هُوَ الْأَصْلُ.**

۞ وَرُوِيَ عَنْهُ فِي زُهْدِهِ: أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ يَقُولُ: **مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ الدُّنْيَا، فَكَأَنَّمَا سَأَلَهُ طُولَ الْحِسَابِ.**

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ رضي الله عنه

۞ هُوَ الْإِمَامُ الْأَمِينُ، ذُو الْعَقْلِ الرَّصِينِ، الَّذِي رَوَىٰ الْحَدِيثَ وَأُوتِيَ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي

---

(1) الرعد الآية (٢٨).

بِهَا وَيُعَلِّمُهَا، وَقَدْ سَلَكَ مَسْلَكَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ فِي التَّحَلِّي بِالْأَدَبِ الَّذِي هُوَ حِصْنُ عُلُومِهِمْ، فَحَفَظَهُمُ اللهُ بِهِ، حَتَّىٰ ارْتَقَوْا وَفَازُوا بِنَيْلِ السَّعَادَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ السَّادَةِ الْأَخْيَارِ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ﷺ، حَيثُ يَقُولُ:

إِذَا أَعْجَبَكَ الصَّمْتُ فَتَكَلَّمْ، وَإِذَا أَعْجَبَكَ الْكَلَامَ فَاصْمُتْ.

وَيَقُولُ ﷺ: **حُرْمَةُ السَّلَامِ إِذَا سَلَّمْتَ عَلَىٰ أَخِيكَ وَرَدَّ عَلَيْكَ، أَلَّا تَتَكَلَّمَ مِنْ وَرَائِهِ بِسُوءٍ؛ لِأَنَّكَ بِالسَّلَامِ تَقُولُ لَهُ: أَنْتَ مِنِّي سَالِمٌ، وَأَنَا مِنْكَ سَالِمٌ.**

الشُّكْرُ قَدْ قَامَ مَقَامَ الصَّبْرِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ عليهما السلام: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(١). **«وَسُلَيمَانُ شَاكِرٌ، وَأَيُّوبُ صَابِرٌ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِمَا وَاحِدٌ».**

لَا تَصْلُحُ عِبَادَةٌ إِلَّا بِزُهْدٍ، وَلَا يَصْلُحُ زُهْدٌ إِلَّا بِفِقْهٍ، وَلَّا يَصْلُحُ فِقْهٌ إِلَّا بِصَبْرٍ.

قَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَهْلَكَنِي حُبُّ الشَّرَفِ، فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ: **إِنِ اتَّقَيْتَ اللهَ شَرُفْتَ.**

إِذَا كَانَ نَهَارِي نَهَارَ سَفِيهٍ، وَلَيْلِي لَيْلَ جَاهِلٍ، فَمَا أَصْنَعُ بِالْعِلْمِ الَّذِي كَتَبْتُ.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ ﷺ

كَانَ ﷺ يُلَقَّبُ بِعَابِدِ الْحَرَمَيْنِ، وَجَاءَ فِي مَنَاقِبِهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْحَيَاءِ مِنَ اللهِ، وَكَانَ يُكْثِرُ مِنَ الْبُكَاءِ، وَيَقُولُ: **مَا بَكَتْ عَيْنُ عَبْدٍ قَطُّ حَتَّىٰ يَضَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَدَهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ، وَلَا بَكَتْ عَيْنُ عَبْدٍ قَطُّ إِلَّا مِنْ فَضْلِ رَحْمَةِ اللهِ.**

وَيَقُولُ: **إِذَا كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ يَسْأَلُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَمِنْهُمْ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام، فَكَيْفَ بِالْكَذَّابِينَ الْمَسَاكِينَ!!.**

كَانَ مِنْ تَدَبُّرِهُ ﷺ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَنَّهُ قَرَأَ يَوْمًا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾(٢). فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ: **إِنْ بَلَوْتَ أَخْبَارَنَا، فَضَحْتَنَا وَهُتِكَتْ أَسْتَارُنَا، إِنْ بَلَوْتَ أَخْبَارَنَا أَهْلَكْتَنَا وَعَذَّبْتَنَا.**

---

(١) ص الآية (٣٠، ٤٤).　(٢) محمد الآية (٣١).

۞ **حَرَامٌ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ أَنْ تُصِيبُوا حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، حَتَّىٰ تَزْهَدُوا فِي الدُّنْيَا.**

۞ قَالَ رَجُلٌ لِلْفُضَيْلِ: الْعُلَمَاءُ كَثِيرٌ، فَقَالَ الْفُضَيْلُ: **الْحُكَمَاءُ قَلِيلٌ.**

۞ كَانَ دُعَاؤُهُ رضي الله عنه: **اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا بِعِزِّ الطَّاعَةِ، وَلَا تُذِلَّنَا بِذُلِّ الْمَعْصِيَةِ.**

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رضي الله عنه

۞ كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رضي الله عنه عَالِمًا فَقِيهًا وَرِعًا زَاهِدًا، وَكَانَ رضي الله عنه شَيْخَ الْإِسْلَامِ فِي زَمَانِهِ، وَكَانَ حِرْصُهُ عَلَىٰ الْأَدَبِ فَوْقَ حِرْصِهِ عَلَىٰ الْعِلْمِ، وَيَقُولُ: **تَعَلَّمْتُ الْأَدَبَ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَتَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً، وَيَالَيْتَهَا كُلَّهَا كَانَتْ فِي الْأَدَبِ.**

۞ وَمِنْ أَقْوَالِهِ رضي الله عنه: **نَحْنُ إِلَىٰ قَلِيلٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ.**

۞ وَيُرْوَىٰ عَنْهُ، أَنَّهُ رضي الله عنه خَرَجَ يَوْمًا مَعَ أَصْحَابِهِ حَاجًّا إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ وَمَعَهُمْ الزَّوَامِلُ وَالزَّادُ، وَفِي الطَّرِيقِ رَأَىٰ امْرَأَةً أَتَتْ إِلَىٰ بَطَّةٍ مَيْتَةٍ، فَحَمَلَتْهَا وَوَضَعَتْهَا فِي مُلَاءَتِهَا، ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهَا إِلَىٰ بَابِ دَارِهَا وَدَخَلَتْ، فَتَحَسَّسَ رضي الله عنه أَخْبَارَهَا، فَعَلِمَ أَنَّهَا تَعُولُ أَيْتَامًا لَهَا لَيْسَ لَهُمْ زَادٌ، وَأَنَّهَا الْتَقَطَتْ هَذِهِ الْبَطَّةَ الْمَيْتَةَ؛ لِتَكُونَ زَادًا لَهُمْ، فَرَقَّ قَلْبُهُ لَهَا، وَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: **رُدُّوا عَلَيْهَا هَذِهِ الْأَحْمَالَ، فَهَذَا خَيْرٌ مِنْ حَجِّنَا هَذَا الْعَامِ.**

۞ وَكَانَ رضي الله عنه يَحُثُّ عَلَىٰ الثَّبَاتِ فِي الْأَمْرِ، وَرِبَاطِ النَّفْسِ عَلَىٰ الْحَقِّ؛ فَقَدْ سَأَلَهُ سَائِلٌ عَنِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رضي الله عنه لَهُ: **رَابِطْ نَفْسَكَ عَلَىٰ الْحَقِ حَتَّىٰ تَقِيَهَا، فَذَلِكَ أَفْضَلُ الرِّبَاطِ.**

(الْحِلْيَةُ لِأَبِي نُعَيْمٍ)

۞ وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَضَحِكَ، وَقَالَ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[1].

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا أَيُّوبَ السِّخْتِيَانِيِّ رضي الله عنه

۞ كَانَ رضي الله عنه وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ أَهْلُ زَمَانِهِ بِالْفَضْلِ وَالْكَرَامَةِ؛ فَقَدْ كَانَ

---

(١) الصافات الآية (٦١).

الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ﵁ يُلَقِّبُ أَيُّوبَ السِّخْتِيَانِيَّ بِسَيِّدِ الْفِتْيَانِ، وَيَقُولُ: **هَذَا سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ.**

۞ وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ ﵁: **كُنْتُ مَعَ أَيُّوبَ السِّخْتِيَانِيِّ عَلَىٰ حِرَاءٍ، فَعَطِشْتُ عَطَشًا** شَدِيدًا حَتَّىٰ رَأَىٰ ذَلِكَ فِي وَجْهِي، فَقَالَ لَهُ أَيُّوبُ: مَا الَّذِي أَرَىٰ بِكَ؟ قُلْتُ: الْعَطَشُ، وَقَدْ خِفْتُ عَلَىٰ نَفْسِي، قَالَ أَيُّوبُ: **تَسْتُرُ عَلَيَّ؟** قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ: فَاسْتَحْلَفَنِي أَنْ أَسْتُرَ عَلَيْهِ فَلَا أُخْبِرُ عَنْهُ مَا دَامَ حَيًا، **ثُمَّ غَمَزَ بِرِجْلِهِ عَلَىٰ حِرَاءٍ فَنَبَعَ الْمَاءُ، فَشَرِبْتُ حَتَّىٰ ارْتَوَيْتُ وَحَمَلْتُ مَعِي الْمَاءَ، فَمَا حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا حَتَّىٰ مَاتَ.** (حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ لِأَبِي نُعَيْمٍ)

۞ كَانَ ﵁ يَقُولُ: **لَأَنْ يُخْفِيَ الرَّجُلُ زُهْدَهُ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُعْلِنَهُ.**

۞ كَانَ أَيُّوبُ السِّخْتِيَانِيُّ ﵁ إِذَا هَنَّأَ أَحَدًا بِمَوْلُودٍ قَالَ: **اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مُبَارَكًا عَلَيْكَ، وَعَلَىٰ أُمَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ** ﷺ.

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ ﵁

۞ تَرَبَّىٰ ﵁ عَلَىٰ يَدِ خَالِهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَوَّارٍ، فَيَقُولُ: قَالَ لِي خَالِي يَوْمًا أَلَا تَذْكُرُ اللهَ الَّذِي خَلَقَكَ؟، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَذْكُرُ؟ فَقَالَ: قُلْ بِقَلْبِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عِنْدَ تَقَلُّبِكَ فِي ثِيَابِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُحَرِّكَ لِسَانَكَ: «**اللهُ مَعِي، اللهُ نَاظِرٌ إِلَيَّ، اللهُ شَاهِدِي**» فَقُلْتُ ذَلِكَ ثَلَاثَ لَيَالِي، ثُمَّ أَعْلَمْتُهُ، فَقَالَ لِي: قُلْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَقُلْتُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَعْلَمْتُهُ، فَقَالَ: قُلْ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِحدَىٰ عَشْرَةَ مَرَّةً، فَقُلْتُهَا فَوَقَعَ فِي قَلْبِي حَلَاوَةُ الذِّكْرِ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ، قَالَ لِي خَالِي: احْفَظْ مَا عَلَّمْتُكَ، وَدُمْ عَلَيْهِ إِلَىٰ أَنْ تَدْخُلَ الْقَبْرَ، فَإِنَّهُ يَنْفَعُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَمْ أَزَلْ عَلَىٰ ذَلِكَ سِنِينَ، فَوَجَدْتُ لَهَا حَلَاوَةً فِي سِرِّي.

۞ وَكَانَ ﵁ شَفُوقًا، رَحِيمَ الْقَلْبِ؛ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ﵁ ذَهَبَ يَوْمًا لِزِيَارَةِ أَخٍ لَهُ فِي اللهِ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ طَائِرًا مَحْبُوسًا فِي قَفَصٍ، فَحَزِنَ لِذَلِكَ، وَقَالَ لِصَاحِبِهِ: لِمَنْ هَذَا الطَّائِرُ؟ قَالَ: لِوَلَدِي، قَالَ لَهُ: أَرِنِي وَلَدَكَ؟ فَجَاءَ الْوَلَدُ، فَقَالَ لَهُ سَهْلٌ ﵁: **أُعْطِيكَ دِينَارًا، وَتُطْلِقُ سَرَاحَ**

هَذَا الطَّائِرِ مِنْ قَفَصِهِ، فَفَرِحَ الْوَلَدُ بِالدِّينَارِ، وَأَطْلَقَ سِرَاحَ الطَّائِرِ، فَلَمَّا رَجَعَ سَهْلٌ مِنْ زِيَارَتِهِ إِلَىٰ بَيْتِهِ، وَجَدَ ذَلِكَ الطَّائِرَ قَدْ تَبِعَهُ، حَتَّىٰ دَخَلَ سَهْلٌ بَيْتَهُ، وَكَانَ بِبَيْتِ سَهْلٍ سِدْرَةٌ، أَيْ: شَجَرَةُ نَبْقٍ، فَاتَّخَذَ الطَّائِرُ لَهُ عُشًّا، وَظَلَّ هَكَذَا، حَتَّىٰ وَافَتِ الْمَنِيَّةُ سَهْلاً رضي الله عنه، فَأَتْبَعَ جَنَازَتَهُ ذَلِكَ الطَّائِرُ، فَلَمَّا دَفَنُوا سَهْلاً، جَعَلَ ذَلِكَ الطَّائِرُ يَطِيرُ وَيَعْرُشُ حَتَّىٰ مَاتَ، فَدَفَنُوهُ مَعَ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيِّ رضي الله عنه.

وَمِنْ حِكَمِهِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُ رضي الله عنه الآتِي:

۞ الْهِجْرَةُ فَرْضٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: مِنَ الْجَهْلِ إِلَىٰ الْعِلْمِ، وَمِنَ النِّسْيَانِ إِلَىٰ الذِّكْرِ، وَمِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَىٰ الطَّاعَةِ، وَمِنَ الإِصْرَارِ عَلَىٰ الذَّنْبِ إِلَىٰ التَّوْبَةِ.

۞ الصَّالِحُونَ فِي الْمُؤْمِنِينَ قَلِيلٌ، وَالصَّادِقُونَ فِي الصَّالِحِينَ قَلِيلٌ، وَالصَّابِرُونَ فِي الصَّادِقِينَ قَلِيلٌ.

۞ مَنْ ظَنَّ ظَنَّ السُّوءِ حُرِمَ الْيَقِينَ، وَمَنْ تَكَلَّمَ فِيمَا لا يَعْنِيهِ حُرِمَ الصِّدْقَ، وَمَنِ اشْتَغَلَ بِالْفُضُولِ حُرِمَ الْوَرَعَ، وَمَنْ حُرِمَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ؛ الْيَقِينَ وَالصِّدْقَ وَالْوَرَعَ، هَلَكَ.

۞ الْبِطْنَةُ أَصْلُ الْغَفْلَةِ.

۞ وَقَالَ رضي الله عنه: **لا يَكْمُلُ لِلْعَبْدِ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَصِلَ عِلْمُهُ بِالْخَشْيَةِ، وَفِعْلُهُ بِالْوَرَعِ، وَوَرَعُهُ بِالإِخْلَاصِ، وَإِخْلَاصُهُ بِالْمُشَاهَدَةِ، وَالْمُشَاهَدَةُ بِالتَّبَرُّءِ مِمَّا سِوَاهُ** (أَيْ: يَتَبَرَّأُ مِنَ الدَّوَاعِي الْمُلْهِيَةِ عَنِ اللهِ).

۞ وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: **قُوتُ الْمَلَائِكَةِ الطَّاعَةُ، وَقُوتُ الأَنْبِيَاءِ انْتِظَارُ الْوَحْيِ، وَقُوتُ الصِّدِّيقِينَ الاقْتِدَاءُ.**

۞ لَيْسَ لِقَوْلِ: (لَا إِلَهَ إِلا اللهُ) ثَوَابٌ إِلا النَّظَرَ إِلَىٰ اللهِ، وَالْجَنَّةُ ثَوَابُ الأَعْمَالِ.

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا أَبِي الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِ الْقَوَارِيرِيِّ رضي الله عنه

۞ كَانَ رضي الله عنه يُلَقَّبُ بِسَيِّدِ الطَّائِفَةِ، أَيْ: سَيِّدِ الْعَارِفِينَ بِاللهِ وَإِمَامِهِمْ، وُلِدَ رضي الله عنه بِالْعِرَاقِ،

وَكَانَ أَبُوهُ يَبِيعُ الزُّجَاجَ؛ لِذَلِكَ يُقَالُ لَهُ (الْقَوَارِيرِيُّ)، وَقَدْ تَفَقَّهُ وَتَلَقَّىٰ عُلُومَهُ الشَّرْعِيَّةَ عَلَىٰ يَدِ الْإِمَامِ (أَبِي ثَوْرٍ)، وَأَفْتَىٰ رضي الله عنه فِي حَلْقَتِهِ وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً، كَمَا صَحِبَ رضي الله عنه خَالَهُ السَّرِيَّ السَّقَطِيَّ، وَالْحَارِثَ الْمُحَاسِبِيَّ رضي الله عنهما، وَتَلَقَّىٰ عَنْهُمَا عُلُومَ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّصَوُّفَ.

۞ قَدْ سُئِلَ الْجُنَيدُ رضي الله عنه مِنَ الْعَارِفِ؟ فَقَالَ: **مَنْ نَطَقَ عَنْ سِرِّكَ وَأَنْتَ سَاكِتٌ.**

۞ وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: **مَا أَخَذْنَا التَّصَوُّفَ عَنِ الْقِيلِ وَالْقَالِ؛ لَكِنْ عَنِ الْجُوعِ، وَتَرْكِ الدُّنْيَا، وَقَطْعِ الْمَأْلُوفَاتِ وَالْمُسْتَحْسَنَاتِ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.**

۞ وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: **الطُّرُقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ عَلَىٰ الْخَلْقِ، إِلَّا مَنِ اقْتَفَىٰ أَثَرَ الرَّسُولِ** صلى الله عليه وآله وسلم.

۞ قَالَ رضي الله عنه: **مَنْ لَمْ يَحْفَظِ الْقُرْآنَ، وَلَمْ يَكْتُبِ الْحَدِيثَ، لَا يُقْتَدَىٰ بِهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ لِأَنَّ عِلْمَنَا مُقَيَّدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.**

۞ وَمِنْ أَقْوَالِهِ رضي الله عنه: **إِنَّ للهِ عِبَاداً صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِهِمْ، وَفَارَقُوهَا بِعُقُولِ إِيمَانِهِمْ، أَشْرَفَ بِهِمْ عِلْمُ الْيَقِينِ عَلَىٰ مَا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ، وَفِيهِ مُقِيمُونَ، وَإِلَيْهِ رَاجِعُونَ.**

۞ رَأَىٰ رضي الله عنه النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي مَنَامِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الذِّكْرِ وَمَا فِيهِ مِنَ السَّمَاعِ (أَيْ: التَّغَنِّي فِيهِ)، فَأَثْنَىٰ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَيْهِمْ، وَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «**وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْدَأُوا بِالْقُرْآنِ وَتَخْتِمُوا بِالْقُرْآنِ**».

۞ أَرَادَ رَاهِبٌ يَوْمًا أَنْ يَخْتَبِرَ فِرَاسَةَ الْجُنَيْدِ رضي الله عنه فِيهِ، فَلَبِسَ الرَّاهِبُ زِيَّ الْمُسْلِمِينَ، وَحَضَرَ مَجْلِسَ أَبِي الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ**»؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْجُنَيْدُ رضي الله عنه وَقَالَ لَهُ: **أَظُنُّ قَدْ آنَ أَوَانُ إِسْلَامِكَ يَا نَصْرَانِيُّ، فَقَامَ الرَّاهِبُ وَبَايَعَهُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ: وَاللهِ مَا فَعَلْتُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّنِي أَحْبَبْتُ أَنْ أَعْرِفَ فِرَاسَتَكَ فِيَّ.**

۞ وَرَآهُ أَحَدُ الصَّالِحِينَ فِي مَنَامِهِ بَعْدَ انْتِقَالِهِ، فَسَأَلَهُ مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ فَقَالَ رضي الله عنه: **ذَهَبَتِ الْعِبَارَاتُ، وَفَنِيَتِ الْإِشَارَاتُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا رَكَعَاتٌ كُنَّا نُصَلِّيهَا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ.**

۞ وَرُوِيَ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْهُ يَوْمًا وَشَكَتْ لَهُ فَقَالَتْ: إِنَّ ابْنِي قَدْ ضَاعَ، فَقَالَ لَهَا: **اذْهَبِي وَاصْطَبِرِي**، فَجَاءَتْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ ابْنِي قَدْ ضَاعَ، فَقَالَ لَهَا: **اذْهَبِي وَاصْطَبِرِي**،

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثُ قَالَتْ لَهُ: إِنَّ ابْنِي قَدْ ضَاعَ، فَقَالَ لَهَا: **اِذْهَبِي وَاصْطَبِرِي**، فَقَالَتْ: عِيلَ صَبْرِي، وَلَا طَاقَةَ لِي عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: **أَحَقًّا مَا تَقُولِينَ؟** قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رضي الله عنه: **اِذْهَبِي فَابْنُكِ فِي الْبَيْتِ**، فَسَأَلَهُ أَحَدُ الْجَالِسِينَ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: **لَمَّا عَلِمْتُ اضْطِرَارَهَا، عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ أَجَابَهَا، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[1].

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ الْإِمَامِ (أَبُو حَنِيفَةَ) النُّعْمَانُ رضي الله عنه

۞ وُلِدَ رضي الله عنه سَنَةَ ثَمَانِينَ بِالْكُوفَةِ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ، وَأَدْرَكَ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، وَهُوَ صَاحِبُ الْمَذْهَبِ الْحَنَفِيِّ الْمَشْهُورِ، الَّذِي مَلَأَ عِلْمُهُ بِقَاعَ الْأَرْضِ.

۞ كَانَ رضي الله عنه فَقِيهًا عَابِدًا زَاهِدًا، مُرِيدًا وَجْهَ اللهِ تَعَالَىٰ بِعِلْمِهِ.

۞ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عِبَادَتِهِ، أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ يُحْيِي نِصْفَ اللَّيْلِ قَائِمًا، فَمَرَّ يَوْمًا فِي الطَّرِيقِ فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ: هَذَا هُوَ الَّذِي يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَلَمَّا سَمِعَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ ذَلِكَ صَارَ يُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ وَيَقُولُ: **أَنَا أَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ أُوصَفَ بِمَا لَيْسَ فِيَّ مِنْ عِبَادَتِهِ.**

۞ وَأَمَّا عَنْ زُهْدِهِ رضي الله عنه، فَقَدْ دُعِيَ مِنْ قِبَلِ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ أَمِيرِ الْعِرَاقِ؛ لِيَكُونَ حَاكِمًا عَلَىٰ بَيْتِ الْمَالِ فَأَبَىٰ، فَضَرَبَهُ عِشْرِينَ سَوْطًا.

۞ وَرُوِيَ كَذَلِكَ أَنَّهُ دُعِيَ إِلَىٰ وِلَايَةِ الْقَضَاءِ، فَقَالَ: **أَنَا لَا أُصْلُحُ لِهَذَا، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ؟ فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَمَا أَصْلُحُ لَهَا، وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا، فَالْكَاذِبُ لَا يَصْلُحُ لِوِلَايَةِ الْقَضَاءِ.**

۞ وَصَفَهُ أَهْلُ زَمَانِهِ بِأَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ شَدِيدَ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، طَوِيلَ الصَّمْتِ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ، قَلِيلَ الْمُحَادَثَةِ لِلنَّاسِ.

۞ أَمَّا عَنْ فِقْهِهِ رضي الله عنه، فَقَدْ وَصَفَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ بِأَنَّهُ رضي الله عنه أَفْقَهُ النَّاسِ، وَوَصَفَهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ فَقَالَ: **النَّاسُ عِيَالٌ فِي الْفِقْهِ عَلَىٰ أَبِي حَنِيفَةَ.**

۞ وَكَانَ مِنْهَاجُهُ فِي الِاسْتِنْبَاطِ لِلْأَحْكَامِ الْفِقْهِيَّةِ كِتَابَ اللهِ تَعَالَىٰ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ وَمَا وَرَدَ

---

(١) النمل الآية (٦٢).

عَنِ الصَّحَابَةِ أَوِ التَّابِعِينَ، وَإِلَّا اجْتَهَدَ بِرَأْيِهِ وَقَاسَ فَأَحْسَنَ الْقِيَاسَ. وَقَدْ تَوَفِّيَ ﵁ وَهُوَ سَاجِدٌ عَامَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً.

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ الإِمَامِ مَالِكٍ ﵁

۞ هُوَ إِمَامُ دَارَ الْهِجْرَةِ، وُلِدَ ﵁ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ لِلْهِجْرَةِ، وَهُوَ صَاحِبُ (الْمُوَطَّأِ) فِي الْفِقْهِ الَّذِي وَضَعَهُ فِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ بـ (الْمُوَطَّأِ)؛ لِأَنَّ كُلَّ فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ وَاطَؤُوهُ عَلَيْهِ.

۞ وَمِمَّا يُرْوَىٰ عَنْهُ فِي تَعْظِيمِهِ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: **أَنَّهُ** ﵁ كَانَ لَا يُحَدِّثُ إِلَّا وَهُوَ عَلَىٰ وُضُوءٍ، وَسَأَلَهُ يَوْمًا رَجُلٌ فِي الطَّرِيقِ عَنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَغَضِبَ وَقَالَ: **تَسْأَلُنِي عَنِ الْحَدِيثِ فِي الطَّرِيقِ؟!** وَضَرَبَ السَّائِلَ عِشْرِينَ سَوْطًا.

۞ وَكَانَ ﵁ مُحِبًّا لِآلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ ﵁ قَالَ: **أُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا: مُلَازَمَةُ تُرْبَتِهِ** ﷺ (أَيْ: الْمَدِينَةِ)، **وَمُجَاوَرَةُ رَوْضَتِهِ** ﷺ، **وَمَحَبَّةُ آلِ بَيْتِهِ** ﷺ.

۞ وَكَانَ مِنْ تَعْظِيمِهِ لِلْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ قَوْلُهُ ﵁: «**إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ أَطَأَ تُرْبَةَ النَّبِيِّ** ﷺ **بِحَافِرِ دَابَّةٍ**».

۞ وَقَدْ أَرَادَ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ هَارُونُ الرَّشِيدُ أَنْ يَحْمِلَ النَّاسَ عَلَىٰ الْمُوَطَّأِ، فَأَبَىٰ الْإِمَامُ مَالِكٌ، وَقَالَ: **إِنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ** ﷺ **افْتَرَقُوا بَعْدَهُ فِي الْأَمْصَارِ، فَحَدَّثُوا، فَعِنْدَ كُلِّ أَهْلِ مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ عِلْمٌ**.

۞ دَعَاهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ لِيَتْرُكَ الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ، وَيَذْهَبَ مَعَهُ إِلَىٰ أَرْضِ الْعِرَاقِ؛ لِيُعَلِّمَ وَلَدَيْهِ الْأَمِينَ وَالْمَأْمُونَ الْمُوَطَّأَ وَيَنْتَفِعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ بِعِلْمِهِ، فَقَالَ ﵁: **أَعَزَّ اللهُ مَوْلَانَا الْأَمِيرَ، إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ مِنْكُمْ خَرَجَ، فَإِنْ أَنْتُمْ أَعْزَزْتُمُوهُ عَزَّ، وَإِنْ أَنْتُمْ أَذْلَلْتُمُوهُ ذَلَّ، وَالْعِلْمُ يُؤتَىٰ وَلَا يَأْتِي**، فَقَالَ: صَدَقْتَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ: أُرْسِلُ وَلَدَيَّ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ الإِمَامُ ﵁: **عَلَىٰ شَرْطِ أَلَّا يَتَخَطَّيَا رِقَابَ النَّاسِ، وَأَنْ يَجْلِسَا فِي الْمَسْجِدِ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِمَا الْمَجْلِسُ**.

وَمِنْ أَقْوَالِهِ رضي الله عنه:

- **الْعِلْمُ نُورٌ يَجْعَلُهُ اللهُ حَيْثُ يَشَاءُ، وَلَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ.**
- **لَا يَكُونُ إِمَامًا مَنْ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ.** يُرِيدُ رضي الله عنه بِذَلِكَ أَنْ يَخْتَارَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً، وَلَا يَسْرُدُ الْحَدِيثَ سَرْدًا.
- وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: **نَشْرُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ أَعْمَالِ الْبِرِّ، وَقَدْ رَضِيتُ بِمَا فُتِحَ لِي فِيهِ.**
- قَالَ لِفَتىً مِنْ قُرَيْشٍ: **يَا ابْنَ أَخِي، تَعَلَّمِ الْأَدَبَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ.**
- تُوُفِّيَ رضي الله عنه عَنْ تِسْعَةٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَذَلِكَ عَامَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه

- قُرَشِيُّ الْأَصْلِ، يَلْتَقِي نَسَبُهُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي جَدِّهِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَقَدْ وُلِدَ رضي الله عنه بِغَزَّةَ، وَمَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَنَشَأَ يَتِيمًا فِي حِجْرِ أُمِّهِ، وَقَدْ رَحَلَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَىٰ أَرْضِ الْحِجَازِ، فَنَشَأَ بِمَكَّةَ، فَتَعَلَّمَ بِهَا الْعَرَبِيَّةَ، وَالشِّعْرَ وَالْفِقْهَ، وَتَعَلَّمَ الرِّمَايَةَ فِي صِغَرِهِ، فَكَانَ يُصِيبُ مِنْ عَشْرَةِ أَسْهُمٍ تِسْعَةً، وَكُنْيَتُهُ (أَبُو عَبْدِ اللهِ).
- وَكَانَ مَولِدُهُ رضي الله عنه سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَةً. وَقَدْ قَرَأَ رضي الله عنه الْمُوَطَّأَ عَلَىٰ الْإِمَامِ مَالِكٍ حِفْظًا، فَأَعْجَبَ الْإِمَامَ قِرَاءَتُهُ، فَكَانَ مَالِكٌ يَسْتَزِيدُهُ مِنَ الْقِرَاءَةِ؛ لِإِعْجَابِهِ بِقِرَاءَتِهِ، وَقَدْ بَشَّرَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فَقَالَ لَهُ: **اتَّقِ اللهَ؛ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَكَ شَأْنٌ.**
- وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ يُقَسِّمُ اللَّيْلَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: ثُلُثًا لِلْعِلْمِ، وَثُلُثًا لِلْعِبَادَةِ، وَثُلُثًا لِلنَّوْمِ.
- وَرُوِيَ أَنَّهُ فِي قِيَامِهِ اللَّيْلَ لَا يَزِيدُ فِي قِرَاءَتِهِ عَنْ خَمْسِينَ آيَةً، وَإِذَا أَكْثَرَ مِائَةَ آيَةً، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا سَأَلَ اللهَ لِنَفْسِهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ الرَّحْمَةَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا تَعَوَّذَ فِيهَا، وَسَأَلَ النَّجَاةَ لِنَفْسِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ.
- وَكَانَ رضي الله عنه يَتَحَدَّثُ عَنْ آفَاتِ الشِّبَعِ وَيَقُولُ: **مَا شَبِعْتُ مُنْذُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً؛ لِأَنَّ الشِّبَعَ يُثْقِلُ الْبَدَنَ، وَيُقَسِّي الْقَلْبَ، وَيُزِيلُ الْفِطْنَةَ، وَيَجْلِبُ النَّوْمَ، وَيُضْعِفُ صَاحِبَهُ عَنِ الْعِبَادَةِ.**

۞ وَكَانَ ﵁ مُرَاقِبًا لِرَبِّهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ؛ فَكَانَ مَعَ مَكَانَتِهِ فِي الْفِقْهِ، لَا يَتَسَرَّعُ فِي الْفَتْوَىٰ، حَتَّىٰ يَرَىٰ الْخَيْرَ فِيمَا يَقُولُ فَيَتَكَلَّمَ، وَإِلَّا سَكَتَ عَنِ الْجَوَابِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ﵁ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَسَكَتَ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تُجِيبُ رَحِمَكَ اللهُ؟ فَقَالَ ﵁: **حَتَّىٰ أَدْرِيَ الْفَضْلَ فِي سُكُوتِي أَو فِي جَوَابِي**.

۞ وَقِيلَ لَهُ يَوْمًا: أَيُّهُمْ أَفْضَلُ الصَّبْرُ أَوِ الْمِحْنَةُ أَوِ التَّمْكِينُ؟ فَقَالَ ﵁: **التَّمْكِينُ دَرَجَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يَكُونُ التَّمْكِينُ إِلَّا بَعْدَ الْمِحْنَةِ، فَإِذَا امْتُحِنَ صَبَرَ، وَإِذَا صَبَرَ مُكِّنَ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ اللهَ ﷻ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ ﵇، ثُمَّ مَكَّنَهُ وَآتَاهُ مُلْكًا، وَامْتَحَنَ مُوسَىٰ ﵇ ثُمَّ مَكَّنَهُ، وَامْتَحَنَ أَيُّوبَ ﵇ ثُمَّ مَكَّنَهُ، وَامْتَحَنَ سُلَيمَانَ ﵇، ثُمَّ مَكَّنَهُ وَآتَاهُ مُلْكًا. وَالتَّمْكِينُ أَفْضَلُ الدَّرَجَاتِ، قَالَ اللهُ ﷻ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾(١)، **وَأَيُّوبُ ﵇ بَعْدَ الْمِحْنَةِ الْعَظِيمَةِ مُكِّنَ، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾(٢).

۞ وَكَانَ ﵁ ذَا خَشْيَةٍ وَخُشُوعٍ وَافْتِقَارٍ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﵁ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

أُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ ... لَعَلِّي أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةً
وَأَكْرَهُ مَنْ تِجَارَتُهُ الْمَعَاصِي ... وَإِنْ كُنَّا سَوِيًّا فِي الْبِضَاعَةِ

۞ وَكَانَ ﵁ يَحْفَظُ لِلْعِلْمِ وَقَارَهُ وَمَكَانَتَهُ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ﵁ لَمَّا نَزَلَ بِمِصْرَ أَشَارُوا عَلَيْهِ أَنْ يَتَّخِذَ لَهُ مَجْلِسًا مِنَ السُّلْطَانِ؛ يَتَعَزَّزُ بِهِ حَتَّىٰ يَنْتَشِرَ عِلْمُهُ، فَقَالَ ﵁: **مَنْ لَمْ تُعِزُّهُ التَّقْوَىٰ فَلَا عِزَّ لَهُ، وَلَقَدْ وُلِدْتُ بِغَزَّةَ وَرُبِّيتُ بِالْحِجَازِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا سِوَىٰ قُوتِ يَوْمِنَا وَمَا بِتْنَا جِيَاعًا قَطُّ**.

۞ وَكَانَ الشَّافِعِيُّ ﵁ مِنْ أَهْلِ الْحِكْمَةِ، وَقَدْ أَجْرَىٰ اللهُ عَلَىٰ لِسَانِهِ هَذِهِ الْأَقْوَالَ الْكَرِيمَةَ:

- **لَيْسَ الْعِلْمُ مَا حُفِظَ، إِنَّمَا الْعِلْمُ مَا نَفَعَ.**
- **مَنْ لَزِمَتْهُ الشَّهْوَةُ لِلدُّنْيَا، لَزِمَتْهُ الْعُبُودِيَّةُ لِأَهْلِهَا.**
- **زِينَةُ الْعِلْمِ الْوَرَعُ وَالْحِلْمُ.**

---
(١) يوسف الآية (٢١). (٢) الأنبياء الآية (٨٤).

❁ لَو عَلِمْتُ أَنَّ الْمَاءَ يُنْقِصُ مِنْ مُرُوءَتِي مَا اشْتَرَيْتُهُ.

❁ وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: **لَوْلَا صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ، وَمُنَاجَاةُ اللهِ بِالْأَسْحَارِ، مَا أَحْبَبْتُ الْبَقَاءَ فِي هَذِهِ الدَّارِ.**

❁ وَيَقُولُ رضي الله عنه: **وَدِدْتُ أَنَّ النَّاسَ انْتَفَعُوا بِهَذَا الْعِلْمِ، وَمَا نُسِبَ إِلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ.**

۞ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ الْمُزَنِيُّ، وَقَالَ لَهُ: كَيفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: **أَصْبَحْتُ عَنِ الدُّنْيَا رَاحِلاً، وَلِإِخْوَانِي مُفَارِقًا، وَلِكَأْسِ الْمَنِيَّةِ شَارِبًا، وعَلَىٰ اللهِ وَارِداً.**

۞ وَقَدْ تَوَفَّيَ رضي الله عنه عَنْ أَرْبَعَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ.

۞ وَرَآهُ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ فِي مَنَامِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ رضي الله عنه: **أَجْلَسَنِي عَلَىٰ كُرْسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ، وَنَثَرَ عَلَيَّ اللُّؤْلُؤَ وَالرُّطَبَ.**

۞ وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الصَّالِحِينَ يُقَالُ لَهُ (أَبُو الْحَسَنِ) رَأَىٰ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي مَنَامِهِ بَعْدَ وَفَاةِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِمَ جُوزِيَ الشَّافِعِيُّ؛ حَيْثُ كَانَ يَخْتِمُ كِتَابَةَ الرِّسَالَةِ بِقَولِهِ: «**وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ**»؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «**جُوزِيَ عَنِّي أَنَّهُ لَا يُوقَفُ لِلْحِسَابِ**».

۞ وَكَانَ رضي الله عنه مُحِبًّا لِآلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَمَا أَجْمَلَ قَولَهُ فِيهِمْ:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حُبُّكُمُ ... فَرْضٌ مِنَ اللهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمُ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنَّكُمُ ... مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رضي الله عنه

۞ هُوَ أَبُوعَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رضي الله عنه، عَرَبِيُّ الْأَصْلِ، يَلْتَقِي نَسَبُهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي جَدِّهِ (نِزَارٍ)، وُلِدَ رضي الله عنه بِبَغْدَادَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ.

۞ وَقَدْ خَرَجَ رضي الله عنه لِطَلَبِ الْحَدِيثِ وَهُوَ فِي السَّادِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، فَأَخَذَ عَنْ هُشَيْمٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَصَحِبَ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ الَّذِي

كَانَ يُجِلُّهُ وَيَقُولُ: مَا خَلَّفْتُ بِالْعِرَاقِ أَحَداً يُشْبِهُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، كَمَا أَثْنَىٰ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ عَلَيْهِ؛ لِمَا جَمَعَ اللهُ لَهُ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ، فَقَدْ كَانَ ﷺ عَالِمَاً فَقِيهَاً زَاهِدَاً وَرِعَاً قَائِمَاً عَلَىٰ الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُ مَنْ خَالَفَهُ، يُدَافِعُ عَنْهُ بِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ، صَابِراً مُحْتَسِبَاً، لَا يَخْشَىٰ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَكَانَ ﷺ إِذَا حَدَّثَ قَالَ النَّاسُ كُلُّهُمْ: (صَدَقَ) وَكَانَتْ مَجَالِسُهُ مَجَالِسَ الْآخِرَةِ، لَا يُذْكَرُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا قَطُّ.

۞ وَقَدْ أَيَّدَ اللهُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ ﷺ وَنَصَرَهُ فِي مِحْنَتِهِ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا مِنَ الْخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ وَمَنْ بَعْدَهُ، حَتَّىٰ إِذَا أُسْنِدَتِ الْخِلَافَةُ لِلْمُتَوَكِّلِ، صَارَ لَا يُوَلِّي أَحَداً إِلَّا بِمَشُورَةِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَأَرَادَ اللهُ لِلْحَقِّ أَنْ يَنْتَصِرَ وَلَو بَعْدَ حِينٍ.

۞ وَمِنْ أَجَلِّ وَأَعْظَمِ مَا تَرَكَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ كِتَابُ (الْمُسْنَدِ) الَّذِي جَمَعَ فِيهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ، وَكِتَابُ (الزُّهْدِ).

۞ **وَمِنْ أَقْوَالِهِ ﷺ:**

- **كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ، فَبَادَرَ بِهِ، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ.**
- **اِجْعَلِ التَّقْوَىٰ زَادَكَ، وَانْصِبِ الْآخِرَةَ أَمَامَكَ.**
- **مَا قَلَّ مِنَ الدُّنْيَا كَانَ أَقَلَّ لِلْحِسَابِ.**

۞ وَقَدْ تُوُفِّيَ ﷺ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَوَّلَ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ عَنْ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً. وَقِيلَ لَهُ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: مَنْ نَسْأَلُ بَعْدَكَ؟ قَالَ: **عَبْدَ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقَ**، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَيسَ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ مِثْلَ مَا عِنْدَكَ، قَالَ ﷺ: عِنْدَهُ أَصْلُ الدِّينِ: **تَقْوَىٰ اللهِ وَالْوَرَعُ، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ أَصَابَ.**

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ الْإِمَامِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ

۞ كَانَ ﷺ إِمَامَاً فِي الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ، وَلَهُ فَضْلُهُ فِي الْجُودِ وَالسَّخَاءِ، وَقَدْ وُلِدَ ﷺ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ بِقَرْيَةِ "قَرْقَشَنْدَةَ" عَلَىٰ نَحْوِ أَرْبَعَةِ فَرَاسِخَ مِنْ مِصْرَ. وَقَدْ أَثْنَىٰ عَلَيهِ الْإِمَامُ

الشَّافِعِيُّ فِي فِقْهِهِ وَاتِّبَاعِهِ لِلأَثَرِ.

۞ وَرُوِيَ فِي زُهْدِهِ، أَنَّ الْخَلِيفَةَ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَلِيَ مِصْرَ، فَأَبَىٰ وَاسْتَعْفَىٰ مِنْ ذَلِكَ، وَفِي هَذَا يَقُولُ رضي الله عنه: **بَلَغْتُ الثَّمَانِينَ وَمَا نَازَعْتُ صَاحِبَ هَوَىٰ قَطُّ.**

۞ أَمَّا عَنْ سَخَائِهِ رضي الله عنه، فَقَدْ رُوِيَ فِي مَآثِرِهِ مَا تَطِيبُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَتُدْهَشُ لَهُ الْعُقُولُ، فَقَدْ أَهْدَىٰ الإِمَامُ مَالِكٌ إِلَيْهِ يَوْمًا طَبَقًا مِنَ الرُّطَبِ، فَرَدَّ إِلَيْهِ عَلَىٰ الطَّبَقِ أَلْفَ دِينَارٍ.

۞ وَمِنْ مَآثِرِهِ رضي الله عنه فِي الْجُودِ وَالسَّخَاءِ، أَنَّهُ رضي الله عنه اشْتَرَىٰ دَارًا، وَأَرْسَلَ رَسُولاً مِنْ عِنْدِهِ لِاسْتِلَامِهَا، فَبَلَغَهُ أَنَّ بِهَا أَيْتَامًا، فَتَرَكَهَا لَهُمْ.

۞ وَكَانَ رضي الله عنه يَتَّجِرُ فِي الْعَسَلِ، فَأَتَتْ لَهُ يَوْمًا امْرَأَةٌ بِقَارُورَةٍ؛ لِيَمْلَأَهَا لَهَا، فَأَمَرَ لَهَا بِزَلْعَةٍ، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: هِيَ تَطْلُبُ عَلَىٰ قَدْرِهَا، وَنَحْنُ نُعْطِي عَلَىٰ قَدْرِنَا.

۞ وَقَدْ تُوُفِّيَ رضي الله عنه فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ عَنْ إِحْدَىٰ وَثَمَانِينَ سَنَةً.

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ رضي الله عنه

۞ وُلِدَ رضي الله عنه فِي مَدِينَةِ (بُخَارَىٰ) بِخُرَاسَانَ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ رضي الله عنه فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، لِثَلَاثِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَوَّالٍ، سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ، وَقَدْ تُوُفِّيَ أَبُوهُ فِي صِغَرِهِ، فَنَشَأَ رضي الله عنه فِي حِجْرِ أُمِّهِ، الَّتِي كَانَتْ مُسْتَجَابَةَ الدَّعْوَةِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الإِمَامَ الْبُخَارِيَّ ذَهَبَتْ عَيْنَاهُ فِي صِغَرِهِ، فَرَأَتْ وَالِدَتُهُ الْخَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لَهَا: **يَا هَذِهِ، قَدْ رَدَّ اللهُ عَلَىٰ ابْنِكِ بَصَرَهُ، بِكَثْرَةِ دُعَائِكِ لَهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ.**

۞ وَقَدْ أَلْهَمَهُ اللهُ حِفْظَ الْحَدِيثِ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ فِي الْكُتَّابِ، وَرَحَلَ إِلَىٰ مَكَّةَ وَهُوَ فِي السَّادِسَةَ عَشْرَ مِنْ عُمْرِهِ، حَيْثُ حَجَّ مَعَ أُمِّهِ وَأَخِيهِ، ثُمَّ رَجَعَ أَخُوهُ بَعْدَ مَنَاسِكِ الْحَجِّ مَعَ أُمِّهِ إِلَىٰ بُخَارَىٰ، وَبَقِيَ هُوَ بِمَكَّةَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ، وَمِنْهَا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ثُمَّ إِلَىٰ الْبَصْرَةِ وَمِنْهَا إِلَىٰ الْكُوفَةِ، وَرَحَلَ إِلَىٰ الشَّامِ وَمِصْرَ، وَتَلَقَّىٰ عَنْ شُيُوخِ عَصْرِهِ، حَتَّىٰ قِيلَ: إِنَّ شُيُوخَهُ بَلَغُوا الأَلْفَ

شَيْخٍ، فَنَمَتْ ثَرْوَتُهُ الْعِلْمِيَّةُ حَتَّىٰ شَهِدَ لَهُ أَهْلُ زَمَانِهِ بِالْإِمَامَةِ.

۞ وَكَانَ رضي الله عنه عَامِلاً بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، مُتَأَسِّيًا فِي زُهْدِهِ وَوَرَعِهِ وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَكَانَ مِنْ أَدَبِهِ رضي الله عنه أَنَّهُ لَا يُجَرِّحُ الرُّوَاةَ، ويَقُولُ: أَرْجُو أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ، وَلَا يُحَاسِبُنِي أَنِّي اغْتَبْتُ أَحَداً، فَقَدْ كَانَ رضي الله عنه وَرِعًا، مُنْصِفًا فِيمَنْ يُضَعِّفُ حَدِيثَهُ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَا يَقُولُ فِيهِ: «مُنْكَرُ الْحَدِيثِ- سَكَتُوا عَنْهُ- فِيهِ نَظَرٌ»، وَنَحْوُ هَذَا دُونَ أَنْ يُجَرِّحَ أَحَداً.

۞ وَقَدْ أَلْقَىٰ اللهُ مَحَبَّةَ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا رَجَعَ مِنْ رَحَلَاتِهِ إِلَىٰ بُخَارَىٰ، نُصِبَتْ لَهُ الْقِبَابُ، وَاسْتَقْبَلَهُ عَامَّةُ أَهْلِ الْبَلَدِ وَنَثَرُوا عَلَيْهِ الدَّرَاهِمَ وَالدَّنَانِيرَ، وَجَرَىٰ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي نَيْسَابُورَ بَلَدِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ رضي الله عنه.

۞ وَقَدْ تُوُفِّيَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رضي الله عنه لَيْلَةَ الْفِطْرِ، وَدُفِنَ فِي يَوْمِ الْفِطْرِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَعَاشَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ الْإِمَامِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ النَّيسَابُورِيِّ رضي الله عنه

۞ وُلِدَ رضي الله عنه بِنَيسَابُورَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَينِ لِلْهِجْرَةِ، وَتَتَلْمَذَ عَلَىٰ يَدِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ رضي الله عنهما، وَصَحِيحُ الْبُخَارِيُّ وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ هُمَا أَصَحُّ مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الْحَدِيثِ، وَقَدْ أَثْنَىٰ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ عَلَىٰ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ فِي تَحَرِّيهِ لِلرِّوَايَاتِ وَمَا فِي صَحِيحِهِ مِنَ التَّرْتِيبِ وَحُسْنِ السِّيَاقِ .. وَقَالَ: إِنَّ الْإِمَامَ مُسْلِماً إِمَامٌ قَلَّ مَنْ يُسَاوِيهِ أَو يُدَانِيهِ مِنْ أَهْلِ دَهْرِهِ، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

۞ وَقَدْ رَحَلَ رضي الله عنه مِنْ نَيسَابُورَ إِلَىٰ الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ شُيُوخِهِ الَّذِينَ بَلَغُوا مِائَتَينِ وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ شَيْخاً، وَقَدْ تَمَيَّزَ صَحِيحُ مُسْلِمٍ بِالسُّهُولَةِ وَالْيُسْرِ فِي تَنَاوُلِهِ؛ حَيْثُ جَعَلَ لِكُلِّ حَدِيثٍ مَوْضِعًا وَاحِداً يَلِيقُ بِهِ، جَمَعَ فِيهِ أَسَانِيدَهُ الْمُتَعَدِّدَةَ.

۞ وَتَوَفِّيَ رضي الله عنه: فِي شَهْرِ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَسِتِّينَ وَمِائَةً عَنْ بِضْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، فَجَزَاهُ

---

(١) الحديد الآية (٢١).

اللهُ بِمَا قَدَّمَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ رضي الله عنه

۞ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ زَينِ الْعَابِدِينَ رضي الله عنهما، وُلِدَ رضي الله عنه بِالْمَدِينَةِ فِي ثَالِثِ صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ قَبْلَ اسْتِشْهَادِ جَدِّهِ الْحُسَينِ رضي الله عنه بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَلَقَبُهُ (الْبَاقِرُ)؛ لِأَنَّهُ بَقَرَ الْعِلْمَ، أَيْ: شَقَّهُ فَعَرَفَ أَصْلَهُ، وَأُمُّهُ أُمُّ عَبْدِ اللهِ بِنْتُ سَيِّدِنَا الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وَيُلَقَّبُ كَذَلِكَ بِـ (أَبِي جَعْفَرٍ)؛ لِأَنَّ ابْنَهُ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رضي الله عنه.

۞ وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ بَكَّاءً، شَدِيدَ الْخَشْيَةِ مِنَ اللهِ، قَوَّامًا لِلَّيْلِ، وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: مَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنٌ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ وَجْهَ صَاحِبِهَا عَلَىٰ النَّارِ.

۞ **وَمِنْ أَقْوَالِهِ رضي الله عنه:**

❁ **مَا دَخَلَ قَلْبَ امْرِئٍ شَيْءٌ مِنَ الْكِبْرِ، إِلَّا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ مِثْلُ ذَلِكَ قَلَّ أَو كَثُرَ.**

❁ **الصَّوَاعِقُ تُصِيبُ الْمُؤْمِنَ وَغَيرَهُ، وَلَا تُصِيبُ ذَاكِرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.**

❁ **مَا مِنْ عِبَادَةٍ أَفْضَلَ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ وَفَرْجٍ.**

❁ **إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَطْمَئِنُّوا إِلَىٰ الدُّنْيَا؛ لِزَوَالِهَا، وَلَمْ يَأْمَنُوا الْآخِرَةَ؛ لِأَهْوَالِهَا، وَإِنَّ أَهْلَ التَّقْوَىٰ أَيْسَرُ أَهْلِ الدُّنْيَا مَؤُونَةً، وَأَكْثَرُهُمْ مَعُونَةً، إِنْ نَسِيتَ ذَكَّرُوكَ، وَإِنْ ذَكَرْتَ أَعَانُوكَ.**

❁ قَالَ لِابْنِهِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ رضي الله عنهما: **يَا بُنَيَّ، إِنَّ اللهَ خَبَّأَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: خَبَّأَ رِضَاهُ فِي طَاعَتِهِ، فَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الطَّاعَةِ شَيْئًا؛ فَلَعَلَّ رِضَاهُ فِيهِ، وَخَبَّأَ سُخْطَهُ فِي مَعْصِيَتِهِ، فَلَا تَحْقِرَنَّ مِنْ مَعْصِيَتِهِ شَيئًا؛ فَلَعَلَّ سُخْطَهُ فِيهِ، وَخَبَّأَ أَوْلِيَاءَهُ فِي خَلْقِهِ، فَلَا تَحْقِرَنَّ أَحَدًا؛ فَلَعَلَّهُ ذَلِكَ الْوَلِيُّ.**

۞ وَقَدْ تُوُفِّيَ رضي الله عنه سَنَةَ سَبْعَ وَعَشْرَ وَمِائَةٍ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ رضي الله عنه.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ سَيِّدِنا جَعْفَرٍ الصَّادِق رضي الله عنه

۞ هُوَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ سَيِّدِنا الْحُسَينِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

۞ وَأُمُّهُ فَرْوَةُ بِنْتُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهم، وَمِمَّا هُوَ جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ فِي هَذَا النَّسَبِ الشَّرِيفِ، أَنَّ أُمَّ الْقَاسِمِ أَسْمَاءَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ سَيِّدُنَا جَعْفَرُ الصَّادِقِ رضي الله عنه يَفْتَخِرُ بِهَذَا النَّسَبِ ويَقُولُ: وَلَدَنِي أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه مَرَّتَينِ. وَكَلِمَةُ (الصَّادِقِ) هَذِهِ هِيَ اللَّقَبُ الَّذِي كَانَ رضي الله عنه يُكَنَّىٰ بِهِ.

۞ وَرُوِيَ فِي مَنَاقِبِهِ رضي الله عنه، أَنَّ سُفْيَانَ الثَّورِيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ زَارَهُ يَوْمًا، وقَالَ: حَدِّثْنِي حَدِيثًا أَسْمَعُهُ مِنْكَ، فَقَالَ: رَوَيْتُ عَنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنِ اسْتَبْطَأَ الرِّزْقَ، فَلْيَسْتَغْفِرِ اللهَ، وَمَنْ حَزَبَهُ أَمْرٌ فَلْيَقُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»، فَلَمَّا قَامَ سُفْيَانُ، قَالَ جَعْفَرٌ: خُذْهَا يَا سُفْيَانُ ثَلَاثًا وَأَيُّ ثَلَاثٍ.

۞ **وَلَهُ مِنْ أَقْوَالِهِ فِي مَقَامِ الْحِكْمَةِ الْكَثِيرُ، مِنْهَا قَوْلُهُ رضي الله عنه:**

۞ **الْبَنَاتُ حَسَنَاتٌ، وَالْبَنُونَ نِعَمٌ، وَأَنْتَ مُثَابٌ عَلَىٰ الْحَسَنَاتِ، وَمَسْئُولٌ عَنْ النِّعَمِ.**

۞ **مَنْ لَمْ يَسْتَحِ مَنْ الْعَيْبِ، وَيَرْعُ عِنْدَ الشَّيْبِ، وَيَخْشَ اللهَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، فَلَا خَيْرَ فِيهِ.**

۞ **الْمُؤْمِنُ مَنْ إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنْ حَقٍّ، وَإِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ.**

۞ **مَنْ أَكْرَمَكَ فَأَكْرِمْهُ، وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِكَ فَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْهُ.**

۞ **مَنْ مَنَعَ الْجُودَ، فَقَدْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِالْمَعْبُودِ.**

۞ **مَنْ قَنَعَ بِمَا قَسَمَ اللهُ اسْتَغْنَىٰ، ومَنْ مَدَّ عَيْنَيْهِ إِلَىٰ مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ مَاتَ فَقِيرًا، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ اتَّهَمَ رَبَّهُ فِي قَضَائِهِ.**

۞ **لَا يَتِمُّ الْمَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثٍ: تَعْجِيلِهِ، وَتَصْغِيرِهِ، وَسَتْرِهِ.**

۞ **ثَلَاثٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: سُلَيمَانُ أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَأَيُّوبُ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَيُوسُفُ ظُلِمَ فَغَفَرَ.**

۞ رَوَىٰ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مَرْفُوعًا، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: **«مَا مِنْ مُؤْمِنٍ أَدْخَلَ عَلَىٰ قَوْمٍ سُرُورًا**

إِلَّا خَلَقَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ مَلَكاً يَعْبُدُ اللهَ وَيَحْمَدُهُ وَيُمَجِّدُهُ، فَإِذَا صَارَ الْمُؤْمِنُ فِي لَحْدِهِ أَتَاهُ ذَلِكَ السُّرُورُ الَّذِي أَدْخَلَهُ عَلَىٰ أُولَئِكَ مَلَكٌ، فَيَقُولُ: أَنَا الْيَومَ أُونِسُ وَحْشَتَكَ، وَأُلَقِّنُكَ حُجَّتَكَ، وَأُثَبِّتُكَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، وَأَشْهَدُ عَنْكَ مَشَاهِدَ الْقِيَامَةِ، وَأَشْفَعُ لَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ، وَأُرِيكَ مَنْزِلَتَكَ فِي الْجَنَّةِ».

۞ وَقَدْ تَوَفَّي رضي الله عنه سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي شَوَّالٍ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَمَانٍ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَدُفِنَ رضي الله عنه بِالْبَقِيعِ مَعَ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ الْبَاقِرِ وَجَدِّهِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

۞۞۞۞۞

مَنَاقِبُ سَيِّدِنَا مُوسَى الْكَاظِمِ رضي الله عنه

۞ وُلِدَ مُوسَىٰ الْكَاظِمُ رضي الله عنه بِالْأَبْوَاءِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكُنْيَتُهُ (أَبُو الْحَسَنِ)، وَلَقَبُهُ (الْكَاظِمُ)؛ لِأَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ حَلِيمـًا يَكْظِمُ غَيْظَهُ.

۞ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ، فَكَانُوا يَقُولُونَ عَنْهُ: هُوَ بَابُ الْحَوائِجِ إِلَىٰ اللهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَسَّلُونَ بِهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، فَتُقْضَىٰ بِإِذْنِ اللهِ.

۞ وَقَدْ جَاءَ فِي مَنَاقِبِهِ أَنَّهُ رضي الله عنه كَانَ أَعْبَدَ أَهْلِ زَمَانِهِ وَأَعْلَمَهُمْ، وَأَسْخَاهُمْ كَفًّا، وَأَكْرَمَهُمْ نَفْسـًا، وَكَانَ رضي الله عنه يَتَفَقَّدُ فُقَرَاءَ الْمَدِينَةِ، فَيَحْمِلُ إِلَيْهِمُ الدَّرَاهِمَ وَالدَّنَانِيرَ فِي بُيُوتِهِمْ لَيْلاً، دُونَ أَنْ يَعْلَمُوا مَنِ الَّذِي يَتَعَاهَدُهُمْ بذَلِكَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ رضي الله عنه، وَلَمْ يَجِدُوا أحداً يَتَعَاهَدُهُمْ بِهَا، فَعَلِمُوا أَنَّ مُوسَىٰ الْكَاظِمَ هُوَ ذَاكَ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِمْ لَيْلاً بِهَا.

۞ وَمِنْ أَقْوَالِهِ الَّتِي تَشْهَدُ لَهُ بِالْحِكْمَةِ قَوْلُهُ رضي الله عنه: **الْعَامِلُ بِالظُّلْمِ، وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ، وَالرَّاضِي بِهِ شُرَكَاءُ.**

۞ وَيَقُولُ رضي الله عنه: **مَنْ كَانَتْ أُخُوَّتُهُ فِي غَيْرِ ذَاتِ اللهِ، فَإِنَّهَا تَعُودُ عَدَاوَةً، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:** ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

(١) الزخرف الآية (٦٧).

۞ تُوُفِّيَ ﷺ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، عَنْ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً.

❁❁❁❁❁

مَنَاقِبُ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ رضي الله عنها

۞ هِيَ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ بِنْتُ سَيِّدِي حَسَنِ الْأَنْوَرِ ابْنُ سَيِّدِي زَيدِ الْأَبْلَجِ ابْنِ سَيِّدِي الْحَسَنِ الْسِّبْطِ ابْنِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

۞ وَقَدْ وُلِدَتْ رضي الله عنها بِمَكَّةَ الْمكَرَّمَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، وَنَشَأَتْ رضي الله عنها بِالْمَدِينَةِ عَلَىٰ الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ، فَقَدْ كَانَتْ رضي الله عنها تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ، وَلَا تُفَارِقُ حَرَمَ النَّبِيِّ ﷺ، وَحَجَّتْ ثَلَاثِينَ حَجَّةً أَكْثَرُهَا سَيْراً عَلَىٰ قَدَمَيْهَا الشَّرِيفَتَيْنِ، وَكَانَتْ رضي الله عنها كَثِيرَةَ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عز وجل، وَكَثِيراً مَا كَانَتْ تَتَعَلَّقُ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَتُنَاجِي رَبَّهَا، وَتَقُولُ: «**إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، مَتِّعْنِي وَفَرِّحْنِي بِرِضَاكَ عَنِّي**».

۞ وَقَدْ عَكَفَتْ عَلَىٰ خِدْمَتِهَا زَينَبُ بِنْتُ أَخِيهَا يَحْيَىٰ الْمُتَوَّجِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَرَاعَهَا مِنْهَا مَا كَانَتْ تَجِدُهُ مِنْ كَثْرَةِ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا، وَقِلَّةِ طَعَامِهَا، وَعُكُوفِهَا عَلَىٰ رَبِّهَا، وَقَدْ سَأَلَتْهَا يَوْمَاً أَنْ تَرْفُقَ بِنَفْسِهَا، فَقَالَتْ: كَيْفَ أَرْفُقُ بِنَفْسِي وَقُدَّامِي عَقَبَاتٌ لَا يَقْطَعُهُنَّ إِلَّا الْفَائِزُونَ.

۞ وَقَدْ تَزَوَّجَتْ رضي الله عنها بِإِسْحَاقَ الْمُؤْتَمَنِ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ، وَكَانَ إِسْحَاقُ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ وَالْفَضْلِ فِي الدِّينِ، وَقَدْ حَجَّتْ مَعَ زَوْجِهَا وَزَارَا قَبْرَ الْخَلِيلِ عليه السلام وَرَجَعَتْ إِلَىٰ مِصْرَ.

۞ كَانَتْ رضي الله عنها مُسْتَجَابَةَ الدُّعَاءِ، وَلَهَا مِنَ الْكَرَامَاتِ الَّتِي تَفَضَّلَ اللهُ بِهَا عَلَيْهَا الْكَثِيرُ؛ مِنْهَا: أَنَّهَا رضي الله عنها لَمَّا سَكَنَتْ بِمِصْرَ فِي دَارِ أُمِّ هَانِئٍ بِالْمَنْصُوصَةِ، كَانَ بِجِوَارِهِمْ يهُودِيٌّ لَهُ ابْنَةٌ مُقْعَدَةٌ؛ لَا تَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ، فَخَرَجَتْ أُمُّهَا يَوْمَاً لِقَضَاءِ حَوَائِجِهَا، وَتَرَكَتْهَا عِنْدَ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ رضي الله عنها، فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ صَلَاةِ الظُّهْرِ، أَحْضَرَتِ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ مَاءً تَتَوَضَّأُ بِهِ، فَجَرَىٰ مِنْ هَذَا الْمَاءِ شَيْءٌ إِلَىٰ الصَّبِيَّةِ الْمُعَقَّدَةِ، فَجَعَلَتْ تَمُرُّ بِهِ عَلَىٰ أَعْضَائِهَا، فَشُفِيَتْ بِإِذْنِ اللهِ، فَلَمَّا رَجَعَتْ أُمُّهَا وَأَهْلُهَا، خَرَجَتْ إِلَيْهِم تَمْشِي، فَسَأَلُوهَا عَنْ شَأْنِهَا، فَأَخْبَرَتْهُمْ فَأَسْلَمُوا جَمِيعَاً.

۞ كَذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِهَا ﵂، مَا رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ: تَوَقَّفَ النِّيلُ فِي زَمَانِهَا، فَجَاءَ النَّاسُ إِلَيْهَا وَسَأَلُوهَا الدُّعَاءَ، فَأَعْطَتْهُمْ قِنَاعَهَا، فَجَاءُوا بِهِ إِلَىٰ الْبَحْرِ وَطَرَحُوهُ فِيهِ، فَمَا رَجَعُوا حَتَّىٰ زَادَ الْبَحْرُ زِيَادَةً عَظِيمَةً.

۞ وَرُوِيَ كَذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِهَا ﵂، أَنَّ امْرَأَةً عَجُوزاً لَهَا أَرْبعُ بَنَاتٍ أَيْتَامٍ، يَتَقَوَّتْنَ مِنْ غَزْلِهِنَّ الَّذِي تَأْخُذُهُ أُمُّهُنَّ، وَتَذْهَبُ بِهِ لِتَبِيعَهُ فِي السُّوقِ، ثُمَّ تُنْفِقُ عَلَىٰ نَفْسِهَا وَبَنَاتِهَا الْأَرْبَعِ نِصْفَ ثَمَنِهِ وَتَشْتَرِي بِالنِّصْفِ الْآخَرِ كِتَّانَـًا لِتَغْزِلَهُ وَهَكَذَا، وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ بِالْغَزْلِ إِلَىٰ السُّوقِ لِتَبِيعَهُ، فَإِذَا بِطَائِرٍ انْقَضَّ عَلَىٰ الْغَزْلِ وَاخْتَطَفَهُ وَطَارَ، فَوَقَعَتِ الْمَرْأَةُ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا، وَقَالَتْ: كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْأَيْتَامِ وَقَدْ أَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ، فَأَشَارَ النَّاسُ عَلَيْهَا أَنْ تَأْتِيَ السَّيِّدَةَ نَفِيسَةَ ﵂؛ فَإِنَّ لَهَا دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً، وَذَهَبَتِ الْمَرْأَةُ إِلَىٰ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ، فَرَقَّ لَهَا قَلْبُهَا، وَتَوَجَّهَتْ إِلَىٰ اللهِ بِالدُّعَاءِ، وَقَالَتْ: «يَا مَنْ عَلَا فَقَدَرَ، وَمَلَكَ فَقَهَرَ، اُجْبُرْ مِنْ أَمَتِكَ هَذِهِ مَا انْكَسَرَ، فَإِنَّهُنَّ خَلْقُكَ وَعِيَالُكَ»، وَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: اُقْعُدِي، فَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةٌ وَأَتَىٰ جَمَاعَةٌ إِلَىٰ بَابِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ، وَأَخْبَرُوهَا أَنَّهُمْ كَانُوا مُسَافِرِينَ فِي الْبَحْرِ، فَانْفَتَحَتِ السَّفِينَةُ، وَدَخَلَ فِيهَا الْمَاءُ وَأَوْشَكُوا عَلَىٰ الْغَرَقِ فَاسْتَغَثْنَا بِاللهِ تَعَالَىٰ وَتَوَسَّلْنَا بِكِ إِلَىٰ اللهِ، فَإِذَا بِطَائِرٍ أَلْقَىٰ عَلَيْنَا خِرْقَةً فِيهَا غَزْلٌ، فَوَضَعْنَاهَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي انْفَتَحَ بِالسَّفِينَةِ، فَسُدَّ بِإِذْنِ اللهِ وَنَجَوْنَا، وَقَدْ جِئْنَا لَكِ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ فِضَةً؛ شُكْراً للهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ سَلَامَتِنَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ بَكَتِ السَّيِّدَةُ نَفِيسَةُ ﵂، وَقَالَتْ: **إِلَهِي، مَا أَرْفَعَكَ وَأَلْطَفَكَ بِعِبَادِكَ**، ثُمَّ قَالَتْ لِلْمَرْأَةِ الْعَجُوزِ: **بِكَمْ كُنْتِ تَبِيعِينَ غَزْلَكِ هَذَا**؟ قَالَتْ بِعِشْرِينَ دِرْهَمًا، فَقَالَتْ: **أَبْشِري فَإِنَّ اللهَ عَوَّضَكِ عَنْ كُلِّ دِرْهَمٍ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا**، ثُمَّ أَعْطَتْهَا الْخَمْسَمِائَةَ دِرْهَمٍ، وَرَجَعَتِ الْعَجُوزُ إِلَىٰ بَنَاتِهَا، وَقَصَّتْ عَلَيهِنَّ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهَا، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَكْرَمَهَا بِبَرَكَةِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ﵂. وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَبَنَاتَهَا الْأَرْبَعَ عَكَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ خِدْمَةِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ طُولَ حَيَاتِهَا؛ تَبَرُّكًا بِهَا ﵂.

۞ وَرُوِيَ أَنَّ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ ﵁ لَمَّا نَزَلَ بِمِصْرَ، كَانَ يَزُورُهَا ﵂ وَيُصَلِّي بِهَا التَّرَاوِيحَ

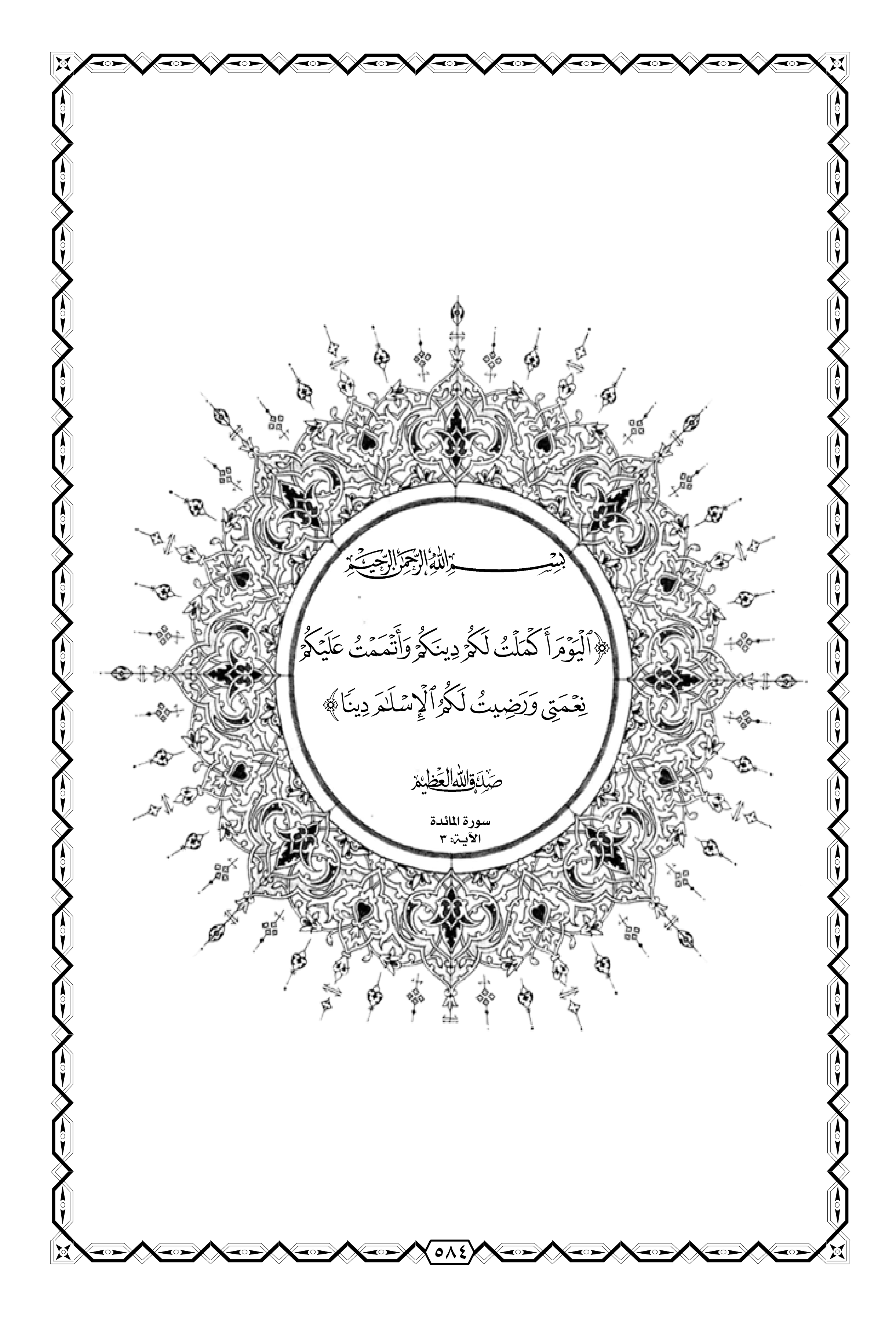
بِمَسْجِدِهَا فِي رَمَضَانَ، وَكَانَ يَسْأَلُهَا الدُّعَاءَ، كَمَا أَنَّهَا رضي الله عنها كَانَتْ تُثْنِي عَلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَتَقُولُ: «**رَحِمَ اللهُ الشَّافِعِيَّ؛ كَانَ يُحْسِنُ الْوُضُوءَ**».

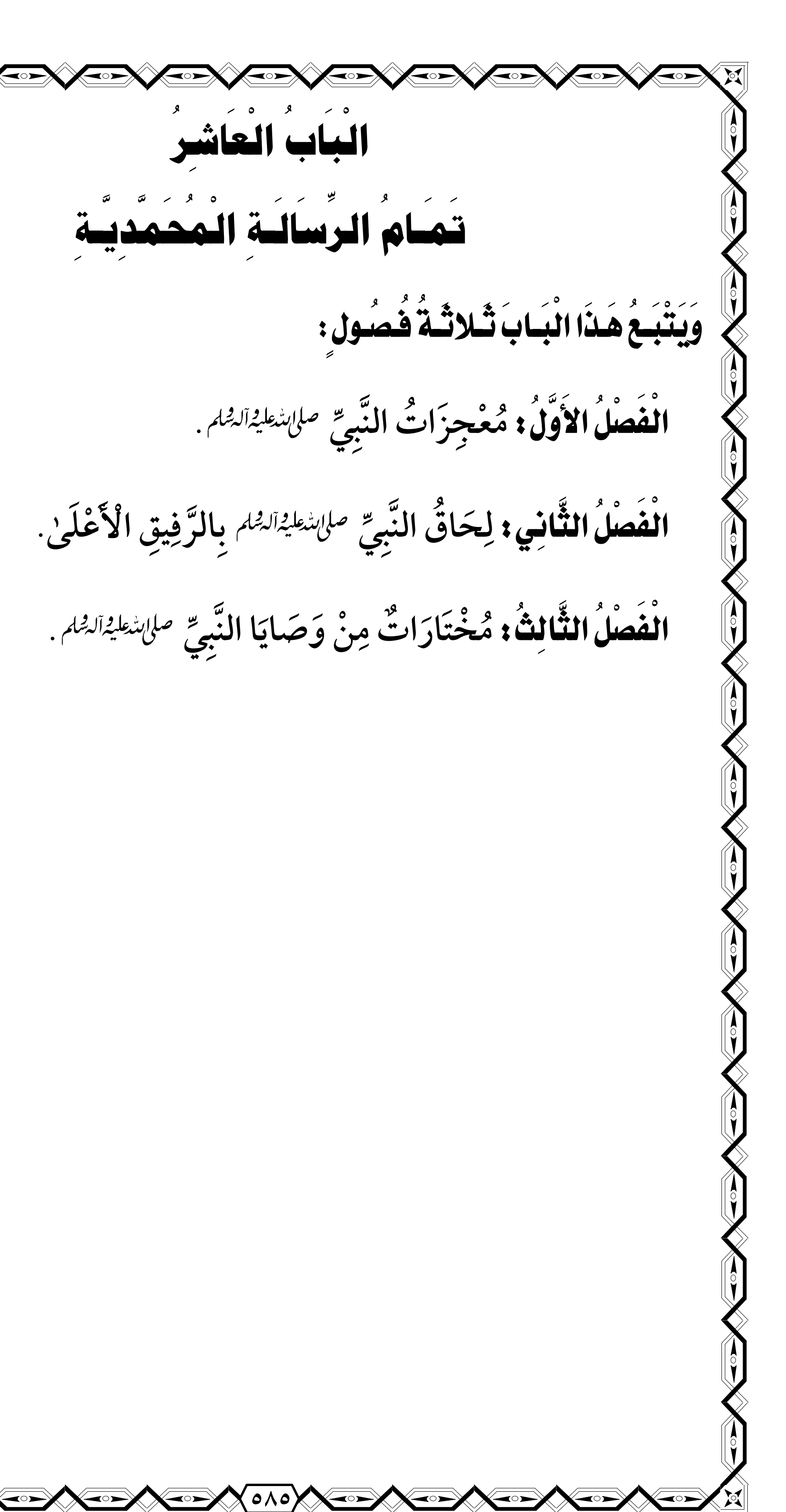
۞ وَقَدْ تُوُفِّيَتْ رضي الله عنها رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِائَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ عَنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

۞ هَذَا هُوَ بِنَاءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي قَامَتْ عَلَىٰ يَدَيْهِ خَيرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ طَرَائِفَ وَفَوَائِدَ وَمَوَاقِفَ عَمُرَتْ بِهَا الثَّلَاثَةُ قُرُونِ الْأُولَىٰ فِي عَهْدِ النُّبُوَّةِ وَمَا بَعْدَهَا، وَلَمْ يَزَلْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، إِنَّمَا هُوَ النُّورُ الْمُحَمَّدِيُّ الَّذِي حَمَلَ سُرُجَهُ هَؤُلَاءِ السَّادَةُ الْأَخْيَارُ، فَكَانُوا بِمَثَابَةِ الْأَنْجُمِ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا السَّالِكُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَمَا أَشَدَّ حَاجَتَنَا؛ سَلَامَةً لِأَنْفُسِنَا، وَرِفْعَةً لِشَأْنِنَا، لِلرُّجُوعِ إِلَىٰ سُنَّةِ نَبِيِّنَا سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهَدْيِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ رضي الله عنهم، حَتَّىٰ نَفُوزَ بِمَا فَازَ بِهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَنَكُونَ مِمَّنْ بَشَّرَهُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

---

(١) الجمعة الآيتان (٣، ٤).


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ
نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾
صدق الله العظيم
سورة المائدة
الآية: ٣



الْبَابُ الْعَاشِرُ

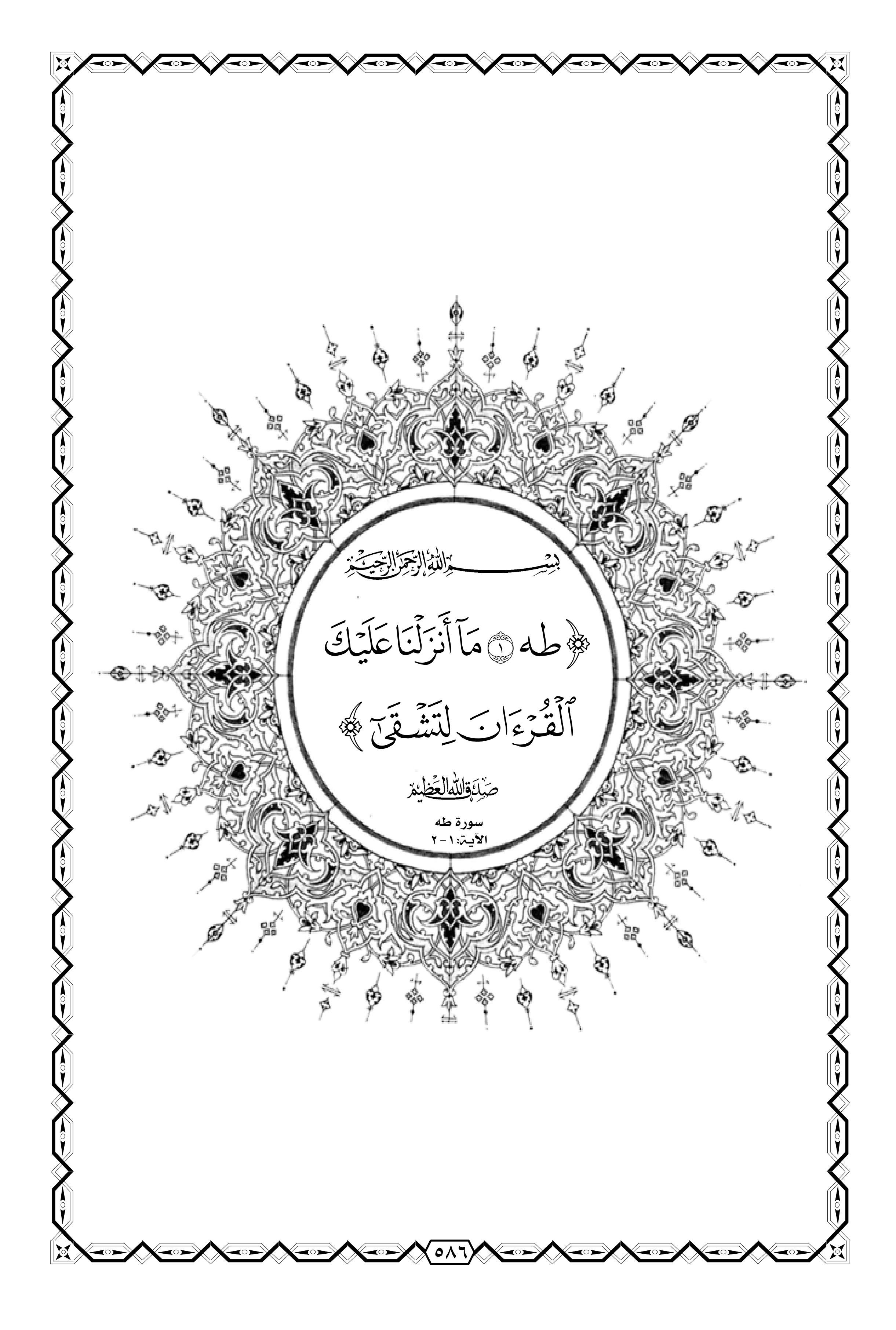
تَمَامُ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

وَيَتْبَعُ هَذَا الْبَابَ ثَلاثَةُ فُصُولٍ:

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: مُعْجِزَاتُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

الْفَصْلُ الثَّانِي: لِحَاقُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: مُخْتَارَاتٌ مِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾
صدق الله العظيم
سورة طه
الآية: ١ - ٢

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

مُعْجِزَاتُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

﴿ لَقَدْ شَاءَتْ قُدْرَةُ اللهِ، وَاقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ، أَنْ يُؤَيِّدَ رُسَلَهُ الْكِرَامَ بِالْـمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي يَسْجُدَ لَهَا الْعَقْلُ مُسَلِّمًا، وَكَانَتْ رِسَالَةُ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ الَّتِي بَشَّرَتْ بِهَا الرُّسُلُ، هِيَ الرِّسَالَةَ الْبَاقِيَةَ الدَّائِمَةَ الْخَالِدَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، يَرَاهَا مَنْ بُعِثَ صلى الله عليه وآله وسلم فِيهِمْ خَاصَّةً، وَيَرَاهَا عَلَىٰ مَرِّ الزَّمَانِ مَنْ أُرْسِلَ صلى الله عليه وآله وسلم إِلَيْهِمْ كَافَّةً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1].

﴿ أَمَّا مَنْ سَبَقَهُ صلى الله عليه وآله وسلم مِنَ الرُّسُلِ، فَرِسَالَتُهُمْ لِقَوْمِهِمْ خَاصَّةً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2]. وَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ عَلَىٰ يَدِ رُسُلِهِ هَذِهِ الْـمُعْجِزَاتِ؛ لِتَكُونَ آيَةً دَالَّةً عَلَىٰ صِدْقِ مَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

﴿ أَمَّا رِسَالَةُ نَبِيِّنَا سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَدْ جَاءَتْ لِلنَّاسِ كَافَّةً عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ، وَفِي أَيِّ مَكَانٍ كَانُوا، بَلْ وعَلَىٰ اخْتِلَافِ أَزْمَانِهِمْ؛ لِأَنَّهَا الرِّسَالَةُ الْجَامِعَةُ، وَالْـمَبْعُوثُ بِهَا صلى الله عليه وآله وسلم إِنَّمَا بُعِثَ بِهَا لِلنَّاسِ جَمِيعًا، حَاضِرِهِمْ وَمُسْتَقْبَلِهِمْ، فَبِهِ صلى الله عليه وآله وسلم خُتِمَتِ النُّبُوَّاتُ وَالرِّسَالَاتُ، فَلَا نَبِيَّ وَلَا رَسُولَ بَعْدَهُ صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ وكَانَتْ هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ أَلَا وَهِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هِيَ رِسَالَتَهُ، وَفِي ذَاتِ الْأَمْرِ مُعْجِزَتَهُ صلى الله عليه وآله وسلم الَّتِي تَحَدَّىٰ صلى الله عليه وآله وسلم بِهَا الإِنْسَ وَالْجِنَّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[3].

﴿ وَقَدْ تَحَدَّىٰ الْعَرَبُ وَهُمْ أَهْلُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[4]. فَتَحَدَّاهُمْ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أَصْغَرِ السُّوَرِ كَسُورَةِ الْكَوْثَرِ فَعَجَزُوا، قَالَ

---

(١) سبأ الآية (٢٨).
(٢) الرعد الآية (٧).
(٣) الإسراء الآية (٨٨).
(٤) هود الآية (١٣).

تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[1].

۞ فالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ رِسَالَةٌ وَمُعْجِزَةٌ فِي آنٍ وَاحِدٍ، أَمَّا بَاقِي الرُّسُلِ، فَرِسَالَتُهُمْ مُنْفَصِلَةٌ عَمَّا أَيَّدَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، فَنَرَىٰ مَثَلاً رِسَالَةَ سَيِّدِنا مُوسَىٰ عليه السلام التَوْرَاةَ، وَالْمُعْجِزَاتُ الْمُؤَيِّدَةُ لَهَا هِيَ الْيَدُ الَّتِي يَشِعُّ مِنْهَا النُّورُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ، وَالْعَصَا الَّتِي يُلْقِيهَا مِنْ يَمِينِهِ، فَتَنْقَلِبُ إِلَىٰ حَيَّةٍ تَلْقَفُ إِفْكَ الْآفِكِينَ مِنْ سِحْرَةِ فِرْعَوْنَ.

۞ كَذَلِكَ كَانَتْ رِسَالَةُ عِيسَىٰ عليه السلام الإِنْجِيلَ، وَالْمُعْجِزَةُ الْمُؤَيِّدَةُ لِرِسَالَتِهِ هِيَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَىٰ وَإِبْرَاءُ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، وَالْكَشْفُ عَمَّا يَدَّخِرُهُ النَّاسُ فِي بُيُوتِهِمْ.

۞ وَقَدِ انْفَصَلَتِ الرِّسَالَةُ هُنَا عَنِ الْمُعْجِزَةِ، فَحِينَ لَقِيَ مُوسَىٰ رَبَّهُ رُفِعَتْ بِوَفَاتِهِ مُعْجِزَتُهُ، وَبَقِيَتْ رِسَالَتُهُ، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي عِيسَىٰ عليه السلام حِينَ رُفِعَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، رُفِعَتْ مُعْجِزَتُهُ وَبَقِيَتْ رِسَالَتُهُ، وَفِي رِسَالَةِ مُوسَي وَعِيسَىٰ جَاءَتِ الْبُشْرَىٰ بِظُهُورِ الْفَاتِحِ الْخَاتَمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم الَّذِي لَمْ تُرْفَعْ مَعَهُ مُعْجِزَتُهُ وَهِيَ الْقُرْآنُ حِينَ لَقِيَ رَبَّهُ؛ بَلْ تَظَلُّ قَائِمَةً إِلَىٰ آخِرِ الزَّمَانِ يَشْهَدُهَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ.

وَسِرُّ الإِعْجَازِ:

۞ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ الْخَالِقِ، أَمَّا كَلَامُ مَنْ تَحَدَّاهُمْ فَهُوَ كَلَامُ الْمَخْلُوقِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ كَلَامِ اللهِ، وَبَيْنَ كَلَامِهِمْ، كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَلَمْ يَقِفِ الإِعْجَازُ فِي كِتَابِ اللهِ عِنْدَ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ الَّتِي سَجَدَتْ لَهَا عُقُولُ بُلَغَائِهِمْ وَفُصَحَائِهِمْ فَحَسْبُ؛ بَلْ جَاءَ جَامِعًا لِلْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ، الَّتِي لا زَالَ الْعِلْمُ يَكْتَشِفُ بَيَانَهَا فِي عَصْرِنَا هَذَا، وَقَدْ سَبَقَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، فَأَنْبَأَ عَنْهَا مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا، وَكُلُّ هَذَا عَلَىٰ لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّي صلى الله عليه وآله وسلم، الَّذِي أَفْرَدَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْبَشَرِ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الْعُظْمَىٰ، الَّتِي قَالَ فِيهَا: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾[2]. وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ

(١) يونس الآية (٣٨). (٢) النساء الآية (١١٣).

بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾[1].

١) **شَرَفُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:**

لَقَدْ شَرَّفَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْقُرْآنَ، فَسَمَّاهُ جَلَّ شَأْنُهُ وَتَبَارَكَ اسْمُهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ:

فَقَدْ سَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ نَفْسَهُ عَزِيزاً، حَيْثُ قَالَ: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾[2]، وَسَمَّىٰ الْقُرْآنَ عَزِيزاً، حَيْثُ قَالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴾[3].

وَسَمَّىٰ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ حَكِيمَاً، حَيْثُ قَالَ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[4]، وَسَمَّىٰ الْقُرْآنَ حَكِيمَاً: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[5].

وَسَمَّىٰ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ عَظِيمَاً: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[6]، وَسَمَّىٰ الْقُرْآنَ عَظِيمَاً: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾[7].

وَسَمَّىٰ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ نُوراً، فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[8]، وَسَمَّىٰ الْقُرْآنَ نُوراً: **وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا** ﴾[9].

وَسَمَّىٰ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ مُهَيْمِنَاً: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾[10]، وَسَمَّىٰ الْقُرْآنَ مُهَيْمِنَاً: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾[11].

وَسَمَّىٰ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ مَجِيداً: ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾[12]، وَسَمَّىٰ الْقُرْآنَ مَجِيداً ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾[13].

وَسَمَّىٰ نَفْسَهُ كَرِيمَاً: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾[14]، وَسَمَّىٰ الْقُرْآنَ كَرِيمَاً: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾[15].

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[16]، وَوَصَفَ

---

(١) العنكبوت الآية (٤٨).
(٢) غافر الآيتان (١-٢).
(٣) فصلت الآية (٤١).
(٤) آل عمران الآية (١٨).
(٥) يس الآيتان (١-٢).
(٦) البقرة الآية (٢٥٥).
(٧) الحجر الآية (٨٧).
(٨) النور الآية (٣٥).
(٩) النساء الآية (١٧٤).
(١٠) الحشر الآية (٢٣).
(١١) المائدة الآية (٤٨).
(١٢) هود الآية (٧٣).
(١٣) ق الآية (١).
(١٤) النمل الآية (٤٠).
(١٥) الواقعة الآية (٧٧).
(١٦) الشورىٰ الآية (١١).

الْقُرْآنَ بِقَوْلِهِ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(١).

وَسَمَّىٰ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ بِالْحَقِّ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾(٢)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾(٣)، وَوَصَفَ الْقُرْآنَ كَذَلِكَ بِأَنَّهُ حَقٌّ، لِقَوْلِهِ تعَالَىٰ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾(٤)، أَيْ: أَنْزَلْنَاهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَىٰ بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مِنْ بَيْتِ الْعِزَّةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

فَالَّذِي أَنْزَلَهُ هُوَ الْحَقُّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَالَّذِي نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ سَيِّدُ الْمَلَائِكَةِ، وَالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْهِ هُوَ سَيِّدُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ. وَبِأَيِّ شَيْءٍ نَزَلَ؟ «نَزَلَ بِالْحَقِّ»، أَيْ: أَنَّ كُلَّ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ حَقٌّ.

وَقَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ جَامِعًا لِلْفَضَائِلِ كُلِّهَا، جَامِعًا لِعُلُومِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ؛ فَإِنَّ فِيهِ نَبَأَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَخَبَرَ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمَ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَّمَهُ اللهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ إِلَىٰ سَمَاعِهِ حَتَّىٰ قَالُوا:** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾(٥). **مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

وقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ جَدِيدٌ لَا يَبْلَىٰ، فَتِيٌّ لَا يَهْرَمُ**»، يُرِيدُ رضي الله عنه بِذَلِكَ، أَنَّ عَطَاءَهُ بَاقٍ عَلَىٰ الدَّوَامِ، مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ

(١) الإسراء الآية (٨٨).
(٢) النور الآية (٢٥).
(٣) لقمان الآية (٣٠).
(٤) الإسراء الآية (١٠٥).
(٥) الجن الآيتان (١-٢).

رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾[1].

۞ وَالْقُرْآنُ إِنَّمَا أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ لِيَكُونَ لَنَا فِي تِلَاوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ نُورٌ تَنْكَشِفُ بِهِ مَعَانِيهِ لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَىٰ اللهِ بِالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ، وَعِنْدَهَا يُعَلِّمُهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، فَيَذُوقُ حَلَاوَتَهُ، وَيَصِيرُ مِنْ أَهْلِ اللهِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**».

(رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وابْنُ مَاجه عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه)

۞ وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ شَفَاعَةً لِصَاحِبِهِ، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِصَاحِبِهِ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ كَذَلِكَ أَنَّ خِيَارَ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ والْقُرْآنُ يَزْدَادُ بِهِ الْمُؤْمِنُ إِيمَانَـًا فَوْقَ إِيمَـانِـهِ، قَالَ تَعَالَىٰ مَادِحَـًا لِأَهْلِهِ بِالْمَزِيدِ مِنَ الْإِيمَانِ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾[3].

۞ فَالْقُرْآنُ والْإِيمَانُ مُتَلَازِمَانِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَلَهُمَا مَعًا نُورٌ وَحَلَاوَةٌ، تَنْقَشِعُ بِهِ عَنْهُمْ ظُلُمَاتُ الْهَوَىٰ وَالْحَظِّ وَالْغَفْلَةِ، وَأَقْوَىٰ النَّاسِ إِيمَانَـًا الْعَامِلُونَ بِكِتَابِ اللهِ، الَّذِينَ أَحَلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ، وَأَدَّوا فَرَائِضَهُ، وَوَقَفُوا عِنْدَ حُدُودِهِ، فَلَمْ يَعْتَدُوهَا، وَسَارَعُوا إِلَىٰ مَا رَغَّبَهُمْ فِيهِ رَبُّهُمْ، حَتَّىٰ صَارُوا عُمَّالاً مِنْ عُمَّالِ اللهِ، إِنْ أَمَرَهُمُ الْقُرْآنُ سَارَعُوا، وَإِنْ مَنَعَهُمْ تَرَكُوا وَاسْتَغْفَرُوا.

۞ وقَالَ تَعَالَىٰ مُبَيِّنًـا فَضْلَ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾[4].

۞ هَذِهِ هِيَ الرِّسَالَةُ الْجَامِعَةُ وَالْمُعْجِزَةُ الْخَالِدَةُ أَبَدَ الدَّهْرِ كُلِّهِ، يَهْتَدِي بِهُدَاهَا الْأَوَّلُونَ

(١) الكهف الآية (١٠٩).
(٢) الأنفال الآية (٢).
(٣) التوبة الآية (١٢٤).
(٤) يونس الآيتان (٥٧-٥٨).

وَالْآخِرُونَ، وَلَقَدْ تَضَمَّنَ هَذَا الْكِتَابُ الْمُبِينُ مُعْجِزَاتٍ كَثِيرَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، كَانَتْ مَوْقُوتَةً بِزَمَنِ بَعْثَتِهِ ﷺ، وَلَكِنَّهَا صَارَتْ بَاقِيَةً خَالِدَةً، حَيْثُ جَاءَ ذِكْرُهَا مُمْتَزِجًا بِالْمُعْجِزَةِ الْكُبْرَىٰ، أَلَا وَهِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الَّذِي أَنْبَأَنَا اللهُ بِهِ عَنْ مُعْجِزَاتٍ كَثِيرَةٍ أَيَّدَ اللهُ بِهَا نَبِيَّهُ ﷺ، مِثْلِ مُعْجِزَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، وَمِثْلِ مُعْجِزَةِ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَنَجَاتِهِ ﷺ مِنْ مَكْرِ أَعْدَائِهِ؛ حِينَ أَذِنَ اللهُ لَهُ ﷺ بِالْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَأَخَذَ ﷺ حِفْنَةً مِنَ التُّرَابِ، فَأَلْقَاهَا ﷺ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ، فَأَخَذَ اللهُ أَبْصَارَهُمْ عَنْهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾(١)، وَمِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْخَالِدَةِ تَأْيِيدُ اللهِ لِحَبِيبِهِ ﷺ بِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ فِي قِتَالِهِ لِلْأَعْدَاءِ: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾(٢)، وَتَثْبِيتُ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(٣)، وَتَأْيِيدُ اللهِ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِإِلْقَاءِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾(٤).

❖ كَذَلِكَ تَأْيِيدُ اللهِ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ بِالرِّيحِ الَّتِي اقْتَلَعَتْ أَبْنِيَةَ أَعْدَائِهِ، وَرَدَّ اللهُ عَنْهُ ﷺ كَيْدَهُمْ خَاسِرِينَ.

❖ وَإِخْبَارُهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِأَنَّ الْغَلَبَةَ سَتَكُونُ لِلرُّومِ عَلَىٰ الْفُرْسِ: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾(٥). فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا جَاءَ بِهِ كِتَابُ اللهِ، وَأَخْبَرَ بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ، وَإِخْبَارُهُ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَسْجِدِ الضِّرَارِ الَّذِي أَرَادَ الْمُنَافِقُونَ بِبِنَائِهِ سُوءًا بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَأَوْحَىٰ اللهُ بِمَا كَشَفَ بِهِ عَنْ سَرَائِرِهِمْ لِنَبِيِّهِ ﷺ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾(٦). وَكُلُّ هَذَا مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ الَّتِي أَوْحَىٰ اللهُ بِهَا لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي

(١) يس الآية (٩).
(٢) آل عمران الآية (١٢٥).
(٣) الأنفال الآية (١٢).
(٤) الأنفال الآية (١٢).
(٥) الروم الآيات (١-٤).
(٦) التوبة الآيتان (١٠٧-١٠٨).

كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، فَهِيَ مِنْ آيَاتِهِ الَّتِي تَحَدَّىٰ بِهَا الْإِنْسَ وَالْجِنَّ أَجْمَعِينَ.

٢) الْمعْجِزَاتُ الْوارِدَةُ فِي السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ:

وَهَذِهِ الْمُعْجِزَاتُ حِينَ نُدَقِّقُ النَّظَرَ فِيهَا، نَرَىٰ أَنَّهُ مَا مِنْ مُعْجِزَةٍ لِنَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا كَانَ لِنَبِيِّنَا سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ مِثْلُهَا، وَقَدْ جَمَعَهَا الْإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ رضي الله عنه فِي كِتَابِهِ «الْإِسْلَامُ دِينُ اللهِ» عَلَىٰ الْوَجْهِ الْآتِي:

(١) بِالْمُقَارَنَةِ بَيْنَ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ، وَبَيْنَ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، نَرَىٰ أَنَّ كِتَابَ سَيِّدِنا آدَمَ عليه السلام كَانَ كَلِمَاتٍ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾[1]، وَكِتَابَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ كَانَ كَلِمَاتٍ وَصُحُفًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾[2]. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[3]. أَمَّا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الَّذِي أَيَّدَ اللهُ بِهِ نَبِيَّنَا ﷺ، فَقَدْ جَاءَ مُهَيْمِنًا عَلَىٰ مَا سَبَقَهُ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾[4]. وَمَعْنَىٰ: (**وَمُهَيْمِنًا**)، أَيْ: أَمِينٌ وَشَاهِدٌ وَحَاكِمٌ عَلَىٰ كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ أَشْمَلُهَا وَأَعْظَمُهَا وَأَحْكَمُهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾[5].

(٢) أَنَّ سَيِّدَنَا آدَمَ عليه السلام تَحَدَّىٰ بِالْكَلِمَاتِ وَالْأَسْمَاءِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[6]. وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ تَحَدَّىٰ بِالْمَنْظُومِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾[7].

(٣) أَمَّا سَيِّدُنَا نُوحٌ عليه السلام، فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمَهُ بِأَنْ أَمْسَكَ سَفِينَتَهُ عَلَىٰ الْمَاءِ، وَفِي حَقِّ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَفَ الْحَجَرُ عَلَىٰ الْمَاءِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَوْمًا وَاقِفًا عَلَىٰ شَاطِئِ مَاءٍ وَمَعَهُ عِكْرِمَةُ ابْنُ أَبِي جَهْلٍ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَادْعُ ذَلِكَ الْحَجَرَ الَّذِي هُوَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَلْيَسْبَحْ وَلَا يَغْرَقْ، «**فَأَشَارَ الرَّسُولُ ﷺ، فَانْقَلَعَ الْحَجَرُ مِنْ مَكَانِهِ، حَتَّىٰ صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ**

---

(١) البقرة الآية (٣٧).
(٢) البقرة الآية (١٢٤).
(٣) الأعلىٰ الآيتان (١٨-١٩).
(٤) المائدة الآية (٤٨).
(٥) الزمر الآية (٢٣).
(٦) البقرة الآية (٣١).
(٧) الإسراء الآية (٨٨).

ﷺ، وَشَهِدَ الْحَجَرُ لَهُ ﷺ بِالرِّسَالَةِ»، فَقَالَ ﷺ لِعِكْرِمَةَ أَيَكْفِيكَ هَذَا؟ قَالَ: حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ مَكَانِهِ، «فَأَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْحَجَرِ، فَرَجَعَ مَكَانَهُ».

(٤) وَأَكْرَمَ اللهُ تَعَالَىٰ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَجَعَلَ النَّارَ بَرْداً وَسَلاَمـًا عَلَيْهِ، وَرَوَىٰ مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ طِفْلاً فَانْصَبَّ الْقِدْرُ مِنْ فَوْقِ النَّارِ عَلَيَّ، فَاحْتَرَقَ جِلْدِي كُلُّهُ، فَحَمَلَتْنِي أُمِّي إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وقَالَتْ: هَذَا ابْنِي حَاطِبٌ، اِحْتَرَقَ كَمَا تَرَىٰ، فَتَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي جِلْدِي، وَمَسَحَ ﷺ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَىٰ الْمُحْتَرَقِ مِنْهُ، وقَالَ ﷺ: «أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ»، فَصِرْتُ صَحِيحـًا لَا بَأْسَ بِي. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ والْبَيْهَقِيُّ)

(٥) وَأَكْرَمَ اللهُ تَعَالَىٰ سَيِّدَنَا مُوسَىٰ عليه السلام بِفَلْقِ الْبَحْرِ فِي الْأَرْضِ، وَأَكْرَمَ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ، فَفَلَقَ اللهُ لَهُ الْقَمَرَ فِي السَّمَاءِ.

(٦) وَفَجَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ لِسَيِّدِنَا مُوسَىٰ عليه السلام عُيُونَ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ، وَفَجَّرَ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَصَابِعَهُ عُيُونَا، فَنَبَعَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

(٧) أَكْرَمَ اللهُ تَعَالَىٰ سَيِّدَنَا مُوْسَىٰ عليه السلام بِتَظْلِيلِ الْغَمَامِ فِي زَمَنِ نُبُوَّتِهِ، وَأَكْرَمَ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ بِذَلِكَ قَبْلَ ظُهُورِ نُبُوَّتِهِ، عِنْدَمَا كَانَ يَخْرُجُ ﷺ إِلَىٰ الشَّامِ فِي تِجَارَةٍ لِلسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها، وَمَعَهُ ﷺ غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ. (السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

(٨) وَأَكْرَمَ اللهُ تَعَالَىٰ سَيِّدَنَا مُوْسَىٰ عليه السلام بِالْيَدِ الْبَيْضَاءِ الَّتِي يَشِعُّ مِنْهَا نُورٌ، وَأَكْرَمَ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّداً ﷺ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ نُورٌ مِنَ اللهِ وَبُرْهَانٌ.

(٩) وَقَلَبَ اللهُ الْعَصَا لِسَيِّدِنَا مُوسَىٰ عليه السلام، فَصَارَتْ ثُعْبَانـًا، وَلَمَّا أَرَادَ أَبُو جَهْلٍ أَن يَرْمِيَ النَّبِيَّ ﷺ بِالْحَجَرِ، رَأَىٰ عَلَىٰ كَتِفَيْهِ ﷺ ثُعْبَانَيْنِ، فَوَلَّىٰ أَبُو جَهْلٍ هَارِبـًا وَانْصَرَفَ مَرْعُوبـًا.

(السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

(١٠) وَأَكْرَمَ اللهُ تَعَالَىٰ نَبِيَّهُ دَاوُدَ عليه السلام، فَسَبَّحَتِ الْجِبَالُ مَعَهُ، وَأَكْرَمَ اللهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ فَسَبَّحَتِ الْأَحْجَارُ فِي يَدِهِ، وَسُمِعَ لَهَا حَنِينٌ كَحَنِينِ النَّحْلِ.

(رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ والْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَالْبَزَّارُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه)

(١١) وَكَانَ سَيِّدُنَا دَاوُدُ عليه السلام إِذَا مَسَحَ عَلَىٰ الْحَدِيدِ لَانَ بِإِذْنِ اللهِ، والنَّبِيُّ ﷺ مَسَحَ عَلَىٰ ضَرْعِ الشَّاةِ الْجَدْبَاءِ فَدَرَّتِ اللَّبَنَ. (السِّيرَةُ لِابْنِ هِشَامٍ، وَابْنُ سَعْدٍ، والْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ)

(١٢) وَأَكْرَمَ اللهُ تَعَالَىٰ سَيِّدَنَا دَاوُدَ عليه السلام بِالطَّيْرِ الْمَحْشُورَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[1]. فكَانَتْ تُطِيعُهُ وَتُسبِّحُ تبَعًا لَهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ أَطَاعَ اللهُ لَهُ الْبُرَاقَ.

(١٣) وَرَدَّ اللهُ لِسَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عليه السلام الشَّمْسَ مَرَّةً، وَالرَّسُولُ ﷺ كَانَ نَائِمًا وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَانْتَبَهَ وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَرَدَّهَا اللهُ لَهُ حَتَّىٰ صَلَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ.

(رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

(١٤) وَعَلَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ سَيِّدَنَا سُلَيْمَانَ مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وَفَعَلَ ذَلِكَ فِي حَقِّ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ طَائِرًا فُجِعَ بِوَلَدِه، فَجَعَلَ يُرَفْرِفُ عَلَىٰ رَأْسِهِ ﷺ وَيُكَلِّمُهُ، وَكَانَ ﷺ رَاجِعًا مِنْ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، فَقَالَ ﷺ: «**أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ فِي وَلَدِهَا؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، فَقَالَ ﷺ: «**رُدُّوا عَلَيْهَا وَلَدَهَا**». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه)

❁ كَذَلِكَ كَلَامُ الْجَمَلِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ شَكَىٰ لَهُ ﷺ أَنَّ صَاحِبَهُ كَانَ يُحَمِّلُهُ مَا لَا يَطِيقُ، وَجَاءَ الْجَمَلُ، وَجَثَىٰ بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ صَاحِبِهِ، وَكَانَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وقَالَ ﷺ لَهُ: «**اِتَّقِ اللهَ فِي هَذَا الْجَمَلِ، وَلَا تُدْئِبْهُ**» أَيْ: لَا تُحَمِّلْهُ مَا لَا يُطِيقُ.

(رَوَاهُ أَحْمَدُ)

(١٥) وَأَكْرَمَ اللهُ سَيِّدَنَا سُلَيْمَانَ عليه السلام، فَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ فِي غُدُوِّهِ، وَمَسِيرَةَ شَهْرٍ فِي رَوَاحِهِ، وَكَانَ الْغُدُوُّ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَىٰ الزَّوَالِ، وَالرَّوَاحُ مَنَ الزَّوَالِ إِلَىٰ الْغُرُوبِ.

❁ وَأَكْرَمَ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّنَا ﷺ بِالْإِسْرَاءِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي سَاعَةٍ، وَكَانَ لَهُ ﷺ حِمَارٌ يُقَالُ لَهُ يَعْفُورُ، يُرْسِلُهُ ﷺ إِلَىٰ مَنْ يُرِيدُهُ ﷺ لِيَجِيءَ عَلَيْهِ.

❁ وَأَرْسَلَ ﷺ سَيِّدَنَا مُعَاذَ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه إِلَىٰ بَعْضِ النَّوَاحِي، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَىٰ مُغَارَةٍ

---

(١) ص الآية (١٩).

إِذَا بِهَا أَسَدٌ، فَهَالَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَجْرُأْ أَنْ يَرْجِعَ، فَتَقَدَّمَ سَيِّدُنَا مُعَاذٌ إِلَىٰ الْأَسَدِ، وقَالَ لَهُ: أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَهَزَّ السَّبُعُ ذَنَبَهُ وَانْصَرَفَ.

(١٦) كَمَا انْقَادَ الْجِنُّ لِسُلَيْمَانَ، انْقَادُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

(١٧) أَكْرَمَ اللهُ تَعَالَىٰ سَيِّدَنَا عِيسَىٰ عليه السلام بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، وَأَكْرَمَ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدَاً ﷺ بِإِحْيَاءِ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ، وَكَلَّمَتْهُ أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ، فَقَدْ رَوَىٰ سَيِّدُنَا جَابِرٌ رضي الله عنه، أَنَّ يَهُودِيَّةً مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ سَمَّمَتْ ذِرَاعَ شَاةٍ، ثُمَّ أَهْدَتْهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الذِّرَاعَ فَأَكَلَ مِنْهَا، وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعَهُ، فَقَالَ ﷺ: «**ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ**»، وَأَرْسَلَ ﷺ إِلَىٰ الْيَهُودِيَّةِ فَدَعَاهَا، فَقَالَ ﷺ: «**سَمَّمْتِ الشَّاةَ؟**» فَقَالَتْ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ ﷺ: «**أَخْبَرَتْنِي هَذِهِ فِي يَدِي**» (يَعْنِي الذِّرَاعُ) قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: إِنْ كُنْتَ نَبِيَّاً فَلَنْ تَضُرَّكَ، وَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ نَبِيٍّ، اِسْتَرَحْنَا مِنْكَ، فَعَفَا عَنْهَا الرَّسُولُ ﷺ، وَلَمْ يُعَاقِبْهَا.

(رَوَاهُ الشَّيْخَان عَنْ أَنَسٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ جَابِرٍ)

۞ وَرُوِيَ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه كَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ بَرْصَاءُ، فَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَسَحَ ﷺ عَلَيْهَا بِغُصْنٍ، فَأَذْهَبَ اللهُ عَنْهَا الْبَرَصَ، وَبَرِئَتْ لِحِينِهَا.

۞ وَحِينَ سَقَطَتْ عَيْنُ قَتَادَةَ يَوْمَ أُحُدٍ، رَفَعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ مَوْضِعِهَا حَتَّىٰ عَادَتْ أَحْسَنَ وَأَحَدَّ مِمَّا كَانَتْ. (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَأَبُو يَعْلَىٰ)

(١٨) وَكَانَ سَيِّدُنَا عِيسَىٰ عليه السلام يُخْبِرُ النَّاسَ بِمَا فِي بُيُوتِهِمْ، وَالرَّسُولُ ﷺ عَرَفَ مَا أَخْفَتْهُ أُمُّ الْفَضْلِ «زَوْجَةُ الْعَبَّاسِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» فِي بَيْتِهَا، فَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ لِذَلِكَ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِلْعَبَّاسِ رضي الله عنه حِينَ وَقَعَ أَسِيراً فِي بَدْرٍ، وَطَلَبَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فِدَاءَ نَفْسِهِ وَابْنِ أَخِيهِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَادَّعَىٰ الْعَبَّاسُ الْعَجْزَ عَنِ الْفِدَاءِ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «أَيْنَ الْمَالُ الَّذِي وَضَعْتَهُ بِمَكَّةَ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ وَلَيْسَ مَعَكُمْ أَحَدٌ، وَقُلْتَ: إِن أُصِبْتُ؛ فَلِعَبْدِ اللهِ كَذَا، وَلِلْفَضْلِ كَذَا»، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: مَا عَلِمَ بِهَذَا أَحَدٌ غَيْرِي، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ، وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ هُوَ وَعَقِيلٌ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَالْحَاكِمُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما)

(١٩) وَحِينَ جاءَ الْأَعْرَابِيُّ بِالضَّبِّ، تَكَلَّمَ الضَّبُّ مُعْتَرِفًا بِرِسَالَتِهِ ﷺ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما بِمَكَّةَ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ وَأَبُو سُفْيَانَ يَمْشُونَ خَارِجَ مَكَّةَ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ: إِنْ قَتَلْتَ هَذَا - يَعْنِي: مُحَمَّداً ﷺ - أَعْطَيْنَاكَ كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ قَدْ جَاءَ بِضَبٍّ يَبِيعُهُ، فَقَالَ: إِنِّي أَتَيْتُ الْبَادِيَةَ جَائِعًا، فَأَقْبَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، كَانَ تَحْتَ ثَوْبِهِ ضَبٌّ فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَقَالَ: إِنْ يَشْهَدْ لَكَ هَذَا الضَّبُّ، وَإِلَّا قَتَلْتُكَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ: دَعْنِي أَقْتُلْهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ ﷺ: «دَعْهُ يَا عُمَرُ»، وَقَالَ ﷺ لِلضَّبِّ: «يَا ضَبُّ، مَنْ أَنَا؟» فَقَالَ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَالْجَمَاعَةُ يَنْتَظِرُونَ رَأْسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ سَيْفِ الْأَعْرَابِيِّ، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، فَقَالُوا: سَحَرَهُ مُحَمَّدٌ.

(٢٠) وَحِينَ كَفَلَ ﷺ الظَّبْيَةَ حَتَّىٰ أَرْسَلَهَا الْأَعْرَابِيُّ، رَجَعَتْ تَعْدُو، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِظَبْيَةٍ مُقَيَّدَةٍ خَارِجَ خِبَاءِ أَعْرَابِيٍّ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ، اِلْتَفَتَتْ إِلَيْهِ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا، فَقَالَ ﷺ: «مَنِ الَّذِي رَبَطَهَا؟»، فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ: هِيَ صَيْدِي يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ لَهَا أَوْلَاداً، وَإِنَّهَا تَتَشَفَّعُ أَنْ تَحُلَّهَا؛ لِتُرْضِعَ أَوْلَادَهَا، وَتَعُودَ إِلَيْكَ»، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أُحِلُّهَا وَتَخْرُجُ منْ قَيْدِهَا وَتَعُودُ عَلَيَّ؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ ذَلِكَ»، وَكَانَ ثَدْيَاهَا مُمْتَلِئَتَيْنِ لَبَنًا، فَقَامَ الْأَعْرَابِيُّ وَحَلَّ قَيْدَهَا وَانْصَرَفَتْ، وَمَكَثَتْ زَمَنًا طَوِيلاً، فَرَجَعَتْ وَلَبَنُهَا فَارِغًا، وَوَقَفَتْ بِجِوَارِ الْأَعْرَابِيِّ كَأَنَّهَا تَقُولُ: اِرْبِطْنِي، فَشَدَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ الْخِبَاءِ، وَأَقْبَلَ ﷺ إِلَىٰ الْأَعْرَابِيِّ فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَطْلَقَهَا، قَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ: وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهَا تَسِيحُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَتَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ. (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ)

(٢١) وَحِينَ لَسَعَتِ الْحَيَّةُ عَقِبَ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه فِي الْغَارِ، قَالَتْ: كُنْتُ مُشْتَاقَةً إِلَيْهِ ﷺ مُذْ كَذَا سِنِينَ، فَلِمَ حَجَبْتَنِي عَنْهُ؟ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يَدْفَعُهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ ﷺ نَائِمٌ عَلَىٰ فَخِذِ أَبِي بَكْرٍ، فَخَشِيَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَن يُوقِظَ النَّبِيَّ ﷺ فَدَفَعَهَا عَنْهُ، فَنَطَقَتْ وَأَخْبَرَتْهُ عَنْ شَوْقِهَا لِرُؤْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

(٢٢) ورُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جاءَتْهُ امْرَأَةٌ بِصَبِيٍّ لَهَا قَدْ شَبَّ، فَقَالَتْ: إِنَّ ابْنِي هَذَا لَمْ يَتكَلَّمْ مُنْذُ وَلِدَ، فقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِلصَّبِيِّ: «مَنْ أَنَا؟»، فَنطَقَ وَقَالَ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

(٢٣) وَأَطْعَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْخَلْقَ الْكَثِيرَ مِنَ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ، فَقَدْ رَوَىٰ سَيِّدُنَا أَنَسٌ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَنَعَ طَعَامًا، وَدَعَا الصَّحابَةَ وكَانُوا نَحْوَ ثَلَاثُمِائَةٍ فَأَكَلُوا كُلُّهُمْ، ثُمَّ قَالَ ﷺ لِي: «اِرْفَعْ»، فَلَا أَدْرِي حِينَ وَضَعْتُ الطَّعَامَ كَانَ أَكْثَرَ أَوْ حِيْنَ رَفَعْتُ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

(٢٤) وَسَبَّحَ الطَّعَامُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ، فَقَدْ رَوَىٰ سَيِّدُنَا أَنَسٌ رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِطَعَامِ ثَرِيدٍ، فقَالَ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الطَّعَامَ يُسَبِّحُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَتَفْقَهُ تَسْبِيحَهُ؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ»، ثُمَّ قَالَ ﷺ لِرَجُلٍ: «أَدْنِ هَذِهِ الْقَصْعَةَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ»، فَأَدْنَاهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الطَّعَامَ يُسَبِّحُ، ثُمَّ أَدْنَاهَا مِنْ آخَرَ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. (رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي كِتَابِ الْعَظَمَةِ)

(٢٥) وَسَبَّحَ الْحَصَا بَيْنَ يَدَيْهِ الشَّرِيفَتَيْنِ ﷺ، فَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ مُلُوكَ حَضْرَمَوْتٍ قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: كَيْفَ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ؟ فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَفًّا مِنْ حَصَىٰ فَقَالَ ﷺ: «هَذَا يَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ»، فَسَبَّحَ الْحَصَا فِي يَدِهِ ﷺ، فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ. (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

۞ وَهَذِهِ الْمُعْجِزَاتُ الْبَاهِرَةُ وَأَمْثَالُهَا كَثِيرٌ، وَلَقَدْ تَشَرَّفَتْ بِهَا سِيرَتُهُ الْعِطْرَةُ مُنْذُ وِلَادَتِهِ ﷺ، وَهِيَ آيَاتٌ دَالَّةٌ عَلَىٰ إِكْرَامِ اللهِ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ، جَمَعَ اللهُ لَهُ بِهَا مَا كَانَ لِأَنْبِيَائِهِ مِنْ قَبْلُ، وَزَادَ عَلَيْهَا تَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا لِجَاهِهِ الْعَظِيمِ ﷺ، مَا رَفَعَهُ اللهُ بِهِ إِلَىٰ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا الَّتِي لَمْ تَكُنْ لِنَبِيٍّ مِنْ قَبْلُ ﷺ، مَثَلُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي يَغْبِطُهُ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَثَلُ الْوَسِيلَةِ الَّتِي هِيَ مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَهُ ﷺ، وَهُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ﷺ، وَحَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ﷺ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ﷺ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ ﷺ، وَهُوَ ﷺ الَّذِي يَأْتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَيَسْتَفْتِحُ فَيُفْتَحُ لَهُ، وَيَقُولُ لَهُ رِضْوَانُ خَازِنُ الْجِنَانِ: بِكَ أُمِرْتُ أَلَّا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ ﷺ، وَهُوَ الرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ لِلْعَالَمِينَ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي بِهِ أَتَمَّ اللهُ رِسَالَتَهُ ﷺ، فَهُوَ أَكْمَلُ الرُّسُلِ ﷺ، وَرِسَالَتُهُ أَتَمُّ الرِّسَالَاتِ ﷺ، وَبِهِ خُتِمَتِ النُّبُوَّاتُ

ﷺ، فكَانَ ﷺ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَمِنَّتِهِ السَّمَاءَ الَّتِي لَا تَرْتَفِعُ إِلَىٰ عَظِيمِ مَكَانَتِهَا وَقَدْرِهَا سَمَاءٌ، وَالشَّمْسُ الَّتِي أَضَاءَتْ بِهَا شُمُوسُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، فَكُلُّهُمْ أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ لِلْإِيمَانِ بِهِ وَنُصْرَتِهِ ﷺ، وَكُلُّهُمْ تَحْتَ لِوَائِهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَالَهَا مِنْ مَنْزِلَةٍ عُظْمَىٰ، وَحُظْوَةٍ كُبْرَىٰ، دُونَهَا الْخَلَائِقُ أَجْمَعِينَ، خَصَّ بِهَا نَبِيَّهُ وَرَسُولَهُ الْمَبْعُوثَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﷺ.

۞ اللَّهُمَّ حَقِّقْنَا بِحَقِيقَةِ مَحَبَّتِهِ ﷺ، وَأَدْخِلْنَا فِي رِيَاضِ مَعِيَّتِهِ ﷺ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْعَامِلِينَ بِسُنَّتِهِ ﷺ، وَجُدْ عَلَيْنَا بِجَمِيلِ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ﷺ، وَمُرَافَقَتِهِ فِي أَعْلَىٰ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﷺ، وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ فَيْضِ مَعَانِيهِ ﷺ، مَا تَكْشِفُ بِهِ الْغِطَاءَ عَنْ أَبْصَارِنَا وَأَسْمَاعِنَا، حَتَّىٰ نَكُونَ مِنَ الْمَحْبُوبِينَ لِذَاتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ﷺ، الْمَنْظُورِينَ بِعَيْنِ رَحْمَتِهِ الْوِدَادِيَّةِ ﷺ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ بِالصَّلَوَاتِ الْجَامِعَاتِ، وَالتَّحِيَّاتِ الْمُتَتَابِعَاتِ. وَعَلَىٰ آلِهِ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيراً وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٣) الإِعْجَازُ الْعِلْمِيُّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ:

۞ لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ الرِّسَالَةَ الْعَامَّةَ لِلْبَشَرِ أَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي حَامِلِ الرِّسَالَةِ ﷺ، الَّذِي وَصَفَهُ الْمَوْلَىٰ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1].

۞ فَنَرَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ ذَكَرَ أَطْوَارَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي بَطْنِ الْأُمِّ؛ مِنْ نُطْفَةٍ تَكُونُ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، إِلَىٰ عَلَقَةٍ إِلَىٰ مُضْغَةٍ، وَلَمْ يَجِدِ الْبَاحِثُونَ أَدَقَّ مِنْ هَذَا التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ، حَيْثُ إِنَّ الْعَلَقَةَ سُمِّيَتْ (عَلَقَةً)؛ لِتَعَلُّقِهَا بِجِدَارِ الرَّحِمِ، وَالْمُضْغَةُ سُمِّيَتْ (مُضْغَةً)؛ لِأَنَّهَا مِثْلُ مُضْغَةِ الطَّعَامِ فِي الْفَمِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[2].

۞ وَقَدْ شَمِلَ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِعِنَايَتِهِ وَرِعَايَتِهِ خَلْقَ الْإِنْسَانِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، فَجَعَلَهُ فِي قَرَارٍ

(١) النجم الآيتان (٣-٤). (٢) المؤمنون الآيات (١٢-١٤).

مَكِينٍ هُوَ الرَّحِمُ، وَغَشَّاهُ بِغِشَاءٍ هُوَ الْمَشِيمَةُ؛ لِئَلَّا يَنْفِرَ مِنَ الرَّحِمِ، وَجَعَلَ وَجْهَهُ إِلَىٰ ظَهْرِ أُمِّهِ؛ لِئَلَّا تُؤْذِيَهُ رَائِحَةُ الطَّعَامِ فِي بَطْنِ الْأُمِّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾[1].

۞ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، أَيْ: مُدَّةٍ مَعْلُومَةٍ وَأَجَلٍ مُعَيَّنٍ حَتَّىٰ اكْتَمَلَ خَلْقُهُ، أَلَا وَهِيَ مُدَّةُ الْحَمْلِ الْمَعْلُومَةِ، وَالَّتِي تَتَرَاوَحُ مَا بَيْنَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ إِلَىٰ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ مُدَّةَ النُّطْفَةِ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ الْمُدَّةَ اللَّازِمَةَ لِنُمُوِّ النُّطْفَةِ وَتَطَوُّرِهَا إِلَىٰ عَلَقَةٍ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ الْمُدَّةَ اللَّازِمَةَ لِنُمُوِّ الْعَلَقَةِ وَتَطَوُّرِهَا إِلَىٰ مُضْغَةٍ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا كَذَلِكَ، فَيَكُونُ مَجْمُوعُ هَذِهِ الْمُدَّةِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَبَعْدَهَا يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، وَتَظْهَرُ فِيهِ مَعَالِمُ الْحَيَاةِ، وَهَذَا مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْآنَ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ، وَقَدْ أَنْبَأَ عَنْهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالنَّبِيُّ الصَّادِقُ الْأَمِينُ ﷺ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا.

۞ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ، فَيَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَبَعْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُ الْجَنِينُ أَطْوَارَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؛ مِنْ مُضْغَةٍ، إِلَىٰ عِظَامٍ، حَتَّىٰ يَصِيرَ إِنْسَانًا عَلَىٰ أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[2].

۞ **كَذَلِكَ اكْتَشَفَ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ:** أَنَّ عَدَدَ الْخَلَايَا الْمُذَكَّرَةِ الَّتِي تَخْرُجُ مَعَ كُلِّ دُفْعَةٍ مِنْ مَنِيِّ الرَّجُلِ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَيْ مِلْيُونَ خَلِيَّةٍ ذَكَرِيَّةٍ، غَيْرَ إِنَّ هَذَا الْعَدَدَ لَا يَصِلُ كُلُّهُ إِلَىٰ الْبُوَيْضَةِ؛ بَلِ الَّذِي يَصِلُ مِنْ هَذَا الْعَدَدِ خَمْسُمِائَةُ خَلِيَّةٍ فَقَطْ، وَيَخْتَارُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقُدْرَتِهِ مِنَ الْخَمْسُمِائَةِ خَلِيَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ لِتَخْتَرِقُ الْبُوَيْضَةَ، وَبَاقِي الْخَمْسُمِائَةِ جَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ مُهِمَّةً أُخْرَىٰ، أَلَا وَهِيَ تَلْيِينُ جِدَارِ الْبُوَيْضَةِ؛ حَتَّىٰ يَسْهُلَ عَلَىٰ الْحَيَوَانِ الْمَنوِيِّ اخْتِرَاقُهَا. وَقَدْ سَبَقَ هَذَا الِاكْتِشَافَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

---

(١) المرسلات الآيات (٢٠-٢٣). (٢) المؤمنون الآية (١٤).

۞ وَمِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ»، تَحَقَّقَ الْبَاحِثُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، أَنَّ الْإِخْصَابَ قَدْ يَتِمُّ وَقَدْ لَا يَتِمُّ، وَتَشِيرُ أَبْحَاثُهُمُ الطِّبِّيَّةُ أَنَّ حَوالَيْ: ٧٨٪ مِنْ كُلِّ حَمْلٍ يُجْهَضُ وَيَتِمُّ إِسْقَاطُهُ، أَوْ يَتَحَلَّلُ وَيُمْتَصُّ دَاخِلَ الرَّحِمِ، فَالنُّطْفَةُ قَدْ تَأْخُذُ أَطْوَارَهَا فِي النُّمُوِّ، وَقَدْ لَا تَأْخُذُ، وَفِي هَذَا يَرْوِي سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِذَا وَقَعَتِ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ، بَعَثَ اللهُ مَلَكاً فَقَالَ: يَا رَبِّ، مُخَلَّقَةٌ أَوْ غَيْرُ مُخَلَّقَةٍ؟ فَإِنْ قَالَ: غَيْرَ مُخَلَّقَةٍ: مَجَّتْهَا الْأَرْحَامُ دَمَاً، وَإِنْ قَالَ: مُخَلَّقَةً، قَالَ: يَا رَبِّ، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، وَمَا الْأَجَلُ، وَمَا الْأَثَرُ، وَبِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ؟» وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَهُ، قَالَ: يَا رَبِّ، ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالْأَجَلُ، قَالَ: فَذَلِكَ يُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ كَذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَبَعْثِهِ، الْعَظْمُ الْمَوْجُودُ فِي مُؤَخِّرَةِ الْعَمُودِ الْفِقَرِيِّ لِلْإِنْسَانِ، وَهُوَ الْعُصْعُصُ الَّذِي يُعْرَفُ بِاسْمِ «عَجْبُ الذَّنَبِ»، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ شَرِيطٍ أَوَّلِيٍّ يَنْسَحِبُ؛ لِيَخْتَرِقَ فِي نِهَايَةِ الْعَمُودِ الْفِقَرِيِّ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ تَكْوِينُ الْإِنْسَانِ وَهُوَ جَنِينٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَقَدْ أُجْرِيَتْ عَلَيْهِ الْبُحُوثُ لِلْعَمَلِ عَلَىٰ سَحْقِهِ، فَلَمْ يَتَأَثَّرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ وَلَمْ يَتَأَثَّرْ بِالْإِحْرَاقِ.

۞ وَقَدْ سَبَقَ عُلَمَاءَ عَصْرِنَا هَذَا، قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ، إِلَّا عَظْمَاً وَاحِدَاً، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ)

۞ كَمَا رَوَىٰ سَيِّدُنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ؛ مِنْهُ خُلِقَ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ)

وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَنْبَأَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ اكْتِشَافِ عُلَمَاءِ عَصْرِنَا لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ بِأَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشْرَ قَرْنـًا مِنَ الزَّمَانِ.

۞ وَمِنَ الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[١]. وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَتْ بِالْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾، لَمْ تُكْتَشَفْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ إِلَّا فِي عَصْرِنَا هَذَا، حَيْثُ أَعَانَتِ الطَّائِرَاتُ وَسِفْنُ الْفِضَاءِ عَلَىٰ صُعُودِ الْإِنْسَانِ فِي طَبَقَاتِ الْجَوِّ الْعُلْيَا، الَّتِي اكْتَشَفُوا بِاسْتِخْدَامِهَا ضِيقَ الصَّدْرِ كُلَّمَا عَلَا الْإِنْسَانُ فِي الْجَوِّ، وَذَلِكَ لِقِلَّةِ نِسْبَةِ الْأُكْسُوجِينَ الَّذِي جَعَلَ اللهُ لَهُ نِسْبَةً فِي الْجَوِّ قَدَّرَهَا الْبَاحِثُونَ بِنِسْبَةِ ٢٠٪، لَوْ زَادَ عَلَىٰ هَذِهِ النِّسْبَةِ لَأَحْرَقَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةَ؛ لِأَنَّهُ يُسَاعِدُ عَلَىٰ الِاشْتِعَالِ، وَلَوْ قَلَّ لَمَا كَانَتْ هُنَاكَ حَيَاةٌ، فَتَأَمَّلْ كَيْفَ وَضَعَ اللهُ هَذِهِ النِّسَبَ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ.

۞ وَقَدْ أَنْبَأَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا عَنْ ظَاهِرَةِ ضِيقِ الصَّدْرِ، تَبَعًا لِلتَّصَاعُدِ فِي طَبَقَاتِ الْجَوِّ الْعُلْيَا، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ثَمَّةَ طَائِرَاتٌ وَلَا سُفُنُ فَضَاءٍ، وَإِنَّمَا هُوَ قَوْلُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ الَّذِي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٢].

۞ وَمِنَ الْآيَاتِ الْكَوْنِيَّةِ الَّتِي أَنْبَأَ عَنْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُنْذُ عَصْرِ النُّبُوَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَلَمْ تُكْتَشَفْ إِلَّا فِي عَصْرِنَا هَذَا، ظَاهِرَةُ تَمَدُّدِ الْكَوْنِ وَاتِّسَاعُهُ، اتِّسَاعًا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ تَبَاعُدُ الْمَجَرَّاتِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، وَقَدْ أَنْبَأَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ عَنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[٣].

۞ كَذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٤].

۞ وَقَدْ اكْتَشَفَ الْبَاحِثُونَ فِي عَصْرِنَا هَذَا بِمَقَايِيسِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ: أَنَّ هَذَا الْكَوْنَ كُلَّهُ كَانَ كِتْلَةً وَاحِدَةً، وَهَذِهِ الْكِتْلَةُ حَدَثَ فِيهَا انْفِجَارٌ أَدَّىٰ إِلَىٰ ظُهُورِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ، وَالْأَرْضِ وَالْبِحَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنَّهُ مِنَ الْمَاءِ ظَهَرَتِ الْحَيَاةُ عَلَىٰ الْأَرْضِ.

(١) الأنعام الآية (١٢٥).
(٢) فصلت الآية (٤٢).
(٣) الذاريات الآية (٤٧).
(٤) الأنبياء الآية (٣٠).

۞ وَهَذَا مَا أَنْبَأَ عَنْهُ وَحْيُ السَّمَاءِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، الَّتِي افْتَتَحَهَا الْحَقُّ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾؛ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذَا الِاكْتِشَافَ سَيَتِمُّ عَلَىٰ أَيْدِي الَّذِينَ كَفَرُوا، وَقَدْ دَعَاهُمْ لِلْإِيمَانِ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ، الَّذِي سَبَقَهُمْ بِمَا أُوتِيَ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ فِي خَوَاتِيمِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، فَيَكُونُ الْقُرْآنُ هُنَا حُجَّةً لَهُمْ إِنْ آمَنُوا، وَحُجَّةً عَلَيْهِمْ إِنْ وَلَّوا وَأَدْبَرُوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[1].

۞ وَمِنْ آيَاتِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[2].

۞ وَقَدِ اكْتَشَفَ عُلَمَاءُ الْبِحَارِ، أَنَّ أَوَّلَ طَبَقَةٍ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ تَمْتَصُّ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ اللَّوْنَ الْأَحْمَرَ وَمَا تَحْتَهُ، ثُمَّ الطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ تَمْتَصُّ الْبُرْتُقَالِيَّ، فَتَكُونُ الظُّلْمَةُ أَشَدَّ، ثُمَّ الطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ تَمْتَصُّ الْأَصْفَرَ، فَتَكُونُ الظُّلْمَةُ أَشَدَّ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُمْتَصُّ الْأَخْضَرُ فَتَكُونُ الظُّلْمَةُ أَشَدَّ وَأَشَدَّ، وَهَكَذَا حَتَّىٰ تَكُونَ الظُّلْمَةُ تَامَّةً تَامَّةً، وَهَذَا الَّذِي اكْتَشَفُوهُ فِي عَصْرِنَا هَذَا، هُوَ مَا أَنْبَأَ عَنْهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُنْذُ عَصْرِ النُّبُوَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ السَّابِقِ لِعَصْرِنَا هَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا.

۞ وَمِمَّا هُوَ جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ، أَنَّ عَالِمًا مِنْ عُلَمَاءِ الْبِحَارِ، رَكِبَ الْبَحْرَ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مُتَّجِهًا فِي رِحْلَتِهِ إِلَىٰ الْهِنْدِ، فَسَمِعَ الْقَارِئَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[3]. فَسَأَلَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: هَلْ رَكِبَ نَبِيُّكُمُ الْبَحْرَ؟ قَالُوا: لَا، فَقَالَ: هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ نَبِيٍّ، الْآنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، بِفَضْلِ مَا سَمِعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

---

(١) الأنعام الآية (١٠٤).
(٢) النور الآية (٤٠).
(٣) النور الآية (٤٠).

۞ وَلَمَّا كَانَتْ أَعْمَاقُ الْبِحَارِ مَنَاطِقَ مُظْلِمَةً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ فِيهَا كَائِنَاتٍ مُزَوَّدَةً بِنُورٍ تُوَلِّدُهُ لِنَفْسِهَا، حَتَّىٰ تَسْلُكَ طَرِيقَهَا وَسَطَ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ.

۞ وَمِنْ آيَاتِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْقُرْآنِ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1].

وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْمَعْلُومِ لَدَىٰ عُلَمَاءِ الْبِحَارِ، أَنَّ الْبَرَازِخَ بَيْنَ الْبِحَارِ الْمَالِحَةِ، لَا تُرَىٰ بِالْعَيْنِ الْمُجَرَّدَةِ، وَإِنَّمَا الْتَقَطَتْهَا الْأَقْمَارُ الصِّنَاعِيَّةُ بِالِاسْتِشْعَارِ الْحَرَارِيِّ، وَالْبَرْزَخُ لَا يَسْمَحُ لِمِيَاهِ أَحَدِ الْبَحْرَيْنِ أَنْ يَنْتَقِلَ لِلْآخَرِ إِلَّا بَعْدَ تَخَلِّيهِ عَنْ صِفَاتِ الْبَحْرِ الْأَوَّلِ وَاكْتِسَابِهِ صِفَاتِ الْبَحْرِ الْآخَرِ، وَهَذِهِ الْبَرَازِخُ تَذْهَبُ وَتَجِيءُ وَتَضْطَرِبُ مَعَ حَرَكَةِ الْمِيَاهِ، وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَرَجَ﴾، وَقَدْ تُرْجِمَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ لِعَالِمٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْبِحَارِ، يُقَالُ لَهُ: «هِيلْ»، فَقَالَ: إِنَّ مِنَ الْمَثِيرِ جِدًّا، أَنْ أَجِدَ مِثْلَ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ مَوْجُوداً فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي إِسْلَامِهِ وَإِيمَانِهِ.

۞ وَمِنْ آيَاتِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾[2].

وَبِالتَّأَمُّلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَدْنَى﴾، أَيْ: أَخْفَضُ مَكَانَ عَلَىٰ سَطْحِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سُئِلَ الْعَالِمُ الْجِيُولُوجِيُّ «بَارْمَا» عَنْ أَخْفَضِ مَكَانٍ عَلَىٰ سَطْحِ الْأَرْضِ؟ فَقَالَ: أَخْفَضُ مَنْطِقَةٍ عَلَىٰ سَطْحِ الْأَرْضِ هُوَ الْبَحْرُ الْمَيِّتُ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي هُزِمَتْ فِيهِ الدَّوْلَةُ الرُّومَانِيَّةُ الْقَدِيمَةُ مِنَ الْفُرْسِ، وَلَمَّا اسْتَمَعَ إِلَىٰ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، انْدَهَشَ إِلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ عَنْ هَذَا، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عِنْدَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: (نَعَمْ، إِنَّ ذَلِكَ يَقُودُ إِلَىٰ أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ هَذَا عَنْ طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ)

۞ كَذَلِكَ أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ لِعُلَمَاءِ الْجِيُولُوجْيَا أَنَّ يَتَعَرَّفُوا عَلَىٰ تَارِيخِ الْأَرْضِ، فَقَالُوا: إِنَّهَا كَانَتْ مُضْطَرِبَةً غَيْرَ مُسْتَقِرَّةٍ، حَتَّىٰ أَرَادَ اللهُ خَلْقَ الْجِبَالِ، وَحِينَهَا اسْتَقَرَّتِ الْأَرْضُ، فَمَنِ الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِتَارِيخِ الْأَرْضِ؟ إِنَّهُ الْحَقُّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الْقَائِلُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿وَأَلْقَى

(١) الرحمن الآيات (١٩-٢١).
(٢) الروم الآيات (١-٣).

﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ﴾(١).

۞ وَمِنَ الْآيَاتِ الْكَوْنِيَةِ الَّتِي اكْتَشَفَهَا الْعُلَمَاءُ فِي عَصْرِنَا هَذَا تَنَاقُصُ أَطْرَافِ الْأَرْضِ، وَالَّذِي يَنْشَأُ مِنِ ارْتِفَاعِ مَنْسُوبِ الْبِحَارِ، وَالنَّاتِجُ عَنْ ذَوَبَانِ الْجَلِيدِ وَغَيْرِهِ، وَهَذَا مَا أَخْبَرَ عَنْهُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾(٢).

۞ وَفِي مَشْرُوعِيَّةِ الْوُضُوءِ وَالتَّيَمُّمِ الَّذِي أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ، سِرٌّ اكْتَشَفَهُ عُلَمَاءُ الْكَوْنِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، حَيْثُ يَقُولُونَ: إِنَّ الْمِيكْرُوبَاتِ وَالْبِكْتِيرْيَا الْمَرَضِيَّةَ، تَأْتِي مِنَ النِّفَايَاتِ وَالْفَضَلَاتِ الَّتِي يُلْقِي بِهَا الْبَشَرُ، وَهِيَ تَزْدَادُ بِزِيَادَةِ الْبَشَرِ، وَهَذِهِ الْمِيكْرُوبَاتُ تَجِدُ مِنْ جِلْدِ الْإِنْسَانِ مَسْلَكًا إِلَيْهِ، فَكَانَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِنَا أَنْ شَرَعَ لَنَا الْوُضُوءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ ﴾(٣).

۞ وَإِذَا لَمْ نَجِدْ مَاءً فَالْبَدِيلُ عَنْ هَذَا هُوَ التَّيَمُّمُ، إِنَّهُ الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ، إِنَّهُ الْغُبَارُ الَّذِي اكْتُشِفَ أَنَّهُ يُحَلِّلُ الْبِكْتِيرْيَا وَيُوقِفُ نُمُوَّهَا، وَلَوْلَا الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ لَتَكَاثَرَتِ الْبِكْتِيرْيَا بِدَرَجَةٍ تَطْمِسُ وَجْهَ الْأَرْضِ تَمَامًا، فَكَانَ التَّيَمُّمُ هُوَ التَّشْرِيعَ الْإِلَهِيَّ الَّذِي أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾(٤).

۞ وَالْوُضُوءُ وَالتَّيَمُّمُ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ إِلَيْهَا عَلَىٰ يَدِ حَبِيبِهِ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ.

۞ وَفِيمَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ مِنْ أَنَّ الْحَبَّةَ السَّوْدَاءَ تَزِيدُ مِنْ كَفَاءَةِ الْمَنَاعَةِ فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ بِنِسْبَةِ ٧٢٪، وَجِهَازُ الْمَنَاعَةِ أَوْدَعَهُ اللهُ فِي الْإِنْسَانِ؛ لِيُقَاوِمَ كَافَّةَ أَنْوَاعِ الْمَرَضِ إِلَّا السَّامَّ (الْمَوْتَ) نَرَىٰ حِينَ نَتَأَمَّلُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْصَىٰ بِتَنَاوُلِ الْحَبَّةِ

(١) لقمان الآية (١٠).
(٢) الرعد الآية (٤١).
(٣) المائدة الآية (٦).
(٤) المائدة الآية (٦).

السَّوْدَاءِ، فَقَالَ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ، فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَالْمُرَادُ (بِالسَّامِ): الْمَوْتُ.

۞ كَذَلِكَ نَرَىٰ: أَنَّ مِنْ رَحْمَتِهِ ﷺ بِنَا، أَن نَهَانَا عَنِ التَّبَوُّلِ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ وَالِاغْتِسَالِ مِنْهُ، فَقَالَ ﷺ: «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ». (رَوَاهُ النَّسَائِيُّ)

۞ وَقَدِ اكْتَشَفَ الْبَاحِثُونَ أَنَّ قَوَاقِعَ الْبِلْهَارْسِيَا لَا تَسْتَطِيعُ التَّوَاجُدَ إِلَّا فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ، وَهُوَ مَا نَهَانَا عَنِ التَّبَوُّلِ فِيهِ وَالِاغْتِسَالِ مِنْهُ، رَسُولُ اللهِ ﷺ.

۞ وَهُنَاكَ أَمْرَاضٌ خَطِيرَةٌ تَظْهَرُ بِظُهُورِ الْفَاحِشَةِ، أَلَا وَهُوَ الطَّاعُونُ الَّذِي يُهَدِّدُ مَنْ يَذْهَبُ وَمَنْ يَجِيءُ كُلَّمَا انْغَمَسَ النَّاسُ فِي الْفَاحِشَةِ، حَيْثُ يَقُولُ ﷺ: «مَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، إِلَّا وَفَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمْ». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ فَالْفَاحِشَةُ تُهَدِّدُ الْإِنْسَانَ فِي حَيَاتِهِ وَكَيَانِهِ وَدِينِهِ وَدُنْيَاهُ؛ فَمَنِ اجْتَنَبَهَا فَقَدْ ظَفِرَ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

۞ وَمِنْ آيَاتِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، مَا أَنْبَأَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي «وُلُوغِ الْكَلْبِ»، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ، فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَقَدْ حَاوَلَ الْبَاحِثُونَ إِزَالَةَ وُلُوغَ الْكَلْبِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْمُنَظِّفَاتِ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا إِزَالَتَهُ إِلَّا بِاسْتِخْدَامِ التُّرَابِ، وَقَالُوا: إِنَّ فِي التُّرَابِ مُضَادَاتٍ حَيَوِيَّةً مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَقْتُلَ جَرَاثِيمَ وُلُوغِ الْكَلْبِ، وَلَا يَقْتُلُهَا الْمَاءُ وَحْدَهُ؛ لَا غَيْرُهُ مِنَ الْمُنَظِّفَاتِ، بَلْ لَابُدَّ مِنْ غَسْلِهِ بِالْمَاءِ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ، وَذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ.

۞ كَذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، اِسْتِخْدَامُ السِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ». (رَوَاهُ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ)

۞ كَمَا رُوِيَ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ

لِلرَّبِّ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ)

❁ **وَالْمُرَادُ بِالسِّوَاكِ:** الْعُودُ الَّذِي يُسْتَاكُ بِهِ، وَتُدَلَّكُ بِهِ الْأَسْنَانُ، وَخَيْرُ مَا يُسْتَاكُ بِهِ عُودُ الْأَرَاكِ، وَقَدْ أَثْبَتَتِ الْأَبْحَاثُ الْعِلْمِيَّةُ، أَنَّ عُودَ الْأَرَاكِ بِهِ مَادَّةٌ تَمْنَعُ مِنْ تَسَوُّسِ الْأَسْنَانِ، وَهَذِهِ الْمَادَّةُ لَا يَقُومُ مَقَامَهَا سَائِرُ مُنَظِّفَاتِ الْأَسْنَانِ، فَلَا يَمْنَعُ تَسَوُّسَ الْأَسْنَانِ إِلَّا مَا أَوْدَعَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي عُودِ الْأَرَاكِ بِمَحْضِ فَضْلِهِ وَقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي حَثَّنَا عَلَىٰ اسْتِخْدَامِهِ سَيِّدُ الْأَنَامِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

❁ إِنَّ نُورَ النُّبُوَّةِ الَّذِي رَأَىٰ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا لَمْ يَرَهُ الْبَاحِثُونَ إِلَّا بَعْدَ قُرُونٍ طَوِيلَةِ الْمَدَىٰ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ نُورِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، الَّذِي تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِهِ مُنْذُ أَوَّلِ الْوَحْيِ، فَقَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(1). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾(2).

٤) الإِعْجَازُ الْبَيَانِيُّ فِي الْقُرْآنِ:

وَلِلْإِعْجَازِ الْبَيَانِيِّ فِي الْقُرْآنِ أَسَالِيبُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

(١) التَّدَرُّجُ فِي الْبَيَانِ:

❁ كَقَوْلِهِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾(3). وَلَمْ يُبَيِّنْ سُبْحَانَهُ هُنَا أَنَّهُ نَزَلَ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، وَبَيَّنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾(4). وَلَمْ يُبَيِّنِ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ هُنَا أَيَّ لَيْلَةٍ هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ، ثُمَّ أَظْهَرَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾(5). ثُمَّ نَرَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ افْتَتَحَهَا بِنُونِ التَّعْظِيمِ وَالتَّفْخِيمِ؛ لِأَنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ سُبْحَانَهُ قُرْآنًا عَظِيمَ الْقَدْرِ، فِي لَيْلَةٍ عَظِيمَةِ الْقَدْرِ، عَلَىٰ نَبِيٍّ عَظِيمِ الْقَدْرِ ﷺ، إِلَىٰ أُمَّةٍ عَظِيمَةِ الْقَدْرِ.

❁ كَذَلِكَ مِنَ التَّدَرُّجِ فِي الْبَيَانِ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ

---

(١) العلق الآية (٥).
(٢) ص الآيتان (٨٧-٨٨).
(٣) البقرة الآية (١٨٥).
(٤) الدخان الآية (٣).
(٥) القدر الآية (١).

﴿ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[1]. ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ الْحِكْمَةَ مِنْ خَلْقِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[2]، ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ كَيْفِيَّةَ الْعِبَادَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[3]. وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مُحْتَاجًا إِلَىٰ أَوْقَاتٍ لِتَصْرِيفِ حَيَاتِهِ الْمَعِيشِيَّةِ فِي الدُّنْيَا، بَيَّنَ لَهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ عَلِمَ مِنْهُ ذَلِكَ، فَجَعَلَ لِلْعِبَادَاتِ مَوَاقِيتَ مَعْلُومَةً، فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ فِي الصَّلَاةِ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[4]. وَرَفَعَ عَزَّوَجَلَّ عَنْهُ الْمَشَقَّةَ فِي الصِّيَامِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[5].

وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي سَائِرِ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ، نَرَىٰ أَنَّ الَّذِي شَرَعَهَا سُبْحَانَهُ عَلِيمٌ بِالْإِنْسَانِ وَضَعْفِهِ، فَقَالَ: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾[6]. وَالضَّعِيفُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَعُونَةِ الْمَوْلَىٰ سُبْحَانَهُ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[7].

(٢) الإيجاز بالحذف والإضمار:

وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[8]. وَمَعْنَىٰ ثَقُلَتْ، أَيْ: خَفِيَتْ عَلَىٰ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالشَّيْءُ إِذَا خَفِيَ ثَقُلَ، فَأَبْدَلَ لَفْظَ: خَفِيَ، بِـ: ﴿ثَقُلَتۡ﴾. وَأَقَامَ ﴿فِي﴾، مَقَامَ (عَلَىٰ)، وَأَضْمَرَ سُبْحَانَهُ كَلِمَةَ (أَهْلِ)، وَأَتَىٰ بِالْمُرَادِ فِي إِيجَازٍ، هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

وَالْإِيجَازُ بِالْحَذْفِ وَالْإِضْمَارِ مَشْهُودٌ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ: كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَا﴾[9]. وَالْمَحْذُوفُ هُنَا آيَةٌ، وَالْمَعْنَىٰ: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ آيَةً ﴿مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ﴾ أَنْفُسَهُمْ بِقَتْلِهَا.

وَمِنْ ذَلِكَ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ﴾[10]. وَالْمَعْنَىٰ: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ﴾ حُبُّ ﴿ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ﴾، فَحَذَفَ سُبْحَانَهُ (حُبُّ).

---

(١) الرحمن الآيتان (١٤-١٥).
(٢) الذاريات الآية (٥٦).
(٣) البينة الآية (٥).
(٤) النساء الآية (١٠٣).
(٥) البقرة الآية (١٨٥).
(٦) النساء الآية (٢٨).
(٧) الفاتحة (٥).
(٨) الأعراف الآية (١٨٧).
(٩) الإسراء الآية (٥٩).
(١٠) البقرة الآية (٩٣).

۞ وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[1]، وَالْمَعْنَىٰ: ﴿ وَتَجْعَلُونَ ﴾ شُكْرَ **رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ** ﴾، فَحَذَفَ سُبْحَانَهُ كَلِمَةَ (شُكْرَ).

۞ ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[2]. وَمَعْنَاهُ: ﴿ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾؛ يَقُولُونَ: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾... إلخ.

۞ وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾[3]. وَالْمَعْنَىٰ: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا ﴾ أَلْسِنَةِ ﴿ رُسُلِكَ ﴾.

۞ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾[4]. وَالْمَعْنَىٰ: ﴿ وَسْـَٔلِ ﴾ أَهْلَ ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ ﴿ وَ ﴾ أَهْلَ ﴿ ٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾، فَحَذَفَ كَلِمَةَ (أَهْلَ) فِي ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾، وَ﴿ ٱلْعِيرَ ﴾.

۞ وَكُلُّ هَذَا مِنْ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، إِذْ بِالْإِيجَازِ مَعَ الْحَذْفِ وَالْإِضْمَارِ، يُعْطَىٰ لِلْعِبَارَةِ جَمَالٌ مَعَ تَحْصِيلِ الْمُرَادِ فِي كُلِّ آيَةٍ مِنَ الْآيَاتِ، فَسُبْحَانَ مَنْ هَذَا كَلَامُهُ.

(٣) الْمُوَحَّدُ وَمَعْنَاهُ الْجَمْعُ:

۞ إِنَّ الِاسْتِثْنَاءَ فِي اللُّغَةِ، يَعْنِي: اِسْتِثْنَاءَ وَاحِدٍ مِنْ جَمَاعَةٍ، أَوِ اسْتِثْنَاءَ جَمَاعَةٍ أَقَلَّ مِنْ جَمَاعَةٍ أَكْثَرَ، وَلَكِنِ اقْتَضَىٰ الْإِعْجَازُ الْبَيَانِيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنْ يَسْتَثْنِيَ جَمَاعَةً مِنْ وَاحِدٍ، وَحَّدَ سُبْحَانَهُ الِاسْمَ لِلْجِنْسِ، فَقَالَ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[5].

۞ فَالْإِنْسَانُ هُنَا وَاحِدٌ فِي لَفْظِهِ، وَلَكِنَّهُ يَحْمِلُ مَعْنَىٰ الْجَمْعِ؛ لِأَنَّهُ يَنْدَرِجُ تَحْتَ لَفْظِ الْإِنْسَانِ كُلُّ مَنْ حَمَلَ جِنْسَ وَصِفَةَ كَلِمَةِ (إِنْسَانٍ)، فَاللَّفْظُ وَاحِدٌ وَهُوَ إِنْسَانٌ، وَيُسْتَثْنَىٰ مِنْهُ جَمَاعَةُ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟... ﴾، وَهَذَا مِنْ عَجَائِبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي لَا تَنْتَهِي

---

(١) الواقعة الآية (٨٢).
(٢) النساء الآيتان (٧٨-٧٩).
(٣) آل عمران الآية (١٩٤).
(٤) يوسف الآية (٨٢).
(٥) العصر الآيات (١-٣).

عَجَائِبُهُ.

(٤) الْجَمْعُ الْمُرَادُ بِهِ الْوَاحِدُ:

۞ وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[١]. وَالْمَقْصُودُ بِـ: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: نُوحٌ عليه السلام، إِذْ لَمْ يُبْعَثْ إِلَىٰ قَوْمِ نُوحٍ إِلَّا نُوحٌ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾[٢]. فَوَحَّدَ سُبْحَانَهُ الْجَمْعَ.

(٥) التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ:

۞ وَهَذَا مِمَّا يَقْتَضِيهِ تَحْسِينُ اللَّفْظِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[٣]. وَالْمَعْنَىٰ: وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ، وَأَجَلٌ مُسَمًّىٰ لَكَانَ لِزَامًا، أَيْ: لَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ إِلَىٰ الْآخِرَةِ وَهُوَ الْأَجَلُ الْمُسَمَّىٰ لَهُمْ، لَكَانَ الْهَلَاكُ لَازِمًا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَكِنَّهُ قَضَىٰ سُبْحَانَهُ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ إِلَىٰ الْيَوْمِ الْآخِرِ.

(٦) وَضْعُ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ فِي الْمَعْنَى فِي الْوَضْعِ الْمُنَاسِبِ لِمَعْنَاهُ:

۞ وَذَلِكَ مِثْلُ لَفْظِ قَرِينٍ، فَإِنَّهُ يَعْنِي تَارَةً: الْمَلَكَ، وَيَعْنِي تَارَةً: الشَّيْطَانَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۝٢٣ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٤]. وَيُرَادُ بِالْقَرِينِ هُنَا الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾[٥] وَالْقَرِينُ هُنَا الْمُرَادُ بِهِ الشَّيْطَانُ.

۞ **مِثَالٌ آخَرُ:** لَفْظُ (أُمَّةٍ)، فَـ (الْأُمَّةُ)، بِمَعْنَىٰ: الْجَمَاعَةُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾[٦]. وَ(الْأُمَّةُ)، بِمَعْنَىٰ: الرَّجُلُ الْجَامِعُ لِصِفَاتِ الْخَيْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٧]. وَ(الْأُمَّةُ)، بِمَعْنَىٰ: الدِّينِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[٨]. وَ(الْأُمَّةُ)، بِمَعْنَىٰ: الْحِينِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ

---

(١) الشعراء الآية (١٠٥).
(٢) الشعراء الآية (١٠٦).
(٣) طه الآية (١٢٩).
(٤) ق الآيتان (٢٣-٢٤).
(٥) ق الآية (٢٧).
(٦) القصص الآية (٢٣).
(٧) النحل الآية (١٢٠).
(٨) الزخرف الآية (٢٢).

أُمَّةٍ ﴾(١). أَيْ: تذكَّرَ بَعْدَ حِينٍ مِنَ الزَّمَانِ.

(٧) اِقْتِرانُ الْقَسَمِ بِأَمْرَيْنِ مُتَّحِدَيْنِ فِي الْعِلَّةِ:

ﷺ وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾(٢)، فَيَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمُ الْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ، وَالنَّفْسُ اللَّوَّامَةُ كَذَلِكَ حَاسَبَتْ نَفْسَهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبَ فِي الْآخِرَةِ، وَوَزَنَتْ أَعْمَالَهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، فَهِيَ تُحَاسِبُ نَفْسَهَا فِي حَالِ الْإِسَاءَةِ، فَتَقُولُ وَتَتَسَاءَلُ: لِمَاذَا كَانَتِ الْإِسَاءَةُ؟ وَتُحَاسِبُ نَفْسَهَا فِي حَالِ الْإِحْسَانِ، لِمَاذَا لَم تَزْدَدْ إِحْسَانًا؟ مِنْ أَجْلِ هَذَا قَرَنَ سُبْحَانَهُ الْقَسَمَ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ بِقَسَمِهِ سُبْحَانَهُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(٨) إِقَامَةُ اللَّفْظِ الْأَقْوَى بَلاغَةً فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى مَقَامَ غَيْرِهِ:

ﷺ وَمِثَالُ ذَلِكَ: لَمَّا انْقَطَعَ الْوَحْيُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا)، عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَلَاهُ اللهُ وَوَدَّعَهُ، فَبَشَّرَهُ الْمَوْلَىٰ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾(٣). وَبَشَّرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ كَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾(٤).

أَيْ: مَا لَكَ عِنْدِي فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ مَرْجِعِكَ إِلَيَّ يَا مُحَمَّدُ، خَيْرٌ لَكَ مِمَّا عَجَّلْتُهُ لَكَ مِنَ الْكَرَامَةِ فِي الدُّنْيَا: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾(٥). وَفِيهَا الْبُشْرَىٰ مِنَ اللهِ لِحَبِيبِهِ ﷺ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ سَوْفَ يُرْضِيهِ، لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ: ﷺ: «**لَا أَرْضَىٰ وَأَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ**».

(ذَكَرَهُ الْأَلُوسِيُّ فِي رُوحِ الْمَعَانِي)

ﷺ ثُمَّ تَأَمَّلْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾(٦). ومَعْنَىٰ: ﴿ ضَآلًّا ﴾، أَيْ: مُحِبًّا لِلْهِدَايَةِ، فَهَدَيْتُكَ إِلَيْهَا يَا مُحَمَّدُ؛ لِأَنَّ الضَّلَالَةَ تَأْتِي بِمَعْنَىٰ الْمَحَبَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ فِي شَأْنِ يَعْقُوبَ وَابْنَيْهِ: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾(٧)، أَيْ: فِي حُبِّكَ الْقَدِيمِ لِيُوسُفَ. (تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ)

---

(١) يوسف الآية (٤٥).
(٢) القيامة الآية (١-٢).
(٣) الضحىٰ الآية (٣).
(٤) الضحىٰ الآية (٤).
(٥) الضحىٰ الآية (٥).
(٦) الضحىٰ الآيات (٦-٨).
(٧) يوسف الآية (٩٥).

۞ وَعِنْدَمَا نُمْعِنُ النَّظَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾، ﴿وَوَجَدَكَ﴾، ﴿وَوَجَدَكَ﴾، لَمْ يَقُلْ سُبْحَانَهُ: أَلَمْ يَرَكَ، وَرَآكَ؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ تَقَعُ عَلَىٰ الْأَمْرِ الَّذِي تَطْلُبُهُ كَمَا تَقَعُ عَلَىٰ الْأَمْرِ الَّذِي لَا تَطْلُبُهُ، أَمَّا كَلِمَةُ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾، ﴿وَوَجَدَكَ﴾، إِنَّمَا تَقَعُ عَلَىٰ الْأَمْرِ الَّذِي تَطْلُبُهُ، فَحِينَ تَطْلُبُ شَيْئًا مَا، ثُمَّ يَتَحَقَّقُ لَكَ مَا أَرَدْتَ، تَقُولُ: وَجَدْتُ الشَّيْءَ، وَالْمَعْنَىٰ الَّذِي يُشِيرُ إِلَيْهِ لَفْظُ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾، ﴿وَوَجَدَكَ﴾، ﴿وَوَجَدَكَ﴾، أَيْ: أَنَّكَ مَطْلُوبِي وَمَحْبُوبِي يَا مُحَمَّدُ، وَفِي هَذَا تَسْرِيَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ انْقِطَاعِ الْوَحْيِ، وَبُشْرَىٰ مِنْهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ ﷺ مَحْبُوبُ اللهِ وَمَطْلُوبُهُ وَمُصْطَفَاهُ مِنْ خَلْقِهِ ﷺ.

۞ وَبِهَذِهِ الْأَسَالِيبِ الْبَلَاغِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا طَرَفًا يَسِيراً مِنْهَا كَمِثَالٍ، جَاءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُعْجِزاً لِبُلَغَاءِ الْعَرَبِ؛ بَلْ وَلِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ جَمِيعًا، سِرُّ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

۞ وَقَدْ أَعْجَزَهُمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، حَيْثُ بَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَا عَجَزْتُمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ كَسُورَةِ الْإِخْلَاصِ أَوِ الْكَوْثَرِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِنْسِ هَذِهِ الْأَحْرُفِ الَّتِي افْتَتَحَ اللهُ بِهَا بَعْضَ السُّوَرِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِثْلَ: ﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓر﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿حمٓ﴾، ﴿حمٓ ۞ عٓسٓقٓ﴾، ﴿نٓ﴾، ﴿طسٓ﴾، ﴿طسٓمٓ﴾، ﴿صٓ﴾، ﴿قٓ﴾.

۞ وَقَدْ أَشَارَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما بِأَنَّهَا تُعْطِي فِي مَجْمُوعِهَا مَعَ حَذْفِ الْمُكَرَّرِ مِنْهَا عِبَارَةً تَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ هُوَ: «نَصٌّ حَكِيمٌ قَاطِعٌ لَهُ سِرٌّ».

۞ وَعَدَدُ هَذِهِ الْأَحْرُفِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَوَائِلِ بَعْضِ السُّوَرِ أَرْبَعَةَ عَشْرَ حَرْفًا، أَيْ: نِصْفُ الْحُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ.

۞ وَمِنْ طَرَائِفِ مَا رُوِيَ فِي هَذَا الشَّأْنِ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ يَوْمًا قَارِئًا يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2]. فَلَمَّا سَمِعَهَا ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ سَجَدَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ

(١) الإسراء الآية (٨٨). (٢) القصص الآية (٧).

بِمَوْطِنِ سُجُودٍ، فَقَالَ: كَيْفَ لَا أَسْجُدُ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ تَعَالَىٰ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ وَخَبَرَيْنِ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ.

۞ وَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ حَالَ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي مَلَكَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ قَلْبَهَ، فَسَجَدَ تَعْظِيمًا لِمَا سَمِعَ، وَالَّذِي سَمِعَهُ آيَةً وَاحِدَةً، فَكَيْفَ بِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ بِتَدَبُّرٍ، وَتَلَاهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، فَأَثْمَرَ فِيهِ الْقُرْآنُ بِالْعَقِيدَةِ الْحَقَّةِ، وَالْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ، وَالْمُعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ.

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَنَا أَهْلاً لِهَذَا كُلِّهِ، وَأَنْ يُعَلِّمَنَا مِنْهُ مَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ لَنَا إِمَامًا وَنُوراً وَهُدًىٰ وَرَحْمَةً. وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

الْفَصْلُ الثَّانِي

لِحَاقُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى

۞ إِنَّ عَظَمَتَهُ ﷺ مُنْذُ مَوْلِدِهِ الشَّرِيفِ إِلَىٰ يَوْمِ لِحَاقِهِ ﷺ بِرَبِّهِ، إِنَّمَا هِيَ آيَةٌ كُبْرَىٰ لِحَيَاةِ أَعْظَمِ إِنْسَانٍ جَادَ بِهِ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ سَائِرِ خَلْقِهِ ﷺ.

۞ وَإِذَا كَانَتْ شَمْسُ الْكَوْنِ تُشْرِقُ وَتَغِيبُ، فَإِنَّ شَمْسَهُ ﷺ مُشْرِقَةٌ عَلَىٰ مَرِّ الزَّمَانِ لَا تَغِيبُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾(١). فَهُوَ ﷺ وَإِنْ تَوَارَىٰ عَنَّا بِجَسَدِهِ الشَّرِيفِ، فَإِنَّ سِرَّهُ سَارِي فِي كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَشَمْسَهُ مَاضِيَةٌ تَتَنَقَّلُ دَوَامًا فِي آفَاقِ الْقُلُوبِ، فَهُوَ ﷺ الْقَائِلُ فِيمَا رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ، وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَإِنْ وَجَدْتُ خَيْرًا حَمِدْتُ اللهَ، وَإِنْ وَجَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ، اِسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُمْ**».

(رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَالْبَزَّارُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ)

۞ وَهُوَ ﷺ قَرِيبٌ مِنَّا وَحَاضِرٌ مَعَنَا يُسَلِّمُ عَلَيْنَا وَيَرُدُّ عَلَيْنَا السَّلَامَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي؛ حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**».

(رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ وَالْبَيْهَقِيُّ)

۞ وَإِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ ثَابِتَةً لِلشُّهَدَاءِ بَعْدَ انْتِقَالِهِمْ لِرَبِّهِمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ أَخَذُوا بِفَضْلِهِ الشَّهَادَةَ ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾(٢).

۞ وَهَذَا مِنْ كَمَالِ الْأَدَبِ فِي حَقِّهِمْ، فَكَيْفَ بِسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ ﷺ الَّذِي يَقُولُ فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ أَوْسُ بْنُ أَوْسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ (أَيْ: بَلِيتَ)، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**».

---

(١) الحجرات الآية (٧). (٢) البقرة الآية (١٥٤).

(رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)

۞ وَعَنْ عَمَّارٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ للهِ تَعَالَىٰ مَلَكاً أَعْطَاهُ اللهُ أَسْمَاعَ الْخَلَائِقِ قَائِمٌ عَلَىٰ قَبْرِي، فَمَا مِنْ أَحَدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ صَلَاةً إِلَّا أَبْلَغَنِيهَا**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ، وَالْأَصْبَهَانِيُّ)

۞ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ، يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَلَّىٰ عليَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ، وَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ نَائِياً بُلِّغْتُهُ**». (رَوَاهُ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي التَّرْغِيبِ)

۞ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)

۞ إِنَّ الْمَوْتَةَ الْعِزْرَائِيلِيَّةَ، أَمْرٌ قَضَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[1]. وَلَكِنْ حِينَ نَتَسَاءَلُ عَنِ الْمَوْتِ مَا هُوَ؟ نَرَىٰ أَنَّهُ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، اِنْتِقَالٌ مِنْ حَيَاةٍ إِلَىٰ حَيَاةٍ، اِنْتِقَالٌ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَىٰ الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ، الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2]، فَالْحَيَاةُ الْبَرْزَخِيَّةُ هِيَ الْمَرْحَلَةُ الْوُسْطَىٰ بَيْنَ حَيَاتَيْنِ: بَيْنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَينَ حَيَاةِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، مَثَلُهَا فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ الْبَرْزَخِ الْحَاجِزِ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ، فَصِلَتُهَا بِالْحَيَاتَيْنِ كَصِلَةِ الْبَرْزَخِ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ، هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِسَائِرِ الْأَرْوَاحِ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلرُّوحِ الْكُلِّيَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَإِنَّ لَهَا مَا هُوَ فَوْقَ ذَلِكَ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ اللَّائِقِ بِعَظِيمِ جَاهِهِ الْمُحَمَّدِيِّ ﷺ.

۞ وَالصِّلَةُ الرُّوحِيَّةُ الْقَائِمَةُ بَيْنَهُ ﷺ وَبَيْنَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا هِيَ عَلَىٰ حَسَبِ وَمُقْتَضَىٰ الْإِيمَانِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ دَرَجَةُ الْمُؤْمِنِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ دَرَجَاتٌ، وَحُبُّهُمْ للهِ وَرَسُولِهِ ﷺ دَرَجَاتٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[3]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ

---

(١) آل عمران الآية (١٨٥). (٢) المؤمنون الآية (١٠٠). (٣) البقرة الآية (١٦٥).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾[1].

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أَحَدِكُمْ يَوْمٌ لَأَنْ يَرَانِي ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ فَقُرْبُهُ ﷺ مِنَّا بِحَسْبِ وَبِقَدْرِ مَا تَفَضَّلَ اللهُ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ حُبِّهِ ﷺ، وَلَقَدْ عَجَّلَ اللهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ ﷺ الْبُشْرَىٰ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ مَحَبَّتِهِ ﷺ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُوا الَّذِينَ شَفَا اللهُ سِقَامَهُمْ وَأَرْوَىٰ ظَمَأَهُمْ بِرُؤْيَتِهِ ﷺ يَقْظَةً وَمَنَامًا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقْظَةِ ـ أَوْ: كَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقْظَةِ ـ لَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞۞۞۞۞

إِخْبَارُهُ ﷺ عَنْ وَفَاتِهِ

۞ فَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ عَنْ وَفَاتِهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَعَنْ جَابِرٍ ﵁، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي الْجَمْرَةَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ ﷺ: «لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ فَاطِمَةَ ﵂ أَخْبَرَتْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَسَرَّ إِلَيْهَا، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَأَنَّهُ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَىٰ أَجَلِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي قُبِضَ ﷺ فِيهِ، اِعْتَكَفَ ﷺ عِشْرِينَ يَوْمًا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ)

۞ وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: «دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَضَحِكَتْ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: أَخْبَرَنِي ﷺ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي ﷺ أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ أَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

---

(١) المجادلة الآية (١١).

۞ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ يَوْماً، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ عَبْداً خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللهِ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ»، فَبَكَىٰ أَبُوبَكْرٍ رضي الله عنه، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ، أَنْ يُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَجُلٍ يُخَيَّرُ، فَكَانَ الْمُخَيَّرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «لَا تَبْكِ يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً، لَاتَّخَذْتُهُ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ وَجَاءَ خَبَرُ السَّمَاءِ الَّذِي أَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾(1). وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ يَرْوِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، بِأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه سَأَلَهُ عَنْ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ مَا يَقُولُ فِيهَا؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: وَاللهِ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ.

۞ وَسُنَّةُ اللهِ تَعَالَىٰ فِي أَنْبِيَائِهِ: أَنَّهُمْ يُخَيَّرُونَ، وَهَذَا مَا كَانَ لِنَبِيِّنَا ﷺ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّىٰ يَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ»، قَالَت: فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا نَزَلَ وَرَأْسُهُ عَلَىٰ فَخِذِي، غُشِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرُهُ إِلَىٰ سَقْفِ الْبَيْتِ، وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَىٰ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي حَدَّثَنِي بِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ (أَيْ: قَبْلَ مَرَضِهِ). (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَمُوتُ حَتَّىٰ يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَمَّا كَانَ مَرَضُ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، عَرَضَتْ لَهُ بُحَّةٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾(2). فَعَلِمْنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُخَيَّرُ. (الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

يَوْمُ انْتِقَالِهِ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى، وَوَصَايَاهُ ﷺ:

۞ كَانَتْ وَفَاتُهُ ﷺ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فِي السَّنَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ

(1) النصر الآيات (1-3). (2) النساء الآية (69).

لِلْهِجْرَةِ عَنْ ثَلَاثَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

۞ فَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: «**تُوَفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ**». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

۞ وَكَانَ دَفْنُهُ ﷺ فِي بَيْتِهِ، لِمَا رَوَاهُ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: اِخْتَلَفَ الْـمُسْلِمُونَ فِي دَفْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ قَائِلٌ: اِدْفِنُوهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَقَالَ قَائِلٌ: بِالْبَقِيعِ، فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مَاتَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ**»، فَرُفِعَ الْفِرَاشُ الَّذِي تُوُفِّيَ عَلَيْهِ ﷺ، ثُمَّ حُفِرَ لَهُ ﷺ تَحْتَهُ. (رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ وَالْبَيْهَقِيُّ)

۞ كَمَا رَوَىٰ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: **لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ صَعِدَ مَلَكُ الْمَوْتِ بَاكِيًا إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يُنَادِي: وَامُحَمَّدَاهُ.** (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

۞ وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ...﴾[1]. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ: «**نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾[2]. (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ، جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: **وَاكَرْبَ أَبَتَاهُ**، فَقَالَ ﷺ: «**لَيْسَ عَلَىٰ أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ**»، فَلَمَّا مَاتَ ﷺ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، إِلَىٰ جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ، فَلَمَّا دُفِنَ ﷺ، قَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: **أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُو عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ.** (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَقَدْ بَدَأَ ﷺ شَكْوَاهُ مِنْ مَرَضِهِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، فَكَانَ شَكْوَاهُ إِلَىٰ أَنْ قُبِضَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ يَوْمًا. (طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ)

۞ وَأَوْصَىٰ ﷺ أَبَابَكْرٍ رضي الله عنه بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ، فَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ ﷺ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**» قَالَهَا ﷺ ثَلَاثًا. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «**قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، فَلَمَّا خَرَجَتْ نَفْسُهُ**

---
(١) النصر.
(٢) الضحىٰ الآية (٤).

لَمْ أَجِدْ رِيحًا قَطُّ أَطْيَبَ مِنْهَا». (رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَالْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

مَعْنَىٰ: (سَحْرِي)، هُوَ: مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ.

وعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: نَزَلَ جِبْرِيلُ وَمَعَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدِ اشْتَاقَ إِلَيْكَ، فَنظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ مَلَكِ الْمَوْتِ وَقَالَ ﷺ: «امْضِ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ إِلَىٰ مَا أُمِرْتَ بِهِ»، فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا آخِرُ مَوْطِئٍ مِنَ الْأَرْضِ، إِنَّمَا كُنْتَ حَاجَتِي مِنَ الدُّنْيَا. (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

وَرَوَىٰ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: نَعَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَفْسَهُ قَبْلَ شَهْرٍ مِنْ يَوْمِ لِقَائِهِ بِرَبِّهِ، حَيْثُ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَقَالَ ﷺ: «حَيَّاكُمُ اللهُ بِالسَّلَامِ، رَحِمَكُمُ اللهُ، جَبَرَكُمُ اللهُ، رَزَقَكُمُ اللهُ، نَصَرَكُمُ اللهُ، رَفَعَكُمُ اللهُ، آوَاكُمُ اللهُ، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ، وَأُحَذِّرُكُمُ اللهَ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَىٰ اللهِ فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ، فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]. وقَالَ: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[2]. ثُمَّ قَالَ ﷺ: «دَنَا الْفِرَاقُ، وَالْمُنْقَلَبُ إِلَىٰ اللهِ، وَإِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَىٰ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَأَوْرَدَهُ صَاحِبُ السِّيرَةِ الْحَلَبِيَّةِ)

وَرَوَي أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ ﷺ، كَشَفَ ﷺ سِتْرَ حُجْرَتِهِ، وَخَرَجَ ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ الْفَجْرَ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَفَرِحُو وَاسْتَبْشَرُوا بِخُرُوجِهِ ﷺ، حَتَّىٰ كَادُوا مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِمْ يُفْتَنُونَ فِي صَلَاتِهِمْ، فَأَشَارَ ﷺ إِلَيْهِم أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ، وَتَبَسَّمَ ﷺ؛ لِمَا رَآهُ مِنْ هَيْئَتِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ.

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: لَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ ﷺ، قَالَ: «أَهْرِقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ»، فَأَجْلَسْنَاهُ وَطَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ، حَتَّىٰ أَشَارَ إِلَيْنَا بِيَدِهِ: قَدْ فَعَلْتُنَّ. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁❁❁❁❁

(١) القصص الآية (٨٣). (٢) الزمر الآية (٦٠).

وَصِيَّتُهُ ﷺ فِي غُسْلِهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْنَا: مَنْ يُغَسِّلُكَ يَارَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي؛ الْأَدْنَىٰ فَالْأَدْنَىٰ، مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ يَرَوْنَكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ»، قُلْنَا: مَنْ يُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ ﷺ: «إِذَا غَسَّلْتُمُونِي، وَكَفَّنْتُمُونِي، فَضَعُونِي عَلَىٰ سَرِيرِي هَذَا عَلَىٰ شَفِيرِ قَبْرِي، ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ جِبْرِيلُ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ، ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَ جُنُودٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَيَّ أَهْلُ بَيْتِي، ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ أَفْوَاجاً وَفُرَادَىٰ»، قُلْنَا: مَنْ يَدْخُلُ قَبْرَكَ؟ قَالَ ﷺ: «أَهْلِي مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ يَرَوْنَكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ». (رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: غَسَّلَ عَلِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمْ يَرَ مِنْهُ شَيْئاً مِمَّا يَرَاهُ مِنَ الْمَيِّتِ، فَقَالَ ﷺ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا أَطْيَبَكَ حَيّاً وَمَيِّتاً». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ أَمَّا عَنْ كَفْنِهِ ﷺ، فَعَنْ عَائِشَةَ ﷺ، قَالَتْ: «كُفِّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ جُدَدٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَمَعْنَىٰ (سَحُولِيَّةٌ): نِسْبَةً إِلَىٰ سَحُولَ بِالْيَمَنِ، فَكَانَتْ تُحْمَلُ مِنْهَا هَذِهِ الثِّيَابُ.

۞ وَكَانَ الَّذِي غَسَّلَهُ ﷺ وَكَفَّنَهُ وَدَخَلَ قَبْرَهُ ﷺ عَلِيٌّ، وَالْعَبَّاسُ وَابْنُهُ الْفَضْلُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَقَدْ غَسَّلُوهُ ﷺ وَأَعْيُنُهُمْ مَعْصُوبَةٌ؛ حَتَّىٰ لَا يَرَوْا مَا لَا يُبَاحُ مِنْ جَسَدِهِ الشَّرِيفِ ﷺ.

۞ وَكَانَتْ وَصِيَّتُهُ ﷺ وَالَّتِي تُعَدُّ آخِرَ وَصَايَاهُ ﷺ، مَارَوَاهُ أَنَسٌ ﷺ، قَالَ: كَانَ آخِرُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: «الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»، وَمَازَالَ ﷺ يُغَرْغِرُ بِهَا فِي صَدْرِهِ، وَمَا يُفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ ﷺ. (رَوَاهُ الشَّيْخَانِ)

❁❁❁❁❁

۞ لَمَّا لَقِيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم رَبَّهُ، جَزَعَ النَّاسُ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ خَبُلَ كَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَمِنْهُمْ مَنْ أُخْرِسَ كَعُثْمَانَ رضي الله عنه، وَمِنْهُمْ مَنْ أُقْعِدَ كَعَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فَلَمْ يَقْوَ أَنْ يَتَحَرَّكَ مِنْ مَكَانِهِ، وَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ بِوَفَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: **مَنْ قَالَ إِنَّ مُحَمَّدَاً قَدْ مَاتَ ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي، إِنَّهُ مَا مَاتَ وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَىٰ رَبِّهِ، كَمَا ذَهَبَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ، فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ.**

۞ وَكَانَ أَثْبَتُ النَّاسِ فِي هَذَا الْيَوْمِ هُوَ سَيِّدَنَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه، فَقَدْ دَخَلَ رضي الله عنه عَلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَهُوَ صلى الله عليه وآله وسلم مُسَجَّىٰ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، وَعَلَيْهِ بُرْدَتُهُ، فَكَشَفَ رضي الله عنه عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، ثُمَّ أَقْبَلَ رضي الله عنه عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَبَّلَهُ وَبَكَىٰ، وَقَالَ: **بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَارَسُولَ اللهِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ عَلَيْكَ فَقَدْ ذُقْتَهَا، وَلَنْ تُصِيبَكَ بَعْدَهَا مَوْتَةٌ أَبَدَاً**، ثُمَّ غَطَّىٰ رضي الله عنه وَجْهَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَخَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ بِكَلَامِهِ، فَقَالَ رضي الله عنه: عَلَىٰ رِسْلِكَ يَا عُمَرُ، ثُمَّ أَقْبَلَ رضي الله عنه عَلَىٰ النَّاسِ يَقُولُ: «**يَاأَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدَاً، فَإِنَّ مُحَمَّدَاً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ**. ثُمَّ قَرَأَ رضي الله عنه قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]. وَعِنْدَ سِمَاعِ النَّاسِ لِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، أَنْزَلَ اللهُ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِهِمْ، حَتَّىٰ قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه حِينَ سَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ: **كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْهَا مِنْ قَبْلُ.**

۞ أَمَّا السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ رضي الله عنها فَقَدِ اشْتَدَّ بُكَاؤُهَا؛ لِفِرَاقِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَجَعَلَتْ تَقُولُ حِينَ دُفِنَ صلى الله عليه وآله وسلم: **أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا التُّرَابَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ؟!** (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَلَقَدْ حَفِظَ اللهُ تَعَالَىٰ لِسَيِّدِنَا عُمَرَ رضي الله عنه هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي جَعَلَ يُرَدِّدُهَا بَعْدَ أَنْ تَحَقَّقَ مِنْ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه بِوَفَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، حَيْثُ جَعَلَ رضي الله عنه يَبْكِي وَيَقُولُ: **بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ كَانَ لَكَ جِذْعٌ تَخْطُبُ النَّاسَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَثُرُوا، اتَّخَذُوا لَكَ مِنْبَرَاً لِتُسْمِعَهُمْ،**

(١) آل عمران الآية (١٤٤).

فَحَنَّ الْجِذْعُ لِفِرَاقِكَ حَتَّىٰ جَعَلْتَ يَدَكَ عَلَيْهِ فَسَكَنَ، فَأُمَّتُكَ أَوْلَىٰ بِالْحَنِينِ إِلَيْكَ حِينَ فَارَقْتَهُمْ. بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَارَسُولَ اللهِ، لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضْلِكَ عِنْدَ رَبِّكَ، أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ، فَقَالَ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(١). بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَارَسُولَ اللهِ، لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضْلِكَ عِنْدَهُ أَنْ بعثَكَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ، وَذَكَرَكَ فِي أَوَّلِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾(٢). بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضْلِكَ عِنْدَهُ، أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ، وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِهِمْ يُعَذَّبُونَ: ﴿يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾(٣). بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَارَسُولَ اللهِ، لَقَدِ اتَّبَعَكَ فِي قِصَرِ عُمْرِكَ مَا لَمْ يَتْبَعْ نُوحًا فِي كَثْرَةِ سِنِّهِ وَطُولِ عُمُرِهِ، فَقَدْ آمَنَ بِكَ الْكَثِيرُ، بَيْنَمَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ فِي نُوحٍ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(٤). (السِّيرَةُ الْحَلَبِيَّةُ)

۞ وَقَدْ رَأَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ ﵂ رُؤْيَا تُنْبِئُ بِأَنَّ بَيْتَهَا سَيَضُمُّ خِيَارَ أَهْلِ الْأَرْضِ، حَيْثُ تَقُولُ ﵂: رَأَيْتُ ثَلَاثَةَ أَقْمَارٍ سَقَطَتْ فِي حُجْرَتِي، فَسَأَلْتُ أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ: يُدْفَنُ فِي بَيْتِكِ ثَلَاثَةٌ هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَلَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَدُفِنَ، قَالَ أَبُوبَكْرٍ ﵁: يَا عَائِشَةُ، هَذَا خَيْرُ أَقْمَارِكِ. (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ)

۞ وَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ؛ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ، وَمَا تَرَكَ ﷺ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَلَا شَاةً وَلَا بَعِيرًا، فَعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيرًا». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ ﵁ (أَخُو السَّيِّدَةِ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂)، قَالَ: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا سِلَاحَهُ وَبَغْلَتَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا ﷺ صَدَقَةً». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَّثُ؛ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

---

(١) النساء الآية (٨٠).
(٢) الأحزاب الآية (٧).
(٣) الأحزاب الآية (٦٦).
(٤) هود الآية (٤٠).

فَضْلُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

۞ لَقَدْ تَشَرَّفَتِ الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ بِأَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ، جَاءَ بَعْضُهَا فِي كِتَابِ اللهِ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾[١]، فَإِذَا قِيلَ: الْمَدِينَةُ. غَيْرُ مُضَافَةٍ وَلَا مَنْسُوبَةٍ، عُلِمَ أَنَّهَا هِيَ، وَمِنْ أَسْمَائِهَا الْمَذْكُورَةِ فِي كِتَابِ اللهِ: يَثْرِبُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ﴾[٢]، وَهِيَ دَارُ الْإِيمَانِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[٣].

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَىٰ جُحْرِهَا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ كَذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهَا طَيْبَةُ، وَطَابَةُ، وَالْجَابِرَةُ، وَالْمَجْبُورَةُ، وَالْمُحِبَّةُ وَالْمَحْبُوبَةُ، وَالْقَاصِمَةُ؛ لِأَنَّهَا قَصَمَتْ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ. (ذَكَرَ ذَلِكَ الْبَكْرِيُّ فِي كِتَابِهِ مُعْجَم مَا اسْتَعْجَمَ مِنْ أَسْمَاءِ الْبِلَادِ)

۞ وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَرَكَةِ لِلْمَدِينَةِ، وَفِي ثِمَارِهَا، وَصَاعِهَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوُا الثَّمَرَ، جَاءُوا بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَفِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ بِهِ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ**». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «ثُمَّ يَدْعُو ﷺ أَصْغَرَ وَلِيدٍ، فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجه)

۞ وَقَدْ خَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ الْمَدِينَةَ بِمَا خَصَّ بِهِ مَكَّةَ مِنَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، فَقَال تَعَالَىٰ فِي مَكَّةَ: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[٤].

۞ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَدِينَةُ وَمَكَّةُ مَحْفُوفَتَانِ بِالْمَلَائِكَةِ؛ عَلَىٰ كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا ملَكٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلَا الدَّجَّالُ**». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ وَلِفَضْلِ الْمَدِينَةِ، كَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رضي الله عنه يَدْعُو اللهَ أَنْ يَمُوتَ بِهَا، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ

---

(١) التوبة الآية (١٢٠).
(٢) الأحزاب الآية (١٣).
(٣) الحشر الآية (٩).
(٤) التين الآية (٣).

أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ مَوْتِي فِي حَرَمِ رَسُولِكَ صلى الله عليه وآله وسلم». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ، فَلْيَمُتْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ بِهَا كُنْتُ لَهُ شَهِيداً - أَوْ شَفِيعاً - يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ وَجَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، مَارَوَاهُ أَبُوهُرَيْرَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِينَ صَلَاةً، لَا تَفُوتُهُ صَلَاةٌ، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَجَاءَ فِي فَضْلِ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، مَارَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي، فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ)

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ جَاءَنِي زَائِراً لَا تُهِمُّهُ إِلَّا زِيَارَتِي، كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعاً». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَقَالَ ابْنُ السَّكَنِ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ)

۞ وَجَاءَ فِي فَضْلِ الرَّوْضَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، مَارَوَاهُ أَبُوهُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁❁❁❁❁

آداب زِيارةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ يَأْتِي الزَّائِرُ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ، وَيُسَمِّي اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَيَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ». وَعِنْدَ خُرُوجِهِ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَيَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ، وَاحْفَظْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ».

۞ وبَعْدَ دُخولِ الزَّائِرِ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ، يَتوَجَّهُ إِلَىٰ الرَّوْضَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَيُصَلِّي فِيهَا رَكْعَتَيْنِ وَيُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَخْتِمُ دُعَاءَهُ بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَىٰ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[1]. ثُمَّ يَقُولُ: «**صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي يَا مُحَمَّدُ**» سَبْعِينَ مَرَّةً، فَقَدْ وُرِدَ فِي الْأَثَرِ أَنَّ مَنْ فَعَلَ هَذَا نَادَاهُ مَلَكٌ: صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْكَ يَا فلَانُ، وَلَمْ تَسْقُطْ لَهُ حَاجَةٌ.

(ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاض فِي كِتَابِهِ الشِّفَا)

۞ وَعَلَىٰ الزَّائِرِ أَنْ يَقِفَ وَوَجْهُهُ إِلَىٰ الْقَبْرِ؛ لَا إِلَىٰ الْقِبْلَةِ، وَيَدْنُو وَيُسَلِّمُ، وَلَا يَمَسُّ الْقَبْرَ بِيَدِهِ، وَفِي سَلَامِهِ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يُسَلِّمُ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ يُسَلِّمُ عَلَىٰ عُمَرَ رضي الله عنهما. وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَفْعَلُ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْصَرِفُ.

۞ وَمِنْ آدَابِ الزِّيَارَةِ أَلَّا يَرْفَعَ صَوْتَهُ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حُرْمَتُهُ بَعْدَ لِقَائِهِ بِرَبِّهِ كَحُرْمَتِهِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ، وَقَدْ نَهَانَا اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي حَضْرَتِهِ ﷺ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[2].

(الشِّفَا لِلْقَاضِي عِيَاض)

۞ وَكَانَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم يَتبَرَّكُونَ بِآثَارِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، بِأَنَّهُ كَانَ يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ مَقْعَدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَضَعُونَ مَيَامِنَهُمْ عَلَىٰ رُمَّانَةِ الْمِنْبَرِ الَّتِي تَلِي الْقَبْرَ، ثُمَّ يَسْتَقْبِلُونَ الْقِبْلَةَ وَيَدْعُونَ.

(الشِّفَا لِلْقَاضِي عِيَاض)

الدُّعَاءُ فِي مُوَاجَهَةِ الْقَبْرِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ:

۞ عَلَىٰ الزَّائِرِ أَنْ يُصَلِّيَ وَيُسَلِّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَخْتَارَ مِنَ الدُّعَاءِ مَا يَشَاءُ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَاضِرَ الْقَلْبِ فِي دُعَائِهِ، مُسْتَشْعِراً حَقِيقَةَ اضْطِرَارِهِ وَافْتِقَارِهِ إِلَىٰ اللهِ، مُوقِنًا بِالْإِجَابَةِ، وَإِنِ اسْتَعَانَ فِي دُعَائِهِ بِالْمَأْثُورِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا عَلَّمَهُ ﷺ آلَ بَيْتِهِ وَأَصْحَابَهُ رضي الله عنهم مِنَ الدُّعَاءِ، كَانَ ذَلِكَ أَكْمَلَ وَأَتَمَّ، وَأَدْعَىٰ لِلْإِجَابَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

(١) الأحزاب الآية (٥٦). (٢) الحجرات الآية (٢).

وَمِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم الْآتِي

۞ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّلَاةَ عَلَىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَعَلَىٰ آلِهِ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ - سَيِّدُنَا - مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رُشْداً، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ مَاجَةَ)

۞ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ وَخَوَاتِمَهُ، وَجَوَامِعَهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ».

(رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي وَشِكَايَتِي». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ وَالطَّبَرَانِيُّ)

۞ «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيماً، وَلِسَاناً ذَاكِراً، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ)

۞ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ)

۞ «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَخَافُ وَلَا يَرْحَمُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ)

۞ وَمِمَّا عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِلسَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ رضي الله عنها هَذَا الدُّعَاءُ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ فَأَغِثْنِي، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ». (رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ)

۞ وَعَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ سَيِّدَنَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَاناً لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيماً لَا يَنْفَدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّكَ - سَيِّدِنَا - مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ».
(رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ)

۞ وَعَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ سَيِّدَنَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه أَنْ يَقُولَ فِي صَبَاحِهِ وَمَسَائِهِ: «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ)

۞ وَكَانَ ﷺ لَا يَدَعُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَأَقِلْ عَثَرَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَه وَالْحَاكِمُ)

۞ وَعُلِّمَ ﷺ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيَّ رضي الله عنه أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ، فَقَوِّ فِي رِضَاكَ ضَعْفِي، وَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِي، وَاجْعَلِ الْإِسْلَامَ مُنْتَهَى رِضَايَ، اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّنِي، وَإِنِّي ذَلِيلٌ فَأَعِزَّنِي، وَإِنِّي فَقِيرٌ فَأَغْنِنِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ وَمِنْ دُعَائِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ». وَأَخْبَرَ ﷺ فِي فَضْلِ هَذَا الدُّعَاءِ أَنَّ مَنْ دَعَا بِهِ، مَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَهُ الْبَلَاءُ.

(رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ مَاجَه)

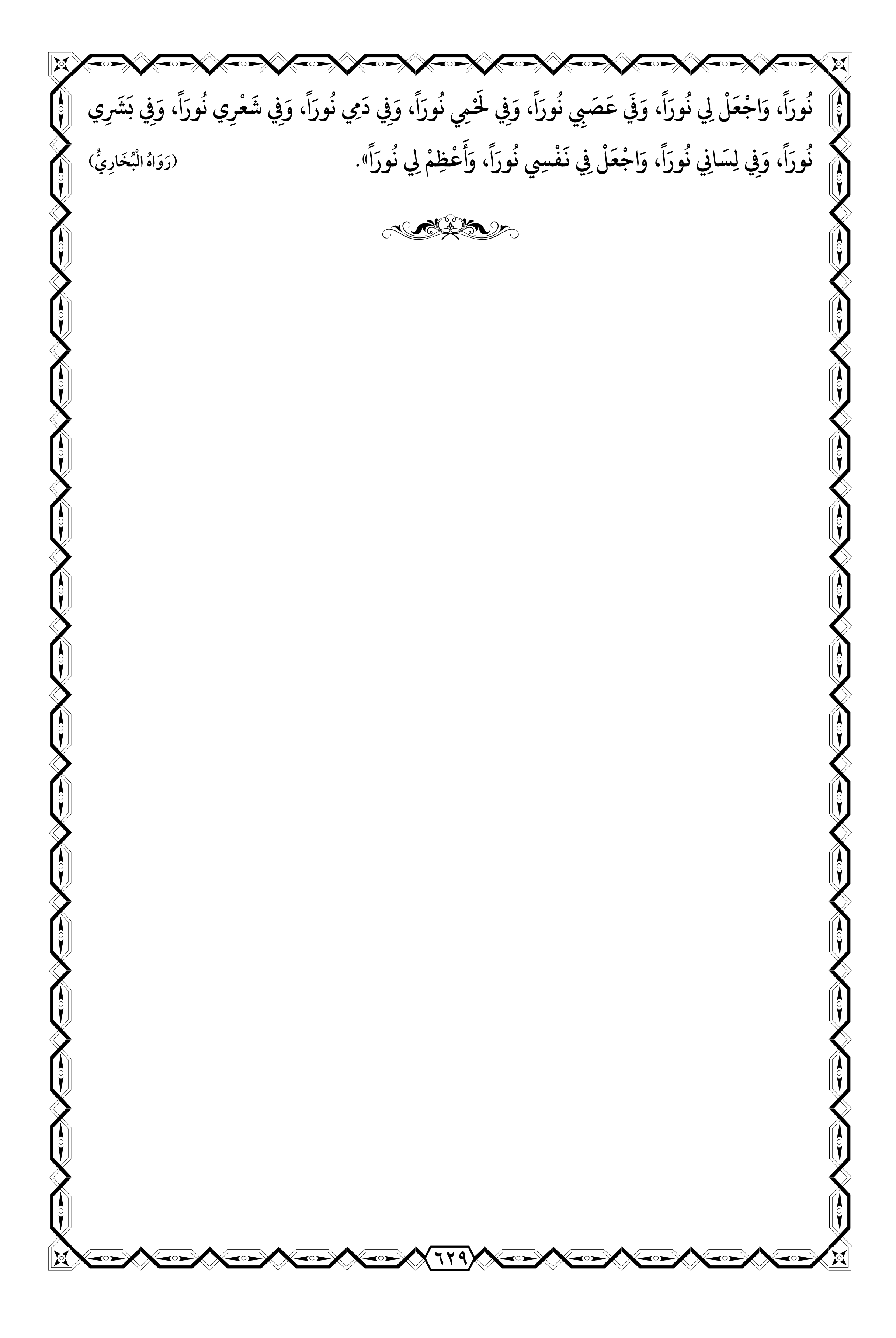
۞ وَعَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ سَيِّدَنَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَنَا، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ، قَابِلِينَ لَهَا، وَأَتْمِمْهَا عَلَيْنَا». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ)

۞ وَأَوْصَى ﷺ سَيِّدَنَا سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ رضي الله عنه أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَانٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَيَقِيناً فِي حُسْنِ خُلُقٍ، وَنَجَاحاً يَتْبَعُهُ فَلَاحٌ، وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً، وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَاناً». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ)

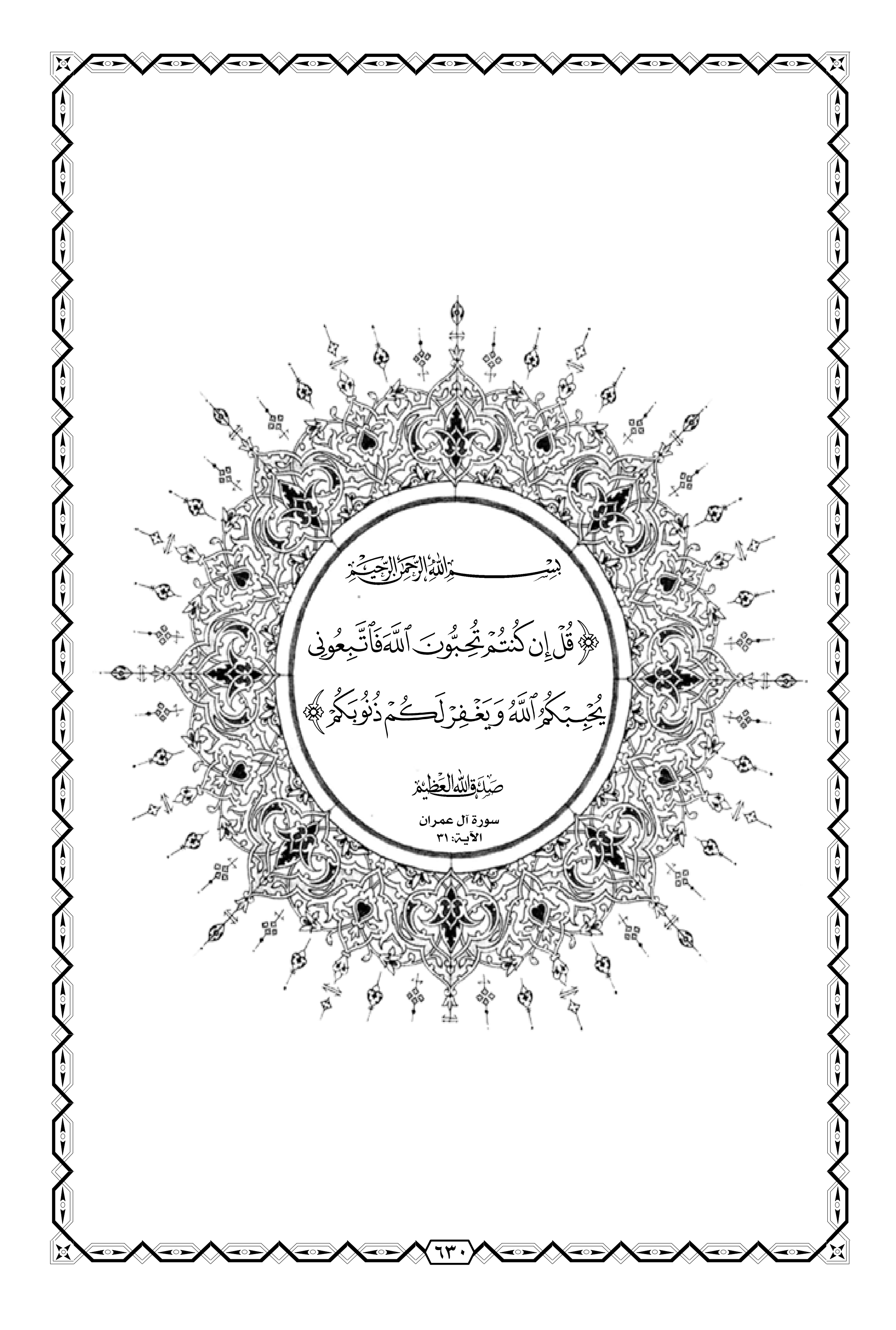
۞ وَأَوْصَى ﷺ سَيِّدَنَا مُعَاذَ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، أَنْ يَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ خُزَيْمَةَ)

۞ وَكَانَ ﷺ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ فِي سُجُودِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ؛ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ)

۞ وَكَانَ ﷺ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ عِنْدَ خُرُوجِهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً، وَفِي بَصَرِي نُوراً، وَفِي سَمْعِي نُوراً، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً، وَعَنْ شِمَالِي نُوراً، وَمِنْ أَمَامِي نُوراً، وَمِنْ خَلْفِي



نُورَاً، وَاجْعَلْ لِي نُورَاً، وَفَي عَصَبِي نُورَاً، وَفِي لَحْمِي نُورَاً، وَفِي دَمِي نُورَاً، وَفِي شَعْرِي نُورَاً، وَفِي بَشَرِي نُورَاً، وَفِي لِسَانِي نُورَاً، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورَاً، وَأَعْظِمْ لِي نُورَاً». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى
يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾
صدق الله العظيم
سورة آل عمران
الآية: ٣١

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

مُخْتَارَاتٌ مِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

۞ إِنَّ مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْنَا وَرَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ بِنَا، أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَوْلَىٰ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا ﷺ، وَكَفَانَا فَضْلاً وَكَرَماً، قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ مُبَشِّراً لَنَا بِنَبِيِّنَا ﷺ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

۞ وَحِينَ نُصْغِي بِآذَانِ قُلُوبِنَا لِوَصَايَاهُ ﷺ، نَرَىٰ فِيهَا الْمَعَانِي الْحَافِلَةَ بِخَيْرَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ ﷺ، وَحِرْصِهِ ﷺ عَلَىٰ مَافِيهِ صَلَاحُ أَمْرِنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمَا مِنْ مَكْرُمَةٍ سَادَ بِهَا السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ، إِلَّا وَدَعَانَا إِلَيْهَا ﷺ، يُرِيدُ ﷺ بِذَلِكَ أَنْ يُضْفِيَ عَلَيْنَا مِنَ الْحُلَلِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا الْفَوْزُ الْكَبِيرُ، مَا يَرْفَعُنَا بِهِ إِلَىٰ أَعْلَىٰ الْمَنَازِلِ، وَأَسْمَىٰ الدَّرَجَاتِ، وَلَا نَنَالُ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ، إِلَّا إِذَا كُنَّا عَلَىٰ نَهْجِهِ الْقَوِيمِ ﷺ سَائِرِينَ، وَلِسُنَّتِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ مُتَّبِعِينَ، حَتَّىٰ نَحْظَىٰ بِالْبُشْرَىٰ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٢).

۞ وَحِينَ نَتَأَمَّلُ فِي وَصَايَاهُ ﷺ، نَرَىٰ أَنَّ لَهُ ﷺ وَصَايَا فِي آلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحَابَتِهِ الْأَخْيَارِ، وَوَصَايَا فِي طِبِّ النُّفُوسِ وَالْأَبْدَانِ، وَوَصَايَا فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ إِلَىٰ اللهِ، وَهَذَا مَا نَتَنَاوَلُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ بِتَوْفِيقِ اللهِ وَمَعُونَتِهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْآتِي **فِي ثَلَاثَةِ مَبَاحِثَ:**

۞ **الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: مُخْتَارَاتٌ مِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي آلِ بَيْتِهِ، وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.**

۞ **الْمَبْحَثُ الثَّانِي: مُخْتَارَاتٌ مِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي طِبِّ النُّفُوسِ وَالْأَبْدَانِ.**

۞ **الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: مُخْتَارَاتٌ مِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ إِلَىٰ اللهِ.**

(١) التوبة الآية (١٢٨).
(٢) الزمر الآيتان (١٧-١٨).

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

مُخْتَارَاتُ مِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي آلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

۞ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا خَطِيبًا فِينَا بِمَاءٍ يُدْعَىٰ (خُمًّا) بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ ﷺ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَذَكَرَ وَوَعَظَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ ﷺ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، وقَالَ ﷺ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

۞ قَالَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رَاوِي الْحَدِيثِ: أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ: مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قِيلَ لِزَيْدٍ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ رضي الله عنه: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ الْعَبَّاسِ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ)

۞ عَنْ أَبِي نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ ﷺ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ آلُ مُحَمَّدٍ؟» فَقَالَ ﷺ: «كُلُّ تَقِيٍّ»، ثُمَّ تَلَىٰ ﷺ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾(١). (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

(١) الأنفال الآية (٣٤).

المَبْحَثُ الثَّانِي

مُخْتَارَاتُ مِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

فِي طِبِّ النُّفُوسِ وَالْأَبْدَانِ

وَنُقَسِّمُ هَذِهِ الْمُخْتَارَاتِ عَلَىٰ مَطْلَبَيْنِ كَالتَّالِي:

اَلْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: مُخْتَارَاتٌ مِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي طِبِّ النُّفُوسِ.

اَلْمَطْلَبُ الثَّانِي: مُخْتَارَاتٌ مِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي طِبِّ الْأَبْدَانِ.

المَطْلَبُ الأَوَّلُ

مُخْتَارَاتٌ مِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

فِي طِبِّ النُّفُوسِ

❁ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الغَاضِرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: مَا تَزْكِيَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ؟ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ فِي أَيْدِينَا شَيْءٌ مِمَّا كَانَ فِي يَدَيْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «نَعَمْ»، اِقْرَأْ يَا أَبَا ذَرٍّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾(1).

(رَوَاهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَالأَلُوسِيُّ فِي رُوحِ الْمَعَانِي، وَالسُّيُوطِيُّ فِي الدُّرِّ الْمَنْثُورِ)

❁ عَنْ عبدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**اِتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَىٰ أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

❁ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّىٰ إِذَا**

(1) الأعلىٰ الآيات (١٤-١٩).

أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، ثُمَّ قَرَأَ ﷺ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1]. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً، نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوداءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ وَتَابَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا تَعْلُو قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[2]. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي؟ قَالَ ﷺ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَاراً، قَالَ ﷺ: «لَا تَغْضَبْ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ، وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّعْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اِسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَنَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَحْيِياً، فَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَىٰ، وَالرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَىٰ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَغْبِطَنَّ فَاجِراً بِنِعْمَةٍ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِلَىٰ مَا يَصِيرُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ طَالِباً حَثِيثاً». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ)

(١) هود الآية (١٠٢). (٢) المطففين الآية (١٤).

۞ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي حَوْلَ الْحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلَكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ لَمُضْغَةً، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أُشْرِبَ قَلْبُهُ حُبَّ الدُّنْيَا، الْتَاطَ مِنْهُ بِثَلَاثٍ: شَقَاءٍ لَا يَنْفَدُ عَنَاهُ، وَحِرْصٍ لَا يَبْلُغُ غِنَاهُ، وَأَمَلٍ لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ، وَالدُّنْيَا طَالِبَةٌ وَمَطْلُوبَةٌ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا، طَلَبَتْهُ الْآخِرَةُ، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ، طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَمَا قُدِّرَ لَهُ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنهما، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ الدُّنْيَا، شَتَّتَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ الْآخِرَةُ، جَمَعَ اللهُ لَهُ هَمَّهُ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَىٰ النَّاسِ، فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَغْنَىٰ النَّاسِ، فَلْيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ بِهِ مِمَّا فِي يَدِهِ». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ)

المَطْلَبُ الثانِي

مُخْتَارَاتٌ مِنْ وَصَايَا النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي طِبِّ الأَبْدَانِ

مِنْ وَصَايَاهُ صلى الله عليه وآله وسلم فِي طِبِّ الأَبْدَانِ، الدُّعَاءُ لِلْمَرِيضِ، وَمِنَ الأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم الآتِي:

❁ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَعُودُ بَعْضَ أَهْلِهِ، يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ، ويَقُولُ صلى الله عليه وآله وسلم: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ الْبَأْسَ، اِشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَماً». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

❁ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: (أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ). إِلَّا عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

❁ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَىٰ أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، وَكَانَ صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا دَخَلَ عَلَىٰ مَنْ يَعُودُهُ قَالَ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رضي الله عنه، أَنَّهُ شَكَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: (بِسْمِ اللهِ). ثَلَاثاً، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: (أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ)». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

❁ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم «كَانَ إِذَا اشْتَكَىٰ، يَقْرَأُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَيَنْفُثُ، وَيَمْسَحُ عَلَىٰ جَسَدِهِ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ صلى الله عليه وآله وسلم، كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ؛ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

❁ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَىٰ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اِشْتَكَيْتَ؟ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «نَعَمْ»، قَالَ عليه السلام: «بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ

حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَقَدْ أَوْصَىٰ النَّبِيُّ ﷺ بِالرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «**أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ (أَوْ: أَمَرَ ﷺ) أَنْ يُسْتَرْقَىٰ مِنَ الْعَيْنِ**». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

وَالرُّقْيَةُ مِنَ الْعَيْنِ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ **انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّىٰ نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَذَكَرَ لَهُمْ أَهْلُ هَذَا الْحَيِّ أَنَّ سَيِّدَهُمْ لُدِغَ، وَأَنَّهُمْ سَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ شَيْءٌ، فَسَأَلُوهُمْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الرَّهْطِ، وَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، فَقَامَ سَيِّدُ هَذَا الْحَيِّ اللَّدِيغِ كَأَنَّمَا نَشَطَ مِنْ عِقَالٍ**. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ مرَّ عَلَىٰ رَجُلٍ مُصَابٍ، فَقَرَأَ فِي أُذُنِهِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ١١٦ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ١١٧ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1]، فَلَمَّا قَرَأَهَا، شُفِيَ الرَّجُلُ الْمُصَابُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ رَجُلاً مُوقِناً قَرَأَهَا عَلَىٰ جَبَلٍ لَزَالَ**». (رَوَاهُ أَبُو يعلَىٰ والْحَاكِمُ والتِّرْمِذِيُّ)

وَمِنْ وَصَايَاهُ ﷺ فِي طِبِّ الأَبْدَانِ التَّدَاوِي، وَمِمَّا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ هَدْيِهِ الشَّرِيفِ فِي التَّدَاوِي الآتِي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ، إِلَّا وَأَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ أَنَتَدَاوَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «**نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا؛ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ**» قِيلَ: مَا هُوَ؟

(١) المؤمنون الآيات (١١٥-١١٨).

قَالَ ﷺ: «الْهَرَمُ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاوُدَ والتِّرمِذِيُّ وابْنُ مَاجه بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ ﷺ: «اِسْقِهِ عَسَلاً»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ ﷺ: «اِسْقِهِ عَسَلاً»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ ﷺ: «اِسْقِهِ عَسَلاً»، فَقَالَ: فَعَلْتُ، فَقَالَ ﷺ: «صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اِسْقِهِ عَسَلاً»، فَسَقَاهُ فَبَرَأَ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَ(الْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ) هِيَ حَبَّةُ الْبَرَكَةِ، وَ(السَّامُ) الْمُرَادُ بِهِ الْمَوْتُ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

ومَعْنَى (مُجِمَّةٌ)، أَيْ: مرِيحَةٌ.

وَ(التَّلْبِينَةُ) هِيَ حَسَاءٌ مِنْ دَقِيقٍ أَوْ نُخَالَةٍ، يُجْعَلُ فِيهَا الْعَسَلُ، وَسُمِّيَتْ بِهَذَا الِاسْمِ؛ لِأَنَّهَا تُشْبِهُ اللَّبَنَ لِبَيَاضِهَا وَرِقَّتِهَا. فَالتَّلْبِينَةُ عِلَاجٌ لِلْحُزْنِ، وَكَانَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها تَصْنَعُهَا لِلنِّسَاءِ إِذَا مَاتَ مِنْ أَهْلِهِنَّ أَحَدٌ.

وَمِمَّا يُعَالِجُ الْحُزْنَ كَذَلِكَ الدُّبَّاءُ (وَهُوَ الْقَرْعُ الْعَسَلِي)، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «يَا عَائِشَةُ، إِذَا طَبَخْتُمْ قِدْراً، فَأَكْثِرُوا فِيهَا مِنَ الدُّبَّاءِ، فَإِنَّهَا تَشُدُّ قَلْبَ الْحَزِينِ».

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَلِلْوِقَايَةِ مِنَ السِّحْرِ، رَوَى سَيِّدُنَا سَعْدُ بْن أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عجوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ وَفِي عِلَاجِ الْحَسَدِ، قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَانَ يُؤْمَرُ بِالْعَائِنِ (الْحَاسِدِ)، فَيَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ الْمَعِيْنُ (الْمَحْسُودِ). (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «**إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ، فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ؛ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً وَفِي الْآخَرِ دَاءً**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**لَا تُورِدُوا الْمَرِيضَ عَلَى الْمُصِحِّ**».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

مُخْتَارَاتٌ مِنْ وَصَايَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ

إِنَّ وَصَايَا رَسُولِ اللهِ ﷺ هِيَ الزَّادُ الَّذِي يَتَزَوَّدُ بِهِ الْمُؤْمِنُ مِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَمِنْ حَيَاتِهِ لِمَوْتِهِ، فَمَا مِنْ يَوْمٍ يَمْضِي إِلَّا وَنَحْنُ نَسْتَقْبِلُ بِهِ الْآخِرَةَ، وَنَسْتَدْبِرُ بِهِ الدُّنْيَا، وَالْيَوْمُ الَّذِي يَمْضِي لَا يَعُودُ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَالدَّارُ الَّتِي نَسِيرُ إِلَيْهَا وَهِيَ الْآخِرَةُ، أَقْرَبُ مِنَ الدَّارِ الَّتِي نَرْتَحِلُ عَنْهَا وَهِيَ الدُّنْيَا، وَمَا خُلِقَتِ الدُّنْيَا إِلَّا لِتُطْلَبَ بِهَا الْآخِرَةُ، فَهِيَ الرَّاحِلَةُ الَّتِي يَمْتَطِيهَا الْمُؤْمِنُ، وَصُحُفُهَا الْأَيَّامُ الَّتِي تُنَادِيكَ قَائِلَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ يَنْشَقُّ فَجْرُهُ: أَنَا خَلْقٌ جَدِيدٌ، وَعَلَىٰ عَمَلِكَ شَهِيدٌ، فَاغْتَنِمْنِي، فَإِنِّي لَا أَعُودُ لَكَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

۞ وَخَيرُ مَا نَغْتَنِمُ بِهِ أَيَّامَنَا هُوَ طَاعَةُ اللهِ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ، فَنُحِلُّ مَا أَحَلَّهُ اللهُ، وَنُحَرِّمُ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَنَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ اللهِ، وَنُرَاقِبُ اللهَ تَعَالَىٰ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَنَنْظُرُ فِيمَا نُقَدِّمُهُ غَداً لِأَنْفُسِنَا، فَإِنْ كَانَ خَيْراً حَمَدْنَا اللهَ تَعَالَىٰ، وَسَارَعْنَا إِلَىٰ الْمَزِيدِ؛ اِبْتِغَاءَ فَضْلِهِ وَرِضْوَانِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ سَارَعْنَا إِلَىٰ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَىٰ اللهِ، وَحَاسَبْنَا أَنْفُسَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا قَبْلَ أَنْ نُحَاسَبَ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ لَنَا الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي حُسْنِ اتِّبَاعِنَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْعَمَلِ بِوَصَايَاهُ ﷺ، فَإِنَّهَا سَبِيلُ النَّجَاةِ مِنَ الْفِتَنِ الْمُضِلَّةِ فِي الدُّنْيَا، وَمِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْمُهِينِ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ مِعْرَاجُ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ فِي الدَّارَيْنِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ، وَأَفْرَدَهُ وَحْدَهُ بِالْقَصْدِ دُونَ سِوَاهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ عَنْهُ، وَبَادَرَ مُسَارِعَاً إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ رَبُّهُ مِنَ الْقَوْلِ السَّدِيدِ، وَالْعَمَلِ الرَّشِيدِ، وَالْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَيَصْحَبُ وَيَخْلُصُ فِي الصُّحْبَةِ لِمَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ إِلَىٰ هَذِهِ الْغَايَةِ الْعُظْمَىٰ، الَّتِي تَجْعَلُهُ حَاضِراً مَعَ اللهِ لَا يَغِيبُ، وَذَاكِراً لِجَنَابِهِ سُبْحَانَهُ فَلَا يَغْفَلُ، وَعَلَامَةُ الرَّفِيقِ الصَّالِحِ: أَنْ يَكُونَ عَوْنَاً لَهُ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَهُوَ الَّذِي يُذَكِّرُكَ بِاللهِ

رُؤْيَتُهُ، وَيُزِيدُكَ فِي الْعِلْمِ مَنْطِقُهُ، وَيُقَرِّبُكَ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَلُهُ.

۞ وَهَذَا لَا يَخْلُو مِنْهُ زَمَانٌ، فَإِنَّ أَوْثَقَ عُرَىٰ الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ، وَهُوَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ الَّذِي رَغَّبْنَا فِيهِ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾(١).

۞ فَالْمُؤْمِنُ حَقًّا يُحِبُّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ، وَيَبْغَضُ مَا يَبْغَضُهُ اللهُ، وَيَنْأَىٰ بِهِ عَنْهُ، وَهَذَا هُوَ مَا جَاءَنَا بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلْنَصْغَىٰ إِلَىٰ وَصَايَاهُ ﷺ بِآذَانِ قُلُوبِنَا، فَإِنَّهَا مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي خَصَّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَا، فَكَانَتْ لَنَا سِرَاجاً مُنِيراً يَهْتَدِي بِهِ السَّالِكُ، وَمِنْهَاجاً قَوِيماً يَسِيرُ عَلَيْهِ آمِناً مِنَ الْمَهَالِكِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾(٢).

وَإِلَيْكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ مُخْتَارَاتٌ مِنْ وَصَايَاهُ ﷺ فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ إِلَىٰ اللهِ، نَفَعَنَا اللهُ بِهَا وَإِيَّاكُمْ، نُورِدُهَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الآتِي:

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ**». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

۞ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ والتِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً**». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللهَ**

(١) الحجرات الآية (٧). (٢) آل عمران الآية (٧٤).

لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وأَبُو دَاوُدَ والتِّرمِذِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرَاً، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرَاً». (رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اِغْتَنِمْ خَمْسَاً قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَاً، فَقَالَ ﷺ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: اِحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَرُفِعَتِ الصُّحُفُ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «اِحْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ عَلَىٰ اللهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَاً». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعَاً، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرَاً مُنْسِيَاً، أَوْ غِنَىً مُطْغِيَاً، أَوْ مَرَضَاً مُفْسِدَاً، أَوْ هَرَمَاً مُفَنِّدَاً، أَوْ مَوْتَاً مُجْهِزَاً، أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحَاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ والتِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ والتِّرمِذِيُّ)

۞ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «اُصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُم، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ والْبَيْهَقِيُّ والْحَاكِمُ)

۞ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِسَبْعٍ أُوصِيكُمْ بِهَا: أَنْ أَنْظُرَ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنِّي، وَلَا أَنْظُرَ إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَأَنْ أُحِبَّ الْمَسَاكِينَ وَأَدْنُوَ مِنْهُمْ، وَأَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ قَطَعُونِي، وَأَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، وَأَلَّا أَخْشَىٰ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَلَّا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ والطَّبَرَانِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي، قَالَ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ»، قُلْتُ: زِدْنِي، قَالَ ﷺ: «عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، ذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ». (رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبَيَّ فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي،

كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً، فَلْيَحْمِدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَوْصَاهُ فَقَالَ ﷺ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ، تَكُنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَىٰ جَارِكَ، تَكُنْ مُؤْمِناً، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ ﷺ: «أَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَأَفْشِ السَّلَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَصَلِّ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وابْنُ حِبَّانَ)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسٍ، فَقَالَ ﷺ: «أَسْبِغِ الْوُضُوءَ، يَزِدْ عُمْرُكَ، وَأَكْثِرِ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ لَقِيتَ، تَكْثُرْ حَسَنَاتُكَ، وَسَلِّمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِكَ، تَكْثُرْ بَرَكَتُكَ، وَالْزَمْ صَلَاةَ الضُّحَىٰ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ، يَا أَنَسُ، اِرْحَمِ الصَّغِيرَ، وَوَقِّرِ الْكَبِيرَ، تَكُنْ قَرِينِي فِي الْجَنَّةِ».

(رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ والْبَيْهَقِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَرْسَلَهُ إِلَىٰ الْيَمَنِ، قَالَ ﷺ لَهُ: «يَا مُعَاذُ، يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ، وَبَشِّرْ وَلَا تُنَفِّرْ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

۞ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ

رَجُلاً وَاحِداً، خَيرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

۞ عَنْ ثَوْبَانَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «طُوْبَىٰ لِلْمُخْلِصِينَ، أُوْلَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَىٰ، تَنْجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

۞ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَوْصَاهُ، فَقَالَ ﷺ: «أَخْلِصْ دِينَكَ، يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ)

۞ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَوْصَاهُ، فَقَالَ ﷺ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَتَرْكِ الْخِيَانَةِ، وَحِفْظِ الْجَارِ، وَالرَّحْمَةِ بِالْيَتِيمِ، وَلِينِ الْكَلَامِ، وَبَذْلِ السَّلَامِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الزُّهْدِ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ)

۞ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾[1]. فَقَالَ ﷺ: «وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّكَ بِهَا يَا عَلِيُّ: الصَّدَقَةُ عَلَىٰ وَجْهِهَا، وَاصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ لِأَهْلِهِ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، تَقْلِبُ الشَّقَاوَةَ إِلَىٰ سَعَادَةٍ، وتَقِي صَاحِبَهَا مَصَارِعَ السُّوءِ». (رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ)

وَالْمُرَادُ بِـ «الصَّدَقَةُ عَلَىٰ وَجْهِهَا»، أَيْ: عَلَىٰ وَجْهِهَا الْخَالِصِ للهِ، لَيْسَ فِيهِ رِيَاءٌ وَلَا سُمْعَةٌ وَلَا مَنٌّ وَلَا أَذىً وَلَا إِعْجَابٌ يُحْبِطُ ثَوَابَهَا.

۞ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَوْصَاهُ، فَقَالَ ﷺ لَهُ: «صَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، وَلَا تَكَلَّمَنَّ بِكَلَامٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ، وَالْزَمِ الْيَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَالْحَاكِمُ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِساً، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَن يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، كَفَّرَ اللهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ جَابِرٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ

(١) الرعد الآية (٣٩).

فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ وابْنُ حِبَّانَ)

۞ عَنْ سَعْدِ بْنِ سَهْلٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «اِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ». (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه والطَّبَرَانِيُّ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً بِذِكْرِ اللهِ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلاً لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَكَ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِسَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رضي الله عنه: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْنَحَكَ كَلِمَاتٍ تَسْأَلُهُنَّ الرَّحْمَنَ، وَتَرْغَبُ إِلَيْهِ فِيهِنَّ، وَتَدْعُو بِهِنَّ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَانٍ، وَإِيمَاناً فِي تَسْلِيمٍ، وَتَسْلِيماً فِي يَقِينٍ، وَيَقِيناً فِي حُسْنِ خُلُقٍ، وَنَجَاحاً يَتْبَعُهُ فَلَاحٌ، وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ)

۞ عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اَللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَىٰ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

۞ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللهِ عَنْ عَمَلٍ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

﴿ عَنْ أَبِي رَبِيعَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اُدْعُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنِي مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ ﷺ: «أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

﴿ عَنْ أُمِّ أَنَسٍ رضي الله عنها، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوصِنِي؟ قَالَ ﷺ: «اُهْجِرِي الْمَعَاصِي، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْهِجْرَةِ، وَحَافِظِي عَلَى الْفَرَائِضِ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْجِهَادِ، وَأَكْثِرِي مِنْ ذِكْرِ اللهِ، فَإِنَّكِ لَا تَأْتِينَ اللهَ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِهِ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ)

﴿ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّاهُ، أَلَا أُعْطِيكَ، أَلَا أَمْنَحُكَ، أَلَا أَحْبُوكَ، أَلَا أَفْعَلُ لَكَ عَشْرَ خِصَالٍ، إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللهُ لَكَ ذَنْبَكَ؛ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ، سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ؛ أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ: فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ، قُلْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ؛ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرْكَعُ، فَتَقُولُ وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا، فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا، فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا. فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ. تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، فَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُكَ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ أَوْ رَمْلِ عَالِجٍ، غَفَرَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي عُمْرِكَ مَرَّةً».

(رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ)

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: صَلَاةُ التَّسَابِيحِ مُرَغَّبٌ فِيهَا، يُسْتَحَبُّ أَنْ نَعْتَادَهَا فِي كُلِّ حِينٍ، وَلَا نَتَغَافَلَ عَنْهَا.

﴿ عَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، وَنَحْمَدُهُ أَنْ هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ ﷺ: «وَاللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟»، قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ ﷺ: «أَمَّا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ

تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنْ أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَبُرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، فَأَتَيْتُ لِتُعَلِّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي اللهُ بِهِ فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي، فَقَالَ ﷺ: «أَمَّا لِدُنْيَاكَ؛ فَإِذَا صَلَّيْتَ الْغَدَاةَ فَقُلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ)، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ هَذَا أَمِنْتَ مِنَ الْعَمَى وَالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَالْفَالِجِ. وَأَمَا لِآخِرَتِكَ؛ فَقُلْ: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ، وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ)»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ إِذَا وَافَى بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَدَعْهُنَّ، فُتِحَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِصُحْبَتِي؟ قَالَ ﷺ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ﷺ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ﷺ: «أُمُّكَ»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ ﷺ: «أَبُوكَ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدَهُ؛ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكاً فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ».

وَالْمُرَادُ: أَنَّ مَنْ بَرَّ وَالِدَهُ أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَوْسَطِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ: الْقَصْدُ فِي الْعِبَادَةِ مِنْ غَيْرِ مُغَالَاةٍ وَلَا مَلَلٍ.

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنِ اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ»،

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمَاً أَوْ مَظْلُومَاً» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظالمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ ﷺ: «تَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنِ الْبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعٍ: «بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ الْمَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ ﷺ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانَاً أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقَاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ فِي الْحُورِ الْعِينِ، لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْصَىٰ بِالنِّسَاءِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ ﷺ: «فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَاً فَأَكْثِرْ مَاءَهُ، ثُمَّ

انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهم، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يُرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

ومَعْنَىٰ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: اُتْرُكْ مَا تَشُكُّ فِي حِلِّهِ، وَاعْدِلْ إِلَىٰ مَا لَا تَشُكُّ فِيهِ.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَإِفْسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: الْحَالِقَةُ الَّتِي تَحْلِقُ الرَّأْسَ. وَلَكِنْ أَقُولُ: الْحَالِقَةُ الَّتِي تَحْلِقُ الدِّينَ».

(رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اِجْعَلْنِي عَلَىٰ شَيْءٍ أَعِيشُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «يَا حَمْزَةُ، نَفْسٌ تُحْيِيهَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ نَفْسٌ تُمِيتُهَا؟ قَالَ رضي الله عنه: نَفْسٌ أُحْيِيهَا، قَالَ ﷺ: عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَكْرَمِ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ)

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ، فَقَالَ ﷺ: «يَا عُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، أَلَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُمَدَّ فِي عُمْرِهِ، وَيُبْسَطَ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اِصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَإِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ، فَإِنْ صَادَفْتَ أَهْلَهُ صَادَفْتَ أَهْلَهُ، وَإِنْ لَمْ تُصَادِفْ أَهْلَهُ كُنْتَ أَنْتَ أَهْلَهُ».

(رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ)

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالطَّمَعَ، فَإِنَّهُ الْفَقْرُ

الْحَاضِرُ». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ والْحَاكِمُ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «والَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لا يُعَذِّبُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ رَحِمَ الْيَتِيمَ وَلَانَ لَهُ فِي الْكَلَامِ، وَرَحِمَ يُتْمَهُ وَضَعْفَهُ، وَلَمْ يَتَطَاوَلْ عَلَىٰ جَارِهِ بِفَضْلِ مَا آتَاهُ اللهُ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِسَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، فَلَا عَلَيْهِ مَا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا: صِدْقُ حَدِيثٍ، وَحِفْظُ أَمَانَةٍ، وَعِفَّةُ طُعْمَةٍ، وَحُسْنُ خُلُقٍ». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ)

۞ عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزْنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ للهِ تَعَالَىٰ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمْ لِقَضَاءِ حَاجَاتِ النَّاسِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَلَسُوا عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يُحَادِثُونَ اللهَ وَاللهُ يُحَادِثُهُمْ وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ». (رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ)

۞ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ: أُحِبُّ ثَلَاثاً وَحُبِّي لِثَلَاثٍ أَشَدُّ: أُحِبُّ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَحُبِّي لِلْغَنِيِّ الْمُتَوَاضِعِ أَشَدُّ، وَأُحِبُّ التَّائِبِينَ، وَحُبِّي لِلشَّابِّ التَّائِبِ أَشَدُّ، وَأُحِبُّ الْأَسْخِيَاءَ وُحُبِّي لِلْفَقِيرِ السَّخِيِّ أَشَدُّ، وَأَكْرَهُ ثَلَاثاً وَكُرْهِي لِثَلَاثٍ أَشَدُّ: أَكْرَهُ الْمُتَكَبِّرِينَ وَكُرْهِي لِلْفَقِيرِ الْمُتَكَبِّرِ أَشَدُّ، وَأَكْرَهُ الْعصَاةَ وَكُرْهِي لِلشَّيْخِ الْعَاصِي أَشَدُّ، وَأَكْرَهُ الْبُخَلَاءَ وَكُرْهِي لِلْغَنِيِّ الْبَخِيلِ أَشَدُّ». (رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، جِمَاعُ الْخَيْرِ كُلِّهِ أَرْبَعَةٌ: وَاحِدَةٌ لِي، وَوَاحِدَةٌ لَكَ، وَوَاحِدَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَوَاحِدَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لِي: تَعْبُدُنِي

لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَكَ: اِعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَمِنْكَ الدُّعَاءُ وَمِنِّي الْإِجَابَةُ، وَعَلَيْكَ الْعَمَلُ وَعَلَيَّ الْكِتَابَةُ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَعَامِلِ النَّاسَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهِ». (رَوَاهُ أَبُو يعلَىٰ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّىٰ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اِتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اِتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيْعَةَ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ فَقَالَ ﷺ: «نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وابْنُ مَاجه وابْنُ حِبَّانَ)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن حَمَىٰ مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ، بَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَىٰ مُؤْمِنًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ، حَبَسَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ»، قَالُوا: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ)

۞ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِياً وَرَسُولاً». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً، وبِالْإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِياً وَرَسُولاً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: «صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَىٰ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلاً مِنْ تَمِيمٍ أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي ذُو مَالٍ كَثِيرٍ، وَذُو أَهْلٍ وَمَالٍ، وَحَاضِرَةٍ، فَأَخْبِرْنِي كَيْفَ أَصْنَعُ، وَكَيْفَ أُنْفِقُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تُخْرِجُ الزَّكَاةَ مِنْ مَالِكَ؛ فَإِنَّهَا طُهْرَةٌ تُطَهِّرُكَ، وَتَصِلُ أَقَارِبَكَ، وَتَعْرِفُ حَقَّ السَّائِلِ وَالْجَارِ وَالْمِسْكِينِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

مَعْنَىٰ: «حَاضِرَةٍ»، أَيْ: جَمَاعَةٍ تَنْزِلُ عِنْدَهُ لِلضِّيَافَةِ.

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾(1). فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ، اتَّسَعَ وَانْفَسَحَ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لِذَلِكَ مِنْ عَلَامَةٍ تُعْرَفُ؟ قَالَ ﷺ: «نَعَمْ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِنَابَةُ إِلَىٰ دِارِ الْخُلُودِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ». (رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا والْحَاكِمُ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ زَيْدَ الْخَيْلِ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: جِئْتُ لِأَسْأَلَكَ عَنْ عَلَامَةِ اللهِ فِيمَنْ يُرِيدُ، وَعَلَامَتِهِ فِيمَنْ لَا يُرِيدُ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْرِ، كَيْفَ أَصْبَحْتَ»؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ أُحِبُّ الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ، وَإِذَا قَدَرْتُ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ سَارَعْتُ إِلَيْهِ، وَأَيْقَنْتُ بِثَوَابِهِ، وَإِذَا فَاتَنِي مِنْهُ شَيْءٌ، حَزِنْتُ عَلَيْهِ، وَحَنَنْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: «هَذِهِ عَلَامَةُ اللهِ

(1) الأنعام الآية (١٢٥).

فِيمَنْ يُرِيدُ، وَلَوْ أَرَادَكَ لِلأُخْرَىٰ (أَيْ: عَلامَتُهُ فِيمَنْ لا يُرِيدُ) هَيَّأَكَ لَهَا، ثُمَّ لَا يُبَالِي فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكْتَ». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي، قَالَ ﷺ: «لَا تَتَّهِمِ اللهَ تَعَالَىٰ فِي شَيْءٍ قَضَاهُ عَلَيْكَ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ والطَّبَرَانِيُّ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا». (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ عَلِمَ الْكَافِرُ سَعَةَ رَحْمَةِ اللهِ مَا أَيِسَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «كَيْفَ أَنْتَ وَأَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِي يَسْتَأْثِرُونَ بِهَذَا الْفَيْءِ؟» قَالَ رضي الله عنه: أَضَعُ سَيْفِي عَلَىٰ عَاتِقِي، ثُمَّ أَضْرِبُ بِهِ حَتَّىٰ أَلْقَاكَ، قَالَ ﷺ: «أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ تَصْبِرُ حَتَّىٰ تَلْقَانِي». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاوُدَ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَظَرَ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَنَظَرَ فِي الدِّينِ إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، كَتَبَهُ اللهُ صَابِراً شَاكِراً، وَمَنْ نَظَرَ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، وَنَظَرَ فِي الدِّينِ إِلَىٰ مَنْ هُوَ دُونَهُ، لَمْ يُكْتَبْ عِنْدَ اللهِ صَابِراً شَاكِراً». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَمَّنْ أَصَابَ حَدّاً فَعُوقِبَ بِهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «مَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً، فَعُوقِبَ بِهِ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

۞ عَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[1]. قَالَ ﷺ: «يَا جِبْرِيلُ، وَمَا الصَّفْحُ الْجَمِيلُ؟»، قَالَ عليه السلام: «إِذَا عَفَوْتَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ فَلَا تُعَاتِبْهُ». (أَوْرَدَهُ الإِمَامُ الْغَزَّالِيُّ فِي الإِحْيَاءِ وَابْنُ مَرْدويه فِي تَفْسِيرِهِ)

۞ عَنْ عُتْبَةَ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عليه السلام يَوْماً: يَا كَرِيمَ الْعَفْوِ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: أَتَدْرِي مَا تَفْسِيرُ (كَرِيمِ الْعَفْوِ)؟ إِنَّ الْعَفُوَّ هُوَ الَّذِي يَعْفُو عَنِ

(١) الحجر الآية (٨٥).

السَّيِّئَاتِ بِرَحْمَتِهِ، وَالْكَرِيمُ هُوَ الَّذِي يُبدِّل السَّيِّئَاتِ حَسَنَاتٍ بِكَرَمِهِ». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ)

۞ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَقَالَ ﷺ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا؛ فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ مَا فِي الصُّدُورِ». (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ)

۞ عَنْ خَالِدِ بْنِ عَدِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ بَلَغَهُ مَعْرُوفٌ مِنْ أَخِيهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافِ نَفْسٍ، فَلْيَقْبَلْهُ وَلَا يَرُدَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْهِ».

(رَوَاهُ أَحْمَدُ والطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ مَوْتِ الْفَجْأَةِ، فَقَالَ ﷺ: «مَوْتُ الْفَجْأَةِ رَاحَةُ الْمُؤْمِنِ، وَأَخْذَةُ أَسَفٍ عَلَى الْكَافِرِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاقْرَؤُوهُ، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ، كَمَثَلِ جِرَابٍ مَمْلُوءٍ مِسْكًا». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، وَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ الْبَقَرَةُ لَا يَدْخُلُهُ شَيْطَانٌ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَلْبُ الْقُرْآنِ يس، لَا يَقْرَؤُهَا رَجُلٌ

يُرِيدُ اللهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ، اِقْرَءُوهَا عَلَىٰ مَوْتَاكُمْ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاوُدَ وابْنُ مَاجَه)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَقَدِ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ الْقُرْآنُ: (يَا رَبِّ حَلِّهِ). فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: (يَا رَبِّ زِدْهُ)، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: (يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ)، فَيَرْضَىٰ عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اِقْرَأْ وَارْقَ، وَيَزْدَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً».

(رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ والْحَاكِمُ)

۞ عَنْ عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اِقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا».

(رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وأَبُو دَاوُدَ وابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ)

۞ وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»، أَيْ: أَنَّ مَنْزِلَتَكَ بِحَسْبِ عَدَدِ مَا قَرَأْتَ وَفَقِهْتَ مِنَ الْآيَاتِ؛ لِأَنَّهُ يُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً، فَيَكُونُ مُنْتَهَىٰ الثَّوَابِ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ الْقِرَاءَةِ.

۞ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اِقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ،

وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وأَبُو دَاوُدَ)

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ هَذَا الْكِتَابَ، فَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ مَالاً فَتَصَدَّقَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

وَالْمُرَادُ بِـ (الْحَسَدِ) هُنَا: الْغِبْطَةُ.

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: (الٓمٓ) حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ». (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ؛ يَقُولُ الصِّيَامُ: رَبِّ، إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: رَبِّ، مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، فَيَشْفَعَانِ». (رَوَاهُ أَحْمَدُ والطَّبَرَانِيُّ والْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ، فَاقْبَلُوا (أَيْ: تَزَوَّدُوا) مَأْدُبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَ نَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، فَاتْلُوهُ فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَىٰ تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

۞ عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ؛ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ؛ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ». (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ)

۞ عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ، أُلْبِسَ وَالِدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجاً مِنْ نُورٍ ضَوْؤُهُ مِثْلُ الشَّمْسِ، وَيُكْسَىٰ وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ بِهِمَا الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ لَبِسْنَا هَذَا؟

فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ». (رَوَاهُ الْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ)

۞ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ». (رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وابْنُ مَاجَه والْحَاكِمُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)

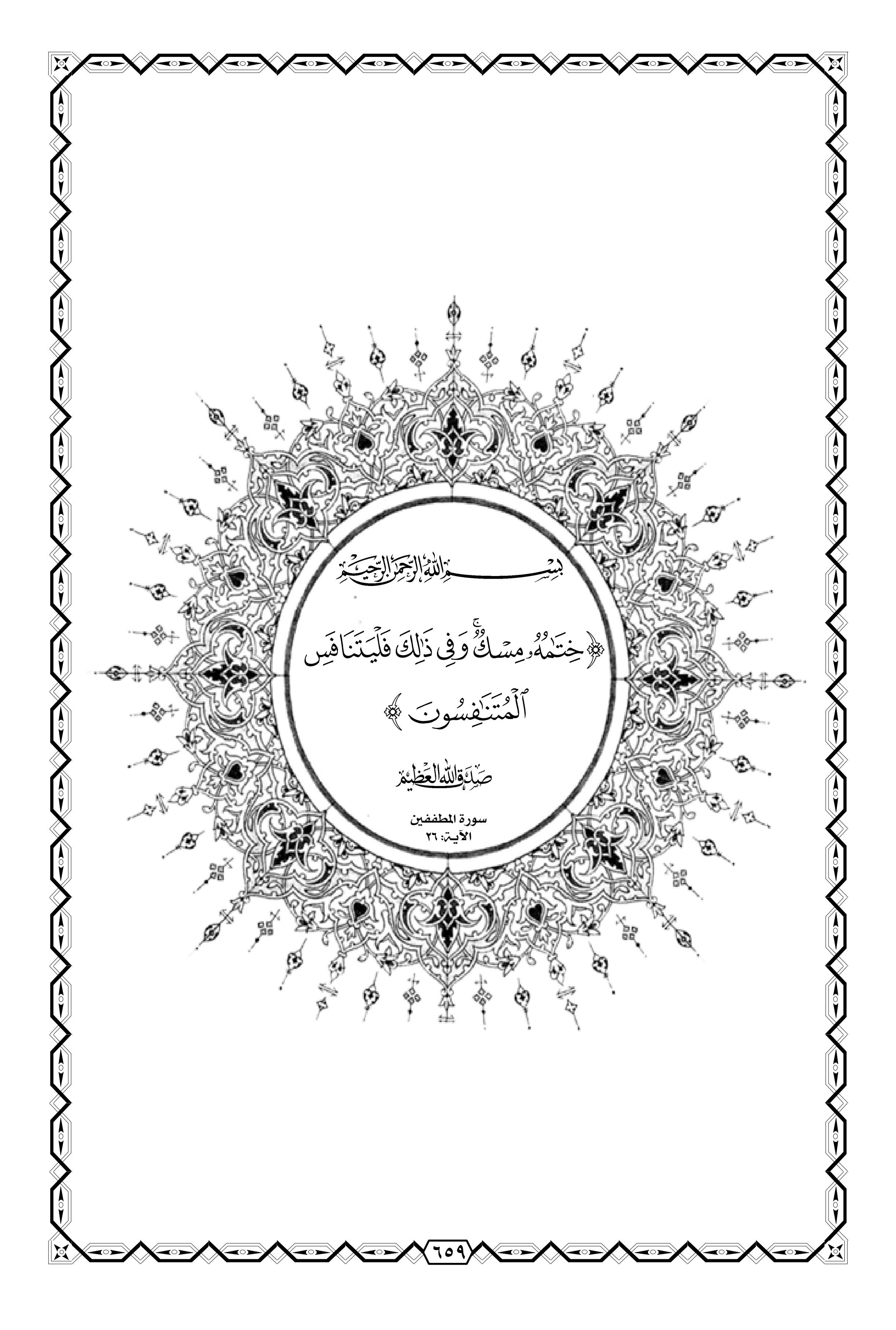
۞ عَنِ النوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ، بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا».

مَعْنَىٰ (شَرْقٌ) أَيْ: فَرْقٌ بَيْنَ الظُّلَّتَيْنِ يَضِيءُ. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ والتِّرْمِذِيُّ)

وَبَعْدُ...

فهَذِهِ مُخْتَارَاتٌ وَمُقْتَطِفَاتٌ مِنْ بَحْرِ جُودِهِ صلى الله عليه وآله وسلم الزَّاخِرِ بِالْوَصَايَا النَّبَوِيَّةِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَالْعَطَايَا الْمُحَمَّدِيَّةِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَرَأْفَتِهِ الرَّحِيمِيَّةِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَحَنَانَتِهِ الْوِدَادِيَّةِ صلى الله عليه وآله وسلم، مَنْ عَمِلَ بِهَا وَأَحْيَاهَا، أَحْيَا اللهُ قَلْبَهُ، وَجَعَلَ لَهُ نُوراً يَهْتَدِي بِهِ فِي مَسِيرَتِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَلَدَيْهَا يَفُوزُ بِشَرَفِ الدَّارَيْنِ، وَيَحْظَىٰ بِنَيْلِ السَّعَادَتَيْنِ، نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَنْ يُذَكِّرَنَا مِنْ وَصَايَاهُ صلى الله عليه وآله وسلم مَا نَسِينَا، وَأَنْ يُعَلِّمَنَا مِنْهَا مَا جَهِلْنَا، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا، وَيَكْتُبَ لَنَا قَبُولَهُ وَرِضْوَانَهُ، حَتَّىٰ نَلْقَاهُ وَهُوَ عَنَّا رَاضٍ.

وَصَلَّي اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الشَّفِيعِ الْأَعْظَمِ، وَالْحَبِيبِ الْأَكْرَمِ، صَلَاةً تَفْتَحُ لَنَا بِهَا أَبْوَابَ فَضْلِكَ، وَخَزَائِنَ رَحْمَتِكَ، وَكُنُوزَ إِحْسَانِكَ، وَنَكُونُ بِهَا مِنَ الْمُكْرَمِينَ بِآيَاتِ إِكْرَامِكَ، دُنْيَا وَآخِرَةَ، وَعَلَىٰ آلِهِ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيراً، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾
صدق الله العظيم
سورة المطففين
الآية: ٢٦

خَاتِمَةٌ

۞ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي تَفَضَّلَ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِالنِّعْمَةِ الْكُبْرَىٰ، وَالْمِنَّةِ الْعُظْمَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، الْمَبْعُوثِ بِالدِّينِ الْقَوِيمِ ﷺ، وَالْجَامِعِ لِكَمَالاتِ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ ﷺ، وَالسَّارِي بِرَحْمَتِهِ فِي الْعَالَمِينَ ﷺ، فَمِنْهُ ﷺ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْهُدَىٰ، وَبِهِ ﷺ تَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ، وَعَلَىٰ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ ﷺ اهْتَدَىٰ كُلُّ صِدِّيقٍ أَمِينٍ، وَإِلَىٰ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ ﷺ اشْتَاقَ كُلُّ أَوَّاهٍ مُنِيبٍ، فَعِنْدَهُ ﷺ يَكُونُ الْفَوْزُ بِنَيْلِ الْمَطَالِبِ، وَتَحْقِيقِ الرَّغَائِبِ، الَّتِي بِهَا صَلَاحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَدْعُونَا إِلَيْهِ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[1]. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَسْعُونَ بِقُلُوبِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ لِنَيْلِ مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ، وَذَلِكَ بِحُسْنِ الاتِّبَاعِ لِهَدْيِ نَبِيِّهِمْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَكُونُونَ فِي سَمَائِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ شُمُوساً وَبُدُوراً وَأَنْجُماً لِمَنْ رَامَ طَرِيقَ الْهِدَايَةِ، وَسَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ الْعِنَايَةُ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

۞ وَإِنِّي أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَ فِي كِتَابِ «**أُفُقِ الْعَظَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ**» تَحْقِيقَ الْمَقَاصِدِ الَّتِي يَحِنُّ إِلَيْهَا كُلُّ طَالِبٍ، وَيَرْتَوِي مِنْهَا كُلُّ ظَمْآنَ وَاجِدٍ.

۞ وَأَتَوَجَّهُ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ بِالدُّعَاءِ فِي مَقَامِي هَذَا لِأُسْتَاذِي وَمُرَبِّي رُوحِي الْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ سَيِّدِي سَمَاحَةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ مَاضِ (أَبُو الْعَزَائِمِ) رضي الله عنه أَنْ يَجْزِيَهِ اللهُ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَذَلِكَ لِمَا أَسْدَاهُ اللهُ لَنَا عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنْ نِعْمَةِ الْعَوَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْإِشْرَاقَاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ، وَأَفَاضَ بِهَا عَلَىٰ مَنْ حَوْلَهُ، فَكَسَاهُمُ اللهُ بِهَا نُوراً وَجَمَالاً وَبَهَاءً.

(١) المطففين الآية (٢٦). (٢) يونس الآية (٢٥).

۞ كَمَا أَدْعُو اللهَ تَعَالَىٰ لِكُلِّ سَادَاتِنَا وَمَشَايِخِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، مِنْ لَدُنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا، بِخَيْرِ مَا يَدْعُو بِهِ الْخَلَفُ لِلسَّلَفِ: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

۞ وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْـمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ، وَاللِّوَاءِ الْمَعْقُودِ، الْحَائِزِ لِشَرَفِ الْوَسِيلَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ الرَّفِيعَةِ، صَلَاةً تَجْعَلُنَا بِهَا مِنَ الْمَحْبُوبِينَ لِذَاتِهِ الْـمُحَمَّدِيَّةِ، الْمَنْظُورِينَ بِعَيْنِ رَحْمَتِهِ الْوِدَادِيَّةِ، وعَلَىٰ آلِهِ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الرَّاجِي عَفْوَ رَبِّهِ

الْفَقِيرُ إِلَىٰ اللهِ

عَبْدُ السَّلَامِ عَلِي شِتَا

١٢ ربيع الأول عام ١٤٣١ هـ.

٢٦ فبراير عام ٢٠١٠ م.

(١) الحشر الآية (١٠).

المَرَاجِعُ

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري.

٣- صحيح مسلم.

٤- رياض الصالحين «للإمام النووي».

٥- الترغيب والترهيب «للإمام المنذري».

٦- اللؤلؤ والمرجان فِيمَا اتفق عليه الشيخان «للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي».

٧- المنتخب فِي السنة النبوية الشريفة.

٨- الشمائل المحمدية «للإمام الترمذي».

٩- الخصائص الكبرىٰ «للإمام جلال الدين السيوطي».

١٠- الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ «للقاضي عياض».

١١- تفسير القرآن الكريمِ «للإمام الحافظ ابن كثير».

١٢- الجامع لأحكام القرآن «للإمام القرطبي».

١٣- سيرة النبي ﷺ «للإمام ابن هشام».

١٤- البداية والنهاية «للإمام الحافظ ابن كثير».

١٥- إحياء علوم الدين «للإمام أبو حامد الغزالي».

١٦- حلية الأولياء «للإمام الحافظ أبو نعيم».

١٧- السيرة الحلبية «للإمام الحلبي».

١٨- قوت القلوب «للإمام أبو طالب المكي».

١٩- أسباب النزول «للشيخ أبي الحسن الواحدي».

٢٠- بشائر الأخيار فِي مولد المختار «للإمام السيد محمد ماضي أبو العزائم».

٢١- الفرقة الناجية «للإمام السيد محمد ماضي أبو العزائم».

٢٢- المواجيد النظمية «للإمام السيد محمد ماضي أبو العزائم».

٢٣- الرسول ﷺ لمحات من حياته وأنوار من هديه «للإستاذ الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود».

٢٤- رسالة محمد ﷺ «لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي».

٢٥- محمد رسول الله ﷺ «لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي».

٢٦- ينابيع الحكمة «للشيخ عبد المنصف محمود» أصدره المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية.

٢٧- الرسالة القشيريه «للإمام أبو القاسم القشيري».

٢٨- إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان «للأستاذ الدكتور منصور حسب الله».

٢٩- مع أمجاد الرسالة المحمدية «للدكتور مصطفىٰ الحديدي الطير» أصدره المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية.

٣٠- رحيق العلم والْإيمان «للدكتور أحمد فؤاد باشا».

٣١- المدينة المنورة «للأستاذ محمود الشرقاوي».

مُحْتَوَيَاتُ الْكِتَابِ